

التفسير البسيط

لأبي الحسين علي بن أحمد بن محمد الولي الحارثي

ت (٤٦٨ هـ)

الجزء السادس عشر

من آية (٥٧) من سورة المؤمنون إلى آخر سورة النور

تحقيق

الدكتور عبد الله بن عبد العزيز بن محمد المديني

سورة الفرقان

تحقيق

الدكتور سليمان بن إبراهيم بن محمد الحصين

دققة ونقحه وضبطه

الأستاذ الدكتور

تركيب بن سميون بن زلال العتيبي

الأستاذ الدكتور

عبد العزيز بن سميون بن زلال العتيبي

٢ شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الواحدى، أبو الحسن علي أحمد
التفسير البسيط. / أبو الحسن علي أحمد
الواحدى. - الرياض، ١٤٣٨هـ - ٢٥ مج.
٥٧٠ ص؛ ١٦، ٥ X ٢٤ سم

ردمك: ٠٠٢٣-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
١-٣٩-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١٦)

١. الواحدى، علي بن أحمد، ت ٤٦٨هـ (المؤلف).
٢. آل سعود، عبدالعزيز بن سطاتم.
- العتيبي، تركي بن سهو، (تدقيق وتنقيح وضبط).

ديوي: ٢٢٧، ٣ - ٣٠٥٢ / ١٤٣٨

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

نشر وتوزيع العبيكان

المملكة العربية السعودية - الرياض -

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ ١١ ٩٦٦ + فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ١١ ٩٦٦ +

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanpublishing.com

جميع الحقوق محفوظة لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سطاتم بن عبدالعزيز آل سعود. ولا
يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما
في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الأمير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٧. ثم ذكر المؤمنين فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَشَفِّقُونَ ﴾ الخشية من الله خشيته^(١) من عذابه^(٢) وسخطه . والإشفاق : الخوف ، يقول : أنا مشفق^(٣) من هذا الأمر ؛ أي خائف^(٤) .

قال ابن عباس : « يريد أشفقوا^(٦) من^(٧) عذابي ، ولم يأمنوا مكري » .

وقال الكلبي : « خائفون من عذابنا »^(٨) . وهذه صفة أهل طاعته في الدنيا .

وقال مقاتل : « مشفقون من عذابه »^(٩) .

هذا قول المفسرين ، وقد ذكروا ما يشفقون منه وهو العذاب ، وحذف ذكره للإحاطة به . والمعنى : والذين هم لما هم عليه من خشية الله مشفقون من عذابه^(١٠) . ولا يصح نظم الآية إلا بإضمار ما أشفقوا منه ؛ لأنّه لا يقال : خشي من خشية الله إلا بإضمار مفعول لخشى . فإن جعلت من خشية الله مفعول خشي لم يحسن ، لأنّه لا يُخشى من الخشية ، كذلك هؤلاء لم يشفقوا من الخشية إنما أشفقوا من العذاب لما انطوا عليه من خشية الله وحذر عذابه .

(١) في (أ) : (خشية) .

(٢) في (ظ) و(ع) : (عقابه) .

(٣) في (ع) : (مشفوق) ، وفي (ظ) : (مشفقون) .

(٤) في (ظ) : (خائفون) .

(٥) هذا القول في تهذيب اللغة للأزهري (شفق) ٣٣٢ / ٨ منسوباً إلى الليث . انظر : لسان العرب (شفق) ١٨٠ ، ١٧٩ / ١٠ .

(٦) في (أ) : (شفقوا) .

(٧) (من) : ساقطة من (أ) و(ع) .

(٨) ذكره عنه الرازي ١٠٦ / ٢٣ ، وأبو حيان ٤١٠ / ٦ .

(٩) تفسير مقاتل ٣١ / ٢ ب .

(١٠) في (ظ) ، (ع) : (عقابه) .

٥٨. قوله : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ رِثَايَتُ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «يصدقون بالقرآن أنه من عند الله»^(١) .

٥٩. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ رَبِّهِمْ لَا يُمِرُّوكُمْ﴾ ، الأوثان في العبادة ، ولا يعبدون معه غيره ، لكنهم يوحّدون ربهم . قاله الكلبي ومقاتل^(٢) .

وقال أهل المعاني : هذا بيان بأن^(٣) خصال الإيمان لا تصلح إلا بترك الإشراك ، وليس^(٤) على ما يقوله أهل الجاهلية : إِنَّا مُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وهم يعبدون معه غيره^(٥) .

٦٠. وقوله : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ . قال ابن عباس : «يريد يعملون الأعمال الصالحة ويتصدقون^(٦) بالصدقة الكثيرة وقلوبهم خائفة من الله - عز وجل - أن لا يقبل ذلك منهم»^(٧) .

وقال الكلبي : «قلوبهم خائفة ألا تقبل منهم» .

وقال الحسن : «يعملون ما عملوا من البر والعمل الصالح^(٨) وقلوبهم وجلة أيتقبل منهم أم لا^(٩) ؟» .

(١) تفسير مقاتل ٣١ / ٢ ب .

(٢) تفسير مقاتل ٣١ / ٢ ب .

(٣) في (أ) و(ع) : (أن) .

(٤) في (أ) و(ع) : (ليس) .

(٥) ذكر هذا المعنى الطوسي في التبيان ٣٣٤ / ٧ ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٦) في (أ) : (ويصدقون) .

(٧) روى الطبري ٣٣ / ١٨ عن ابن عباس قال : «يعملون خائفين» .

(٨) في (ظ) : (من العمل الصالح) ، سقط منها (البر) .

(٩) روى وكيع في الزهد ١ / ٣٩٠ ، وأحمد في الزهد ٢٨٦ ، والطبري ٣٢ / ١٨ عن الحسن الشطر الأول

منه ، ولفظ باقيه عندهم : «وهم مشفقون» ، وعند الطبري : «يخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم» .

وقال مجاهد في هذه الآية : «المؤمن ينفق ماله وقلبه وجل»^(١).

وقال قتادة والسدي : «يُعْطُونَ ما أعطوا ويعملون ما عملوا من خير وقلوبهم خائفة من الله»^(٢).

وهذا المعنى الذي ذكره المفسرون هو ما ذكره النبي ﷺ في حديث عائشة قالت : قلت : يا رسول الله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق^(٣)؟ قال : «لا يا ابنة الصديق ! ولكنّه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ألا يقبل منه»^(٤).

-
- (١) رواه الطبري ٣٢/١٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠٦/٦ ، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد .
- (٢) رواه عن قتادة عبدالرزاق في تفسيره ٤٦/٢ ، والطبري ٣٣/١٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠٦/٦ ، وزاد نسبه لعبد بن حميد . ولم أجد من ذكره عن السدي .
- (٣) (ويسرق) : ساقطة من (ظ) و(ع) .
- (٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ١٥٩/٦ ، والترمذي في كتاب : التفسير ، ومن سورة المؤمنين ٩/٩ ، ٢٠ ، وابن ماجه ٤٢٥/٢ في أبواب الزهد ، باب : التوقي على العمل ، والطبري في تفسيره ٣٤/١٨ ، والحاكم في مستدركه ٣٩٣/٢ ، ٣٩٤ ، والبغوي في معالم التنزيل ٤٢١/٥ .
- وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠٥/٦ وعزاه إلى من تقدّم سوى البغوي ، وزاد نسبه إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في نعت الخائفين . وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان . والحديث صحّحه الحاكم ووافقه الذهبي ، وصحّحه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٩٥/١ - ٩٧ .

وكانت عائشة تقرأ : (يأتون ما أتوا)^(١) ؛ أي يعملون ما عملوا . يقال : فلان يأتي العمل الصالح ويأتي العمل الخبيث ، ولهذا^(٢) ذهب وَهْمُهَا^(٣) إلى أنه الذي يزني ويشرب^(٤) ويسرق .

وسألها عبيد بن عمير عن قراءتها فقالت : «أشهد لكذلك»^(٥) كان رسول الله يقرأها ، وكذلك أنزلت^(٦) .

والقراء اليوم مجمعون على ﴿يُؤْتُونَ مَاءَآتُوا﴾ .

قال ابن عمر : «يؤدون الزكاة»^(٧) .

(١) بفتح الياء ، وألف بعدها ، و(ما أتوا) مقصور .
انظر : الشواذ لابن خالويه ٩٨ ، والمحتسب لابن جني ٨٩٥ / ٢ ، وتعليل القراءات الشواذ للعكبري ٢٧٥ .

(٢) في (ظ) : (وهذا) .

(٣) وهمها ؛ أي ظنها . انظر : الصحاح للجوهري (وهم) ٢٠٥٤ / ٥ .

(٤) ويشرب : ساقط من (أ) .

(٥) في (أ) : (كذلك) .

(٦) رواه سعيد بن منصور في تفسيره : (ل ١٥٧أ) ، والإمام أحمد في مسنده ٩٥ / ٦ ، ١٤٤ ، والبحاري في كتابه الكنى ٢٨ .

قال ابن كثير : في تفسيره ٢٤٨ / ٣ : «فيه إسماعيل بن مسلم المكي ، وهو ضعيف» .
قال ابن كثير ٢٤٨ / ٣ : «والمعنى على القراءة الأولى يعني يؤتون وهي قراءة السبعة وغيرهم أظهر ؛ لأنه قال : (أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) فجعلهم من السابقين ، ولو كان المعنى على القراءة الأخرى - يعني : (يأتون ما أتوا) - لأوشك أن لا يكونوا من السابقين بل من المقتصدين أو المقصرين ، والله أعلم» اهـ .

(٧) رواه الطبري ٣٢ / ١٨ . من رواية ابن أبجر عن ابن عمر ، وفي سنده جهالة . وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠٦ / ٦ ، وزاد نسبه إلى الفريابي .

وذكر ابن عطية ٣٧٠ / ١٠ عن ابن عباس وابن جبير أنها قالوا : «هو عام في جميع أنواع البر» ، ثم قال ابن عطية : «وهذا حسن ، كأنه قال : والذين يعطون من أنفسهم في طاعة الله ما بلغه جهدهم» .

وإنما خَصَّ إيتاء الزكاة من بين الطاعات ؛ لأن من أدَّى الزكاة وأطاع الله فيها فهو في غيرها أطوع ، وكأنَّ إيتاء الزكاة عبارة عن الأعمال الصالحة ؛ إذ هو الأفضل والأشق على النفس .

قال الحسن في هذه الآية : «المؤمن جمع إحساناً وشفقة»^(١) .

فأمَّا نظم الآية فقد ذكر الفراء وجهاً ، وذكر الزَّجَّاج وجهاً آخر ، وجمعهما صاحب النظم وشرحهما .

قال الفراء : «﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أنهم^(٢) من أنهم ، فإذا أَلْقَيْتَ (مِنْ) نَصَبْتَ»^(٣) .

وقال الزَّجَّاج : «قلوبهم خائفة ؛ لأنهم إلى ربهم راجعون ؛ أي لأنهم يوقنون بأنهم يرجعون إلى الله يخافون»^(٤) .

وقال صاحب النظم : في هذه الآية قولان :

أحدهما : أن يكون قوله : «﴿وَجِلَةٌ﴾» واقعاً على قوله : «﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾» على تأويل : خائفون^(٥) رجوعهم ؛ أي يخافون رجوعهم إلى ربهم . [فيكون الخوف منهم واقعاً على البعث والحساب وما يكون فيهما . وهذا معنى قول الفراء .

والقول الآخر : أن يكون الخوف واقعاً على مضمرة ، وقوله : «﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾» سبباً له على تأويل : وقلوبهم وجلةٌ أنها لا تقبل منهم لعلمهم أنهم إلى ربهم^(٦)

(١) رواه الطبري ٣٢ / ١٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٠٥ ، وزاد نسبه لابن أبي حاتم .

(٢) عند الفراء : «وجلةٌ من أنهم» .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٣٨ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ١٧ .

(٥) في (أ) و(ع) : (خائفة) .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

راجعون . والخوف واقع^(١) على أنه لا يقبل منهم نفقاتهم . وقوله^(٢) : ﴿ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ سبب لهذا الخوف^(٣) .

وهذا معنى قول أبي إسحاق وأكثر المفسرين لأنهم جعلوا الخوف واقعاً على أن لا يقبل^(٤) منهم^(٥) .

٦١ . وقوله : ﴿ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ يبادرون في الأعمال الصالحة التي ذكر الله لهم قبل هذه الآية .

قال الزَّجَّاج : «يقال : أسرعت وسارعت في معنى واحد إلا أن سارعت أبلغ من أسرعت»^(٦) .

وهذا كقوله : ﴿ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ ، [الأنبياء : ٩٠] وقد مرَّ .

وقوله : ﴿ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ . قال أبو إسحاق : «فيه وجهان :

أحدهما : هم إليها سابقون»^(٧) .

(١) في (أ) : (واقع عليه على أنه) بزيادة عليه .

(٢) في (أ) : (قوله) سقطت الواو .

(٣) والمعنى على هذا : سبب الوجع الرجوع إلى ربهم . انظر : الدر المصون ٨ / ٣٥٣ .

(٤) في (ط) و(ع) : (يتقبل) .

(٥) انظر : الطبري ١٨ / ٣٢ ، والقرطبي ١٢ / ١٣٢ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ١٧ . قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨ / ٣٥٣ مبيناً قول الزَّجَّاج : «يعني من حيث إنَّ المفاعلة تدل على قوة الفعل لأجل المغالبة» .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ١٧ .

وهذا قول الفرّاء^(١) ، ومعنى قول ابن عباس : «ينافسون فيها أمثالهم من أهل البر والتقوى»^(٢) .

وقال الكلبي : «سبقوا الأمم إلى الخيرات» ، وعلى هذا المعنى : هم إلى الخيرات سابقون غيرهم لإسراعهم فيها ومبادرتهم إليها .

«والوجه الآخر : هم من أجلها ، أي من أجل اكتسابها ، كما تقول : أنا أكرم فلاناً لك ، أي من أجلك»^{(٣)(٤)} .

والمعنى على هذا القول : وهم لأجل الخيرات سابقون غيرهم ، أي إنما يسبقون غيرهم لأجل اكتسابها .

وذكر صاحب النظم على هذا الوجه معنى آخر لقوله : (سَابِقُونَ) فقال : «تأويل الآية : وهم من أجلها ؛ أي من أجل مسارعتهم في الخيرات سابقون يوم القيامة إلى الجنة يسبقون»^(٥) غيرهم ممن لا يسارع في الخيرات»^(٦) .

(١) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٣٨ .

(٢) ذكره عنه الماوردي ٤/ ٥٩ ، والبغوي ٥/ ٤٢٢ .

(٣) في (ظ) : (لأجلك) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٧ .

(٥) في (ظ) و(ع) : (أي يسبقون) .

(٦) ذكر مكّي في الهداية إلى بلوغ النهاية ٣/ ١١٦ ، هذا القول ولم ينسبه إلى أحد . وانظر : الكشف : ٣/ ٣٥ ، والدر المصون ٨/ ٣٥٤ .

وعلى هذا ، الكناية في لها تعود [إلى المسارعة ودل عليها قوله : ﴿يُسْرِعُونَ﴾ ، وعلى ما قال أبو إسحاق يعود^(١) إلى الخيرات^(٢) .

٦٢ . قوله تعالى : ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ . قال الكلبي : «إلا طاقتها من العمل ، فمن لم يستطع أن يصلي قائماً فليصل جالساً»^(٣)^(٤) .

وهذا مما سبق الكلام فيه في سورة البقرة^(٥) .

ولا تعلق للقدرية بهذه الآية إن احتجوا بها علينا في تكليف الكافر الإيمان مع إرادة الله كفره ، لأن الآية تحمل على ما^(٦) لا يتوهم وجوده في المعقول مثل تكليف الأعمى أن ينظر والزمن أن يمشي . فأما إيمان الكافر فذلك جائز في الموهوم أن يكون منه والإرادة مغيبة عنا وعنه . ثم يلزمهم مثل هذا في العلم وذلك أن كل من سبقت الإرادة له بالكفر فقد سبق العلم بأنه يموت كافراً والعلم لا يتبدل

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٢) قال الطبري ٣٤ / ١٨ بعد أن ذكر أن بعضهم تأوّل ذلك بمعنى : وهم إليها سابقون ، وبعضهم بمعنى : وهم من أجلها سابقون : «وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب القول الذي قاله ابن عباس من أنه سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم في الخيرات ، ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها» . قال : «وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالكلام ؛ لأن ذلك أظهر معنييه ، وأنه لا حاجة بنا إذا وجهنا تأويل الكلام إلى ذلك إلى تحويل اللام التي في قوله (وهم لها) إلى غير معناها الأغلب عليها» . اهـ . وقول ابن عباس الذي أشار إليه رواه هو في تفسيره ٣٤ / ١٨ ، وابن أبي حاتم (كما في تغليق التعليق لابن حجر ٥ / ١٩٠) ، ورواه البخاري في صحيحه ، في كتاب : القدر ، باب : حق القلم على علم الله ٤٩١ / ١١ معلقاً .

قال ابن حجر في الفتح ٤٩٢ / ١١ : «ويجمع بين تفسير ابن عباس وظاهر الآية أن السعادة سابقة ، وأن أهلها سبقوا إليها ، لا أنهم سبقوها» .

(٣) في (ظ) : (قاعداً) .

(٤) ذكر البغوي ٤٢٢ / ٥ هذا المعنى ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٥) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

(٦) في (أ) : (عليها) .

والمعلوم لا يتغير . فإن لزمنا على الإرادة تكليف ما لا يطاق لزم القدرية على العلم تكليف ما لا يطاق .

وقوله : ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : « يريد اللوح المحفوظ »^(١) . وفيه مكتوب كل شيء سبق في علم الله .

﴿ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ﴾ يبين بالصدق^(٢) . والنطق مستعارٌ للكتاب يراد به التبيين .

ومعنى الآية : إِنَّا لَا نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا مَا أَطَاقَتْ مِنَ الْعَمَلِ ، ونعلم إيش يعمل^(٣) ؛ لَأَنَّا قَدْ أَثَبَّتْنَا عَمَلَهُ فِي اللُّوحِ الْمُحْفُوظِ ، فهو ينطق به ويبينه .

قوله : ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ قال ابن عباس : « لَا يُنْقَصُونَ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِهِمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ »^(٤) .

٦٣ . قوله تعالى : ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ ﴾ . قال مقاتل : « يعني الكفار ﴿ فِي غَمَرَةٍ ﴾ في غفلة»^(٥) .

وقال الكلبي : « في جهالة »^(٦) ، وقد مرَّ قبيل^(٧) .

(١) تفسير مقاتل ٣١/٢ ب . وفي معنى (الكتاب) هنا قول آخر حكاه الثعلبي ٦٢/٣ ب ، هو أنه كتاب إحصاء الأعمال الذي تكتبه الحفظة . واستظهر هذا القول ابن عطية ٣٧٦/١٠ ، والقرطبي ١٢/١٣٤ ، وقال عنه الشنقيطي في أضواء البيان ٥/٧٩٦ إنه الحق ، واستدل له بقوله تعالى : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٩] .

(٢) الطبري ٣٥/١٨ .

(٣) في (أ) : (استعمل) .

(٤) ذكر ابن الجوزي ٤٨١/٥ هذا المعنى ، ولم ينسبه لأحد .

(٥) تفسير مقاتل ٣١/٢ ب .

(٦) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون ٤/٥٨ عند قوله : (في غمرتهم حتى حين) .

(٧) عند قوله تعالى : (فذرهم في غمرتهم حتى حين) .

وقوله : ﴿بَلِّغُوا لَهُمْ﴾ . قال مجاهد : «يعني القرآن»^(١) . وهو قول مقاتل يقول : «في غفلة من الإيمان بهذا القرآن»^(٢) .

وذكر أبو إسحاق وجهين آخرين :

أحدهما : أن يكون هذا إشارة إلى [ما وصف من أعمال البر في الآيات المتقدمة .

والثاني : أن يكون إشارة إلى]^(٣) الكتاب الذي ينطق بالحق وأعمالهم محصاة فيه^(٤) .

قوله : ﴿وَلَهُمْ أَعْمَلٌ﴾ . قال ابن عباس : «يريد مما سبق في علمي وكان في اللوح المحفوظ» .

وقوله : ﴿مَنْ دُونَ ذَلِكَ﴾ . قال الكلبي : «ولهم أعمال خبيثة من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله في الآيات»^(٥) السابقة^(٦) .

وقال مقاتل : «يعني غير الأعمال الصالحة التي ذكرت عن المؤمنين»^(٧) .

وعلى هذا الإشارة بقوله ذلك تعود إلى ما ذكر من أعمال البر على المؤمنين .

(١) رواه الطبري ١٨ / ٣٥ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٠٦ ، وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر .

(٢) تفسير مقاتل ٣١ / ٢ ب .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٧ ، ١٨ مع اختلاف يسير .

(٥) في (أ) : (الإيمان) ، وهو خطأ .

(٦) ذكره البغوي ٥ / ٤٢٢ هذا المعنى ، ولم ينسبه لأحد .

(٧) تفسير مقاتل ٣١ / ٢ ب .

وقال السدّي : ﴿مَنْ دُونَ ذَلِكَ﴾ قبل أن يقع بهم العذاب ، وذلك يوم بدر .

وعلى هذا الإشارة تعود إلى قوله : ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ يعني يوم بدر . يقول : لهم أعمال مكتوبة عليهم لا بدّ من^(١) أن يعملوها قبل يوم بدر .

وقال صاحب النظم : ﴿مَنْ دُونَ ذَلِكَ﴾ من غير ذلك كما قال : ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس : ٣٨ ، وهود : ١٣] أي لهم أعمال سوى ما في قلوبهم من الغمرة التي غمرتها وغلبت عليها .

قوله : ﴿هُم لَهَا عَمِلُونَ﴾ . [قال ابن عباس : «يريد لا بدّ أن يعملوها»]^(٢) .

وقال مقاتل : «يقول وهم لتلك الأعمال الخبيثة عاملون ،»^(٣) ؛ أي أنهم سيعملونها لا بدّ لهم من أن يعملوها»^(٤) .

وقال مجاهد : «أعمال لا بدّ لهم من أن يعملوها»^(٥) .

وقال حميد^(٦) : «سألت الحسن عن قوله : ﴿هُم لَهَا عَمِلُونَ﴾ قال : أعمال لم يعملوها سيعملونها بها»^(٧) .

(١) (من) ساقطة من (أ) .

(٢) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٧ ، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٣١ ب .

(٥) رواه الطبري ١٨/ ٣٦ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٧ ، وزاد نسبه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) هو حميد الطويل .

(٧) رواه الطبري ١٨/ ٣٦ عن حميد ، به . وفيه : (سيعملونها) .

وقال أبو إسحاق : «أخبر الله - عز وجل - بما سيكون منهم ، فأعلم أنهم سيعملون أعمالاً تباعد^(١) من الله غير الأعمال التي ذكروا بها»^(٢) .

وقال الفراء : «أعمال منتظرة مما سيعملونها»^(٣) .

قال صاحب النظم : ﴿ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ ﴾ ؛ أي بها فتقوم اللام مقام الباء ، وقد تكون بمنزلة قوله : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُفُسِهِمُ هُذًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٤] ، وقوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّعْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ [يوسف: ٤٣] ، وقد يكون بمنزلة من أجل ؛ أي ولهم أعمال سواها هم^(٤) من أجل الغمرة التي على قلوبهم عاملون إياها . وفيه دليل على ثبوت القدر لإيجابه - عز وجل - إتيانهم^(٥) أعمالاً يعملونها قبل كونها . هذا كلامه .

وقد ترى إجماع المفسرين وأصحاب المعاني على أن هذا إخبار عما سيعملونه من أعمالهم^(٦) الخبيثة التي كتبت عليهم لا بدّ لهم أن يعملوها . ففي هذا دليل على أن كلاً ميسر لما خلق ، له وأن هؤلاء كتب عليهم ما هم عاملون .

٦٤ . قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ ﴾ . قال ابن عباس ، والكلبي ، ومقاتل ، والسدي : «جبابرتهم وأغنياءهم ورؤوسهم»^(٧) .

(١) في (ع) : (لا تباعد) ، وهو خطأ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٨ / ٤ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٣٨ / ٢ .

(٤) هم ساقطة من (أ) .

(٥) في (أ) : (إيتانهم) ، وفي (ظ) و(ع) : (إيتانهم) ، ولعل الصواب : (إيتانهم) .

(٦) في (أ) : (أعمال) .

(٧) تفسير مقاتل ٣١ / ٢ ب . وذكر الماوردي ٦ / ٤ عن الكلبي أنه قال : «الموسع عليهم بالمال والولد» . وذكر الثعلبي ٦٢ / ٣ ب بعضه من غير نسبة لأحد .

قال المبرد : «المترب : المتقلب في لين العيش»^(١) ، ومنه قوله عز وجل : ﴿وَأَتَرَفْنَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [المؤمنون : ٣٣]^(٢) .

وقوله : ﴿بِالْعَذَابِ﴾ يعني بالسيوف يوم بدر ، وهو قول ابن عباس^(٣) ، ومجاهد^(٤) ، وقتادة^(٥) ، ومقاتل^(٦) ، والسدي .

وقال الكلبي^(٧) ، والضحاك^(٨) : «يعني بالجوع سبع سنين ، حين دعا عليهم رسول الله ﷺ»^(٩) .

والقول هو الأول ، وهو اختيار أبي إسحاق ، قال : «العذاب الذي أخذوا به السيف»^(١٠) .

(١) (العيش) ساقطة من (ظ) و(ع) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (تर्फ) ١٤ / ٢٧١ ، ولسان العرب (تर्फ) ٩ / ١٧ .

(٣) ذكره عنه الثعلبي ٣ / ٦٢ ب .

(٤) رواه الطبري ١٨ / ٣٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٠٧ ، وزاد نسبه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) رواه عبدالرزاق ٢ / ٤٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٠٧ ، وزاد نسبه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٦) تفسير مقاتل ٢ / ٣١ ب .

(٧) ذكره عنه ابن الجوزي ٥ / ٤٨٢ .

(٨) ذكره عنه الثعلبي ٣ / ٦٢ ب ، وذكره ابن الجوزي ٥ / ٤٨٢ ، مع القائلين بالقول الأول .

(٩) روى البخاري في كتاب : الدعوات ، باب : الدعاء على المشركين ١١ / ١٩٤ - ١٩٥ ، ومسلم في كتاب : المساجد ، باب : استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة ١ / ٤٦٦ ، ٤٦٧ من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا قال : سمع الله لمن حمده في الركعة الأخيرة من صلاة العشاء قنت : «اللهم اشدد وطأتك على مضر ، اللهم اجعلها عليهم كسني يوسف» .

(١٠) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٨ . والأولى عدم تقييده بعذاب معين . قال ابن كثير ٣ / ٢٤٩ : «أي إذا جاء مترفيهم وهم المنعمون في الدنيا ، عذاب الله وبأسه ونقمته بهم» .

قوله تعالى : ﴿ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ﴾ . قال ابن عباس : « يتضرعون »^(١) .

وقال السدي ومقاتل : « يصيحون إلى الله »^(٢) .

وقال الزجاج : « يضحجون »^(٣) . قال المبرد : « هو الضجيج الشديد » .

وأشدد أبو عبيدة^(٤) :

إِنِّي وَاللَّهِ^(٥) فَأَقْبِلْ حَلْفِي^(٦) بِأَبْيِل^(٧) كُلَّمَا صَلَّى جَارُ^(٨)

(١) أخرج الطبري ٣٧/١٨ وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في الدر المنثور ١٠٨/٦ عن ابن عباس قال : « يستغيثون » .

(٢) ذكره الأزهرى في تهذيب اللغة (جار) ١٧٧/١١ عن السدي . وانظر : تفسير مقاتل ٣١٢ ب ، وفيه (يضجون) .

(٣) معاني القرآن للزجاج ١٨/٤ .

(٤) في (أ) : (أبو عبيد) ، وهو خطأ .

(٥) في (ظ) و(ع) : (واه) .

(٦) في (ع) : (حلفي) ، ومهملة في (ظ) .

(٧) في النسخ جميعها : (بأبيل) مهملة ، والمثبت من مجاز القرآن وغيره .

(٨) البيت أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٦٠/٢ عند هذه الآية من سورة (المؤمنون) ، ونسبه لعدي بن زيد ، وروايته (فاسمع) مكان (فاقبل) ، وأنشد قبل ذلك ٣٦١/١ عند قوله : ﴿ فَلْيَتْلُو تَجَرُّونَ ﴾ [النحل : ٥٣] منسوباً لعدي ، وروايته هناك : (فاقبل) .

وهو في ديوان عدي بن زيد العبادي ٦١ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ٨٣٧/٢ ، والأغاني للأصفهاني ١١٣/٢ ، ومقاييس اللغة ٤٢/١ ، والصاحبي في فقه اللغة ١٠٧ كلاهما لابن فارس ، والصحاح للجوهري (أبل) ١٦١٩/٤ ، ولسان العرب (أبل) ٧/١١ ، وخزانة الأدب ٦٥/١ .

ورواية الديوان والأغاني : (لأبيل) مكان (بأبيل) ،

ورواية الديوان والصاحبي : (حلفتي) مكان (حلفي) . وهذا البيت من قصيدة ذكر صاحب الأغاني ١١٣/٢ أنه قالها عندما سجنه النعمان بن المنذر ، ومطلعها :

أبلغ النعمان مني مألكا

قال ابن منظور ٧/١١ : « الأبل بوزنه الأمير الراهب . سُمِّيَ به لتأبله عن النساء وترك غشيانهن ... »

وقيل : هو راهب النصارى .

٦٥. قوله : ﴿ لَا تَحْزَنُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِّنَّا لَا تُنْصَرُونَ ﴾ ؛ أي يقال لهم : لا تجأروا اليوم ، فأضمر القول .

قال ابن عباس : « يريد لا تتضرعوا »^(١) عندما أتاكم العذاب .

﴿ إِنَّكُمْ مِّنَّا لَا تُنْصَرُونَ ﴾ . قال مقاتل : « يقول : لا تمنعون منّا »^(٢) .

والمعنى : لا تحفظون من أمر يريده الله بكم ، يعني القتل ببدر .

قال قتادة : « نزلت في الذين قتلوا يوم بدر »^(٣) .

ثم ذكر أن إعراضهم عن القرآن أوجب أخذهم بالعذاب بقوله :

٦٦. ﴿ فَذَكَرْتَ ءَايَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : « يريد القرآن »^(٤) .

قوله : ﴿ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَبِكُمْ نَنكِصُونَ ﴾ . قال مقاتل : « تتأخرون عن الإيمان به تكذيباً بالقرآن »^(٥) .

والباء في قوله (بأبيل) تحتمل وجهين :

الأول : أن تكون بمعنى الكاف ، وهذا ما ذكره ابن فارس في الصحاحي ، وقال : « قالوا : معناه : كأبيل ، وهو . . . » .

الثاني : أن تكون باء القسم ، فهو يريد استحلاف النعمان بالله أن يقبل حلفه بالأبيل . وهذا ما أشار إليه ابن منظور ٧ / ١١ بعد إنشاده البيت ، حيث قال : « وكانوا يعظمون الأبيل فيحلفون به كما يحلفون بالله » .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٢) تفسير مقاتل ٣١ / ٢ ب .

(٣) رواه عبدالرزاق ٤٧ / ٢ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠٧ / ٦ ، وزاد نسبه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٤) انظر : الطبري ٣٨ / ١٨ ، والثعلبي ٦٣ / ٣ أ .

(٥) تفسير مقاتل ٣١ / ٢ ب ، ٣٢ أ .

ومضى الكلام في النكوص^(١) عند قوله : ﴿ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ ﴾ [الأنفال: ٤٨] .

٦٧ . قوله : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ . أكثر المفسرين على أن الكناية في قوله : ﴿ بِهِ ﴾^(٢) تعود إلى الحرم ، أو إلى البيت ، أو إلى البلد مكة .

قال مجاهد : « ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ﴾ بالبلد مكة »^(٣) .

وقال أبو صالح : « بالبيت »^(٤) .

وهو قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير^(٥) .

قال قتادة : « مستكبرين بالحرم ، يقولون : نحن أهل الحرم فلا نخاف »^(٦) .

ونحو هذا قال السدي ، ومقاتل ، وإبراهيم^(٧) ، واختاره الفراء ، والزجاج ، وابن قتيبة ، [وأبو علي] .

قال الفراء : « ﴿ بِهِ ﴾ بالبيت العتيق ، يقولون : نحن أهله »^(٨) .

(١) في (ع) : (النكص) .

(٢) (به) ساقطة من (ط) .

(٣) رواه الطبري ٣٨ / ٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠٨ / ٦ ، وزاد نسبه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٤) لم أجد من ذكر عنه هذا القول . وقد روى عبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ١٠٨ / ٦ عن أبي صالح قال : « بالقرآن » .

(٥) رواه النسائي في تفسيره ٩٨ / ٢ ، والحاكم في مستدركه ٣٩٤ / ٢ من رواية سعيد بن جبير ، عنه . وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠٩ / ٦ ، وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٦) رواه عبدالرزاق ٤٧ / ٢ ، والطبري ٣٩ / ١٨ ، ٤٠ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠٨ / ٦ ، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٧) قول مقاتل في تفسيره ٣٢ / ٢ أ ، ولم أجد من ذكره عن السدي وإبراهيم .

(٨) معاني القرآن للفراء ٢٣٩ / ٢ .

وقال الزَّجَّاجُ : ﴿لَيْسَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾^(١) .

وقال ابن قتيبة^(٢) : ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ أي بالبيت العتيق ، يفخرون ويقولون : نحن ولاته^(٣) .

وقال أبو علي : «مستكبرين بالبيت والحرم لأمنكم فيه ، مع خوف سائر الناس في مواطنهم»^{(٤)(٥)} .

وعلى هذا فالكناية عن غير مذكور .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ يريد بالقرآن^(٦) .

وذكر أبو إسحاق هذا الوجه فقال : «ويجوز أن تكون الهاء للكتاب ، فيكون المعنى : فكتتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين بالكتاب ، أي يحدث لكم بتلاوته عليكم استكباراً»^(٧) .

والمعنى على هذا القول : مستكبرين بسبب القرآن أو الكتاب .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٨ / ٤ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٨ .

(٤) في (أ) : (مواصلتهم) .

(٥) الحجة لأبي علي ٢٩٨ / ٥ .

(٦) تقدّم أن هذا القول قال به أبو صالح .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٨ / ٤ - ١٩ . وجوّد ابن عطية ٣٧٨ / ١٠ هذا الوجه .

وذكر الزنخشي ٣٦ / ٣ ، وأبو حيان ٤١٢ / ٦ ، والسمين الحلبي ٣٥٨ / ٨ وجهاً أجود من هذا ، وهو أن الكناية في (به) تعود للقرآن ، ومستكبرين ضَمَّنَ معنى مكذِّبين فعُدِّي بالباء . وهو مناسب لقوله تعالى قبل ذلك : ﴿فَذَكَاتُ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ؛ فهؤلاء جمعوا بين التكذيب والاستكبار .

قوله : ﴿سَمِرًا﴾ السَّمَرُ^(١) : حديث القوم بالليل ، يقال : سمر يسمر سمرًا ، فهو سامر^(٢) ، ومنه الحديث : «جذب^(٣) عمر السَّمَر بعد العشاء»^(٤) .

وذكر أبو إسحاق اشتقاق السَّمَر فقال : «إنما سموا سماراً من السَّمَر وهو^(٥) ظل القمر ، وكذلك السمرة في الألوان مشتقة من هذا» . هذا كلامه^(٦) .

والسَّمَر عنده ظل القمر .

وقال الفرّاء : «السَّمَر كل ليلة ليس فيها قمر ، ومنه قول العرب : لا أفعل ذلك السَّمَر والقمر ، أي ما طلع القمر وما لم يطلع»^(٧) .

(١) في (ع) : (السمر : الحديث ، حديث) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (سمر) للأزهري ٤١٩/١٢ ، والصاحح للجوهري ٦٨٨/٢ ، ولسان العرب ٣٧٧/٤ .

(٣) في (أ) : (جذب) ، وفي (ظ) : (جذب) ، وهي ساقطة من (ع) .

(٤) رواه أبو عبيد في غريب الحديث ٣/٣٠٨ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢/٢٧٩ «عن حذيفة رضي الله عنه : أن عمر جذب لنا السمر بعد العشاء» . وعند أبي عبيد : (العتمة) . ورواه ابن أبي شيبة ٣/٢٧٩ أيضاً عن سلمان بن ربيعة قال : «كان عمر بن الخطاب يتجذب لنا السمر بعد العتمة» . وذكره ابن كثير في مسند عمر بن الخطاب ١/١٩٩ من حديث ابن مسعود : «أجذب لنا عمر السمر بعد العشاء» . قال أبو عبيد في غريب الحديث ٣/٣٠٨ : «قوله : جذب السمر يعني : عابه وذمّه» . وانظر : تهذيب اللغة (جذب) ١٠/٦٧٣ ؛ فقد ذكر الحديث وتفسير أبي عبيد له .

(٥) (وهو) ساقطة من (أ) و(ع) .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤/١٨ ، وليس في المطبوع : (في الألوان) .

(٧) كلام الفرّاء في تهذيب اللغة للأزهري ٤١٩/١٢ من رواية سلمة عن الفرّاء ، وليس في معاني القرآن .

وجعل ابن أحرر السَّمر ليلاً فقال^(١) :

مِنْ دُونِهِمْ إِنْ جِئْتُهُمْ سَمَرًا حَيُّ^(٢) حَلَالٌ مَلَمَّ عَكْرُ^(٣)
أَرَادَ إِنْ جِئْتُهُمْ لَيْلًا^(٤) .

[والحديث بالليل سُمِّي سَمَرًا باسم^(٥) الليل]^(٦) ، أو لأنهم كانوا يتحدثون^(٧)
بالليلة المقمرة في ظل القمر^(٨) .

وذكر المفضل على العكس من هذا فقال : «السَّمر الحديث بالليل ، ثم كثر
ذلك حتى سموا الظلمة سَمَرًا»^(٩) ، ومنه قولهم : حلف فلان بالسَّمر والقمر^(١٠) .

(١) بيت ابن أحرر بهذه الرواية في تهذيب اللغة للأزهري (سمر) ٤١٩ / ١٢ ، ولسان العرب (الملم)
٥٥٠ / ١٢ ، وتاج العروس للزبيدي (سمر) ٧٣ / ١٢ . وهو في ديوان ابن أحرر ٩٢ ، ومجاز القرآن
لأبي عبيدة ٦٠ / ٢ ، والذيل والتكملة للصاغاني (سمر) ٣٥ / ٣ مع اختلاف في المصراع الثاني ،
فروايته عندهم :

عَزَفُ الْقِيَانِ وَمَجْلَسُ عَمْرُ

وصدر البيت في غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٨ منسوباً إلى ابن أحرر .

وقوله : (حي حلال) قال الأزهري في تهذيب اللغة (حلال) ٤٣٩ / ٣ : «قال أبو عبيد : الحلال :
جماعات بيوت الناس ، واحدها حلة ، قال : وحي حلال ؛ أي كثير» . اهـ .

الملم : مجتمع . لسان العرب (الملم) ٥٥٠ / ١٢ ، وعكر : مختلط . الصحاح للجوهري (عكر) ٧٥٦ / ٢ .

(٢) في (ع) : (حتى) .

(٣) في (ظ) : (عكرا) .

(٤) من قوله : (وجعل ابن أحرر) إلى هنا ، نقلاً عن تهذيب اللغة للأزهري (سمر) ٤١٩ / ١٢ .

(٥) في (أ) : (اسم) .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٧) في (ع) : (يتحدثون) .

(٨) انظر : لسان العرب ٣٧٧ / ٤ .

(٩) ذكر الأزهري في تهذيب اللغة ٤٢٠ / ١٢ نحو هذا القول عن الأصمعي .

(١٠) انظر : تهذيب اللغة للأزهري ٤٢٠ / ٢ ، ولسان العرب ٣٧٧ / ٤ .

واختلفوا في السَّمر هاهنا :

فالأكثر على أن السامر هاهنا : اسم للجماعة الذين يسمرون ، وهو معنى قول ابن عباس^(١) وأكثر المفسرين^(٢) .

قال أبو إسحاق : « السامر الجماعة الذين^(٣) يتحدثون ليلاً »^(٤) .

وقال المبرِّد^(٥) : « السامر : اسم للجماعة^(٦) ، ويقال : هو في السامر . أي الشَّمار^(٧) ، وأنشد لوضَّاح اليمن^(٨) :

قَالَتْ : إِذَا جِئْتُ أَبَا جَابِرٍ
فَأَتِ إِذَا مَا هَجَعَ السَّامِرُ^(٩)

(١) ذكر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٩ عن ابن عباس في قوله : (سامراً تهجرون) قال : « كانت قریش يتحلقون حلقةً يتحدثون حول البيت » ، وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٢) انظر : الطبري ١٨ / ٣٩ ، والدر المنثور للسيوطي ٦ / ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٣) (الذين) : موضعها بياض في (ظ) .

(٤) معاني القرآن للزَّجاج ٤ / ١٨ .

(٥) ذكر النحاس في معاني القرآن ٤ / ٤٧٥ عن المبرِّد أوَّله بمعناه .

(٦) في (ظ) : (الجماعة) .

(٧) في (أ) : (السماء) .

(٨) هو عبدالرحمن ، وقيل : عبدالله ، وقيل : وضاح بن إسماعيل بن كلال ، من آل حولان ، الحميري ، شاعر غزل ونسيب . قيل إنه قدِم مكة حاجاً في خلافة الوليد بن عبدالملك فرأى (أم البين) بنت عبدالعزيز ابن مروان زوجة الوليد ، فغزل بها ، فقتله الوليد . انظر : فوات الوفيات ١ / ٢٥٣ ، والأغاني ٦ / ٣٠-٤٤ ، والنجوم الزاهرة ١ / ٢٦٦ ، والأعلام ٣ / ٢٩٩ .

(٩) البيت في الأغاني للأصفهاني ٦ / ٢١٦ ، ورواية صدره فيه :

قالت : لقد أعييننا حُجَّةً فَأَتِ . . .

وفي ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ١ / ٢٢٦ ورواية صدره :

قالت : فأما كنت أعييننا

أحد أبيات قصيدة يذكر فيها (روضة) صاحبة ، ومطلعها :

قالت : ألا لا تلجُن دارنا إنَّ أبانا رجلٌ غائرٌ

وقال الأزهري : «قد جاءت للعرب حروف على لفظ فاعل وهي جمع . فمنها الجامل وهي الإبل تكون فيها الذكور^(١) والإناث ، والسامر : القوم يسمرون ليلاً ، والحاضر : الحي النَّازل على الماء ، والباقر : البقر»^{(٢)(٣)} .

وذهب قوم إلى أن السامر هاهنا واحد في معنى الجمع كما يراد بالواحد الجمع كقوله : ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [الحج : ٥] ، وهو مذهب المفضل وأبي عبيدة^(٤) ، وأنشد^(٥) :

في حَاضِرٍ لَجِبٍ بِاللَّيْلِ سَامِرُهُ فِيهِ الصَّوَاهِلُ وَالرَّايَاتُ وَالْعَكْرُ
وقال مجاهد : «بالقول في القرآن»^(٦) .

- (١) في (أ) : (الذكورة) .
- (٢) في (ظ) و(ع) : (والبقر) .
- (٣) تهذيب اللغة (سمر) ٤١٩/١٢ ، مع اختلاف في بعض الألفاظ وتقديم وتأخير .
- (٤) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٠/٢ . ولم أجد من ذكره عن المفضل ، وقد ذكر الثعلبي ٦٢/٣ ب -٦٣ أ هذا القول ، وصدّره بقوله : قيل ، والثعلبي ينقل عن المفضل .
- (٥) ورد البيت في حاشية نسخة (س) من المجاز من غير نسبة كما ذكر ذلك محققه ٦٠/٢ . وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة للأزهري (حضر) ٢٠٠/٤ ، والمحكم لابن سيده ٨٦/٣ ، ولسان العرب (حضر) ١٩٧/٤ . وعجزه بلا نسبة في مقاييس اللغة لابن فارس ١٠٦/٤ . الحاضر : الحي العظيم ، والحي إذا حضروا الدار التي بها مجتمعهم . ابن سيده ٨٦/٣ ، ولجب ؛ أي ذو جلبة وكثرة . الصحاح (لجب) ٢١٨/١ .
- والصواهل ، قال ابن منظور ٣٨٦/١١ : «الصَّوَاهِلُ : جمع الصَّاهِلَة ، مصدر على فاعلة بمعنى الصَّهِيل ، وهو الصوت كقولك : سمعت روائ الإبل . والصَّهِيلُ للخيْل» .
- والرايات : الأعلام ، واحدا راية . القاموس المحيط (روى) ٣٣٨/٤ .
- والعكرُ ، قال ابن فارس في مقاييس اللغة ١٠٦/٤ : «العكرُ : القطيع الصَّخْمُ من الإبل فوق الخمسةائة» . ثم أنشد عجز البيت .
- (٦) رواه الطبري ٤٠/١٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠٨/٦ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم .

وقال الكلبي : «يقولون الهُجَر من سب النبي ﷺ»^(١) .

وقال السدي : «تهجرون محمداً بالشتيمة»^(٢) .

وقال إبراهيم : «تقولون فيه غير الحق»^(٣) ، ونحو هذا قال عكرمة^(٤) .

وقال الحسن : «تهجرون رسول الله ﷺ وكتاب الله»^(٥) .

وقال مقاتل : «تهجرون القرآن فلا تؤمنون به»^(٦) .

وذكر الفراء ، والكسائي ، والزجاج ، القولين جميعاً .

قال الفراء : «إذا كان الليل وسمرت هجرت القرآن والنبي ﷺ ، فهذا من الهجر ، أي تكون ذلك وترفضونه» ، قال : «ويجوز أن تجعله من الهذيان يقال : هجر الرجل في منامه ، إذا هذى . أي أنكم تقولون فيه ما ليس فيه ولا يضره فهو كالهذيان»^(٧) .

(١) روى عبدالرزاق ٤٧/٢ عن الكلبي قال : «يقولون هجراً . والهجر : القبيح من الكلام» .

القاموس المحيط ١٥٨/٢ .

(٢) لم أجد من ذكره عنه .

(٣) روى الطبري ٩/١٩ ، وابن أبي حاتم ١٨٠/٧ عن إبراهيم النخعي في قوله تعالى : ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان : ٣٠] قال : «قالوا فيه غير الحق ، ألم تر إلى المريض قال غير الحق» .

(٤) روى عبيد بن حميد كما في الدر المنثور ١٠٩/٦ عنه قال : «تهجرون الحق» ، وذكر النحاس عنه في معاني القرآن ٤٧٦/٤ أنه قال : «تشركون» .

(٥) رواه عبدالرزاق ٤٧/٢ ، والطبري ٤١/١٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠٨/٦ ، ونسبه أيضاً لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر .

(٦) تفسير مقاتل ٣٢/٢ أ .

(٧) معاني القرآن للفراء ٢٣٩/٢ مع اختلاف يسير .

ونحو هذا ذكر الكسائي^(١)، والزجاج^(٢).

واختار^(٣) المفضل، وأبو علي القول الثاني.

فقال المفضل: «يعني تهجرون القرآن وترفضونه فلا تلتفتون إليه».

وقال أبو علي: «المعنى أنكم كنتم^(٤) تهجرون آياتي وما يتلى عليكم من كتابي، فلا تنقادون له وتكذبون به، كقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنْكِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٦]»^(٥).

وقرأ نافع (تهجرون) بضم التاء^(٦)، وهو قراءة ابن عباس ومجاهد^(٧)، وقالوا: «هو من الهجر وهو الفحش، وكانوا يسبون النبي ﷺ إذا خلوا حول البيت»^(٨).

(١) ذكر النحاس في إعراب القرآن ١١٨/٣ عنه أنه قال: «تهجرون: تهذون».

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج ١٨/٤.

(٣) في (أ): (واختيار).

(٤) (كنتم) ساقطة من (أ).

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي ٢٩٨/٥.

(٦) وكسر الجيم. وقراءة الباقيين بفتح التاء وضم الجيم. السبعة ٤٤٦، والتيسير ١٥٩، والنشر ٣٢٩/٢.

(٧) قراءة ابن عباس في معاني القرآن للفراء ٢٣٩/٢، ومعاني القرآن للنحاس ٤٧٦/٤. وقد روى الأزهري في علل القراءات ٤٣٧/٢ من طريق مجاهد عن ابن عباس هذه القراءة.

(٨) من قوله: (وهو قراءة ابن عباس) إلى هنا، هذه عبارة الفراء كما في معاني القرآن ٢٣٩/٢، وتهذيب اللغة ٤١/٦ مع اختلاف يسير في أوله، وزاد الواحدي مجاهداً. وقد روى الطبراني في الكبير ٧٤/١١ من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، عن ابن عباس أنه كان يقرأ هذا الحرف (مستكبرين به سامراً تهجرون) قال: «كان المشركون يهجرون رسول الله ﷺ في شعرهم». قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧٣/٧: «وفيه يحيى بن سلمة بن كهيل وهو ضعيف». اهـ.

ورواه الحاكم في مستدركه ٢٤٦/٢ مرفوعاً من طريق يحيى به عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ . . . الحديث.

قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». فتعقبه الذهبي بقوله: «قلت: بل يحيى متروك»، قال النسائي: «وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠٩/٦ بمثل رواية الحاكم، ونسبه إليه وإلى ابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه».

يقال : هجر يهجر هجراً وهجراناً^(١) ، إذا صرم^(٢) وتباعد ونأى . وهجر يهجر هجراً ، إذا قال غير الحق^(٣) ، ومنه قول أبي سعيد الخدري لبنيه : «إذا طفتم^(٤) بالليل فلا تلغوا ولا تهجروا^(٥) ؛ أي لا تهذوا^(٦)» .

والهجر هو الإفحاش في النطق ، قاله الكسائي والأصمعي^(٧) ، ومنه قوله ﷺ في زيارة القبور : «فزوروها ولا تقولوا هجراً^(٨)» ، ويقال من هذا : أهجر الرجل يهجر . قال الشماخ :

كَمَا جَدَّةُ الْأَعْرَاقِ قَالَ ابْنُ^(٩) ضَرَّةٍ عَلَيْهَا كَلَامًا جَارَ فِيهِ وَأَهْجَرَا^(١٠)

(١) بالكسر قاله الفيروزآبادي ١٥٧/٢ .

(٢) صرم : قطع . لسان العرب (صرم) ٣١٣/١٢ .

(٣) انظر : الصحاح (هجر) للجوهري ٨٥١/٢ ، ولسان العرب ٢٥١/٥ - ٢٥٤ .

(٤) في (أ) : (حلفت) .

(٥) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٤٢/٦ عن أبي سعيد ، ورواه أبو عبيد في غريب الحديث ٦٣/٢ ، ٦٤ .

(٦) تهذيب اللغة ٤٢/٦ منسوباً لأبي عبيد ، وهو في غريب الحديث ٦٤/٢ .

(٧) ذكره عنهما الأزهري في تهذيب اللغة (هجر) ٤٢/٦ من رواية أبي عبيد عنهما ، وهو في غريب الحديث لأبي عبيد ٦٣/٢ .

(٨) رواه أبو عبيد في غريب الحديث ٦٣/٢ ، والإمام أحمد في مسنده ٣٦١/٥ ، والنسائي في سننه في كتاب : الجنائز ، باب : زيارة القبور ٨٩/٤ من حديث بريدة . قال الألباني في السلسلة الصحيحة ٥٧٦/٣ عن رواية النسائي : (بسنده صحيح) .

(٩) في (أ) : (الضرة) ، وفي (د) و(ع) : (لي ضرة) ، والتصويب من غريب الحديث والتهذيب وغيرهما .

(١٠) بيت الشماخ في غريب الحديث لأبي عبيد ٦٣/٢ ، وتهذيب اللغة للأزهري (هجر) ٤٢/٦ ، والمحتسب لابن جني ٩٦-٩٧ ، وفيه : (الأعراف) ، وهو تصحيف ، والصحاح للجوهري (هجر) ٨٥١/٢ ، ولسان العرب (هجر) ٢٥٣/٥ ، كلهم يمثل الرواية هنا . والبيت في ديوانه ١٣٥ وروايته فيه : «تمجدة الأعراق» .

وقال عبدالله بن برّي في كتابه التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح ٢/٢٣٥ : «المشهور في رواية البيت عند أكثر الرواة (مبرة الأخلاق) عوضاً من قوله : (كما جدة الأعراق) ، وهو صفة لمخفوض في بيت قبله ، وهو :

كأن ذراعَيْهَا ذراعَا مُدِلَّةٍ بعيدَ السباب حاولت أن تَعَدَّرا =

والاختيار القراءة الأولى ؛ لأنها تجمع ^(١) المعنيين ^(٢) .

وتقدير الآية : مستكبرين به سامرين هاجرين . غير أن الحال ترد بعبارات ^(٣) فتكون أحسن ، كما تقول : رأيت فلاناً راكباً يحدث وهو غضبان . [فتغير عبارات الحال ، ويكون أحسن ^(٤) من أن تقول : رأيته راكباً محدثاً غضبان] ^(٥) .

واختلفوا في موضع الوقف في هذه الآية :

فالأكثر على أن الوقف في آخرها ؛ لأنه منتهى ذكر الأحوال ، ولا يحسن الوقف في أثنائها ^(٦) ^(٧) .

وقال أبو حاتم ^(٨) : «يحسن الوقف على قوله : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ ﴾ ثم يبتدئ ﴿ بِهِ سَمِرًا ﴾» ^(٩) ، وهذا مذهب النحاس وابن الأنباري .

يقول : كأن ذراعي هذه الناقة في حسنهما وحسن حركتهما ذراعا امرأة مدلة بحسن ذراعيها أظهرتهما بعد السباب لمن قال فيها من العيب ما ليس فيها ، وهو قول ابن ضرتها ، ومعنى تعذر ؛ أي تعتذر من سوء ما رميت به . اهـ .

(١) في (أ) : (جمع) .

(٢) انظر : في توجيه القراءتين علل القراءات للأزهري ٤٣٧/٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٩٢/٢ ، ٩٣ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٨٩ .

(٣) في (أ) : (بمسارات) .

(٤) في (أ) : (من احسن) .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٦) في (أ) : (أبنائها) .

(٧) انظر : القطع والائتناف للنحاس ٥٠٣ ، و منار الهدى للأشموني ٢٦٣ .

(٨) هو أبو حاتم السجستاني .

(٩) ذكره عنه النحاس في القطع والائتناف ٥٠٣ ، والداني في المكتفى ٤٠٢ ، والأشموني في منار الهدى ٢٦٣ .

قال النحاس : « ﴿يَهْء﴾ ؛ أي بالبيت ، ﴿سَمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ آياتي أو تهذون »^(١) .

وقال ابن الأنباري : « ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ وقف حسن ، ثم تبدئ ﴿يَهْء سَمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ على معنى : بالبيت العتيق تهجرون النبي ﷺ والقرآن في وقت سمركم » ، قال : « ويجوز أن يكون معنى ﴿تَهْجُرُونَ﴾ تهذون »^(٢) .

وقال العباس بن الفضل^(٣) : « الوقف الكافي ﴿مُسْتَكْبِرِينَ يَهْء﴾ »^(٤) .

وعلى هذا يكون قوله : (سامراً) حالاً مؤخراً في التقدير ؛ أي تهجرون سامرين بالليل .

٦٨ . قوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ أي أفلم يتدبروا القرآن فيعرفوا ما فيه من العبر والآيات الدالة على صدق محمد ﷺ .

وذكرنا معنى التدبر عند قوله : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء : ٨٢] .

وقوله : ﴿أَمْ جَاءَهُمُ﴾ الآية . قال ابن عباس : « يريد : أليس قد أرسلنا نوحاً وإبراهيم والنبيين إلى قومهم ؟ فكذاك بعثنا محمداً ﷺ »^(٥) .

وهذا استفهام يتضمن الإنكار ، وكذلك ما بعده من قوله :

(١) القطع والائتناف ٥٠٣ . وقع في المطبوع : (إبنائي أو تهزؤن) .

(٢) إيضاح الوقف والابتداء ٧٩٢ / ٢ ، ٧٩٣ .

(٣) هو أبو القاسم ، العباس بن الفضل بن شاذان بن عيسى ، الرازي ، المقرئ ، إمام في القراءة متقن مشهور ، صاحب القاطع والمبادئ ، روى عنه القراءة ابن مجاهد وغيره ، وبقي إلى سنة ٣١٠ هـ . انظر : معرفة القراء للذهبي ٢٣٦ / ١ ، وغاية النهاية لابن الجزري ٣٥٢ / ١ ، ٣٥٣ .

(٤) ذكر قوله النحاس في القطع والائتناف ٥٠٣ ، والداني في المكتفى ٤٠٢ .

(٥) ذكر هذا المعنى البغوي ٤٢٣ / ٥ ، وابن الجوزي ٤٨٤ / ٥ من غير نسبة لأحد .

٦٩. ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ . قال ابن عباس : «أليس هو محمد ابن عبدالله ؟ يعرفونه صغيراً وكبيراً ، صادق اللسان يفني بالعهد ويؤدي الأمانة»^(١) .

وفي هذا توبيخ لهم وإنكار عليهم بالإعراض عنه بعد ما عرفوا نسبه وصدقه وأمانته .

قال سفيان وأبو صالح في هذه الآية : «بلى ، قد عرفوه»^(٢) ولكنهم حسدوه»^(٣) .

٧٠. قوله : ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : وأي جنون يرون به ؟» .

﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾ بالتنزيل الذي هو الحق ، يعني القرآن في قول ابن عباس^(٤) . وقال مقاتل : «يعني بالتوحيد»^(٥) .

﴿وَكَثُرْهُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ للقرآن أو التوحيد^(٦) ﴿كَرِهُونَ﴾ .

(١) ذكره عنه البيهقي ٤٢٣/٥ .

(٢) في (ع) : (عرفوا) .

(٣) ذكره القرطبي ١٢/١٤٠ عن سفيان ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/١١٠ عن أبي صالح ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم . ولم أره في المطبوع من الطبري .

(٤) ذكر ابن الجوزي ٥/٤٨٤ هذا المعنى من غير نسبة إلى أحد .

(٥) تفسير مقاتل ٢/٣٢٢ أ .

(٦) في (ع) : (للتوحيد) .

٧١. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ﴾ . قال أبو صالح^(١) ، وابن جريج^(٢) ، ومقاتل^(٣) ، والسدي^(٤) ، والكلبي^(٥) : «الحق هو الله» . والمعنى : لو جعل مع نفسه كما يحبون شريكاً لفسدت السماوات والأرض .

وقال الفرّاء والزجاج : «ويجوز أن يكون المراد بالحق هاهنا : التنزيل ، أي نزل بها^(٦) يريدون ويحبون^(٧) . يعني^(٨) من جعل^(٩) شريك وإثبات آلهة» .

﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] ، وقد مرّ .

وقال بعض أهل المعاني : الحقُّ لما كان يدعو إلى المحاسن والأهواء تدعو إلى المقابح ؛ فلو اتبع الحق داعي الهوى لدعا إلى المقابح التي فيها الفساد والاختلال^(١٠) ، فكان يوجد بطلان الأدلة وامتناع الثقة بالمدلول عليه ، فكان^(١١) ينقلب الأمر ويكثر الفساد^(١٢) .

(١) رواه الطبري ٤٢/١٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١١٠/٦ ، وزاد نسبه لعبد بن حميد وابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) رواه عنه الطبري ٤٣/١٨ .

(٣) تفسير مقاتل ٢/٣٢ أ .

(٤) ذكره عنه البغوي ٤٢٤/٥ ، وابن الجوزي ٤٨٤/٥ .

(٥) رواه عنه عبدالرزاق في تفسيره ٤٧/٢ .

(٦) في (ظ) : (ما) .

(٧) معاني القرآن للفرّاء ٢/٢٣٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤/١٩ .

(٨) (يعني) ساقطة من (أ) .

(٩) في (ظ) : (فعل) .

(١٠) في التبيان ٧/٣٣٨ : (والاختلاط) .

(١١) في (أ) : (وكان) .

(١٢) ذكره الطوسي في التبيان ٧/٣٣٨ ، ولم ينسبه لأحد .

قوله : ﴿ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ أي جاء فيه فخرهم وشرفهم .

قال ابن عباس : « هو كقوله : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا ﴾ [الأنبياء : ١٠] ، وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف : ٤٤] »^(١) .

وقوله : ﴿ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ . قال : « يريد تولوا عما جاء به من شرف الدنيا والآخرة »^(٢) .

٧٢ . قوله تعالى : ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا ﴾ . قال ابن عباس : « يريد مالاً يعطونك » .

وقال مقاتل : « يعني لم يسألهم محمدٌ أجراً على الإيمان بالقرآن »^(٣) .

وقال أبو إسحاق : « أي لم تسألهم على ما أتيتهم به أجراً »^(٤) .

قوله : ﴿ فَخَرَّاجٌ رَبِّكَ خَيْرٌ ﴾ . قال ابن عباس : « فعتاء ربك خير »^(٥) .

وقال مقاتل : « فأجر ربك أفضل من خراجهم »^(٦) .

(١) ذكره عنه البغوي ٤٢٤/٥ .

(٢) ذكر الماوردي ٦٣/٤ هذا المعنى عن السدي .

(٣) تفسير مقاتل ٢/٣٢٢ أ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٩/٤ .

(٥) ذكر البغوي ٤٢٤/٥ وابن الجوزي ٤٨٥/٥ هذا المعنى من غير نسبة لأحد .

وذكره أبو حيان ٦/١٥ نحو هذا المعنى عن الكلبي .

(٦) تفسير مقاتل ٢/٣٢٢ أ .

والمعنى : إن أجر ربك وثوابه خير لك .

﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾ أفضل من أعطى وأجزل^(١) وأجر .

وقال أهل المعاني : «قد دلت الآية على أن غير الله يرزق ، ولولا ذلك لم يجز ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾»^(٢) .

ويقال : رزق الأمير جنده فارتزقوا ارتزاقاً^(٣) .

٧٣ . ﴿وَإِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَتَدْعُوهُمْ﴾ يعني كفار قريش ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو دين الإسلام .

٧٤ . قوله : ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «بالبعث والثواب والعقاب ﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبُونَ﴾ عن الدين لعادلون»^(٤) .

وقال الفراء : «لمعرضون عن الدين»^(٥) .

(١) (وأجزل) ساقطة من (أ) و(ظ) .

(٢) ذكر الرازي ١١٢ / ٢٣ هذا القول ، وعزاه للجبائي .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (رزق) ٤٢٩ / ٨ منسوباً إلى الليث .

(٤) روى الطبري ٤٤ / ١٨ عن ابن عباس قال : «عن الحق عادلون» ، وهو في تفسير مقاتل ٣١ / ٢ أ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٤٠ .

يقال : نكب فلان عن الطريق تنكب نكوباً ، إذا عدل عنه ، والنعت منه : ناكب . ويقال : نكَّبَ عن الصَّواب تنكبياً ، ونكَّبَ غيره ، يتعدَّى ولا يتعدَّى^(١) . وفي الحديث^(٢) : «نكَّبَ عنا ابن^(٣) أم عبد» ؛ أي نَحَّه عَنَّا .

ويقال : تنكب عنَّا فلان تنكباً ، ؛ أي مال عنَّا^(٤) .

وينشد قول سعد بن ناشب^(٥) :

وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا^(٦)

(١) انظر : تهذيب اللغة (نكب) ٢٨٦/١٠ ، والصحاح ٢٢٨/١ ، ولسان العرب ٧٧٠/١ ، والقاموس المحيط ١٣٤/١ ، وتحفة العروس ٣٠٤/٤ ، ٣٠٥ .

(٢) هذا من كلام عمر - رضي الله عنه - أنه قال لهني مولاه : نكَّب وهذا الأثر ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٢٨٦/١٠ ، وابن منظور في لسان العرب ٧٧٠/١ ، والزيدي في تاج العروس ٣٠٥/٤ ، ولم أقف عليه مسنداً .

(٣) في (أ) : (إبر) .

(٤) تهذيب اللغة للأزهري ٢٨٦/١٠ ، وانظر : تحفة العروس (نكب) ٣٠٥/٤ .

(٥) في (أ) : (ناسب) ، وفي (ظ) : (نايت) ، وفي (ع) : (نائب) ، والتصويب من مصادر ترجمته . وهو سعد بن ناشب بن معاذ بن جعدة المازني ، التميمي ، من بني العنبر ، شاعر فاتك من مرادة العرب ، من أهل البصرة ، وهو شاعر إسلامي في الدولة المروانية . انظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٦٤ ، وخزانة الأدب ١٤٥/٨ ، والأعلام ٨٨/٣ .

(٦) هذا عجز بيت لابن ناشب ، وصدره :

إِذَا هُمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عِزْمَهُ

وهو من أبيات قالها سعد وكان أصاب دماً ، فهدم بلال بن أبي بردة داره بالبصرة وحرقها . وقيل : إن الحجاج هو الذي هدم داره . ويقال : إن سعداً قُتِلَ له حميم ، وإنَّه أُوْعِدَ بلال بهدم داره إن طالب بثأره ، فقال :

سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِباً عَلَيَّ قِضَاءُ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِباً

وأذهلُ عن داري وأجعلُ هدمَهَا لعرضي من باقي المذمَّةِ حاجباً

الآبيات . . . والبيت في الشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٦٤ ، والزهرة لابن داود ٢١١/٢ ، والحماسة لأبي تمام ٧٠/١ ، والكامل للمبرِّد ٢٠٦/١ ، وفيه : (فأعرض) عوضاً من (فنكَّب) .

قال المرزوقي في شرح الحماسة ٧٣/١ : «قوله : (ألقى بين عينيه عزمه) أي جعله بمرأى منه لا يغفل عنه ، =

[على اللزوم]^(١).

وقال الطَّهَوِي^(٢):

فَنَكَّبَ عَنْهُمْ دَرَأَ الْأَعَادِي^(٣)

وقد طابق في المعنى لما قبله قوله: (ألقى بين عينيه عزمه) بقوله: (نَكَّبَ عن ذكر العواقب جانباً) . . . وانتصب (جانباً) على أنه ظرف، ونَكَّبَ يكون بمعنى: تنكَّب، والمعنى: أنه إذا همَّ بالشيء جعله نَصْبَ عينيه إلى أن ينفذ فيه ويخرج منه، ويصير في جانب من الفكر في العواقب. ويجوز أن ينتصب (جانباً) على المفعول، ويكون (نَكَّبَ) بمعنى: حَرَّفَ، والمراد انحراف عن ذكر العواقب وطوى كشحه دونه. اهـ.

(١) ساقط من (ظ) و(ع).

(٢) هو أبو الغُول الطَّهَوِيُّ، وهو من قوم من بني طُهَيْة يقال لهم: بنو عبد شمس بن أبي سود، وأبو سود هو ابن مالك بن حنظلة التميمي، وأمُّ أبي سود: طُهَيْة بنت عبد شمس بن سعد بن مناة بن تميم. وكان أبو الغُول يكنى أبا البلاد، وقيل له: أبو الغول؛ لأنه في ما زعم- رأى غولاً فقتلها. وذكر التبريزي أنه شاعر إسلامي، وأمَّا البغدادي فذكر أنه لم يقف على كونه جاهلياً أو إسلامياً. انظر: المؤلف والمختلف للآمدي ١٦٣، وشرح الحماسة للتبريزي ١/ ١٤، وخزانة الأدب للبغدادي ٤٣٨/٦.

(٣) هذا صدر بيت لأبي الغُول، وعجزه:

وداوَّوا بالجنونِ من الجنونِ

وقبله:

هُمَّ مَنَعُوا حِمَى الْوَقْفَى بِضَرْبٍ يُوَلِّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمُنُونِ
فَنَكَّبَ . . .

وهو في الحماسة لأبي تمام ١/ ٦٢، والحيوان للجاحظ ٣/ ١٠٧، وأمثالي القالي ٢/ ٢٦١، وبهجة المجالس لابن عبد البر ١/ ٥١٦، وفيه: (ظلم) عوضاً من (درأ)، وخزانة الأدب للبغدادي ٤٣٤/٦.

قال التبريزي في شرح ديوان الحماسة ١/ ١٧: «نَكَّبَ قد جاء متعدياً إلى مفعولين، . . . ، والأكثر نكبتة عن كذا، . . . معناه: أن الضَّرْبَ حَرَّفَ عن هؤلاء القوم اعوجاج الأعداء وخلافهم، الدرع: أصله الدفع، ثم استعمل في الخلاف؛ لأن المختلفين يتدافعان. (وداوَّوا بالجنون من الجنون)؛ أي داوَّوا الشر بالشر، كما قالوا: الحديد بالحديد يفلح، والجنون هاهنا مثل ومعناه: اللجاج في الشر وركوب الرأس فيه. اهـ.

يُروى بالوجهين^(١) .

ويقال أيضاً : نكب ينكب^(٢) إذا مال ، والنعت منه أنكب^(٣) ونكباء^(٤) .

٧٥ . ﴿ وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ ﴾ . قال المفسرون : « يعني الجوع الذي أصابهم بمكة سبع سنين »^(٥) .

قوله : ﴿ لِلْجَوْرِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ لتبادوا في ضلالتهم يترددون .

يقال : لَجَّ فلان يلج ويلج لغتان^(٦) . قال :

لَجَجْنَا وَلَجَّتْ هَذِهِ فِي التَّغَضُّبِ^(٧)

قال الفرّاء : « يقال : لَجَجْتُ - بالفتح والكسر - لَجَاجَةً وَلَجَجًا »^(٨) .

(١) يعني على التعدي واللزوم . فعلى رواية التعدي : نَكَبَ عنهم درأ الأعادي . يكون المعنى أن الضرب حَرَفَ وأمال عن هؤلاء القوم درأ الأعادي كما ذكر التبريزي .

وعلى رواية اللزوم : فنَكَبَ عنهم درأ الأعادي . يكون نَكَبَ بمعنى تَنَكَّبَ ، والمعنى أن درأ الأعادي عَدَلَ وتنَحَّى عنهم .

(٢) كفرح ونصر . لسان العرب ١ / ٧٧٠ ، والقاموس المحيط ١ / ١٣٤ .

(٣) في (ظ) : (نكب) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (نكب) ١٠ / ٢٨٥ ، والصحاح ١ / ٢٢٨ ، وأساس البلاغة للزمخشري ٢ / ٤٧٤ .

(٥) ذكره ابن الجوزي ٥ / ٤٨٥ عن ابن عباس ، وهو معنى قول الطبري ١٨ / ٤٤ ، ورواه عن ابن جريج باختصار .

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (لَجَّ) ١٠ / ٤٩٢ نقلاً عن الليث .

(٧) لم أجده .

(٨) قول الفرّاء في تهذيب اللغة للأزهري (لَجَّ) ١٠ / ٤٩٣ ، وليس في كتابه معاني القرآن . وفي التهذيب . (لَجَجْتُ وَلَجَجْتُ) .

٧٦. قوله : ﴿ أَخَذَتْهُمْ بِالْعَذَابِ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد بالأمراض والحاجة »^(١) .

وقال مقاتل : « يعني الجوع »^(٢) .

قال أبو إسحاق : « والذي أخذوا به الجوع »^(٣) .

﴿ فَمَا اسْتَكَاثُوا لِلرَّيْبِ ﴾ ؛ أي ما تواضعوا . يقال : أكانه يكيّنه إكانه إذا أخضعه^(٤) حتى استكان وأدخل عليه من الذل ما أكانه^(٥) .

وقال ابن عباس : « يريد ما رجعوا عن معاصي الله » .

وقال الكلبي : « لم يذلوا ولم تذلل قلوبهم » .

(١) ذكر القرطبي ١٢/١٤٣ هذا القول ، ولم ينسبه لأحد . وقد روى النسائي في تفسيره ٢/٩٨ ، ٩٩ ، وابن حبان في صحيحه الإحسان ٢/٢٥٢ ، والطبراني في الكبير ١١/٣٧٠ ، كلهم من طريق علي بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال يا محمد : أنشدك الله والرحم ، فقد أكلنا العُلْهَز يعني الوبر والدم فأنزل الله - عز وجل - (ولقد أخذناهم بالعذاب . . . الآية) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٧٣ : « وفيه علي بن الحسين بن واقد وثقة النسائي وغيره وضعفه أبو حاتم » . اهـ .

لكن رواه الحاكم في مستدركه ٢/٣٩٤ من طريق علي بن الحسين بن شقيق ، عن الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، به . وعلي هذا ثقة حافظ روى عن الحسين بن واقد وغيره ، وروى عنه البخاري وغيره ، قاله ابن حجر في تهذيب التهذيب ٧/٢٩٨ ، وتقريب التهذيب ٢/٣٤ . فهذه الطريق تقوَّى الأولى . وقد رواه إبراهيم الحربي في غريب الحديث ٢/٧٢٧ من طريق آخر عن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، لكن ليس فيه ذكر لآية .

(٢) تفسير مقاتل ٢/٣٢٢ أ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/١٩ .

(٤) في (ظ) : (خضعه) .

(٥) تهذيب اللغة للأزهري ١٠/٣٧٤ ، كان منسوباً إلى أبي سعيد البغدادي الضرير .

وقال مقاتل : «يقول : فما استسلموا ، يعني الخضوع»^(١) ﴿وَمَا يَضُرُّعُونَ﴾
يقول : وما يرغبون إلى الله في الدعاء»^(٢) .

٧٧ . قوله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ قال ابن عباس في رواية
الوالبي : «ذاك يوم بدر»^(٣) .

وهو قول مجاهد^(٤) ، واختيار الزجاج^(٥) .

وقال في رواية عطاء : «يريد الموت»^(٦) .

وقال مقاتل وغيره : «يعني الجوع»^(٧) .

وقال السدي : «هو فتح مكة»^(٨) . ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبَسَّوْنَ﴾ . قال : أبلسوا يومئذ
تغيرت ألوانهم حين نظروا إلى أصنامهم تُنكس على وجوهها .

(١) تفسير مقاتل ٣٢/٢ أ .

(٢) تفسير مقاتل ٣٢/٢ أ .

(٣) رواه ابن أبي شيبه في مصنفه ٣٥٧/١٤ ، والطبري ٤٥/١٨ من رواية الوالبي ، وذكره السيوطي في
الدر المنثور ١١٤/٦ ، ونسبه أيضاً إلى ابن مردويه .

(٤) ذكره عنه البغوي ٤٢٥/٥ . وقد روى عنه الطبري ٤٦/١٨ أنه الجوع ، وذكر عنه الثعلبي ٦٣/٣ ب
أنه القحط .

(٥) انظر : معاني القرآن ١٩/٤ ، وقد صدره بقوله : (قيل) ، ثم قال : (السيف والقتل) . قال ابن عطية
٣٨٨/١٠ : « وهذا القول يردّه بأن الجذب الذي أصابهم كان بعد وقعة بدر » .

(٦) ذكر البغوي ٤٢٥/٥ هذا القول ، وصدره بقول : (قيل) .

(٧) تفسير مقاتل ٣٢/٢ أ ، وهو اختيار الطبري ٤٦/١٨ ، واستشهد على ذلك بخبر ابن عباس في المجاعة
التي أصابت قريشاً ، واستظهره أبو حيان ٤١٥/٦ .

وقيل : هو يوم القيامة . والمعنى : حتى إذا عذبوا بنار جهنم أبلسوا ، كقوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ
يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم : ١٢] ، وقوله : ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ خَالِدُونَ﴾^(١) لَا يَفْتَرُّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ
مُتَبَسِّوْنَ﴾ [الزخرف : ٧٤ ، ٧٥] . ذكر هذا القول أبو حيان ٤١٦/٦ - ٤١٧ .

وقيل : هو توعّد بعذاب غير معين ، وصوّب هذا القول ابن عطية ٣٨٩/١٠ .

(٨) ذكر القرطبي ١٢/١٤٣ هذا القول عن عكرمة .

ومعنى ﴿مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من كل خير . وتقدّم [الكلام في] ^(١) معنى المبلس في سورة الأنعام ^(٢) .

٧٨ . ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمْ السَّمْعَ﴾ الذي تسمعون به ﴿وَالْأَبْصَرَ﴾ الذي تبصرون بها ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب التي بها يعقلون .

﴿فَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾ . قال مقاتل : «يعني أنهم لا يشكرون رب هذه النعم فيوحدونه» ^(٣) . وذكرنا الكلام في مثل هذا عند قوله : ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨] .

٨٠ . قوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ قال ابن عباس : «يولد المولود حياً ثم يمته ثم يبعثه» .

﴿وَلَهُ أُخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ قال الفراء : «هو الذي جعلهما مختلفين ، كما تقول في الكلام : لك الأجر والصلة ، أي أنك تصل وتؤجر» ^(٤) .
وفسرنا اختلاف الليل والنهار في سورة البقرة ^(٥) .

قوله : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ . [قال ابن عباس : «حيث تجعلون لي شريكاً من خلقي» .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام ٤٤] .

(٣) تفسير مقاتل ٣٢ / ٢ ب .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢٤٠ / ٢ .

(٥) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٦٤] .

وقال مقاتل : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ^(١) [توحيد ربكم في ما ترون من صنعه فتعتبرون] ^(٢) .

ثم عَيَّرَهم بقولهم وأخبر عنهم أنهم قالوا مثل من كان قبلهم ، فقال :

﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾ . قال الكلبي : «بل كذبت قريش حين ^(٣) أخبرتهم ^(٤) بالبعث مثل ما كذب الأولون رسلهم» .

٨٤ . ﴿ قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ ﴾ . قال الكلبي : «لما كذبوه أتاه جبريل فقال : يا محمد قل لأهل مكة : ﴿ قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ ﴾ من خلق ^(٥) ﴿ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ من خالقها ومالكها ؟» ^(٦) .

٨٥ . ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ ^(٧) . قال ابن عباس : «يريد إقرارهم له بالربوبية» ، ﴿ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ . قال : «يريد : أفلا تتعظون حيث تجعلون لإله السماء والأرض شريكاً» .

المعنى : إنكم لو تذكرتم وتفكرتم لعلمتم أن من قدر على خلق ذلك ابتداءً فهو قادرٌ على إحيائهم بعد موتهم ^(٨) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ع) .

(٢) تفسير مقاتل ٣٢ / ٢ ب .

(٣) في (أ) : (حي) .

(٤) في (ع) : (أخبرهم) .

(٥) ذكره الماوردي ٦٢ / ٤ عن الكلبي في قوله : ﴿ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ قال : «ما بينهم من خلق» .

(٦) ذكره البغوي ٤٢٦ / ٥ هذا المعنى من قوله : (يا محمد . . .) إلى هنا ، ولم ينسبه لأحد .

(٧) في (ط) : (الله) ، وهو خطأ .

(٨) انظر هذا المعنى : عند الطبري ٤٧ / ١٨ ، والثعلبي ٦٣ / ٣ ب .

٨٦. قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(١) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ : قُرِئَ (الله)^(١) ، وكذلك ما بعده .

فمن قرأ (الله) فهو على ما يقتضيه اللفظ من جواب السؤال لأنك إذا قلت : من رب السموات ؟ فالجواب : الله . ومن قرأ (الله) فعلى المعنى^(٢) ، وذلك أنه إذا قال : من مالك هذه الدار ؟ فقال في جوابه : لزيد . إجابة على المعنى دون ما يقتضيه اللفظ ؛ لأن معنى من صاحب هذه الدار ؟ : لمن هذه الدار . والذي^(٣) يقتضيه اللفظ أن يقال في جوابه : زيد ونحوه ، وإنما استقام أن يقال في الجواب : لزيد ؛ لأن معنى من مالك هذه الدار ؟ ولمن^(٤) هذه الدار ؟ واحد ، فلذلك حملت تارة على اللفظ ، وتارة على المعنى .

وهذا الذي ذكرنا هو معنى كلام الفراء^(٥) والزجاج^(٦) وأبي علي^(٧) .

وأنشد الفراء فقال :

وَأَعْلَمُ أَنِّي سَأَكُونُ رَمْسًا إِذَا سَارَ النَّوَاجِعُ لَا يَسِيرُ
فَقَالَ السَّائِلُونَ لِمَنْ حَفَرْتُمْ فَقَالَ الْمُخْبِرُونَ لَهُمْ : وَزِيرُ^(٨)

(١) قرأ أبو عمرو وحده : (سيقولون الله) بالآلف في هذه الآية والتي بعدها ، وقرأ الباقون : ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ وكذلك ما بعده . انظر : السبعة ٤٤٧ ، والتبصرة ٢٧٠ ، والتيسير ١٦٠ .

(٢) في (أ) : (الوجهين) ، وهو خطأ .

(٣) في (ظ) : (الذي) .

(٤) في (ظ) : (لمن) .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٤٠ .

(٦) (والزجاج) ساقطة من (أ) ، وانظر قوله في : معاني القرآن له ٤ / ٢٠ .

(٧) انظر كلام أبي علي في : الحجة ٣٠١ / ٥ ، وانظر في توجيه القراءتين أيضاً في : علل القراءات للأزهري ٢ / ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢ / ٩٣ ، ٩٤ ، والحجة لابن زنجلة ٤٩٠ ، ٤٩١ ، والكشف لمكي ٢ / ١٣٠ .

(٨) البيتان أنشدتهما الفراء عن بعض بني عامر في كتابه معاني القرآن ٢ / ٢٤٠ ، ونسبها الجاحظ في البيان والتبيين ٣ / ١٨٤ للوزيري ، وروايتها عنده :

فأجاب المخفوض^(١) بمرفوع^(٢)؛ لأن معنى الكلام: فقال السائلون: من الميت؟ فقال المخبرون: الميت وزير^(٣).

قال أبو علي: «والجواب على اللفظ هو الوجه»^(٤).

قوله: ﴿أَفَلَا نُنْقِزُكَ﴾. قال ابن عباس: «أفلا تخافون حيث جعلتم لي ما تكرهون لأنفسكم، زعمتم أن الملائكة بناتي وكرهتم لأنفسكم البنات»^(٥).

وقال الكلبي: «أفلا تتقون عبادة غير الله»^(٦).

- =
- وأعلم أنني سأصير ميتاً إذا سارَ النَّوَاجِعُ لا أسيّر
وقال السائلون: من المُسَجَّى فقالَ المخبرونَ لهم: وزيرٌ
- وهما في الطبري ٤٨/١٨ بمثل رواية الفراء. وذكر البيهقي أيضاً ابن خالويه في كتابه إعراب القراءات السبع وعللها ٩٣/٢، وصدرهما بقوله: «أنشدني ابن مجاهد»، وذكرهما الأزهري في علل القراءات ٤٣٩/٢ - ٤٤٠ من أنشاد الفراء عن بعض العامرين، ثم قال: «وكان وجه الكلام أن يقول: فقال المخبرون لهم: لوزير. فرفعه وأراد: الميت وزير».
- النواجع: الذين يخرجون إلى البادية من المرتع. انتهى كلامه رحمه الله.
- الرَّمْسُ: تراب القبر، والقبر نفسه. لسان العرب (رمس) ١٠٢/٦.
- (١) في (ظ): (المحفوظ)، وهو خطأ.
- (٢) في (ظ): (بالمرفوع).
- (٣) من قوله: (فأجاب . . . إلى هنا، هذا كلام الثعلبي ٦٣/٣ ب بنصه، وكذلك الطبري ٤٨/٨).
- (٤) الحجة لأبي علي الفارسي ٣٠١/٥.
- (٥) ذكر القرطبي ١٤٥/١٢ هذا القول، ولم ينسبه لأحد.
- (٦) ذكر ابن الجوزي ٤٨٧/٥ هذا القول، ولم ينسبه لأحد.

٨٨. قوله : ﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد ﴿ مَنْ يَدْرِيءُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد السماوات وما فوقها وما بينها^(١) والأرضين وما تحتها وما بينها وما لا يعلمه أحدٌ غيره^(٢) » .

قال أهل اللغة : معنى الملكوت : عظم الملك . وفعلوت^(٣) من صفة المبالغة نحو جبروت ورحموت ورهبوت^{(٤)(٥)} .

والذي ذكره [ابن عباس]^(٦) في تفسير الملكوت موافق لهذا المعنى لأنه أخبر عن عظيم^(٧) ملكه .

وقال مجاهد : « ﴿ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ خزائن كل شيء^(٨) » .

وهذا أيضاً راجع إلى المعنى الذي ذكرنا .

قوله : ﴿ وَهُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَا يَجْأَرُ عَلَيْهِ إِذْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . يقال أجرت فلاناً إذا استغاث بك فحميته ، وأجرت عليه إذا حميت عنه من يرؤومه^(٩) .

(١) في (أ) : (وما بينها) .

(٢) ذكره هذا القول القرطبي ١٢/١٤٥ ، ولم ينسبه لأحد .

(٣) في (أ) : (وفعلون) .

(٤) في (ظ) و(ع) : (ورهبوت ورحموت) .

(٥) انظر : الصحاح (ملك) ٤/١٦٠ ، ولسان العرب ١٠/٤٩٢ ، والقاموس المحيط ٣/٣٢٠ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٧) في (ع) : (عظم) .

(٨) رواه الطبري ١٨/٤٨ ، ٤٩ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/١١٣ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٩) انظر : تهذيب اللغة (جور) ١١/١٧٥-١٧٦ ، والمحكم لابن سيده ٧/٣٧٦-٣٧٧ ، ولسان العرب ٤/١٥٤-١٥٥ .

ومعنى الآية : إنه يمنع من السوء من يشاء ، ولا يمكن منع من أراد به سوء^(١) منه^(٢) . قال مقاتل : «يُؤْمَنُ وَلَا يُؤْمَنُ عَلَيْهِ أَحَدٌ»^(٣) .

وقال الزَّجَّاج : «يحير من عذابه ولا يحير^(٤) عليه أحد من عذابه»^(٥) .

٨٩ . قوله : ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ . قال الفراء^(٦) والزَّجَّاج^(٧) وابن قتيبة^(٨) : «تصرفون عن الحق وتخدعون» .

والمعنى : كيف يخيل لكم الحق باطلاً ، والصحيح فاسداً^(٩) .

٩٠ . قوله تعالى : ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ . قال الكلبي : «فقال لهم رسول الله ﷺ ذلك الذي أمره الله به في هذه الآية فكذبوه»^(١٠) ، وقالوا : بل الملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه ، فنزل فيهم ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ يعني بالقرآن^(١١) .

وقال مقاتل : «بالتوحيد»^(١٢) .

(١) في (أ) : (بشيء) .

(٢) انظر : الطبري ١٨ / ٤٩٠ .

(٣) تفسير مقاتل ٣٢ / ٢ ب .

(٤) في (ع) : (ولا يحار) .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ٢٠ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٤١ .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ٢٠ .

(٨) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٢٩ .

(٩) انظر : الطبري ١٨ / ٤٩ .

(١٠) في (أ) : (فكذبوا) .

(١١) لم أجد من ذكره عن الكلبي ، ولا يعتمد على الكلبي في ما يرويه ؛ فهو متهم بالكذب .

(١٢) تفسير مقاتل ٣٢ / ٢ ب .

﴿وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ في ما يضيفون إلى الله من الولد والشريك^(١).

ثم نفى الولد والشريك عن نفسه فقال :

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ . قال مقاتل : «يعني الملائكة»^(٢).

﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ﴾ قال ابن عباس : «ولا له شريك»^(٣).

﴿إِذَا أَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ : هذا جواب لكلام مضمّر^(٤) ، التقدير : لو كانت معه آلهة إذن لذهب كل إله بما خلق ؛ أي لا اعتزل وانفرد بخلقه^(٥) ، فلا يرضى أن يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره ، ومنع^(٦) الإله الآخر عن^(٧) الاستيلاء على ما خلق^(٨).

قوله : ﴿وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ دليل آخر على^(٩) نفي الشريك معطوف على الأول . قال الفراء : «بغى بعضهم على بعض»^(١٠).

(١) انظر : الطبري ٤٩ / ١٨ .

(٢) تفسير مقاتل ٣٢ / ٢ ب .

(٣) ذكر البغوي ٤٢٧ / ٥ هذا القول ، ولم ينسبه لأحد .

(٤) في (ظ) : (الكلام مضمراً) .

(٥) من قوله : (هذا جواب . . .) إلى هنا ، هذا كلام الطبري - رحمه الله - في تفسيره ٤٩ / ١٨ ، مع اختلاف يسير جداً وتقديم وتأخير . وأصل الكلام للفراء ٢ / ٢٤١ .

(٦) في جميع النسخ : (ومنع) ، وفي المطبوع من البسيط ٣ / ٢٩٦ : (ولمنع) . وأشار المحقق في الحاشية إلى أنه في بعض النسخ جميعها : (منع) . وعند ابن الجوزي ٥ / ٤٨٨ : (ولمنع) . وعند البغوي ٥ / ٤٢٧ : (ومنع) .

(٧) في (ظ) : (من) ، وفي باقي النسخ والوسيط والبغوي وابن الجوزي : (عن) .

(٨) في (ع) : (في) .

(٩) من قوله : (فلا في . . .) إلى هنا ، ذكره الطوسي في التبيان ٧ / ٣٤٥ ، ٣٤٦ من غير نسبة لأحد .

(١٠) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٤١ .

وقال الزَّجَّاج : «طلب بعضهم مغالبة بعض»^(١) .

وهذا معنى قول ابن عباس والمفسرين : «لقاتل بعضهم بعضاً كما يفعل الملوك في الدنيا يقاتل هذا هذا»^(٢) .

قال أهل العلم في هذه الآية : ذكر الله تعالى في أول الآية نفي الولد ونفي الشريك ، ثم ذكر الدليل على نفي الشريك واقتصر عليه ولم يذكر الدليل على نفي الولد ؛ لأن الدليل على نفي الشريك يتضمن نفي الولد ، وذلك أن الولد ينازع الأب في الملك منازعة الأجانب ، فلو كان لله ولد لأظهر المنازعة كما يكون بين الإلهين^(٣) ، والملكين^(٤) .

ثم نزه عما وصفوه به فقال : ﴿سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ .

٩٢ . قوله تعالى : ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ﴾ : قُرِئَ (عَالِمُ الْغَيْبِ)^(٥) رفعاً وجراً^(٦) .

قال الأخفش : «الجر أجود ليكون الكلام من وجه واحد ، وأما الرفع فعلى أن يكون خبر ابتداء محذوف» ، قال : «ويقوي^(٧) ذلك^(٨) أن الكلام الأول قد انقطع»^(٩) .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٠ / ٤ .

(٢) ذكر البغوي ٤٢٧ / ٥ هذا المعنى ، ولم ينسبه لأحد .

(٣) في (ظ) : (الأهلين) .

(٤) ذكر القرطبي ١٤٦ / ١٢ هذا المعنى باختصار ، ولم ينسبه لأحد .

(٥) (الغيب) ليست في (ع) .

(٦) قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر وحمة والكسائي : (عالم) رفعاً ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وابن عامر : (عالم) جراً . انظر : السبعة ٤٤٧ ، والتبصرة ٢٧١ ، والتيسير ١٦٠ .

(٧) في (ظ) : (ويقول) ، وهو خطأ .

(٨) في (أ) : (ذاك) .

(٩) كلام الأخفش في الحجة للفارسي ٣٠٢ / ٥ بنصه ، ولم أجده في كتابه المعاني .

واختار الفراء الرفع ، فقال : «وجه الكلام الرفع بالاستئناف ، الدليل^(١) على ذلك دخول الفاء في قوله : ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ﴾ ، ولو خفضت لكان وجه الكلم أن يكون (وتعالى) بالواو لأنه إذا خفض أراد : سبحانه الله عالم الغيب والشهادة وتعالى ، فدخول^(٢) الفاء دليل على أنه أراد : هو عالم الغيب والشهادة فتعالى ؛ ألا ترى أنك تقول : مررت بعبد الله المحسن وأحسنت إليه .

فلو رفعت (المحسن) لم يكن بالواو لأنك تريد : هو المحسن فأحسنت إليه .

قال : «وقد^(٣) يكون خفض في ﴿عَلِمَ﴾ تتبعه ما قبله وإن كان بالفاء ؛ لأن العرب قد^(٤) تستأنف بالفاء كما يستأنفون بالواو»^(٥) .

﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا﴾ . قال صاحب النظم : (ما) قد تكون شرطاً كقوله : ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ [البقرة : ١٠٦] ، و(إِنَّمَا) إنما هو [إِنْ مَا ، فـ] ^(٦) (إِنْ) شرط و(ما)^(٧) أيضاً شرط ، فجمع بين الشرطين تأكيداً ، فلماً وكَّد الشرط أدخل النون الثقيلة في الفعل تأكيداً ؛ لأن النون الثقيلة تحيىء^(٨) تأكيداً للأفعال^(٩) .

وقوله : ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ . قال ابن عباس : «من النعمة فيهم» .

-
- (١) في (ظ) : (والدليل) ، والمثبت من (أ) و(ع) ، وهو الموافق لما عند الفراء .
 - (٢) في (ظ) : (ودخول) .
 - (٣) (وقد) ساقطة من (ع) .
 - (٤) (قد) ساقطة من (ظ) .
 - (٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤١ ، وانظر : علل القراءات للأزهري ٢/ ٤٤٠ ، والكشف لمكي ٢/ ١٣١ .
 - (٦) زيادة من القرطبي ١٢/ ١٤٧ بها يستقيم المعنى .
 - (٧) في (أ) : (وأما) ، وهو خطأ .
 - (٨) في (ع) : (تحىء في افعال) ، ويظهر أنه تكرار .
 - (٩) ذكر القرطبي ١٢/ ١٤٧ هذا المعنى باختصار إلى قوله : (بين الشرطين تأكيداً) ، ولم ينسبه إلى أحد .

وقال مقاتل : «يعني القتل ببدر»^(١) .

٩٤ . ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي﴾ . قال الفراء : «هذه الفاء جواب لقوله : ﴿إِنَّمَا تُرِيدُ﴾ اعترض النداء بينهما كما تقول : إن تأتني يا زيد فعجل^(٢) ، ولو لم يكن قبله جزاء لم يجوز أن تقول : يا زيد فقم ، ولا أن تقول : يا رب فاغفر لي ؛ لأن النداء مستأنف ، [وكذلك الأمر بعده مستأنف]^(٣) لا تدخله الفاء ولا الواو^(٤) .

قوله تعالى : ﴿فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ . قال الكلبي : «يعني مع^(٥) الفئة الباغية»^(٦) . قال أبو إسحاق : «أي إن أنزلت بهم النعمة يا رب فاجعلني خارجاً عنهم»^(٧) .

قال مقاتل : «وذلك أنَّ النبي ﷺ أراد أن يدعو على كفار مكة»^(٨) .

٩٥ . فعَلَّمَهُ اللهُ كَيْفَ يَدْعُو ، وأخبر أنه قادر على إنزال العذاب بهم بقوله : ﴿وَأِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرِيدَ مَا نَعْدُهُمْ لَقَدِيرُونَ﴾ .

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ أ .

(٢) في (أ) و (ظ) : (فجعل) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤١ .

(٥) في (ع) : (في) .

(٦) ذكر الرازي ٢٣/ ١١٨ نحو هذا القول ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢١ .

(٨) تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ أ .

ثم أمره بالصبر إلى أن ينقضي الأجل المضروب للعذاب فقال : ﴿ اَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . قال المفسرون : يعني الإعراض والصفح . ﴿ أَلْسَيْتَ ﴾^(١) : وهي أذى المشركين إياه^(٢) .

والمعنى : ادفَع بِالْحَلَّةِ التي هي أحسن - وهي الصبر والصفح - أذاهم وجفاهم^(٣) .

وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم^(٤) .

وقال أهل المعاني : « إذا ذكرُوا المنكر فاذكر الحجة في فسادِه والموعظة التي تصرف عنه إلى ضده من الحق بتلطف في الدعاء إليه والحث عليه »^(٥) .

وروي عن مجاهد وعطاء أنها قالوا في قوله : ﴿ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ : « السلام يسلم عليهم إذا لقيهم »^(٦) .

(١) في (ظ) و(ع) : (والسيئة) .

(٢) الطبري ٥١ / ١٨ مع اختلاف يسير .

(٣) الثعلبي ٦٤ / ٣ أ .

(٤) ذكر هذا الطبري ٥١ / ١٨ ، والثعلبي ٦٤ / ٣ أ . وانظر : الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة ٦٧ ، والناسخ والمنسوخ لابن حزم ٤٦ ، وناسخ القرآن العزيز ومنسوخه لابن البارزي ٤٢ . وهي على قول هؤلاء منسوخة بآية الأمر بالقتال ، والصواب أنها محكمة غير منسوخة ، ولا تعارض بينها وبين آيات الأمر بالقتال ، ولذا نقل ابن الجوزي في ناسخ القرآن ومنسوخه ٤٦٧ عن بعض المحققين من العلماء أنه قال : « لا حاجة بنا إلى القول بالنسخ ، لأن المداراة محمودة ما لم تضر بالدين ، ولم تؤد إلى إبطال حق وإثبات باطل » . اهـ . وقال ابن كثير ٣ / ٢٥٤ : « قال تعالى مرشداً له - يعني للنبي ﷺ - إلى الترياق النافع في مخالطة الناس وهو الإحسان إلى من يُسيء إليه ليستجلب خاطره فتعود عداوته صداقة وبغضه محبة وهذا كما قال : ﴿ اَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤] » . وانظر : البحر المحيط ٤٢٢ / ٦ ، وأضواء البيان ٨١٨ / ٥ .

(٥) ذكر الماوردي في النكت والعيون ٦٦ / ٤ هذا المعنى باختصار ، وقال : « حكاه ابن عيسى » .

(٦) رواه عن مجاهد عبدالرزاق في تفسيره ٤٨ / ٢ ، والطبري ٥١ / ١٨ ، وذكره عن عطاء السيوطي في الدر المنثور ١٣ / ٦ ، وعزاه إلى ابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم .

ولا أدري هل كان يسلم على المشركين أم لا ؟ فإنه ﷺ نهانا أن نبداهم بالسلام^(١).

قوله : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد بما يقولون من الشرك »^(٢) ، وقال مقاتل : « بما يقولون من الكذب »^(٣) .

ومعنى ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ ﴾ إِنَّا^(٤) نجازيهم بها ، يستحقون^(٥) من الجزاء في الوقت الذي يصلح للأخذ بالعقوبة .

أي^(٦) : فليس يخفى علينا ما يقولون ، ولسنا نغفل عن مجازاتهم .

ثم أمره أن يتعوذ من الشيطان ليسلم في دينه فقال :

(١) روى البخاري في كتاب : الاستئذان ، باب : التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين ٣٨ / ١١ ، ومسلم في كتاب : الجهاد ، باب : في دعاء النبي ﷺ وصبره على المنافقين ٣ / ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ ، من حديث أسامة رضي الله عنه : « أن النبي ﷺ مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود فسلم عليهم النبي ﷺ » الحديث . وروى مسلم في كتاب : السلام ، باب في السلام على أهل الذمة ١١١ / ١٤ ، والترمذي في كتاب : السير ، باب ما جاء في التسليم على أهل الكتاب ٢٢٧ / ٥ من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام » الحديث .

(٢) ذكر ابن الجوزي ٤٨٩ / ٥ ، والقرطبي ١٤٧ / ١٢ هذا القول ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٣) تفسير مقاتل ٣٣ / ٢ أ .

(٤) في (ع) : (بها) ، والمثبت من باقي النسخ والوسيط .

(٥) في (ظ) و(ع) : (بها يستحقون به) .

(٦) (أي) ساقطة من (أ) .

٩٧. ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾ ؛ أي اطلب الاعتصام بك ﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ الهمزات جمع همزة كقوله : ثمرات^(١) وتمرّة . ومعنى الهمز في اللغة : الدفع^(٢) .

روى أبو عبيد عن الكسائي : «هَمَزَتْهُ وَلَمَزَتْهُ وَلَهَزَتْهُ»^(٣) ونهرته إذا دفعته^(٤) .

وكان رسول الله ﷺ يقول : «اللهم إني أعوذ بك من همز الشيطان ونفثه ونفخه» فقيل : يا رسول الله ما همزه ونفثه ونفخه ؟ قال : «أَمَّا همزه فالموتة ، وأَمَّا نفثه فالشُّعْرُ ، وأَمَّا نفخه فالكبر»^(٥) .

(١) في (أ) : (ثمرات وتمرّة) ، ومهملة في (ظ) .

(٢) انظر : لسان العرب (همز) ٤٢٦/٥ ، والقاموس المحيط ١٩٦/٢ .

(٣) ولهزته) ساقطة من (أ) .

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (همز) : ١٦٤/٦ من رواية أبي عبيد عن الكسائي .

(٥) ذكره بهذا اللفظ أبو عبيد في غريب الحديث ٧٧/٣ ، ولم يذكر له إسناداً ، وكذا ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ١٦٥/٦ . وقد رواه الإمام أحمد في مسنده ٤٠٣/١ ، وابن ماجه في سننه في أبواب إقامة الصلاة ، باب الاستعاذة في الصلاة : ١٤٥/١ ، وابن خزيمة في صحيحه ٢٤٠/١ ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ٢٥٨/٩ ، والحاكم في مستدركه ٢٠٧/١ من حديث عبد الله بن مسعود ، عن النبي ﷺ أنه كان يتعوذ من الشيطان من همزه ونفثه ونفخه ، قال : وهمزه : السموتة ، ونفثه : الشعر ، ونفخه : الكبر .

وهذا الحديث ضَعَفَ إسناده البوصيري في مصباح الزَّجَّاجَة ٢٨٥/١ ، وحسَّنَ إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند ٣١٨/٥ ، وله شاهدان مرسلان يتقوَّى بهما : أولهما : ما رواه أحمد في مسنده ١٥٦/٥ من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : «كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يقول : اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه . قال : وكان رسول الله ﷺ يقول : تعوذوا من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه ، قالوا : يا رسول الله وما همزه» الحديث .

والثاني : ما رواه عبد الرزاق في مصنفه ٨٤/٢ عن الحسن : «أن النبي ﷺ كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفثه ونفخه ، فقالوا : ما أكثر ما تستعيز من هذا ! لمن هذا ؟ قال : أَمَّا همزه فهو الجنون ، وأَمَّا نفثه فالكبر ، وأَمَّا نفثه فالشعر» . وبمرسل أبي سلمة صحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه ١٣٥/١ . انظر : إرواء الغليل للألباني ٥٣-٥٧/٢ . الموتة : بضم الميم وفتح التاء من دون همز .

قال أبو عبيد^(١): «والموتة الجنون». وإنما سَمَّاهُ همزاً؛ لأنه جعله من النخس والغمز، وكل شيء دفعته^(٢) فقد همزته^(٣).

وعلى هذا معنى^(٤) ﴿هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ دفعهم بالإغواء إلى المعاصي، وهو معنى قول ابن عباس والحسن: «نزغات الشياطين ووساوسهم»^(٥).

وذلك أنه إنما يدفع الناس إلى^(٦) المعاصي بما يوسوس إليهم من التسويل والتَّمنية^(٧).

وقد يكون الهمز في اللغة بمعنى: العيب^(٨)، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَلَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، وهو الذي يهزم أخاه في قفاه من خلفه^(٩)؛ أي^(١٠) يغتابه ويعيبه^(١١).

(١) في النسخ جميعها: (أبو عبيدة)، وهو خطأ، والمثبت هو الصواب.

(٢) في (ظ): (رفعته)، وهو خطأ.

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (همز) ١٦٥/٦ نقلًا عن أبي عبيد. وكلام أبي عبيد في كتابه غريب الحديث ٧٨/٣.

(٤) (معنى) ساقطة من (ع).

(٥) ذكره عنها الثعلبي في الكشف والبيان ٦٤/٣ أ.

(٦) (إلى) ساقطة من (ظ).

(٧) كما قال تعالى: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُعْتَبِهُمُ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء ١٢٠].

(٨) هذا قول ابن الأعرابي كما في تهذيب اللغة للأزهري (همز) ١٦٤/٦. وانظر: الصحاح للجوهري (همز) ٩٠٢/٣، ولسان العرب (همز) ٤٢٦/٥.

(٩) في (أ): (خلف)، وفي (ع): (خلقه).

(١٠) في (أ): (إلى).

(١١) قوله: (الذي يهزم . . . خلفه) في تهذيب اللغة للأزهري (همز) ١٦٤/٦، ١٦٥ منسوباً إلى الليث.

قال المبرّد : «والهمز في كلام العرب إنما هو أن^(١) يهمز الرجل بقول قبيح من حيث لا يسمع ، وسُمّيت مكايده^(٢) الشيطان همزاً ؛ لأن مكايده خفية بالنزغة والوسوسة»^(٣) .

ومن هذا قول مجاهد في تفسير الهمزات : «نفخهم ونفثهم»^(٤) .

وذلك أن الشيطان ينفخ في الإنسان عند الغضب وغيره ، وينفث فيه من حيث لا يشعر به .

وقد يكون الهمز في اللغة بمعنى العصر . يقال : همزت رأسه ، وهمزت الجوز بكفي ، ومنه :

وَمَنْ هَمَزْنَا رَأْسَهُ تَهَشَّأ^(٥)

وهذا معنى قول ابن زيد في هذه الآية ﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ قال : «حنقهم الناس»^(٦) .

(١) في (ع) : (لمن) .

(٢) في (ظ) : (مكايده) .

(٣) لم أجده .

(٤) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٦٤ أ .

قال الإمام ابن القيم في إغاثة اللهفان ١/ ١٥٥ : «وظاهر الحديث يعني استعاذة النبي ﷺ من همز الشيطان ونفخه ونفثه أن الهمز نوع غير النفخ والنفث ، وقد يقال وهو الأظهر إن همزات الشياطين إذا أفردت دخل فيها جميع إصاباتهم لابن آدم وإذا قرنت بالنفخ والنفث كانت نوعاً خاصاً ، كنظائر ذلك» .

(٥) من قوله : (الهمز . . .) إلى هنا ، في تهذيب اللغة للأزهري (همز) ٦/ ١٦٤٥ منسوباً إلى الليث ، وهو في العين (همز) ٤/ ١٧ ، وفيه : (الجوزة) ، وليس فيه الإنشاد . وهذا الشطر من الرجز لم ينسبه الأزهري ، وهو لرؤبة في ديوانه ١٨٤٣ ، والتنبيه والإيضاح لابن برّي ٢/ ٢٥٣ ، واللسان (همز) ٥/ ٤٢٥ ، وتاج العروس للزبيدي (همز) ١٥/ ٣٨٨ .

(٦) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٦٣ أ ، ورواه الطبري ١٨/ ٥١ .

ومعنى قول ^(١) أبي إسحاق في تفسير الهمزات أنها مس الشيطان ^(٢) .

وذكرنا معنى مس الشيطان عند قوله : ﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] .

٩٨ . قوله تعالى : ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ قال ابن زيد : «يحضروني» ^(٣) في أموري ^(٤) ^(٥) ، وقال الكلبي : «عند تلاوة القرآن» ^(٦) .

وقال عكرمة : «عند النزاع والسياق» ^(٧) .

قال صاحب النظم : «هذا من باب الإياء ؛ لأن معنى قوله : ﴿أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ إياء إلى أن يصيبوني بسوء ، ومنه قولهم : حضر فلان ، إذا دنى موته . ويقال : اللبن ^(٨) محضور ومحتضر ؛ أي يصاب منه ، وكذا ^(٩) الحشوش والكنف ^(١٠) مُحْتَضَرَةٌ ؛ أي يصاب الناس ^(١١) فيها ، ومنه قوله عز وجل : ﴿كُلُّ شَيْءٍ مُحْتَضَرٌ﴾ [القمر: ٢٨] ؛ أي مصاب منه يصيب صاحبه . هذا كلامه .

(١) في (ع) : (تفسير) .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢١ / ٤ .

(٣) يحضروني) ساقطة من (أ) .

(٤) في (ع) : (أمري) .

(٥) رواه الطبري ٥١ / ١٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١١٤ / ٦ ، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم .

(٦) ذكره عنه ابن القيم في إغاثة اللهفان ١٥٥ / ١ . وذكر الزحشري ٤٢ / ٣ هذا القول منسوباً إلى ابن عباس .

(٧) ذكره عنه الزحشري ٤٢ / ٣ ، وابن القيم في إغاثة اللهفان ١٥٥ / ١ .

(٨) في (ظ) : (الناس) .

(٩) في (أ) : (وكذا) .

(١٠) الحشوش : جمع حُش - بضم الحاء وفتحها - وهو المخرج والمتوضأ . لسان العرب (حشش) ٢٨٦ / ٩ . الكنف : جمع كَنيف وهو المرحاض . القاموس المحيط ١٩٢ / ٣ .

(١١) (الناس) : ساقطة من (ظ) . والعبارة في (ظ) : (أي يصاب منه أي يصاب فيها) .

والصحيح أن يقال : المعنى : وأعوذ بك ربّ^(١) أن يحضرون بسوء ، فحذف ذكر السوء اختصاراً على أنه مفهوم المعنى ، وكذلك قولهم اللبن محتضر^(٢) فغطّ إناك ، يعنون : تحتضره الدابة وغير ذلك من أهل الأرض^(٣) ، والكُفّ تحتضره الشياطين والجن ، وقوله : ﴿كُلُّ شَيْءٍ مُّحْتَضِرٌ﴾ باحتضار صاحبه .

وهذا معنى ما ذكره صاحب النظم من قوله : «أن يصيبوني بسوء ؛ لأنهم إذا حضروه بسوء أصابوه به»^(٤) ، وحذف ذكر السوء ؛ لأن الشيطان لا يحضر ابن آدم إلا بسوء^(٥) ، فلذا^(٦) أمر أن يتعوذ من أن يأتيه الشيطان أو يقربه .

٩٩ . ثم أعلم - تعالى ذكره - أن هؤلاء الذين ذكروا قبل هذا الموضع ودفَعوا البعث يسألون الرجوع إلى الدنيا عند معاينة الموت ، فقال : ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ . قال مقاتل : «يعني^(٧) الكفار»^(٨) .

﴿الْمَوْتُ﴾ . قال الكلبي ومقاتل^(٩) : «يعني ملك الموت» .

وقال غيرهما : يعني^(١٠) أسباب الموت ومقدماته كقوله : ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾^(١١) [إبراهيم : ١٧] ، وقد مرّ .

(١) ربّ) ليست في (أ) .

(٢) محتضر) ساقطة من (ع) .

(٣) قوله : (قولهم اللبن محتضر . . .) إلى هنا ، هذا كلام الأصمعي كما في تهذيب اللغة للأزهري (حضر) ٢٠١ / ٤ .

(٤) به) ساقطة من (أ) .

(٥) ذكر ابن الجوزي ٥ / ٤٨٩ هذا المعنى ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٦) في النسخ جميعها : (فإذا) ، وما أثبتناه هو الصواب .

(٧) يعني) : ليست في (أ) .

(٨) تفسير مقاتل ٢ / ٣٣ أ .

(٩) تفسير مقاتل ٢ / ٣٣ أ .

(١٠) يعني) ساقطة من (أ) .

(١١) في (ظ) : (فيأتيه) .

﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : «يريد إلى الدنيا»^(١) .

قال الفرّاء ، والزّجاج ، وجميع أصحاب العربية : قوله : ﴿ارْجِعُونِ﴾ وهو يريد الله - عز وجل - وحده^(٢) ، فجاء الخطاب في المسألة على لفظ الإخبار ؛ لأن الله - عز وجل - قال : ﴿نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ [ق : ٤٣] ، وهو وحده يحيي ، وهذا لفظ تعرفه العرب للجليل الشأن يخبر عن نفسه بما يخبر به^(٣) الجماعة ، فكذلك جاء الخطاب في ﴿ارْجِعُونِ﴾^(٤) .

وروي عن ابن جريج أنه قال في هذه الآية : «إنهم استغاثوا»^(٥) بالله أولاً ثم رجعوا إلى مسألة الملائكة الرجوع^(٦) إلى الدنيا»^(٧) .

(١) انظر : الطبري ٥٢ / ١٨ .

(٢) في (أ) : (الله وحده عز وجل) .

(٣) في (ع) : (عن الجماعة) .

(٤) هذا كلام الزّجاج بنصّه في معاني القرآن ٢١ / ٤ - ٢٢ . انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٤١ - ٢٤٢ .

وقد جَوَّد هذا الوجه السمين الحلبي ٨ / ٣٦٦ ، واستظهره الشنقيطي في تفسيره ٥ / ٨٢١ .

(٥) في (أ) : (استعانوا) ، ومهملة في (ظ) .

(٦) في (ظ) : (المرجع) .

(٧) ذكره القرطبي ١٢ / ١٤٩ ، وأبو حيان ٦ / ٤٢١ عن ابن جريج ، وذكر البغوي ٥ / ٤٢٨ هذا القول وصدره بـ (قيل) . وفي نسبة هذا القول إلى ابن جريج نظر ، والأظهر أن هذا قول الطبري ، وبيان ذلك أن الطبري روى في تفسيره ١٨ / ٥٢ عن ابن جريج قال : «قال النبي ﷺ لعائشة : إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا : نرجعك إلى الدنيا ؟ فيقول : إلى دار الهموم والأحزان ! فيقول : بل قدّمانى إلى الله . وأمّا الكافر فيقال : نرجعك ؟ فيقول : لعلّي أعمل صالحاً في ما تركت . . . الآية . ثم قال الطبري بعد ذلك : «وقيل : (ربّ ارجعون) فابتدأ الكلام بخطاب الله تعالى ، ثم قيل (ارجعون) فصار إلى خطاب الجماعة ، والله تعالى ذكره واحد . وإنّا فعل ذلك كذلك ؛ لأن مسألة القوم الردّ إلى الدنيا إنّما كانت منهم للملائكة الذين يقبضون روحهم كما ذكر ابن جريج أن النبي ﷺ قاله . وإنّا ابتدئ الكلام بخطاب الله - جل ثناؤه - لأنهم استغاثوا به ثم رجعوا إلى مسألة الملائكة الرجوع والرد إلى الدنيا» . اهـ .

فظاهر العبارة أن قائل (وإنّا ابتدئ) هو الطبري والله أعلم .

واختار المبرّد هذا الوجه فقال : ﴿ اَرْجِعُونِ ﴾ خطاب للملائكة بعد أن قال : رب ، مستغيثاً . ومثل هذا يكثر^(١) في الكلام عن العرب أن يخاطبوا أحداً ثم يصرف المخاطبة إلى غيره ؛ لأن المعنى مشتمل على ذلك ، وأنشد للأخوص^(٢) :

يَا دَارُ غَيْرِهَا الْبَلَى تَغْيِيرًا^(٣) وَسَفَتْ^(٤) عَلَيْهَا الرِّيحُ بَعْدَكَ مَوْرًا^(٥)

«فدعا الدار ، ثم أخبر عنها ، ثم خاطب صاحبها»^(٦) .

(١) في (ظ) : (كثر) .

(٢) في (ظ) و(ع) : (للأخوص) .

(٣) في (ظ) : (تغيراً) .

(٤) في (أ) : (وسقت) ، وفي (ظ) مهملة .

(٥) البيت في ديوان الأخوص ١٣٠ ، والكتاب ٢/ ٢٠١ ، وتحصيل عين الذهب للشتمري ١/ ٣١٢ وعندهم : (حسرها البلى تحسيراً) عوضاً من (غيرها البلى تغييراً) . ونسبه الأصفهاني في الأغاني ٣/ ٣٣٦ ، والسيرافي في شرح أبيات سيبويه ١/ ٥٢٣ إلى الحارث بن خالد المخزومي . وروايتها مثل رواية الديوان إلا أنه وقع في الأغاني : (بوراً) عوضاً من (موراً) .

والبيت يمثل رواية الواحد في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٦ من غير نسبة . قال الشتمري ١/ ٣١٢ : «البلى : القدم» ، ومعنى سفت : طيرت . و المور : ما تطيره الريح من التراب .

(٦) انظر : شرح أبيات سيبويه للسيرافي ١/ ٥٢٣ .

قال : «وكذلك قول^(١) النابغة^(٢) :

يا دارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ^(٣) أَقْوَتْ^(٤) وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبَدِ
فدعا أولاً ثم حدث عنها» .

١٠٠ . قوله تعالى : ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد أشهد أن لا
إله إلا الله»^(٥) ، وقال مقاتل : «يعني الإيهان»^(٦) .

وقال قتادة : «أما والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا عشيرة ، ولكنه تمنى أن
يرجع فيعمل بطاعة الله ، فانظروا أمنية الكافر فاعملوا فيها»^(٧) .

قوله تعالى : ﴿فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا﴾ . قال ابن عباس : «في ما مضى من عمري»^(٨) .

(١) (قول) ساقطة من (أ) .

(٢) بيت النابغة هذا أول أبيات قصيدته المشهورة التي يعتذر فيها للنعمان بن المنذر من وشاية بلغته عنه ،
ويمدحه فيها . وهو في ديوانه ١٤ ، وشرح القصائد التسع للنحّاس ٧٣٣ / ٢ ، وشرح القصائد العشر
للتبريزي ٥١٢ .

قال أبو جعفر النحاس في شرحه ٧٣٣ / ٢ : «قوله : (يا دار مَيَّةَ) دار مضاف ، و(مَيَّةَ) معرفة ، فذلك لم يصرفها .
قال الأصمعي : العلياء : مرتفع من الأرض . والسَّنَد : سند الوادي في الجبل ، وهو ارتفاعه حيث يُسند فيه ، أي
يُصعد .

وأقوت خلت من أهلها . . السالف : الماضي . . والأبد : الدَّهر» . اهـ .

(٣) في (ظ) : (والسَّنَد) .

(٤) في (أ) و(ظ) : (أموت) .

(٥) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ١٠٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١١٥ / ٦ ، وعزاه إلى
البيهقي .

(٦) تفسير مقاتل ٣٣ / ٢ أ .

(٧) ذكره عنه البغوي ٤٢٨ / ٥ ، وابن كثير ٢٥٥ / ٣ .

(٨) ذكره عنه ابن الجوزي ٤٩٠ / ٥ .

وقال الكلبي : «في ما كذبت» ، وقال غيره : «في ما ضيَّعت»^(١) .

قال الله تعالى : ﴿كَلَّا﴾ . قال ابن عباس : «يقول لا ترجع إلى الدنيا ، ﴿إِنَّهَا﴾ إن مسألته الرجعة ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ يريد لا بدَّ أن يقولها عند الموت حين^(٢) يعاين عذاب الله»^(٣) ، ونحو هذا ابن زيد^(٤) .

وقال آخرون^(٥) : ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ يعني أن سؤاله الرجعة كلام يقوله^(٦) ولا فائدة له ؛ لأنه لا يجاب إلى ما يسأل ، فهو كلام يقوله ولا فائدة له ، كقوله : ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة : ٣٠] ، [وقوله : ﴿ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ [الأحزاب : ٤]^(٧) .

وقوله : ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ . قال أبو عبيدة : «ومن أمامهم»^(٨) .

وهذا مما يجوز أن يكون المراد به : ومن بين أيديهم كما قال أبو عبيدة ، ويجوز أن يكون المراد به^(٩) : ومن خلفهم كما ذكرنا في قوله : ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾^(١٠) [إبراهيم : ١٦] ، وقد مرَّ .

(١) هذا قول الطبري في تفسيره ٥٢ / ١٨ ، والثعلبي ٦٤ / ٣ ب .

(٢) (حين) ساقطة من (ع) .

(٣) ذكر ابن الجوزي ٥ / ٤٩٠ هذا القول إلى قوله : (الرجعة) ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٤) روى الطبري ١٨ / ٥٣ عنه قال : «لا بدَّ أن يقولها» .

(٥) ذكر الثعلبي ٦٤ / ٣ ب نحو هذا المعنى مختصراً ، ولم ينسبه لأحد ، وذكره ابن الجوزي ٥ / ٤٩ مختصراً .

(٦) (ع) : (هو يقوله) .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٦٢ .

(٩) (به) ساقطة من (أ) .

(١٠) في (أ) و(ظ) : (ورائهم) ، وهو خطأ .

قوله تعالى: ﴿بَرْزَخٌ﴾ : معنى البرزخ في اللغة : الحاجز بين الشيئين كيفما^(١) كان من عين أو معنى ، نحو المسافة والجدار والأيام والعداوة وغير ذلك^(٢) .

وهذا معنى قول الفرّاء ، قال : «البرزخ والحاجز والمهلة^(٣) متقاربات في المعنى وذلك أنك تقول : بينهما حاجز أن يتزاورا ، فتتوي بالحاجز^(٤) المسافة وتتوي الأمر المانع^(٥) ، مثل اليمين والعداوة ، فصار المانع من المسافة كالمانع من الحوادث فوق عليهما البرزخ»^(٦) .

ومنه حديث علي - رضي الله عنه - أنه صلى بقوم فأسوى^(٧) برزخاً^(٨) ؛ أي أسقط ، وأراد بالبرزخ ما بين الموضع الذي [أسقط منه إلى الموضع الذي]^(٩) انتهى إليه ، قاله أبو عبيد^{(١٠)(١١)} .

-
- (١) في (ظ) : (كيف) .
 - (٢) انظر : تهذيب اللغة (برزخ) ٦٧١ / ٧ ، والصحاح ٤١٩ / ١ ، واللسان ٨ / ٣ .
 - (٣) في (ظ) : (وأهله) .
 - (٤) في (ع) : (بالحاجة) ، وهو خطأ .
 - (٥) في (ع) : (المانع من المسافة) ، وهو انتقال نظر من الناسخ إلى ما بعده .
 - (٦) كلام الفرّاء بنصّه في تهذيب اللغة للأزهري (برزخ) ٦٧١ / ٧ ، وهو في معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٤٢ مع اختلاف يسير .
 - (٧) في (أ) و(ع) : (بها سوى) ، وفي (ظ) : (فاستوى) .
 - (٨) ذكره بهذا اللفظ الأزهري في تهذيب اللغة ٦٧١ / ٧ ، وذكره أبو عبيد في غريب الحديث ٣ / ٤٤٨ بهذا اللفظ ، ثم رواه من حديث أبي عبد الرحمن السلمي قال : «ما رأيت أحداً أقرأ من علي ، صليتنا خلفه فقرأ برزخاً فأسقط حرفاً فرجع فقرأه ثم عاد إلى مكانه» .
 - (٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .
 - (١٠) في النسخ جميعها : (أبو عبيدة) ، وهو خطأ .
 - (١١) كلام أبي عبيد في تهذيب اللغة للأزهري (برزخ) ٦٧١ / ٧ ، وهو في كتاب غريب الحديث لأبي عبيد ٣ / ٤٤٩ .

وبرازخ الإيمان ما بين اليقين والشك . والبرزخ ما بين كل شيئين ، ومنه قيل للميت : هو في البرزخ ؛ لأنه بين الدنيا والآخرة^(١) .

وقال أبو إسحاق : «البرزخ في اللغة : الحاجز ، وهو هاهنا ما بين موت الميت وبعثه»^(٢) .

وهذا قول الضحاك وابن زيد : «ما بين الموت إلى البعث»^{(٣)(٤)} .

وروي عن ابن عباس : «[بَرْزَخٌ] : حجاب»^(٥) .

وقال السدّي ومقاتل : «أجل»^(٦) ، وقال مجاهد : «حجاب بينهم وبين»^(٧) الرجوع إلى الدنيا وهم فيه إلى يوم يبعثون»^(٨) .

وقال قتادة : «بقية الدنيا»^(٩) .

يعني^(١٠) أنهم يكونون في البرزخ إلى أن تفتنى الدنيا فيبعثوا .

(١) من قوله : (وبرازخ . . .) إلى هنا ، في تهذيب اللغة للأزهري ٦٧١ / ٧ منسوباً إلى أبي عبيد ، وهو في غريب الحديث لأبي عبيد ٤٤٨ / ٣ ، ٤٤٩ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥٢ / ٤ .

(٣) في (ظ) : (والبعث) .

(٤) ذكره عنهما بهذا اللفظ الثعلبي ٦٤ / ٣ ب ، ورواه عنهما الطبري ٥٣ / ١٨ بنحوه .

(٥) ذكره عنه الثعلبي ٦٤ / ٣ ب .

(٦) ذكره الثعلبي ٦٤ / ٣ ب عن السدّي ، وهو في تفسير مقاتل ٣٣ / ٢ أ .

(٧) في (أ) : (وعن) .

(٨) ذكره عنه الثعلبي ٦٤ / ٣ ب ، ورواه هناد بن السري في الزهد ١ / ١٩٥ ، والطبري ٥٣ / ١٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١١٥ ، ونسبه أيضاً إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي نعيم في الحلية .

(٩) ذكره الثعلبي ٦٤ / ٣ ب ، ورواه عبد الرزاق في تفسيره ٢ / ٤٨ ، والطبري ٥٣ / ١٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١١٥ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد .

(١٠) (يعني) ساقطة من (ع) .

والكناية^(١) في قوله : ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ﴾ كالكناية في قوله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ﴾ .

وقوله : ﴿إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ . قال أبو إسحاق : «يَوْمٌ» مضاف إلى (يُبْعَثُونَ) لأن أسماء الزمان تضاف إلى الأفعال»^(٢) .

١٠١ . ﴿فَلِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ . قال ابن عباس في ما روى عنه سعيد بن جبیر : «هي النفخة الأولى ، نفخ^(٣) في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله»^(٤) .

قوله : ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ؛ أي لا يتناسبون^(٥) في ذلك الوقت ليعرف^(٦) بعضهم بعضاً لاشتغال كل أحد بنفسه عن غيره ، ولا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله أو لا يتعاطفون بالأنساب^(٧) .

(١) في (ع) : (فالكناية) .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢٢ / ٤ .

(٣) هكذا في النسخ جميعها ، وعند الثعلبي : (ونفخ) .

(٤) رواه الثعلبي ٦٤ / ٣ ب بإسناده من طريق سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، به ، إلا أن فيه (ونفخ) كالأية ، ورواه البخاري في صحيحه في كتاب : التفسير ، باب : سورة حم السجدة ٨ / ٥٥٥ ، ٥٥٦ «عن سعيد قال : قال رجل لابن عباس : إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي قال : (فلا أنساب بينهم) . . . الحديث مطولاً ، وفيه قال ابن عباس : «في النفخة الأولى ، ثم نفخ في الصور . . .» ، ورواه الطبري ٥٤ / ١٨ عن سعيد عن ابن عباس بنحوه .

(٥) في (ظ) : (لا يتساءلون) .

(٦) في (أ) : (لنعرض) .

(٧) ذكر الطوسي في التبيان ٣٤٩ / ٧ هذا المعنى ، وصدّره بقوله : (وقيل) ، وذكر عن الحسن أنه قال : «معناه : لا أنساب بينهم يتعاطفون بها» .

وقال في رواية عطاء : «هي^(١) النفخة الثانية ﴿فَلَا أُسَابَ يِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ قال : يريد لا تفاخر بينهم كما كانوا يتفاخرون في الدنيا ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ كما تسأل العرب في الدنيا من أي قبيلة أنت؟»^(٢).

وهذا قول ابن مسعود ومقاتل أن المراد بقوله : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ النفخة الثانية^(٣).

قال ابن مسعود : «الخلق يومئذ أشد تعلقاً بعضهم ببعض منهم في الدنيا ، الأب بابنه والابن بأبيه والأخ بأخته والأخت بأخيها والزوج بامرأته والمرأة بزوجها» ، وتلا هذه الآية^(٤).

(١) في (أ) : (في) .

(٢) ذكره عنه البغوي ٤٢٩/٥ من رواية عطاء ، وذكر ابن الجوزي ٤٩٠/٥ عنه أوله من رواية عطاء ، وذكر الثعلبي ٦٤/٣ ب عنه قوله : «يريد فلا تفاخر بينهم كما كانوا يتفاخرون في الدنيا» ، ولم يذكر من رواه عنه .

(٣) ذكره الثعلبي ٦٤/٣ ب عن ابن مسعود ، وقول مقاتل في تفسيره ٢/٣٣ .

(٤) لم أجده بهذا اللفظ ، وقد رواه الطبري في تفسيره ٨/٣٦٢-٣٦٥ (شاذر) مطولاً ، ١٨/٥٤ مختصراً ، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير ٢/٤٩٧ ، والثعلبي في تفسيره ٣/٦٤ ب ، وأبو نعيم في الحلية ٤/٢٠٢ ، كلهم من طريق زاذان عن ابن مسعود رضي الله عنه ، ولفظه : «فتفرح المرأة أن يكون لها الحق على أبيها أو ابنها أو على أخيها أو على زوجها ، ثم قرأ ابن مسعود : (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون)» . وقد صحَّح العلامة أحمد شاكر إسناد ابن أبي حاتم كما في تعليقه على الطبري ٨/٣٦٤ .

ولا بدّ من تقدير محذوف في الآية على تأويل : فلا أنساب يومئذٍ يتفاخرون بها ويتعاطفون بها ؛ لأن الأنساب لا تنقطع يومئذٍ ، إنما يرتفع التواصل والتعاطف والتفاخر بها والتساؤل .

وهذه الآية لا تنافي قوله : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [الصفات : ٢٧] ؛ لأن للقيامة أحوالاً ومواطن ، منها ما يشغلهم عظم الأمر الذي ورد عليهم عن المسألة ، ومنها حال يفيقون فيها فيتساءلون .

وهذا معنى قول ابن عباس - في رواية المنهال بن عمرو - لما سُئِلَ عن الآيتين فقال : « هذه تارات ^(١) يوم القيامة » ^(٢) .

وأجاب في رواية سعيد بن جبير بحمل آية التساؤل على أن ذلك في الجنة فقال : « إنهم لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون » ^(٣) .

(١) تارات : جمع تارة ، وهي الحين والمرة . والمراد أحوال يوم القيامة مرة بعد مرة ، وحيناً بعد حين . انظر : القاموس المحيط ١ / ٣٨١ .

(٢) لم أجد هذا اللفظ ، وقد روى البخاري في صحيحه في كتاب : التفسير ، باب : سورة حم السجدة ٨ / ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، والطبري في الكبير ١٠ / ٣٠١ ، ٣٠٢ من طريق المنهال بن عمرو « عن سعيد قال : قال رجل لابن عباس : إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ ، قال : ﴿ فَلَا أَنْسَابَ يَتَنَّهُم ﴾ ، ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ فقال ابن عباس : ﴿ فَلَا أَنْسَابَ يَتَنَّهُم ﴾ في النفخة الأولى ، ثم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ، ثم في النفخة الآخرة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون » . وروى سعيد بن منصور في تفسيره : ل ١٥٧ من طريق أبي إسحاق الأشجعي عن ابن عباس أنه سُئِلَ عن الآيتين فقال : « إنها مواقف ، فأما الموقف الذي لا أنساب بينهم ولا يتساءلون عند الصعقة الأولى لا أنساب بينهم فيها إذا صعقوا ، فإذا كانت النفخة الآخرة فإذا هم قيام يتساءلون » ، ورواه الطبري ١٨ / ٥٤ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بمعناه .

(٣) رواه الطبري ١٨ / ٥٤ ، والحاكم في مستدركه ٢ / ٣٩٥ من رواية المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، به .

قال أبو علي: «لا يجوز أن يكون (إذا) نصباً بـ(نَفَخَ) ولا بقوله ﴿فَلَا أُنْسَابَ يَنْهَهُمْ﴾؛ لأن ما بعد (لا) لا يعمل في ما قبلها، فإذا لم يجوز نصبه على هذين انتصب بفعل مضمر يُفسَّره ويدل عليه قوله: ﴿فَلَا أُنْسَابَ يَنْهَهُمْ﴾، على تقدير: تنقطع الأنساب إذا نفخ في الصور، أو لا تنفع الأنساب وما أشبه ذلك». وشرح هذه المسألة أن يذكر عند قوله: ﴿إِذَا مُزِقَّتْ كُلُّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ: ٧] الآية.

١٠٢. قوله: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: هذه والآية^(١) التي بعدها ذكرنا تفسيرهما في أوائل سورة الأعراف^(٢).

١٠٤. قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ معنى اللفح: الإحراق. يقال: لفتحته^(٣) النار والسموم، إذا أحرقتة^(٤).

وقال الزَّجَّاج: «تلفح وتنفع بمعنى واحد، إلا أن اللفح أعظم تأثيراً^(٥) من النفع»^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾: الكلوح: بدو الأسنان^(٧) عند العبوس.

(١) في (ظ) و(ع): (الآية).

(٢) انظر: البسيط: [الأعراف ٨، ٩].

(٣) في (أ): (ألفمه).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (لفح) ٥/٧٣، والصحاح ١/٤٠١، ولسان العرب ٢/٥٧٨.

(٥) في (أ): (تأخيراً)، وهو خطأ.

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/٢٣، وانظر تهذيب اللغة للأزهري ٥/٧٣.

(٧) في (أ): (الإنسان).

يقال : كلح كلوحاً ، وأكلحه^(١) كذا^(٢) ، ويقال : دَهَرُ كالح وبردُ كالح إذا كان شديداً^(٣)(٤) .

وقال الزَّجَّاج : «الكالح : الذي قد شممت شفتاه عن أسنانه ، نحو ما ترى [من]^(٥) رؤوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمرت الشفاه»^(٦) .

قال ابن مسعود في هذه الآية : «ألم تر إلى الرأس المشيَّط^(٧) بالنار ، وقد بدت أسنانه وقلصت^(٩) شفتاه»^(١٠) .

(١) في (أ) و(ع) : (وكلمه) ، وفي (ظ) : (إذا كلمه) . والتصويب من تهذيب اللغة للأزهري ١٠٢ / ٤ .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (كلح) ١٠٢ / ٤ منسوباً إلى الليث .

(٣) في (ظ) و(ع) : (شديد) ، وهو خطأ .

(٤) هذا قول الأزهري في تهذيب اللغة (كلح) ١٠٢ / ٤ من دون قول : (وبرد كالح) . انظر : الصحاح للجوهري (كلح) : ٣٩٩ / ١ ، والمحكم لابن سيده (كلح) ٣ / ٣١ ، ولسان العرب (كلح) ٢ / ٥٧٤ .

(٥) زيادة من معاني الزَّجَّاج ٢٣ / ٤ ، وتهذيب الأزهري ١٠٢ / ٤ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٣ / ٤ .

(٧) المشيَّط : يقال : شيطت رأس الغنم إذا أحرقت صوفه . الصحاح للجوهري (شيَّط) ١١٣٩ / ٣ .

(٨) في (ظ) : (قد) .

(٩) قلصت ؛ أي انزوت . لسان العرب (قلص) ٧٩ / ٧ .

(١٠) رواه سفيان في تفسيره ٢١٨ ، وابن المبارك في الزهد (زوائد الزهد لأبي نعيم ٨٤) ، وعبدالرزاق في تفسيره ٤٨ / ٢ ، ٤٩ ، وهناد في الزهد : ١ / ١٩٠ ، والطبري ١٨ / ٥٩ من طريق أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بمثله ، ورواه من هذا الوجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٣ / ١٧٤ ، ١٧٥ ، والحاكم في مستدركه ٢ / ٣٩٥ ، والبيهقي في البعث والنشور ٢٧٦ بنحو مختصراً . وفي إسناده عند هؤلاء أبو إسحاق السبيعي ، قال ابن حجر في التقریب ٢ / ٧٣ : «ثقة عابد ، من الثالثة ، اختلط بآخرة» . لكن الراوي عنه هو سفيان الثوري ، وهو من قدماء أصحابه الذين سمعوا منه قبل الاختلاط . انظر : هدى الساري لابن حجر ٤٣٠ . قال ابن الكيال في كتابه الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات ٣٥١ : «وقد أخرج الشيخان في الصحيحين لجماعة من روايتهم عن أبي إسحاق ، وهم وسفيان الثوري» . اهـ .

ولهذا قال الحاكم ٢ / ٣٩٥ : «هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه» ، ووافقه على ذلك الذهبي ؛ =

وروى الخدري عن رسول الله ﷺ في هذه الآية قال : «تشويه النار فتقلص»^(١)
شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب
سرته»^(٢).

ويقال له : ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَتَيْنِي﴾ . قال مقاتل والكلبي : «يعني القرآن»^(٣).

= فإسناد هذا الأثر صحيح . وقد رواه الطبراني في المعجم ٩ / ٢٦١ من طريق شعبة ، عن أبي إسحاق ،
عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بنحوه . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ٧٣ : «ورجاله ثقات إلا أن أبا
عبيدة لم يسمع من أبيه» اهـ . لكن يعضده ما تقدّم . والله أعلم .
(١) في (أ) : (فتلصق) .

(٢) رواه ابن المبارك في مسنده ٧٦ ، وزوائد الزهد لأبي نعيم ٨٤ ، والإمام أحمد في مسنده ٨٨ / ٣ ،
والترمذي في جامعه في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة المؤمنين ٩ / ٢٠ ، وأبو يعلى في مسنده
٢ / ٥١٦ ، والحاكم في مستدركه ٢ / ٢٤٦-٣٩٥ ، والبيهقي في البعث والنشور ٢٧٥ ، والثعلبي في
الكشف والبيان ٣ / ٦٥ أ ، والواحدي في الوسيط ٣ / ٢٩٨ ، وأبو نعيم في الحلية ٨ / ١٨٢ ، كلهم من
طريق أبي السمح درّاج بن سمعان عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، به .
وقد اختلف العلماء في هذا الطريق ؛ فقال الإمام أحمد : «أحاديث درّاج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد
فيها ضعف» ، وقال أبو داود عن درّاج : «أحاديثه مستقيمة إلا ما كان عن أبي الهيثم عن أبي سعيد» ،
وقال أبو حاتم : «في حديثه ضعف» ، وضعّفه النسائي والدارقطني وغيرهما ، ووثّقه ابن معين ،
وقال لمّا سُئل عن أحاديث درّاج ، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد : هذا إسناد صحيح ، ووثّقه ابن حبان
وابن شاهين .

واختار ابن حجر قول أبي داود فقال في التقریب ١ / ٢٣٥ : «صدوق ، في حديثه عن أبي الهيثم
ضعف» . انظر : الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٣ / ٩٧٩ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر
٣ / ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ومستدرک الحاكم ٢ / ٢٤٦ . وعلى هذا فإسناد هذا الحديث ضعيف ، وقد ضعّف
إسناده الألباني في تخريج أحاديث المشكاة ٣ / ١٥٨٢ .
(٣) تفسير مقاتل ٢ / ٣٣ ب ، وقد ذكره البغوي ٥ / ٤٣٠ ، وابن الجوزي ٥ / ٤٩٢ ، ولم ينسبها إلى أحد .

﴿تُنَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : ألم تخوفوا بها»^(١) .

﴿فَكُتِمَ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾ : فكتتم في الدنيا تكذبون القرآن ومحمداً - عليه السلام - بالنار وعذابها .

١٠٦ . ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ : وتقرأ (شقاوتنا)^(٢) ومعناها واحد ، وهما مصدران . فالشقاوة^(٣) كالسعادة ، والشقوة كالردة والفتنة^(٤) .

قال الكلبي : «غلبت علينا شقاوتنا في الدنيا فلم نهتد»^(٥) .

وقال القرظي^(٦) ، ومجاهد^(٧) ، ومقاتل^(٨) : «غلبت علينا شقاوتنا التي كتبت علينا» .

١٠٧ . ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ . قال الكلبي : «من النار»^(٩) .

قال ابن عباس : «سألوا الرجعة إلى الدنيا»^(١٠) .

(١) ذكر البغوي ٤٣٠ / ٥ هذا المعنى ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٢) قرأ حمزة والكسائي : (شقاوتنا) بالألف مع فتح الشين والقاف ، وقرأ الباقون : (شقوتنا) بكسر الشين مع إسكان القاف . انظر : السبعة ٤٤٨ ، والتبصرة ٢٧١ ، والتيسير ١٦٠ .

(٣) في (ظ) : (والشقاوة) .

(٤) من قوله : (فالشقاوة . . .) إلى هنا ، هذا كلام أبي علي في الحجة ٣٠٢ / ٥ ، وانظر : حجة القراءات لابن زنجلة ٤٩١ ، والكشف لمكي ١٣١ / ٢ .

(٥) ذكر البغوي ٤٣٠ / ٥ هذا المعنى ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٦) رواه الطبري ٥٧ / ١٨ ، ٥٨ .

(٧) رواه الطبري ٥٧ / ١٨ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١١ / ٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١١٨ / ٦ ، وعزاه أيضاً إلى عبد بن حميد .

(٨) تفسير مقاتل ٣٣ / ٢ ب .

(٩) ذكره البغوي ٤٣٠ / ٥ ، وابن الجوزي ٤٩٢ / ٥ ، ولم ينسبه إلى أحد .

(١٠) ذكره عنه ابن الجوزي ٤٩٢ / ٥ .

﴿ فَإِنْ عُدْنَا ﴾ إلى الكفر والتكذيب والمعاصي ﴿ فَإِنَّا ظَلِمْنَا ﴾ .

١٠٨ . قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ .

قال عبد الله بن عمرو^(١) : «إنهم لا يجابون إلا بعد مُضي مثل عُمر الدنيا ثم يجابون بقوله : ﴿ أَخْسُوا فِيهَا ﴾»^(٢) .

وقال مقاتل : «يرد عليهم بعد مقدار الدنيا منذ يوم^(٣) خلقت إلى أن تفتنى سبع مرات»^(٤) .

﴿ أَخْسُوا فِيهَا ﴾ . قال الكلبي ومقاتل : «اصغوا في النار»^{(٥)(٦)} .

قال المبرِّد : «الخشأ : إبعاد بمكروه»^(٧) .

وقال الزَّجَّاج : «تباعدوا تباعد سخط» ، وقال : «ابعدوا بعد الكلب»^(٨) .

(١) في (ع) : (عمر) ، وهو خطأ .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٣/ ١٥٢ ، ١٥٣ ، وهناد في الزهد : ١/ ١٥٨ ، والطبري في تفسيره ٩٩/ ٢٥ عند قوله تعالى : ﴿ وَكَادُوا يَكِيدُكَ ﴾ [الزخرف : ٧٧] ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧/ ١١ أ ب ، والبيهقي في البعث والنشور ٣١٢ ، والبغوي في شرح السنة ١٥/ ١٥٤ ، كلهم من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أبي أيوب ، عن عبد الله بن عمرو . وفي سنده قتادة وهو ثقة لكنه مدلس ، وقد عنعنه .

(٣) (يوم) ساقطة من (ع) .

(٤) تفسير مقاتل ٣٣/ ٢ ب . وقوله يحتاج إلى دليل ، والله أعلم .

(٥) في (ع) : (الدنيا) ، وهو خطأ .

(٦) تفسير مقاتل ٣٣/ ٢ ب .

(٧) في (أ) : (الخشأو) .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٢٤ وليس في المطبوع قوله : (ابعدوا بعد الكلب) . وقوله : (ابعدوا . . .) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٦٨ بنصّه ، ونسبه إلى ابن عيسى ؛ فلعلَّه سقط من النسخ بعد قوله ، وقال : بعض أهل المعاني أو نحوها .

وذكرنا الكلام في الخسأ عند قوله : ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ . قال الكلبي : «لا تسألون»^(١) الخروج منها .

وقيل : «لا تكلمون في رفع العذاب عنكم»^(٢) .

والمفسرون على أن هذا نهى لهم عن جميع أجناس الكلام^(٣) .

قال عبدالله بن عمرو : «فلم ينبس»^(٤) القوم بعد ذلك بكلمة ، إن كان إلا الزفير والشهيق»^(٥) .

وقال مقاتل : «فلا يتكلم أهل النار بعد هذا غير أن لهم فيها زفيراً وشهيقاً»^(٦) ، وقال قتادة : «صوت الكافر في النار مثل صوت الحمار ، أوله زفير وآخره شهيق»^{(٧)(٨)} .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «يصير لهم همهمة كنباح الكلاب»^(٩) .

(١) في (ظ) : (تسألوني) .

(٢) ذكره الثعلبي ٦٥ / ٣ أ ، لم ينسبه إلى أحد .

(٣) انظر : الطبري ٥٩ / ١٨ ، والثعلبي ٦٥ / ٣ أ ، والدر المنثور ١٢٠ / ٦ .

(٤) في (أ) : (يبس) ، وفي (ظ) و(ع) : (يبس) مهملة . والتصويب من سائر الروايات . ومعنى ينبس :

ينطق . انظر : الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٤٠٣ / ٣ .

(٥) هذا بقية الأثر السابق ، فانظر تحريجه في ما تقدّم .

(٦) تفسير مقاتل ٣٣ / ٢ ب .

(٧) في (أ) : (نهيق) ، والمثبت من باقي النسخ وتفسير عبدالرزاق والطبري .

(٨) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٤٩ / ٢ ، والطبري ٦٠ / ١٨ .

(٩) ذكره عنه القرطبي ١٥٤ / ١٢ .

وقال القرظي : «إذا»^(١) قيل لهم : ﴿ قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ انقطع عند ذلك رجائهم ودعائهم ، وأقبل بعضهم ينبس في وجه بعض ، وأطبقت عليهم»^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي ﴾ الآية . يعني المؤمنين .

وقال ابن عباس : «يريد المهاجرين»^(٣) .

١١٠ . ﴿ فَأَتَّخَذُوهُمْ سَخِرِيًّا ﴾ : وقرئ بكسر السين هاهنا وفي سورة ص ، وأجمعوا على الضم في سورة الزخرف^(٤) .

قال الليث : «السُّخْرِيُّ والسُّخْرِيَّةُ مصدران . يقال : سخر منه وبه سُخْرِيَّةٌ وسُخْرِيًّا»^(٥) ، وزاد أبو زيد : سَخَرًا^(٦) ، ومنه قوله :

لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَرٌ^(٧)

(١) (إذا) ساقطة من (أ) .

(٢) رواه الطبري ٥٧/١٨ ، ٥٨ .

(٣) ذكره عنه ابن الجوزي ٤٩٢/٥ .

(٤) قرأ نافع وحمة والكسائي : (سُخْرِيًّا) بضم السين هنا ، وفي قوله : ﴿ أَتَّخَذُوهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ ذَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَرُ ﴾ [ص : ٦٣] ، وقرأ الباقون : (سُخْرِيَا) بكسر السين في السورتين .

وأجمعوا على الضم في قوله : ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [الزخرف : ٣٢] . انظر : السبعة ٤٤٨ ، والتبصرة ٢٧١ ، والتيسير ١٦٠ .

(٥) تهذيب اللغة للأزهري (سُخْر) ١٦٧/٧ ، وهو في العين (سُخْر) ١٩٦/٤ بنحوه .

(٦) انظر : الحجة ٣٠٣/٥ ، وال نوادر ٢٨٨ .

(٧) هذا جزء من شطر بيت لأعشى باهلة عامر بن الحارث بن رباح الباهلي ، ذكره أبو زيد في النوادر ٢٨٨ فقال : «وقال أعشى باهلة :

إني أتاني شيءٌ لا أُسْرِبُهُ من علٍ لا عجبٌ فيه ولا سُخْرُ

وهو من قصيدة رائية هي أشهر شعره ، يرثي بها أخاه لأمه المنتشر بن وهب بن سلمة لما بلغه مقتله .

قال البغدادي في الخزانة ١/١٩١ ، ١٩٢ : «وقوله (لا عجب) أي لا أعجب منها وإن كانت مصيبة عظيمة ؛ لأن مصائب الدنيا كثيرة ، (ولا سُخْر) بالموت ، وقيل لا أقول ذلك سُخْرِيَّة ، وهو بفتحين وضمين» .

قال : «ويكون نعتاً كقولك : هم لك سحري وسخرية»^(١) .

قال الفرّاء : «الضم أجود»^(٢) .

وقال الزّجاج : «كلاهما جيد»^(٣) .

وحكى الكسائي اللغتين جميعاً ، قال : «وسمعت العرب تقول : بَحْرٌ لُجِّي ولُجِّي ، ودري ودري ، وكُرسِي وكُرسِي»^(٤) .

وذهب قوم إلى الفرق^(٥) بينهما . قال يونس^(٦) : «سُخْرِيّاً من السُّخْرَةِ مضموم ، ومن الهُزء سحري»^(٧) .

وقال أبو عبيدة : «سُخْرِيّاً يسخرون منهم ، وسُخْرِيّاً يسخرونهم»^(٨) .

(١) انظر : الحجة ٣٠٣/٥ ، والنوادر ٢٨٨ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢٤٣/٢ .

(٣) معاني القرآن للزّجاج ٢٤/٤ .

(٤) ذكره عن الكسائي الفرّاء في معاني القرآن ٢٤٣/٢ ، والنحاس في إعراب القرآن ١٢٤/٣ ، وذكره عنه أيضاً الأزهري في علل القراءات ٤٤٢/٢ .

(٥) في (أ) : (إلى أن الفرق) .

(٦) هو يونس بن حبيب .

(٧) قول يونس في الحجة للفارسي ٣٠٣/٥ ، وهو أيضاً في تهذيب اللغة للأزهري ١٦٨/٧ .

(٨) قول أبي عبيدة في الحجة ٣٠٣/٥ ، وهو في مجاز القرآن ٦٢/٢ مع اختلاف في العبارة .

وهذا قول الحسن وقتادة ، قالاً : « ما كان من العبودة^(١) فهو بالضم ، وما كان من الهزء فهو بالكسر »^(٢) .

وذكر الزَّجَّاجُ أن الضم والكسر واحد في معنى الهزء^(٣) . وقال من عند نفسه : « الكسر أحسن لاتباع الكسر »^(٤) .

قال أبو علي : « القراءة بكسر السين أرجح من قراءة من ضَمَّ ؛ لأنه من الهزء ، والأكثر في الهزء كسر السين في ما حكوه . ونرى^(٥) أنه إنما كان أكثر لأن السَّخَر مصدر سَخَرْتُ » ، حكاه أبو زيد^(٦) .

وَفَعْلٌ وفَعْلٌ يكونان بمعنى ، نحو : المثل والمثل والشَّبه والشَّبه ، فكذلك السَّخَرُ والسَّخَرُ ، إلا أن المكسورة ألزمت ياء النسب دون المفتوحة كما اتفقوا في القسم على الفتح في : لعمر^(٧) الله ، ولم يخرج مع إلحاق ياء النسب عن حكم المصدر ، يدل ذلك على ذلك قوله : ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا ﴾^(٨) فأفرد^(٩) ، وقد جرى على الجمع كما تفرد المصادر ، فكأن ياء النسب لم يقع بها^(١٠) اعتداد في المعنى ، كما لم

(١) في (أ) : (المعبودة) ، وهو خطأ ، وفي الحجة : (العبودية) .

قال ابن منظور في لسان العرب (عبد) ٢٧٠ / ٣ : « يقال : فلان بين العبودة والعبودية » .

(٢) قولها في الحجة للفارسي ٣٠٣ / ٥ .

وذكره عنها النحاس في معاني القرآن ٤ / ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، وابن الجوزي ٥ / ٤٩٣ .

(٣) قال الزَّجَّاجُ في معانيه ٤ / ٢٤ بعد حكايته قول بعض أهل اللغة أن ما كان من الاستهزاء فهو بالكسر

وما كان من جهة التسخير فهو بالضم : « وكلاهما عند سيبويه والخليل واحد » .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ٢٤ .

(٥) في (أ) : (وقرئ) ، وفي الحجة : (وترى) .

(٦) لم أجده في النوادر لأبي زيد ، فلعل أبا علي نقله من كتاب آخر لأبي زيد .

(٧) في (أ) : (لعمرو) .

(٨) في النسخ جميعها : (اتخذتموهم) .

(٩) في (ع) : (فرد) .

(١٠) في (ع) : (بعدها) ، وفي الحجة : (به) .

يُعتدُّ بها^(١) ولم يكن حكم للنسب في نحو: أحمر وأحمري ودوّاري^(٢)، فكانت ياء النسب في حكم الزيادة كـ (لا) في قوله: ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقال الأخفش: «سخري إذا أردت من سخرتُ به ففيه لغتان: الضم والكسر»^(٣). والتي يراد بها السُّخْرَةُ فالضم لا غير، ومن ثمَّ اتفقوا على الضم في التي في الزخرف. وقولهم^(٤): اتخذت فلاناً سُخْرِيًّا وسُخْرَةَ السُّخْرِي مصدر وسُخْرَةٌ^(٥) ليست بمصدر في الهزء، ولكنّه كقولهم: ضُحِكَةٌ وهُزْأَةٌ إذا كان يُضْحَكُ منه. وأمّا وجه الضم إذا كان من الهزء فإن سَخَرَا فَعَلَ، وفَعَلَ وفُعِلَ^(٦) يتعاقبان على الكلمة كالحزن والحزن والبخل والبخل^(٧)، كما كان فَعَلٌ وفِعْلٌ كذلك، إلا أن المضموم خُصَّ^(٨) بالنسب كما خُصَّ المكسور به، وبقي على حكم المصدر كما بقي عليه المكسور. وإذا ثبت هذا فقوله (سخرياً) في القراءتين جميعاً مصدر وصف به، ولذلك أفرد^(٩).

قال ابن عباس في هذه الآية: «يريد يستهزئون بهم».

(١) في الحجة: (به).

(٢) في (ع): (ودرار ودراري).

(٣) كلام الأخفش ليس في معاني القرآن، وإنما هو في الحجة لأبي علي ٣٠٥/٥.

(٤) في الحجة: (فأمّا ما حكاه أبو زيد من قوله . . .).

(٥) في (أ): (سخر).

(٦) (وفعل) الثانية ساقطة من (ظ) و(ع).

(٧) في (أ) و(ظ): (الحل والحل) مهملة.

(٨) في (أ): (حض).

(٩) الحجة لأبي علي الفارسي ٣٠٣-٣٠٥، مع تقديم وتأخير وتصرف. انظر: علل القراءات للأزهري ٤٤١/٢-٤٤٢، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٩٥/٢، وحجة القراءات ٤٩٢، والكشف لمكي ١٣١/٢.

وقال مقاتل : «إن رؤوس كفار قريش كانوا يستهزئون من بلال وعمار وخبّاب وصهيب وسالم وفقراء العرب ، اَزْدَرَوْهُمْ»^(١) .

قوله : ﴿ حَتَّىٰ أَسْوَكَمُ ذِكْرِي ﴾ : يريد تركتم موعظتي .

وقال مقاتل : «ترككم الاستهزاء لا تؤمنون بالقرآن»^(٢) .

قال أبو علي : ﴿ أَسْوَكَمُ ﴾ يجوز^(٣) أن يكون منقولاً من الذي بمعنى الترك ، ويمكن أن يكون (من)^(٤) الذي هو خلاف الذكر ، واللفظ على أنهم فعلوا بكم النسيان ، والمعنى : إنكم أيها المتخذون عبادي سُخْرِيّاً نسيتم ذكري باشتغالكم باتخاذكم إياهم سُخْرِيّاً وبالضحك منهم ؛ أي تركتموه من أجل ذلك ، فنسب الإنساء إلى عباده المخلصين وإن لم يفعلوه لما كانوا كالسبب لإنسائهم ، وهذا كقوله : ﴿ رَبِّ إِنَّمَا أَضَلَّتْ كَيْبَرًا مِّنَ النَّاسِ ﴾ [إبراهيم: ٣٦] ، فنسب الإضلال إلى الأصنام لما كانت سبباً في الإضلال^(٥) .

١١١ . قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : «بما صبروا على أذاكم واستهزائكم»^(٦) .

﴿ أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴾ : قُرِئَ^(٧) (إنهم) بالكسر^(٨) .

(١) تفسير مقاتل ٣٣ / ٢ ب .

(٢) تفسير مقاتل ٣٣ / ٢ ب .

(٣) في (أ) : (ويجوز) .

(٤) زيادة من الحجة .

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي ١٩١ / ٢ - ١٩٢ عند كلامه على قوله ﴿ أَوُتُّنَّهَا ﴾ [البقرة: ١٠٦] .

(٦) ذكره البغوي ٤٣١ / ٥ ، وابن الجوزي ٤٩٤ / ٥ ، ولم ينسبها إلى أحد . انظر : الطبري ٦١ / ١٨ ، والثعلبي ٦٥ / ٣ ب .

(٧) في (ظ) : (قُرِئ) .

(٨) قرأ حمزة والكسائي : (إنهم) بكسر الألف ، وقرأ الباقر بفتحها . انظر : السبعة ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، والنصرة ٢٧١ ، والتيسير ١٦٠ .

فمن فتح كان على معنى : جزيتهم لأنهم هم الفائزون . ويجوز أن يكون (أنهم)^(١) في موضع المفعول الثاني لجزيت ؛ لأن جزيت يتعدى إلى مفعولين . قال الله تعالى : ﴿ وَجَزَيْتُهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان : ١٢] ، والتقدير : جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز . ومن كسر استأنف وقطعه^(٢) مما قبله ، والمعنى : إني جزيتهم اليوم بما صبروا ، ثم أخبر فقال : ﴿ أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ . ومثل هذا في الكسر والاستئناف والاتباع لما قبله : لبيك إن الحمد والنعمة لك وإن الحمد^(٣) .

وهذا الذي ذكرنا معنى قول الفرّاء والزّجاج^(٤) .

ومعنى (الفائزون) الذين نالوا ما أرادوا ، والمفسرون يقولون : الناجون^(٥) .

١١٢ . وقوله : ﴿ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ : قال الله تعالى للكفار يوم البعث توبيخاً لهم على إنكار^(٦) البعث : ﴿ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ يعني في القبور (عدّد سِنِينَ) .

قال الزّجاج : «(كم) في موضع نصب بقوله : (لبئتم) ، و(عدّد سِنِينَ) منصوب بـ(كم)»^(٧) .

(١) في (ظ) : (أنهم هم) .

(٢) في (ظ) : (فقطعه) .

(٣) من قوله : (فمن فتح ...) إلى هنا ، هذا كلام أبي علي في الحجة ٣٠٦/٥ عدا قوله : (والمعنى : إني جزيتهم ...) . الفائزون ؛ فإنه كلام أبي إسحاق الزّجاج في معاني القرآن ٢٤/٤ . انظر : علل القراءات للأزهري ٤٤٢/٢ ، ٤٤٣ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، والكشف لمكي ١٣١/٢ ، ١٣٢ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢/٢٤٣ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٢٤/٤ .

(٥) انظر : الطبري ١٨/٦٢ ، والثعلبي ٣/٦٥ ب .

(٦) في (ظ) : (انكارهم) ، وفي (أ) : (الإنكار) .

(٧) معاني القرآن للزّجاج ٤/٢٥ . وعلى هذا فـ(كم) ظرف زمان في محل نصب بـ(لبئتم) ، و(عدد سِنِينَ) بدل من (كم) وذهب أبو حيان : ٦/٤٢٤ إلى أن (عدد) تمييز لـ(كم) ، وصحّح هذا الوجه السمين الحلبي ٨/٣٧٣ . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/١٢٥ ، والإملاء للعكبري ٢/١٥٢ .

وَقُرِئَ : (قل كم لبثتم)^(١) ، وهذا له معنيان :

أحدهما : قل أيها الكافر المسؤول عن قدر لبثه ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢) .

والآخر : أن هذا أمر^(٣) لمن يسألهم يوم البعث^(٤) عن قدر مكثهم . والمعنى : قل أيها السائل عن لبثهم^(٥) .

١١٣ . قوله تعالى : ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ﴾ . قال ابن عباس : «وذلك أن الله أنساهم ما كانوا فيه من العذاب»^(٦) .

وقال مقاتل : «استقلوا ذلك ، يرون أنهم لم يلبثوا في قبورهم إلا يوماً أو بعض يوم»^(٧) .

قال المفسرون : «نسوا لعظم ما هم فيه من العذاب مدة مكثهم في الدنيا»^(٨) .

(١) قرأ ابن كثير وحزمة والكسائي : (قل كم لبثتم) بغير ألف على الأمر ، وقرأ الباقون : (قال) بألف على الخبر . انظر : السبعة ٤٤٩ ، والتبصرة ٢٧١ ، والتيسير ١٦٠ .

(٢) قال أبو زرعة بن زنجلة في حجة القراءات ٤٩٣ تنميًا لهذا الوجه : «فإخراج الكلام على وجه الأمر به للواحد والمراد الجماعة ، إذ كان المعنى مفهوماً ، والعرب تخاطب الواحد ومرادهم خطاب جماعة إذا عرف المعنى» .

(٣) في (ظ) : (الأمر) .

(٤) في (ظ) : (يوم القيامة البعث) .

(٥) قوله : (والمعنى : قل أيها السائل عن لبثهم) ، هذا كلام أبي علي في الحجة ٣٠٧/٥ .

(٦) ذكره عنه الزخشري ٤٥/٣ ، والرازي ١٢٦/٢٣ ، والقرطبي ١٥٥/١٢ ، وأبو حيان ٤٢٤/٦ .

(٧) تفسير مقاتل ٣٣/٢ ب .

(٨) ذكره البغوي ٤٣٢/٥ ، والقرطبي ١٥٥/١٢ ، ولم ينسبها إلى أحد .

وقوله : ﴿ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد العارفين بالحساب »^(١) .

وقال قتادة ومقاتل : « سل الحُساب »^(٢) .

قال مجاهد : « هم الملائكة »^(٣) .

قال مقاتل : « يعني ملك الموت وأعوانه »^(٤) .

وقال الكلبي : « فاسأل الملائكة الذين كانوا معنا في الدنيا »^(٥) .

قوله : (قال) ؛ أي قال الله تعالى ، أو قال الذي سألمهم عن قدر لبثهم .

وُقِرَّ (قل)^(٦) ، وهو أمرٌ للذي سألمهم عن قدر لبثهم ، ولا يجوز^(٧) أمراً للكافر كما قلنا في قوله : ﴿ قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ ، ولهذا فصل ابن كثير بينهما ، فقرأ الأولى (قل) على الأمر وهاهنا (قال)^(٨) .

(١) لم أجده .

(٢) رواه عن قتادة عبدالرزاق ٤٩ / ٢ ، والطبري ٦٣ / ١٨ ، وابن أبي حاتم ٢ / ٧ ب ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٢١ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، وهو في تفسير مقاتل ٢ / ٣٣ ب .

(٣) رواه الطبري ٦٣ / ١٨ ، وابن أبي حاتم ٣ / ٧ أ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٢٢ ، ونسبه أيضاً إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) تفسير مقاتل ٢ / ٣٣ ب .

(٥) لم أجده . قال الطبري ٦٣ / ١٨ بعد ذكره للأقوال : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جل ثناؤه : (اسأل العادين) ، وهم الذين يعدُّون عدد الشهور والسنين وغير ذلك ، وجائز أن يكونوا الملائكة ، وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم ، ولا حجة بأي ذلك من أيِّ ثبتت صحتها ، فغير جائز توجيه معنى ذلك إلى بعض العادين دون بعض » . وقال ابن عطية ١٠ / ٤١٠ : « وظاهر اللفظة أنهم أرادوا من يتَّصف بهذه الصِّفة ولم يعينوا ملائكة ولا غيرها » .

(٦) قرأ حمزة والكسائي : (قل إن لبثتم . . .) الآية ، على الأمر ، وقرأ الباقون : (قال) على الخبر . انظر : السبعة ٤٤٩ ، والتبصرة ٢٧١ ، والتيسير ١٦٠ .

(٧) في (أ) : (يجوز) .

(٨) انظر : السبعة ٤٤٩ ، والتبصرة ٢٧١ ، والتيسير ١٦٠ .

١١٤ . قوله : ﴿ قَدْ لَانَ لَيْثُكُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ؛ أي ما لبثتم في الأرض إلا قليلاً .

قال الكلبي : «لأن كل ما هو آتٍ قريب» .

يعني أن مكثهم في القبور وإن طال فإنه قليل لأنه متناهٍ ، ويجوز أن يكون قليلاً عند طول مكثهم في عذاب جهنم لأنه خلود لا يتناهي .

قوله عز وجل : ﴿ لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ؛ أي قدر لبثكم .

وقال مقاتل : «لو أنكم كنتم تعلمون إذن لعلمتم أنكم لم تلبثوا إلا قليلاً»^(١) .

١١٥ . قوله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ : العبث في اللغة : اللعب . يقال : عبث لعبث عبثاً فهو عبث لاعبٌ بما لا يعنيه وليس من باله^(٢) .

واختلفوا في انتصابه ؛ فمذهب سيبويه وقطرب أنه في موضع الحال^(٣) .

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ ب .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ٢/ ٣٣٢ بنصّه ، وهو في العين ١١١/ ٢ مع اختلاف يسير جداً ، وانظر : الصحاح للجوهري (عبث) ١/ ٢٨٦ .

(٣) ذكره عنهما الثعلبي ٣/ ٦٥ ب ، والحاكم الجشمي في التهذيب ٦/ ٢١٠ أ ، والقرطبي ١٢/ ١٥٦ ، ولم أقف عليه في الكتاب .

أي عابثين . والمعنى : أفحسبتم أنها خلقناكم باطلاً لغير شيء ، وهذا استفهام يتضمن الإنكار ؛ أي ما خلقناكم عابثين بل خلقناكم لنثيب المحسن ونعاقب المسيء .

وقال أبو عبيدة : «هو نصبٌ على المصدر»^(١) .

ويكون التقدير : عبثنا^(٢) بخلقكم عبثاً ، ويكون المعنى كما ذكرنا في الحال .

وعلى هذا المعنى دل كلام مقاتل^(٣) .

وقال آخرون : هو مفعولٌ له ؛ أي للعبث^(٤) .

وهو اختيار الأزهري^(٥) ، وعليه دلّ كلام ابن عباس لأنه قال : «يريد كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عذاب عليها ، مثل قوله : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] ؛ أي يهمل كما تهمل البهائم»^(٦) .

(١) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٦٥ ب ، والقرطبي ١٢/ ١٥٦ ، والحاكم الجشمي في التهذيب ٦/ ٢١٠ أ ، وليس في مجاز القرآن .

(٢) في (أ) : (عبثاً) .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ ب ، فيه : (لعباً وباطلاً لغير شيء) .

(٤) ذكره الثعلبي ٣/ ٦٥ ب ، ونسبه إلى بعض نحاة البصرة ، وانظر : الكشاف ٣/ ٤٥ ، والإملاء للعكبري ٢/ ١٥٢ ، والبحر المحيط ٦/ ٤٢٤ ، والدر المصون ٨/ ٣٧٤ .

(٥) تهذيب اللغة للأزهري (عبث) ٢/ ٣٣٢ .

(٦) ذكر هذا القول البغوي ٥/ ٤٣٢ ، والقرطبي ١٢/ ١٥٦ ، ولم ينسباه إلى أحد .

والمعنى على هذا القول : أفحسبتم أنكم خلقتم للعبث فتعبثوا ولا تعملوا بطاعة الله^(١) . وهذا المعنى أراد علي - رضي الله عنه - في قوله : يا أيها الناس اتقوا الله^(٢) ، فما خلق امرؤ عبثاً فيلهو ، ولا أهمل سدى فيلغو^(٣) .

وهذا الوجه هو الاختيار لقوله : ﴿وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٤) ؛ أي وحسبتم أنكم إلينا لا ترجعون في الآخرة للجزاء .

١١٦ . قوله تعالى : ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ﴾ . قال مقاتل : «ارتفع أن يكون خلق^(٥) شيئاً عبثاً ، ما خلق شيئاً إلا لشيء»^(٦) .

وقال غيره : «تعالى عما يصفه به الجاهل من الشركاء واتخاذ الأولاد»^(٧) .

قال أهل المعاني : تعالى الله بأن كل شيء سواه يصغر مقداره عن معنى صفته . ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ ؛ أي الذي يحق له الملك بأنه ملك غير مملوك ، وكل مملك غيره فملكه مستعار لأنه يملك^(٨) ما ملكه الله^(٩) .

ثم وحّد نفسه فقال : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ . قال الكلبي : «هو السرير الحسن»^(١٠) .

(١) لفظ الجلالة ليس في (أ) .

(٢) في (ظ) : (رَبِّكُمْ) .

(٣) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٦٥ ب .

(٤) في (أ) : (أَنْتُمْ) .

(٥) (خلق) ساقط من (أ) .

(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٣٣ ب ، ٣٤ أ .

(٧) هذا قول الطبري ١٨/ ٦٤ ، والثعلبي ٣/ ٦٥ ب .

(٨) في (أ) : (ملك) .

(٩) ذكر الطوسي في التبيان ٧/ ٣٥٥ هذا القول ، ولم ينسبه إلى أحد .

(١٠) ذكر البغوي ٥/ ٤٣٣ هذا القول ، ولم ينسبه إلى أحد .

قال ابن كثير ٣/ ٢٥٩ : «وصفه بأنه كريم أي حسن المنظر بهي الشكل ، كما قال تعالى : ﴿فَأَبْنِئْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان : ١٠]» .

وذكرنا أن الكريم في صفة الجهاد بمعنى الحسن^(١).

وارتفع^(٢) قوله : ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ ﴾ لأنه صفة قوله : ﴿ أَلَمَلِكُ الْحَقِّ ﴾ .

١١٧ . ثم أوعد من أشرك به فقال : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ لا بينة ولا حجة ولا شهادة له ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، ومقاتل^(٣) .

وقوله : ﴿ لَا بُرْهَانَ ﴾ من صفة النكرة ؛ أي إلهاً لم ينزل بعبادته كتاب ، ولا بعث بها رسول ، وليس من جواب الشرط ، وجواب الشرط قوله : ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾^(٤) . وهذا وعيد ؛ أي إن حساب عمله عند ربه فهو يجازيه بما يستحقه كما قال : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾^(٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ [الغاشية : ٢٥-٢٦] .

﴿ إِنَّهُ لَا يَقْلِبُ الْكَافِرُونَ ﴾ . قال ابن عباس : « لا يسعد من كذب وجحد ما جئت به وكفر نعمتي »^(٥) .

(١) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿ وَرَزَقُ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٤] .

(٢) في (أ) : (فارفع) .

(٣) رواه عن مجاهد الطبري ١٨ / ٦٤ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٥٥ . وقول مقاتل في تفسيره ٢ / ٣٤ أ .

(٤) قال الزخشري ٣ / ٤٥ : « ﴿ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ كقوله : ﴿ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ [آل عمران : ١٥١] وهي صفة لازمة نحو قوله : ﴿ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [الأنعام ٣٨] جيء بها للتوكيد ، لا أن يكون في الآلهة ما يجوز أنه يقوم عليه برهان ، ويجوز أن يكون اعتراضاً بين الشرط والجزاء كقولك : من أحسن إلى زيد لا أحق بالإحسان منه فالله مثيبه » . اهـ . وخرجه أبو حيان ٦ / ٤٢٥ على الصفة اللازمة أو على الاعتراض ، وقال : « وكلاهما تخريج صحيح » . انظر : الدر المصون ٨ / ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، وروح المعاني ١٨ / ٧١ ، ٧٢ .

(٥) ذكره البغوي ٥ / ٤٣٣ إلى قوله : (وجحد) . ولم ينسبه لأحد . وذكره القرطبي ١٢ / ١٥٧ من دون نسبة إلى أحد .

١١٨ . ثم أمر رسوله^(١) أن يستغفر للمؤمنين ويسأل لهم الرحمة ، فقال : ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد لمن صدقني » .

﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ : يريد أفضل من رحم .

قال مقاتل : « أي هو أفضل رحمة من الذين يرحمون »^(٢) .

* * *

(١) في (أ) : (رسول الله) .

(٢) في تفسير مقاتل ٢ / ٣٤ أ : « يعني أفضل رحمة من أولئك الذين لا يرحمون » .

تفسير



سورة النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا﴾ . قال أبو عبيدة والأخفش : ﴿سُورَةُ﴾ رفع بالابتداء ، وخبرها في ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾^(١) ، وهذا القول اختيار صاحب النظم .
وأنكر الفراء والمبرد والزجاج هذا القول .

(١) قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٦٣/٢ ، وقول الأخفش ذكره الثعلبي ٦٦/٣ ب ، ولم أجد قوله هذا في كتاب : معاني القرآن . وجوز ابن عطية في المحرر ٤١٤/١٠ ، وتبعه أبو حيان في البحر ٤٢٧/٦ ، والسمين الحلبي في الدر المصون ٣٧٧/٨ أن تكون (سورة) رفعاً بالابتداء وقوله (أنزلناها) صفة لها ، قال السمين : «وذلك هو المسوَّغ للابتداء بالنكرة» .
وفي الخبر عند هؤلاء وجهان :
أحدهما وهو قول ابن عطية : أن الخبر هو الجملة من قوله (الزانية والزاني) وما بعدها ، والمعنى : السورة المنزلة المفروضة كذا وكذا .
الثاني : الخبر محذوف مقدم ؛ أي في ما يتلى عليكم سورة ، أو في ما يوحى إليك سورة ، أو في ما أنزلنا سورة ، قاله أبو حيان والسمين .

فقال الفرّاء : « ترفع السورة بإضمار هذه سورة أنزلناها ، ولا ترفعها^(١) »راجع ذكرها^(٢) ؛ لأن النكرات لا يبتدأ بها قبل أخبارها ، إلا أن يكون ذلك جواباً ، ألا ترى أنك لا تقول : رجل قام ، إنما الكلام أن تقول : قام رجلٌ . والنكرة^(٣) إنما توصل ثم يخبر عنها بخبر سوى الصلة . فيقال : رجل^(٤) أعجب إليّ رجل لا يقوم . ويقبح أن تقتصر على صلتها وتجعلها الخبر كقولك : رجل ضربته ؛ إذ^(٥) كنت كالمنتظر بعد الصلة ويحسن في الجواب ؛ لأن القائل يقول لك : من في الدار ؟ فتقول : رجل^(٦) .

وقال المبرد : « ﴿سُورَةٌ﴾ رفع على خبر الابتداء ، لا على الابتداء لأنها نكرة ، وتأويله : هذه سورة أنزلناها ، ونظير ذلك قولك : رجلٌ والله ؛ أي هذا رجلٌ ، وكذلك إذا قلت : خير ، عند قول القائل : ما أمرك ؟ فإنما التقدير : هو خير ، أو : أمري خير . وكذلك قول القائل عند شدة البرد والحر : برد شديد وحر شديد^(٧) .

وقال الزّجاج : « وجه الرفع : هذه سورة أنزلناها . ورفعها بالابتداء قبيح ؛ لأنها نكرة ، و ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ صفة لها^(٨) .

قوله : ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ : قرئ بالتخفيف والتشديد^(٩) .

-
- (١) في (ظ) و(ع) : (ولا ترفع) ، والمثبت من (أ) معاني القرآن للفرّاء .
 - (٢) في (أ) : (وذكرها) .
 - (٣) عند الفرّاء : « وقيح تقديم النكرة قبل خبرها أنها توصل ثم يخبر عنها » .
 - (٤) (رجل) ساقطة من (ع) .
 - (٥) في (ظ) و(ع) : (إذا) .
 - (٦) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٤٤ مع اختلاف وتصرف .
 - (٧) ذكره القرطبي في تفسيره ١٢ / ١٥٨ عن المبرد باختصار .
 - (٨) معاني القرآن للزّجاج ٤ / ٢٧ ، وفيه : (فأما الرفع فعلى إضمار هذه سورة) . وقد تقدّم ذكر قول السمين في بيان المسوّغ للابتداء بالنكرة .
 - (٩) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (وَفَرَضْنَاهَا) بالتشديد ، وقرأ الباقر بالتخفيف (وَفَرَضْنَاهَا) . انظر : السبعة لابن مجاهد ٤٥٢ ، والتيسير للداني ١٦١ والغاية للنيسابوري ٢١٧ ، والنشر لابن الجزري ٢ / ٣٣٠ .

قال أبو إسحاق : «من خفف فمعناها : ألزمتكم العمل بما فرض فيها . ومن قرأ بالتشديد فهو على التكثير على معنى : إنما فرضنا فيها فروضاً . ويجوز أن يكون على معنى : بيّنا وفصلنا ما فيها من الحلال والحرام»^(١) .

وذكرنا معنى الفرض في اللغة عند قوله : ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ [البقرة :

١٩٧] .

وقال أبو علي : «معنى ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ فرضنا فرائضها ؛ أي الفرائض المذكورة فيها^(٢) فحذف المضاف . والتخفيف يصلح للقليل والكثير ، ومن حجة التخفيف قوله : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ [القصص : ٨٥] ، والمعنى : أحكام القرآن وفرائض القرآن ، كما أن التي في هذه السورة كذلك . والتثقيل في ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ لكثرة ما فيها من الفرائض»^(٣) .

قال ابن عباس في رواية مجاهد في قوله : ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ : «بيّناها»^(٤) (٥) .

وهو قول مقاتل^(٦) ، وقال في رواية عطاء : «يريد : وحددناها» .

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٧/٤ ، والعبارة فيه : «ومن قرأ بالتشديد فعلى وجهين ، أحدهما على معنى أنا فرضنا . . . ، وعلى معنى بيّنا وفصلنا» .

(٢) هذا الكلام المعارض من كلام الواحدي . وقد تقدّم ذكر قول السمين في بيان المسوّخ للابتداء بالنكرة .

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي ٣٠٩/٥ مع تقديم وتأخير . وقيل التشديد للمبالغة في الإيجاب وتوكيداً . وانظر في توجيه القراءتين أيضاً : علل القراءات للأزهري ٤٤٥/٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٩٨/٢ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٩٤ ، والبحر المحيط ٤٢٧/٦ ، والدر المصون ٣٧٩/٨ .

(٤) (بيناها) ساقطة من (ع) ، وبدلاً منها : (يعني الأمر) ، وهو انتقال نظر من الناسخ .

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧/٧ من طريق مجاهد عن ابن عباس به ، وانظر : تعليق التعليق ٢٦٣/٤ ، ٢٦٤ . ورواه الطبري في تفسيره ٦٦/١٨ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به .

(٦) تفسير مقاتل ٣٤/٢ أ .

وقال مجاهد: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ يعني الأمر بالحلال والنهي عن الحرام^(١).

وهذا يعود إلى معنى: أوجبناها، ويجوز أن تكون بمعنى التبيين.

والنكتة في التفسير ما ذكره أبو علي من أن هذا من باب حذف المضاف^(٢).

٢. قوله عز وجل: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾: ذكرنا الكلام في وجه ارتفاع الزانية عند قوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾: الآية [المائدة: ٣٨]^(٣).

﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ معنى الجلد في اللغة: ضرب الجلد.

يقال: جلده إذا ضرب جلده، كما تقول: رأسه وبطنه إذا ضرب رأسه وبطنه^(٤). وليس حكم^(٥) الآية على ظاهرها^(٦)؛ لأن جلد المائة ليس حد كل زانٍ على الإطلاق، إنما هو حد الزاني إذا كان حراً^(٧) بالغاً بكرًا غير محصن، وكذلك الزانية تجلد مائة إذا كانت بهذه الصفة.

(١) رواه الطبري ١٨/٦٥، وابن أبي حاتم ٧/٦ أ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/١٢٤، وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي ٥/٣٠٩.

(٣) (الزانية) رفع بالابتداء، وفي خبرها وجهان:

أحدهما: إنه محذوف. قال سيبويه ١/١٤٣: «كأنه لما قال جل ثناؤه: ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ قال: في الفرائض الزانية والزاني، أو: الزانية والزاني في الفرائض». اهـ. وقدّر بعضهم: في ما يتلى عليكم الزانية.

الثاني: إن خبره جملة الأمر ﴿فَاجْلِدُوا﴾، ودخلت الفاء لشبه المبتدأ بالشرط، وهو قول الفراء والزجاج والمبرد والزخشي وغيرهم. انظر: معاني القرآن للفراء ٢/٢٤٤، ومعاني القرآن للزجاج ٤/٢٨، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ٢/٥٠٨، والكشاف: ٣/٤٧، والبيان للأنباري ٢/١٩١، والبحر المحيط ٦/٤٢٧، والدر المصون ٨/٣٧٩.

(٤) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (جلد) ١٠/٦٥٦.

(٥) (حكم) ساقطة من (أ).

(٦) لو قيل: وليس حكم، والآية على عمومها لكان أولى.

(٧) موضع الحاء من قوله: (حراً) بياض في (ع).

فالمراد بالزانية والزاني المذكورين في هذه الآية : هما اللذان جمعا هذه الأوصاف ، وجلدهما يجب بنص الكتاب ، وتغريب عام يجب بالسنة^(١) .

قوله : ﴿ وَلَا تَأْخُذْ بِمَا رَأَفُ ﴾ : يقال : رؤف : رؤف رأفة ورأفة ، مثل النشأة والنشأة^(٢) . قال أبو زيد : « رأف يرأف ، وكل من كلام العرب »^(٣) .

وقرأ ابن كثير : (رَأَفَةً) هاهنا بفتح الهمزة^(٤) .

قال أبو علي : « ولعل التي قرأها ابن كثير لغة »^(٥) .

-
- (١) روى البخاري في صحيحه في كتاب : الحدود ، باب : البكران يجلدان وينفيان ١٥٦/١٢ : « عن زيد بن خالد الجهني قال : سمعت النبي ﷺ يأمر في من زنى ولم يحصن جلد مئة وتغريب عام » .
- (٢) في (ظ) و(ع) : (رأف) .
- (٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/٢٤٥ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤/٢٨ ، وتهذيب اللغة للأزهري (رؤف) ١٥/٢٣٨ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/٦٧ أ .
- (٤) قول أبي زيد في تهذيب اللغة للأزهري (رؤف) ١٥/٢٣٨ ، والحجة لأبي علي الفارسي ٥/٣١٠ ، وقد نقله الواحدي عن أحدهما ، فظهر بذلك أن في (رأف) ثلاث لغات : رؤف ، رأف ، رثف . ولذا قال الفيروزآبادي ٣/١٤٢ : « رأف الله تعالى بك مثله » . انظر : الصحاح للجوهري ٤/١٣٦٢ ، ولسان العرب لابن منظور (رأف) ٩/١١٢ .
- (٥) أي (رأفة) ، وقرأ الباقون بإسكان الهمزة . انظر : السبعة لابن مجاهد ٤٥٢ ، والتيسير للداني ١٦١ ، والغاية للنيسابوري ٢١٧ ، والنشر لابن الجزري ٢/٣٣٠ .
- (٦) الحجة للفارسي ٥/٣١٠ . قال مكّي في الكشف ٢/١٣٣ : « وهما لغتان في (فعل وفَعْلَة) إذا كان حرف الخلق عينه أو لامه . والفتح الأصل ، وهو مصدر ، والإسكان فيه أكثر وأهر » . انظر : علل القراءات للأزهري ٢/٤٤٦ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/٩٩ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٩٥ .

ولم يقرأ التي في سورة الحديد وهي قوله : ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً﴾ [الحديد: ٢٧] مفتوحة الهمز^(١) ؛ لأن العرب لا تجمع بين أكثر من ثلاث فتحات^(٢) ، ولو فتح الهمز في الحديد لاجتمع أربع فتحات .

وذكر قولان في معنى هذه الآية :

أحدهما : ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ فتعطلوا الحد ولا تقيموه رحمة عليهما وشفقة . وهو قول مجاهد في رواية ابن أبي نجيح^(٣) ، والكلبي^(٤) ، وعطاء^(٥) ،

(١) قرأ ابن كثير آية الحديد بإسكان الهمزة كالباقين . انظر : السبعة لابن مجاهد ٤٥٢ والتيسير للداني ١٦١ ، والنشر لابن الجزري ٢ / ٣٣٠ .

(٢) من قوله : (لأن العرب . . .) إلى هنا ، هذا كلام الثعلبي في الكشف والبيان ٣ / ٦٧ أ .

(٣) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢ / ٥٠ ، وفي مصنفه ٧ / ٣٦٧ ، وابن أبي شيبه في مصنفه ١٠ / ٦٣ ، ٦٤ ، والطبري ١٨ / ٦٧ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧ / ٧ أ عن طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٢٥ عن مجاهد ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢ / ٥٠ ، وفي مصنفه ٧ / ٣٦٧ .

(٥) رواه عبدالرزاق في مصنفه ٧ / ٣٦٧ ، وسعيد بن منصور في تفسيره : ل ١٥٧ ب ، وابن أبي شيبه في مصنفه ١٠ / ٦٤ ، والطبري ١٨ / ٦٧ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٧ أ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٢٥٨ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

ومقاتل^(١)، وسعيد بن جبير^(٢)، والشعبي^(٣)، وابن زيد، وسليمان بن يسار، وأبي مجلز، قالوا^(٤) في هذه الآية: «ليس للسلطان إذا رفعوا إليه أن يدعهم رحمة لهم حتى يقيم عليهم الحد»^(٥).

وهو اختيار الفراء وأبي علي.

قال الفراء: «يقول: لا ترأفوا بالزاني والزانية فتعطلوا حدود الله»^(٦).

وقال أبو علي: «كأنه نهى عن رحمتها؛ لأن رحمتها قد تؤدي إلى تضييع الحد وترك إقامته عليهما»^(٧).

القول الثاني: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ فتخففوا الضرب، ولا توجعوهما.

وهو قول الحسن، وسعيد بن المسيب، والزهري، وإبراهيم، وقتادة، كل هؤلاء قالوا^(٨): «يوجع الزاني ضرباً، ولا يخفف رأفة».

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٣٤ أ.

(٢) ذكره عنه الثعلبي ٦٧/ ٣ أ، وروى الطبري ٦٧/ ١٨، وابن أبي حاتم ٧/ ٧ أ عنه في قوله: (ولا تأخذكم بهما رأفة) قال: «الجلد».

(٣) ذكره عنه الثعلبي ٦٧/ ٣ أ، وروى ابن أبي شيبة في مصنفه ٦٣/ ١٠، والطبري ٦٨/ ١٨ عنه قال: «الضرب»، وزاد الطبري: «الشديد»، وروى عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٦/ ١٢٥ عنه وعن إبراهيم النخعي قالاً: «شدة الجلد في الزنا، ويعطى كل عضو من حقه». وهذه الرواية ورواية الطبري مشعرة بأن الشعبي يقول بالقول الثاني. والله أعلم.

(٤) في (ع): (قال وفي).

(٥) هذا كلام أبي مجلز.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤٥.

(٧) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٣١٠.

(٨) ذكره الثعلبي ٦٧/ ٣ أ عن الحسن وسعيد، وروى الطبري ٦٨/ ١٨ عنهما قالاً: «الجلد الشديد»، ورواه ابن أبي حاتم ٧/ ٧ أ بهذا اللفظ عن الحسن وحده، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢٥ عن الحسن، وعزاه إلى عبد بن حميد والطبري، ورواه عن الزهري وقتادة، عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٥٠، =

قال الزهري وقتادة : «يجتهد في حد الزانين ، ولا يخفف كما يخفف في الشرب» .

وجلد ابن عمر جارية له^(١) قد أحدثت^(٢) .

قال نافع^(٣) : «فقلت له : ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ ! قال : أو أخذني بها رأفة ؟ إن الله لم يأمرني أن أقتلها ولا أن أجعل جلدتها في رأسها ، وقد أوجعت حين ضربت»^(٤) .

والطبري ٦٨/١٨ ، وروى عبد بن حيد كما في الدر المنثور ١٢٥/٦ عن إبراهيم- يعني النخعي- وعامر يعني الشعبي في قوله : ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ قالوا : «شدة الجلد في الزنا ، ويعطى كل عضو منه حقه» . لكن روى ابن أبي شيبة في مصنفه ٦٣/١٠ ، والطبري ٦٣/١٨ عنه قال : «الضرب» . ولذا ذكره الثعلبي ٦٧/٣ أمع القائلين بالقول الأول ، وقبله الطبري ؛ فإنه لما ذكر الروايات عن قاتلي القول الأول ذكر الرواية عن إبراهيم بأنه الضرب .

(١) (له) ساقطة من (ع) .

(٢) أحدثت ؛ أي زنت . انظر : لسان العرب (حدث) ١٣٤/٢ .

(٣) ظاهر سياق الواحدي لهذا الأثر عن ابن عمر أن نافعاً هو مولى ابن عمر ، أبو عبدالله المدني ، وهو الذي قال لابن عمر : (فقلت له . . .) . والصحيح أن نافعاً هذا هو أحد رواة هذا الأثر كما سنبين ذلك عند سوقنا للروايات وقد وهم الواحدي في سياقه لهذا الأثر . ونافع هنا هو نافع بن عمر بن عبدالله ، الجمحي ، الإمام الحافظ ، المكي .

(٤) رواه الطبري ٦٦/١٨ ، ٦٧ قال : «حدثنا أبو هشام ، قال : حدثنا يحيى بن أبي زائدة ، عن نافع بن عمر تصحف في المطبوع إلى : نافع عن ابن عمر ، عن ابن أبي مليكة ، عن عبيد الله بن عبدالله بن عمر قال : جلد ابن عمر جارية له أحدثت ، فجلد رجلها . قال نافع : وحسبت أنه قال : وظهرها فقلت : ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ ! فقال : وأخذتني بها رأفة ، إن الله لم يأمرني أن أقتلها» .

ورواه ابن أبي حاتم ٦٧/٦ قال : «حدثنا عمرو بن عبدالله الأودي ، حدثنا وكيع ، عن نافع ، عن ابن أبي مليكة ، عن عبيد الله بن عبدالله بن عمر : أن جارية لابن عمر زنت ، فضرب رجلها . قال نافع : أراه قال وظهرها . قال : قلت : لا تأخذكم بها رأفة في دين الله ! قال : يا بُنَيَّ ورأيتني أخذتني بها رأفة ! إن الله لم . . . ضربت» .

يتبين بذلك أن قول نافع معترض في الرواية لبيان أنه يظن أن عبيد الله قال في حديثه : (وظهرها) ، ثم عاد إلى سوق الرواية فقله : (فقلت) : القائل هو عبيد الله بن عبدالله بن عمر ، يقول لأبيه عبدالله وقد جاء هذا الأثر من غير رواية نافع ، فرواه عبدالرزاق في مصنفه ٣٧٦/٧ ، والطبري ٦٧/١٨ ،

وذكر الزَّجَّاج القولين جميعاً^(١).

قوله : ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾ . قال ابن عباس : «في حكم الله ، كقوله : ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف : ٧٦] ؛ أي في : حكمه»^(٢).

وقال مقاتل : «في أمر الله»^(٣).

﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ . قال مقاتل : «يعني إن كنتم تصدقون بتوحيد الله وبالبعث الذي فيه جزاء الأعمال فلا تعطلوا الحد»^(٤).

وهذا يقوِّي القول الأول ؛ لأن قوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ كالوعيد في ترك الحد ، ومثل هذا الوعيد لا يلحق في التخفيف .

قوله : ﴿وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا﴾ ؛ أي وليحضر ضرب الزانين .

والبيهقي في السنن ٢٤٥ / ٨ من طريق ابن جريج قال : «سمعت ابن أبي مليكة يقول : حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عمر : أن عبد الله بن عمر حد جارية له ، . . . » ، فذكره بنحوه .
وإسناد الطريق الأول والثاني صحيح .

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٨ / ٤ . قال ابن العربي في أحكام القرآن ١٣٢٦ / ٣ : «وهو عندي محمول عليهما جميعاً ، فلا يجوز أن تحمل أحداً رافةً على زانٍ بأن يسقط الحد أو يخففه عنه» .

(٢) ذكره عنه ابن الجوزي ٨ / ٦ مختصراً ، وذكره بمثل ما هنا الثعلبي في الكشف والبيان ٦٧ / ٣ أ ، والقرطبي ١٦٦ / ١٢ من غير نسبة إلى أحد .

(٣) تفسير مقاتل ٢ / ٣٤ أ .

(٤) تفسير مقاتل ٢ / ٣٤ أ .

﴿طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) : رجل فما فوقه إلى ألف^(٢) .

وهو قول ابن عباس في رواية الكلبي عن أبي صالح^(٣) ، وإبراهيم^(٤) .

وقال عطاء : «رجلان فصاعداً»^(٥) .

وهو قول عكرمة^(٦) ، ومقاتل بن سليمان ، قال : «يعني رجلين فصاعداً ، يكون ذلك نكالا لهما»^(٧) .

وقال الزهري : «ثلاثة فصاعداً»^(٨) .

وقال ابن زيد : «أربعة بعدد من تقبل شهادته على الزنا»^(٩) .

وقال الحسن : «﴿طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي عشرة»^(١٠) .

(١) في (أ) : زيادة (قال) بعد قوله : (المؤمنين) .

(٢) هذا قول مجاهد ، رواه عنه الطبري ٦٩ / ١٨ وابن أبي حاتم ٧ / ٧ ب .

(٣) روى الفراء في معاني القرآن ٢ / ٢٤٥ قال : «حدثني حبان ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس أنه واحد فما فوقه» ، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧ / ٧ ب من طريق علي بن أبي طلحة عنه ، من غير قوله : (إلى ألف) .

(٤) ذكره الثعلبي ٦٧ / ٣ ب . ورواه الطبري ٦٩ / ١٨ .

(٥) ذكره الثعلبي ٦٧ / ٣ ب ، ورواه عبدالرزاق في تفسيره ٢ / ٥٠ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٠ / ٦٠ ، والطبري ٦٩ / ١٨ .

(٦) ذكره الثعلبي ٦٧ / ٣ ب ، ورواه الطبري ٦٩ / ١٨ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٧ ب .

(٧) تفسير مقاتل ٢ / ٣٤ أ .

(٨) ذكره عنه الثعلبي ٦٧ / ٣ ب ، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٠ / ٦١ ، والطبري ١٨ / ٧٠ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٨ أ .

(٩) ذكره عنه الثعلبي ٦٧ / ٣ ب ، ورواه الطبري ١٨ / ٧٠ .

(١٠) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٠ / ٦١ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٢٦ ، وعزاه إلى عبد بن حميد .

وقال قتادة : «نفر من المسلمين»^(١) .

وروي عن ابن عباس : «أربعة إلى أربعين»^(٢) .

قال أبو إسحاق : «أمّا من قال : واحد فهو على غير ما عند أهل اللغة ؛ لأن الطائفة في معنى جماعة ، وأقل الجماعة اثنان . فأقل ما يجب في الطائفة عندي اثنان . والذي ينبغي أن يتحرّى في شهادة عذاب الزنا^(٣) أن يكونوا جماعة ؛ لأن الأغلب على الطائفة الجماعة»^(٤) .

٣ . قوله تعالى : ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

كثر الاختلاف من المفسرين والعلماء وأهل المعاني في معنى الآية وسبب نزولها وتأويلها ، وسأذكر فيها بعون الله تعالى ما يفتح الغلق ويُسيغ الشرق^(٥) .

(١) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٦٧ ب ، ورواه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٥٠ ، والطبري ١٨/ ٧٠ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٨٨ .

(٢) ذكره عنه النيسابوري في غرائب القرآن ١٨/ ٥٧ من دون قوله : (أربعة) ، وزاد من المصدقين بالله .

(٣) في معاني القرآن ٤/ ٢٩ : «عذاب الزاني» .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٨ ، ٢٩ . قال أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن ٣/ ١٣٢٨ : «سياق

الآية هاهنا يقتضي أن يكونوا جماعة لحصول المقصود من التشديد والعظة والاعتبار» ، ثم قال : «والصحيح سقوط العدد واعتبار الجماعة الذين يقع بهم التشديد من غير حد» .

(٥) الشَّرْق : الشَّجَا والغصة . الصحاح للجوهري (شرق) ٤/ ١٥٠١ .

روى القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمرو في هذه الآية قال : « كانت نساء بالمدينة بغايا ، فكان الرجل المسلم يتزوج المرأة منهن لتنفق عليه ، فنهوا عن ذلك »^(١) .

وقال الزهري : « كان في الجاهلية بغايا معلوم ذلك منهن ، فأراد ناسٌ من المسلمين نكاحهن ، فأنزل الله هذه الآية »^(٢) .

وقال القاسم بن أبي بزة : « كان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية التي قد علم ذلك منها يتخذها مأكلة ، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة فنهوا عن ذلك »^(٣) .

وروى الكلبي بإسناد عن ابن عباس في نزول هذه الآية : « أن المهاجرين لما قدموا المدينة لم يكن لهم مساكن ينزلونها ولا عشائر يؤوونهم وكان في المدينة بغايا متعاملات بالفجور ، ولهن علامات كعلامات البياطرة »^(٤) ، وكنَّ مخاصيب^(٥)

(١) رواه الطبري في تفسيره ٧١ / ١٨ ، والحاكم في مستدركه ٣٩٦ / ٢ من طريق القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمر وينحوه ، وقد رواه الإمام أحمد في مسنده ١٩٤ / ٩ ، ١٩٥ ، والنسائي في تفسيره ١١٠ / ٢ ، والحاكم في مستدركه ١٩٣ / ٢ ، ١٩٤ ، والطبري ٧١ / ١٨ ، وابن أبي حاتم ١١١ / ٧ من طريق آخر عن القاسم بن محمد ، عن عبد الله بن عمر : « أن رجلاً من المسلمين استأذن رسول الله ﷺ في امرأة يقال لها أم مهزول ، وكانت تسافح ، وتشرط له أن تنفق عليه . قال فاستأذن رسول الله ﷺ ، أو ذكر له أمرها . قال : فقرأ عليه رسول الله ﷺ الآية » . وقد ضَعَف العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند ١٩٤ / ٩ ، ١٩٥ إسناده الطريقتين ، وقال النحاس في معاني القرآن ٤٩٩ / ٤ : « حديث القاسم عن عبد الله مضطرب الإسناد » .

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٥٠ / ٢ ، ٥١ ، والطبري في تفسيره ٧٣ / ١٨ .

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٥١ / ٢ ، والطبري في تفسيره ٧٣ / ١٨ .

(٤) البياطرة : جمع بيطار ، وهو معالج الدواب . لسان العرب (بطر) ٦٩ / ٤ .

(٥) في (أ) : (مخاطيب الرجال) ، وفي (ظ) : (مخاصيب الرجال) ، وفي (ع) : (مخاضيب الرجال) ، ولعلها : مخاصيب الرِّحال . ففي تفسير ابن أبي حاتم ٨ / ٧ ب ، والدر المنثور ١٢٩ / ٦ عن مقاتل بن حيان : « وكنَّ من أخصب أهل المدينة » . قال ابن منظور في لسان العرب (خصب) ٣٥٦ / ١ : « والرجل إذا كان كثير خير المنزل يقال : إنه خصيب الرِّحل » .

الرَّحَال ، فقال أولئك الذين ليس لهم مساكن ولا عشائر : لو أنا تزوجنا من هؤلاء فسكنّا معهن في منازلهن ، ونصيب من طعامهن وكسوتهن ، فأتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له من شأنهم . فنزلت هذه الآية^(١) .

ونحو هذا روى العوفي^(٢) وشعبة^(٣) مولى ابن عباس عنه .

- (١) لم أجده من هذه الرواية ، وقد تقدّم أن رواية الكلبي عن ابن عباس باطلة .
- (٢) رواية العوفي عن ابن عباس رواها الطبري ١٨ / ٧٢ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٩٩ ، وهي ضعيفة .
- (٣) هو شعبة بن دينار وقيل : اسم أبيه يحيى الهاشمي مولاهم ، أبو عبدالله ويقال : أبو يحيى ، مولى عبدالله بن عباس ، روى عن مولاة ، وروى عن ابن أبي ذئب وعدد من أهل المدينة ، توفي في خلافة هشام بن عبد الملك . قال أحمد : « ما أرى به بأساً » ، وقال ابن معين في رواية : « ليس به بأس » ، وقال ابن عدي : « أرجو أنه لا بأس به » ، وقال العجلي : « جائر الحديث » ، وضعّفه آخرون ؛ فقد سئل عنه مالك فقال : « ليس بثقة » ، وقال ابن معين في رواية : « لا يكتب حديثه » ، وقال أبو حاتم والنسائي والجوزجاني : « ليس بالقوي » ، وقال أبو زرعة والساجي : « ضعيف » ، وقال البخاري : « يتكلم فيه مالك ، ويحتمل منه » ، وقال ابن سعد : « ولا يحتج به » ، وقال ابن حبان : « روى عن ابن عباس ما لا أصل له حتى كأنه ابن عباس آخر » ، وقال ابن حجر : « صدوق سيء الحفظ » . انظر : العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل ٢ / ٣٥ ، والجرح والتعديل ٤ / ٣٦٧ ، وطبقات ابن سعد ٥ / ٢٩٤ ، وأحوال الرجال للجوزجاني ١٣٣ ، والضعفاء والمتروكين للنسائي ٢٥٦ ، والمجروحين لابن حبان ٢ / ٣٦١ ، والكمال والضعفاء لابن عدي ٤ / ١٣٣٩ ، وميزان الاعتدال للذهبي ٢ / ٢٧٤ ، وتهذيب التهذيب ٤ / ٣٤٦ ، وتقريب التهذيب ١ / ٣٥١ .
- ورواية شعبة عن ابن عباس رواها ابن أبي شيبة في مصنفه ٤ / ٢٧٢ ، والطبري ١٨ / ٧٢ ، وذكر السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٢٩ هذه الرواية من طريق شعبة وتصحفت في المطبوع إلى سعيد عن ابن عباس ، ونسبها أيضاً إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه ، وليس عند ابن أبي حاتم ٧ / ٩ أذكر سبب النزول . وهذه الرواية عن ابن عباس ضعيفة لسوء حفظ شعبة .

وهو قول عكرمة ، ومجاهد ، وعطاء بن أبي رباح^(١) ، ومقاتل بن حيان^(٢) ، ومقاتل بن سليمان^(٣) ، والشعبي^(٤) ، وأكثر أهل التفسير^(٥) ، واختيار الفراء والزجاج^(٦) .

وعلى هذا القول حرم على المؤمنين أن يتزوجوا تلك البغايا المعلنات بزناهن ، وذكر أن من فعل ذلك وتزوج واحدة منهن فهو زانٍ . والآية خاصة في تحريم نكاح المعلنة بزناها ، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء^(٧) .

وروى عطاء عن ابن عباس في هذه الآية قال : «يريد لا يحل لمؤمن أن يتزوج زانية مشهورة بالزنا ولا عابد صنم ، ولا يحل لمؤمنة أن تتزوج مشركاً من عبدة الأصنام ولا مشهوراً بالزنا» .

ومذهب مجاهد في هذه الآية أن التحريم لم يكن إلا على أولئك خاصة دون الناس^(٨) .

(١) ذكره الثعلبي ٦٨/٣ أ عن عكرمة ومجاهد وعطاء ، وعن عكرمة رواه الطبري ٧٣/١٨ . وعن مجاهد

رواه عبدالرزاق في تفسيره ٥٠/٢ ، ٥١ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٧٢/٤ ، ٢٧٣ ، والطبري

٧٢/١٨ ، وابن أبي حاتم ٨/٧ ب . وعن عطاء رواه الطبري ٧٢/١٨ ، وابن أبي حاتم ١١/٧ أ .

(٢) رواه ابن أبي حاتم ٩/٧ أ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٢٧/٦ ، وعزه إلى ابن أبي حاتم .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٢/٣٤ أ ب .

(٤) ذكره عنه الثعلبي ٦٨/٣ أ ، ورواه الطبري ٧٣/١٨ .

(٥) انظر : الطبري ٧١-٧٣ ، والثعلبي ٦٨/٣ أ ، والدر المنثور للسيوطي ١٢٧/٦-١٣٠ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/٢٤٥ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤/٢٩ .

(٧) روى الطبري ٧٢/١٨ معنى هذا عن عطاء ، وفي آخره : « قيل له يعني لعطاء أبلغك عن ابن عباس ؟ قال : نعم » .

(٨) ذكر هذا القول عن مجاهد أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٠١ بعد أن روى عنه أنه قال في قوله : ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ﴾ الآية : « كان رجال يريدون الزنا بنساء زوان بغايا معلنات ، كنَّ كذلك في الجاهلية ، فقيل لهم : هذا حرام ، فأرادوا نكاحهن فحرم عليهم نكاحهن » .

ومذهب سعيد بن المسيب أن هذه الآية منسوخة ، نسختها التي بعدها وهي قوله : ﴿ وَأَنكَحُوا الْأَيَمَىٰ مِنكُم ﴾ [النور : ٣٢] ، قال : «يقال إن الزواني من أيامي المسلمين»^(١) .

قال أبو عبيد : «فمذهب^(٢) سعيد ومجاهد في تأويلها هو الرخصة في تزويج البغي ، إلا أن سعيداً أراد أن التحريم كان عاماً ثم نسخته الرخصة ، وأراد مجاهد أن التحريم لم يكن إلا على أولئك خاصة دون الناس»^(٣) .

وقد جاءت أخبار فيها دلائل على جواز تزويج الزانية :

وهي ما روي أن رجلاً ضاف رجلاً ، فافتض أخته ، فرفع إلى أبي بكر - رضي الله عنه - فسألها ، فاعترفا ، فجلدهما مائة مائة ، ثم زوّج أحدهما من الآخر مكانه ، ونفاهما سنة^(٤) .

وروي أن غلاماً فجر بجارية ، فسُئلا ، فاعترفا ، فجلدهما عمر بن الخطاب ، ثم حرص على أن يجمع بينهما فأبى الغلام^(٥) .

(١) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٠٠ ، وسعيد بن منصور في تفسيره : ل ١٥٧ ب ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٤ / ٢٧١ ، والطبري ١٨ / ٧٤ ، ٧٥ ، والبيهقي في سننه ٧ / ١٥٤ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٣٠ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد وابن المنذر وغيرهما .

(٢) في (أ) : (ذهب) .

(٣) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ١٠١ .

(٤) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٠١ ، ١٠٢ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٨ / ٢٢٣ عن ابن عمر أو صفية وهي بنت أبي عبيد . ورواه بنحوه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤ / ٢٤٩ عن الزهري .

(٥) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٠٢ ، وسعيد بن منصور في سننه ١ / ٢١٦ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٤ / ٢٤٨ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٧ / ١٥٥ .

وروي عن ابن مسعود أنه سُئل عن الرجل يفجر بالمرأة ثم يريد أن يتزوجها ؟ قال : « لا بأس بذلك »^(١) .

وقال جابر بن عبد الله في مثل هذا : « أوله حرام وآخره حلال »^(٢) .

وبَيَّنَّ ابن عباس في ما روى عنه عكرمة لهذا تمثيلاً حسناً ، فقال : « إنما مثل ذلك مثل رجل أتى حائطاً فسرَق منه ، ثم أتى صاحبه فاشترى منه^(٣) ، فما سرق حرام وما اشترى حلال »^(٤) .

والإجماع اليوم على هذا ، وهو أن تزوج الزانية يصح^(٥) ، وإن زنت لم يفسد النكاح^(٦) .

قال الضحاك : « إذا فجرت لم يفرَّق بينهما ، كما أنه لو فجر لم يفرَّق بينهما »^(٧) .

(١) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٠٣ ، والبيهقي في السنن الكبرى ١٥٦/٧ . وقد جاء خلاف هذا القول عن ابن مسعود ، فقد روى سعيد بن منصور في سننه ٢١٨/١ ، والبيهقي في السنن الكبرى ١٥٦/٧ عنه في الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها ؟ قال : « لا يزالان زانين ما اجتماعا » . قال البيهقي : « ومع من رخص فيه دلائل الكتاب : والسنة » .

(٢) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٠٣ . وقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٤٩/٤ ، ٢٥٠ عن جابر رضي الله عنه - قال : « إذا تابا وأصلحا فلا بأس » .

(٣) في (ع) زيادة (ما سرق) بعد قوله : (فاشترى منه) .

(٤) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٠٤ عن ابن عباس ، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٤٩/٤ عن عكرمة قال : « لا بأس هو بمنزلة رجل سرق نخلة ثم اشتراها » .

(٥) في (ظ) و(ع) : (فيصح) مهملة .

(٦) انظر : الحاوي ١٨٨-١٩٠ ، والمغني ٥٦١-٥٦٥ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧٠/١٢ .

(٧) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٠٥ .

قال أبو عبيد : «فهذا مذهب من رأى أن الآية منسوخة غير معمول بها ، ولهذا ترخصوا في تزويج البغايا وإمساكنهن . وهي عند آخرين من العلماء على غير ذلك يرونها محكمة قائمة ، ويفسدون النكاح فجورُها»^(١) .

روي أن علياً - رضي الله عنه - فرّق بين زوجين بزنا أحدهما»^(٢) .

وروي مثل هذا عن الحسن^(٣) وإبراهيم^(٤) .

قال أبو عبيد : «إذا عاين منها الفجور لم يكن ذلك تحريماً بينهما ولا طلاقاً ، غير أنه يؤمر بطلاقها أمراً ويخاف عليه الإثم في إمساكها»^(٥) ؛ لأن الله تعالى إنما اشترط على المؤمنين نكاح المحصنات فقال : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء : ٢٤] . ومع هذا لا يأمنها أن توطئ فراشه غيره ، فتلحق به نسباً ليس منه فيرث ماله ، ويطلع على حرمة ، فأى ذنب أعظم من هذا ؟ بأن^(٦) يكون لها^(٧) معيناً بإمساكها . ولا أحسب الذين ترخصوا في ذلك بعد الفجور إلا بالتوبة^(٨) تظهر منها ، كالذي يحدث به عن ابن عباس أنه سُئل عن رجل أراد أن ينكح امرأة قد زنا بها ؟ فقال : ليردها على الزنا فإن فعلت فلا ينكحها ، وإن أبت فلينكحها»^(٩) .

(١) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ١٠٥ .

(٢) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٠٥ وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٦٣/٤ ، ٢٦٤ من طريق سمالك عن حنش وتصحف في المطبوع من ابن أبي شيبة إلى حسن ابن المعتمر ؛ وذكره البيهقي في السنن الكبرى ١٥٦/٧ بغير إسناد ، ثم قال : «وحنش غير قوي» .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٦٤/٤ .

(٤) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٠٦ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٦٤/٤ .

(٥) في (أ) : (إمساكه) ، والمثبت من (ظ و ع) والناسخ والمنسوخ .

(٦) في الناسخ والمنسوخ : (أن) .

(٧) في (ع) : (له) .

(٨) في الناسخ والمنسوخ : (إلا بتوبة) .

(٩) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٠٧ من طريق أبي صالح ، عن الليث ، عن يزيد بن أبي حبيب أنه بلغه عن ابن عباس ، فذكره . وهو منقطع .

قال^(١): «وقد تسهّل قوم في نكاحها، وإن لم تظهر منها توبة، واحتجوا بحديث الذي قال للنبي ﷺ: إن امرأته لا ترد يد لامس، فأمره النبي ﷺ بالاستمتاع منها^(٢) وإمساكها»^(٣)(٤).

(١) يعني أبا عبيد .

(٢) في (أ): (معها)، والمثبت من (ظ) و(ع) والناسخ والمنسوخ .

(٣) (وإمساكها): ليست في الناسخ والمنسوخ .

(٤) رواه النسائي في سننه في كتاب: النكاح، باب: تزويج الزانية ٦٧/٦ من طريق حماد بن سلمة وغيره، عن هارون بن رثاب وعبدالكريم، عن عبد الله بن عبيد الليثي، عن ابن عباس عبدالكريم يرفعه إلى ابن عباس، وهارون لم يرفعه. قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إن عندي امرأة هي من أحب الناس إلي، وهي لا تمنع يد لامس قال: «طلقها» قال: لا أصبر عنها. قال: «استمتع بها». قال النسائي بعد روايته: «هذا الحديث ليس بثابت، وعبدالكريم ليس بالقوي، وهارون بن رثاب أثبت منه وقد أرسل الحديث، وهارون ثقة وحديثه أولى بالصواب من حديث عبدالكريم». قال الحافظ ابن كثير: في تفسيره ٣/٢٦٤ بعد ذكره لكلام النسائي المتقدم: «عبدالكريم ابن أبي المخارق البصري المؤدب تابعي ضعيف الحديث، وقد خالفه هارون بن رثاب وهو تابعي ثقة من رجال مسلم فحديثه المرسل أولى كما قال النسائي». اهـ. لكن قد جاءت الرواية عن ابن عباس مسندة من وجه آخر غير طريق عبدالكريم. فقد رواه أبو داود في سننه في كتاب: النكاح، باب: النهي عن تزويج من لم يلد من النساء ٦/٤٥، والنسائي في سننه في كتاب: الطلاق، باب: ما جاء في الخلع ٦/١٦٩، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/١٥٤، ١٥٥ من طريق عمار بن أبي حفصة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فذكره بنحوه. قال الحافظ المنذري في مختصر أبي داود ٦/٣: «ورجال إسناده محتج بهم في الصحيحين على الاتفاق والافتراء»، وقال ابن كثير في تفسيره ٣/٢٦٤: «وهذا الإسناد جيّد»، وقال ابن حجر في بلوغ المرام ٣/٢٠٣: «ورجاله ثقات»، وصحّح إسناده الألباني كما في تعليقه على سنن النسائي ٢/٧٣١، وخالف في ذلك ابن الجوزي فحكم عليه بالوضع، وأورده في الموضوعات ٢/٢٧٢، وقال ابن حجر في تلخيص الحبير ٣/٢٥٣ بعد نقله عن النووي تصحيح هذا الحديث: «نقل ابن الجوزي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: لا يثبت عن النبي ﷺ في هذا الباب شيء، وليس له أصل. وتمسك بهذا ابن الجوزي فأورده في الموضوعات مع أنه أورده بإسناد صحيح». اهـ، ونقل الشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعات ١٢٩ كلام ابن الجوزي في وضع الحديث، ثم ذكر من صحّحه، ثم قال: «وبالجملة فإدخال هذا الحديث في الموضوعات مجازفة ظاهرة». وقال السندي في حاشيته على سنن النسائي ٦/٦٨: «وقيل هذا الحديث موضوع، وردّ بأنه حسن صحيح ورجال سننه رجال الصحيحين، فلا يلتفت إلى قول من حكم عليه بالوضع». اهـ. وقد ورد هذا الحديث عن جابر رضي الله عنه، رواه الطبري في الأوسط كما في مجمع البحرين في زوائد المعجمين للهيثمي ٤/٢٠١، ٢٠٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/١٥٥،

وتأولوا قوله : « لا تمتنع يد لامس » على البغاء . وهذا عندنا بخلاف الكتاب والسنة ؛ لأن الله تعالى إنما أذن في نكاح المحصنات خاصة ، ثم أنزل في القاذف لامرأته آية اللعان ، وسَنَّ رسول الله ﷺ التفريق بينهما فلا يجتمعان أبداً . فكيف يأمره^(١) بالإقامة على عاهرة لا تمتنع ممن أرادها ؟ وفي حكمة أن يلاعن بينهما ولا يقره قاذفاً على حاله .

هذا^(٢) لا وجه له عندنا ، والذي يُحمل^(٣) عليه وجه الحديث أنه ليس يثبت عن النبي ﷺ ، إنما يحدثه هارون بن رثاب^(٤) عن عبدالله بن عبيد ، ويحدثه عبدالكريم الجزري ، عن أبي الزبير^(٥) . وكلاهما يرسله^(٦) .

والبغوي في شرح السنة ٢٨٨/٩ . وفي تفسيره أيضاً ١٠/٦ ، والخلال كما في تلخيص الحبير لابن حجر ٢٥٣/٣ من طريق عبدالكريم الجزري ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، بنحو حديث ابن عباس . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٣٥/٤ : « رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح » .

- (١) يأمره) ساقطة من (أ) .
- (٢) في (ظ) و(ع) : (هذه إلا وجه) .
- (٣) في (أ) : (يحصل) .
- (٤) هو هارون بن رثاب التميمي ، الأسدي ، البصري ، أبو بكر أو أبو الحسن ، أحد العلماء الربانيين العباد ، روى عن أنس وابن المسيب ، وعنه الأوزاعي وشعبه . قال الذهبي وابن حجر ثقة . انظر : الكاشف للذهبي ٢١٣/٣ ، وتقريب التهذيب ٣١١/٢ .
- (٥) هو محمد بن مسلم بن تدرس ، أبو الزبير المكي ، تقدّم .
- (٦) تقدّم في أثناء تخريج الحديث روايات موصولة صحّحها العلماء .

فإن كان له أصل ، فإن معناه : أن الرجل وصف امرأته بالخرق^(١) وضعف الرأي وتضييع ماله ، فهي لا تمنعه [من طالب]^(٢) ، ولا تحفظه من سارق^(٣) .
هذا عندنا مذهب الحديث ، وإن كان الآخر مقولاً^(٤) .

(١) الخرق : عدم إحسان العمل والتصرف في الأمور ، والْحَقُّ . انظر : القاموس المحيط ٢٢٦/٣ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) و(ع) .

(٣) ما اختاره أبو عبيد هنا منقول أيضاً عن الإمام أحمد والأصمعي وغيرهما . وضعَّف أبو العباس ابن تيمية في الفتاوى ١١/٣٢ هذا القول ، وقال ابن كثير في تفسيره ٢٦٤/٣ : «وردَّ هذا بأنه لو كان المراد لقال : لا تردُّ يد ملتصقة» ، ونقل ابن حجر في تلخيص الخبير ٥٤/٣ عن بعض أهل العلم أنه قال : «السَّخَاءُ مندوب إليه ؛ فلا يكون موجِباً لقوله طَلَّقَهَا ، ولأن التبذير إن كان من مالها فلها التصرف فيه وإن كان من ماله فعليه حفظه ، ولا يوجب شيء من ذلك الأمر بطلاقها» . وذكر الصنعاني في سبل السلام ٣٦٠/٣ هذا القول واستبعده ، وذكر نحو ما تقدم ثم قال : «على أنه لم يتعارف في اللغة أن يقال : فلان لا يرد يد لأمس ، كناية عن الجود» .

(٤) يعني القول بأن المراد بقول الرجل : لا ترد يد لأمس هو الفجور .

وهذا القول قال جماعة من العلماء ، منهم : الخلال ، والنسائي ، وابن الأعرابي ، والخطابي ، والغزالي ، والنووي وغيرهم . وقد ردَّ الإمام أحمد وغيره هذا القول ؛ فقال الإمام أحمد كما نقل عنه : «لم يكن النبي ﷺ ليأمره بإمسكها وهي تفجر» . وتقدَّم ردُّ أبي عبيد لهذا القول ، واستبعده ابن كثير في تفسيره ٢٦٤/٣ مبيناً أن رسول الله ﷺ لا يأذن في مصاحبة من هذه صفتها ؛ لأن زوجها والحالة هذه يكون ديوثاً .

وقال عنه الصنعاني في سبل السلام ٣٦٠/٣ : «إنه في غاية البُعد ، وذلك للآية (الزاني) وحرم ذلك على المؤمنين» ؛ ولأنه ﷺ لا يأمر الرجل أن يكون ديوثاً . اهـ . وأقرب الأقوال في توجيهه (لا ترد يد لأمس) أن الرجل أراد أن سجَّتها لا ترد يد لأمس ، فهي سهلة الأخلاق ليس فيها نفور وحشمة عن الأجانب ، لا أن هذا الأمر واقع منها وأنها تفعل الفاحشة .

قال أبو العباس عن ابن تيمية في الفتاوى ١١٦/٣٢ : «لفظ اللامس قد يراد به من مسَّها بيده وإن لم يطأها فإن من النساء من يكون فيها تبرُّج ، وإذا نظر إليها رجلٌ أو وضع عليها يده لم تنفر عنه ، ولا تمكته من وطئها ، ومثل هذه نكاحها مكروه ، ولهذا أمره النبي ﷺ بفراقها ولم يوجب ذلك عليه لما ذكر أنه يجبُّها ؛ فإن هذه لم تزن ولكنَّها مذنبه ببعض المقدمات ؛ ولهذا قال : لا ترد يد لأمس فجعل اللمس باليد فقط ، ولفظ اللمس والملازمة إذا عني بها الجماع لا ينخص باليد ، بل إذا قرن باليد فهو كقوله : ﴿لَوْ زَلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطَابٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ . [الأنعام : ٧] اهـ . وبنحو ذلك مختصراً قال الذهبي كما في بذل المجهود في حل أبي داود ١٣/١٠ للسَّهَانُفُورِي . وقال ابن كثير ٢٦٥/٣ : «المراد =

وهو^(١) أشبه بالنبي ﷺ، وأحرى أن يظن بحديثه . ولو كان في الحديث أنها لا تمنع لامساً أو فرج لأمس ؛ كان اللمس محمولاً على الجماع ، ولكنه قال : يد لأمس . ويحمل على ما تأولنا ، وقد وجدنا له شاهداً في أشعار العرب ، قال جرير بن الخطفي :

أَلَسْتُمْ لِّئَاماً إِذْ تَرَوْمُونَ جَارَكُمْ^(٢) وَلَوْلَاهُمْ لَمْ يَدْفَعُوا كَفَّ لَامِسِ^(٣)

إن سجيتها لا ترد يد لأمس ، لا أن المراد أن هذا واقع منها وأنها تفعل الفاحشة ، ولما كان سجيتها هكذا ليس فيها عمانية ولا مخالفة لمن أرادها لو خلا بها أحد أمره رسول الله ﷺ بفراقها احتياطاً ، فلما ذكر له أنه يحبها ولا يقدر على فراقها ، وأنه لا يصبر على ذلك ويخشى أن تتبعها نفسه رخص به في البقاء معها ، لأن محبة لها متحققة ووقوع الفاحشة منها متوهم ، فلا يصار إلى الضرر العاجل لتوهم الآجل . اهـ وبمثله قال السندي في حاشيته على النسائي ٦٧/٦ . وقال الصنعاني في سبل السلام ٣٦٠/٣ : «المراد أنها سهلة الأخلاق ليس فيها نفور وحشمة من الأجانب ، لا أنها تأتي الفاحشة ، وكثير من النساء والرجال بهذه المثابة مع البعد عن الفاحشة» .

(١) سياق الكلام : هذا عندنا مذهب الحديث ، وهو أشبه بالنبي ﷺ . وجملة : (وإن كان الآخر مقولاً) . معترضة .

(٢) في النسخ جميعها : (جارهم) ، والتصويب من الديوان ، والناسخ والمنسوخ ١١١ .

(٣) البيت في ديوانه ٩٠١/٢ من قصيدة يجيب بها عن جنباء أحمد بن عليم ، وقد حدثت بينه وبين غسان ابن ذهيل السليطي ملاحاة ، فهجاه غسان فأجاب عنه جرير ، وروايته في الديوان : أَلَسْتُمْ لِّئَاماً إِذْ تَرَوْمُونَ جَارَكُمْ ولولاهم لم تدفعوا كف لأمس . وانظر : النقائص ٢٦ .

أراد أنكم لا تمنعون ظالمًا ولا أحدًا يريد أموالكم . انتهى كلامه^(١) .

وعلى ما ذكرنا المراد بالنكاح في الآية : التزويج .

[وروي عن^(٢) ابن عباس في هذه الآية طريق آخر ، وهو ما روى سعيد^(٣) ابن جبير في هذه الآية قال : « ليس هذا في التزويج ، إنما هو في الجماع ، لا يجامعها إلا زانٍ أو مشرك ، قال : الزاني لا يزني إلا بزانية »^(٤) .

ونحو هذا روى سلمة^(٥) عن الضحاك في تفسير هذه الآية ، قال : « لا يزني حين يزني إلا بزانية مثله ، ولا تزني حين تزني إلا بزاني مثله »^(٦) .

(١) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ١٠٨-١١١ مع اختلاف يسير ، وتصرف .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٣) سعيد ساقط من (ع) .

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٥١/٢ ، وابن أبي حاتم ٨٨/٧ ، والبيهقي في السنن الكبرى ١٥٤/٧ ، والثعلبي : في تفسيره ٢٦٨/٣ ، وسعيد بن منصور في تفسيره : ١٥٧ ب ، من طريق سعيد عن ابن عباس الثوري في تفسيره ٢٢١ ، وذكره ابن كثير ٢٦٢/٣ من حديث الثوري ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد ، عن ابن عباس بلفظ ابن أبي حاتم وقال : « وهذا إسناد صحيح عنه ، وقد روي من غير وجه أيضاً » .

(٥) هو سلمة بن نبيت بن شريط الأشجعي ، أبو فراس الكوفي ، روى عن الضحاك بن مزاحم وغيره ، وعنه الثوري وابن المبارك وغيرهما ، ثقة ، يقال اختلط بآخرة . انظر : الكاشف للذهبي ٣٨٧/١ ، وتهذيب التهذيب ١٥٨/٤ ، وتقريب التهذيب ٣١٩/١ .

(٦) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٧٢/٤ ، والطبري ٧٤/١٨ من طريق سلمة عن الضحاك به ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٢٨/١ ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد .

وروي عن يزيد بن هارون أنه قال : « هذا عندي إن جامعها وهو ^(١) مستحل فهو مشرك ، وإن ^(٢) جامعها وهو محرم فهو زان ^(٣) .

وهذا التأويل لا يعترض النسخ على الآية .

قال أبو عبيد : « يذهب ^(٤) ابن عباس في رواية سعيد بن جبير ^(٥) إلى أن قوله : ﴿ لَا يَنْكِحُ ﴾ إنما هو الجماع ، ولا يذهب به إلى التزويج ، والكلمة محتملة للمعنيين جميعاً في كلام العرب ، والله أعلم ^(٦) .

وقال أبو إسحاق : « قول من قال : إن معنى النكاح هاهنا : الوطء يبعد ؛ لأنه لا يعرف شيء من ذكر النكاح في كتاب الله إلا على معنى التزويج كقوله : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَى ﴾ [النور : ٣٢] ، ﴿ إِذَا نَكَحَتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [الأحزاب : ٤٩] ، ولو كان المعنى على الوطء لما كان في الكلام فائدة ؛ لأن القائل إذا قال : الزانية لا تزني إلا بزناً ، والزاني لا يزني إلا بزانية ، فليست فيه فائدة إلا على وجهه التخليط للأمر ، كما تقول للرجل الذي قد عُرف بالكذب : هذا كذاب ، تريد به تخليط ^(٧) أمره ، والذي فيه الفائدة وتوجيه اللغة أن المعنى معنى التزويج ^(٨) .

وروي عن الحسن أنه قال في تفسيره هذه الآية : « الزاني إذا أقيم عليه الحد لا يزوج إلا بامرأة قد أقيم عليها الحد ، وكذلك المرأة إذا أقيم عليها الحد لا تزوج إلا

(١) في (أ) : (فهو) .

(٢) في (أ) : (فإن) .

(٣) رواه الثعلبي ٦٨/٣ ب بإسناده عن يزيد به .

(٤) في النسخ جميعها : (فذهب) ، والمثبت من النسخ والمنسوخ لأبي عبيد .

(٥) قوله : « في رواية سعيد بن جبير » : من كلام الواحدي .

(٦) النسخ والمنسوخ لأبي عبيد ١١٢ .

(٧) في (أ) : (تخليطاً) .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٢٩/٤ ، ٣٠ مع تقديم وتأخير وحذف .

برجل مثلها»^(١). هذا معنى قول الحسن في تفسير الآية ، وقد حملها على المحدود والمجلود .

وهذا الذي ذكرنا هو ما روي عن الأئمة والمتقدمين في هذه الآية .

والاختيار هو القول الأول الذي منع المسلمون من مناكحة أولئك الزواني والمشركات المعلنات بالزنا .

ومعنى قوله : ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ [النور: ٣] أن من تزوج زانية أو مشركة من أولئك فهو زانٍ ؛ لأن ذلك النكاح فاسد وحكمه حكم السفاح ، وذكر بلفظ التأكيد وليس المعنى على ظاهر اللفظ ؛ لأن الزاني يجوز أن يتزوج غير زانية ولا مشركة ، ولكن المعنى أن من تزوج واحدة منهن فهو زانٍ ، كأنه قيل : لا ينكح الزانية والمشركة إلا زانٍ . فقلب الكلام ، ثم ذكر غير مقلوب إعادة للبيان والتأكيد وهو قوله : ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [النور: ٣] .

قوله : ﴿وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣] ؛ أي^(٢) ذلك النكاح . وقيل : حرّم الزنا على المؤمنين . وهذا معنى^(٣) قول مجاهد^(٤) وابن عباس^(٥) في رواية عطاء : إن الآية خاصة في تحريم أولئك الزواني المعروفة .

(١) ذكر هذه الرواية بهذا اللفظ عن الحسن الزّجاج في معاني القرآن ٤ / ٣٠ . وقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه ٤ / ٢٧٣ عن الحسن قال : «المحدود لا يتزوج إلا محدودة» ، وذكرها السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٣٠ ، ونسبها أيضاً إلى عبد بن حميد .

(٢) في (أ) : (إذه) .

(٣) (معنى) ليست في (ظ) و(ع) .

(٤) انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٧ / ١١٢ أ .

(٥) انظر : معاني القرآن للنحاس ٤ / ٥٠١ ، وتفسير ابن كثير ٣ / ٢٦٢ .

وتخبط صاحب النظم في هذه الآية ، وأتى بكلام مستكره^(١) لم يفد في شيء منه إلا في وجه بعيد ذكره من القلب على غير ما ذكرنا ، وهو أنه قال : «يعرض في هذه الآية بعض القلب كما عرض في قوله : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ ﴾ [مريم : ٣٥] على تأويل : ما كان الله ليتخذ من ولد»^(٢) فيكون التأويل في قوله : ﴿ أَلْزَانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ [النور : ٣] أي الناكح^(٣) زانية أو مشركة لا يكون إلا زانياً ؛ بمعنى : من نكح زانية أو مشركة فهو زانٍ ؛ لأنه لا ينكح زانية إلا وهو راضٍ بزناها ، ولا يكون راضياً بزناها إلا وهو أيضاً يزني ، وكذلك لا ينكح مشركة إلا وهو راضٍ بالزنا ؛ لأن المشركة محرمة عليه . وكذلك المرأة إذا نكحت زانياً أو مشركاً فقد رضيت بذلك ، ولا تكاد ترضى به إلا وهي تفعله . هذا [كلامه]^(٤) .

٤ . ﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ : القول في محل (الذين) من الإعراب كالقول في محل (الزانية والزاني) في قوله : ﴿ أَلْزَانِيَّةٌ وَالزَّانِي ﴾ الآية^(٥) .

قال الكلبي : «﴿ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ يقذفون بالفرية الحراير المسلمات العفيفات عن الفواحش»^(٦) ، وهذا قول المفسرين^(٧) .

(١) في (أ) : (مستكو) .

(٢) ساقط من (ع) .

(٣) في (ع) : (الtnakch) .

(٤) ساقط من (ع) .

(٥) فمحل (الذين) رفع بالابتداء ، وخبره إمّا محذوف ، وإمّا جملة ﴿ فَأَجْلِدُوهُمْ ﴾ . انظر : معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٠ ، والإملاء للعكبري ٢/ ١٥٣ ، والدر المصون ٨/ ٣٨١ .

(٦) ذكر البغوي ٩/ ١٠ هذا المعنى ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٧) انظر : الطبري ١٨/ ٧٥ ، ٧٦ ، والثعلبي ٣/ ٦٨ ب .

قال أبو إسحاق : «ومعنى ﴿يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ أي بالزنا ، ولكنه لم يقل : بالزنا ؛ لأن في ما تقدّم من ^(١) ذكر الزانية والزاني دليلاً على أن المعنى ذلك» ^(٢) .

قال ابن الأعرابي : «يقال : رمى فلان فلاناً بأمر قبيح ، أي قذفه ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ [النور : ٦] معناه القذف» ^(٣) .

واعلم أن الإحصان المشروط في المقذوف ^(٤) أو المقذوفة حتى يجب الحد على القاذف خمسة أوصاف : البلوغ ، والعقل ، والإسلام ، والحرية ، والعفة عن الزنا ^(٥) .

فإن فقد وصف من هذه الأوصاف لم يجب حد القذف على ^(٦) القاذف ، وعليه التعزيز ، وما كان تعزيراً فلا يكون فرضاً .

ويشترط في القاذف لوجوب حد القذف شرطان : البلوغ والعقل . فإذا انضم إليهما الحرية كمل الحد ثمانين جلدة ، وإذا كان مملوكاً فعليه أربعون جلدة ^(٧) .

قال مقاتل : «يجلد بين الضربين على ثيابه» ^(٨) .

(١) (من) ساقطة من (أ) .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٠ .

(٣) قول ابن الأعرابي في تهذيب اللغة للأزهري (رمى) ٥ / ٢٧٧ من دون ذكر الآية الثانية : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ .

(٤) في (أ) : (والمقذوفة) .

(٥) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣ / ٢٦٧ ، وأحكام القرآن للكنيا الهراسي ٣ / ٢٩٨ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢ / ١٧٣ .

(٦) في (أ) : (وعلى) .

(٧) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣ / ٢٦٨ ، وأحكام القرآن للكنيا الهراسي ٣ / ٢٩٨ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢ / ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٨) تفسير مقاتل ٢ / ٣٤ ب .

وقال قتادة : «يخفف في حد الشراب والفرية»^(١) .

وقال حماد : «يجد القاذف والشارب وعليهما ثياهما»^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا ﴾ على ما رموهن به ﴿ بِأَرْبَعَةِ شَهَدَةٍ ﴾ .

قال المفسرون : «عدول يشهدون عليهن أنهم رأوهن يفعلن^(٣) ذلك»^(٤) .

﴿ فَأَجْلِدُوهُمْ ﴾ يعني الذين يرمون بالزنا ﴿ ثَمَنَيْنِ جَلْدَةٍ ﴾ .

﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾ : المحدود في القذف لا تقبل شهادته .

﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ . قال ابن عباس : «الكاذبون»^(٥) .

وقال مقاتل : «العاصون في مقاتلتهم»^(٦) .

٥ . ثم استثنى فقال : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ الآية .

اختلف العلماء والمفسرون في حكم هذا الاستثناء :

فذهب كثير^(٧) منهم إلى أن هذا الاستثناء راجع إلى رد الشهادة والفسق ، وقالوا : إذا تاب قبلت شهادته ، وزال فسقه .

(١) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٥٠ / ٢ .

(٢) رواه الطبري ٦٨ / ١٨ ، ورواه أبو بكر بن أبي شيبة ٥٢٥ / ٩ من دون قوله : (والشارب) .

(٣) في (ع) : (يفعلون) ، وهو خطأ .

(٤) هذا كلام الطبري ٧٥ / ١٨ ، والثعلبي ٦٨ / ٣ ب بنصه .

(٥) روى الطبري ٧٦ / ١٨ هذا التفسير عن عبدالرحمن بن زيد ، ولم أجد من ذكره عن ابن عباس .

(٦) تفسير مقاتل ٣٤ / ٢ ب .

(٧) سيذكر الواحد من قال بذلك .

وذهب كثير منهم إلى أن الفسق يزول بالتوبة ، وأما الشهادة فلا تقبل أبداً .

روى عطاء الخراساني عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : «فتاب عليهم من الفسق ، فأما الشهادة فلا تجوز»^(١) .

وهذا قول شريح ، وإبراهيم ، والحسن ، وقتادة ، وسعيد بن المسيب^(٢) .

(١) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٤٧ من رواية عطاء الخراساني عن ابن عباس ، وذكره ابن حزم في المحلى ٤٣١/٩ من رواية عطاء الخراساني عنه به ، وقال ٤٣٣/٩ : «وأما الرواية عن ابن عباس فضعيفة ، والأظهر عنه خلاف ذلك» ، وذكره ابن حجر في فتح الباري ٢٥٧/٥ من رواية عطاء الخراساني عن ابن عباس ، وعزه لعبدالرزاق ، وقال : «وهو منقطع ، ولم يصب من قال : إنه سند قوي» ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٣١/٦ عن ابن عباس ، وعزه إلى أبي داود في ناسخه وابن المنذر .

(٢) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٤٧ ، ١٤٨ عنهم جميعاً ، إلا أن قول قتادة من روايته عن الحسن وابن المسيب ، وذكره ابن حزم في المحلى ٤٣١/٩ عن إبراهيم النخعي ، والحسن ، وسعيد بن المسيب في أحد قوليه . وقال ٤٣٣/٩ : «كل من روي عنه أنه لا تقبل شهادته وإن تاب فقد روي عنه قبولها إلا الحسن والنخعي فقط» . اهـ . وقول شريح رواه أيضاً عبدالرزاق في تفسيره ٥٢/٢ ، وفي مصنفه ٣٨٨/٧ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٧١/٦ ، وسعيد بن منصور في تفسيره : ل ١٥٨أ ، والطبري ٧٨/١٨ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٣/٧ ب ، ١١٤ ، والبيهقي في السنن ١٥٦/١٠ . ولشريح قول آخر في قبول شهادته رواه البخاري في صحيحه في كتاب : الشهادات ، باب : شهادة القاذف ٢٥٥/٥ معلقاً ، ورواه موصولاً ابن أبي شيبة في مصنفه ١٦٩/٦ ، والطبري ٧٨/١٨ ، وقال ابن حجر في فتح الباري ٢٥٧/٥ : بإسناد صحيح .

وقول إبراهيم رواه عبدالرزاق في مصنفه ٣٨٧/٧ ، وابن أبي شيبة ١٧١/٦ ، وسعيد بن منصور في تفسيره : ل ١٥٨أ ، وابن الجعد في مسنده ٣٢٣/٢ ، والطبري ٧٩/١٨ ، وابن أبي حاتم ١٤/٧ ب ، والبيهقي في السنن ١٥٦/١٠ .

وقول الحسن رواه عبدالرزاق في تفسيره ٥٢/٢ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٧١/٦ وسعيد بن منصور في تفسيره : ل ١٥٨أ ، والطبري ٧٩/١٨ ، وابن أبي حاتم ١٣/٧ ب ، ١١٤ ، والبيهقي في السنن ١٥٦/١٠ .

وعن قتادة رواه عبدالرزاق في تفسيره ٥٢/٢ وفي مصنفه ٣٦٣/٨ ، والطبري ٧٩/١٨ من رواية عن الحسن ، والطبري ٧٩/١٨ من رواية عن سعيد بن المسيب .

ولقتادة قول آخر في قبول شهادته رواه عنه البخاري في صحيحه في كتاب : الشهادات ، باب : =

وهذا قول من رأى أن التوبة إنما نسخت الفسق وحده^(١)، وقالوا : إنه قضاء من الله أن^(٢) لا تقبل شهادته أبداً ، وإنما توبته في ما بينه وبين الله .

وقد رأى آخرون أنها نسخت الفسق وإسقاط الشهادة معاً^(٣) .

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ ، قال : «فمن تاب وأصلح فشهادته في كتاب الله تقبل»^(٤) .

وروى محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب : أن عمر بن الخطاب ضرب الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة ، وهم : أبو بكر^(٥) ، وشبل بن معبد^(٦) ، ونافع بن الحارث بن كلدة^(٧) .

- = شهادة القاذف ٢٥٥/٥ معلقاً ، ورواه موصولاً عبد الرزاق في مصنفه ٣٦٢/٨ ، والطبري في تفسيره ٧٨/١٨ من رواية عن ابن المسيب .
- وقول سعيد بن المسيب رواه عنه الطبري ٧٩/١٨ . وإلى سعيد قول آخر في قبول شهادته رواه عنه عبد الرزاق في تفسيره ٥٣/٢ ، وفي مصنفه ٣٨٤/٧ ، ٣٦٢/٨ ، والطبري ٧٨/١٨ ، وابن أبي حاتم ١٤/٧ ، والبيهقي ١٥٣/١٠ .
- (١) من قوله : (وهذا قول . . .) إلى هنا ، هذا كلام أبي عبيد في الناسخ ١٤٩ بنصّه .
- (٢) في (ظ) و(ع) : (أي) .
- (٣) من قوله : (وقد رأى . . .) إلى هنا ، هذا كلام أبي عبيد في الناسخ ١٤٩ بنصّه .
- (٤) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٤٩ ، والطبري ٨٠/١٨ ، والبيهقي في السنن ١٥٣/١٠ من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به .
- (٥) في (أ) : (أبو بكر بن) ، وهو خطأ ، وهو أبو بكر ، نفع بن الحارث بن كلدة .
- (٦) هو شبل بن معبد بن عبيد البجلي ، الأحمسي ، تابعي مخضرم ، لم يصح له سماع من رسول الله ﷺ ، وأمه سمية مولاة الحارث بن كلدة والدة أبي بكر ونافع . انظر : الإصابة لابن حجر ١٥٩/٥ .
- (٧) هو نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي ، أبو عبدالله ، أخو أبي بكر لأمه ، كان ممن نزل إلى رسول الله ﷺ من الطائف ، وأمه سمية مولاة الحارث بن كلدة أم أبي بكر وشبل وزباد ، سكن البصرة ، وهو أول من أفتى هكذا عند ابن سعد ، وفي الإصابة : اقتنى الخيل بالبصرة ، سأل عمر أرضاً ليست من أرض الخراج ولا تضر أحداً يتخذها قضاءً لحيته ، فأقطعه إياها . انظر : طبقات ابن سعد ٥٠٧/٥ ، ٧٠/٧ ، والإصابة لابن حجر ٥١٤/٣ .

ثم قال لهم : من أكذب نفسه أجزت شهادته في ما استقبل ومن لم يفعل لم أجز شهادته . فأكذب شبل نفسه ونافع وتابا ، وأبى أبو بكر أن يفعل فكان لا تقبل شهادته^(١) . وهذا قول الزهري^(٢) ، والقاسم بن محمد^(٣) ، وسالم بن عبدالله^(٤) ، ومحارب بن دثار^(٥) ، وحبيب بن أبي ثابت^(٦) ، وابن أبي نجيح^(٧) ، وعطاء^(٨) ،

(١) ذكره الثعلبي ٦٨/٣ من رواية ابن إسحاق به هذا اللفظ ، ورواه الطبري ٧٦/١٨ من طريق ابن إسحاق به بنحوه ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى ١٥٢/١ من طريق سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب بنحوه . قال ابن كثير في مسند عمر بن الخطاب ٥٥٨/٢ - بعد ذكره لهذه الطرق - : «وهذه طرق صحيحة عن عمر رضي الله عنه . ورواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٤٩ ، وعبدالرزاق في تفسيره ٥٢/٢ ، ٥٣ ، وفي مصنفه ٣٦٢/٨ من طريق محمد بن مسلم الطائفي ، عن إبراهيم بن ميسرة ، عن ابن المسيب بمعناه .

(٢) رواه عنه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٥٠ ، وعبدالرزاق في تفسيره ٥٢/٢ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٩١٧٠/٦ ، ورواه البخاري في صحيحه في كتاب : الشهادات ، باب : شهادة القاذف ٢٥٥/٥ عنه معلقاً .

(٣) رواه عنه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٥٠ ، وذكره عنه ابن حزم في المحلى ٤٣٢/٩ .

(٤) رواه عنه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٥٠ ، وذكره عنه ابن حزم في المحلى ٤٣٢/٩ .

(٥) رواه عنه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٥١ ، ورواه البخاري في صحيحه في كتاب : الشهادات ، باب : شهادة القاذف ٢٥٥/٥ معلقاً ، ووصله ابن حجر في تغليق التعليق ٣/٣٨٠ ، عن محارب ، عن رواية الكرايسي في كتاب : القضاء . وذكره عنه ابن حزم في المحلى ٤٣٢/٩ .

(٦) رواه عنه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٥٢ من روايته عن عبدالله بن عتبة ، وذكره ابن حزم في المحلى ٤٣٢/٩ عن حبيب .

(٧) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٥٢ ، والشافعي في الأم ٨٢/٧ ، والطبري ٧٧/١٨ ، والبيهقي في السنن ١٥٣/١٠ .

(٨) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٥٢٣ ، وعبدالرزاق في مصنفه ٣٨٣/٧ ، وسعيد بن منصور في تفسيره : ١٥٧ب ، وابن أبي شيبة ١٦٨/٦ ، والطبري ٧٧/١٨ ، وابن أبي حاتم ١٤/٧ب ، والبيهقي في السنن ١٥٣/١٠ .

وطاووس^(١)، والشعبي^(٢)، وعكرمة^(٣)، ومجاهد^(٤)، وعبدالله^(٥) بن عتبة^(٦)،

(١) رواه عنه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٥٢، وعبدالرزاق في مصنفه ٣٨٣/٧، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٦٨/٦، والطبري ٧٧/١٨، والبيهقي في السنن ١٥٣/١٠ من طريق ابن نجيج عنه. ورواه البخاري في صحيحه في كتاب: الشهادات، باب: شهادة القاذف ٢٥٥/٥ عنه معلقاً، ووصله ابن حجر في تغليق التعليق ٣/٣٧٩ من رواية سعيد بن منصور وغيره.

(٢) رواه عنه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٥١، وعبدالرزاق في مصنفه ٣٨٨/٧، والشافعي في الأم ٨٩/٧، وسعيد بن منصور في تفسيره: ل ٥٨أ، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٧٠/٦، والطبري ٧٦/١٨، وابن أبي حاتم ١٤/٧، والبيهقي في السنن ١٥٣/١٠، ورواه عنه البخاري في صحيحه في كتاب: الشهادات، باب: شهادة القاذف ٢٥٥/٥ معلقاً، ووصله ابن حجر في تغليق التعليق ٣/٣٨٠ من رواية الطبري وغيره.

(٣) رواه البخاري في كتاب: الشهادات، باب: شهادة القاذف ٢٥٥/٥ عنه معلقاً، ووصله ابن حجر في الفتح ٥/٢٥٧ وفي تغليق التعليق ٣/٣٨٠ من رواية علي بن الجعد، عن شعبة، عن يونس بن عبيد، عن عكرمة.

وهو في مسند علي بن الجعد ١/٦٠٠ من الرواية المذكورة. وذكره عنه ابن حزم في المحلى ٩/٤٣٢، وحكى عنه ٩/٤٣١ قولاً آخر أنه لا تقبل شهادته أبداً وإن تاب.

(٤) رواه عنه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٥٢، وسعيد بن منصور في تفسيره: ل ١٥٧أ، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٦٨/٦، والطبري ٧٧/١٨، والبيهقي في السنن ١٥٣/١٠ من رواية ابن أبي نجيج عنه. ورواه البخاري في كتاب: الشهادات، باب: شهادة القاذف ٢٥٥/٥ عنه معلقاً. ووصله ابن حجر في الفتح ٥/٢٥٧، وفي تغليق التعليق ٣/٣٧٩ من رواية سعيد بن منصور، وغيره.

(٥) في (أ): (عبيدالله)، وهو خطأ.

(٦) هو عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي، من أبناء المهاجرين. وابن أخي عبدالله بن مسعود. وُلِدَ في عهد النبي ﷺ، واختلف في رؤيته للنبي ﷺ. فقيل له رؤية، وقيل: لم يره فهو تابعي. روى عن النبي ﷺ، وعن عمه عبدالله، وعن أبي هريرة وغيرهم. قال ابن سعد: «وكان ثقة، رفيعاً، كثير الحديث والفتيا، فقيهاً»، توفي سنة ٧٤هـ. طبقات ابن سعد ٥/٥٨، والكاشف للذهبي ٢/١٠٧، وتهذيب التهذيب ٥/٣١١، والإصابة ٢/٣٣٢.

وقوله رواه عنه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٥٣، وسعيد بن منصور في تفسيره: ل ١٥٨أ، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٧٠/٦، والطبري ٧٨/١٨، والبيهقي في السنن ١٥٣/١٠، ورواه عنه البخاري في كتاب: الشهادات، باب: شهادة القاذف ٢٥٥/٥ معلقاً، ووصله ابن حجر في فتح الباري ٥/٢٥٦، وفي تغليق التعليق ٣/٣٧٨ من رواية الطبري.

والضحاك^(١)، وقول أهل الحجاز جميعاً^(٢)، واختيار الشافعي رضي الله عنه^(٣).

والأول قول أهل العراق^(٤)، واختيار أبي حنيفة رضي الله عنه^(٥).

قال أبو عبيد: «وكلا الفريقين إنما تأوّل الآية^(٦)، فالذي لا يقبلها يذهب إلى أن الكلام انقطع من عند قوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾، ثم استأنف فقال: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٧) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴿فَأَوْقَعَ التَّوْبَةَ عَلَى الْفَسْقِ خَاصَّةً دُونَ الشَّهَادَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُونَ فَذَهَبُوا إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ مَعْطُوفٌ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، ثم أوقعوا الاستثناء في التوبة على كل الكلام ورأوا^(٨) أنه منتظم له».

قال أبو عبيد: «والذي يُختار هذا القول؛ لأن من قال به أكثر وأعلى، منهم عمر ابن الخطاب فمن وراءه، مع أنه في النظر على هذا^(٩)، ولا يكون المتكلم بالفاحشة أعظم جرماً من ركبها، ألا ترى أنهم لا يختلفون في العاهر أنه مقبول الشهادة إذا تاب، فراميه بها أيسر جرماً إذا نزع عما قال وأكذب نفسه؛ لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وإذا قبل الله التوبة من عبده كان العباد بالقبول أولى».

(١) رواه عنه سعيد بن منصور في تفسيره: ل١٥٨ أ، والطبري ٧٨/١٨، والبيهقي في السنن ١٥٣/١٠.

(٢) قوله: (وهذا قول أهل الحجاز جميعاً)، هذا كلام أبي عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٥٣ بنصّه.

(٣) ذكره عنه الثعلبي ٦٨/٣ ب، وهو في الأم ٨١/٧.

(٤) هذا كلام أبي عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٥٣.

(٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص ٢٧٣/٣، وبدائع الصنائع ٢٧١/٦، وتبيين الحقائق ٢١٨/٤،

٢١٩.

(٦) في الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ١٥٣: «إنما تأوّل في ما نرى الآية».

(٧) في (أ): (وراء).

(٨) في الناسخ والمنسوخ: «على هذا أصح».

مع أن مثل هذا الاستثناء موجود في مواضع من القرآن ، من ذلك قوله : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ [المائدة : ٣٣-٣٤] ، فليس يختلف المسلمون أن هذا الاستثناء ناسخ للآية من أولها ، وأن التوبة لهؤلاء جميعاً بمنزلة واحدة .

وكذلك قوله في الطهور حين قال : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ﴾ [النساء : ٤٣] ، فصار التيمم لاحقاً بمن وجب عليه الاغتسال كما^(١) لحق من وجب عليه الوضوء ، كذلك قوله : ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ﴾ إلى آخر الآية كلام واحد بعضه معطوف على بعض وبعضه تابع بعضاً ، ثم انتظمه الاستثناء وأحاط به . انتهى كلامه^(٢) .

واختار أبو إسحاق هذا القول أيضاً ، فقال : إذا استثنوا من الفاسقين خاصة^(٣) فقد وجب قبول شهادتهم أيضاً ؛ لأنهم قد زال عنهم اسم الفسق^(٤) . قال : والقياس أيضاً هذا ؛ لأن الله - عز وجل - يقول في الشهادات : ﴿ وَمَنْ رَضِيَ مِنَ الشَّهَادَةِ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] فليس القاذف بأشد جرمًا من الكافر ، فحقه إذا تاب وأصلح أن تقبل شهادته ، كما أن الكافر إذا أسلم وأصلح قبلت شهادته .

فإن قال قائل : فما الفائدة في قوله : ﴿ أَبَدًا ﴾ ؟ قيل : الفائدة أن الأبد لكل إنسان مقدار مدته في حياتهن ومقدار مدته في ما يتصل بقصته ، فتقول : الكافر لا تقبل منه^(٥) شيئاً أبداً ، معناه : ما دام كافراً فلا تقبل منه شيئاً^(٦) ، وكذلك إذا

(١) في النسخ جميعها : (كمن) ، والتصويب من الناسخ والمنسوخ .

(٢) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ١٥٣ ، ١٥٤ مع اختلاف في آخره .

(٣) في المعاني : (أيضاً) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣٢ / ٤ .

(٥) (منه) ساقطة من (أ) .

(٦) عند الزجاج : (لا يقبل منه شيء أبداً) ، فمعناه : ما دام كافراً فلا يقبل منه شيء .

قلت : القاذف لا تقبل منه شهادة أبداً ، فمعناه : ما دام قاذفاً ، فإذا زال عنه الكفر فقد زال عنه أبده ، وإذا زال عنه الفسق^(١) فقد زال أبده ، لا فرق بينهم في ذلك^(٢) .

وهذا الذي ذكره معنى قول الشافعي رضي الله عنه : «وإذا قبلتم توبة الكافر والقاتل عمداً فكيف لا تقبلون شهادة القاذف وهو أحسن ديناً؟» وقد قال الشعبي : «يقبل الله توبته ، ولا تقبلون شهادته»^(٣) .

واختلفوا في كيفية توبته ؛ فقال طاووس : «توبته أن يكذب نفسه»^(٤) .

وقال عامر : «توبته أن يقوم مثل مقامه يكذب^(٥) نفسه»^(٦) .

وقال آخرون : «التوبة منه كالتوبة من سائر الذنوب يندم على ما قال ، ويستغفر منه ، ويترك العود في ما بقي من العمر»^(٧) .

(١) في المطبوع من المعاني : (القذف) .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣١ / ٤ مع اختلاف يسير .

(٣) الأم ١٧ / ٤١ ، ٤٢ مع اختلاف يسير . وقول الشعبي رواه عبد الرزاق في مصنفه ٣٨٨ / ٧ ، ٣٦٣ / ٨ ، وأبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ١٥١ ، وسعيد بن منصور في تفسيره : ل ١٥٨ ، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠ / ١٥٣ ، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦ / ١٧٠ ، والطبري ١٨ / ٧٧ بنحوه .

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦ / ١٧٢ ، والطبري ١٨ / ٨٠ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٣١ عن طاووس وغيره ، وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٥) في (ع) : (مكذب) ، وعند ابن أبي شيبة : (فيكذب) .

(٦) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦ / ١٧٢ ، ١٧٣ عنه بهذا اللفظ ، ورواه بنحو الطبري ١٨ / ٧٦ ، ٧٧ ، وابن أبي حاتم ٧ / ١٤ ب ، والبيهقي في السنن ١٠ / ١٥٣ .

(٧) ذكر هذا الطبري ١٨ / ٨١ ، والثعلبي ٣ / ٦٨ ب ، وحكاها الطبري عن جماعة من التابعين وغيرهم ١٨ / ٧٧ ، ٧٨ ، ٨١ وعن الإمام مالك بن أنس . قال الطبري ١٨ / ٨١ : «وهذا القول أولى القولين في ذلك بالصواب ؛ لأن الله جعل توبة كل ذي ذنب من أهل الإيمان تركه العود فيه ، والندم على ما سلف منه ، واستغفار ربه منه في ما كان» .

هذا كله إذا حددَ بقذفه . فَأَمَّا إذا لم يحد بعفو المقدوف عنه أو بموته قبل أن يطالب القاذف بحدٍّ أو لم يرفع إلى السلطان فإن شهادته تقبل . بهذا احتج الشافعي -رحمة الله عليه^(١) - فقال : «هو قبل أن يحد شر منه [حين يحد]^(٢) لأن الحدود كفارات فكيف تردونها في أحسن حاله»^(٣) ، يعني بعد الحد والتوبة .

قوله : ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ . قال ابن عباس : «يريد إظهار التوبة»^(٤) .

وقال مقاتل : «وأصلحو العمل فليسوا بفساق»^(٥) .

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . قال ابن عباس : «﴿غَفُورٌ﴾ لذنبهم ، يعني لقذفهم ، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم حيث تابوا»^(٦) .

«فلما نزلت هذه الآية قرأها النبي ﷺ على الناس في خطبة^(٧) يوم الجمعة ، فقال عاصم ابن عدي الأنصاري^(٨) - للنبي ﷺ : جعلني الله فداك ، لو أن رجلاً مثاً وجد على بطن امرأته رجلاً^(٩) ، فتكلم وأخبر بما رأى جلد^(١٠) ثمانين جلدة ، وسماه المسلمون فاسقاً ، ولا تقبل له شهادة أبداً ، فكيف لأحدنا عند ذلك بأربعة

(١) في (ع) : رضي الله عنه .

(٢) ما بين المعوقين ساقط من (أ) .

(٣) الأم ١٧ / ٤١ ، ٤٢ .

(٤) ذكر القرطبي ١٨٢ / ١٢ هذا القول ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٥) تفسير مقاتل ٣٤ / ٢ ب .

(٦) ذكر القرطبي ١٨٢ / ١٢ الشطر الأخير منه ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٧) في (أ) و(ظ) : (خطبته) ، والمثبت من (ع) ، وتفسير مقاتل .

(٨) هو عاصم بن عدي بن الجدد بن العجلان البلوي ، حليف الأنصار ، كان سيد بني عجلان ، شهد أحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، ولم يشهد بديراً ؛ لأن النبي ﷺ استخلفه على العالية من المدينة وضرب له رسول الله ﷺ بسهمه فيها ، توفي في خلافة معاوية سنة ٤٥ هـ وقد جاوز المائة . انظر : طبقات ابن سعد ٣ / ٤٦٦ ، والاستيعاب ٢ / ٧٨١ ، وأسد الغابة ٣ / ٧٥ ، والكاشف للذهبي

٢ / ٥١ ، والإصابة ٢ / ٢٣٧ .

(٩) (رجلاً) ساقط من (ط) و(ع) .

(١٠) في (أ) : (فجلد) ، وفي (ظ) : (يجلد) ، والمثبت من (ع) وتفسير مقاتل .

شهداء؟ إلى أن يلتبس أربعة شهداء فقد فرغ الرجل من حاجته! فقال النبي ﷺ: «كذلك أنزلت يا عاصم بن عدي». فخرج عاصم سامعاً مطيعاً، فلم يصل إلى منزله حتى استقبله هلال بن أمية يسترجع، فقال: ما وراءك؟ فقال: شر! وجدت شريك بن السحماء^(١) على بطن امرأتي خولة^(٢) يزني بها. وهي^(٣) خولة بنت^(٤) عاصم^(٥). قال: هذا- والله^(٦) سؤالي النبي ﷺ آنفاً. فرجع إلى النبي ﷺ وأخبره^(٧) هلال بن أمية بالذي كان، فبعث إليها، فقال: «ما يقول زوجك؟» فقالت: يا رسول الله أنه رأي وشريكاً نطيل السهر ونتحدث، فلا أدري أدرته الغيرة أو بخل علي بالطعام؟ فأنزل الله آية اللعان: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ زَوْجَهُمْ﴾.

وهذا قول ابن عباس في رواية جوير عن الضحاك عنه^(٨).

(١) في (ظ) و(ع): (السمحاء)، وهو خطأ، وهو شريك بن عبدة بن مغيث بن الجعد بن العجلان البلوي، حليف الأنصار. سمحاء بفتح السين وسكون الحاء أمه. يقال إنه شهد مع أبيه أحداً. انظر: الاستيعاب ٧٠٥/٢، وأسد الغابة ٦٦/٥، والإصابة ١٤٧/٢.

(٢) (خولة) ساقطة من (ع).

(٣) (وهي) ساقطة من (أ)، وفي (ظ): (وخولة)، فسقط منها: (هي).

(٤) في (ع): (ابن)، وهو خطأ.

(٥) ذكرها بهذا الاسم ابن حجر في الإصابة ٢٨٥/٤، وأشار إلى قصة اللعان، وقال: «لها ذكر ولا يعرف لها رواية»، قاله ابن منده.

(٦) (والله) ليس في (ظ) و(ع).

(٧) في (ع): (فأخبره).

(٨) ما ذكره الواحدي جاء من عدة روايات مختلفة فأدخل المصنف بعضها على بعض وساقها مساقاً واحداً، فأول الرواية إلى قوله «فرغ الرجل من حاجته» نص رواية مقاتل في تفسيره ٣٤/٢ ب، وذكرها الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان ٧٠/٣، وصدرها بقوله: «قال ابن عباس في سائر الروايات ومقاتل».

وأما بقية الرواية من قوله: (هكذا أنزلت إلى آخر الرواية)، فهذا نص رواية جوير، عن الضحاك، عن ابن عباس التي أخرجها الواحدي في تفسيره الوسيط ٣٠٥/٢، بسنده إلى جوير، عن الضحاك، عن ابن عباس.

لكن وقع في الرواية التي ساقها الواحدي في الوسيط، «أن المرأة قالت: يا رسول الله، إن ابن السحماء كان يأتيها في منزلنا فيتعلم الشيء من القرآن، فربما تركه عندي وخرج زوجي ولم ينكر علي ساعة من ليل ولا نهار، فلا أدري أدرته الغيرة...».

وقال مقاتل^(١) وآخرون^(٢): «الذي وجد امرأته مع شريك بن السحماء^(٣): عويمر^(٤) ابن عم لعاصم بن عدي، وامرأته خولة بنت قيس بن محصن^(٥). وكان عويمر وخولة وشريك كلهم بني عم عاصم».

والرواية المذكورة هنا فيها: «إنه رأي وشريكاً نطيل السهر ونتحدث». وهذه اللفظة في تفسير الثعلبي الكشف والبيان ٣/ ٧٠. وأخذها المصنف من تفسير الثعلبي وأدخلها على رواية جوير. ورواية جوير، عن الضحاك، عن ابن عباس رواية شديدة الضعف سنداً غريبة متنا، فأما ضعفها سنداً فلأنها من رواية جوير عن الضحاك عن ابن عباس، وجوير هذا قال عنه الذهبي في المغني في الضعفاء ١/ ١٣٨: «قال الدارقطني وغيره: متروك». وقال ابن حجر في تقريب التهذيب ١/ ٣٦: «ضعيف جداً». كما أن في سندها انقطاعاً؛ فإن الضحاك لم يلق ابن عباس كما قال ذلك الأئمة. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ٤/ ٤٥٣، ٤٥٤. أمّا غرابة المتن فلأن فيه: «فخرج عاصم سامعاً مطيعاً فاستقبله هلال» والمعروف في الروايات الصحيحة كما سيأتي أن الذي لقي عاصماً هو عويمر ابن عمه. ولذلك قال الزيلعي في تخريجه لأحاديث الكشف ٢/ ٤٢١ بعد ذكره الرواية التي ساقها الزنجشيري في الكشف وهي نحو الرواية المذكورة هنا: «غريب بهذا السياق، وفيه تخليط، فإن حديث عاصم بن عدي رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس من غير هذا الوجه، وروى مسلم أوله عن ابن مسعود وليس فيه ذكر الأسامي».

وقصة شريك وهلال رواها مسلم، وليس فيها ذكر عاصم وغيره. ثم قال الزيلعي: «ونقله الثعلبي يعني الرواية التي ساقها صاحب الكشف هكذا بتهامه عن ابن عباس». قال ابن حجر في كتابه تخريج أحاديث الكشف معلقاً على قول الزيلعي الأخير: «وكأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه، والمحموظ عن ابن عباس بغير هذا السياق وهو متفق عليه وليس فيه تسميتهم». وكلام ابن حجر يدل على أنه لم يطلع على رواية جوير هذه، والله أعلم.

ولما ذكر القرطبي رواية الواحدي هنا قال: «والصحيح خلافه»، يعني أن عاصماً استقبله هلال بن أمية ١٨٤/ ١٢.

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٣٤ أ.

(٢) هذا قول مقاتل بن حيان. انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٧/ ١٦ ب.

(٣) في (ظ) و(ع): (السمحاء)، وهو خطأ.

(٤) هو عويمر بن أبي أبيض العجلاني، ويقال: هو عويمر بن الحارث بن زيد بن جابر بن الجدد بن العجلان، وأبيض لقب لأحد آبائه. انظر: الإصابة ٣/ ٤٥.

(٥) نقل هذا ابن حجر في الفتح ٩/ ٤٤٨ عن القرطبي عن مقاتل بن سليمان، ولم أجد من ترجم لخولة هذه.

وَأَمَّا قِصَّةُ هَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ ، فَرَوَى عِكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ قَالَ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ : أَهَكَذَا نَزَلَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ ؟ فَقَالَ سَعْدُ : وَاللَّهِ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - إِنِّي لَا أَعْلَمُ^(١) أَنَّهَا حَقٌّ وَأَنَّهَا مِنَ اللَّهِ » .

ثم ذكر نحو حديث عاصم لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَمَا لَبِثُوا إِلَّا^(٢) يَسِيرًا حَتَّى جَاءَ هَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ - وَهُوَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ تَبِعَ عَلَيْهِمْ - فَقَذَفَ امْرَأَتَهُ بِشْرِيكَ بْنِ عَبْدِةَ ، وَأَمَّهُ السَّحْمَاءَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الْبَيْتَةُ وَالْإِلَاحِدُ فِي ظَهْرِكَ» . فَقَالَ هَلَالُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ ، وَلِيَنْزِلُنْ فِي أَمْرِي مَا يَبْرِي ظَهْرِي مِنَ الْحَدِّ ، فَنَزَلَتْ آيَةُ اللَّعَانِ^(٣) .

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : «الَّذِي وَجَدَ امْرَأَتَهُ مَعَ شَرِيكَ هُوَ عَاصِمُ بْنُ عَدِي ، رَجَعَ يَوْمًا إِلَى أَهْلِهِ فَوَجَدَهُ عَلَى بَطْنِ امْرَأَتِهِ ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَأَخْبَرَهُ بِمَا رَأَى فَنَزَلَ آيَةُ اللَّعَانِ»^(٤) .

(١) في (أ) : (لا أعلم) ، وهو خطأ .

(٢) (إلا) ساقط من (ع) .

(٣) قصة هلال بن أمية التي ساقها هنا الواحدي من رواية عكرمة عن ابن عباس قد جاءت من طرق عن عكرمة عن ابن عباس ، لكن الواحدي أدخل بعض الروايات على بعض وساقها مساقاً واحداً ، فمن قوله «لما نزلت . . . » إلى قوله : «وكان أحد الثلاثة» رواه الإمام أحمد في مسنده ٩٦/٤ ، ط . شاکر ، وأبو داود في سننه في كتاب : الطلاق ، باب : في اللعان ٦/٣٤٤-٣٤٧ ، وأبو يعلى في مسنده ٥/١٢٤-١٢٧ ، والطبري في تفسيره ٨٢/١٨ ، ٨٣ ، وابن أبي حاتم : ج ٣ ل ١٥ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/٣٩٤ ، والمصنف الواحدي في أسباب النزول ٢٦٢ ، كلهم من طريق عباد بن منصور ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به . قال الحافظ المنذري في كتابه مختصر سنن أبي داود ٣/١٦٩ : في إسناد عباد بن منصور ، وقد تكلم فيه غير واحد ، وكان قدرياً داعية ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/١٢ بعد ذكره لرواية أبي يعلى : «ومداره على عباد بن منصور وهو ضعيف» ، وقال في مجمع الزوائد ٧/٧٤ : «رواه أحمد وفيه عباد بن منصور وهو ضعيف ، وقد وثق» .

(٤) ذكره الرازي في تفسيره ٢٣/١٦٥ من رواية الكلبي عن ابن عباس . وروايات الكلبي لا يعتمد عليها .

وهذه ثلاثة أقوال في الواجد امرأته مع رجل :

أحدها^(١) : إنه هلال بن أمية .

والثاني : إنه عويمر العجلاني .

والثالث : إنه عاصم^(٢) .

واتفقوا على أن الموجود زانياً هو شريك . والأظهر أن الواجد كان عويمر لكثرة ما روي أن النبي ﷺ لا عن بين العجلاني وامرأته^(٣) .

(١) في (أ) : (أحدهما) .

(٢) حكى ابن حجر في الفتح ٤٥١ / ٨ هذا القول ، ثم قال : «فيه نظر لأنه ليس لعاصم فيه قصة ، وإنما الذي وقع من عاصم نظير الذي وقع من سعد بن عباد» . اهـ . ومما يدل على ما قاله ابن حجر ما أخرجه الطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين في زوائد المعجمين للهيثمي ٢٤٠ / ٤ عن عاصم بن عدي أنه كان عند رسول الله ﷺ ، فلما نزلت هذه الآية : ﴿ثُمَّ لَازِبَتُوهُنَّ بِأَرْبَعَةٍ شَهْرَةٍ﴾ فقلت : يا رسول الله : حتى يأتوا بأربعة شهداء قد قضى الخبيث حاجته ، قال : فما قام حتى جاء ابن عمه أخي أبيه ، وامرأته تحمل صبياً وهي تقول : هو منك ، وهو يقول : ليس منه ، فأنزلت آية اللعان . قال : فأنا أول من تكلم به وأول من ابتلي به . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢ / ٥ ، ١٣ : «ورجاله رجال الصحيح» .

(٣) ذكر ابن حجر في الفتح ٤٥٥ / ٨ اختلاف العلماء في من نزلت فيه آية اللعان ، فقال : «وقد اختلف الأئمة في هذا الموضع ؛ فمنهم من رجّح أنها نزلت في شأن عويمر ، ومنهم من رجّح أنها نزلت في شأن هلال ، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضاً فنزلت في شأنها معاً في وقت واحد . وقد جنح النووي إلى هذا ، وسبقه الخطيب ويؤيد التعدد أن القائل في قصة هلال سعد بن عباد والقائل في قصة عويمر عاصم بن عدي ولا مانع أن تعدد القصص ويتحد النزول» . اهـ . وذكر ابن حجر أن النووي نقل عن الواحدي أن أظهر هذه الأقوال أنه عويمر ، ثم تعقبه بقوله ٤٥١ / ٨ : «وأما قول النووي تبعاً للواحدي وجنوحه إلى الترجيح فمرجوح ، لأن الجمع مع إمكانه أولى من الترجيح» .

٦. فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاحَهُمْ ﴾ أَي بِالزُّنَا ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ ﴾
يشهدون على صحة ما قالوا ﴿ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَتْ أَحَدُهُمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ ﴾
وتقرأ (أربع شهادات) بالنصب^(١).

قال أبو إسحاق : «من قرأ بالرفع فعلى خبر الابتداء . المعنى : شهادة أحدهم التي تدرأ حد القاذف أربع ، والدليل على هذا قوله : ﴿ وَيَذَرُهَا الْعَذَابُ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ ﴾ . ومن نصب أربعاً فالمعنى : فعليهم أن يشهد أحدهم أربع شهادات ، [وعلى معنى : فالذي يدرأ عنهم^(٢) العذاب أن يشهد أحدهم أربع شهادات] ^(٣) بالله . هذا كلامه^(٤) .

وشرحه أبو علي وزاد فيه فقال : «من نصب قوله (أربع شهادات) نصبه بالشهادة ، وينبغي أن يكون قوله : ﴿ فَشَهَدَتْ أَحَدُهُمْ ﴾ مبنياً على ما يكون مبتدأ^(٥) تقديره : فالحكم أو الفرض^(٦) أن يشهد أحدهم أربع شهادات ، أو فعليهم أن يشهدوا .

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص (أربع) رفعاً ، وقرأ الباقون بالنصب .

انظر : السبعة لابن مجاهد ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، والتيسير للداني ١٦٢ والغاية لابن مهران النيسابوري ٢١٨ ، والنشر لابن الجزري ٣٣٠ / ٢ .

(٢) في معاني القرآن : (عنها) ، وهو خطأ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣٢ / ٤ ، ٣٣ .

(٥) (مبتدأ) ساقط من (ع) .

(٦) في (ع) : (الفرض) .

وإن شئت حملته على المعنى ؛ لأن المعنى : يشهد أحدهم ، فقوله (بالله) يجوز أن يكون من صلة الشهادة ومن صلة الشهادات إذا نصبت الأربع ، وقياس من أعمل الثاني ؛ يعني حيث يجتمع فعلا لا في هذه الآية^(١) ، أن يكون قوله (بالله) من صلة شهادات وحذف من الأول لدلالة الثاني عليه ، كما تقول : ضربت وضربني زيد .

ومن رفع فإن الجار والمجرور من صلة شهادات ، ولا يجوز أن يكون من صلة شهادة لأنك إن وصلتها بالشهادة فقد فصلت بين الصلة والموصول ، ألا ترى أن الخبر الذي هو أربع شهادات يفصل^(٢) .

وقوله : ﴿ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴾ في قول من نصب (أربع شهادات) يجوز أن يكون من صلة (شهادة أحدهم) ، فتكون الجملة التي هي من ﴿ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴾ في موضع نصب ؛ لأن الشهادة كالعلم فتتعلق بها (إن) كما تتعلق بالعلم ، والجملة في موضع نصب بأنه مفعول به ، و (أربع شهادات) تنتصب انتصاب المصدر . ومن رفع (أربع شهادات) لم يكن قوله^(٣) : ﴿ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴾ في موضع نصب إلا من صلة شهادات دون صلة شهادة ؛ لأنك إن جعلته من صلة (شهادة) فصلت بين الصلة والموصول^(٤) .

وأما تفسير قوله : ﴿ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴾ [النور : ٨] :

- (١) قوله : (يعني . . . الآية) هذا من كلام الواحدي .
- (٢) في (أ) : (تفضيل) .
- (٣) في النسخ جميعها : (كقوله) ، والتصويب من الحجة .
- (٤) الحجة لأبي علي الفارسي ٣١٠/٥ ، ٣١١ مع اختلاف سير . وانظر : الكشف ١٣٤/٢ ، ومشكل إعراب القرآن ٥٠٩/٢ ، كلاهما لمكي بن أبي طالب ، والبيان للأنباري ١٩٢/٢ ، والدر المصون للسمين ٣٨٥/٨ ، ٣٨٦ .

فروى عكرمة عن ابن عباس : « أن هلال بن أمية لما قذف زوجته بشريك بن السحماء أراد رسول الله ﷺ أن يأمر بضربه ، إذ نزل عليه الوحي ، فقال : « أبشر يا هلال قد جعل الله لك فرجاً ومخرجاً » ، فقال هلال : قد كنت أرجو ذاك من ربي . فقال رسول الله ﷺ : « أرسلوا إليها » ، فأرسلوا إليها فجاءت ، فتلاها رسول الله ﷺ عليها ، وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا ، فقال هلال^(١) : والله يا رسول الله لقد صدقت عليها : فقالت ، كذب ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الله يعلم أن أحكما كاذب فهل منكما تائب ؟ » ، فقال هلال : صدقت^(٢) ، وما قلت إلا حقاً .

فقال رسول الله ﷺ : « لا عنوا بينهما » ، ف قيل لهلال : اشهد ، فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، فلما كان في الخامسة قيل لهلال^(٣) : يا هلال ، اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب . فقال : والله لا يعذبني^(٤) عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله ﷺ فشهد الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، ثم قيل لها : اشهدي فشهدت أربع شهادات إنه لمن الكاذبين ، فلما كانت الخامسة قيل لها : اتقي الله . كما قيل لهلال ، فتلكأت ساعة ، ثم قالت : لا أفصح قومي سائر^(٥) اليوم ، فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، ففرّق رسول الله ﷺ بينهما ، وقضى أن لا يدعى ولدها لأب ، ولا ترمى هي ولا يرمى ولدها ، ومن رماها أو رمى ولدها فعليه الحد .

(١) (هلال) ساقطة من (أ) .

(٢) (صدقت) ساقط من (أ) .

(٣) (لهلال) ساقطة من (أ) ، وفي (ع) له .

(٤) في (ع) : (عذبي) .

(٥) (سائر) ساقطة من (ع) .

[قال عكرمة^(١)]: «فكان بعد ذلك أميراً على مصر ، ولا يدعى لأب»^(٢).

وأما من قال : إن القاذف زوجته بالزنا هو عويمر بن أمية ، قال : لما نزلت^(٣) آيات^(٤) اللعان قال رسول الله ﷺ للزوج والمرأة : «قوما فاحلفا بالله» ، فقام الزوج عند المنبر في صلاة العصر يوم الجمعة قال : أشهد بالله إن خولة لزانة ، وإني لمن الصادقين ، وقال في الثانية : أشهد بالله إني رأيت شريكاً على بطنها وإني لمن الصادقين ، ثم قال في الثالثة : أشهد بالله إنها حبلى من غيري وإني لمن الصادقين ، ثم قال في الرابعة : أشهد بالله أني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإني^(٥) لمن الصادقين ، ثم قال في الخامسة : لعنة الله على عويمر إن كان من الكاذبين عليها في قوله .

ثم قامت خولة مقام زوجها فقالت : أشهد بالله ما أنا بزانية وإن زوجي لمن الكاذبين ، أشهد بالله أنه^(٦) ما رأى شريكاً على بطني وإنه لمن الكاذبين ، أشهد الله إني حبلى منه وأنه لمن الكاذبين ، أشهد بالله أنه ما رآني على فاحشة قط وإنه لمن

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) و(ع) .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٩/٦-٩ ، ط . شاکر ، وأبو داود في سننه ، كتاب : الطلاق ، باب : في اللعان ٦/٣٤٤-٣٤٧ ، وأبو يعلى في مسنده ٥/١٢٤-١٢٧ ، والطبري في تفسيره ١٨/٨٢ ، ٨٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١١٥ ، ب ، ١١٦ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/٣٩٤ ، كلهم من طريق عباد بن منصور ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به .

وقال الحافظ المنذري في كتابه مختصر سنن أبي داود ٣/١٦٩ : «في إسناده عباد بن منصور ، وقد تكلم فيه غير واحد ، وكان قدراً داعية» ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/١٢ بعد ذكره لرواية أبي يعلى : «ومداره على عباد بن منصور وهو ضعيف» ، وذكره في موطن آخر من الزوائد مختصراً ٧/٧٤ ، ثم قال : «رواه أحمد وفيه عباد بن منصور وهو ضعيف ، وقد وثق» .

(٣) في (ظ) و(ع) : (لما نزل) .

(٤) في (ع) : (آية) .

(٥) في (أ) : (إني) .

(٦) في (ع) : (أن) .

الكاذبين ، ثم قالت في الخامسة : غضب الله على خولة إن كان من الصادقين .
ففرّق رسول الله ﷺ بينهما^(١) .

٧ . قوله تعالى : ﴿ وَالْخَمِيسَةُ أَنْ لَعَنْتَ اللَّهَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ . قال ابن عباس : « وذلك أن الرجل يذكر أنه رأى مع امرأته رجلاً أربع مرات ، ثم يقول في الخامسة : اللهم ألعنه إن كان كذب عليها » . وقرأ نافع (أن) مخففة (لعنة الله) بالرفع^(٢) .

قال أبو الحسن : « لا أعلم الثقيلة إلا أجود في العريية ؛ لأنك إذا خففت فالأصل عندك التثقيل فتخفف وتضمّر ، فأن تحيء بما عليه في المعنى ولا تكون أضمرت ولا حذف شيئاً أجود ، وكذلك ﴿ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [يونس : ١٠] وجميع ما في القرآن مما يشبه هذا »^(٣) .

قال أبو علي : « فأما قراءة نافع فقال سيبويه^(٤) : « لا تخفف (أن) في الكلام أبداً وبعدها الأسماء إلا وأنت تريد الثقيلة على إضمار القصة فيها كقوله : ﴿ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ » .

(١) هذا نصّ ما ذكره مقاتل في تفسيره ٣٤ / ٢ ب .

(٢) وقرأ الباقر بتشديد النون ونصب (لعنة) . انظر : السبعة لابن مجاهد ٤٥٣ ، والتيسير للداني ١٦١ ، والغاية لابن مهران ٢١٨ ، والنشر ٣٣٠ / ٢ .

(٣) نقل الواحدي هذا الكلام عن أبي الحسن الأخفش من كتاب : الحجة لأبي علي الفارسي ٣١٤ / ٥ ، وقد ورد نحو هذا الكلام في معاني القرآن للأخفش ٢٩٣ / ١ .

(٤) انظر : الكتاب ١٦٣ / ٣ ، ١٦٤ .

وعلى هذا قول الأعشى^(١) :

أَنْ هَالِكُ كُلِّ مَنْ يَخْفَى وَيَتَّعِلُّ

وإنما خففت الثقيلة المفتوحة على إضمار القصة والحديث^(٢) ، وقد ذكرنا هذا في مواضع .

قال ابن عباس : « فإذا قال الرجل ذلك وقع العذاب عليها [إلا أن تحلف أربع مرات كما حلف إنه لمن^(٣) الكاذبين عليّ ، فذلك قوله]^(٤) » .

٨. ﴿ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ ﴾ ؛ [أي ويدفع عنها الحد]^(٥) ﴿ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ تقول المرأة أربع مرات^(٦) : أشهد بالله إنه لمن

(١) هذا عجر بيت للأعشى من معلقته ، وصدره :

في فتية كسيوف الهند قد علموا

وقبله :

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني
شاوٍ مُشِلُّ شلولٍ شلشلٍ شولٍ
يقول : إنه غدا إلى بيت الخمار معه غلام يشوي اللحم ، خفيف في عمله ، في فتية كريمة ، يهينون ما لهم من اللذات ؛ إذ هم على ثقة أنهم ميتون ، فهم يبادرون اللذات قبل أن يخترمهم الأجل .
وشرط البيت مع صدره في الكتاب : ١٦٤ / ٣ منسوباً إلى الأعشى ، ومعاني القرآن للأخفش ٥١٨ / ٢ مع صدره من غير نسبة ، والخصائص لابن جني ٤٤١ / ٢ من غير نسبة ، والخزانة للبغدادي ٥٤٧ / ٣ ، ٣٥٦ / ٤ ، والمقاصد النحوية ٢٨٧ / ٢ .

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي ٣١٤ / ٥ ، ٣١٥ . قال السمين الحلبي ٣٨٧ / ٨ : « فعلى قراءته يعني نافعاً يكون اسم (أن) ضمير الشأن . . . » و(لعنة الله) مبتدأ ، و(عليه) خبرها ، والجملة في محل خبر (أن) أيضاً . وانظر : معاني القرآن للأخفش ٥١٨ / ٢ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٩٦ ، والكشف لمكي ١٣٤ / ٢ .

(٣) في (ع) : (من) .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ط) .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٦) في (ع) : (شهادات) .

الكاذبين في ما قذفني به^(١) ، وتقول في الخامسة : علي غضب الله إن كان من الصادقين ، فذلك قوله :

٩. ﴿وَالْخَمِيسَةَ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ .

وقرأ حفص عن عاصم (وَالْخَمِيسَةَ) نصباً^(٢) بالحمل على ما في الكلام من معنى الفعل كأنه : ويشهد الخامسة ، يضمّر هذا الفعل لأن في الكلام دلالة عليها . ولم يختلفوا في (وَالْخَمِيسَةَ) الأولى أنها مرفوعة ؛ وذلك أنه لا يخلو من أن يكون ما قبله من قوله : ﴿أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ﴾ مرفوعاً أو منصوباً . فإن كان مرفوعاً أتبع الرفع ويكون محمولاً على ما قبلها من الرفع ، وإن كان منصوباً قطع عنه ولم يحمل على النصب ، وحمل الكلام على المعنى ؛ لأن معنى^(٣) قوله : ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ﴾ : عليهم أربع شهادات ، وحكمهم أربع شهادات والخامسة فتحمله على هذا ، كما أن قوله :

إِلَّا رَوَاكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءً^(٤)

(١) (به) ساقطة من (أ) .

(٢) وقرأ الباقر (والخامسة) رفعاً . انظر : السبعة لابن مجاهد ٤٥٣ ، والتيسير للداني ١٦١ ، والغاية لابن مهران النيسابوري ٢١٨ ، والنشر لابن الجزري ١ / ٣٣٠ .

(٣) في (ع) : (المعنى) .

(٤) ورد هذان الشطران في الكتاب : لسيبويه ١ / ١٧٣ ، ١٧٤ مع شطريهما من غير نسبة إلى أحد . والبيتان هما :

بادثٌ وغير آيئن مع البلى إلَّا رَوَاكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءٌ
ومشجعٌ أمَّا سواءٌ قذالِهِ فبداً وغير سساره المعزاء
والبيتان أيضاً غير منسوبين في معاني القرآن للزجاج ، وإعراب القرآن للنحاس ١ / ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، وهما في الخزانة ٢ / ٣٤٨ . والبيت الثاني في اللسان (شجع) ٢ / ٣٠٤ من غير نسبة . وقد نسب البيتان للشاخ كما في ملحق ديوان الشاخ ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

ونسب البيت الثاني لذي الرمة كما في ملحق ديوانه ٣ / ١٨٤٠ .

ومعنى بادث هلك ، وغير آيئن : أي علامتهن ، والمراد بالرواكِد أحجار الأنثية ، وهبا الرماد يهبو =

معناه : ثم رواكد ، فحمل قوله :

وَمُشَجِّجٌ أَمَّا سِوَاهُ قَدْالِهِ^(١)

عليه ، ويجوز في القياس نصب (الخامسة) الأولى ، رُفِعَ (أربع شهادات) أو نُصِبَ . فإن نُصِبَ فبالعطف على المنصوب ، وإن رُفِعَ فعلى المعنى ؛ لأن معنى ﴿ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمَا أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ ﴾ يشهد أحدهما أربع شهادات ويشهد الخامسة . فتنصبه^(٢) بما في الكلام من الدلالة على هذا الفعل^(٣) .

وقرأ نافع (أَنْ) مخففة (عَظَبَ اللهُ) على الفعل^(٤) . و(أَنْ) هاهنا هي المخففة من الثقيلة ، وأهل العربية يستقبحون أَنْ تلي الفعل حتى يفصل بينها^(٥) وبين الفعل شيء ، ويقولون : يستقبح أَنْ تخفف ويحذف ما تعمل فيه وَأَنْ تلي ما لم تكن تليه من الفعل بلا حاجز بينهما ، فتجتمع هذه الاتساعات فيها . فإن فصل بينها وبين الفعل بشيء لم يستقبحوا ذلك ، كقوله : ﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ ﴾ [المزمل : ٢٠]

إذا اختلط بالتراب ، ومشجج : المراد به وتد الخباء الذي شج رأسه من الدق ، وقذاله : أعلاه ، وغير ساره ، أي بقيته ، والمعزاء : البقعة من الأرض التي يخالط تراها حصى وحجارة . يقول : لم يبقَ من آثار الأحاب سوى أحجار الأثافي ورمادها المختلط بالتراب ووتد الخباء المكسور الرأس المتغير بطول بقاءه في الأرض . انظر : اللسان (شجج) ٣٠٤/٢ ، و(قذل) : ٥٥٣/١١ ، و(شار) ٣٣٩/٤ . وتاج العروس للزبيدي (معز) : ٣٣٧/١٥ ، وشرح شواهد الكشف ٣٢٢ .

(١) المرجع السابق نفسه .

(٢) في (أ) : (فتنصبه) .

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي ٣١١/٥ - ٣١٤ مع تصرف يسير ، وانظر في توجيه القراءتين أيضاً : حجة القراءات لابن زنجلة ٤٩٥ ، والكشف لمكي ١٣٥/٢ .

(٤) قرأ نافع (أَنْ) مخففة وكسر الضاد في (غضب) ورفع الهاء من اسم الله ، وقرأ الباقر بتشديد النون وفتح الضاد وجر الهاء . انظر : السبعة لابن مجاهد ٤٥٣ ، والتيسير للداني ١٦١ ، والغاية لابن مهران ٢١٨ ، والنشر لابن الجزري ٣٣٠/٢ .

(٥) في (ع) : (بينها) .

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ ﴾ [طه: ٨٩]، وعلمت أن قد قام . فإذا فصل بشيء من هذا النحو بينه وبين الفعل زال بذلك أن تلى ما لم يكن حكمها أن تليه .

فإن قلت : فقد جاءت ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ [النجم: ٣٩] ، وجاء ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل: ٨] ، فإن (ليس) تجري مجرى (ما) ونحواً مما ليس بفعل . وأما ﴿ نُودِيَ أَنْ بُورِكَ ﴾ فإن قوله (بُورِكَ) على معنى الدعاء فلم يجز دخول (لا) ولا (قد) ولا (السين) ولا شيء مما يصح دخوله في^(١) الكلام فيصح به الفصل .

وهذا مثل^(٢) ما^(٣) حكى سيبويه^(٤) من قولهم : أما أن جزاك الله خيراً . فلم يدخل شيء من هذه الفواصل من حيث لم يكن موضعاً لها ، وغير الدعاء في هذا ليس كالدعاء . ووجه قراءة نافع أن ذلك قد جاء في الدعاء ولفظه الخبر ، وقد يجيء في الشعر من غير الفصل^(٥) .

وأما أحكام اللعان :

فاعلم أن اللعان يعتمد القذف ، فلا يتصور لعان ما لم يتقدم قذف ، ولا فرق بين أن يكون ذلك القذف بصريح الزنا على جهة المطاوعة ، وبين^(٦) أن يكون بوطء شبهة أو بوطء كانت مستكرهة فيه ؛ لأن ذلك كله ووطء حرام ، فإذا قذف

(١) (في) ساقطة من (أ) و(ط) .

(٢) (مثل) ساقطة من (أ) .

(٣) في (أ) : (مما) .

(٤) انظر : الكتاب : ١٦٧ / ٣ .

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي ٣١٥ / ٥ ، ٣١٦ مع اختلاف يسير ، وانظر : المحرر الوجيز لابن عطية ٤٤٤ / ١٠ ، وإبراز المعاني لأبي شامة ٦١٢ ، والبحر المحيط ٤٣٤ / ٦ .

(٦) في (ع) : (أو بين) .

زوجته لزمه الحد وله التخلص منها بإقامة البينة أو باللعان . فإن^(١) أقام البينة على زناها لزمها الحد ، وإن التعن لزمها الحد أيضاً ، ولها التخلص منه باللعان^(٢) .

ولا يكون اللعان إلا مغلطاً بالزمان والمكان ، فإن كان بمكة فعند^(٣) المقام ، وإن كان بالمدينة فعلى المنبر ، وكذلك في كل بلدة ، وينبغي أن يكون بعد العصر يوم الجمعة ، أو [في أي]^(٤) وقت من الأوقات الشريفة^(٥) .

ولا يجزئ اللعان إلا بين يدي سلطان أو نائب عن السلطان^(٦) . وتكون البداية بالزوج كما ذكر الله في كتابه^(٧) . وكل زوج كان من أهل الطلاق كان من أهل اللعان ، عبداً كان أو حراً ، ذمياً كان^(٨) أو مسلماً ، محدوداً في القذف أو غير محدود ؛ لأن اللعان عند الشافعي أيمان وإن كان فيها شوب^(٩) شهادة^(١٠) .

(١) في (أ) : (وإن) .

(٢) انظر : أحكام القرآن للكميا الهراسي ٣/ ٣٠٥ ، والمغني ١١/ ١٣٦-١٦٠ .

(٣) في (ع) : (عند) .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٥) هذا أحد قولي الشافعية ، والقول الآخر أنه مستحب ولا يجب .

وذهب آخرون وهو قول أبي حنيفة إلى أنه لا يستحب التغليظ في اللعان بمكان ولا زمان ، لأن الله تعالى أطلق الأمر بذلك ، ولم يقيد بزمان ولا مكان ، فلا يجوز تقييده إلا بدليل .

انظر : الحاوي الكبير للماوردي : ١١/ ٤٤ ، ٤٥ ، والمغني لابن قدامة ١١/ ١٧٥ ، وروضة الطالبين للنووي ٨/ ٣٥٤ .

(٦) انظر : الحاوي ١١/ ٤٤ ، ١٣٣ ، والمغني ١١/ ١٧٤ ، وروضة الطالبين ٨/ ٣٥٥ .

(٧) في (أ) : (شأنه) .

(٨) (كان) ساقطة من (ع) .

(٩) في (ع) : (ثبوت) .

(١٠) وهذا قول جمهور العلماء . وعند أبي حنيفة اللعان شهادة فلا تصح إلا من مسلمين حرين عفيفين ، فإن كانا كافرين أو أحدهما أو مملوكين أو أحدهما لم يصح لعانها . وهو قول الأوزاعي والزهري وغيرهما . انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، والحاوي ١١/ ١٢ ، وأحكام القرآن للكميا الهراسي ٣/ ٣٠٣ ، والمغني لابن قدامة ١١/ ١٢٢ ، ١٢٣ ، والجامع للقرطبي ١٢/ ١٨٦ ، ١٨٧ .

ويؤمر الزوج فيصعد المنبر والمرأة جالسة ، فيقول : أشهد بالله إني لمن الصادقين في ما رميت به فلانة بنت فلان هذه^(١) ويشير إليها من الزنا بفلان بن فلان . فيسقط عنه حد قذف فلان إذا ذكره في اللعان ، ثم يعيد الشهادة أربع مرات^(٢) .

وإن كان بها حمل فالصحيح من مذهب الشافعي أن يذكر الحمل في اللعان فينتفي^(٣) . وكانت امرأة العجلاني حاملاً فلاعنها [على الحمل]^(٤) ، وانتفى النسب .

فإذا انتهى إلى ذكر اللعنة في الخامسة خوَّفه القاضي وعرفه أنها موجبة ، وأمر بعض من يحضر بوضع اليد على فمه إذا أراد أن يمضي على اللعنة^(٥) .

والسُّنة أن يكون بمحضر خلق ؛ فإن الصبيان حضروا على عهد رسول الله ﷺ^(٦) . وإن نكل عن اللعان ولم يتمم وجب عليه حد القذف إن^(٧) كانت محصنة .

ولا تقوم أكثر كلمات اللعان مقام الجميع^(٨) ، وإن أكمل توجه^(٩) عليها حدُّ الزنا كما يتوجه بالبيّنة إلا أن يعارض اللعان باللعان فتدفع بذلك حدُّ^(١٠) الزنا عن

(١) هذه ساقطة من (ع) .

(٢) انظر : المغني ١١ / ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٣) انظر : الحاوي ١١ / ٦٣ ، والمغني ١١ / ١٦١ ، والقرطبي ١٢ / ١٨٨ .

(٤) ساقط من (ع) .

(٥) انظر : المغني ١١ / ١٧٧ ، وروضة الطالبين ٨ / ٣٥٥ ، والقرطبي ١٢ / ١٩٢ .

(٦) انظر : المغني ١١ / ١٧٤ .

(٧) في (ع) : (وإن) .

(٨) انظر : المغني ١١ / ١٥٢ ، ١٧٧ ، وروضة الطالبين ٨ / ٣٥١ .

(٩) في (ع) : (وجب) .

(١٠) (حد) ساقطة من (أ) .

نفسها . هذا معنى قوله : ﴿ وَيَذَرُوهَا الْعَذَابَ ﴾ ، ثم يذكر الغضب في الخامسة .
وإن نكلت عن كلمة من كلمات اللعان فكأنها نكلت عن جميع اللعان .

وأيهما نكل فاشتغلنا بإقامة الحد وأقمنا فقال : دعوني ألتعن ، كان ممكناً من اللعان بخلاف النكول عن الأيمان لا يعود حق اليمين بعد ما تحقق من النكول . وهذا من شوب^(١) الشهادات في اللعان ، والشهادة مسموعة مقبولة^(٢) متى ما أقيمت^(٣) .

ولا يحبس واحد منهما إذا نكل ليلتعن ، ولكن يعاقب هذا بحد القذف وهذه بحد الزنا^(٤) .

وإذا تكامل لعان الزوج اندفع عنه حد القذف ، وانتفى نسب الولد المذكور في اللعان مولوداً كان أو حملاً ، وارتفع الفراش ، ولا حاجة إلى تطليق القاضي وتفريقه^(٥) ، ثم لا يجتمعان بعد ذلك أبداً . قال رسول الله : « المتلاعنان لا يجتمعان أبداً »^(٦) .

(١) في (ع) : (ثبوت) .

(٢) (مقبولة) ساقطة من (أ) .

(٣) انظر : روضة الطالبين ٨ / ٣٤٩ .

(٤) انظر : الحاوي ١١ / ٨٠ .

(٥) هذا مذهب الشافعي ، وهو أن الفرقة تحصل بلعان الزوج وحده ، ولا يحتاج إلى تفريق الحاكم بينهما . وذهب آخرون إلى أن الفرقة لا تحصل إلا بتلاعن الزوج وامراته جميعاً ، ولا يحتاج إلى تفريق الحاكم . وهو قول مالك وأبي عبيد وبعض الحنابلة ، وهو مروي عن ابن عباس . وذهب آخرون إلى أن الفرقة لا تقع إلا بتفريق الحاكم بعد فراغها جميعاً من التلاعن ، وهو قول الثوري وأبي حنيفة وصاحبيه وبعض الحنابلة . انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣ / ٢٩٨ ، والحاوي ١١ / ٧٤ ، والمغني ١١ / ١٤٤ - ١٤٦ ، وروضة الطالبين ٨ / ٣٥٦ ، والجامع للقرطبي ١٢ / ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٦) رواه الدارقطني في سننه ٣ / ٢٧٦ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٧ / ٤٠٩ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . ونقل العلامة المحدث أبو الطيب محمد شمس الدين العظيم آبادي في كتابه التعليق المغني على الدارقطني عن صاحب التنقيح أنه قال : إسناده جيد . وروى الدارقطني في سننه ٣ / ٢٧٥ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٧ / ٤١٠ من حديث سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - في قصة المتلاعنين =

وإن أكذب الزوج نفسه فإنها يؤثر تكذيبه في ما عليه ، وهو عود النسب ووجوب الحد ، ولا يؤثر في ما له وهو ارتفاع التحريم وعود الفراش ^(١) . ولا يتعلق بلعان المرأة إلا سقوط الحد عنها ^(٢) .

وإن أغفل ذكر الولد في اللعان استأنف ^(٣) اللعان ^(٤) ، وإن قذفها بزنا قبل النكاح فعليه الحد ولا لعان ^(٥) .

وإن ارتفع النكاح بطلاق رجعي فالقذف واللعان في عدة الرجعية حكمها حكم ما يكون في صلب النكاح ، وأمّا القذف بعد البينة فإنه موجب للحد ولا لعان إلا أن يكون ولد فله اللعان عند الشافعي لنفي النسب ^(٦) ، وكذلك اللعان في النكاح الفاسد يجري لنفي الولد ^(٧) .

قال : «قتلنا ، ففرق الرسول ﷺ بينها وقال : لا يجتمعان أبداً» .

قال محقق زاد المعاد لابن القيم ٣٩١ / ٥ : رجاله ثقات ، وانظر : تلخيص الحبير لابن حجر ٢٥٣ / ٣ ، ونيل الأوطار ٧٧ / ٨ .

(١) وهذا قول جمهور العلماء . وذهب أبو حنيفة إلى أنه إذا أكذب نفسه جُلد الحدّ ولحق به الولد ، وكان خاطباً من الخطاب إذا شاء . وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وسعيد بن جبير وغيرهم .
انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣ / ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، والحاوي ١١ / ٧٥ ، والمغني ١١ / ١٤٩ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢ / ١٩٤ .

(٢) تقدّم أن هذا مذهب الشافعي وحده . والجمهور على خلافه .

(٣) في (أ) : (استأنف في) بزيادة (في) .

(٤) انظر : المغني ١١ / ١٥٣ .

(٥) انظر : المغني ١١ / ١٣٥ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢ / ١٨٧ .

(٦) انظر : الأم ٥ / ١١٧ ، والمغني ١١ / ١٣٣ ، وروضة الطالبين ٨ / ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

(٧) انظر : المغني ١١ / ١٣٢ ، وروضة الطالبين ٨ / ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

وإذا قذف أربع زوجات فجمعهن في اللعان ورضين بذلك كان جائزاً^(١).

وفرقة اللعان فسخ^(٢)؛ لأنه جاء بفعل من قبل المرأة.

وقال أبو حنيفة: «اللعان^(٣) تطليقة بائنة لأنه من قبل الرجل بدأ^(٤)». والله أعلم.

١٠. قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾. قال الفراء: «(لولا) هاهنا متروك الجواب؛ لأنه معلوم المعنى. وكذلك كل ما كان معلوم الجواب فإن العرب تكتفي بترك جوابه، ألا ترى أن الرجل ليشتتم صاحبه فيقول المشتوم: أما والله لولا أبوك، فيعلم أنه يريد لشتمتك، فمثل هذا يترك جواب، وقد قال بعد ذلك فين جواب وهو قوله: ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾ [النور: ١٤] ﴿مَا زَكَّيْكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ [النور: ٢١] فذلك يبين لك المتروك^(٥)».

(١) انظر: المغني ١١/١٨٣، وروضة الطالبين ٨/٣٤٧.

(٢) وهو قول الشافعي وأحمد وغيرهما. انظر: المغني ١١/١٤٧، وروضة الطالبين ٨/٣٥٦.

(٣) (اللعان) ساقط من (ع).

(٤) انظر: بدائع الصنائع للكاساني ٣/٢٤٤، ٢٤٥، وتبيين الحقائق للزيلعي ٣/١٧، ١٨.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٢٤٧.

وقال المبرّد : « تأويله - والله أعلم - هلكتم ، أو لم يبقَ لكم باقية ، أو لم يصلح لكم أمر ، أو ما أشبه ذلك من الوعيد المرجع ، فحذف لأنه ^(١) لا يشكل ^(٢) ، وأنشد لجرير فقال :

كَذَبَ الْعَوَازِلُ لَوْ رَأَيْنَ مَنَاخَنَا بِحَزِينِ رَامَةٍ وَالْمَطِيِّ سَوَامِي ^(٣)
وقد ذكرنا هذا مستقصى في ما تقدّم .

وقال أبو إسحاق : « المعنى والله أعلم : لولا فضل الله عليكم لنال الكاذب منكم عذاب عظيم » ^(٤) .

وهذا مما ذكره المبرّد لأن هذه الآية ^(٥) من تمام قصة اللعان فتقدير الجواب بما قدره أبو إسحاق أليق ^(٦) بما تقدّم مما قدره المبرّد ، وإن كان ذلك جائزاً ^(٧) .

قال ابن عباس : « ولولا ستر الله عليكم ورحمته » .

(١) في (ع) : (أنه) .

(٢) ذكر الزركشي في البرهان ١٨٧/٣ هذا القول عن المبرّد .

(٣) البيت في ديوانه ٩٦١/٢ ، والنقائض لأبي عبيدة ٢٥٨/١ ، وسر صناعة الإعراب ٦٤٨/٢ .

العَوَازِل : جمع عاذلة وهي اللائمة ، والمُنَاخ بالضم : مبرك الإبل ، والحزير كأمير : الموضع من الأرض كثرت حجارته وغلظت كأنها السكاكين ، وقيل الأرض فيها غلظ واستواء ، وحزير رامة : اسم لعدة مواضع في بلاد العرب ، منها موضع في طريق البصرة إلى مكة . انظر : معجم البلدان لياقوت ٢١٢/٤ ، ولسان العرب (عذل) ٤٣٧/١١ ، و(حز) ٣٣٥/٥ ، و(سما) ٤٠٠/١٤ ، والقاموس المحيط ٢٧٢/٢ . قال أبو عبيدة في النقائض ٢٥٨/١ ، ٢٥٩ : « والمطي : ما امتطى ظهره ، والمطا : الظهر . و(المطي سوامي) يقول : هي في بلد لا رعي فيها فهي تسمو بأبصارها إلى موضع الرعي . يقول : لو رأين مناخنا وما نلقى ما عدلنا في الطلب » . اهد مع تصرّف .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣٣/٤ .

(٥) في (ع) : (اللام) .

(٦) (أليق) ساقطة من (ع) .

(٧) في (ع) : (جائز) .

قال مقاتل : «(ونعمته) لأطلع على الكاذب منها»^(١).

يعني : لولا أنه ستر بفضلله ورحمته لبين الكاذب من الزوجين فيقام عليه الحد .

﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ يعود على من رجع عن معاصي الله إلى ما يجب بالرحمة .

﴿حَكِيمٌ﴾ في خلقه في ما فرض من الحدود ، قاله ابن عباس .

وقال مقاتل : «﴿حَكِيمٌ﴾ حَكَمَ بالملاعنة»^(٢).

١١ . ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ . قال ابن عباس^(٣) والمفسرون^(٤) : يعني بالكذب على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها .

قال المبرّد : «الإفك أسوأ الكذب وأقبحه ، وهو مأخوذ من أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه»^(٥).

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٣٥ ب : وفيه : (لأظهر على الذنب يعني الكاذب منها) .

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٣٥ ب .

(٣) رواه الطبراني في الكبير ٢٣/ ١٣٠ من طريق عبدالغني بن سعيد الثقفي ، عن موسى بن عبدالرحمن الصنعاني ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس . وقد تقدّم في المقدمة بيان بطلان هذا الطريق ، وذكرنا هناك كلام ابن حبان وابن حجر .

(٤) انظر : الطبري ١٨/ ٨٦ ، ٨٧ ، والتعليبي ٣/ ٧٣ ب .

(٥) ذكر هذا المعنى الزخشي ٣/ ٥٢ ، والبغوي ٦/ ٢٢ من غير نسبة إلى أحد . قال ابن فارس في معييس اللغة (أفك) ١/ ١١٨ : «الهمزة والفاء والكاف أصل واحد يدل على قلب الشيء وصرفه عن جهته ، وأفك الرجل إذا كذب ، والإفك : الكذب ، وأفكت الرجل عن الشيء ، إذا صرفته عنه» . اهـ . وانظر : تهذيب اللغة للأزهري (أفك) ١٠/ ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، والصحاح للجوهري (أفك) : ٤/ ١٥٧٢ ، ١٥٧٣ .

ومعنى القلب في هذا الحديث أن عائشة كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصانة وشرف السبب والنسب لا الرمي والقذف ، فالذين رموها بالسوء قد^(١) قلبوا الأمر عن وجهه^(٢) ، فهو^(٣) إفك قبيح وكذب ظاهر ، ومثله الأفيكة . والعرب تقول عند العجب من كذب إنسان : يا للأفيكة بكسر اللام وفتحها^(٤) . وقوله : ﴿عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ ؛ أي جماعة منكم أيها المؤمنون .

والذين ذكروا منهم مسمّى في الآثار^(٥) : حسان بن ثابت ، ومسطح بن أثاثه^(٦) ، وحننة بنت جحش^(٧) أخت عبدالله بن جحش الأسدي ، والمنافق عبدالله بن أبي .

-
- (١) في النسخ جميعها : (فقد) .
 (٢) ذكر البغوي ٢٢ / ٦ هذا المعنى ، ولم ينسبه إلى أحد .
 (٣) في النسخ جميعها : (هو) ، والتصويب من الوسيط للواحد .
 (٤) من قوله : (والعرب . . .) إلى هنا ، ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (أفك) ٣٩٦ / ١٠ من رواية أبي عبيد عن الكسائي مع تقدم وتأخير .
 (٥) انظر في ذلك : الطبري ٨٦ / ١٨ ، ٨٧ ، وابن أبي حاتم ٢٢ / ٧ ، والدر المنثور للسيوطي ١٥٦ / ٦ ، ١٥٧ .
 (٦) هو مسطح بن أثاثه بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي ، المطلب ، المهاجري ، البديري ، كان اسمه عوفاً ، وأماً مسطح فهو لقبه ، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، توفي سنة ٣٤ هـ وهو ابن ست وخمسين سنة . انظر : طبقات ابن سعد ٥٣ / ٣ ، والاستيعاب ٤ / ١٤٧٢ ، وأسد الغابة ٤ / ٣٥٤ ، وسير أعلام النبلاء ١ / ١٨٧ ، والإصابة ٣ / ٣٨٨ .
 (٧) هي حننة بنت جحش بن رباب الأسدية ، أخت أم المؤمنين زينب ، أمها أميمة بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ ، كانت من المبايعات ، وشهدت أحدًا ، فكانت تسقي العطشى ، وتحمل الجرحى وتداويهم . وقُتل عنها يوم أحد زوجها مصعب بن عمير ، فتزوجها طلحة بن عبيدالله ، فولدت له أولادًا ، منهم محمد بن طلحة المعروف بالسَّجَّاد . انظر : طبقات ابن سعد ٨ / ٢٤١ ، والاستيعاب ٤ / ١٨١٣ ، وأسد الغابة ٥ / ٤٢٨ ، والإصابة ٤ / ٢٦٦ .

ذكرت عائشة - رضي الله عنها - هؤلاء^(١)، وذكرهم المفسرون :
 فقال ابن عباس : « أربعة منكم »^(٢)، وسأهم مقاتل بأسمائهم^(٣) .
 وقوله : ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ﴾ : لا تحسبوا الإلفك شرًّا لكم .
 قال مقاتل : « لأنكم تؤجرون على ما قيل لكم من الأذى »^(٤) .
 ﴿ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ لأن الله يأجركم ، ويظهر^(٥) براءتكم .
 والمخاطب بقوله^(٦) : (لَكُمْ) عائشة وصفوان^(٧) في ما ذكر أهل التفسير^(٨) ،
 وعلى هذا خوطبا مخاطبة الجمع .

- (١) ذكرتهم عائشة في الحديث الذي رواه عنها البخاري في صحيحه ٤٥٢ / ٨ ، ٤٥٣ في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ أَوَّلًا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ الآية ، ومسلم في صحيحه ٢١٢٩ - ٢١٣٨ في كتاب : التوبة ، باب : في حديث الإلفك ، وغيرهما .
- (٢) رواه الطبراني في الكبير ١٣٠ / ٢٣ من رواية عطاء ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥٠ / ٦ ، وعزاه إلى الطبراني ، وروى الطبري ٨٦ / ١٨ من طريق ابن جريج عن ابن عباس ذكر هؤلاء الأربعة بأسمائهم وفيه انقطاع ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥٧ / ٦ ، ونسبه أيضاً إلى ابن المنذر .
- (٣) انظر : تفسير مقاتل ٣٥ / ٢ ب ووقع فيه : وجميلة بنت جحش . وهو تصحيف .
- (٤) تفسير مقاتل ٣٥ / ٢ ب .
- (٥) في (أ) : (وتظهر) .
- (٦) في (أ) : (لقول له) .
- (٧) هو صفوان بن المعطل السلمي ، الذكواني ، أبو عمرو . أول مشاهده المريسيع ، وكان في الساقة يومئذ ، وكان من سادات المسلمين ، قُتل - رضي الله عنه - شهيداً في غزو الروم سنة ٦٠ هـ . انظر : الاستيعاب ٧٢٥ / ٢ ، وأسد الغابة ٢٦ / ٣ ، وسير أعلام النبلاء ٥٤٥ / ١ ، والبداية والنهاية ١٤٦ / ٨ ، والإصابة ١٨٤ / ٢ .
- (٨) ذكره الثعلبي ٧٣ / ٣ ب ، ورواه ابن أبي حاتم ٢٢٢ / ٧ عن سعيد بن جبير ، وذكره الماوردي ٧٩ / ٤ وعزاه إلى يحيى بن سلام ، وذكره ابن الجوزي ١٨ / ٦ ، وعزاه إلى المفسرين .

وقال أبو إسحاق : « قوله : (لَكُمْ) يعني هي وصفوان ومن بسببها^(١) من النبي ﷺ وأبي بكر^(٢) .

ويكون الخطاب لكل من رُمي بسبب ؛ وذلك أن من سبَّ عائشة فقد سبَّ النبي ﷺ وسبَّ أبا بكر .

وهذا هو قول ابن عباس في رواية عطاء ، فقال : « يريد : خيرٌ لرسول الله ، وبراءة لسيدة النساء أم المؤمنين ، وخير لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وأم عائشة^(٣) ، ولصفوان بن المعطل^(٤) .

وقوله : ﴿ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ ﴾ : يعني من العصبة الكاذبة ﴿ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْرِ ﴾ جزاء ما اجترح من الذنب^(٥) .

قال مقاتل : « على قدر ما خاض فيه من أمر عائشة وصفوان^(٦) .

(١) في (أ) : (إلى) ، والمثبت من باقي النسخ والزجاج .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٤ / ٤ ، وليس فيه ذكر صفوان .

(٣) هي أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية . واختلف في اسمها ، ف قيل : زينب ، وقيل : دَعْد . أسلمت أم رومان قديماً ، وبايعت وهاجرت إلى المدينة ، وهي أم عبدالرحمن وعائشة ، وكانت امرأة صالحة ، توفيت في عهد النبي ﷺ سنة ست من الهجرة ، وقيل بعد ذلك . انظر : طبقات ابن سعد ٢٧٦ / ٨ ، والاستيعاب ١٩٣٥ / ٤ ، وأسد الغابة ٤٨٣ / ٥ ، والإصابة ٤٣٢ / ٤ .

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٣٠ / ٢٣ من رواية عطاء .

(٥) الثعلبي ٧٣ / ٣ ب ، والطبري ٨٧ / ١٨ .

(٦) تفسير مقاتل ٣٦ / ٢ أ .

وقوله : ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ . قال الفرّاء^(١) : «اجتمع الفرّاء على كسر الكاف ، وقرأ حميد الأعرج بضم الكاف^(٢) ، وهو وجه جيد ؛ لأن العرب تقول : تولى فلان عظم كذا ، يريدون أكبره»^{(٣)(٤)} .

قال الأزهري : «قاس^(٥) الفرّاء الكبير على العظم ، وكلام العرب على غيره ، أخبرني المنذري ، عن الحرّاني ، عن ابن السكيت قال : كبر الشيء معظمه بالكسر» ، وأنشد^(٦) لقيس بن الخطيم :

تَنَامُ عَنْ كِبَرِ شَأْنِهَا فَإِذَا قَامَتْ رُوَيْدًا تَكَادُ تَنْغَرِفُ^(٧)

(١) (الفرّاء) ساقط من (ظ) و(ع) .

(٢) ذكر هذه القراءة عن حميد ابن خالويه في الشواذ ١٠١ ، وابن جني في المحتسب ١٠٣/٢ ، ١٠٤-١ ، والثعلبي في الكشف والبيان ٧٣/٣ ب ، ٧٤ أ ، وابن عطية في المحرر ٥٧/١٠ ، والقرطبي ١٢/٢٠٠ ، وأبو حيان ٤٣٧/٦ .

وبها قرأ يعقوب الحضرمي . انظر : إرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهي في القراءات العشر للقلانسي ١٤٦٠ ، والمبسوط في القراءات العشر لابن مهران ٢٦٦ ، والنشر لابن الجزري ٣٣١/٢ .

(٣) في (ع) : (لكبره) .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢٤٧/٢ .

(٥) في (ع) : (قال) .

(٦) المنشد هو ابن السكيت كما في تهذيب اللغة للأزهري .

(٧) البيت في ديوانه ٥٧ ، والمفضّليات ٧٨٨ ، وتهذيب اللغة للأزهري ٢٠٩/١٠ ، وجهرة اللغة لابن دريد ٣٩٤/٢ ، ولسان العرب (كبر) ١٢٩/٥ . قال البطليوسي في الاقتضاب ١٩٩/٣ : «وصف امرأة نشأت بين رفاهية ونعمة ، فهي تنام لجلالة شأنها وأن لها من يكفيها المؤنة ، فإذا قامت قامت في سكون وضعف ، وكادت تنغرف ؛ لركة خصرها ، وثقل ردفها» . اهـ . ومعنى تنغرف : قيل تَنَشَّى ، وقيل : تنقص من ذفة خصرها . وانغرف العظم : انكسر . انظر : لسان العرب لابن منظور (غرف) ٢٦٤/٩ .

ومن أمثالهم : كبر سياسة الناس في المال . قال ^(١) : «وأما الكبر بالضمّ فهو أكبر ^(٢) ولد ^(٣) الرجل . يقال : الولاء للكبر» ^(٤) .

ونحو هذا قال أبو عمرو بن العلاء ، وخطأ من ضمّ الكاف ^(٥) .

وقال الكسائي : «الذي سمعناه بكسر الكاف ، وأظن الضمّ لغة» ^(٦) .

وقال أبو عبيدة : «الكِبْر بالكسر : مصدر الكبير ، وكبره معظمه . وبالضمّ مصدر الكبير في السن ، فَرَّقُوا بينهما فقالوا : كبر قومه بالضمّ . وجعلها قوم بالضمّ» ^(٧) .

وقال الليث : «الكِبْر : الإثم الكبير ، وكبر كل شيء عظمه» ^(٨) .

(١) القائل هو ابن السكيت .

(٢) في (أ) و(ع) : (أكثر) ، والمثبت من (ظ) تهذيب اللغة .

(٣) في (أ) : (وكذا) .

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (كبر) ٢١٤ / ١٠ مع تصرف وزيادة .

(٥) ذكر الثعلبي ٧٤ / ٣ أ قول أبي عمرو وتخطئته ، وقال النحاس في معاني القرآن ٥٠٩ / ٤ : «قيل لأبي عمرو بن العلاء : أنقرأ (والذي تولى كُبره) ؟ فقال : لا . إنّنا الكبر في النسب» .

(٦) روى الأزهري هذا القول في تهذيب اللغة (كبر) ٢١٠ / ١٠ عن المنذري ، عن ابن اليزيدي ، عن أبي زيد في قوله : (والذي تولى كُبره) ، فذكره بنحوه . وقبل هذه الرواية ذكر الأزهري نصاً عن الكسائي ، وبعد الرواية ذكر نصاً آخر عن الكسائي من رواية أبي عبيد . فاحتمال خطأ الواحد في نسبة هذا القول وارد ، والله أعلم .

وقد ذكر الثعلبي ٧٤ / ٣ عن الكسائي أنه قال : هما لغتان ، يعني الضم والكسر .

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٤ / ٢ مع اختلاف يسير وتصرف .

(٨) قول الليث في تهذيب اللغة للأزهري (كبر) ٢١٤ / ١٠ ، وهو في العين (كبر) ٣٦١ / ٥ بنصّه .

فمن قرأ (كبّره) قال : إثمه وخطاه ، ومن قرأ بالضمّ قال : عظم هذا القذف^(١) .

واختار الزّجاج هذا القول وحكاه^(٢) . ومعنى ﴿تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ استبد بمعظمه وانفرد به .

قال الضحاك : «قام بإشاعة الحديث وإذاعته»^(٣) ، وهو معنى^(٤) قول ابن عباس في رواية عطاء^(٥) .

والذي تولى كبّره مختلف فيه :

فقال عطاء عن ابن عباس : «هو عبدالله بن أبي»^(٦) .

وهو قول مجاهد^(٧) ، ومقاتل^(٨) ، والسدي^(٩) . ورواية عروة عن عائشة ، روى عنها في حديث الإفك أنها قالت : «ثم ركبْتُ ، وأخذ صفوان بالزمام ،

(١) انظر : المحتسب لابن جني ١٠٥ / ٢ ، والبحر المحيط ٤٣٧ / ٦ ، والدر المصون ٣٨٩ / ٨ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٣٥ ، ٣٤ / ٤ .

(٣) ذكره عنه البغوي ٢٢ / ٦ ، وروى الطبري ٨٧ / ١٨ ، وابن أبي حاتم ٢٢ / ٧ أ عنه قال : «الذي بدأ بذلك» ، وانظر : الدر المنثور ١٥٨ / ٦ .

(٤) (معنى) ساقطة من (أ) .

(٥) روى الطبري في الكبير ١٣٠ / ٢٣ من طريق عطاء عن ابن عباس ، قال في قوله : (والذي تولى كبّره) قال : «إشاعته» ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥٠ / ٦ ، وعزاه إلى الطبراني .

(٦) رواه الطبراني في الكبير ١٣٠ / ٢٣ من رواية عطاء عن ابن عباس ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥٠ / ٦ للطبراني .

(٧) رواه الطبري في تفسيره ٨٩ / ١٨ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢ / ٧ ، والطبراني في الكبير ١٣٨ / ٢٣ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥٨ / ٦ ، ونسبه أيضاً إلى الفريابي وعبد بن حميد .

(٨) تفسير مقاتل ٣٦ / ٢ أ .

(٩) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير ١٩ / ٦ .

فمررنا بملاً من المنافقين وكانت عادتهم أن ينزلوا مُتَّبِذِينَ^(١) من الناس فقال عبدالله بن أبي رئيسهم : من هذه ؟ قالوا : عائشة . قال : والله ما نجت منه ولا نجا منها ، وقال : امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقود بها . قالت : وهو الذي تولى كبره^(٢) .

وقوله : ﴿ مِنْهُمْ ﴾ : يعني من العصابة الكاذبة .

﴿ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ : قال ابن عباس : « يريد في الدنيا الجلد . جلده رسول الله ﷺ ثمانين جلدة ، وفي الآخرة يُصَيِّرُهُ الله إلى النار »^(٣) .

(١) متبذين : يعني مُتَّبِذِينَ . لسان العرب لابن منظور (نبد) ٥١٢/٣ .

(٢) ذكر الثعلبي ٣/ ٧٤ أنه الرواية بهذا اللفظ من رواية ابن أبي مليكة ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها .

(٣) رواه الطبراني في الكبير ١٣٧/٢٣ من رواية عبد الغني بن سعيد الثقفي ، عن موسى بن عبد الرحمن الصنعاني ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس . وهذه الرواية باطلة كما تقدم . وروى الطبراني في الكبير ٢٣/ ١٢٤-١٢٩ من حديث ابن عمر وأبي اليسر الأنصاري أن رسول الله ﷺ ضرب عبدالله بن أبي حذّين . لكن قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٤٠ عن حديث ابن عمر : « وفيه إسماعيل بن يحيى التيمي ، وهو كذاب » ، وقال أيضاً عن حديث أبي اليسر ٦/ ٢٨٠ : « وفيه إسماعيل بن يحيى التيمي ، وهو كذاب » . وذكر ابن حجر في الفتح ٨/ ٤٧٩ أثريين آخرين في حدّ عبدالله بن أبي ، لكنهما مرسلان . وذهب آخرون إلى أنه لم يحدّ . قال القرطبي في تفسيره ١٢/ ٢٠١ : « المشهور من الأخبار والمعروف عند العلماء أن الذي حدّ حسان ومسطح وحنّة ، ولم يُسمع بحدّ لعبدالله بن أبي » . اهـ . وهذا القول قال القاضي عياض وابن القيم وجماعة . قال ابن القيم في زاد المعاد ٣/ ٢٦٣ : « ولم يحدّ الخيث عبدالله بن أبي مع أنه رأس أهل الإفك ، فقيل : لأن الحدود تخفيف عن أهلها وكفارة ، والخيث ليس أهلاً لذلك ، وقد وعده الله العذاب العظيم ، فيكفيه ذلك عن الحدّ . وقيل : بل كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه ، ويخرجه في قوالب من لا ينسب إليه . وقيل : الحدّ لا يثبت إلا بالإقرار أو ببينة وهو لم يقر بالقذف ، ولا شهد به عليه أحد ، فإنه إنما كان يذكره بين أصحابه ، ولم يشهدوا عليه ، ولم يكن يذكره بين المؤمنين .

وقيل : بل ترك حدّه لمصلحة هي أعظم من إقامته ، كما ترك قتله مع ظهور نفاقه ، وتكلمه بها يوجب قتله مراراً ، وهي تأليف قومه وعدم تنفيرهم عن الإسلام ، فإنه كان مطاعاً فيهم ، رئيساً عليهم ، فلم تؤمن الفتنة في حدّه . ولعله ترك هذه الوجوه كلها » . اهـ . ولعل أقرب الوجوه هو الأخير ، يدل =

وقال قوم : «الذي تولى كبره هو^(١) حسان بن ثابت»^(٢).

روي عن مسروق قال : «كنت عند عائشة فدخل حسان بن ثابت فألقي له وسادة فلما خرج قلت لعائشة : تدعين هذا الرجل يدخل عليكم وقد قال ما قال وأنزل الله - عز وجل - فيه ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ! فقالت : وأي عذاب أشد من العمى ؟ ولعل الله يجعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره . وقالت : إنه كان يدفع عن رسول الله ﷺ»^(٣).

عليه ما في صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ٨ / ٤٥٣ ، ٤٥٤ من حديث عائشة في قصة الإفك ، وفيه : أن النبي ﷺ قام على المنبر فاستعذر من عبدالله بن أبي بن سلول ، فقال : يا معشر المسلمين من يعذرن من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ؟ . . . الحديث . فقام سعد بن معاذ فقال : يا رسول الله أنا أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك . فقام سعد بن عباد فقال : كذبت لعمر الله ، لا تقتله ولا تقدر على قتله . فقام رجل فقال لسعد : كذبت لعمر الله لقتلته . . . فتساور الحَيَّان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت .

(١) في (أ) : (فهو) ، وهي ساقطة من (ع) .

(٢) قال ابن كثير في تفسيره ٣ / ٢٧٢ : «وهو قول غريب ، ولولا أنه وقع في صحيح البخاري يعني الرواية التي سيسوقها الواحد بعد ذكره لهذا القول ما قد يدل على إيراد ذلك لما كان لإيراده كبير فائدة ، فإنه من الصحابة الذين لهم فضائل ومناقب ومآثر ، وأحسن مآثره أنه كان يذب عن رسول الله ﷺ» .

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣ / ٧٤ بهذا اللفظ من رواية أبي الضحى عن مسروق ، ورواه بنحوه سعيد بن منصور في تفسيره : ل ١٥٨ أ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٨ / ٥١٥ ، والبخاري في التفسير سورة النور ٨ / ٨٥ ، ومسلم ٤ / ١٩٣٢ في كتاب : الفضائل ، باب : فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه ، والطبري في تفسيره ١٨ / ٨٨ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٢٢ ب ، والطبراني في المعجم الكبير ٢٣ / ١٣٥ ، ١٣٦ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٥٧ ، ١٥٨ ، ونسبه أيضاً إلى ابن المنذر وابن مردويه .

والقول هو الأول؛ لما روي عن الشعبي أنه قيل لعائشة: إن حسان بن ثابت هو الذي تولى كبره؟، فقالت^(١): [معاذ الله]^(٢)! سمعت رسول الله ﷺ يقول^(٣): «إن الله ليؤيد حسان بروح القدس في شعره»^(٤).

١٢. ثم أنكر على الذين خاضوا في الإفك فقال: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ هَلَّا إِذْ سَمِعْتُمْ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ الْكَاذِبَةُ قَذَفَ عَائِشَةُ بَصْفَوَانِ﴾ ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ من العصبة الكاذبة يعني حمنة وحسان ومسطحاً.

﴿يَأْنِفُسِهِمْ خَيْرًا﴾. قال الحسن^(٥): «بأهل دينهم؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، وقوله: ﴿فَسَلِمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]».

قال الزَّجَّاج: «وكذلك يقال للقوم الذين يقتل بعضهم بعضاً: إنهم يقتلون أنفسهم»^(٦).

(١) في (أ) و(ع): (قالت).

(٢) ساقط من (ع).

(٣) (يقول) ساقط من (أ).

(٤) لم أجده بهذا اللفظ. لكن أخرج الطبري في تفسيره ٨٨/١٨ من طريق الشعبي عن عائشة أنها قالت: ما سمعت بشيء أحسن من شعر حسان، وما تمثلت به إلا رجوت له الجنة... وفيه: قيل: أليس الله يقول: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]؟ قالت: أليس قد أصابه عذاب عظيم؟ قالت: أليس قد ذهب بصره، وكَنَع بالسيف؟ وقد أخرج أبو داود في سننه في كتاب: الأدب، باب: ما جاء في الشعر ٣٥٧/١٣، والترمذي في جامعه، كتاب: الأدب، باب: ما جاء في إنشاد الشعر ١٣٧/٨ واللفظ له، والحاكم في مستدركه ٤٨٧/٣ من حديث عروة، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما يفاخر أو ينافح عن رسول الله ﷺ».

(٥) ذكره عنه الثعلبي ٧٤/٣ إلى تمام الآية الأولى، وذكره عنه البغوي ٢٣/٦ إلى تمام الآية الثانية. وقد روى الطبري ٩٦/١٨ عن الحسن قال: «يعني بذلك المؤمنين والمؤمنات».

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٦/٤.

وهذا معنى قول مقاتل : «ألا^(١) ظن بعضهم ببعض خيراً بأنهم لا يزنون ؟»^(٢) .

على هذا المعنى^(٣) : ظن المؤمنون والمؤمنات بالمؤمنين الذين هم كأنفسهم^(٤) خيراً^(٥) ، وهذا معنى قول ابن قتيبة : «بأمثالهم من المسلمين»^(٦) .

وقال المبرّد : «ومثله قوله : ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة : ٥٤] ، [وقوله : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة : ١٢٨]]»^(٧) .

وروي عن بعض الأنصار أن امرأة أبي أيوب قالت له : ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب . أكنت يا أم أيوب فاعلة أنت^(٨) ذلك ؟ قالت : لا والله . قال : فعائشة -والله- خير منك . فلما نزل قوله : ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور : ١٢] عرف أنه يعني أبا أيوب حين قال لأُم أيوب ما قال^(٩) .

(١) (ألا) ساقطة من (أ) .

(٢) تفسير مقاتل ٣٦/٢ أ .

(٣) (المعنى) ساقطة من (أ) .

(٤) في (أ) : (كما بعضهم) .

(٥) (خيراً) ساقطة من (ظ) .

(٦) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٠١ .

(٧) ساقط من (ع) .

(٨) (أنت) ساقطة من (ع) .

(٩) رواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ٣/٣٤٧ ، قال : «حدثني أبي إسحاق بن يسار عن بعض رجال بني النجار» فذكره ، ورواه الطبري ١٨/٩٦ ، وابن أبي حاتم ٧/٢٢٢ من طريق ابن إسحاق . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/١٥٩ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه وابن عساكر . وفي إسناده جهالة .

وعلى^(١) هذا المعنى : ظنوا بأنفسهم خيراً فيقولون^(٢) : نحن ما نأتي ما ترمى به عائشة وصفوان فهما أولى أن لا يأتيانه كما ظن أبو أيوب وامرأته ، وقالوا : هذا إفك مبين ، كما قال أبو أيوب .

وهذا معنى قول الكلبي : «لولا إذ سمعتموه ظنتم بعائشة ظنكم بأنفسكم وعلمتم أن أمكم لا تفعل ذلك ، وقتلتم : ﴿هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ ؛ أي هذا القذف كذب بين» .

١٣ . وقوله تعالى : ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ : هلاً جاء العصبية الكاذبة على قذفهم عائشة بأربعة شهداء يشهدون بأنهم عاينوا منها ما رموها به ، وهذا يدل على أن الزنا لا يثبت بأقل من أربعة شهود^(٣) .

﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ؛ أي في حكم الله هم كاذبون ، فدلّ هذا على أن القاذف إذا عجز عن إقامة البيّنة حكم بكذبه^(٤) .

وسئل أحمد بن يحيى^(٥) عن هذه الآية ، وقيل : إذا رأى الرجل مع امرأته رجلاً وتيقن الفاحشة ثم أخبر الإمام بذلك وعجز عن إقامة البيّنة فحدّ أيكون عند الله كاذباً ؟ فقال : تأويل ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ في حكم الله ، وقد فرض علينا أن نجريه مجرى الكاذبين وإن كان في معلوم الله أنه صادق ، فإن صدقه مغيب عنا ، والغيب لا يعلمه إلا الله .

(١) (على) ساقطة من (أ) .

(٢) في (ظ) و(ع) : (فيقولوا) .

(٣) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٣٠٧ ، وأحكام القرآن للكنيا الهراسي ٣/ ٣٠٨ .

(٤) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٣٠٧ ، وأحكام القرآن للكنيا الهراسي ٣/ ٣٠٨ .

(٥) هو ثعلب ، ولم أجد من ذكر عنه هذا .

١٤. ثم ذكر الذين قذفوا عائشة فقال : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد لولا ما من الله به عليكم وستركم»^(١) .

(لَمَسَّكُمْ) لأصابكم (فِي مَا أَفْضَيْتُمْ)^(٢) فِي مَا أَخَذْتُمْ فِيهِ وَخَضْتُمْ فِيهِ مِنَ الْكَذْبِ وَالْقَذْفِ .

ويقال : أفاض القوم في الحديث إذا أخذوا فيه وأكثروا^(٣) .

وذكرنا معاني الإفاضة عند قوله : ﴿ فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفْتِ ﴾ [البقرة : ١٩٨] وقوله : ﴿ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس : ٦١] .

وقوله : ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ في الدنيا والآخرة .

١٥. قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ .

قوله (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ) : (إِذ) من صلة قوله (لَمَسَّكُمْ)^(٤) ، وتقدير الكلام : لَمَسَّكُمْ ذَلِكَ الْوَقْتُ حِينَ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ .

قال مجاهد^(٥) ومقاتل^(٦) : «إذ يرويه^(٧) بعضكم عن بعض» .

(١) رواه الطبراني في الكبير ٢٣ / ١٤١ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٥٠ ، ونسبه إلى الطبراني .

(٢) ساقط من (ع) .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (فاض) ١٢ / ٧٨ ، وفيه : «إذا اندفعوا فيه . . .» .

(٤) الطبري ١٨ / ٩٧ . وانظر : البحر المحيط ٦ / ٤٣٨ ، والدر المصون ٨ / ٣٩٠ .

(٥) رواه الطبري ١٨ / ٩٨ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٢٣ أ ، والطبراني في الكبير ٢٣ / ١٤٢ ، وذكره السيوطي في

الدر المنثور ٦ / ١٦٠ ، ونسبه أيضاً إلى الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٦) تفسير مقاتل ٢ / ٣٦ أ .

(٧) في (أ) : يرويه .

وهو قول الكلبي ، قال ^(١) : «وذلك أن الرجل يلقي منهم يلقي الرجل فيقول : بلغني كذا وكذا ، يتلقونه تلقياً» ^(٢) .

وقال الزجاج : «معناه إذ يلقيه بعضكم إلى بعض» ^(٣) .

وقال الفرّاء : «كان الرجل يلقي الرجل فيقول : أما بلغك كذا وكذا ، فيذكر قصة عائشة - رضي الله عنها - لتشييع الفاحشة» ^(٤) .

وقال ابن قتيبة : «(إِذْ تَلَقَّوْنَهُ) أي تقبلونه» ^(٥) .

وذكرنا معنى التلقي عند قوله : ﴿فَلَقَّيْءًا أَدُمُ﴾ [البقرة : ٣٧] .

قوله تعالى : ﴿وَقَوْلُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ . قال ابن عباس : «أي ما يعلم الله خلافه» ^(٦) .

وقال مقاتل : «يقول ^(٧) : من غير أن تعلموا أن الذي قلتم من القذف حق» ^(٨) .

﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ : وتظنون أن القذف سهل لا إثم عليكم فيه ^(٩) .

﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الوزر ^(١٠) .

(١) (قال) ساقطة من (ع) .

(٢) ذكره عنه البغوي ٢٥/٦ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣٨/٤ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢٤٨/٢ .

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٠١ .

(٦) رواه الطبراني ١٤١/٢٣ ، ١٤٢ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥٠/٦ ، ونسبه إلى الطبراني .

(٧) في (أ) : (تقولون) ، وهي ساقطة من (ع) ، والمثبت من (ط) ، وتفسير مقاتل .

(٨) تفسير مقاتل ٣٦/٢ أ .

(٩) الطبري ٩٩/١٨ .

(١٠) تفسير مقاتل ٣٦/٢ أ .

قال ابن عباس : «رموا سيدة النساء وأم^(١) المؤمنين وزوج رسول الله ﷺ فبهتوها بما لم يكن فيها ، ولم يقع في قلبها قط ، والله خلقها طيبة ، وعصمها من كل قبيح»^(٢) .

١٦ . ثم زاد في الإنكار عليهم ، وقال : ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ : وهلا إذ سمعتم^(٣) القذف لعائشة رضي الله عنها ﴿قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا﴾ : ما يحل وما ينبغي لنا ﴿أَنْ تَتَكَلَّمْ بِهَذَا﴾ .

﴿سُبْحَانَكَ﴾ . قال مقاتل : «ألا نزهتم الربَّ عن أن يُعصى»^(٤) .

وقال غيره^(٥) : «﴿سُبْحَانَكَ﴾^(٦) هاهنا^(٧) معناه : التعجب ، كقول الأعشى :

سُبْحَانَ مَنْ عُلْقَمَةَ الْفَاخِرِ^{(٨)(٩)}

(١) في (ع) : (أم) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير ١٤٢ / ٢٣ من رواية عطاء ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥٠ / ٦ ، ونسبه إلى الطبراني .

(٣) في (ع) : (سمعتموه) .

(٤) تفسير مقاتل ٣٦ / ٢ أ . قال الطبري ٩٩ / ١٨ : «(سبحانك) تنزيهاً لك يا رب ، وبراءة إليك مما جاء به هؤلاء» .

(٥) ذكر الثعلبي ٧٤ / ٣ ب هذا القول مختصراً ، ولم ينسبه إلى أحد ، وذكره البغوي ٢٥ / ٦ مقتصراً عليه .

(٦) في (أ) : (سبحانه) .

(٧) هاهنا) ساقطة من (ظ) .

(٨) في (ع) : (الفاجر) ، وهو خطأ .

(٩) هذا عجز بيت للأعشى ، وصدرة :

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ

وهو في ديوانه ١٤٣ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٦ / ١ ، والكتاب : لسيبويه ١٣٥ / ١ ، ومعاني القرآن

للأخفش ٢٢٠ / ١ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٩٠ / ٣ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٨ .

وهو من قصيدة قالها الأعشى يُفضِّل فيها عامر بن الطفيل على علقمة بن علاثة في المفاخرة التي جرت بينها في الجاهلية .

﴿ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴾ . قال ابن عباس : « افتراء عظيم »^(١) ، وذكرنا معنى البهتان في ما تقدم^(٢) .

ثم وعظ الذين خاضوا في الإفك :

١٧ . ﴿ يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا ﴾ . قال ابن عباس في رواية مَقْسَمٍ^(٣) : « يحرم الله عليكم أن تعودوا لمثله »^(٤) ، [ونحو هذا قال الكلبي . وقال مجاهد : « ينهاهم الله أن يعودوا لمثله »^(٥)] ^(٦) .

وقال غيره : « يحذركم الله »^(٧) .

وكل هذا معاني الوعظ ؛ فإن فيه التحذير والنهي والمنع .

وعلقمة المذكور في البيت هو علقمة بن علاثة صحابي ، قدم على رسول الله ﷺ وهو شيخ فأسلم ، وقد استعمله عمر بن الخطاب على حوران ومات فيها . وكان حصل بين علقمة وعامر بن الطفيل في الجاهلية مفاخرة ، فخرج مع عامر لبيد والأعشى ، ومع علقمة الحطيئة ، واحتكما إلى غير واحد ، فلم يحكم بينهما ، حتى احتكما إلى هرم بن قطبة الفزاري ، فقضى بينهما بعد سنة ، وقال : أنتما كركيتي البعير يقعان معاً ، ولم يُفْضَلْ ، فانصرفا على ذلك ، لكن الأعشى مدح عامراً وفضَّله على علقمة بأبيات منها هذا البيت . انظر : شرح ديوان الأعشى لثعلب ١٦٥ ، وبلوغ الأرب للتويري ٢٨٧ / ١ ، والإصابة لابن حجر ٤٩٦ / ٢ .

- (١) رواه الطبراني في الكبير ١٤٤ / ٢٣ من رواية عطاء .
- (٢) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴾ [النساء ٢٠] .
- (٣) هو مَقْسَمٌ بن بجرة . تقدمت ترجمته .
- (٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٧١ / ١٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤ / ٧ ب من رواية ليث ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس بلفظ : يَحْرَجُ .
- (٥) رواه سفيان في تفسيره ٢٢٢ ، والطبراني في الكبير ١٤٥ / ٢٣ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٦١ / ٦ ، وعزاه إلى الفريابي والطبراني .
- (٦) ساقط من (أ) و(ع) .
- (٧) لفظ الجلالة ليس في (أ) .

قوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ : يعني أن من شرط الإيمان ترك كذف المحصنة ، فإن آمتتم فلا تعودوا لمثل ما قلتم^(١) .

١٨ . ﴿وَبَيَّنَ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ . قال ابن عباس : «يعني التي أنزلها في عائشة وبراءتها»^(٢) .

وقال الكلبي : «وبين الله لكم الآيات بالأمر والنهي»^(٣) .

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما في قلوبكم من الندامة في ما خضتم فيه ، ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿حَكَمَ﴾ في القذف ثمانين جلدة ، قاله ابن عباس^(٤) .

وقال غيره : ﴿عَلِيمٌ﴾ بأمر عائشة وصفوان ، ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿حَكَمَ﴾ ببراءتهما^{(٥)(٦)} .
ثم هدّد القاذفين ، فقال :

١٩ . ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ ؛ أي تفشو^(٧) .

يقال : شاع الشيء شيوعاً وشيعاً وشيعاناً وشيعوعةً ، إذا ظهر وتفرّق . والدم يقطر في الماء فيشيع فيه ؛ أي يتفرّق^(٨) .

(١) في (ع) : (لمثله ما قمتم) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير ١٤٥ / ٢٣ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥١ / ٦ ، وعزاه إلى الطبراني .

(٣) ذكره البغوي ٢٥ / ٦ ، وينسبه إلى أحد .

(٤) رواه الطبراني في الكبير ١٤٥ / ٢٣ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥١ / ٦ ، وعزاه إلى الطبراني .

(٥) في (أ) : (براءتها) .

(٦) هذا قول الثعلبي في تفسيره ٧٤ / ٣ ب .

(٧) الثعلبي ٧٤ / ٣ ب .

(٨) تهذيب اللغة للأزهري (شاع) ٦٠ / ٣ ، ٦١ عن الليث وغيره . قال الزبيدي في تاج العروس (شيع)

٣٠١ / ٢١ : «شيعاً بالفتح ، وشيوعاً بالضم» ، وقال الفيروزآبادي في القاموس المحيط (شاع)

٤٧ / ٣ : «وشييعوعة كديمومة ، وشيعاناً محرّكة ، وانظر : الصحاح للجوهري (شيع) ٣ / ١٢٤٠ ،

ولسان العرب (شيع) ٨ / ١٩١ .

قال مقاتل : «يعني أن يظهر الزنا ، أحبُّوا ما شاع لعائشة من الثناء السيئ»^(١) .

قوله : ﴿ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ . قال ابن عباس : «يريد المحصنين والمحصنات»^(٢) .

والمعنى : يحبون أن تشيع الفاحشة فيهم بأن ينسبوا إليهم ويقذفوهم بها ، ويشيعوا في ما بين الناس أنهم أتوها .

وقال مقاتل : «﴿ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ في صفوان وعائشة»^(٣) .

ويحتمل أن يكون ﴿ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ؛ أي في ما بين المؤمنين بأن يذكروها في مجالسهم حتى تفشو في ما بينهم . وعلى هذا لا يكون المراد بالذين آمنوا المقذوفين والمقذوفات كما كان في القول الأول .

﴿ هُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا ﴾ : يعني الجلد ، (وَالْآخِرَةِ) : عذاب النار .

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ قال ابن عباس : «يعلم شر ما دخلتم فيه وما فيه من شدة سخط الله عز وجل ﴿ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾»^(٤) ، ثم ذكر فضله ومنته عليهم بتأخير العقوبة ، فقال :

٢٠ . ﴿ وَلَوْ لَا فَضَّلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ ﴾ : لولا ما تفضّل الله به عليكم ورحمكم لعاقبكم^(٥) في ما قلتم لعائشة . قاله مقاتل^(٦) .

(١) تفسير مقاتل ٣٦/٢ أ .

(٢) رواه الطبراني في الكبير ١٤٦/٢٣ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥١/٦ ، ونسبه إلى الطبراني .

(٣) تفسير مقاتل ٣٦/٢ أ .

(٤) رواه الطبراني في الكبير ١٤٦/٢٣ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥١/٦ ، ونسبه إلى الطبراني .

(٥) في (أ) : (لعاقبتهم) ، وفي (ع) : (لعافيتهم) .

(٦) تفسير مقاتل ٣٦/٢ ب .

﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ : يعني رؤوف بكم رحمكم فلم يعاقبكم في أمر عائشة .

قال ابن عباس : «يريد مسطحاً وحمئة وحسان»^(١) .

٢١ . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ . قال مقاتل : «يعني تزيين الشيطان في قذف عائشة»^(٢) .

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ . قال ابن عباس : «بعصيان الله وكل ما يكره الله»^(٣) .

وقال مقاتل^(٥) والكلبي : «بالمعاصي وما لا يعرف»^(٦) في شريعة ولا في سنة» .

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ : ما صلح ، قاله مقاتل وأبو زيد^(٧) . والزكاة تكون^(٨) بمعنى الصلاح ، ومنه رجل زكي تقي . يقال : زكا يزكو زكاءً^(٩) .

وقال ابن قتيبة : «ما طهر»^(١٠) .

(١) في (ع) : (وابن حسان) ، وهو خطأ .

(٢) رواه الطبراني في الكبير ١٤٧ / ٢٣ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥١ / ٦ ، ونسبة إلى الطبراني .

(٣) تفسير مقاتل ٣٦ / ٢ ب .

(٤) رواه الطبراني في الكبير ١٤٨ / ٢٣ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥١ / ٦ ، ونسبة إلى الطبراني .

(٥) تفسير مقاتل ٣٦ / ٢ ب .

(٦) في (ع) : (وقالا ما لا يعرف) .

(٧) قول مقاتل في تفسيره ٣٦ / ٢ ب ، وقول أبي زيد في تهذيب اللغة للأزهري (زكا) ٣٢٠ / ١٠ .

(٨) (تكون) ساقطة من (أ) .

(٩) تهذيب اللغة للأزهري (زكا) ٣١٩ / ١٠ عن الليث وغيره . انظر : لسان العرب (زكا) ٣٥٨ / ١٤ ،

والقاموس المحيط ٣٩٩ / ٤ .

(١٠) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٠٢ .

وأجرى بعضهم هذه الآية على العموم ، وقال : معناها أن الله تعالى يخبر أنه لولا فضله ورحمته^(١) ما اهتدى أحد ولا صلح^(٢) .

والآخرون يقولون : المراد بهذا الخطاب الذين خاضوا في حديث الإفك .

وهو معنى قول ابن عباس في رواية عطاء ، قال في قوله : ﴿ مَا زَكَّى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ : « ما قبل توبة أحد منكم أبداً »^{(٣)(٤)} .

والمعنى : ما طهر^(٥) من هذا الذنب وما صلح أمره بعد الذي فعل .

﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد : فقد شئت أن أتوب عليكم »^(٦) .

وقال الكلبي : « يصلح من يشاء »^(٧) ، وقال غيره^(٨) : « يطهر من يشاء من الإثم والذنب بالرحمة والمغفرة فيوفقه للتوبة » .

-
- (١) في (ظ) و(ع) : (لولا فضل الله عليكم ورحمته) .
 (٢) ذكر البغوي ٢٦/٦ هذا القول ، وعزاه إلى بعض المفسرين ، وذكره ابن الجوزي ٢٣/٦ بمعناه ، ولم ينسبه إلى أحد ، وانظر هذا القول بمعناه : عند الطبري ١٨/١٠١ .
 (٣) في (ع) زيادة (من أحد) قبل قوله (أبدا) .
 (٤) رواه الطبراني ١٤٨/٢٣ من رواية عطاء عن ابن عباس ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥١/٦ ، ونسبه إلى الطبراني .
 (٥) في (أ) : (ما طهر) .
 (٦) روى ابن أبي حاتم ٢٦/٧ ، والطبراني في الكبير ١٤٨/٢٣ هذا القول عن سعيد بن جبير ، وانظر : الدر المنثور ١٥٤/٦ .
 (٧) ذكر ابن الجوزي ٢٤/٦ هذا القول ، ولم ينسبه إلى أحد .
 (٨) انظر : الطبري ١٨/١٠١ .

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ . قال ابن عباس : «﴿سَمِيعٌ﴾ لقولكم ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في نفوسكم من الندامة والتوبة»^(١) .

٢٢ . قوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ . قال ابن عباس^(٢) وجماعة المفسرين^(٣) : «ولا يحلف» . ويقال للحلف : الأليّة ، والألوة ، والألوة ، والإلوة ، بسكون اللام في اللغات الثلاث^(٤) . قال الشاعر^(٥) :

قَلِيلُ الْأَلَايَا حَافِظٌ لِمِمينِهِ فَإِنْ سَبَقَتْ مِنْهُ الْأَلِيّةُ بَرَّتْ

والفعل : آلى يؤلى^(٦) إيلاءً ، وتألّى يتألّى^(٧) تألياً ، وائتلى يأتلى ابتلاءً^(٨) .

(١) رواه الطبراني ١٢٣/١٣ من رواية عطاء عن ابن عباس ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥١/٦ ، وعزاه إلى الطبراني .

(٢) رواه الطبراني ١٢٣/١٣ من رواية عطاء ، عن ابن عباس . وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥١/٦ ، وعزاه إلى الطبراني . وقد روى الطبري ١٠٢/١٨ ، وابن أبي حاتم ٢٦/٧ ب من طريق علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس قال : «لا تقسموا» .

(٣) رواه الطبراني ١٠٢/١٨ ، ١ ، ١٠٣ ، وابن أبي حاتم ٢٦/٧ ب و الدر المنثور للسيوطي ١٦٢/٦ ، ١٦٣ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (ألى) ٤٣٠/٥ ، والصحاح للجوهري (ألا) ٢٢٧١/٦ ، ولسان العرب لابن منظور (ألا) ٤٠/١٤ .

(٥) هو كثير ، والبيت من قصيدة يرثي بها عبدالعزيز بن مروان ، وهو في : ديوانه ٣٢٥ ، والحماسة لابن الشجري ٩٧ ، ومن غير نسبة في الصحاح (ألا) ٢٢٧١/٦ ، ولسان العرب (ألا) ٤٠/١٤ .

(٦) في (أ) : (أولى) .

(٧) يتألّى ساقط من (ع) .

(٨) من قوله : (والفعل . . .) إلى هنا ، نقلاً عن تهذيب اللغة للأزهري (ألى) ٤٣٠/١٥ .

وقد مرَّ عند قوله : ﴿يُولُون مِن نِّسَابِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٢٦] ، وهذا قول العامة^(١) .
 وقال أبو عبيدة : «لا يأتل : هو لا يفتعل من ألوت أن أفعل كذا»^(٢) .
 وما^(٣) ألو جهداً ؛ أي ما أقصّر^(٤) . يقال : ائتلى ؛ أي قصّر ، وهو مؤتل^(٥) .
 قال امرؤ القيس :

نَصِيحٌ عَلَى تَعْذَالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلٍ^(٦)

﴿أُولُوا الْفَضْلَ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ﴾ : يعني : أولو الغنى والسعة في المال ، وهو أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - في قول جميع المفسرين^(٧) .

(١) انظر : الطبري ١٨ / ١٠١ ، ١ ، ١٠٢ ، والثعلبي ٣ / ٧٥ أ .

(٢) في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٦٥ : «(ولا يأتل أولوا الفضل منكم) مجازه : ولا يفتعل من آليت : أقسمت ، وله موضع آخر من ألوت بالواو» . وفي تهذيب اللغة للأزهري (ألى) ١٥ / ٤٣١ : «وقال أبو عبيدة : (ولا يأتل أولوا الفضل) من ألوت ، أي قصرت» .

(٣) في (أ) : (وأما) .

(٤) في (أ) : (ما أقصروا) .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (ألى) ١٥ / ٤٣١ ، والصحاح (ألا) ٢ / ٢٢٧٠ .

(٦) هذا عجز بيت لامرئ القيس ، وهو من معلقته ، وصدره :

أَلَا رَبَّ خَصِمٍ فَيْكَ أَلْوَى رَدْدُتُهُ

وهو في ديوانه ١٨ .

قال ابن الأنباري في شرح المعلقات السبع ٧٣ ، ٧٤ : «الألوى : الشديد الخصومة . . . والتعذال : العذل . وقوله : (غير مؤتل) معناه : غير تارك نصحي بجهد» . يقال : من ألوت وما آليت ؛ أي ما قصرت» . اهـ .

(٧) انظر : الطبري ١٨ / ١٠٢ ، ١ ، ١٠٣ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٢٦ ب ، والثعلبي ٣ / ٧٥ أ ، والدر المشور ٦ / ١٦٢ ، ١٦٣ . قال القرطبي ١٢ / ٢٠٧ بعد أن ذكر هذا القول وصحَّحه : «غير أن الآية تتناول الأمة إلى يوم القيامة بالألا يغتاض ذو فضل وسعة فيحلف ألا ينفع من هذه صفته غابر الدهر» .

قال مجاهد : « حلف أبو بكر أن لا ينفع يتيماً كان في حجره أشاع ذلك الحديث ^(١) ، فلما نزلت هذه الآية قال : بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ، ولأكونن ليتيمي خير ما كنت قط ^(٢) » .

وقال مقاتل بن سليمان : « كان مسطح بن أثاثة - وأمه أسماء بنت جندل بن نهشل ^(٣) - ابن خالة أبي بكر ، وكان يتيماً في حجره ، فلما بُيِّنَ عذر عائشة وكان مسطح في من خاض في أمرها ، حلف أبو بكر أن ^(٤) لا يصله بشيء أبداً ؛ لأنه أذاع على عائشة أمر القذف ، وكان مسطح من المهاجرين الأولين ، فأنزل الله في أبي بكر ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ [النور : ٢٢] ^(٥) .

(١) في (أ) : (في الحديث) .

(٢) رواه الطبري ١٠٣ / ١٨ ، والطبراني في الكبير ١٤٩ / ٢٣ .

(٣) هكذا ذكرها بهذا الاسم مقاتل بن سليمان في تفسيره (ج ٢ ل ٣٦ ب) . وقال آخرون : أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي ، وأمها ربيعة بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، تزوجها أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف ، فولدت له مسطحاً وهنداً ، وأسلمت أم مسطح فحسن إسلامها . قال ابن حجر : « يقال : اسمها سلمى ، ويقال : ربيعة . وهي مشهورة بكينيتها » . انظر : طبقات ابن سعد ٢٢٨ / ٨ ، وصحيح البخاري في كتاب : المغازي ، باب : حديث الإفك ٤٣٢ / ٧ ، وأسد الغابة لابن الأثير ٦١٨ / ٥ ، والإصابة لابن حجر ٤٧٢ / ٤ .

(٤) في (ع) : أنه .

(٥) تفسير مقاتل : ج ٢ ل ٣٦ ب . ومقاتل بن سليمان لا يعتمد عليه في رواية .

وقد روى البخاري في صحيحه ٤٥٥ / ٨ ، كتاب : التفسير ، سورة النور ، ومسلم في صحيحه ٢١٣٦ / ٤ ، كتاب : التوبة ، باب : في حديث الإفك ، وغيرهما من حديث عائشة - رضي الله عنها - خبر الإفك ، وفيه : « فلما أنزل الله براءتي قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقربائه منه وفقره : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال . فأنزل الله ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، فقال أبو بكر : بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً » .

﴿أَنْ يُؤْتُوا﴾ . قال الزَّجَّاجُ^(١) وابن قتيبة^(٢) : «أَنْ لَا يُؤْتُوا فحذف (لا)» .

وعلى قول أبي عبيدة^(٣) لا يحتاج إلى إضمار لا .

﴿أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ : يعني مسطحاً ، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ يعني : وليتركوا وليتجاوزوا عن مسطح^(٤) .

قال ابن عباس : «يريد فقد جعلت فيك يا أبا بكر الفضل ، وجعلت عندك السعة والمعرفة بالله وصلة الرحم ، فتعطف على مسطح ، فله قرابة ، وله هجرة ، وله مسكنة ، ومشاهد رضيتها منه يوم بدر»^(٥) .

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . قال مقاتل بن سليمان : «فقال النبي ﷺ لأبي بكر : أما تحب أن يغفر الله لك ؟ قال : بلى . قال : فاعفُ واصفح . فقال أبو بكر : قد عفوت وصفححت لا أمنعه معروفاً بعد اليوم ، قد جعلت له مثلي ما كان قبل اليوم»^(٦) .

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٦ / ٤ .

(٢) انظر : غريب القرآن لابن قتيبة ٣٠٢ .

(٣) أن معنى يأتل : يقصر .

(٤) انظر : الطبري ١٨ / ١٠٢ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٢٧ ب ، وتفسير مقاتل ٢ / ٣٦ ب .

(٥) رواه الطبراني في الكبير ٢٣ / ١٤٩ من طريق عطاء عن ابن عباس ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥١ / ٦ وعزه للطبراني ، وتصحفت (فتعطف) في الدر إلى : (فتسخط) .

(٦) تفسير مقاتل ٢ / ٣٦ ب . ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧ / ٢٧ ب ، والطبراني في الكبير ٢٣ / ١٥٠ ، ١٥١ من طريق ابن لهيعة ، عن عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، بمثله إلى قوله : بعد اليوم . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ٧٩ : «وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف» . وقوله : «قد جعلت له مثلي ما كان قبل اليوم» روى الطبراني ٢٣ / ١٢٥ - ١٢٩ نحوه من حديث ابن عمر في خبر الإفك ، وفيه : «فلما قال : (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) بكى أبو بكر فقال : أمّا إذ نزل القرآن بأمرى فيك لأضاعفن لك النفقة» .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ٢٤٠ : «وفيه إسما عيل بن يحيى التيمي ، وهو كذاب» .

وروى ابن المنذر كما في الدر المنثور ٦ / ١٦٣ عن الحسن : «أن أبا بكر صار يضعف له بعد ذلك ، بعد =

وقال مقاتل بن حيان : «حلف أبو بكر وأناس معه من أصحاب النبي ﷺ بالله الذي لا إله إلا هو لا ينفع رجلاً من الذين قالوا لعائشة ما قالوا ، ولا نصلهم ولا نبرهم ، وكان مسطح بينه وبين أبي بكر قرابة من قبل النساء ، فأقبل مسطح إلى أبي بكر ليعتذر فقال : جعلني الله فداك ، والله الذي أنزل الكتاب على محمد ما قذفتها ولا تكلمت بشيء مما قيل لها أي خال - وكان أبو بكر خاله - فقال أبو بكر : قد أعجبك الذي قيل لها ! قال : قد كان^(١) بعض ذلك ، فأنزل الله في شأنه هذه الآية ، وأمر أبا بكر والذين معه أن ينفقوا على مسطح ، فقال أبو بكر وأصحابه : والله يا مسطح ما^(٢) نمنعك سؤالاً أبداً ، ولا نلومك في الذي قلت أبداً بعد ما أنزل الله فيك ما أنزل^(٣) .

وقال الكلبي : «كان مسطح وأصحابه من ذوي قرابة أبي بكر ، فأقبلوا إليه ليصيبوا من طعامه ، ويأووا إليه كما كانوا يفعلون في ما مضى ، فقال لهم أبو بكر : قوموا عني^(٤) فلست منكم ولستم مني في شيء^(٥) ، ولا يدخلن علي منكم رجل أبداً . فقال مسطح : أنشدك الله والإسلام ، وأنشدك بالقرابة والرحم ، وأنشدك فقرنا وجهدنا أن تحوجنا إلى أحد ، فإننا والله من خوض القوم براء ، ولقد ساءنا ما كان وما سمعنا مما قال حسان ، وما كان لأحد متناً فيه ذنب ، فنزلت هذه الآية^(٦) .

ما نزلت هذه الآية ، ضعفي ما كان يعطيه . والذي في صحيح البخاري وغيره من حديث عائشة :

«فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه . والله أعلم» .

(١) عند ابن أبي حاتم : (لعله يكون قد كان بعض ذلك) .

(٢) في (ظ) و(ع) : (لا) .

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٦ / ٧ ب إلى قوله : (أن ينفقوا على مسطح) ، ولم أجد من ذكر باقيه عن مقاتل بن حيان .

(٤) (عني) ساقطة من (ظ) و(ع) .

(٥) في (ظ) : (فلستم مني ولستم منكم في شيء) .

(٦) لم أجد من ذكر هذه الرواية عن الكلبي .

٢٣. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفيف^(١) ﴿الْفَوَاحِش﴾ عن الفواحش كغفلة عائشة عما قيل فيها^(٢) ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ المصدقات بتوحيد الله وبرسوله^(٣)(٤).

﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا﴾ عَذَّبُوا^(٥) بالجلد ثمانين ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ يعذبون بالنار^(٦).

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. قال ابن عباس: «يريد إخراجهم من الإيمان»^(٧).

واختلف المفسرون في حكم هذه الآية :

فقال مقاتل بن سليمان: «هذه الآية خاصة في عبدالله بن أبي المنافق ورميه عائشة»^(٨)(٩).

-
- (١) روى الطبراني ١٥٣/٢٣ هذا القول عن ابن عباس، وهو قول الثعلبي ٣/٧٥ أ.
- (٢) هذا قول الثعلبي ٣/٧٥ أ. وروى ابن أبي حاتم ٢٨/٧ أ، والطبراني ١٥٢/٢٣ أوله عن سعيد بن جبير.
- (٣) في (أ): (ورسوله).
- (٤) روى الطبراني ١٥٣/٢٣ هذا القول عن ابن عباس.
- (٥) في (أ): (وعذبوا).
- (٦) من قوله: (عذبوا...) إلى هنا، هذا قول مقاتل في تفسيره ٣٦/٢ ب. ورواه ابن أبي حاتم ٢٨/٧ ب، والطبراني ١٥٢/٢٣ عن سعيد بن جبير.
- (٧) رواه الطبراني ١٥٣/٢٣ من رواية عطاء عن ابن عباس، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/١٥١ وعزاه للطبراني.
- (٨) في (أ): (وعائشة).
- (٩) تفسير مقاتل ٣٦/٢ ب.

وقال سعيد بن جبير : « هذه الآية ^(١) خاصة في من [يقذف عائشة ، فمن] ^(٢) قذفها كان من هذه الآية » ^(٣) .

وقال الضحاك ^(٤) والكلبي ^(٥) : « هذه الآية في عائشة وأزواج رسول الله ﷺ خاصة دون سائر المؤمنات » .

وروى العوّام بن حوشب ^(٦) ، عن شيخ من بني كاهل ، عن ابن عباس قال : هذه في شأن عائشة وأزواج رسول الله ﷺ خاصة ^(٧) ، وهي مبهمة ليس فيها توبة ، ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله - عز وجل - له توبة ، ثم قرأ : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَا يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ قال : فجعل هؤلاء توبة

(١) في (أ) (ظ) : (هذا الحكم) .

(٢) ساقط من (أ) .

(٣) رواه الطبري ٨ / ١٠٥ ، والطبراني في الكبير ٢٣ / ١٥١ ، ١٥٢ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٦٤ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) روى الطبري في تفسيره ١٨ / ١٠٤ ، والطبراني في المعجم الكبير ٢٣ / ١٥٢ عن الضحاك قال : « نزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ خاصة » .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٦٤ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد ، وذكر السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٦٤ عن الضحاك قال : « نزلت هذه الآية في عائشة خاصة » ، وعزاه إلى الطبراني ، ولم أره فيه .

(٥) روى عبدالرزاق في تفسيره ٢ / ٥٥ ، والطبراني في الكبير ٢٣ / ١٥٣ عن الكلبي : « إنما عني بهذه الآية أزواج النبي ﷺ » .

(٦) هو العوّام بن حوشب بن يزيد بن الحارث الشيباني ، الرّبعي ، أبو عيسى الواسطي ، كان إماماً ، محدثاً ، ثقة ، ثبتاً ، صاحب سنة وصلاح وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، توفي سنة ١٤٨ هـ . انظر : طبقات ابن سعد ٧ / ٣١١ ، والسير للذهبي ٦ / ٣٥٤ ، وتهذيب التهذيب ٨ / ١٦٣ .

(٧) خاصة ساقطة من (أ) .

ولم يجعل لأولئك توبة . قال رجلٌ في المجلس : فهممت [أن أقوم ف] ^(١) أقبل رأسه من حسن ما فُسِّر ^(٢) .

وروي عن أبي حمزة الثمالي ^(٣) : «أنها نزلت في مشركي مكة ، كانت المرأة إذا خرجت مهاجرة قالوا : خرجت لتفجر ، فنزلت الآية فيهم» ^(٤) .

وقال الزَّجَّاج : «قيل إن الأصل فيه أمر عائشة -رحمها الله- ثم صار لكل من رمى المؤمنات» ، قال : «ولم يقل -ها هنا- والمؤمنين استغناء بأنه إذا رمى المؤمنة فلا بد أن يرمي معها مؤمناً ، فدل ذكر المؤمنات على المؤمنين كما قيل : ﴿سَرَبِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل : ٨١]» ^(٥) .

وعلى هذا حكم الآية في من قذف مؤمنة ولم ^(٦) يتب فإنه يعذب في الدنيا بالجلد وفي الآخرة بالنار ، فإن تاب كان ممن ذكر حكمه في قوله : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ

(١) بياض في (ظ) .

(٢) رواه سعيد بن منصور في تفسيره : ل١٥٨ أنحوه ، والطبري في تفسيره ١٨/ ١٠٤ ، والطبراني في المعجم الكبير ٢٣/ ١٥٣ ، ١٥٤ ، والثعلبي في تفسيره ٣/ ٧٥ أب كلهم من طريق العوام بن حوشب عن شيخ من بني كاهل . وعند الطبري : (شيخ من بني أسد) ، ولا منافاة ؛ فإن كاهلاً هو ابن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر كما في اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير ٣/ ٧٩ عن ابن عباس . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٦٥ ، وزاد نسبه إلى ابن مردويه في تفسيره . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٨٠ : فيه راو لم يسم ، وبقية رجاله ثقات .

(٣) هو ثابت بن أبي صفية ، أبو حمزة الثمالي الأزدي الكوفي ، مولى المهلب ، من صغار التابعين ، توفي في خلافة أبي جعفر المنصور . قال الذهبي : «واهٍ جداً» . وقال ابن حجر : «ضعيف رافضي» . انظر : تهذيب الكمال للمزي ٤/ ٣٥٧-٣٥٩ ، والمغني في الضعفاء للذهبي ١/ ١٢٠ ، وتقريب التهذيب لابن حجر ١/ ١١٦ .

(٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٧٥ ب عن أبي حمزة الثمالي قال : (بلغنا) ، فذكره ، وهذا الخبر لا يصح ؛ لأن أبا حمزة واهٍ كما تقدّم ، ولإرساله .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٧ .

(٦) في (ظ) : (فلم) .

بَعْدَ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ ، وهذه الآية ذكرت بعد رمي [المحصنة] ، وقد مرّت [١] في هذه السورة .

والصحيح أن الآية خاصة في قذف عائشة وأزواج النبي ﷺ^(٢) لقوله :

٢٤ . ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾ : يوم القيامة ، وهو ظرف لقوله : ﴿وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

قوله : ﴿أَلَسِنْتُهُمْ﴾ . قال الكلبي : «تشهد عليهم يوم القيامة ألسنتهم بما تكلموا به من الفرية في قذف عائشة»^(٣) . وقيل : تشهد ألسنة بعضهم على بعض من المنافقين الذين رموا عائشة بالبهتان^(٤) .

وقوله : ﴿وَأَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾ . قال ابن عباس : «إن الله تعالى ختم على الألسنة ، فتكلمت الجوارح ، ونطقت بما عملوا في الدنيا»^(٥) .

وهذه الآية دليل على أن الأولى واردة في قذف أزواج رسول الله ﷺ ؛ لأن شهادة الجوارح غير مذكورة في جميع القرآن إلا في صفات المشركين ، فمن قذفهن

(١) بياض في (ظ) .

(٢) اختار الطبري ١٨ / ١٠٥ العموم ، وقال : «لأن الله عمّ بقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ كل محصنة غافلة مؤمنة رماها رام بالفاحشة ، من غير أن يخص بذلك بعضاً دون بعض» .
أهـ ، وصحّح هذا القول ابن كثير في تفسيره ٣ / ٢٧٧ ، وعضده بها في الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : «اجتنبوا السبع الموبقات» الحديث ، وفيه : «وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» . اهـ .

والحديث رواه البخاري ١٢ / ١٨١ ، كتاب : الحدود ، باب : رمي المحصنات ، ومسلم ١ / ٩١ ، كتاب : الإيمان ، باب : بيان الكبائر .

(٣) روى ابن أبي حاتم ٧ / ٢٨٨ عن سعيد بن جبير نحوه .

(٤) قال الطبري ١٨ / ١٠٥ : «عنى بذلك أن ألسنة بعضهم تشهد على بعض» .

(٥) رواه الطبراني ٢٣ / ١٣٣ من رواية عطاء عن ابن عباس إلى قوله : (الجوارح) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٥٢ ، وعزاه إلى الطبراني .

من المنافقين فهو من أهل هذه الآية ، وإن قذفهن غير منافق عوقب بسلب الإيمان فيصير من أهلها .

٢٥ . قوله : ﴿يَوْمَذِ يُوفِّهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ . قال ابن عباس^(١) وغيره^(٢) :

«يريد يوم القيامة يجازيهم الله جزاءهم الحق ؛ أي^(٣) جزاءهم الواجب» .

وقال مقاتل : «يعني حسابهم العدل»^(٤) .

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ . [قال ابن عباس : «وذلك أن عبد الله بن أبي

يشك في الدين ، وكان رئيس المنافقين ، فيعلم يوم القيامة أن الله هو الحق المبين»^(٥) ، فينقطع^(٦) الشك عنه ، ويستيقن حيث لا ينفعه»^(٧) .

قال مقاتل : «﴿الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ العدل البين»^(٨) .

(١) رواه الطبراني ١٥٥/٢٣ من طريق عطاء عن ابن عباس بنحوه .

(٢) الطبري ١٠٦/١٨ .

(٣) في (ظ) : (أو) .

(٤) تفسير مقاتل ٣٧/٢ أ .

(٥) ساقط من (أ) .

(٦) في (أ) و(ع) : (فيقطع) .

(٧) رواه الطبراني في الكبير ١٥٤/٢٣ ، ١٥٥ من طريق عطاء عن ابن عباس ، وذكره السيوطي في الدر المشور ١٥٢/٦ ، وعزاه إلى الطبراني . قال الطبري ١٠٦/١٨ : «يقول : ويعلمون يومئذ أن الله هو الحق الذي يبين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب ، ويزول حينئذ الشك عن أهل النفاق الذين كانوا في ما يعدهم في الدنيا يمترون» .

(٨) تفسير مقاتل ٣٧/٢ أ .

٢٦. قوله عز وجل : ﴿الْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِينَ وَالْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِيتِ﴾ . قال مجاهد^(١) ، وأكثر المفسرين^(٢) : ﴿الْخَيْثُوتُ﴾ من الكلام والقول ﴿لِلْخَيْثِينَ﴾ من الناس ، ﴿وَالْخَيْثُوتُ﴾ من الناس ﴿لِلْخَيْثِيتِ﴾ من الكلام ، ﴿وَالطَّيِّبَتُ﴾ من الكلام ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الناس ، ﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾ من الناس ﴿لِلطَّيِّبَتِ﴾ من الكلام .

وهذا يحتمل معنيين :

أحدهما : إن معنى الآية : الخبيثات من القول إنما يليق بالخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس يليق بهم الخبيثات من القول^(٣) .

يعني أن كل^(٤) كلام إنما يحسن في أهله فيضاف سيء^(٥) القول إلى من يليق به ذلك ، وكذلك الطيب من القول ، وعائشة - رضي الله عنها - لا يليق بها الخبيثات من الكلام ، فلا يصدق فيها ؛ لأنها طيبة فيضاف إليها طيبات الكلام من الشاء الحسن وما يليق بها .

قال مقاتل بن سليمان : « ﴿الْخَيْثُوتُ﴾ يعني قذف عائشة ﴿لِلْخَيْثِينَ﴾ من الرجال^(٦) الذين قذفوها ﴿وَالْخَيْثُوتُ﴾ من الرجال والنساء] ﴿لِلْخَيْثِيتِ﴾

(١) رواه عنه عبدالرزاق في تفسيره ٥٥ / ٢ ، والطبري ١٠٧ / ١٨ ، وابن أبي حاتم ٣٠ / ٧ ، والطبراني في الكبير ٢٣ / ١٥٧ ، ١٥٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٦٧ ، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد والفريابي ، وابن المنذر .

(٢) انظر : الطبري ١٨ / ١٠٦ - ١٠٨ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٢٩ ، ٣٠ ، أب ، والثعلبي ٣ / ٧٥ ب ، وابن كثير ٣ / ٢٧٦ ، والدر المنثور ٦ / ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٣) في (ع) : (الكلام) .

(٤) (كل) ساقطة من (ظ) .

(٥) في (ظ) : (من) .

(٦) في تفسير مقاتل زيادة (والنساء) .

يعني السيئ^(١) من الكلام ؛ لأنه يليق بهم الكلام السيئ ، ﴿وَالطَّيِّبَتُ﴾ يعني الحسن من الكلام ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الرجال والنساء ،^(٢) يعني : الذين ظنوا بالمؤمنين والمؤمنات خيراً ، ﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾ من الرجال والنساء ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾ يعني : الحسن^(٣) من الكلام ؛ لأنه يليق بهم الكلام الحسن^(٤) .

وعلى هذا المعنى^(٥) : ذمُّ القذفة بالخُبث ، ومدحُ الذين برؤوا عائشة بالطهارة .

والكاشف لهذا ما ذكره الزَّجَّاج فقال : أي لا يتكلم بالخبثيات إلا الخبيث من الرجال والنساء ، ولا يتكلم بالطيبات إلا الطيب من الرجال والنساء ، قال : ويجوز أن يكون معنى هذا^(٦) : الكلمات الخبيثات إنما تلصق بالخبثيات من النساء والرجال ، فأما الطاهرات الطيبات فلا يلصق بهن السب^{(٧)(٨)} ، وهذا هو^(٩) بيان المعنى الأول الذي ذكرنا قبل حكاية قول^(١٠) مقاتل .

وهذا^(١١) الذي ذكرنا قول أكثر أهل التفسير والمعاني^(١٢) .

(١) في (ع) : (للشيء) ، والمثبت من (أ) ، وتفسير مقاتل .

(٢) ساقطة من (ظ) .

(٣) في (أ) و(ع) : (للحسن) ، والمثبت من (ظ) ، وتفسير مقاتل .

(٤) تفسير مقاتل ٣٧ / ٢ أ .

(٥) المعنى ساقطة من (ظ) و(ع) .

(٦) في (ظ) ، ومعاني الزَّجَّاج : (هذه) ، فتكون العبارة هذه الكلمات .

(٧) عند الزَّجَّاج : (شيء) .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٧ / ٤ .

(٩) (هو) ساقطة من (ط) .

(١٠) (قول) ساقطة من (أ) .

(١١) في (أ) و(ع) : (هذا) .

(١٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٤٨ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤ / ٥١٥ .

وقال الحكم^(١) وابن زيد^(٢) : «(الْخَبِيثَاتُ) مِنَ النِّسَاءِ (لِلْخَبِيثِينَ) مِنَ الرِّجَالِ ، (وَالْخَبِيثُونَ) مِنَ الرِّجَالِ (لِلْخَبِيثَاتِ) مِنَ النِّسَاءِ ، (وَالطَّيِّبَاتُ) مِنَ النِّسَاءِ (لِلطَّيِّبِينَ) مِنَ الرِّجَالِ ، (وَالطَّيِّبُونَ) مِنَ الرِّجَالِ (لِلطَّيِّبَاتِ) مِنَ النِّسَاءِ » .

وهذا معنى قول ابن عباس - في رواية عطاء - قال : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ يعني يريد أمثال عبدالله بن أبي ومن يشك في الله تعالى ، (وَالطَّيِّبَاتُ) يريد عائشة طيبتها الله - عز وجل - لرسول الله ﷺ أتاه بها جبريل في سرقة^(٤) من حرير ، فقال هذه عائشة بنت أبي بكر زوجتك في الدنيا وزوجتك في الآخرة^(٥) عوضاً من^(٦) خديجة ، فسر بها رسول الله ﷺ وقر بها عينا ، (لِلطَّيِّبِينَ) : يريد رسول الله ﷺ طيبه الله لنفسه ، وجعله سيد ولد آدم ، ﴿ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ : يريد لعائشة . انتهى كلامه^(٧) .

-
- (١) هو الحكم بن عتيبة ، ولم أجد من ذكره عنه .
 (٢) ذكره عند الثعلبي ٧ / ٧٥ ب هذا اللفظ ، ورواه عنه الطبري ١٨ / ١٠٨ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٣٠ أ ، ٣١ أ ، والطبراني في الكبير ٢٣ / ١٥٦ بمعناه .
 (٣) في (أ) و(ع) : (لرسوله) .
 (٤) سرقة : قطعة من جيد الحرير ، وجمعها سرق . وقيل هي البيضاء خاصة من الحرير . لسان العرب (سرق) ١٠ / ١٥٦ ، ١٥٧ .
 (٥) هكذا في (أ) ، والطبراني . وفي (ظ) و(ع) ، والدر المنثور : (الجنة) .
 (٦) في (أ) : (عن) ، والمثبت من باقي النسخ والطبراني والدر المنثور .
 (٧) رواه الطبراني في الكبير ٢٣ / ١٥٥ - ١٥٦ من رواية عطاء عن ابن عباس ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٥٢ ، وعزاه إلى الطبراني . ومجيء جبريل بعائشة في سرقة من حرير رواه البخاري في صحيحه ٩ / ١٨٠ ، كتاب : النكاح ، باب : النظر إلى المرأة قبل التزويج ، ومسلم في صحيحه ٤ / ١٨٨٩ ، ١٨٩٠ في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : في فضل عائشة - ١ من حديث عائشة - رضي الله عنها - قال : قال لي رسول الله ﷺ : «أريتك في المنام يميء بك الملك في سرقة من حرير» . ورواه ابن حبان في صحيحه الإحسان ٩ / ١١١ من وجه آخر عن عائشة بلفظ : «جاء بي جبريل - عليه السلام - إلى رسول الله ﷺ في خرقة حرير ، فقال : هذه زوجتك في الدنيا والآخرة» .

وفي هذا ذمٌ للمنافقين وأزواجهم بالخبث ، ومدحٌ لرسول الله ﷺ وعائشة بالطهارة ، وكأنه قيل : المنافقون والمنافقات هم الذين بالصفة التي رموا^(١) بها عائشة وصفوان ، لا عائشة والنبي ﷺ .

قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ . قال مقاتل : «يعني الطيبات والطيبون مبرءون مما يقول^(٢) القاذفون»^(٣) .

قال الفرّاء : «يعني عائشة وصفوان فذكر الاثنين بلفظ الجمع كقوله : ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ [النساء : ١١] يريد^(٤) : أخوين ، وقوله : ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء : ٧٨] يريد : داود وسليمان»^(٥) .

وقال الزّجاج : «كل من قُذِف من المؤمنين والمؤمنات مبرءون مما يقول أهل الخبث القاذفون»^(٦) .

وهذا معنى ما ذكرنا من قول مقاتل . و﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى الطيبين والطيبات ، وعلى قول الفرّاء إشارة إلى عائشة وصفوان .

وهذان هما الوجهان الصحيحان في معنى الآية . وذكر قولان^(٨) آخران :

(١) في (أ) : (رضوا) .

(٢) في (أ) : (يقولون) .

(٣) تفسير مقاتل ٣٧/٢ أ .

(٤) في النسخ جميعها : (وإن) .

(٥) في (أ) : (يريدون) .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢٤٩/٢ .

(٧) معاني القرآن للزّجاج ٣٨/٤ .

(٨) في (ظ) و(ع) : (قولاً) .

أحدهما : رواه ابن أبي نجیح عن مجاهد في قوله : ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ قال : فمن كان طيباً فهو مبرأ من كل قول^(١) [خبيث يقوله ، يغفره^(٢) الله له . ومن كان خبيثاً فهو مبرأ من كل]^(٣) قول صالح يقوله ، يرده الله عليه ولا يقبله^(٤) منه ، كلُّ برئ مما ليس له بحق من الكلام^(٥) .

وعلى هذا الإشارة بقوله : ﴿أُولَئِكَ﴾ تعود إلى^(٦) الخبيث والطيب من الفريقين ، و﴿يَقُولُونَ﴾ خبرٌ عنهم لا عن غيرهم .

القول الثاني : رواه طلحة بن عمرو عن عطاء موقوفاً عليه^(٧) ، وروي مرفوعاً عنه إلى ابن عباس^(٨) : ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ : ألا ترى أنك تسمع الكلمة الخبيثة من الرجل الصالح فتقول : غفر الله لفلان ، ما^(٩) هذا من شيمته ولا من خلقه ولا مما يقول ! ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ أن يكون ذلك من أخلاقهم ومن شيمتهم^(١٠) ، ولكن الرجل قد يكون منه الزلل .

(١) قول : ساقط من (أ) و(ظ) .

(٢) في (أ) : (يغفر) .

(٣) ساقط من (ظ) .

(٤) في (ظ) و(ع) : (لا يقبله) .

(٥) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٥٥/٢ ، والطبري ١٠٩/١٨ ، وابن أبي حاتم ٣١/٧ ب ، والطبراني في الكبير ١٦١/٢٣ من طريق ابن أبي نجيح ، وذكره السيوطي في الدر ١٦٧/٦ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد والفريابي وابن المنذر .

(٦) (إلى) ساقطة من (ظ) .

(٧) رواه أبو الشيخ بن حيان في كتاب : التوبيخ والتنبيه ١٩٧ ، باب : ما روي في قول الله - عز وجل - (الخبيثات للخبيثين) الآية ، من طريق طلحة بن عمرو ، عن عطاء موقوفاً عليه ، وذكره السيوطي في الدر المشهور ١٦٨/٦ عن عطاء موقوفاً عليه وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٨) رواه الطبراني في الكبير ١٥٩/٢٣ من طريق طلحة بن عمرو عن عطاء مرفوعاً إلى ابن عباس . وسنده ضعيف جداً ؛ لأن فيه طلحة ، وقد تقدّم بيان حاله .

(٩) في (أ) : (فأ) .

(١٠) في التوبيخ : (شيمهم) .

وعلى هذا الإشارة بقوله : ﴿أُولَئِكَ﴾ تعود إلى الطَّيِّب من الفريقين ، والمعنى :
نفى الكلمة الخبيثة عنهم ، وإن بدرت منهم بادرة^(١) فهم مبرؤون منها ؛ لأن الله
يغفرها لهم بأنها ليست من شيمتهم ولا من أخلاقهم .

قوله تعالى : ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ . قال ابن عباس^(٢) ومقاتل^(٣) :
«رزق حسن في الجنة» .

٢٧ . ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية . روى عدي بن ثابت^(٤) أن امرأة [من
الأنصار]^(٥) جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إني
أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد^(٦) لا والد ولا
ولد ، فيأت الأب فيدخل عليّ ، ولا يزال يدخل عليّ رجل من أهل
بيتي وأنا على تلك الحال ، فكيف أصنع ؟ فنزلت هذه الآية^(٧) .

(١) في (أ) : (وإن ندرت منهم نادرة) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير ١٦١ / ٢٣ من طريق عطاء عن ابن عباس ، وذكره السيوطي في الدر المنثور
١٥٢ / ٦ ، ونسبه إلى الطبراني .

(٣) تفسير مقاتل ٣٧ / ٢ أ .

(٤) هو عدي بن ثابت الأنصاري ، الكوفي ، تابعي ثقة ، رُمي بالشيعة ، توفي سنة ١١٦ هـ . انظر :
الكاشف للذهبي ٢٥٩ / ٢ وتقريب التهذيب ١٦ / ٢ .

(٥) ساقط من (ظ) .

(٦) في (ظ) : (الني) .

(٧) (لا) ساقطة من (ظ) و(ع) .

(٨) رواه الطبري في تفسيره ١١٠ / ١٨ ، ١١١ ، والثعلبي في الكشف والبيان ٧٦ / ٣ أ ، والواحدي في
أسباب النزول ٢٦٩ من طريق أشعث بن سوار عن عدي بن ثابت ، وذكره السيوطي في الدر المنثور
١٧١ / ٦ ونسبه للفريابي والطبري .

وهذه الرواية فيها علتان :

الأولى : في سندها أشعث بن سوار ، وهو ضعيف .

الثانية : الإرسال ؛ فإن عدي بن ثابت تابعي .

وقوله : ﴿بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يعني بُيُوتاً ليست لكم»^(١) ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ قال : «يريد : حتى تستأذنوا»^(٢) ، وهو قول عكرمة^(٣) ، ومقاتل^(٤) ، وقتادة^(٥) ، والسدي^(٦) .

قال أبو إسحاق : «معنى ﴿تَسْتَأْذِنُوا﴾ في اللغة : تستأذنوا» ، وكذلك هو في التفسير . والاستئذان : الاستعلام . يقول : أذنته بكذا : أعلمته ، وكذلك آنت منه كذا ؛ أي علمت منه ، ومنه قوله : ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ زُجْداً﴾ [النساء : ٦] ؛ أي إن علمتم ، فمعنى (حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا)^(٧) : حتى تستعلموا ، أريد أهلها أن تدخلوا أم لا ؟^(٨) .

- (١) رواه ابن أبي حاتم ٣٢ / ٧ عن سعيد بن جبير .
- (٢) رواه الطبري ١٨ / ١١٠ ، وابن أبي حاتم ٣٢ / ٧ من طرق عن ابن عباس .
- (٣) ذكر السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٧١ عن عكرمة قال : «هي في قراءة أبي (حتى تسلموا وتستأذنوا)» ، وعزه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .
- (٤) تفسير مقاتل ٣٧ / ٢ أ .
- (٥) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢ / ٥٥ ، والطبري ١٨ / ١١٠ ، وابن أبي حاتم ٣٢ / ٧ أ .
- (٦) لم أجد من ذكره عنه .

قال العز بن عبدالسلام في كتابه الإشارة إلى الإيجاز ٧٨ : «﴿تَسْتَأْذِنُوا﴾ تطلبوا الأئس بكم ؛ أي تطلبوا أن يأئس بكم صاحب البيت ، وأنسه به بانتفاء الوحشة والكراهية ، وهذا كناية لطيفة عن الاستئذان ؛ أي أن يستأذن الداخل ؛ أي يطلب إذناً من شأنه أن لا يكون معه استيحاش رب المنزل بالداخل . . . فإنه إذا أذن له دلَّ على أنه لا يكره دخوله ، وإذا كره دخوله لا يأذن له ، والله متولي علم ما في قلبه ؛ فلذلك عبّر عن الاستئذان بالاستئناس مع ما في ذلك من الإيحاء إلى علة مشروعية الاستئذان .

وفي ذلك من الآداب أن المرء ينبغي أن لا يكون كلاً على غيره ، ولا ينبغي أن يعرض نفسه إلى الكراهية والاستئقال ، وأنه ينبغي أن يكون الزائر والمزور متوافقين متأسنين ، وذلك عون على توفر الأخوة الإسلامية اهـ .

- (٧) (حتى) . ليست في (ظ) و(ع) .

- (٨) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٣٩ .

وقال ابن قتيبة : «الاستئناس : أن يُعلم من في الدار يقال : استأنست فما رأيت أحداً ؛ أي استعلمت^(١) وتعرّفت^(٢)»^(٣).

وقال الفرّاء : «الاستئناس في كلام العرب : النظر . يقال : اذهب فاستأنس هل ترى أحداً ؟ فيكون معناه : انظر من في الدار»^(٤).

وقول النابغة :

بذي الجليل^(٥) على مُستأنسٍ وَحَدٍ^(٦)^(٧)

أراد : على ثور وحشي أحسن^(٨) رابه فهو يستأنس ؛ أي يتبصر ويتلّف هل يرى أحداً^(٩) ، وعلى هذا معنى ﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ حتى تنظروا وتتعرفوا هل في البيت أحد .

(١) في (ظ) : (استعملت) .

(٢) في (أ) : (تعرفت) سقطت الواو .

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٠٣ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢/٢٤٩ .

(٥) في (ع) : (الجليل) ، وفي (ظ) : (الخليل) .

(٦) في (ع) : (وحدى) .

(٧) هذا عجز بيت للنابغة الذبياني ، وهو من معلقته ، وصدره :

كأن رحلي وقد زال النهارُ بنا

وهو في : ديوانه ١٧ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٠٣ ، وتهذيب اللغة للأزهري (أنس) ٨٧/١٣ ، ولسان العرب (أنس) ١٥/٦ .

قال الخطيب التبريزي في شرح المعلقات العشر ٥١٧ : «(زال النهار بنا) معناه : انتصف ، و(بنا) بمعنى علينا ، و(الجليل) الثّمام ؛ أي بموضع فيه ثمام ، و(المستأنس) الناظر بعينه ، ومنه (إني آنست نارا) ؛ أي أبصرت» اهـ .

(وَحَدٍ) . بفتح الواو والحاء : الرجل المنفرد . القاموس المحيط ١/٣٤٣ .

(٨) في (ع) : (أحسن ما) .

(٩) من قوله : (وقول النابغة . . .) إلى هنا ، نقلاً عن تهذيب اللغة للأزهري (أنس) ٨٧/١٣ .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله : ﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ﴾ قال : «إنها هو (حتى تستأذنوا) ولكنه وهم من الكاتب»^(١).

وفسّر مجاهد^(٢) والكلبي الاستئناس هنا بالتنحج والتنحّم وهو نوع من الاستعلام .

(١) رواه سعيد بن منصور ١٥٨ ب ، والطبري ١٨/١٠٩ ، وابن أبي حاتم ٧/٣٢٢ من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وذكره ابن حجر في الفتح ٨/١١ ، وعزاه إلى سعيد والطبري والبيهقي ، وقال : «بسنده صحيح عن ابن عباس» اهـ ، ورواه سفيان الثوري في تفسيره ٢٢٤ ، والحاكم في مستدركه ٢/٣٩٦ من طريق مجاهد عن ابن عباس ، وصحّحه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، وهذا الأثر استشكله طائفة من العلماء منهم إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتابه أحكام القرآن ، ذكر ذلك عنه ابن حجر في الفتح ٨/٩ ، وقال ابن كثير في تفسيره ٣/٢٨٠ بعد إيراده له : «وهذا غريب جداً عن ابن عباس» ، وطعن في صحة هذا الأثر جماعة من العلماء ، منهم : ابن العربي في أحكام القرآن ٣/١٣٥٩ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ١٠/٤٧٩ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٢/٢١٤ ، وغيرهم ، وبالحق أبو حيان فقال في البحر ٦/٤٤٥ ، ٤٤٦ : «ومن روى عن ابن عباس أن قوله (تستأذنوا) خطأ أو وهم من الكاتب وأنه قرأ (حتى تستأذنوا) فهو طاعن في الإسلام ملحد في الدين ، وابن عباس بريء من هذا القول» . اهـ ، وقد بين ابن حجر -رحمه الله- وجه هذا الأثر الذي صحّحه فقال في الفتح ١١/٩ : «وأجيب بأن ابن عباس بناها على قراءته التي تلقّاها عن أبي بن كعب ، وأما اتفاق الناس على قراءتها بالسّين فلموافقة خط المصحف الذي وقع الاتفاق على عدم الخروج عما يوافقه ، وكانت قراءة أبي من الأحرف التي تركت القراءة بها . . . وقال البيهقي : يحتمل أن يكون ذلك في القراءة الأولى ثم نسخت تلاوته ، يعني : ولم يطلع ابن عباس على ذلك» .

(٢) رواه عن مجاهد الطبري في تفسيره ١٨/١١١ ، وابن أبي حاتم ٧/٣٢٢ أ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/١٧٢ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيوان .

وقوله : ﴿ وَتَسْلِمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ [قال ابن عباس وجميع المفسرين : «هذا على التقديم والتأخير ، حتى تسلموا على أهلها»^(١) وتستأذنوا^(٢) . وكذا هو في مصحف عبدالله مستقيم كقوله : ﴿ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي ﴾ [آل عمران : ٤٣] ، وقد مرّ ، وقوله : ﴿ فَنَكُمْ كَافِرٌ وَمَنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ [التغابن : ٢] . والاستئذان شرع^(٣) ، مشروع ، فلا يجوز لأحد الدُّمور^(٤) في بيت غيره^(٥) لأمر الله تعالى بالاستئذان في هذه الآية .

والسُّنة فيه أن يقول : السلام عليكم ، أَدْخَلَ؟^{(٦)(٧)} .

قال قتادة في هذه الآية : «كان يقال : الاستئذان ثلاث مرات ، من لم يؤذن له فيهن فليرجع . أمّا الأولى فيسمع الحي ، وأمّا الثانية فيأخذوا حذرهم ، وأمّا

(١) ساقط من (ظ) و(ع) .

(٢) قال الفراء في معاني القرآن ٢/٢٤٩ حدثني حبان ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس (حتى تستأنسوا) تستأذنوا ، قال : هذا مقدّم ومؤخر ، إنّما هو حتى تسلموا وتستأذنوا . وروى سعيد بن منصور في تفسيره ١٥٨ ب ، والطبري في تفسيره ١٨/١٧١ عن إبراهيم قال : «في مصحف عبدالله (حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا)» .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/١٧١ ، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد والبيهقي في شعب الإيمان .

(٣) في (ع) : (نوع) .

(٤) في (ظ) و(ع) : (الدخول) .

والدُّمور : الدخول بغير إذن . لسان العرب (دمر) ٤/٢٩١ .

(٥) في (ظ) : (بيت أحد غيره) .

(٦) في (أ) : (أدخل) .

(٧) روى أبو داود في سننه ١٤/٨١ ، كتاب : الأدب باب : كيف الاستئذان ، والترمذي في جامعه ٧/٤٩٠١ ، ٤٩١ ، في باب : التسليم قبل الاستئذان من حديث كَلْدَةَ بن حنبل - رضي الله عنه - أن صفوان بن أمية بعثه بلبن ولبأ وضغاييس إلى النبي ﷺ ، والنبي ﷺ بأعلى الوادي ، قال : فدخلت عليه ولم أستأذن ولم أسلم ، فقال النبي ﷺ : «ارجع فقل : السلام عليكم ، أَدْخَلَ؟» . قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/٤٨١ : «وإسناده صحيح» .

الثالثة فإن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردّوا ، ولا تقعدن^(١) على باب قوم ردّوك عن بابهم ؛ فإن للناس حاجات ، والله أعلم^(٢) بالعذر^(٣) .

وقد روى أبو موسى عن النبي ﷺ قال : «الاستئذان ثلاثة ، فإن أذنوا وإلاّ فارجع»^(٤) .

قوله : ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ . قال ابن عباس : «أزكى لكم وأعظم لأجوركم» .
وقال مقاتل : «أفضل لكم من أن تدخلوا بغير إذن»^(٥) .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ أن السلام والاستئذان خيرٌ فتأخذون به .

وقال ابن عباس : «يريد كي تتعظوا» .

٢٨ . قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا ﴾ ظاهر التفسير إلى قوله : ﴿ هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ﴾ .

قال مقاتل : «يقول^(٦) : الرجوع خيرٌ لكم من القيام والقعود على أبوابهم» ﴿ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ إن دخلتم بإذن أو بغير إذن ، فمن دخل بيتاً بغير إذن أهله قال

(١) في (أ) : (ولا يفعلن) ، وفي (ع) : (ولا تقعد) ، والمثبت من (ظ) ، وابن أبي حاتم .

(٢) عند ابن أبي حاتم : (أولى) .

(٣) رواه ابن أبي حاتم ٣٢/٧ أ ، ب ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٧٤/٦ ، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد والبيهقي في شعب الإيمان .

(٤) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في تفسيره ٧٦/٣ ب ، وقد رواه البخاري في صحيحه : ٢٧/١١ في كتاب : الاستئذان ، باب : التسليم والاستئذان ثلاثاً ، ومسلم في الصحيح ١٦٩٤/٣ في كتاب : الآداب ، باب : الاستئذان ، بلفظ «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع» .

(٥) تفسير مقاتل ٣٧/٢ أ .

(٦) (يقول) ساقطة من (ظ) .

له ملكاه^(١) اللذان يكتبان عليه : أَفَّ لَكَ عَصَيْتَ^(٢) وآذيت . يعني : عصيت الله وآذيت أهل البيت . فلما نزلت آية الاستئذان قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - للنبي ﷺ : فكيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن ؟ فأنزل الله :

٢٩ . ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾^(٣) .

قال ابن عباس^(٤) ، ومقاتل^(٥) : « ليس فيها ساكن بغير إذن ولا تسليم ، يعني الخانات والفنادق »^(٦) .

وقال مجاهد : « هي البيوت التي ينزلها السَّفر^(٧) لا يسكنها أحد »^(٨) .

(١) في (ظ) : (الملكان) .

(٢) في (أ) : (عصوت) .

(٣) تفسير مقاتل ٣٧/٢ أب .

وقد ذكره الثعلبي ٣/٧٦ ب من قوله : « فلما نزلت . . . » ، ولم ينسبه إلى أحد ، وكذلك الواحد في أسباب النزول ٢٦٩ ، وصدره بقوله : « قال المفسرون » . وهذا القول غير معتمد في سبب نزول هذه الآية ؛ لأنه من رواية مقاتل . وروى ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٣/٧ ب ، ٣٤ أ عن مقاتل بن حيان نحو هذا السبب .

(٤) روى ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٣/٧ ب عن سعيد بن جبيرة مثله .

(٥) تفسير مقاتل ٣٧/٢ ب .

(٦) الخانات : جمع خان ، وهو الخانوت ، وهو فارسي معرب ، وقيل : الخان الذي للتجار . لسان العرب ١٣/١٤٦ ، والفنادق : جمع فندق ، وهو المكان الذي ينزله الناس مما يكون في الطرق والمدائن . انظر : لسان العرب (فندق) ١٠/٣١٣ ، والقاموس المحيط ٣/٢٧٧ .

(٧) السَّفر كالصَّحْب : هم المسافرون . لسان العرب لابن منظور (سفر) ٤/٣٦٨ .

(٨) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٥٥ ، والطبري في تفسيره ١٨/١١٤ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/١٧٥ ، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

قوله : ﴿فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ﴾^(١) منافع^(٢) لعلكم تتقون بها البرد والحر ، قاله ابن عباس^(٣) ومقاتل^(٤) . وقال السدي : «بلاغ لكم إلى حاجتكم»^(٥) .

وقال أبو بكر الهذلي^(٦) : «يستمتع بالمنزل ثم يرتحل منه»^(٧) .

قال أبو إسحاق : «وقيل أنه يعني الخرابات التي يدخلها الرجل لبول أو غائط ، ويكون^(٨) ﴿فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ﴾ بمعنى^(٩) : إمتاع ؛ أي تتفرجون بها مما بكم»^(١٠) .

وهذا الذي ذكره هو قول عطاء ، قال : «هي البيوت الخربة ، والمتاع : قضاء الحاجة فيها من الخلال والبول»^(١١) .

(١) منافع) ساقطة من (ظ) .

(٢) روى ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٤ / ٧ أ عن سعيد بن جبير مثله .

(٣) تفسير مقاتل ٣٧ / ٢ ب .

(٤) رواه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٤ / ٧ أ من طريق أسباط .

(٥) هو سلمى وقيل : رُوِّح بن عبدالله بن سلمى ، أبو بكر الهذلي ، بصري ، روى عن الحسن البصري وابن سيرين وغيرهما ، كان من علماء الناس بأيامهم ، وهو متروك الحديث ، توفي سنة ١٦٧ هـ . انظر : الاستغناء لابن عبدالبر ١ / ٤٤٢ ، والكشاف ٣ / ٣١٨ ، وتهذيب التهذيب ١٢ / ٤٥ .

(٦) لم أجد من ذكره عنه .

(٧) في (أ) : زيادة معنى بعد قوله (ويكون) .

(٨) في (ظ) : (معنى) .

(٩) معاني القرآن للزجاج ٣٩ / ٤ ، وفيه : «متفرجون فيها» .

(١٠) ذكره عنه الثعلبي ٣ / ٧٧ أ بهذا اللفظ ، ورواه الطبري ١٨ / ١١٤ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٣٤ أ عنه مختصراً ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٧٥ مختصراً ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، قال الطبري ١٨ / ١١٥ بعد ذكره للخلاف في معنى البيوت غير المسكونة : «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله عَمَّ بقوله : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ﴾ كل بيت لا ساكن به لنا فيه متاع ندخله بغير إذن ؛ لأن الإذن إنما يكون ليؤنس المأذون عليه قبل الدخول ، أو ليأذن للدخول إن كان مالكا ، أو كان فيه ساكناً .

فأما إن كان لا مالك له ، فيحتاج إلى إذنه لدخوله . ولا ساكن فيه ، فيحتاج الداخل إلى إيناسه والتسليم عليه ؛ لئلا يهجم على ما لا يجب رؤيته منه . فلا معنى للاستئذان فيه ، فإذا كان كذلك فلا =

٣٠. ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ : يقال : غَضَّ بصره يغضُّه غَضًّا ، ومثله أغضى^(١) . قال جرير :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَغَبًّا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابًا^(٢)

قال ابن عباس : يريد : « لا ينظروا إلى ما لا يحل لهم »^(٣) ، وهذا قول المفسرين^(٤) .

وقالوا : إن (من) هاهنا صلة ، وهو قول مقاتل وسفيان^(٥) .

وجه لتخصيص بعض ذلك دون بعض . فكل بيت لا مالك له ولا ساكن من بيت مبني ببعض الطرق للمارة والسابلة ليأووا إليه ، أو بيت خراب قد باد أهله ولا ساكن فيه ، حيث كان ذلك فإن لمن أراد دخوله أن يدخل بغير استئذان لمتاع له يؤويه إليه ، أو للاستمتاع به لقضاء حقه من بول أو غائط أو غير ذلك .

انظر أيضاً : أحكام القرآن لابن العربي ٣ / ١٣٦٤ .

- (١) انظر : تهذيب اللغة (المستدرک) ٣٦ ، ولسان العرب (غضض) ٧ / ١٩٧ .
- (٢) البيت في ديوانه ٣ / ٨٢١ ، وتهذيب اللغة للأزهري (المستدرک) (غضّ) ٣٦ ، ولسان العرب (غضض) ٧ / ١٩٧ ، وخزانة الأدب ١ / ٧٢ ، وهو من قصيدة يهجو بها الراعي النُميري .
- (٣) روى الطبري ١٨ / ١١٧ وابن أبي حاتم ٧ / ٣٤ أ عن ابن عباس قال : « يغضوا أبصارهم عما يكره الله » . وقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٧ / ٣٤ ب عن قتادة نحو هذا القول الذي ذكره الواحدي عن ابن عباس .
- (٤) انظر : الطبري ١٨ / ١١٦ ، ١١٧ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٧ / ٣٤ أ ب ، والثعلبي ٣ / ٧٧ ب ، والدر المنثور للسيوطي ٦ / ١٧٦ ، ١٧٧ .
- (٥) قول مقاتل في تفسيره ٢ / ٣٧ ب ، وتتمّة كلامه : « يعني : يحفظوا أبصارهم كلها عما لا يحل لهم النظر إليه » اهـ . وقد حكى الماوردي في النكت والعيون ٤ / ٨٩ هذا القول عن قتادة . وأمّا قول سفيان فلم أجده . وقد روى ابن أبي حاتم ٧ / ٣٤ أ مثل هذا القول عن سعيد بن جبیر ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٨ / ١٧٧ عن سعيد ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

وقيل ^(١) : إن (من) هاهنا لتبعية ^(٢) الغض ، وهو الغض عم لا يحل النظر إليه ، فأما ^(٣) ما يحل فلا يجب الغض عنه .

وقوله : ﴿ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ ؛ أي عن الفواحش وعمّن لا يحل ، وهذا قول عامة ^(٤) المفسرين ^(٥) .

وروى الربيع ^(٦) عن أبي العالية قال : « كل آية في القرآن يذكر فيها حفظ الفرج فهو من الزنا إلا هذه الآية . قال : يحفظوا فروجهم ألا يراها أحد » ^(٧) ، ونحو هذا قال ابن زيد ^(٨) .

(١) حكى الرازي ٢٠٢/٢٣ هذا القول عن أكثر المفسرين . قال الثعلبي ٧٧/٣ أ : « لأن المؤمنين غير مأمورين بغض البصر أصلاً ، وإنما أمروا بالغض عما لا يجوز » ، واستظهر ابن عطية ٤٨٥/١٠ هذا القول ، وقوى القرطبي ٢٢٣/١٢ هذا القول بما في صحيح مسلم ٩٩/٣ ، كتاب : الآداب ، باب : نظر الفجأة عن جرير بن عبدالله قال : سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة ، فأمرني أن أصرف بصري .

انظر : المحرر لابن عطية ٤٨٦/١٠ ، والقرطبي ٢٢٢/١٢ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٣٩٧/٨ .

(٢) (لتبعية) : موضعها بياض في (ظ) .

(٣) في (أ) : (وأما) .

(٤) (عامة) ساقطة من (ظ) .

(٥) حكاها الثعلبي ٧٧/٣ عن أكثر المفسرين ، وانظر : الطبري ١١٦/١٨ ، وابن أبي حاتم ٣٤/٧ ب ، والدر المنثور ١٧٦/٦ ، ١٧٧ .

(٦) هو الربيع بن أنس .

(٧) رواه الطبري ١١٦/١٨ ، وابن أبي حاتم ٣٤/٧ ب عن الربيع عن أبي العالية ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٧٧/٦ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد وابن المنذر . قال الجصاص في أحكام القرآن ٣/٣١٥ بعد ذكره هذا القول عن أبي العالية : « هذا تخصيص بلا دلالة ، والذي يقتضيه الظاهر أن يكون المعنى حفظها عن سائر ما حرم عليه من الزنا واللمس والنظر ، وكذلك سائر الآي المذكورة في غير هذا الموضع في حفظ الفروج ، هي على جميع ذلك ما لم يقدّم الدلالة على أن المراد بعض ذلك دون بعض » .

(٨) ذكره عنه الثعلبي ٧٧/٣ أ ، والزخشي ٦٠/٣ .

ويدل على صحة هذا التأويل إسقاط (من) هاهنا على قول من يجعله للتبويض^(١).

وقوله: ﴿ذَلِكَ﴾. قال مقاتل: «ذلك الغض من البصر والحفظ للفرج»^(٢).

﴿أَزَكِّيْ لَهُمْ﴾: خيرٌ لهم عند الله وأعظم لأجورهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ في الفروج والأبصار^(٣). وقال ابن عباس: «خير بأعمالهم».

٣١. قوله: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ﴾ مفسر في الآية التي قبلها إلى قوله: ﴿وَلَا يَبْذِيْنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾. قال المقاتلان^(٤): «حدث جابر بن عبد الله أن أسماء بنت مرشدة^(٥) كانت في نخل^(٦) لها في بني حارثة، فجعلت النساء يدخلن عليها غير متأزرات^(٧)، فيبدو ما في أرجلهن من

(١) قال الزمخشري ٦٠/٣: «فإن قلت كيف دخلت- يعني (من)- في غض البصر من دون حفظ

الفروج؟ قلت: دلالة على أن أمر النظر أوسع؛ ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن... وأما الفرج فمضيق، وكفاك فرقاً أن أبيح النظر إلا ما استثنى منه وحظر الجماع إلا ما استثنى منه».

(٢) تفسير مقاتل ٣٧/٢ ب.

(٣) هذا قول مقاتل في تفسيره ٣٧/٢ ب.

(٤) يعني مقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان.

(٥) في (ط): (مرشد)، وهي أسماء بنت مرشدة بن جبر بن مالك بن حويرثة بن حارثة. أسلمت أسماء وبايعت رسول الله ﷺ. طبقات ابن سعد ٣٣٥/٨.

(٦) في (أ): (شغل).

(٧) غير متأزرات؛ أي غير سابغات الأزر، والإزار كل ما وارك وستر، وقيل هو ما يستر أسفل البدن. انظر: لسان العرب (أزر) ١٦/٤، وتاج العروس للزبيدي (أزر) ٤٣/١٠، ٤٤.

الخلاخل^(١)، وتبدو صدورهن وذَوَائِبُهُنَّ^(٢)، فقالت أسماء: ما أقبح هذا! فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٣).

واختلفوا في الزينة الظاهرة التي استثنى الله بقوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، فروي عن ابن مسعود بطرق مختلفة أنه قال: هو الثياب: الجلباب والرداء لا يبدن قُرْطاً ولا سواراً ولا خلخالاً ولا قلادة^(٤).

(١) في (ع): (الخلاخل)، والخلاخل جمع خَلْخَال، وهو الحلي الذي تلبسه المرأة في ساقها. لسان العرب (خلل) ٢٢١/١١.

(٢) ذوائب جمع ذَوَابَة، وهي الشعر المصفور من شعر الرأس، أو الناصية أو منبتها من الرأس. لسان العرب (ذأب) ٣٧٩/١، والقاموس المحيط ٦٧/١.

(٣) قول مقاتل بن حيان رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٥/٧، وذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ١٧٩/٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم. وأمّا قول مقاتل بن سليمان فهو في تفسيره ٣٧/٢ ب. وهذه الرواية غير معتمدة في سبب نزول هذه الآية؛ لأن مقاتل بن حيان لم يلق جابر بن عبد الله، فروايته منقطعة، ومقاتل بن سليمان متهم بالكذب.

(٤) من هذه الطرق: أولاً: طريق أبي الأحوص عوف بن مالك بن نضلة الجشمي عن ابن مسعود رضي الله عنه. وقد رواه عن أبي الأحوص أبو إسحاق السبيعي، وله عن أبي إسحاق طرق: ١. طريق معمر بن راشد: رواه من هذا الطريق عبد الرزاق في تفسيره ٥٦/٢، والطبري ١١٧/١٨ عن أبي إسحاق به، بلفظ: «إلا ما ظهر منها»، الثياب.

٢. طريق سفيان الثوري: وقد رواه عن سفيان جماعة منهم: وكيع بن الجراح: رواه عند ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٨٣/٤، عن سفيان، عن أبي إسحاق، بمثل لفظ معمر.

عبد الرحمن بن مهدي: رواه الطبري ١١٧/١٨ قال: «حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق». به بمثل لفظ وكيع، وإسناده صحيح. عبدالله بن وهب: رواه الطبري ١١٧/١٨ قال: «حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني الثوري، عن أبي إسحاق»، فذكره بمثل رواية ابن مهدي. أبو نعيم: رواه من طريقه ابن أبي حاتم ٣٦/٧، والطبري ٢٦٠/٩، عن سفيان، عن أبي إسحاق به، بمثل اللفظ المتقدم.

٣. طريق شعبة بن الحجاج: وقد رواه من طريقه الطبري ١١٧/١٨ بمثل اللفظ المتقدم.

٤. طريق إسرائيل: وقد رواه من طريقها ابن أبي حاتم ٣٥/٧ ب، والطبري في الكبير ٢٦٠/٩ =

عن أبي إسحاق ، به ، بلفظ : «(ولا يبدین زینتهن) قال : الزينة : القرط ، والدملج وعند الطبراني : الدملوج ، والخلخال والقلادة» .

٥ . طريق شريك : رواه من طريقه الحاكم في مستدرکه ٣٩٧ / ٢ عن أبي إسحاق به ، بلفظ : «(ولا يبدین زینتهن) قال : لا خلخال ولا شنف ، ولا قرط ولا قلادة ، (إلا ما ظهر منها) الثياب» .

٦ . طريق خديج بن معاوية : رواه من طريقه سعيد بن منصور في تفسيره ١٥٩ أ ، والطبراني في الكبير ٢٦٠ / ٩ عن أبي إسحاق به بلفظ : «(ولا يبدین زینتهن) قال : الزينة : السوار والدملج والخلخال ولا أدب والقرط والقلادة ، وما ظهر منها : الثياب والجلباب» .

٧ . طريق حجاج : رواه من طريقه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٨٤ / ٤ ، والطبري ١١٧ / ١٨ ، وابن أبي حاتم ٣٥ / ٧ عن أبي إسحاق به ، بلفظ : «الزينة زینتان ؛ زينة ظاهرة وزينة باطنة لا يراها إلا الزوج وقوله : لا يراها إلا الزوج ليست عند الطبري فأما الزينة الظاهرة فالثياب ، وأما الزينة الباطنة وعند الطبري : وما خفي - فالكحل والسوار والخاتم ، وعند الطبري : الخلالان والقرطان والسواران ، وعند ابن أبي حاتم : الخاتم والسوار . وهذه الطرق المروية عن أبي إسحاق .

ثانياً : طريق عبدالرحمن بن يزيد وتصحّف في المطبوع من الطبري إلى زيد بن قيس النخعي تابعي ثقة سمع ابن مسعود - عن ابن مسعود رضي الله عنه . رواه عن عبدالرحمن بن يزيد مالك بن الحارث ، ورواه عن مالك بن الحارث الأعمش ، وله عن الأعمش طريقان :

١ . طريق سفيان الثوري : رواه الطبري ١١٧ / ١٨ من طريقه عن الأعمش به بلفظ : (الثياب) .

٢ . طريق محمد بن فضيل ، وتصحّف في المطبوع من الطبري إلى الفضل : رواه من طريقه الطبري ١١٨ / ١٨ ، وابن أبي حاتم ٣٦ / ٧ عن الأعمش به ، بلفظ : (الرّداء) .

والقرط بضم القاف : نوع من الحلّي يعلق في شحمة الأذن . انظر : لسان العرب (قرط) ٣٧٤ / ٧ . وهذا القول هو الحق الذي يعضده الكتاب : والسنة الصحيحة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَيَصَرِّقَنَّ بِحُجْرَيْنَ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ . روى البخاري في صحيحه ٤٨٩ / ٨ ، كتاب : التفسير ، سورة النور ، باب : ﴿ وَلَيَصَرِّقَنَّ بِحُجْرَيْنَ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : «يرحم الله نساء المهاجرات الأول ، لما أنزل الله ﴿ وَلَيَصَرِّقَنَّ بِحُجْرَيْنَ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ شققن مروطن فاختمرن بها» . قال ابن حجر في الفتح ٤٩٠ / ٨ في شرح هذا الحديث : «قولها : (فاختمرن) ، أي غطين وجوههن ، وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر ، وهو التقنع» . وقال الشنقيطي في أضواء البيان ٥٩٤ / ٦ في حديث عائشة هذا : «وهذا الحديث الصحيح صريح في أن النساء الصحابيات المذكورات فيه فهمن أن معنى قوله : ﴿ وَلَيَصَرِّقَنَّ بِحُجْرَيْنَ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ يقتضي ستر وجوههن ، وأنهن شققن أزهرن فاختمرن ؛ أي سترن وجوههن بها امتثالاً لأمر الله في قوله تعالى : ﴿ وَلَيَصَرِّقَنَّ بِحُجْرَيْنَ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ المقتضي ستر وجوههن ، وبهذا يتحقق المنصف : أن احتجاب المرأة عن الرجال وستر وجهها عنهم ثابت في السنة الصحيحة المفسرة لكتاب : الله تعالى ، وقد أثنت عائشة =

وهو قول الحسن^(١)، وماهان الحنفي^(٢)، ورواية الحكم^(٣) عن أبي وائل عن ابن عباس^(٤).

وقال^(٥) في رواية سعيد بن جبير: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ كَفُّهَا وَوَجْهَهَا^(٦)، وهو قول ابن مسعود في رواية سعيد بن جبير.

— رضي الله عنها— على تلك النساء بمسارعتهن لامثال أوامر الله في كتابه، ومعلوم أنهن ما فهمن ستر الوجه من قوله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ خُفُّهُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ إلا من النبي ﷺ، لأنه موجود وهن يسألنه عن كل ما أشكل عليهن في دينهن، والله— جل وعلا— يقول: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] فلا يمكن أن يفسرها من تلقاء أنفسهن». اهـ.

وكذلك آية الحجاب، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِكُنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. وانظر تفصيل ذلك في: أضواء البيان للشنقيطي ١٩٩/٦، ٢٠٠، ٥٨٤، ٦٠٢، ورسالة الحجاب في الكتاب: والسنة للشيخ عبدالقادر بن حبيب الله السندي، وعودة الحجاب لمحمد بن أحمد المقدم ٣/ ١٨١ - ٣٢٩.

(١) رواه الطبري ١١٨/١٨ عن الحسن. وقال ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٦/٧ بعد ذكره الأثر المتقدم عن ابن مسعود «وروي عن الحسن، . . . ، وأبي صالح ماهان في إحدى الروايات . . . نحو ذلك». وروى سعيد بن منصور في تفسيره: ل ١٥٩ أ، وابن أبي شيبه في مصنفه ٤/ ٢٨٤ عنه قال: «الوجه والثياب».

(٢) هو ماهان الحنفي، أبو صالح ويقال: أبو سالم الكوفي، روى عن ابن عباس وأم سلمة وعدة، وكان ثقة، عابداً، قتله الحجاج سنة ٨٣هـ. انظر: الكاشف للذهبي ٣/ ١١٧، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٢٥، وتقريب التهذيب ٢/ ٢٢٧. وقوله رواه عنه ابن أبي شيبه ٤/ ٢٨٤، وتقدم في الهامش السابق أن ابن أبي حاتم ذكره عنه.

(٣) الحكم هو ابن عتيبة، تقدمت ترجمته.

(٤) لم أجد هذه الرواية عن ابن عباس.

(٥) يعني ابن عباس.

(٦) رواه ابن أبي شيبه في مصنفه ٤/ ٢٨٤، وابن المنذر في الأوسط ٥/ ٧٠، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٢٢٥ من طريق حفص بن غياث، عن عبدالله بن مسلم بن هرمز، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به.

قال الذهبي في المذهب في اختصار السنن الكبير للبيهقي ٢/ ١٨٩: «قلت: عبدالله ضعيف». اهـ.

= يعني ابن مسلم بن هرمز، لكن الطبري ١١٨/١٨ رواه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

وقول الضحاك في رواية جوير^(١).

في قوله: ﴿وَلَا يُبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ قال: «والزينة الظاهرة: الوجه، وكحل العين، وخضاب الكف، والخاتم. فهذه تظهر في بيتها لمن دخل من الناس عليها». وقد ذكر العلماء أجوبة عن قول ابن عباس -رضي الله عنهما- في تفسير هذه الآية، تقتصر منها على أجودها: قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «والسلف تنازعوا في الزينة الظاهرة على قولين: فقال ابن مسعود: هي الثياب، وقال ابن عباس ومن وافقه: هي ما في الوجه واليدين مثل الكحل والخاتم. وحقيقة الأمر أن الله جعل الزينة زيتين: زينة ظاهرة، وزينة غير ظاهرة، وجوز لها إبداء زينتها الظاهرة لغير الزوج وذوي المحارم، وأما الباطنة فلا تبديها إلا للزوج وذوي المحارم». ثم ذكر أنه قبل أن تنزل آية الحجاب كان النساء يخرجن يرى الرجال وجوههن وأيديهن، وكان إذاك يجوز لهن أن يظهرن الوجه والكفين، ثم لما أنزل الله -عز وجل- آية الحجاب حجب النساء عن الرجال، كان حينئذ الوجه واليدين من الزينة التي أمرت النساء ألا يظهرنها للأجانب. قال رحمه الله: «فما بقي محل للأجانب النَّظَرُ إلا إلى الثياب الظاهرة. فابن مسعود ذكر آخر الأمرين، وابن عباس ذكر أول الأمرين»، مجموع الفتاوى ١١٠/٢٢.

وقال العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى: «وأما ما يروى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه فسّر ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ بالوجه والكفين، فهو محمول على حالة النساء قبل نزول آية الحجاب، وأما بعد ذلك فقد أوجب الله عليهن ستر الجميع، كما سبق في الآيات الكرييات من سورة الأحزاب وغيرها، ويدل على أن ابن عباس أراد ذلك ما رواه علي بن أبي طلحة عنه أنه قال: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة».

وقد نبّه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم والتحقيق، وهو الحق الذي لا ريب فيه، ومعلوم ما يترتب على ظهور الوجه والكفين من الفساد والفتنة، وقد تقدّم قوله تعالى: ﴿وَأِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، ولم يستثن شيئا وهي آية محكمة، فوجب الأخذ بها والتعويل عليها وحمل ما سواها عليها، والحكم ما سواها عليها، والحكم فيها عام في نساء النبي ﷺ وغيرهن من نساء المؤمنين. وقد تقدّم من سورة النساء ما يرشد إلى ذلك^١. اهـ. من كتابه رسالة في الحجاب والسفور ١٩. وانظر للتوسع والزيادة: أضواء البيان للشقيطي ١٩٢/٦ - ٢٠٠، ورسالة الحجاب للشيخ محمد بن صالح العثيمين ٦-٩، والحجاب في الكتاب: والسنة للسندي ٢١-٢٦، وعودة الحجاب لمحمد بن إسماعيل المقدم ٣/٢٦٢-٢٨٤.

(١) في النسخ جميعها: (جبر)، وهو خطأ، والمثبت هو الصواب.

وبه قال مقاتل بن سليمان^(١)، وإبراهيم^(٢)، ومكحول، والأوزاعي، ونحو هذا روى جابر [بن زيد]^(٣) عن ابن عباس قال: «هو رقعة الوجه وباطن الكف»^(٤).

وقال في رواية عطاء: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يريد الكحل لأنه لا تقدر أن تغطي عينها.

وزاد سعيد بن جبير عنه في رواية مسلم الملائى^(٥) عن سعيد: «الخاتم»^(٦)، ونحو هذا روى مجاهد عن ابن عباس: «أنه الكحل والخاتم»^(٧).

(١) انظر: تفسير مقاتل ٣٧/٢ ب.

(٢) روى ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٨٣/٤ عن إبراهيم خلاف هذا القول، وهو قوله في تفسير الزينة الظاهرة بأنها الثياب.

(٣) ساقط من (ظ).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٨٣/٤، وابن أبي حاتم ٣٥/٧ ب من رواية جابر بن زيد عن ابن عباس.

(٥) هو مسلم بن كيسان الضبي، الملائى البراد الأعور، أبو عبدالله الكوفي. روى عن أنس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما. قال الذهبي: «واه»، وقال ابن حجر: «ضعيف». انظر: الكاشف ٣/١٤٢، وتهذيب التهذيب ١٠/١٣٥، وتقريب التهذيب ٢/٢٤٦.

(٦) روى سعيد بن منصور في تفسيره ١٥٨ ب، والطبري ١٨/١١٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٨٥/٧ من طريق مسلم الملائى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «الكحل والخاتم».

(٧) روى عبدالرزاق في تفسيره ٥٦/٢ من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا يُدِيرُكَ زِينَتُهُنَّ﴾ قال: «هو الكف والخضاب والخاتم».

وهو قول أنس بن مالك^(١)، وأبي صالح، وعكرمة^(٢)، وزاد مجاهد :
«الخضاب»^(٣).

وروي عن عائشة أنها قالت وسُئلت عن الزينة الظاهرة : هي القلب
والفتحة^(٤)، ووضعت كفها على كوعها^(٥).

وهو قول السدي : «الخاتم والقلب»^(٦).

وقول قتادة : «المسكتان»^(٧) والخاتم والكحل»^(٨).

وقوله : ﴿وَلَيَصْرَيْنَ مِخْمَرَيْنِ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ الخُمَر : جمع الخِمَار ، وهو ما تغطي
به المرأة رأسها ، وقد تَخَمَّرَت المرأة واختمرت ، وهي حسنة الخِمْرَةِ والخُمْرَةِ^(٩).

(١) روى ابن المنذر في تفسيره كما في الدر المنثور للسيوطي ١٧٩/٦ ، وقال البيهقي في السنن الكبرى

٨٦/٧ بعد ذكره قول ابن عباس أنه الكحل والخاتم : «وروى ذلك أيضاً عن أنس بن مالك» .

(٢) روى ابن أبي شيبة في مصنفه ٨٣/٤ عن عكرمة وأبي صالح ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ قالوا : «ما فوق
الدرع إلا ما ظهر منها» ، وأخرج ٢٨٥/٤ عن عكرمة قال : «(ما ظهر منها) : الوجه وثغرة النحر» .

(٣) روى ابن أبي شيبة في المصنف ٢٨٤/٤ عن مجاهد ، قال : «الخضاب والكحل» .

(٤) القلب : بالضم : سوار المرأة . القاموس المحيط ١١٩/١ .

والفتحة : بفتح وسكون ويحرك : خاتم كبير يكون في اليد والرجل ، وقيل : حلقة من فضة تلبس في
الإصبع كالخاتم . تاج العروس للزبيدي (فتح) ٣٠٧/٧ .

(٥) رواه البيهقي في الكبرى ٨٩/٧ بلفظ «القلب والفتحة» ، وضمت طرف كُمها» ، وذكره السيوطي في
الدر المنثور ١٨٠/٦ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٨٣/٤
مختصراً .

(٦) لم أجده .

(٧) في (أ) : (المسكفان) ، والمسكتان : واحدتهما مسكة ، وهي سوار من عاج أو نحوه . انظر : لسان
العرب (مسك) ٤٨٦/١٠ ، ٤٨٧ .

(٨) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٥٦/٢ ، والطبري في تفسيره ١١٨/١٨ .

(٩) من قوله : (وهو ما تغطي . . .) إلى هنا ، في تهذيب اللغة للأزهري (خمر) ٣٧٩/٧ منسوباً إلى
الليث ، من دون قوله : (واختمرت) ، والخمرة . وهو بأخصر منه في العين (خمر) ٢٦٣/٤ ، وانظر :
الصحاح للجوهري (خمر) ٤٦٩/٢ ، ولسان العرب (خمر) ٢٢٧/٤ .

والجيوب : جمع الجَيْب ، وهو موضع القطع من الدرع والقميص^(١) ،
والجُوب : القطع كما يجاب الجيب^(٢) ، ومنه قول طرفة :

رَحِيبٌ^(٣) قَطَابٌ^(٤) الْجَيْبُ^(٥) مِنْهَا رَفِيقَةٌ^(٦)

بِجَسِّ^(٧) الثَّدَامَى بَضَّةً^(٨) الْمُتَجَرَّدِ^(٩)(١٠).

ويقال : أجببت القميص إذا أخرجت رأسك من جيبه هذا هو الأصل ، ثم صار الاجتباب اسماً للبس ، يقال : اجتباب الشيء ، إذا لبسه وإن اشتمل به^(١١) .

قال المقاتلان في تفسير (جُيُوبِهِنَّ) : «صدورهن»^(١٢) .

وعلى هذا المعنى : على مواضع جيوههن ؛ لأن مواضع الجيوب الصدور .

-
- (١) انظر : لسان العرب (جيب) ٢٨٨ / ١ ، وتاج العروس للزبيدي (جيب) ٢ / ٢٠١ .
(٢) من قوله : (والجوب . . .) إلى هنا ، هذا كلام الليث كما في تهذيب اللغة للأزهري (جاء) ١١ / ٢١٨ ، وهو في العين (جوب) ٦ / ١٩٢ .
(٣) في (أ) : (رحيب) ، ومثلها في (ع) مهملة . وفي (ظ) : (وحت) .
(٤) في (ع) : (قطاب) .
(٥) في (أ) : الجيب ، وفي (ع) مهملة . وفي (ظ) : (الجب) .
(٦) في (أ) و(ع) : (رقية) ، وفي (ظ) : (رميقه) .
(٧) في (أ) : (بحسن) ، وفي (ع) : (بحسن) ، ومثلها في (ظ) مهملة .
(٨) في (ع) : (بضة) ، وفي (ظ) مهملة .
(٩) في (أ) : (المنجرد) .
(١٠) البيت من معلقته ، وهو في : ديوانه ٣٠ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ٤٧٠ ، والمحاسب لابن جني ١ / ١٨٣ ، وأساس البلاغة للزحشري ٢ / ٢٦١ ، وخزانة الأدب ٢ / ٢٠٣ ، قال الشنمري في شرح ديوان طرفة ٣٠ : «قَطَابُ الجيب : مجتمعه حيث قُطِب ، أي جمع . الرحيب : الواسع» .
(١١) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (جاء) ١١ / ٢١٨ ، ٢٠ ، والصحاح للجوهري (جوب) : ١ / ١٠٤ ، ولسان العرب (جوب) ١ / ٢٨٦ ، وتاج العروس للزبيدي (جوب) ٢ / ٢٠٨ .
(١٢) قول مقاتل بن حيان ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧ / ٣٦ ب ، وقول مقاتل بن سليمان في تفسيره ٢ / ٣٧ ب .

والمعنى : وليلقين^(١) مقانعهن^(٢) على جيوبهن ؛ ليسترن بذلك شعورهن وقرطهن^(٣) وأعناقهن ، كما قال ابن عباس : «تُغطي شعرها وصدرها وترائبها^(٤) وسوالفها^(٥) وكل ما زين وجهها مما لا يصلح أن يراه إلا زوجها وكل ذي محرم منها»^(٦) .

وقال الكلبي : «يقول : ليرخين خمرهن^(٧) على الصدر^(٨) والنحر ، وكَنَ النساء قبل هذه الآية إنما يسدلن^(٩) خمرهن^(١٠) سداً من ورائهن كما يصنع^(١١) القبط^(١٢) فلما نزلت هذه الآية شددن الخمر على النحر والصدر»^(١٣) .

-
- (١) في (أ) : (وليعلبن) ، وفي (ع) : (وليقلبن) ، والمثبت من (ظ) والوسيط للواحد .
 - (٢) مقانعهن : جمع مقنعة ومقنعة بكسر الميم : وهو ما تتقنع به المرأة من ثوب تغطي رأسها ومحاسنها .
 - (٣) الصحاح للجوهري (قنع) ٣/ ١٢٧٣ ، ولسان العرب (قنع) ٨/ ٣٠٠ .
 - (٤) كقردة . انظر : القاموس المحيط ٢/ ٣٧٨ .
 - (٥) في (أ) : (وترايبها) . والترايب : موضع القلادة من الصدر . لسان العرب (ترب) ١/ ٢٣٠ .
 - (٦) سَوَالِفُهَا : جمع سالفة ، وهي أعلى العنق ، أو ناحية مقدّم العنق من لدن مُعلَق القُرط إلى نفرة الترقوة .
 - (٧) لسان العرب (سلف) ٩/ ١٥٩ .
 - (٨) لم أجده .
 - (٩) في (ظ) و(ع) : (خورهن ، الصدور) .
 - (١٠) في (ظ) و(ع) : (خورهن ، الصدور) .
 - (١١) يسدلن : يعني يرخين ويُرسِلن . انظر : لسان العرب (سدل) ١١/ ٣٣٣ .
 - (١٢) في (أ) : (خرها) .
 - (١٣) في (ظ) : (تصنع) .
 - (١٤) هكذا في النسخ جميعها ، وعند القرطبي ١٢/ ٢٣٠ نقلاً عن النقاش : «النَّبَط» .
 - (١٥) القبط بالكسر : قوم من النصارى بمصر . وأمّا النَّبَط فهم الذين يسكنون السواد ، ومنه سواد العراق ، والسواد قرى المدينة وأريافها . انظر : اللسان (قبط) ٧/ ٣٧٣ ، ٧/ ٤١١ ، و(نبط) ، وتاج العروس (سود) ٨/ ٢٢٨ .
 - (١٦) ذكر نحو هذا الرازي ٢٣/ ٢٠٦ ، وعزاه إلى المفسرين ، وذكر نحوه القرطبي ١٢/ ٢٣٠ ، وذكره النيسابوري في غرائب القرآن ٩٣١٨ ، وعزاه إلى المفسرين .

وقوله : ﴿وَلَا يُبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ﴾ : يعني الزينة الباطنة ، وهي التي سوى ما ظهر منها .

قال ابن عباس^(١) ومقاتل^(٢) : «يعني ولا يضعن الجلباب وهو القناع فوق الخمار إلا لأزواجهن أو من ذكر بعدهم» .

قال عكرمة : «في هذه الآية^(٣) لم يذكر العم والخال لأنها ينعثان لأبنائهما ، قال : ولا تضع خمارها عند العم والخال»^(٤) .

قال المفسرون^(٥) في الزينة الثانية : إنها الخفية^(٦) التي لا يجوز لهن كشفها في الصلاة .

وجملة القول في هذه الآية أن الرجل يحرم عليه النظر إلى الحرّة الأجنبية ، ويحرم عليها أن تنظر إليه ، وأن تبدي له شيئاً من زينتها سوى الزينة الظاهرة على^(٧) الاختلاف المذكور ، فإن أراد أن يتزوجها وأمن^(٨) على نفسه الفتنة فله أن ينظر إليها غير متأمل على الاستقصاء ، وينبغي أن ينظر إليها وهي لا تعلم لما روى

(١) ذكره عنه البغوي ٣٤ / ٦ ، وابن الجوزي ٣٢ / ٦ ، وروى ابن أبي حاتم ٣٦ / ٧ ب عن سعيد بن جبير مثله .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣٧ / ٢ ب .

(٣) (الآية) ساقطة من (أ) .

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٣٨ / ٤ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨٢ / ٦ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر .

وجمهور العلماء على أن العم والخال كسائر المحارم في جواز النظر لهما إلى ما يجوز لهم . انظر : القرطبي ٢٣٣ / ١٢ .

(٥) الطبري ١٨ / ١٢٠ ، والثعلبي ٧٧ / ٣ ب .

(٦) (الخفية) ساقطة من (أ) .

(٧) في (أ) : (لا على) بزيادة (لا) ، وهو خطأ .

(٨) في (ظ) : (أو أمن) .

أبو حميد الساعدي عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إذا خطب أحدكم المرأة فلا بأس أن ينظر إليها وهي لا تعلم»^(١).

وكذلك^(٢) الشاهد العفيف ينظر لتحمل الشهادة ، والطبيب العفيف ينظر للمعالجة عند الضرورة^(٣).

وقد جمع الله في هذه الآية بين البعولة والمحارم ، وبينهما^(٤) في هذا الحكم فرق^(٥) ، وهو أن البعل له أن ينظر إلى جميع بدن امرأته غير الفرج لنهي رسول الله ﷺ عن ذلك ولقوله : «إن ذلك يورث العمى»^(٦).

وأما المحارم المذكورون^(٧) في الآية فليس لهم أن ينظروا إلى ما بين سرتها وركبتها ولهم أن ينظروا إلى ما سوى ذلك^(٨).

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤٢٤/٥ ، والبزار في مسنده كما في كشف الأستار للهيتمي ١٥٩/٢ ، والطبراني في الأوسط ٤٩٨/١ . قال الهيتمي في مجمع الزوائد ٢٧٦/٤ : (ورجال أحمد رجال الصحيح).

(٢) في (أ) : (كذلك).

(٣) انظر : الخاوي ٣٥/٩ ، والمغني ٤٩٨/٩ ، وروضة الطالبين ٢٩/٧ .

(٤) (وبينهما) ساقطة من (ع) .

(٥) في (أ) : (وفرقت) .

(٦) رواه ابن عدي في الكامل ٥٠٧/٢ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٩٤/٧ ، ٩٥ من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا جامع أحدكم زوجته أو جاريته فلا ينظر إلى فرجها ، فإن ذلك يورث العمى» . وقد حكم جماعة من الحفاظ على هذا الحديث بأنه موضوع ، منهم : أبو حاتم الرازي ، وابن حبان ، وابن الجوزي . ذكر ذلك الشوكاني في الفوائد المجموعة للأحاديث الموضوعية ١٢٧ . وذكر الألباني في الضعيفة ٢٢٩/١ هذا الحديث ، وحكم عليه بالوضع ، ونقل أقوال أهل العلم في ذلك . قال ابن حجر في الفتح ٣٦٤/١ : «وهو نص في المسألة» . اهـ .

(٧) في (ظ) : (المذكورة) ، وفي (ع) : (المذكور) .

(٨) هذا قول بعض أهل العلم . وقال آخرون : يجوز للرجل أن ينظر من ذوات محارمه إلى ما يظهر غالباً ، كالرقبة والرأس والكفين والقدمين ونحو ذلك ، وليس له النظر إلى ما يُستر غالباً كالصدر والظهر ونحو ذلك . ومنع الحسن والشعبي والضحاك النظر إلى شعر ذوات المحارم ، وكرهه آخرون . قال =

وأما الأمة فما بين سرتها وركبتها من عورتها ، وليس شعرها ، ولا رقبته من عورتها^(١) .

وقوله : ﴿ أَوْ نِسَائِهِنَّ ﴾ . قال المفسرون^(٢) : يعني النساء المؤمنات كلهن ، فلا يحل لامرأة مؤمنة أن تتجرد بين يدي امرأة مشركة إلا أن تكون أمة لها .

قال ابن عباس : « لا يحل لمن أن يراهن يهوديات ولا نصرانيات لئلا يصفنهن لأزواجهن »^(٣) .

ابن قدامة : « والصحيح أنه يباح النظر إلى ما يظهر غالباً ، لقول الله تعالى : ﴿ وَلَا يَبْدِيكَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِمُعْوَظَةٍ ﴾ [النور : ٣١] الآية ، وقالت سهلة بنت سهيل : يا رسول الله ، إنا كنا نرى سألماً ولدأ ، وكان يأوي معي ومع أبي حذيفة في بيت واحد ، ويراني فضلاً ، وقد أنزل الله فيهم ما علمت ، فكيف ترى فيه ؟ فقال لها النبي ﷺ : « أرْضِعيه » . فأرضعته خمس رضعات فكان بمنزلة ولدها . رواه أبو داود وغيره . وهذا دليل على أنه كان ينظر منها إلى ما يظهر غالباً ، فإنها قالت : يراني فضلاً ، ومعناه : في ثياب البذلة التي لا تستر أطرافها . . . وما لا يظهر غالباً لا يباح ، لأن الحاجة لا تدعو إلى نظره ، ولا تؤمن معه الشهوة ومواقعة المحذور ، فحرم النظر إليه كما تحت السرّة » . انتهى كلامه . انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٣١٧ ، والحاوي ٢/ ١٧١ ، ١٧٢ ، والمغني ٩/ ٤٩١ - ٤٩٣ ، وروضة الطالبين ١/ ٢٨٣ .

(١) هذا قول أصحاب الشافعي وغيرهم . وقال آخرون : الأمة يباح النظر منها للأجانب إلى ما يظهر غالباً كالوجه والرأس واليدين والساقين ، لأن عمر رأى أمة متقنة ، فضربها بالدرة ، وقال يا لكاع ، تشبهين بالحرائر ؟ وروى أنس أن النبي ﷺ لما أخذ صفيه قال المسلمون : إحدى أمهات المؤمنين ، أو مما ملكت يمينه ؟ فقالوا : إن حجبها فهي من أمهات المؤمنين ، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه . فلما ارتحل وطأ لها خلفه ومد الحجاب بينها وبين الناس . رواه البخاري في صحيحه ٩/ ١٢٦ ، كتاب : النكاح ، باب : اتخاذ السراي ، ومن أعتق جارية ثم تزوجها . قال ابن قدامة : « وهذا دليل على أن عدم حجب الإماء كان مستفيضاً بينهم مشهوراً ، وأن الحجب لغيرهن كان معلوماً . وسوى بعض الحنابلة بين الحرّة والأمة لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَبْدِيكَ زِينَتَهُنَّ ﴾ ولأن العلة في تحريم النظر الخوف من الفتنة ، والفتنة المخوفة تستوي فيها الحرّة والأمة » . انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٣١٧ ، والحاوي ٢/ ١٧٢ ، والمغني ٩/ ٥٠١ ، وروضة الطالبين ١/ ٢٨٣ .

(٢) الثعلبي ٣/ ٧٧ بنصّه .

(٣) ذكره عنه الزمخشري ٣/ ٦٢ ، والرازي ٢٣/ ٢٠٧ ، والقرطبي ١٢/ ٢٣٣ ، وأبو حيان ٦/ ٤٤٨ .

وقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾: يعني المماليك والعبيد، للمرأة أن تظهر لملوكها إذا كان عفيفاً ما تظهر لمحارمها، وكذلك مكاتبها ما لم يعتق بالأداء أو بالإبراء.

قال رسول الله ﷺ: «إذا وجد مكاتب إحداكن وفاء فلتحتجب عنه»^(١).

وقوله: ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾: أكثر القراء على خفض (غَيْرِ)^(٢) بالصفة للتابعين، وجاز وصف التابعين بـ (غير)؛ لأنهم غير مقصودين بأعيانهم فأجري ذلك مجرى النكرة.

وقد قيل: إنما جاز أن يوصفوا بـ (غير) في هذا النحو لقصر الوصف على شيء بعينه، فإذا قصر على شيء بعينه زال الشياخ عنه فاختص. والتابعون ضربان: ذو إربة، وغير^(٣) ذي إربة، وليس ثالث. فإذا كان كذلك جاز لاختصاصه أن يجري وصفاً على المعرفة^(٤).

وفي الدر المنثور ١٨٣/٦: «وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس (أو نساھن) قال: لا تبدیه لیهودیة ولا لنصرانیة».

وقد حكى الرازي ٢٠٧/٢٣ هذا القول عن أكثر السلف، ثم حكى قولاً ثانياً أن المراد بـ (نساھن) جميع النساء، ثم قال: «وهذا هو المذهب، وقول السلف محمول على الاستحباب والأولى».

(١) رواه الإمام أحمد ٢٨٩/٦، وأبو داود ٤٣٥/١٠، ٤٣٦ في كتاب: العتق، باب: في المكاتب، والترمذي ٤٧٤/٤ في كتاب: البيوع، باب: ما جاء في المكاتب إذا كان عنده ما يؤدي. عن أم سلمة مرفوعاً بلفظ «إذا كان لإحداكن مكاتب وكان له ما يؤدي فلتحتجب منه». وقد نقل البيهقي في السنن الكبرى ٣٢٧/١٠ بعد روايته هذا الحديث عن الشافعي قوله: «ولم أرَ من رضى من أهل العلم يثبت هذا الحديث». وقال عنه الألباني في إرواء الغليل ١٨٢/٦: «ضعيف».

(٢) قرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر: (غیر أُولی الإربة) نصباً، وقرأ الباقون وحفص عن عاصم: (غیر أُولی الإربة) خفضاً. انظر: السبعة لابن مجاهد ٤٥٥، والتيسير للداني ٦١٤، والغاية لابن مهران النيسابوري ٢١٩، والنشر لابن الجزري ٣٣٢/٢.

(٣) في (ظ): (أو غير).

(٤) من قوله: (بالصفة للتابعين...) إلى هنا، نقلاً عن الحجة لأبي علي الفارسي ٣١٨/٥، ٣١٩ مع تصرف يسير، وانظر: معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٠، ومعاني القرآن للزجاج ٤/٤٢، وعلل =

وقد أحكمنا هذه المسألة عند قوله : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة : ٧] .

ومن نصب (غير) احتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون استثناء . التقدير : بيدين^(١) زيتنهن للتابعين إلا إذا الإربة منهم ، ؛ فإنهن لا يبيدين زيتنهن لمن كان منهم ذا إربة .

والآخر : أن يكون حالاً . المعنى : والذين يتبعوهن عاجزين عنهن ، وذو الحال ما في التابعين من الذكر^(٢) .

والإربة معناها في اللغة : الحاجة^(٣) .

قال أبو عبيد : «الإربة والإرب : الحاجة»^(٤) ، ومنه قول عائشة - رضي الله عنها - : «كان النبي ﷺ أملككم لإربه»^(٥) .

وقد أربَ الرَّجُل إذا احتاج إلى الشيء وطلبه ، يَأرِبُ أرباً^(٦) .

= القراءات للأزهري ٢/ ٤٥٠ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/ ١٠٦ ، والكشف لمكي ٢/ ١٣٦ .

- (١) من الحجّة : «لا يبيدين زيتنهن للتابعين إلا إذا الإربة منهم» ، وهو خطأ ، والصواب ما هنا .
- (٢) من قوله : (ومن نصب (غير) . . .) إلى هنا ، نقلاً عن الحجّة للفارسي ٥/ ٣١٩ .
- (٣) انظر : تهذيب اللغة (أرب) للأزهري ١٥/ ٥٢٧ ، والصاحح للجوهري : ١/ ٨٧ ، ولسان العرب ١/ ٢٠٨ .
- (٤) قول أبي عبيد في تهذيب اللغة للأزهري (أرب) ١٥/ ٢٥٧ بنصّه ، وهو بنحوه في غريب الحديث لأبي عبيد ٤/ ٣٣٦ .
- (٥) رواه البخاري في صحيحه ٤/ ١٤٩ ، كتاب : الصيام ، باب : المباشرة للصائم ، ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٧٧ ، كتاب : الصيام عن عائشة رضي الله عنها .
- (٦) من قوله : (وقد أرب . . .) إلى هنا ، في تهذيب اللغة للأزهري ١٥/ ٢٥٧ من رواية شمر عن ابن الأعرابي ، وانظر : لسان العرب (إرب) ١/ ٢٠٨ ، وتحفة العروس للزبيدي (أرب) ٢/ ١٧ .

وقال الفرّاء^(١): «الإربة مثل الجلسة والمشية، وهو من الحاجة. يقال: أربت^(٢) لكذا فأنا أربُّ له أرباً بفتح الهمزة والراء».

والمآرب: الحوائج، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَلِي فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَى﴾ [طه: ١٨]^(٣)، وقد مرَّ.

وأما التفسير فقال مجاهد: «هو الأحق الذي لا حاجة له في النساء»^(٤).

[وهو قول عكرمة وعلقمة والشعبي^(٥)، قالوا: «هو الذي لا حاجة له في النساء»^(٦)، ولا يحمله أربه على أن يراود النساء].

وقال ابن عباس: «هو الذي لا يستحي منه النساء»^(٧).

(١) قول الفرّاء ليس موجوداً في كتابه معاني القرآن، ولا في تهذيب اللغة. والذي في المطبوع من معاني القرآن ٢/ ٢٥٠: «يقال: إرب وأرب». والنص الذي ذكره الواحدي هنا عن الفرّاء موجود في تفسير الطبري ١٨/ ١٢٣ من غير نسبة لأحد. ومعلوم أن الطبري ينقل عن الفرّاء من غير نسبة في كثير من الأحيان، فيحتمل أن النص سقط من المطبوع، والله أعلم.

(٢) في (ع): (أرب).

(٣) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (أرب) ١٥/ ٢٥٧.

(٤) رواه عنه الطبري ١٨/ ١٢٢، وابن أبي حاتم ٧/ ٣٧ بلفظ: «الذي لا أرب له بالنساء» من دون قوله: (الأحق). وقد روى الطبري ١٨/ ١٢٣ عن الزهري وطاووس هذا القول. وقال ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/ ٣٨ أ: «وروي عن طاووس وعكرمة والحسن والزهري وقتادة أنهم قالوا: هو الأحق الذي لا حاجة له في النساء».

(٥) قال ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/ ٣٨ أ: «وروي عن علقمة والشعبي وعكرمة في إحدى الروايات ومقاتل بن حيان قالوا: الذي لا أرب له في النساء»، وعن الشعبي رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤/ ٣١٩، والطبري ١٨/ ١٢٣٦، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٩٦، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٨٥ وعزاه إلى ابن أبي شيبة والطبري.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ط) و(ع).

(٧) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤/ ٣١٩، والطبري في تفسيره ١٨/ ١٢٢ من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن رجل وعند الطبري: عن حدثه عن ابن عباس به. وفي سنده جهالة. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٨٤، وزاد نسبته إلى الفريابي وعبد بن حميد.

وقال في رواية عطاء : «هو الرجل المسن الصالح الذي إذا قعدت عنده امرأة غَض بصره عنها»^(١).

وقال عطاء : «الذي لا يهْمُهُ إِلَّا بطنه»^(٢).

وهو قول مجاهد في رواية ابن أبي نجيح^(٣).

وقال بُسر بن سعيد^(٤) : «هو الكبير الذي لا يطيق النساء»^(٥).

وقال قتادة : «هو الذي يتبعك يصيب من طعامك ، ولا همَّ له في النساء»^(٦).

وقال مقاتل^(٧) : «يعني الشيخ الهرم ، والعَنِين^(٨) ، والخصي ، والمجنون ، ونحوه»^(٩).

-
- (١) ذكره الزنجشري ٦٢/٣ ، والرازي ٢٣/٢٠٨ ، ولم ينسبه إلى أحد .
- (٢) ذكره عنه النحاس في معاني القرآن ٤/٥٢٥ ، وذكره الجصاص في أحكام القرآن ٣/٣١٨ ، وابن العربي في أحكام القرآن ٣/١٣٧٤ عنه أنه قال : «هو الأبله» .
- (٣) رواه الطبري في تفسيره ١٨/١٢٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٣٧ ب ، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/٩٦ من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد به .
- (٤) في (أ) : (بشر) ، وهو خطأ ، وفي (ظ) : (بن أبي سعيد) ، وهو خطأ . وهو بُسر بن سعيد المدني ، مولى بني الحضرمي ، كان من العباد والزهاد ، ثقةً ، جليلاً ، كثير الحديث ، توفي سنة ١٠٠ هـ . انظر : طبقات ابن سعد ٥/٢٨١ ، والسير للذهبي ٤/٥٩٤ ، وتهذيب التهذيب ١/٤٣٧ .
- (٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٣٧ ب من طريق سالم أبي النضر عن بُسر بن سعيد ، فذكره .
- (٦) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/٥٧ ، والطبري ١٨/١٢٢ ، وابن أبي حاتم ٧/٣٧ ب .
- (٧) في (ظ) : قول مقاتل متقدّم على قول قتادة .
- (٨) العَنِين : هو الذي لا يأتي النساء عجزاً ، أو لا يريدن . القاموس المحيط ٤/٢٤٩ .
- (٩) تفسير مقاتل ٢/٣٧ ب .

وقال الحسن : «هم قوم طُبِعُوا على التخنيث ، فكان^(١) الرجل منهم يتبع الرجل يخدمه بطعامه وينفق عليه ، ولا^(٢) يستطيعون غشيان النساء ، ولا يشتهونه»^(٣) .

وهذا قول الحكم^(٤) ، قال : «هو المخنث الذي لا يقوم زُبُه» .

وقال ابن زيد : «هو الذي يتبع القوم حتى كأنه منهم ، ونشأ فيهم ، وليس له في نسائهم^(٥) إربة ، وإنما يتبعهم لإرفاقهم^(٦) إياه»^(٧) .

وروى ليث عن مجاهد : «أنه الأبله الذي لا يعرف أمر النساء»^(٨) .

(١) في (ع) : (وكان) .

(٢) في (ظ) و(ع) : (لا) .

(٣) ذكره عنه ابن الجوزي ٣٣/٦ . وذكره عنه الماوردي ٩٥/٤ باختصار .

وذكر البيهقي في السنن الكبرى ٩٦/٧ عنه قال : «هو الذي لا عقل له ، ولا يشتهي النساء ، ولا تشتهي النساء» ، وذكر الثعلبي ٧٨/٣ أ عنه قال : «هو الذي لا ينتشر» . وبمثله ذكره البغوي ٣٥/٦ ، وزاد : «ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهين» .

(٤) قد يكون الحكم هنا هو الحكم بن عتيبة ، وقد تقدّم ، ولم أجد من نسب إليه هذا القول . وقد يكونه الحكم بن أبان ، فقد روى الطبري ١٢٣/١٨ ، وابن أبي حاتم : ٣٨/٧ من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله : ﴿أَوَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ الْإِرْبَةُ﴾ قال : «هو المخنث الذي لا يقوم زُبُه» . وهو : الحكم بن أبان العدني ، أبو عيسى ، صدوق عابد ، صاحب سُنَّة ، له أوهام ، توفي سنة ١٥٤ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ٢/٤٢٣ ، ٤٢٤ ، وتقريب التهذيب ١/١٩٠ .

(٥) في (ع) : (نسائه) ، وهو خطأ .

(٦) الإرفاق : إيصال الرُّق وهو اللطف ولين الجانب . انظر : لسان العرب (رفق) ١١٨/١٠ .

(٧) رواه الطبري ١٢٣/١٨ .

(٨) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣١٨/٤ ، والطبري ١٢٢/١٨ من طريق ليث عن مجاهد به .

وقال سعيد بن جبير : «هو المعتوه»^(١)^(٢) .

وقوله : ﴿أَوِ الْطِفْلِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْهُ آبَاؤُهُ بِطَهَرٍ عَلَى عَوْرَتِ الْنِّسَاءِ﴾ . قال المبرّد : «الطفل في هذا الموضع يعني به الجماعة من الأطفال ، ومجازه مجاز المصدر ، وكذلك ﴿تُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج : ٥] . والمصدر يقع على الفعل^(٣) نحو العلم والحلم»^(٤) .

وقوله : ﴿لَمْ يَتَّخِذْهُ آبَاؤُهُ بِطَهَرٍ عَلَى عَوْرَتِ الْنِّسَاءِ﴾ . قال الفرّاء : «يقول : لم يبلغوا أن يطبقوا النساء ، وهو كما تقول : صار ع فلان فلاناً فظهر عليه ؛ أي أطاقه»^(٥) وغلبه»^(٦) .

وقال أبو علي الفارسي : ﴿لَمْ يَتَّخِذْهُ آبَاؤُهُ بِطَهَرٍ عَلَى عَوْرَتِ الْنِّسَاءِ﴾ ؛ أي لم يقبوا عليها ، ومنه قوله : ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الص : ١٤]»^(٧) .

والعورة : سوءة الإنسان . وكل أمر يستحي منه فهو عورة^(٨) .

قال مجاهد : «لم يدروا ما هن من الصغر قبل الحلم»^(٩) .

(١) في (أ) : (المعتق) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣١٨/٤ ، والطبري ١٢٣/١٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨٥/٦ ، وعزاه إليها قال النحاس في معاني القرآن ٥٢٦/٤ بعد حكايته الأقوال في معنى التابعين : «وهذه الأقوال متقاربة» ، وقال القرطبي ٢٣٤/١٢ : «وهذا الاختلاف كله متقارب المعنى ، ويجتمع في من لا فهم له ولا همّة ينتبه بها إلى أمر النساء» .

(٣) في (ظ) و(ع) : (مغل) .

(٤) انظر : الدر المصون ٢٣٣/٨ .

(٥) في (أ) : (طاقة) .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢٥٠/٢ .

(٧) الحجة لأبي علي الفارسي ٣١٨/٥ .

(٨) تهذيب اللغة للأزهري (عار) ١٧٣/٣ نقلاً عن الليث . وانظر : الصحاح للجوهري (عور) :

٧٥٩/٢ ، ولسان العرب (عور) ٦١٧/٤ .

(٩) رواه الطبري ١٨٥/٦ ، وابن أبي حاتم ٣٨/٧ أ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٩٦/٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨٥/٦ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن المنذر .

قال ابن عباس : «لم يبلغ الحنث»^(١) ، ولم يشق إلى النساء .

وقال بُسر^(٢) بن سعيد^(٣) : «هو الغلام الذي لم يبلغ الحلم»^(٤) .

وهذا قول جماعة المفسرين^(٥) .

قالوا : ولا يجوز^(٦) للمرأة أن تضع الجلباب إلا عند هؤلاء الذين سماهم الله تعالى .

وقوله : ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ يَأْرُجِلِهِنَّ لِيَعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ . قال ثابت^(٧) البناني^(٨) : «كانت المرأة تتخذ الودع»^(٩) في رجلها فإذا مرّت بالقوم ضربت إحدى رجلها بالأخرى ، فأنزل الله تعالى في كتابه : ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ يَأْرُجِلِهِنَّ لِيَعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾^(١٠) .

(١) في (ظ) : (الحلم) ، والحنث : البلوغ والإدراك والحلم . لسان العرب ١٣٨ / ٢ .

(٢) في (أ) ، و(ع) : (بشر) ، وهو خطأ .

(٣) في (أ) : (مسعود) ، وهو خطأ .

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٨ / ٧ من طريق أبي النضر عن بُسر بن سعيد به .

(٥) انظر : الطبري ١٢٤ / ١٨ ، وابن أبي حاتم ٣٨ / ٧ أ ب ، والثعلبي ٧٨ / ٣ أ ، والنكت للماوردي ٩٦ / ٤ ، والدر المنثور للسيوطي ١٨٥ / ٦ .

(٦) في (ظ) : (لا يجوز) .

(٧) (ثابت) ساقط من (أ) .

(٨) هو ثابت بن أسلم البناني مولاهم ، البصري ، أبو محمد ، تابعي جليل ، كان رأساً في العلم والعمل ، وكان أعبد أهل زمانه ، وكان ثقةً مأموناً . قال أنس بن مالك رضي الله عنه : «إن لكل شيء مفتاحاً ، وإن ثابتاً من مفاتيح الخير» ، توفي سنة ١٢٧ هـ ، وعاش ستاً وثلاثين سنة . انظر : طبقات ابن سعد ٢٣٢ / ٧ ، وسير أعلام النبلاء ٥ / ٢٢٠ ، وتهذيب التهذيب ٢ / ٢ ، وتقريب التهذيب ١ / ١١٥ .

(٩) الودع بإسكان الدال وفتحها : خرز بيض تُخرج من البحر بيضاء شقها كشق النواة . القاموس المحيط ٩٢ / ٣ .

(١٠) لم أجد من ذكره عنه .

وروى السدّي عن أبي مالك قال : «كان في أرجلهن خرز^(١) فكنّ إذا مررن بالمجلس حرّكن أرجلهن ليعلم ما يخفين من زيتتهن»^(٢) .

وقال ابن عباس : «يريد : ولا تضرب المرأة برجلها»^(٣) إذا مشت ليسمع صوت خلخالها أو يتبين لها خلخال»^(٤) .

وهذا قول عامة المفسرين^(٥) .

وقال أبو إسحاق : «كانت المرأة ربما اجتازت وفي رجلها الخلخال ، وربما كان فيها الخلاخل ، فإذا ضربت برجلها علم^(٦) أنها ذات خلخال وزينة ، وهذا يحرك من الشهوة فنهى عنه ، كما أمرن^(٧) أن لا يبدین زیتتهن ؛ لأن إسماع^(٨) صوته بمنزلة إبدائه»^(٩) .

وقوله : ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ . قال ابن عباس : «عما كنتم تعلمون في الجاهلية»^(١٠) .

(١) الخَرَزُ : فصوص من جِذِّ الجوهر ورديته من الحجارة ونحوه ، تنظم في سلك . انظر : لسان العرب (خرز) ٣٤٤ / ٥ ، والقاموس المحيط ١٧٥ / ٢ .

(٢) رواه سفيان الثوري في تفسيره ٢٢٥ ، والطبري ١٨ / ١٢٤ ، وابن أبي حاتم ٣٨ / ٧ ب ، كلهم من طريق السدّي عن أبي مالك ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٨٦ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) في (ع) : (برجلها) .

(٤) بين الواحدي في الوسيط ٣ / ٣١٧ أن هذه الرواية عن ابن عباس من طريق عطاء . وقد روى الطبري ١٨ / ١٢٤ ، وابن أبي حاتم ٣٨ / ٧ ب من طريق علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، نحو هذا .

(٥) انظر : الطبري ١٨ / ١٢٤ ، وابن أبي حاتم ٣٨ / ٧ ب ، والدر المنثور ٦ / ١٨٦ .

(٦) في (أ) : (أعلم) .

(٧) في (أ) : (أمرت) .

(٨) في (ظ) : (استماع) .

(٩) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٠ .

(١٠) ذكره عنه الرازي ٢٣ / ٢١٠ ، والنيسابوري في غرائب القرآن ١٨ / ٩٦ ، وأبو حيان ٦ / ٤٥٠ .

وقال مقاتل : «من الذنوب التي أصابوها مما نهي عنه من أول هذه السورة إلى هذه الآية»^(١).

والمعنى : راجعوا طاعته في ما أمركم به ونهاكم عنه^(٢).

قوله تعالى : ﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ : قرأ ابن عامر (أيّه) بضم الهاء^(٣)، ومثله ﴿وَقَالُوا يَأْتِيهِ السَّاحِرُ﴾ [الزخرف : ٤٩] ﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن : ٣٧].

قال أبو علي : «وهذا لا يتجه لأن آخر الاسم هو الياء الثانية من (أيّ) ، فينبغي أن يكون المضموم آخر الاسم ، ولو جاز أن يضم هذا من حيث كان مقترناً بالكلمة لجاز أن يضم الميم في^(٤) (اللهم) ؛ لأنه آخر الكلمة . ووجه الإشكال في ذلك والشبهة^(٥) أن وجد هذا الحرف قد صار في بعض المواضع التي يدخل فيها بمنزلة ما هو من نفس الكلمة ، نحو : مررت بهذا الرجل . وليست (يا) وغيرها من الحروف التي يُنبئ بها كذلك ، فلما وجدها في أوائل المبهمة كذلك وفي الفعل في قول أهل الحجاز : هلم ، جعله في الآخر أيضاً بمنزلة شيء من نفس الكلمة ، كما كان في الأول كذلك ، واستجاز حذف الألف اللاحق للحرف لما رآه قد حذف في قولهم : هلم ، فأجرى عليه الإعراب لما كان كالشيء الذي من نفس الكلمة . فإن قلت : فإنه قد حرك الياء التي قبلها بالضمّ في (يا أيّه) ، فإنه يجوز أن يقول^(٦) :

(١) تفسير مقاتل ٣٨ / ٢ أ .

(٢) هذا تفسير الثعلبي ٧٨ / ٣ أ .

(٣) انظر : السبعة لابن مجاهد ٤٥٥ ، والتيسير للداني ١٦١ ، ١٦٢ ، والغاية لابن مهران النيسابوري ٢١٩ ، والنشر لابن الجزري ٣٣٢ / ٢ .

(٤) في الحجة : (من) .

(٥) في (أ) : (والشبهه) .

(٦) في (ع) : (تقول) .

إِنَّ ذَلِكَ فِي هَذَا الْوَضْعِ كَحَرَكَاتِ الْأَتْبَاعِ نَحْوُ : امْرُؤٌ وَامْرِئٌ وَنَحْوِ ذَلِكَ . فِهَذَا لَعَلَّهُ^(١) وَجْهٌ شَبَهْتَهُ^(٢) ، وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَقْرَأَ بِذَلِكَ^(٣) ، وَلَا يُؤْخَذُ بِهِ . هَذَا كَلَامُهُ^(٤) .

وَقَالَ^(٥) ابْنُ مَجَاهِدٍ : « كَلِّهِمْ يَقِفْ بِالْهَاءِ عَلَى قَوْلِهِ : ﴿ آيَةُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، ﴿ وَقَالُوا يَتَأَيُّهُ السَّاحِرُ ﴾ ، وَ﴿ آيَةُ الثَّقَلَيْنِ ﴾ إِلَّا أَبَا عَمْرٍو وَالْكَسَائِي فَانْهَاهُمَا يَقِفَانِ

(١) في (أ) و(ع) : العلة ، والمثبت من (ظ) ، والحجة .

(٢) في (أ) : (شبهه) .

(٣) (بذلك) ساقطة من (ع) .

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي ٣٢٠/٥ ، ٣٢١ مع تصرّف ، وقول أبي علي : « وينبغي أن لا يقرأ بذلك ولا يؤخذ به » قول مردود ، قال القرطبي ٢٣٨/١٢ بعد ذكره لتضعيف أبي علي لقراءة ابن عامر : « والصحيح أنه إذا ثبت عن النبي ﷺ قراءة فليس إلا اعتقاد الصحة في اللغة ؛ فإن القرآن هو الحجة » . اهـ . وقد بين العلّاء - رحمهم الله - وجه هذه القراءة ، فقال أبو زرعة عبدالرحمن بن زنجلة في كتابه حجة القراءات ٤٩٨ : « وهذه لغة ، وحجته أن المصاحف جاءت في هذه الثلاثة بغير ألف . قال ثعلب : كأن من يرفع الهاء يجعل الهاء مع (أي) اسماً واحداً على أنه اسم مفرد » . اهـ . ونقل الأزهري في علل القراءات ٤٥٢/٢ عن أبي بكر بن الأنباري قوله : (إنها لغة) ، قال الأزهري : « وأجاز قراءة ابن عامر على تلك اللغة » . وقال ابن هشام في مغني اللبيب ٤٠٣/٢ : « يجوز في (أيها) في لغة بني أسد أن تحذف ألفها وأن تضم هاؤها إتباعاً ، وعليه قراءة ابن عامر » . وقال أبو حيان في البحر المحيط ٤٥٠/٦ : « ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف ، فلمّا سقطت الألف بالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها ، وضم (ها) التي للتنبيه بعد (أي) لغة لبني مالك رهط شقيق بن سلمة » . وقال الشنقيطي في تفسيره سورة النور ١٠٨ عن قراءة ابن عامر : « والأظهر أن الهاء للتنبيه مثل الأولى يعني القراءة الأولى قراءة الجمهور ضمّت إتباعاً لما قبلها ، كما قالت العرب : هو متّين بضم تاء متّين ، وفي قراءة سبعية ﴿ أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ ﴾ [النحل : ٣٦] بضم نون (أن) إتباعاً لما بعدها ، ومن أنكر ذلك فسبب إنكاره جهله بلغة العرب ، فإنه قد ثبت في القرآن الكريم ، وفي الشعر العربي الفصيح ، كما قال الشاعر :

يَا أَيُّهَا الْقَلْبُ اللَّجْجُ النَّفْسُ

وروي (أيّه) بضم الهاء . انتهى كلامه رحمه الله ، وانظر أيضاً : الدر المصون ٣٩٩/٨ ، وروح المعاني للالوسي ١٤٧/١٨ .

(٥) في (أ) : (قال) .

بالألف . قال : ولا ينبغي أن يتعمد الوقف على الهاء ؛ لأن الألف سقطت في الوصل لسكونها وسكون اللام^(١) .

قال أبو علي : «الوقف على (أيها) بالألف لأنها إنما كانت سقطت لسكونها وسكون لام المعرفة كما قال أحمد^(٢) ، فإذا وقف عليها زال التقاء الساكنين ، فظهرت الألف كما أنك لو وقفت على (مُحَلِّي) من قوله : ﴿غَيْرَ^(٣) مُحَلِّي الصَّيْدِ﴾ [المائدة : ١] لرجعت الياء المحذوفة لسكونها وسكون اللام .

وإذا^(٤) كان حذف الألف من (ها) التي للتنبيه حذف^(٥) لهذا ، فلا وجه لحذفها للوقف^(٦) ، ومما يضعف الحذف أن الألف في الحرف^(٧) ، والحروف لا يحذف منها إلا أن تكون مضاعفة^(٨) .

قوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : لكي تسعدوا في الدنيا وتبقوا في الجنة»^(٩) .

(١) قول ابن مجاهد هذا النص في الحجة للفارسي ٣١٩/٥ ، وهو في كتاب : السبعة لابن مجاهد ٤٥٥ مع اختلاف يسير ، وانظر : التبصرة لمكي ٢٧٣ ، والتيسير للداني ١٦٢ .

(٢) يعني : أبا بكر بن مجاهد .

(٣) غير : ليست في (ع) .

(٤) في (ع) : (فإذا) .

(٥) في الحجة : (التي للتنبيه من (يا أيها) تحذف لهذا) .

(٦) في (ع) : (في الوقف) .

(٧) في الحجة : (حرف) .

(٨) الحجة للفارسي ٣٢٠/٥ مع تصرف يسير . ولا وجه لتضعيف حذف الألف عند الوقف فعليه جمهور القراء ، والقراءة سُنة متبعة ، وقد رُسمت في المصحف بغير ألف . قال السمين الحلبي ٣٩٩/٨ : «وقف أبو عمرو والكسائي بألف ، والباقون بدونها ، إتباعاً للرسم ، ولموافقة الخط للفظ ، . . . وبالجمل فالرسم سُنة متبعة» . انظر : الكشف لمكي ١٣٧/٢ ، والبحر المحيط ٤٥٠/٦ .

(٩) ذكره عنه الرازي ١٠/٢٣ ، والنيسابوري في غرائب القرآن ٩٦/١٨ ، وأبو حيان ٤٥٠/٦ ، وعندهم : وتبقوا في الآخرة .

٣٢. ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيِّمَ مِنكُمْ﴾ . قال ابن السكيت : «فلانة أَيْم ، إذا لم يكن لها زوج ، بكرًا كانت أو ثيبًا . والجميع : أيامى ، والأصل أيام ، فقلبت^(١) . ورجل أَيْم : لا امرأة له . وقد آمت المرأة تئيم أئمةً وأيمًا . وقد تأيَّمت المرأة زمانًا ، وتأيَّمت الرجل زمانًا ، إذا مكث أيامًا لا يتزوج^(٢) . والحرب مأئمةٌ ؛ أي تقتل الرِّجال فتبقى النساء بلا أزواج»^(٣) .

وقال ابن الأعرابي : «يقال للرجل الذي^(٤) لم يتزوج : أَيْم ، وللمرأة : أئمة ، قال : والأئيم : البكر والثيب ، وآم الرجل يئيم أئمة ، إذا لم تكن له زوجة ، وكذلك المرأة إذا لم يكن لها زوج»^(٥) .

ومنه الحديث : إن النبي ﷺ كان يتعوذ من الأئمة . وهو طول العزبة^(٦)^(٧) .

-
- (١) في تهذيب اللغة : «فقلبت الباء وجعلت بعد الميم» .
 (٢) في تهذيب اللغة : «إذا مكث أيامًا وزمانًا لا يتزوجان» .
 (٣) قول ابن السكيت في تهذيب اللغة للأزهري (آم) ٦٢١ / ١٥ ، ٦٢٢ ، وهو في تهذيب الألفاظ ٣٧٦ ، والمشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم للعكبري ٨٩ / ١ ، ٩٠ .
 (٤) في (ع) : (إذا) .
 (٥) قول ابن الأعرابي في تهذيب اللغة للأزهري (آم) ٦٢١ / ١٥ . انظر : الصحاح للجوهري (أيم) ١٨٦٨ / ٥ ، ولسان العرب (أيم) ٣٩ / ١٢ .
 (٦) في (أ) : (العزوبة) ، والمثبت من باقي النسخ ، وتهذيب اللغة .
 (٧) الحديث ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٦٢١ / ١٥ ، والجوهري في الصحاح ١٨٦٨ / ٥ ، وذكره الزمخشري في الكشاف ٦٣ / ٣ بلفظ : «اللهم إنا نعوذ بك من العيمة والغيمة والأئمة والكزم والقرم» ، وذكره الزيلعي في تحريجه لأحاديث الكشاف ٤٣٥ / ٢ ، وسكت عنه ولم يخرج . قال المعلق على تخريج الزيلعي : ذكره ابن قتيبة في كتابه غريب الحديث ٣٣٨ / ١ ، وقال : يرويه سليمان بن الربيع الكوفي ، عن همام ، عن أبي العوام عمران بن داود القطان ، عن قتادة ، عن الحسن عن عمران بن حصين ، عن النبي ﷺ فذكره .

وقال صاحب النظم : «(الْأَيَّامِي) هاهنا من الرجال والنساء الذين لا أزواج لهم ، كان قد تزوج قبل ذلك أو^(١) لم يتزوج . والأيَّام في كلام العرب : كل ذكر لا أنثى معه ، وكل أنثى لا ذكر معها . ولذلك سميت الحيَّة أَيَّْاماً بالتشديد والتخفيف ؛ لأنها لا تكاد تكون في جحرها إلا وحدها » ، وأنشد الهذلي^(٢) :

إِلَّا عَوَاسِرَ كَالْمِرَاطِ مَعِيدَةٌ^(٣) بِاللَّيْلِ مَوْرِدَ أَيِّمٍ مُتَغَضِّفٍ^(٤)

والتشديد والتخفيف اللذان ذكرهما صاحب النظم في الأيَّام الذي هو الحيَّة صحيح ؛ فقد ذكرهما النَّضْر بن شميل^(٥) .

وقوله : (مِنْكُمْ) ليس من صلة الإنكاح ، وإنما هو من صلة (الْأَيَّامِي) كأنه قيل^(٦) : وانكحوا أيامكم ، يعني أيامي المسلمين ؛ لذلك قال : ﴿الْأَيَّامِي مِنْكُمْ﴾ .

(١) في (أ) : (أم) .

(٢) هو أبو كبير الهذلي كما في ديوان الهذليين ، وغيره .

(٣) في (أ) : (معتده) .

(٤) البيت في ديوان الهذليين ١٠٥ / ٢ منسوباً إلى أبي كبير وروايته فيه :

إِلَّا عَوَاسِلُ كَالْمِرَاطِ

وهو في المعاني الكبير ١٨٥ ، ١٨٦ ، والأُمالي ٢ / ٢٩ ، والصحاح للجوهري (أيم) ١٨٦٨ / ٥ ،

١٨٦٩ ، ومن غير نسبة في تهذيب اللغة (عسر) ٢ / ٨٢ ، واللسان (عسر) ٤ / ٥٦٦ ، وفيها :

إِلَّا عَوَاسِرُ كَالْقِدَاحِ مَعِيدَةٌ

وقبل هذا البيت :

ولقد وردت الماء ، ولم يشرب به بين الربيع إلى شهور الصيف
إِلَّا عَوَاسِرُ

قال السكري في شرح ديوان الهذليين ٣ / ١٠٨٥ : «عواسل : يعني تعسل في مشيها ، تمرّ مرّاً سريعاً ، وإنما يعني ذئباً ويروى : إلّا عواسر ، يقول : هذه الذئاب تعسر بأذناها . والمراد : النبل المتمرّطة الريش . وقوله : معيدة ؛ أي معيدة الشرب . والأيَّام : الحيَّة وقوله : متغضّف أي منطوٍ مثنّ . وقوله : معيدة ؛ أي معاودة لذلك مرة بعد مرة» . اهـ .

(٥) قول ابن شميل في تهذيب اللغة للأزهري (أم) ١٥ / ٦٢١ .

(٦) في (ع) : (قال) .

قال السدي: «من لم يكن له زوج من امرأة أو رجل فهو أيم» .

وقال ابن عباس: «كل من ليس لها زوج وإن كانت بكرًا فهي أيم»^(١) .

قال مقاتل بن سليمان: «يعني من لا زوج له»^(٢) [من رجل]^(٣) أو امرأة وهما حرّان ، أمر الله تعالى أن يزوجا»^(٤) .

وقال مقاتل بن حيان: «يعني الأيامي من الرجال والنساء من الأحرار»^(٥) .

والمعنى: زوّجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم^(٦) ، وهذا أمر ندب واستحباب^(٧) ، وفيه دليل على أن النكاح لا يصح إلا بولي ؛ لأن الله تعالى قال (وَأَنْكِحُوا) فما^(٨) لم تُنكح المرأة ولم تُزوّج لم يكن لها أن تنكح وتزوّج^(٩) .

قوله: ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ . قال مقاتل: «يقول: وزوّجوا المؤمنين من عبيدكم وولائكم فإنه أغض للبصر وأحفظ للفرج»^(١٠) .

(١) ذكره الرازي ٢٣/٢١٠ ، والنيسابوري في غرائب القرآن ١٨/٩٦ من رواية الضحاك عنه بمعناه ، وذكر الماوردي ٤/٩٧ هذا القول ، وعزاه إلى الجمهور .

(٢) في (ظ) : (ها) .

(٣) في (أ) : (زوج) .

(٤) ساقط من (ع) .

(٥) تفسير مقاتل ٢/٣٨ أ .

(٦) رواه ابن أبي حاتم ٧/٣٩٩ أ .

(٧) الطبري ١٨/١٢٥ ، والثعلبي ٣/٧٨ أ .

(٨) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣/٣١٩ .

(٩) في (ظ) : (وما) .

(١٠) انظر : الحاوي ٩/٣٨-٤٥ ، والمغني ٩/٣٤٥ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/٢٣٩ .

(١١) تفسير مقاتل ٢/٣٨ أ .

فمعنى الصلاح هاهنا : الإيمان ، وفي هذا دليل على أن العبد لا يتزوج إلا بإذن سيده ، وكذلك الأمة ^(١) .

ثم رجع إلى الأحرار فقال : ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ ﴾ لا سعة لهم في التزويج ﴿ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ فوعدهم أن يوسع عليهم عند التزويج ، ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ ﴾ لخالقه ، ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بهم ، قاله مقاتل بن سليمان ^(٢) .

قال أبو إسحاق : « حَتَّ اللَّهُ - عز وجل - على النكاح وأعلم أنه سبب لنفي الفقر ، ويروى عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال : عجبت لامرئ لم يلتمس الغنى في الباءة بعد قول الله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ^(٣) .

وقد قال رسول الله ﷺ : « التمسوا الرزق بالنكاح » ^(٤) .

(١) انظر : الحاوي ٧٣/٩ ، والمغني ٤٣٦/٩ ، وروضة الطالبين ١٠١/٧ .

(٢) تفسير مقاتل ٣٨/٢ أ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤٠/٤ مع اختلاف يسير .

ولفظ رواية الزجاج لأثر عمر : « عجب لامرئ كيف لا يرغب في الباءة والله يقول : ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النور : ٣٢] . وهذا الأثر عن عمر - رضي الله عنه - رواه عبدالرزاق في مصنفه ١٧٣/٦ « عن قتادة أن عمر بن الخطاب قال : ما رأيت مثل رجل لم يلتمس الفضل في الباءة ، والله يقول : ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النور : ٣٢] ، وهو منقطع لإرساله . وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨٨/٦ عن قتادة ، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد ، وروى عبدالرزاق في مصنفه ١٧٠/٦ ، ١٧١ من وجه آخر « عن الحسن البصري قال : قال عمر بن الخطاب : اطلبوا الفضل في النكاح . قال : وتلا عمر : ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النور : ٣٢] ، وهو منقطع أيضاً ؛ فإن الحسن لم يسمع من عمر رضي الله عنه . انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر ٢٦٥/٢ ، ٢٦٦ .

(٤) رواه هذا اللفظ الثعلبي في الكشف والبيان ٨٠/٣ ب من حديث ابن عباس ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨٨/٦ ، وعزاه إلى الديلمي .

وقال السخاوي في المقاصد الحسنة ٨٢ : « رواه الثعلبي في تفسيره والديلمي ، من حديث مسلم بن خالد ، عن سعيد ابن أبي صالح ، عن ابن عباس رفعه بهذا . ومسلم فيه لين وشيخه » ، وقال الألباني في ضعيف الجامع ٣٤٩/١ : « ضعيف » . وللحديث شاهد بمعناه روي موصولاً ومرسلاً ؛ فقد رواه موصولاً البزار في مسنده كما في كشف الأستار للهيتمي ١٤٩/٢ ، والحاكم في مستدركه ١٦١/٢ ، =

٣٣. ﴿وَلَيْسَتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ ؛ أي وليطلب العفة عن الزنا والحرام من لا يجد ما^(١) ينكح به من صداق ونفقة .

والمعنى : الذين لا يجدون طول^(٢) نكاح وقدرة نكاح ، فحذف المضاف .

وقال صاحب النظم : «النكاح هاهنا : الشيء الذي ينكح به من مهر ونفقة وما لا بدَّ للرجل والمرأة منه إذا تناكحا ، وهو مثل قولهم لما يلتحف به : لحاف ، ولما يرتدي به : رداء ، ولما يلبس : لباس ، فكذلك^(٣) النكاح : هو ما ينكح به مما لا بدَّ للمنكوحة به مما لا بدَّ للمنكوحة منه»^(٤) .

وعلى هذا إن صحَّ فلا حذف في الآية .

كلاهما من حديث أبي السائب سلم بن جنادة ، عن أبي أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : «تزوَّجوا النساء ، فإنَّهن يأتينكم بالمال» . قال البزار بعد روايته : «رواه غير واحد مرسلًا ، ولا نعلم أحداً قال فيه : عن عائشة إلا أبا أسامة» ، وقال الدارقطني في العلل : «وغير سلم يرويه مرسلًا . . .» ، وقال الحاكم : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه لتفرد سلم ، وقد تصحَّف في المطبوع إلى سالم بن جنادة بسنده ، وسلم ثقة مأمون» اهـ . وقد رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢٧/٤ ، وأبو داود في المراسيل ٩٣ عن أبي توبة الربيع بن نافع ، كلاهما - يعني أبا بكر بن أبي شيبة ، وأبا توبة - عن أبي أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، مرسلًا لم يذكر عائشة . وذكر الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ٤٤٣/٢ متابعا لأبي أسامة من رواية السهمي في تاريخ جرجان ٢٤٢ من طريق حسين بن علوان عن هشام موصولا . قال ابن حجر في الكاف الشاف ١١٩ : «الحسين متهم بالكذب» . ولذا فإن المرسل أصح كما ذكر الدارقطني وغيره . ومن ضعف هذا الحديث الألباني كما في ضعيف الجامع ٣٤٩/١ .

(١) في (ظ) : (مالاً) .

(٢) في (ع) : (طولا) .

(٣) في (ظ) : (وكذلك) .

(٤) ذكر القرطبي ٢٤٣/١٢ هذا القول ونسبه إلى جماعة من المفسرين ولم يذكرهم ، ثم قال : «وحملهم على هذا قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ يَغْنِمَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ فظنوا أن الأمور بالاستعفاف إنما هو من عدم المال الذي يتزوج به . وفي هذا القول تخصيص المأمورين بالاستعفاف ، وذلك ضعيف ، بل الأمر بالاستعفاف متوجه لكل من تعذَّر عليه النكاح بأي وجه تعذَّر» .

وقوله : ﴿ حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ؛ أي يوسع عليهم من رزقه .

وقال ابن عباس : «يريد بالحلّال عن الحرام» .

وجملة القول في هذا أن من استغنى عن النكاح بعزوف نفسه عن التوقان إليه فالأولى به التفرد والتخلي لعبادة^(١) الله^(٢) ليكون ممن يغبط بخفّة الحاذ^(٣)؛ فإن النبي ﷺ فسّر خفيف الحاذّ بالذي لا أهل له ولا ولد^(٥) .

ومن تافت نفسه إلى النكاح ووجد الطول فالمستحب له والمندوب إليه أن يتزوَّج لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ ﴾ الآية .

وإن لم يجد الطول فعليه بالصيام والاستعفاف ما أمكن .

(١) في (أ) و(ع) : (عبادة) .

(٢) في (ظ) : (ربه) .

(٣) في (أ) و(ظ) : (الحاء) مهملة . والحاذُّ : الحالُّ . لسان العرب (حوذ) ٤٨٧/٣ .

(٤) يشير بذلك إلى الحديث الذي رواه الترمذي في جامعه ١٢/٧ ، كتاب : الزهد ، باب : ما جاء في الكفاف والصبر عليه ، وابن ماجه في سننه ٤١٠/٢ أبواب الزهد ، باب : من لا يؤبه له ، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَّائِي عِنْدِي لِمُؤْمِنٍ خَفِيفُ الْحَاذِّ . . .» الحديث . وليس فيه تفسير خفيف الحاذِّ . وهذا الحديث قال عنه الحاكم بعد إخرجه : «هذا إسناد للشاميين صحيح عندهم ولم يخرجاه» ، فتعقّب الذهبي الحاكم بقوله : «قلت : لا ، بل إلى الضعف هو» .

(٥) روى ابن عدي في الكامل في الضعفاء ١٠٣٧/٣ ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٩٨/٦ ، ٢٢٥/١١ ، كلهم من طريق رواد بن الجراح ، عن سفيان ، عن منصور ، عن ربعي بن حراش ، عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : «خيركم في المتين كل خفيف الحاذِّ» .

قالوا : يا رسول الله وما الخفيف الحاذِّ ؟ قال : «الذي لا أهل له ولا ولد» .

قال الحافظ العراقي في كتابه المغني عن حمل الأسفار ٢٤/٢ : «حديث : خيركم في المتين . . .» أخرجه أبو يعلى من حديث حذيفة ، ورواه الخطابي في العزلة من حديثه وحديث أبي أمامة ، وكلاهما ضعيف» .

وقوله : ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ ؛ أي يطلبون المكاتبه^(١) ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ ؛ أي من عبيدكم ومماليككم .

و(ما) هاهنا بمعنى (من) ، والكتاب مصدر كالمكاتبه ، يقال : كاتب الرجل عبده أو أمته مكاتبه وكتاباً فهو مكاتب . والعبد مكاتب ، وهو أن يقول الرجل : كاتبك على أن تعطيني كذا وكذا في نجوم^(٢) معلومة ، فإذا أدّى ذلك فالعبد حر^(٣) .

قال الأزهري : «وُسِّمِي مكاتبه لما يكتب للعبد^(٤) على السيد من العتق إذا أدّى ما تراضيا عليه من المال ، وما يكتب^(٥) للسيد^(٦) على العبد من النجوم التي يؤديها» .

وقال صاحب النظم : «قد^(٨) وضع الناس موضع الكتاب من المكاتبه : الكتابة . والكتابة إنما هي مصدر من كتبت^(٩) الكتاب ، ولا يقال من المكاتبه إلا

- (١) ابن أبي حاتم ٧/ ٤٠ أعن سعيد بن جبير .
- (٢) نجوم : جمع نجم ، وهو الوقت المضروب ، ونجوم الكتابة : هو أن يُقدّر العطاء في أوقات معلومة . وأصله أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت حلول دينها وغيرها ، فتقول : إذا طلع النجم حلّ عليك مالي ؛ أي الثريا وكذلك باقي المنازل . انظر : لسان العرب (نجم) ١/ ٧٠٠ ، والقاموس المحيط ٤/ ١٧٩ .
- (٣) انظر : تهذيب اللغة (كتب) للأزهري ١٠/ ١٥٠ ، والصحاح للجوهري : ١/ ٢٠٩ ، ولسان العرب ١/ ٧٠٠ .
- (٤) في (ظ) : (العبد) .
- (٥) في تهذيب اللغة : (ولما يكتب) .
- (٦) في (ظ) : (السيد) .
- (٧) في (أ) و(ع) : (الذي) ، والمثبت من (ظ) ، وتهذيب اللغة .
- (٨) تهذيب اللغة للأزهري (كتب) ١٠/ ١٥٠ .
- (٩) في (ع) : (من) .

الكتاب كما في الآية ، والمكاتبة مأخوذة من كتبت^(١) الشيء إلى الشيء إذا ضمته إليه ليجتمع ، وإنما قيل كاتب الرجل عبده ؛ لأن معناه فعل منهما جميعاً ، فالعبد يجمع نجومه إلى مولاه يضم بعضها إلى بعض إلى أن يجتمع ما هو شرط^(٢) عتقه ، والمولى يضم ما يؤديه إليه عبده ليجتمع كمال الشرط لعتق العبد^(٣) .

وهذه الآية دليل على أصل عقد الكتابة وهو عقد من عقود الإسلام ، وشرطه أن يقول السيد : كاتبك على كذا وكذا ؛ على أنك إذا أدّيت هذا المال فأنت حر ، أو ينوي الحرية بقلبه إن لم يذكرها بلسانه^(٤) . ولا بدّ من التنجيم ، وأقله نجمان فصاعداً ، ولا تصح حاله لأنها حينئذٍ تخلوا من التنجيم^(٥) .

وقال أبو حنيفة : « تصح حاله ، ولم يشترط التنجيم^(٦) . والآية دليل عليه » .

قال صاحب النظم : « ذكرنا أن أصل الكتاب من الكتب بمعنى الجمع والضم ، وأقل ما يقع عليه الضم والجمع نجمان فصاعداً ، ولا يقع على نجم واحد لأنه لا يقال فيه جمعه ، ويقال في النجمين : جمعت نجماً إلى نجم ، فإذا لم يكن في شرط المكاتبة ما أقله نجماه لم يقع عليه معنى الكتابة ؛ إذ ليس فيه معنى

(١) في (أ) : (كتب) في الموضعين .

(٢) شرط (ساقطة من (ظ) .

(٣) انظر : جبهة اللغة لابن دريد ١٩٦/١ - ١٩٧ ، ولسان العرب (كتب) ١/ ٧٠٠ .

(٤) هذا قول الشافعي . وقال أبو حنيفة وهو أحد الوجهين عند الخنابلة : « إذا كاتب عبده على أن نجم معلومة ، صحّت الكتابة وعتق بأدائها ، سواء نوى بالكتابة الحرية أو لم ينو ، وسواء قال : فإذا أدّيت إلي فأنت حر ، أو لم يقل ، لأن الكتابة عقد وضع للعتق فلم يحتاج إلى لفظ العتق ولا نيته كالتيدير » . انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٣٢٥ ، والمغني ١٤/ ٤٥١ ، ٤٥٢ ، وروضة الطالبين ١٢/ ٢٩ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/ ٢٥٣ .

(٥) انظر : الحاوي ١٨/ ١٤٦ ، ١٤٩ ، والمغني ١٤/ ٤٥٠ ، وروضة الطالبين ٢/ ٢١٢ .

(٦) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، وبدائع الصنائع ٤/ ١٤٠ ، وتبيين الحقائق ٥/ ١٥٠ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/ ٢٤٧ .

جمع ولا ضم . وإلى هذا ذهب الشافعي -رحمة الله عليه- فلم يجز الكتاب على أقل من نجمين» . انتهى كلامه .

ودلت الآية أيضاً على أنه إنما يصح كتابة العبد البالغ العاقل ، ولا تصح كتابة المجنون والصبي^(١) .

وعند أبي حنيفة تصح كتابة العبد إذا كان مرافقاً مميزاً^(٢) .

قال الشافعي : «والابتغاء لا يكون من الأطفال والمجانين»^(٣) .

يعني أن الله تعالى قال : ﴿وَالَّذِينَ يَبْنُونَ الْكُتُبَ﴾ ، وهذان ليسا من أهل الابتغاء .

وقوله : ﴿فَكَاتِبُهُمْ﴾ أمر ندب واستحباب في قول الجمهور^(٤) .

وقال قوم : إنه أمر إيجاب ، فإذا سأل العبد الذي علم منه خيراً أن يكتبه على ما هو قيمته أو أكثر لزمه ذلك . وهو قول عمرو^(٥) بن دينار وعطاء ، ورواية العوفي عن ابن عباس ، وإليه^(٦) ذهب أهل الظاهر^(٧) .

(١) انظر : الحاوي ١٨/ ١٤٣ ، والمغني ١٤/ ٤٤٤ ، وروضة الطالبين ١٢/ ٢٢٦ .

(٢) انظر : بدائع الصنائع ٤/ ١٣٧ ، وتبيين الحقائق ٥/ ١٥٠ .

(٣) انظر : الأم ٧/ ٣٦٣-٣٦٧ ، والحاوي ١٨/ ١٤٣ .

(٤) انظر : الثعلبي ٣/ ٨١ أ ، والطبري ١٨/ ١٢٧ ، والرازي ٢٣/ ٢١٧ .

(٥) في (أ) : (عمر) ، وهو خطأ .

(٦) في (أ) : (وأهل) ، وهو خطأ .

(٧) ذكره عن هؤلاء جميعاً الثعلبي ٣/ ٨١ أ ، غير أنه قال : «إليه ذهب داود بن علي ، وهو داود الظاهري» .

وقد رواه عن عمرو بن دينار وعطاء عبدالرزاق في مصنفه ٨/ ٣٧٠ ، والطبري ١٤/ ١٢٦ ، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٣١٩ . ورواية العوفي عن ابن عباس عند الطبري ١٨/ ١٢٨ . وانظر : المغني ١٤/ ٤٤٢ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/ ٢٤٥ .

وقوله : ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد قوة على الكسب وأداء للمال»^{(١)(٢)} .

وهذا اختيار الشافعي - رضي الله عنه - فإنه قال : «أظهر معاني الخير هذه الآية الاكتساب مع الأمانة»^(٣) .

وكثير من المفسرين ذهب إلى أن المراد بالخير هاهنا المال .

وهو قول مجاهد^(٤) ، وعطاء^(٥) ، والضحاك^(٦) ، وطاووس^(٧) ، والمقاتلين^(٨) .

-
- (١) في (أ) : (المال) .
- (٢) روى البيهقي في سننه ٣١٧/١٠ عن يزيد بن أبي حبيب أن عبدالله بن عباس كان يقول : «فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً» إن علمت أن مكاتبك يقضيك ، وروى أيضاً : ٣١٧/١٠ من طريق الضحاك عن ابن عباس في قوله : (فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً) : «قال : أمانة ووفاء» . وروى الطبري ١٢٧/١٨ ، وابن أبي حاتم ٤٠/٧ أ ، والبيهقي ٣١٧/١٠ من طريق علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : «إن علمتم لهم حيلة ولا تلقون مؤنتهم على المسلمين» ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩١/٦ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر .
- (٣) قوله في الأم ٣٦٣/٧ ، والسنن الكبرى للبيهقي ٣١٨/١٠ ، والحاوي الكبير للماوردي ١٤٤/١٨ .
- (٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٠١/٧ ، ٢٠٢ ، وعبدالرزاق في مصنفه ٣٧٠/٨ ، والطبري ١٢٨/١٨ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩٠/٦ ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد .
- (٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٠٢/٧ ، وعبدالرزاق في مصنفه ٣٧٠/٨ ، والطبري ١٢٩/١٨ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٣١٨/١٠ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩٠/٦ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد وابن المنذر .
- (٦) رواه سعيد بن منصور ١٥٩ ب عنه من رواية جوير .
- (٧) في (أ) : (الطاووس) . وقول طاووس رواه عنه سعيد بن منصور : ١٥٩ ب ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٠١/٧ ، والطبري ١٢٨/١٨ ، وابن أبي حاتم ٤٠/٧ ب ، والبيهقي في السنن الكبرى ٣١٨/١٠ .
- (٨) قول مقاتل بن حيان ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٠/٧ ب ، وقول مقاتل بن سليمان في تفسيره ٣٨/٢ أ .

وهو رواية العوفي عن ابن عباس^(١).

وروى ابن جريج^(٢)، عن عطاء، عن ابن عباس في هذه الآية قال: «الخير: المال»^(٣).

روى^(٤) هشيم عن يونس قال: كُتِبَ عند الحسن، وأخوه سعيد^(٥) عنده فتذاكرنا هذه الآية، فقال سعيد: إن كان عنده مال فكاتبه، وإن لم يكن عنده مال فلا تعلقه صحيفة يغدو بها على الناس ويروح، فيسألهم فيخرجهم ويؤثمهم^(٦).
وروي أن عبداً لسلیمان قال له: كاتبنی، قال له^(٧): لك مال؟ قال: لا، قال: تطعمني أو ساخ الناس. فأبى عليه^(٨).

-
- (١) ذكره الثعلبي ٨١/٣ عنه من رواية العوفي. وقد رواها من هذا الوجه الطبري ١٢٨/١٨.
- (٢) في (ع): (ابن أبي نجیح)، وهو خطأ.
- (٣) رواه ابن أبي حاتم ٤٠/٧ ب، والبيهقي في السنن الكبرى ٣١٨/١٠، كلاهما من رواية ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، به.
- (٤) في (ظ) و(ع): (لما روى).
- (٥) هو سعيد بن أبي الحسن يسار، البصري، أخو الحسن البصري، تابعي ثقة، روى عن أمه، وأبي هريرة، وعنه أخوه وسليمان التيمي، وكان يسمى راهباً لدينه، وهو أصغر من الحسن وتوفي قبله سنة ١٠٠هـ، ولما توفي حزن عليه الحسن حزناً شديداً وبكى، انظر: طبقات ابن سعد ١٧٨/٧، وسير أعلام النبلاء ٥٨٨/٤، وتهذيب التهذيب ١٦/٤، وتقريب التهذيب ٢٩٣/١.
- (٦) رواه سعيد بن منصور في تفسيره: ل ١٥٩ ب عن هشيم، عن يونس، به.
- (٧) (له) ساقطة من (ظ) و(ع).
- (٨) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٣٧٤/٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٣١٩/١٠، والثعلبي في الكشف والبيان ٨١/٣ أ، كلهم من طريق أبي لیلی الكندي قال: «أتى سلمان غلام له...» فذكره. وسند عبد الرزاق صحيح.

والأظهر هو القول الأول ؛ لأنه لو كان المراد بالخير المال لقليل : إن علمتم لهم^(١) خيراً . وهذا الاعتراض يحكى عن الخليل^(٢) ، فلما قيل : ﴿ فِيهِمْ خَيْرٌ ﴾ كان الأظهر الاكتساب والوفاء والأداء والأمانة .

وهذا أيضاً قول ابن عمر وابن زيد ومالك بن أنس^(٣) ، واختيار الفرّاء وأبي إسحاق .

قال الفرّاء : « يقول وإن رجوتهم^(٤) عندهم وفاء وتأدية للكتابة »^(٥) .

وقال أبو إسحاق : « إن علمتم أنهم يكسبون^(٦) ما يؤدونه »^(٧) .

وقول من فسّر الخير بالمال الوجه أن يحمل ذلك على الكسب والمكتسب كذي المال من حيث إنه يقدر على المال [إذا شاء]^(٨) .

وقال الحسن وأبو صالح في قوله (خَيْراً)^(٩) : « أداء وأمانة »^(١٠) .

(١) لهم) ساقطة من (ظ) .

(٢) حكاها عنه الثعلبي ٣ / ٨١ أ .

(٣) ذكره عنهم جميعاً الثعلبي ٣ / ٨١ أ ، ورواه عن ابن عمر بمعناه الطبري ١٨ / ١٢٧ ، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠ / ٣١٨ ، وقول ابن زيد ومالك رواه عنهما الطبري ١٨ / ١٢٧ .

(٤) في (ظ) : (دعوتهم) ، وهو خطأ .

(٥) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢١٥ .

(٦) في المطبوع من المعاني : (يكتبون) ، وهو خطأ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٠ .

(٨) ساقط من (أ) .

(٩) في (ظ) و(ع) : زيادة (قال) بعد قوله : (خيراً) .

(١٠) رواه عن الحسن عبدالرزاق في مصنفه ٨ / ٣٧١ ، وسعيد بن منصور في تفسيره : ل ١٥٩ ب ، والطبري ١٨ / ٢٠٨ ، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠ / ٣١٨ . وعن أبي صالح رواه الطبري ١٨ / ١٢٨ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٤٠ ب ، والبيهقي ١٠ / ٣١٨ .

وقال عبيدة : «وفاءً وصدقاً»^(١) ، وروى ابن سيرين عنه قال : «إذا أقاموا الصلاة»^(٢) . وروى يونس عن الحسن قال : «الخير : الإسلام والقرآن»^(٣) .

وقال إبراهيم : «صدقاً ووفاءً»^(٤) .

وقال سعيد بن جبير : «إن علمتم أنهم يريدون^(٥) بذلك^(٦) الخير»^(٧) .

وقال معمر^(٨) : «وكان قتادة يكره إذا كاتب العبد ليست له حرفة ولا وجه في شيء [أن يكتبه الرجل]^(٩) لا يكتبه إلا ليسأل الناس»^(١٠) .

وهذا يقوي أن المراد بالخير الاكتساب .

قوله تعالى : ﴿وَعَاثُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

(١) ذكره عنه الثعلبي ٣ / ٨١ ب ، وروى عبدالرزاق في مصنفه ٨ / ٣٧٠ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٤٠ أعنه قال : «إن علمتم عندهم أمانة» .

(٢) رواه عبدالرزاق في مصنفه ٨ / ٣٧١ ، وسعيد بن منصور في سننه : ل ١٥٩ ب ، وابن أبي حاتم ٧ / ٤٠ أ ، والثعلبي ٣ / ٨١ ب ، كلهم من طريق ابن سيرين عن عبيدة .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧ / ٢٠٢ ، ٢٠٣ من رواية يونس عن الحسن .

(٤) إبراهيم هو النخعي ، ورواه عنه عبدالرزاق في مصنفه ٨ / ٣٧١ ، وسعيد بن منصور في سننه : ل ١٥٩ ب ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٧ / ٢٠٢ ، والطبري ١٨ / ١٢٨ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٣١٨ / ١٠ .

(٥) في (أ) : (يريد من) .

(٦) في (ظ) : (بذلك) .

(٧) ذكره عنه النحاس في معاني القرآن ٤ / ٥٢٩ ، وابن الجوزي ٦ / ٣٧ .

(٨) هو معمر بن راشد .

(٩) زيادة من تفسير عبدالرزاق بها يستقيم المعنى .

(١٠) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢ / ٥٨ عن معمر به .

أحدها : أن هذا خطاب للموالي ، أمروا أن يحطوا عنهم من نجوم الكتابة شيئاً ، وهو قول علي^(١) - رضي الله عنه - ومجاهد^(٢) ، والثوري^(٣) ، وكثير من الصحابة^(٤) .

ثم اختلفوا في ذلك القدر :

فقال علي رضي الله عنه : « هو ربع المال »^(٥) ، وهو قول مجاهد^(٦) .

وقال الآخرون : لا يتقدر بشيء يحط عنه ما أحب .

وكان عمر - رضي الله عنه - يحط من أول النجوم .

وروي عكرمة عن ابن عباس أن عمر - رضي الله عنه - كاتب عبد الله يكنى أبا أمية^(٧) فجاءه بنجمه حين حل^(٨) ، فقال : يا أبا أمية ، استعن به في مكاتبتك ،

(١) سيأتي ذكر ذلك عنه رضي الله عنه .

(٢) رواه عن مجاهد عبدالرزاق في تفسيره ٥٩ / ٢ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٣٧٢ / ٦ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٣٠ / ١٠ .

(٣) ذكره عنه الثعلبي ٨١ / ٣ أ ، ورواه الطبري ١٨ / ١٣١ عنه قال : « أحب أن يعطيه الربع ، أو أقل منه شيئاً ، وليس بواجب ، وأن يفعل ذلك حسن » .

(٤) انظر : مصنف ابن أبي شيبة ٣٧٠ / ٦ ، ٣٧١ ، والطبري ١٨ / ١٢٩ ، ١٣٠ ، والسنن الكبرى للبيهقي ٣٢٩ / ١٠ ، ٣٣٠ ، والثعلبي ٨١ / ٣ ب ، ٨٢ أ .

(٥) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٥٨ / ٢ ، وسعيد بن منصور : ل ١٥٩ ب ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٣٦٩ / ٦ ، والطبري ١٨ / ١٢٩ ، وابن أبي حاتم ٤١ / ٧ ب ، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٢٩ / ١٠ ، والضياء في المختارة ١٩٤ / ٢ .

(٦) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٧٠ / ٦ .

(٧) هو أبو أمية بن كنانة ، القرشي ، العدوي مولى عمر بن الخطاب ومكاتبه ، اسمه عبدالرحمن ، وهو جد المبارك بن فضالة المحدث ، روى عنه ابنه فضالة . انظر : طبقات ابن سعد ١١٧ / ٧ ، والكنى للإمام مسلم ٩٥ ، والثقات لابن حبان ٥٦٦ / ٥ ، والاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى ١٠٣١ / ٢ .

(٨) في (ظ) : (هل) .

فقال : يا أمير المؤمنين لو تركته حتى يكون في آخر نجم ، قال : إني أخاف أن لا أدرك ذاك^(١) ، ثم قرأ : ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾^(٢) .

وروى عبد الملك بن أبي بشير^(٣) قال : حدثني فضالة بن أبي أمية^(٤) عن أبيه وكان غلاماً لعمر قال : كاتبني عمر على أواق^(٥) قد سمّاها ، ونجمها عليّ نجوماً ، فلما فرغ من الكتاب أرسل إلى حفصة^(٦) فاستقرض منها مائتي درهم ، فأعطانيها وقال : استعن بها في نجومك ، فقلت : ألا تجعلها في آخر مكاتبتني ! قال : إني لا أدري أدرك أم لا . قال سفيان : بلغني أنه كاتبه على مائة أوقية^(٧) .

وعلى هذا قوله : ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾ : هو أن يؤتیه مما في يده شيئاً يستعين به على الكتابة لا أن يحطّ عنه شيئاً .

(١) في (ظ) : (ذلك) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٧١/٦ ، وابن أبي حاتم ٤١/٧ ب ، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٢٩/١٠ ، ٣٣٠ من طريق عكرمة عن ابن عباس ، وروى ابن سعد في طبقاته ١١٨/٧ عن عكرمة نحوه .

(٣) هو عبد الملك بن أبي بشير ، البصري ، نزيل المدائن ، روى عن عكرمة وحفصة بنت سيرين وآخرين ، وعنه سفيان الثوري وغيره ، وهو ثقة . انظر : الكاشف ٢٠٧/٢ ، وتهذيب التهذيب ٣٨٦/٦ ، وتقريب التهذيب ٥١٧/١ .

(٤) هو فضالة بن أبي أمية ، البصري ، أبوه أبو أمية مولى عمر بن الخطاب المتقدّم ذكره ، وهو والد المبارك بن فضالة المحدث ، روى عنه عبد الملك بن أبي بشير ، ذكره البخاري في تاريخه الكبير ١٢٥/٧ ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٧٧/٧ ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، وذكره ابن حبان في الثقات ٢٩٧/٥ .

(٥) أواق : جمع أوقية بضم الهمزة وتشديد الياء : وهي زنة سبعة مثاقيل ، أو أربعين درهماً . لسان العرب (أوق) ١٢/١٠ .

(٦) هي أم المؤمنين ، وبنت أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنها .

(٧) رواه عبدالرزاق في مصنفه ٣٧٦/٨ ، وابن سعد في طبقاته ١١٨/٧ ، والطبري ١٨/١٣٠ ، والبيهقي في الكبرى ٣٣٠/١٠ من رواية عبد الملك ، عن فضالة ، عن أبيه بنحوه . وليس في رواية عبدالرزاق وابن سعد والبيهقي قول سفيان .

وهو رواية ليث عن مجاهد ، قال : «مما في يديك ، ليس مما على رقبتك»^(١) .
وروى جوبير عن الضحاك في هذه الآية قال^(٢) : «أن تعطيه [مما في يديك]^(٣)
من مالك أو تضع^(٤) له بعض الذي كاتبه عليه»^{(٥)(٦)} .
وروى عبد الملك^(٧) وحجاج عن عطاء في قوله : ﴿وَأَنزَلْنَاهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي
ءَاتَيْنَاكُمْ﴾ : «هو ما أخرج الله [لك]^(٨) من مكاتبتك تعطيه ما طابت به نفسك
وليس فيه شيء مؤقت»^(٩) .
وقال سعيد بن جبير : «كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئاً من
أول نجومه مخافة أن يعجز فترجع^(١٠) إليه صدقته ، ولكنّه^(١١) إذا كان في آخر
مكاتبتك وضع عنه ما أحب»^(١٢) .

-
- (١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٧٢ / ٦ ، والطبري ١٣٠ / ١٨ من رواية ليث عن مجاهد من دون قوله :
«ليس مما على رقبتك» .
- (٢) (قال) ساقطة من (أ) .
- (٣) ساقط من (ظ) و(ع) .
- (٤) في (ظ) و(ع) : (تدع) .
- (٥) (عليه) ساقطة من (أ) .
- (٦) لم أجد من ذكره عنه .
- (٧) هو عبد الملك بن أبي سليمان ، كما في رواية الطبري وابن أبي حاتم ، وهو عبد الملك بن أبي سليمان
ميسرة ، العرزمي ، الكوفي كان من أحفظ أهل الكوفة ، روى عن سعيد بن جبير وعطاء . قال
الذهبي : «قال أحمد : ثقة يخطئ» ، وقال ابن حجر : «صدوق له أوهام» . توفي سنة ١٤٥ هـ ، الكاشف
٢ / ٢٠٩ ، وتقريب التهذيب ١ / ٥١٩ .
- (٨) (لك) ساقطة من (أ) .
- (٩) رواه ابن أبي شيبة ٣٧١ / ٦ ، ٣٧٢ من رواية عبد الملك وحجاج عن عطاء ، ورواه الطبري ١٣٠ / ١٨ ،
وابن أبي حاتم ٤٢ / ٧ أمّن طريق عبد الملك عن عطاء إلى قوله : (مكاتبتك) .
- (١٠) في (أ) : (وترجع) .
- (١١) في (أ) : (ولكن) .
- (١٢) رواه الطبري ١٣٠ / ١٨ عن سعيد به ، ورواه عبد الرزاق في مصنفه ٣٧٧ / ٨ ، وابن أبي شيبة ٣٧٠ / ٦
عن سعيد بنحوه مختصراً .

وعلى ما ذكرنا معنى الإيتاء : أن يحطَّ من مكاتبته^(١) شيئاً أو يردَّ عليه شيئاً ، أو يعطيه مما في يده شيئاً . وهو واجب عند الشافعي رضي الله عنه^(٢) .

القول الثاني : أن^(٣) المعنى : وآتوهم سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضات .

وهو قول ابن عباس في رواية عطاء ، قال : «يريد سهم الرقاب يعطى منه المكاتبون»^(٤) ، ونحوه قال زيد^(٥) وابنه^(٦) .

القول الثالث : أن هذا حث للناس على إعطاء المكاتب وإعانتهم بما يمكنهم في^(٧) ثمن رقبتهم .

(١) في (ظ) و(ع) : (كاتبته) .

(٢) انظر : الأم ٣٦٤ / ٧ ، والحاوي الكبير ١٨٦ / ١٨ ، وروضة الطالبين ٢٤٨ / ١٢ .

(٣) (أن) ساقطة من (أ) .

(٤) ذكره عنه من رواية عطاء ابن الجوزي ٣٧ / ٦ ، والرازي ٢٣ / ٢١٨ ، والنيسابوري في غرائب القرآن ١٨٠ / ١٨ .

(٥) هو زيد بن أسلم .

(٦) ذكره عنها الثعلبي ٨٢ / ٣ . وعن زيد رواه الطبري ١٨ / ١٣١ ، وابن أبي حاتم : ٤٢ / ٧ ، وعن ابنه عبد الرحمن رواه ابن أبي حاتم ٤٢ / ٧ .

(٧) في (أ) : (من) .

وهو قول عكرمة^(١)، وإبراهيم^(٢)، والكلبي^(٣)، والمقاتلين^(٤)، قالوا: حضَّ الناس^(٥) جميعاً الموالي وغيرهم على أن يعطوا المكاتب، وأمر المؤمنين أن يعينوا في الرقاب.

وقال الحسن: «حث عليه المسلمون مولاه وغيره»^(٦).

وعلى هذا القول هو أمر نذَّب.

واختار^(٧) صاحب النظم القول الثاني، وقال: «قوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ خطاب للموالي، وقوله: ﴿وَأَتَوْهُمْ﴾ خطاب لغيرهم من أصحاب الزكوات؛ لأنه لا يجوز للمكاتب أن يدفع فرض صدقته إلى مكاتب نفسه، فجاء الخطاب بنظم واحد وهما مختلفان، كقوله: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢] الآية. فقد جاء الخطاب في التطليق والعضل بنظم واحد وهما مختلفان؛ لأن العضل من الأولياء، والتطليق من الأزواج، وكذلك قوله: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ﴾ أومئ به إلى غير المكاتبين الذين هم الموالي»^(٨).

(١) ذكره عنه الرازي ٢٣/٢١٨، وأبو حيان ٦/٤٥٢.

(٢) ذكره عنه الثعلبي ٣/٨٢، ورواه عنه عبدالرزاق في مصنفه ٨/٣٧٦، وسعيد بن منصور في سننه: ل ١٥٩ ب، والطبري ١٨/١٣١.

(٣) رواه عنه عبدالرزاق في تفسيره ٢/٥٩.

(٤) قول مقاتل بن حيان رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٤٢، وقول مقاتل بن سليمان في تفسيره ٢/٣٧.

(٥) في (أ): (للناس).

(٦) رواه سعيد بن منصور في سننه: ل ١٥٩ ب، والطبري ١٨/١٣١، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/١٩١ عنه، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٧) في (أ): (واختيار).

(٨) ذكر الرازي ٢٣/٢١٩ بعضه من غير نسبة.

وقال غيره^(١) : يجوز أن يكون الموالي داخلين في هذا الخطاب على معنى : أن يؤتي بعضهم لمكاتب بعض لا لمكاتب نفسه .

قال صاحب النظم : «ولو كان المراد بالإيتاء الحطُّ عنه لوجب أن يكون في عادة العربية : ضَعُوا عنهم أو قاصُّوهم منه^(٢) ، فلمَّا قال (وَأَتَوْهُمْ) دلَّ على أنه أراد من الزكاة إذ هو مناوله وإعطاء»^(٣) .

وهذا الاعتراض لا يصح على قول من يجعل إيتاء المكاتب من مال نفسه ، كما روينا عن عمر رضي الله عنه .

فأمَّا سبب نزول هذه^(٤) الآية :

فقال ابن عباس في رواية عطاء : «نزلت في صُبَيْح^(٥) القبطي ، كان مملوكاً لحاطب بن أبي بلتعة»^(٦) .

-
- (١) انظر : الطبري ١٨ / ١٣٢ .
- (٢) يقال : تقاصَّ القوم ، إذا قاصَّ كل منهم صاحبه في حساب أو غيره ، وأصل التَّقَاص : التناصف في القصاص . انظر : لسان العرب (قصص) ٧ / ٧٦ ، وتاج العروس للزبيدي (قصص) ١٨ / ١٠٧ .
- (٣) ذكر أبو حيان ٦ / ٤٥٢ هذا القول عن صاحب النظم .
- (٤) (هذه) زيادة من (ظ) .
- (٥) في (أ) ، و(ع) : (الصبيح) . وقد ذكر صبيحاً هذا البخاري في تاريخه الكبير ٤ / ٣١٨ من دون نسبة إلى القبط ، وساق رواية سيأتي ذكرها فيها أنه كان مملوكاً لحويطب بن عبد العزى ، وأن صبيحاً هو جدُّ محمد بن إسحاق صاحب السير والمغازي . وذكره ابن حبان في الثقات ٣ / ١٩٦ من دون نسبة وقال : «أبو عبدالله ، جدُّ محمد بن إسحاق بن يسار . يقال : إنَّ له صحبة» ، وذكره ابن حجر في الإصابة ٢ / ١٦٩ من دون نسبة وقال : «مولى حويطب بن عبد العزى . قال ابن السكن وابن حبان : يقال له صحبه» . ثم نقل ابن حجر رواية البخاري في تاريخه ، ثم قال : «قال ابن السكن : لم أر له ذكراً إلا في هذا الحديث» . اهـ .
- (٦) لم أجد من ذكره عن ابن عباس . وقد نقل القرطبي ١٢ / ٢٤٤ عن مكِّي بن أبي طالب قوله : «هو صبيح القبطي غلام حاطب بن أبي بلتعة» .

وقال مقاتل بن سليمان وغيره: «نزلت في حويطب^(١) بن عبد العزى وفي غلامه صبيح^(٢) القبطي، وقيل: صُبْح^(٣) طلب إليه أن يكتبه فأبى، فأنزل الله هذه الآية، فكتبه على مائة دينار، ثم وضع عنه عشرين ديناراً، فأذاها وعتق^(٤)».

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْإِغَاءِ﴾: يعني إماءكم وولائدكم على الزنا.

قال جماعة من المفسرين^(٥): نزلت في عبدالله بن أبي كان يكره جوارى له على الكسب بالزنا، فشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية.

(١) هو حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس، القرشي، العامري، أبو محمد، أسلم عام الفتح، وشهد حنيناً، وكان من المؤلفين، وكان حميد الإسلام، وسار إلى الشام مجاهداً، وهو أحد الذين أمرهم عمر بتجديد أنصاب الحرم، توفي سنة ٥٤هـ، وقيل ٥٢هـ، وعاش مائة وعشرين سنة. انظر: طبقات ابن سعد ٥/٤٥٤، والاستيعاب ١/٣٩٩، وأسد الغابة ٢/٦٧، وسير أعلام النبلاء ٢/٥٤٠، والإصابة ٢/٣٦٣.

(٢) في (ظ): (صبح)، والمثبت من باقي النسخ، وتفسير مقاتل.

(٣) في (ظ) و(ع): (صبيح).

(٤) تفسير مقاتل ٢/٣٨ أ، والثعلبي ٣/٨١ أ. وقد روى البخاري في التاريخ الكبير ٤/٣١٨، ٣/٣١٩، وابن السكن والبارودي كما في الإصابة لابن حجر ٢/١٧٠ من طريق محمد بن إسحاق، عن خاله عبدالله بن صبيح وفي المطبوع من الإصابة: (عن خالد عن عبدالله). وهو خطأ عن أبيه وكان جد ابن إسحاق أبا أمه. قال: كنت مملوكاً لحويطب بن عبد العزى، فسألته الكتابة، ففني نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكَتَبَ﴾ الآية. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/١٨٩ من رواية عبدالله بن صبيح، به. وعزاه إلى ابن السكن في معرفة الصحابة.

(٥) انظر: تفسير مقاتل ٢/٣٨ أ ب، والطبري ١٨/١٣٢، ١٣٣، وابن أبي حاتم: ٤٢/٧ ب، ٤٣ أ، والثعلبي ٣/٨٢ أ ب، وتفسير ابن كثير ٣/٢٨٨، ٢٨٩، والدر المنثور للسيوطي ٦/١٩٢-١٩٤. وقد روى مسلم في صحيحه ٤/٢٣٢٠، كتاب: التفسير، باب: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْإِغَاءِ﴾ عن جابر رضي الله عنه: أن جارية لعبدالله بن أبي بن سلول يقال لها: مُسَيْكَة، وأخرى يقال لها: أُمَيْمَة، فكان يكرهها على الزنى، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْإِغَاءِ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قال ابن عباس في رواية عطاء : «وذلك أن عبد الله بن أبي كانت له جاريتان يقال لإحدهما : مُعَاذَة ، والأخرى : زينب ، كانتا مؤمنتين فأكرههما على الزنا وهما لا يريدان»^(١) .

وروى الزهري عن عمر^(٢) بن ثابت الخزرجي قال : كانت معاذة جارية لعبد الله بن أبي ، وكانت مسلمة ، وكان يستكرهها على البغاء ، فأُنزل الله هذه الآية^(٣) .

وقال مجاهد : «كانوا يأمررون ولأئدهم أن يُباغين ، فكن يفعلن ذلك ، فيُصبن ، فيأتينهم بكسبهن ، وكانت لعبد الله بن أبي جارية فكانت تُباغي ، وكرهت ذلك

(١) لم أجد من ذكره من رواية عطاء . وقد روى ابن أبي حاتم ٤٢/٣ ب ، والطبراني في الكبير ١١/٢٨٤ من طريق عكرمة عن ابن عباس : أن جارية لعبد الله بن أبي كانت تزني في الجاهلية فولدت أولاداً من الزنا ، فقال لها : مالك لا تزنين . قالت : والله لا أزني . فصر بها ، فأُنزل الله عز وجل ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْإِغْلَاءِ﴾ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٣/٧ : «ورجال الطبراني رجال الصحيح» . وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩٣/٦ ، ونسبه أيضاً إلى البزار وابن مردويه ، وقال : بسند صحيح .

(٢) في (ظ) و(ع) : (عمرو) ، وهو خطأ . وهو عمر بن ثابت بن الحارث - ويقال : ابن الحجاج - الأنصاري الخزرجي المدني ، تابعي ثقة ، روى عن بعض الصحابة ، وعنه الزهري وغيره . انظر : الكاشف ٣٠٦/٢ ، وتهذيب التهذيب ٧/٤٣٠ ، وتقريب التهذيب ٥٢/٢ .

(٣) رواه المصنف في كتابه أسباب النزول ٢٧٠ من طريق ابن إسحاق : حدثني الزهري ، عن عمر بن ثابت ، فذكره . ورواه أيضاً من طريق مالك ، عن ابن شهاب ، عن عمر بن ثابت بنحوه ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩٣/٦ من طريق مالك ، عن ابن شهاب ، عن عمر بنحوه مطولاً ، وعزاه إلى الخطيب في رواة مالك . ورواه أبو موسى المدني في كتابه الصحابة كما في الإصابة لابن حجر ٣٩٥/٤ من طريق الليث بن سعد ، عن عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب الزهري به ، بنحوه . وهو مرسل ؛ لأن عمر بن ثابت تابعي .

وحلفت لا تفعله ، فأكرهها أهلها ، فانطلقت فباغت ببرد^(١) أخضر فأتتهم به ،
فأنزل الله هذه الآية^(٢) .

قوله تعالى : ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ . قال ابن عباس : «تَعَفُّفًا وَتَزَوِيجًا»^(٣) .

وليس هذا بشرط في النهي عن الإكراه ، وإنما هو على موافقة حال النزول ،
وذلك أن تلك^(٤) الجواري التي كان ابن أبي يكرههن على الزنا كن مسلمات يردن
التحصن ، وهو كقوله : ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ﴾ [النساء : ١١] ،
وليس من شرط استحقاق الثلثين أن يكن فوق اثنتين ولكن نزلت الآية^(٥) في
ثلاث بنات^(٦) .

- (١) البرد بالضم : ثوب مخطط . القاموس المحيط ٢٧٦ / ١ .
- (٢) رواه الطبري ١٨ / ١٣٤ ، ورواه ابن أبي حاتم ٧ / ٤٢ ب بنحو مختصراً ، وذكره السيوطي في الدر
المشثور ٦ / ١٩٤ ، ونسبه أيضاً إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .
- (٣) لم أجده عن ابن عباس . وقد روى ابن أبي حاتم ٧ / ٤٣ أ ب عن قتادة ومقاتل مثل شطره الأول ،
وذكره الطبري ١٨ / ١٣٢ ، والثعلبي ٣ / ٨٢ ب ، والماوردي ٤ / ١٠١ من غير نسبة إلى أحد ، ولم أجد
من ذكر : (تزوياً) .
- (٤) (تلك) ساقطة من (أ) .
- (٥) (الآية) ساقطة من (ظ) .
- (٦) القول بأن الآية المستشهد بها نزلت في ثلاث بنات ذكره الواحدي في أسباب النزول ١٢٠ من غير
سند ، وعزاه إلى المفسرين ، وذكره البغوي ٢ / ١٦٩ من غير سند . وفي الإصابة لابن حجر ٤ / ٤٦٤
في ترجمة أم كجّة الأنصارية : «ذكر الواحدي عن الكلبي في تفسيره عن أبي صالح ، عن ابن عباس أن
أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك ثلاث بنات وامرأة يقال لها أم كجّة ، . . . فنزلت آية الموارث» .
وهذا القول لا يصح في نزول هذه الآية ، والصحيح في هذا ما رواه الإمام أحمد في مسنده ، وأبو داود
في سننه ٨ / ٩٩ ، ١٠٠ ، كتاب : الفرائض ، باب : ما جاء في ميراث الصلب ، والترمذي في جامعه ،
كتاب : الفرائض ، باب : ما جاء في ميراث البنات من حديث جابر — رضي الله عنه — قال : جاءت امرأة
سعد بن الربيع باب : نتيها من سعد إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع
قُتل أبوهما معك يوم أحد شهيداً ، وإنَّ عمَّهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً ، ولا تنكحان إلا ولهما
مال . قال : «يقضي الله في ذلك» . فنزلت آية الميراث ، فبعث رسول الله ﷺ إلى عمَّهما فقال : «أعط
ابنتي سعد الثلثين وأعط أمَّهما الثمن وما بقي فهو لك» . وحسن هذا الحديث الألباني كما في صحيح
الترمذي ٢ / ٢١١ .

وقال أبو إسحاق : « لا تكرهوهن على البغاء ألبتة ، وليس المعنى : لا تكرهوهن إن أردن تحصناً ؛ لأنهن ، إن لم يردن ، فليس لنا أن نكرهن »^(١) .

وقوله : ﴿ إِن أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ : هذا الشرط متعلق بقوله : ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَّامَ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ [النور : ٣٢] إن أردن تحصناً . فهذا على التقديم والتأخير ، وهذا القول اختيار الحسين^(٢) بن الفضل^(٣) .

ويجوز أن يقال : إنما شرط^(٤) إرادة التحصن ؛ لأن الإكراه لا يتصور إلا عند إرادة المكره التحصن^(٥) ، فإن^(٦) لم يرد التحصن لا يتصور الإكراه ؛ لأنه يأتي ذلك بالطبع ، فلما ذكر النهي عن الإكراه شرط إرادة التحصن ؛ ليتبين^(٧) معنى الإكراه ؛ لأنه شرط صحيح في المعنى^(٨) .

وقوله تعالى : ﴿ لَتَبْنَعُوا عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ﴾ : يعني الغلة^(٩) والضرائب التي كانت عليهن .

(١) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٠ .

(٢) في (ع) : (الحسن) ، وهو خطأ .

(٣) ذكره عنه الثعلبي ٣ / ٨٢ ب ، والبغوي ٦ / ٤٤ ، وتصحف الاسم في المطبوع إلى (الحسن) ، والقرطبي ١٢ / ٢٥٥ . وهذا الوجه ضعفه القرطبي . وقال أبو حيان ٦ / ٤٥٢ : « وهذا فيه بُعد وفصل كثير » .

(٤) في (أ) : (شرطه) .

(٥) في (ظ) : (للتحصن) .

(٦) في (أ) : (وان) .

(٧) في (أ) : (لتبين) .

(٨) ذكر البغوي ٦ / ٤٤ هذا القول ، وصدّره بقوله : (قيل) ، وذكره ابن الجوزي ٦ / ٣٩ غير منسوب إلى أحد . وأشار إليه ابن العربي في أحكام القرآن ٣ / ١٣٨٦ غير منسوب إلى أحد ، وذكره الماوردي ٤ / ١٠١ غير منسوب إلى أحد .

(٩) الغلة : هي الدّخل الذي يحصل من الإجارة والتّاج ونحو ذلك . لسان العرب (غلّ) ١١ / ٥٠٤ .

وقال ابن عباس : «يريد أن يولد له منهم ولد ليسترق^(١) الولد ويتبعه» .

وقال الكلبي : «﴿عَرَضَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ من كسبهن وأولادهن»^(٢) .

وروي معمر ، عن الزهري أن رجلاً من قريش أسر يوم بدر ، فكان عند عبدالله بن أبي أسيراً ، وكان لعبدالله جارية يقال لها معاذة ، فكان القرشي الأسير يريد لها على نفسه ، وكانت مسلمة فكانت تمتنع منه لإسلامها ، وكان عبدالله يكرها على ذلك ويضربها رجاء أن تحمل للقرشي فيطلب فداء ولده ، فأنزل الله هذه الآية^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . قال ابن عباس^(٤) ، والمفسرون^(٥) : «أي لمن غفور رحيم يعني للمكروهات»^(٦) .

وكان جابر يقرأ : (فإن الله من بعد إكراههم لمن غفور رحيم)^(٧) .

(١) في (ظ) : (يسترق) .

(٢) روى ابن أبي حاتم ٤٣/٧ ب عن سعيد بن جبير مثله . وهو قول مقاتل في تفسيره ٣٨/٢ ب .

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٥٩/٢ ، والطبري ١٨/١٣٣ ، وابن أبي حاتم ٤٢/٧ ب ، ٤٣ أ ، كلهم من طريق ، معمر عن الزهري ، به وهو مرسل ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/١٩٣ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٤) رواه الطبري ١٨/١٣٣ ، وابن أبي حاتم ٤٣٧ ب عنه بنحوه .

(٥) انظر : الطبري ١٨/١٣٣ ، ١٣٤ ، وابن أبي حاتم ٤٣/٧ ب ، ٤٤ أ .

(٦) في (أ) : (للمكروهات) .

(٧) روى مسلم في صحيحه ، كتاب : التفسير ، باب : في قوله تعالى : ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَيَتَّكِمُ عَلَى الْإِغَاءِ﴾ ٢٣٢٠/٤ عن جابر قال : كان عبدالله بن أبي بن سلول يقول لجارية له : اذهبي فأبعينا شيئاً ، فأنزل الله عز وجل : ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَيَتَّكِمُ عَلَى الْإِغَاءِ﴾ إن أردت تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم . ورواه ابن أبي حاتم ٤٣/٧ ب عن جابر بنحوه ، وفيه زيادة (هكذا كان يقرأها ؛ يعني (لهن)) . قال النووي في شرح صحيح مسلم ١٨/١٦٤ : «هذا تفسير ، ولم يرد أن (لهن) منزلة» .

وقال الحسن في هذه الآية : «لهن والله ، لهن والله»^(١) .

وقال مجاهد : «﴿ غُفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ للمكروهات على الزنا»^(٢) .

وفي حرف عبدالله^(٣) ، وقرأه جماعة من القراء^(٤) : (فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم) .

٣٤ . قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل^(٥) : «يريد ما ذكر في هذه السورة من الحلال والحرام ، وأمره ونهيه إلى هذه الآية ، فهي تبين للناس ما أمروا به وما نهوا عنه» .

قوله : ﴿ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ ﴾ . قال مقاتل : «يعني سنن العذاب في الأمم الخالية حين كذبوا رسلهم»^(٦) .

والمعنى : وأنزلنا مثلاً ؛ أي شبيهاً من حالهم بحالكم في تكذيب الرسل ، وفي هذا تخويف للمكذبين بمحمد ﷺ أن يلحقهم ما لحق من قبلهم من الأمم حين كذبوا رسلهم .

(١) ذكره عنه الثعلبي ٨٢/٣ ب ، والبغوي ٤٤/٦

(٢) رواه الطبري ١٤/١٣٣ ، وابن أبي حاتم ٤٣/٧ ب ، ٤٤ أ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/١٩٥ ونسبه أيضاً لابن أبي شيبة وابن المنذر .

(٣) روى ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٣/٧ ب عن سعيد بن جبير قال : «في قراءة ابن مسعود (لهن غفور رحيم)» . وذكرها السيوطي في الدر المنثور ٦/١٩٤ ، ونسبها أيضاً إلى عبد بن حميد .

(٤) رويت هذه القراءة عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير . انظر : المحتسب لابن جني ٢/١٠٨ ، والقرطبي ١٢/٢٥٥ .

(٥) تفسير مقاتل ٢/٣٨ ب .

(٦) (رسلهم) : زيادة من (ظ) .

وقوله: ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾. قال الكلبي: «يعني نبياً للمتقين عن»^(١) الشرك والكبائر»^(٢).

٣٥. وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: معنى النور في اللغة: الضياء^(٣)، وهو ضد الظلمة^(٤).

قال ابن عباس في رواية عطاء: «الله هادي أهل السموات وأهل الأرض»^(٥).

(١) (عن: زيادة من (ع)).

(٢) ذكر البغوي ٦/ ٤٥ هذا القول، ولم ينسبه إلى أحد.

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (نار) ١٥/ ٢٣٠ نقلاً عن ابن المظفر.

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (نار) ١٥/ ٢٣٤ نقلاً عن ابن السكيت، وانظر: الصحاح للجوهري (نور) ٢/ ٨٣٨، ولسان العرب (نور) ٥/ ٢٤٠.

(٥) لم أجده من رواية عطاء. لكن أخرج الطبري ١٨/ ١٣٥، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧/ ٤٤ ب من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: هادي أهل السموات والأرض، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٩٧، وزاد نسبته إلى ابن المنذر والبيهقي في الأسماء والصفات.

قال الإمام ابن القيم في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية ٨، ٩: «وقد فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بكونه منور السموات والأرض، وهادي أهل السموات والأرض، فبنوره اهتدى أهل السموات والأرض. وهذا إنما هو فعله، وإلاً فالنور الذي هو من أوصافه قائم منه، ومنه اشتق له اسم النور، الذي هو أحد أسمائه الحسنی. والنور يضاف إليه -سبحانه- على أحد وجهين: إضافة صفة إلى موصوفها، وإضافة مفعول إلى فاعله. فالأول كقوله: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

فهذا إشرافها يوم القيامة بنوره -تعالى- إذا جاء لفصل القضاء، ومنه قول النبي ﷺ في الدعاء المشهور: (أعوذ بنور وجهك الكريم أن تضلني، لا إله إلا أنت)، وفي الأثر الآخر: (أعوذ بوجهك، أو بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات). فأخبر ﷺ أن الظلمات أشرقت لنور وجه الله، كما أخبر -تعالى- أن الأرض تشرق يوم القيامة بنوره.

وفي معجم الطبراني والسنة له، وكتاب: عثمان بن سعيد الدارمي وغيرهما، عن ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- قال: ليس عند ربكم ليل ولا نهار، نور السموات والأرض من نور وجهه.

وهذا الذي قاله ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- أقرب إلى تفسير الآية من قول من فسرها بأنه هادي أهل السموات والأرض. وأما من فسرها بأنه منور السموات والأرض فلا تنافي بينه وبين قول ابن مسعود. والحق أنه نور السموات والأرض بهذه الاعتبار كلها.

وهذا قول مقاتل^(١) والكلبي ، وروي ذلك عن أنس^(٢) رضي الله عنه .

والنور من صفات الله - جل ثناؤه - ورد ذلك في الأسماء التسعة والتسعين^(٣) ، ونطق به القرآن في هذه الآية نصاً .

= وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات ، فقال : (إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) . وفي صحيح مسلم عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : سألت رسول الله ﷺ : هل رأيت ربك ؟ قال : (نور ، أنى أراه ؟) . سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يقول : معناه : كان ثم نور ، أو حال دون رؤيته نور ، فأنى أراه ؟ . قال : ويدل عليه أن في بعض ألفاظ الصحيحة : هل رأيت ربك ؟ قال : رأيت نوراً ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر رضي الله عنه : قوله ﷺ في الحديث الآخر : (حجابه النور) فهذا النور - والله أعلم - النور المذكور في حديث أبي ذر رضي الله عنه : (رأيت نوراً) . انتهى كلام ابن القيم رحمه الله . ويبيّن ما قاله ابن القيم من أنه نور السموات والأرض بهذه الاعتبارات كلها ما قاله العلامة الشيخ عبدالرحمن السعدي في تفسيره ٤٠١/٣ : «(الله نور السموات والأرض) الحسي والمعنوي ، وذلك أنه - تعالى - بذاته نور ، وحجابه نور الذي لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ، وبه استنار العرش والكرسي والشمس والقمر والنور ، وبه استنارت الجنة . وكذلك المعنوي يرجع إلى الله ، فكتابه نور ، وشرعه نور ، والإيمان والمعرفة في قلوب رسله وعباده المؤمنين نور . فلولاه نوره - تعالى - لتراكمت الظلمات ، ولهذا كل محل يفقد نوره فثم الظلمة» .

(١)

تفسير مقاتل ٣٨/٢ ب .

(٢) رواه الطبري ١٨/١٣٥ من طريق فرقد السجني ، عنه قال : «إن إلهي يقول : نوري هداي» . وإسناده ضعيف لضعف فرقد . انظر : المغني في الضعفاء للذهبي ٥٠٩/٢ ، ٥١٠ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٨/٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٢)

(٣) روى الترمذي في جامعه ٩/٤٨٢ كتاب : الدعوات عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «إن لله تسعة وتسعين اسماً ، من أحصاها دخل الجنة ، وهو الله الذي لا إله إلا هو ، الرحمن النور» الحديث . وحديث أبي هريرة رواه البخاري في صحيحه ١١/٢١٤ ، كتاب : الدعوات ، باب : لله مائة اسم غير واحد ، وغيره من دون سرد الأسماء ، وقد اختلف العلماء في سرد الأسماء ، هل هو مرفوع إلى النبي ﷺ ، أو مدرج في الخبر من بعض الرواة ؟

(٣)

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٢٦٩ : «والذي عوّل عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه . كما رواه الوليد بن مسلم وعبدالملك بن محمد الصنعاني ، عن زهير بن محمد أنه بلغه =

وفسّره هؤلاء الذين ذكرناهم بالهادي ، وحقيقته أن النور هو الذي يبيّن الأشياء ويُرِي الأبصار حقيقتها^(١) ، وعلى هذا المعنى ورد النور في صفة الله تعالى^(٢) ؛ لأنه هو الذي يهدي المؤمنين ويبين لهم ما يهتدون بها من الضلالة .

وهذا معنى قول ابن قتيبة : أي بنوره يهتدي من في السموات والأرض^(٣) .

[وذكر السموات والأرض]^(٤) والمراد أهلها كما ذكرت القرى والقرية في مواضع من القرآن والمراد أهلها وسكانها . ويحمل هذا على حذف المضاف .

وقال مجاهد في هذه الآية : «مدبر الأمور في السموات والأرض»^(٥) .

واختار أبو إسحاق هذا القول فقال : «أي مدبر أمرهما»^(٦) بحكمة بالغة وحُجّة نيرة^(٧) . وهذا كما يقال : فلان نور هذا الأمر ونور البلد ؛ أي هو الذي يجريه^(٨) ويجري أمره على سنن السداد^(٩) .

وقال الضحاك والقرظي^(١٠) : «منور السموات والأرض» .

عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك ، أي أنهم جمعوها من القرآن كما روي عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبي زيد اللغوي ، والله أعلم .

(١) في تهذيب اللغة للأزهري (نار) ١٥ / ٢٣٥ : «والنور هو الذي . . . حقيقتها» .

(٢) تقدّم أن النور صفة ذاتية له - سبحانه - كما دل على ذلك الكتاب والسنة .

(٣) مشكل القرآن لابن قتيبة ٣٢٨ .

(٤) ساقط من (أ) .

(٥) رواه الطبري ١٨ / ١٣٥ ، وذكره الثعلبي ٨٢ / ٣ ب ، والبغوي ٦ / ٤٥ وابن الجوزي ٦ / ٤٠ ، وابن كثير ٣ / ٢٨٩ .

(٦) في (ع) : (أمرها) .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٣ .

(٨) في (ع) : (أمرها) .

(٩) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٣ .

(١٠) ذكره عنهما الثعلبي ٨٢ / ٣ ب ، والقرطبي ١٢ / ٢٥٧ ، وذكره البغوي ٦ / ٤٥ عن الضحاك .

ففسّر النور بالمنور وهذا^(١) على المبالغة ؛ لأنه لما كان خالق الأنوار والشمس والقمر والنجوم التي بها نور السموات والأرض وصف بأنه النور كما يقال : فلان جود وفلان كرم ، ويقال في ضده : فلان لوم ويُخل إذا بالغوا^(٢) في وصفه بهذه الأشياء ، ويقال : فلان رحمة وسخطة ، وهو لا يكون في نفسه رحمة ولا سخطة ، وإنما يكونان منه^(٣) .

وعلى هذا الوجه يتوجّه أيضاً قول من قال : مُزَيّن السموات بالشمس والقمر والنجوم ، ومُزَيّن الأرض بالأنبياء والعلماء ؛ لأن معنى المُزَيّن هنا : المنور .

وهذا القول يروى عن أبي بن كعب وأبي العالية^(٤) والحسن^(٥) .

﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ . قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبیر : «مثل نوره الذي أعطاه المؤمن»^(٦) ، ونحو هذا قال الكلبي : «مثل نور الله في قلب المؤمن» .

وعلى هذا القول الكناية عائدة إلى الله تعالى ، والمراد : مثل نوره الذي يقذفه في قلب المؤمن ويهديه به .

(١) في (ع) : (هذا) .

(٢) في (أ) زيادة (كان) بعد قوله : (إذا) .

(٣) (منه) ساقطة من (ع) .

(٤) في (أ) : (وأبو العالية) .

(٥) ذكره عنهم الثعلبي ٨٢/٣ ب ، والبغوي ٤٥/٦ ، والرازي ٢٢٤/٢٣ ، والقرطبي ٢٥٧/١٢ .

(٦) ذكره عنه البغوي ٤٥/٦ من رواية سعيد بن جبیر ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩٦/٦ ، وعزاه إلى الفريابي . وروى الطبري ١٨/١٣٧ ، وابن أبي حاتم : ٤٥/٧ أ من رواية علي بن أبي طلحة عنه ، نحو هذا .

وروي عن أبي بن كعب أنه قال في هذه الآية : ثم ذكر نور المؤمن فقال : «مَثَلُ نُورِهِ» يقول : مثل نور المؤمن ، وكان أبي يقرأها (مثل نور المؤمن) قال : وهو عبد قد جعل القرآن والإيمان في صدره»^(١) .

وهذا القول كما روى عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : «مثل نور من آمن بالله»^(٢) .

وهذا قول عامر الشعبي^(٣)^(٤) . وقال السدي : «مثل نوره في قلب المؤمن قال^(٥) : وهو قراءة ابن مسعود : (مثل نوره في قلب المؤمن)»^(٦) .

وهذا كقول الكلبي في عود الكناية إلى اسم الله تعالى .

وعلى القول الثاني عادت الكناية إلى غير مذكور وهو المؤمن^(٧) .

(١) رواه الطبري ١٣٦/١٨ ، وابن أبي حاتم ٤٤/٧ ب ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩٧/٦ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه .

(٢) رواه ابن أبي حاتم ٤٥/٧ أ ، والحاكم في مستدركه ٣٩٧/٢ من رواية عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، به . وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩٦/٦ عن ابن عباس ، وعزاه إلى مَنْ تقدّمت ترجمته .

(٣) في (ظ) و(ع) : (والشعبي) ، وهو خطأ .

(٤) روى عبد بن حميد وابن الأنباري كما في الدر المنثور للسيوطي ١٩٦/٦ عن الشعبي قال : «في قراءة أبي بن كعب : (مثل نور المؤمن كمشكاة)» .

(٥) ذكر البغوي ٤٥/٦ قراءة ابن مسعود من دون قول السدي .

(٦) ساقط من (ظ) و(ع) .

(٧) ذكر ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ٩ التقديرين في عود الكناية ، وزاد ثالثاً وهو ما سيذكره الواحدي في ما بعد وهو أن الضمير يعود إلى رسول الله ﷺ ، ثم قال : والصحيح أنه يعود على الله سبحانه وتعالى ، والمعنى : مثل نور الله - سبحانه وتعالى - في قلب عبده ، وأعظم عباده نصيباً من هذا النور رسوله ﷺ . فهذا مع ما تضمّنه عود الضمير المذكور وهو وجه الكلام يتضمّن التقادير الثلاثة وهو آتم لفظاً ومعنى . وهذا النور يضاف إلى الله تعالى إذ هو معطيه لعبده وواهبه إياه ، ويضاف إلى العبد إذ هو محله وقابله ، فيضاف إلى الفاعل والقابل . اهـ .

قال الأخفش : «مثل ما أنار من الحق في بيانه»^(١) .

قوله : ﴿كَيْشْكُوفٌ﴾ . قال أبو عبيدة^(٢) والفراء^(٣) والكسائي^(٤) : «المشكاة : الكُوءُ ليست بنافذة» .

وأنشد أبو عبيدة^(٥) لأبي زبيد^(٦) :

كَأَنَّ عَيْنَيْهِ مَشْكَاَتَانِ فِي حَجَرٍ قِيضَا اقْتِيَاضًا^(٧) بِأَطْرَافِ الْمَنَاقِيرِ^(٨)

(١) معاني القرآن للأخفش ٦٤١ / ٢ .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٦ / ٢ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٥٢ / ٢ .

(٤) لم أجد قول الكسائي ، فلعله في الكتاب : الذي ذكره الأزهري في مقدمة كتابه تهذيب اللغة ١٦ / ٢ ، حيث قال : «وللكسائي كتاب : في معاني القرآن حسن وهو دون كتاب : الفراء ، وكان أبو الفضل المنذري ناوطني هذا الكتاب» .

(٥) ليس إنشاد أبي عبيدة في كتابه المجاز عند هذه الآية ، ولا في موضع آخر من كتابه .

(٦) هو حرملة بن المنذر ، وقيل : المنذر بن حرملة بن معديكرب ، أبو زبيد . تقدم .

(٧) في (ع) : اقتضاضاً .

(٨) البيت بهذه الرواية عند الثعلبي في الكشف والبيان ٨٣ / ٣ ب ، والقرطبي ٢٥٧ / ١٢ ، ٢٥٨ ، ولم ينسبها إلى أحد . وورد هذا البيت برواية أخرى لصدره منسوباً إلى أبي زبيد في كتابي : الشعر والشعراء لابن قتيبة ٥٤٢ ، والصناعتين لأبي هلال العسكري ١١٨ . ورواية ابن قتيبة :

كَأَنَّا عَيْنُهُ وَقَبَانٌ مِنْ حَجَرٍ قِيضَا

ورواية العسكري :

كَأَنَّ عَيْنَيْهِ فِي وَقَبَيْنِ مِنْ حَجَرٍ قِيضَا

وهو من قصيدة له يصف فيها الأسد .

والوَقَب : نُقْرَةٌ يجتمع فيها الماء ، وقِيضَا : حفرا ، والمناقير : جمع منقار وهو حديدة كالفأس مشككة مستديرة لها خلف ويُقَطَّع بها الحجار والأرض الصلبة . انظر : اللسان (وقب) ٨٠١ / ١ ، و(قيض) ٢٢٥ / ٧ ، وتاج العروس للزبيدي (نقر) ٢٧٤ / ١٤ .

وروى أبو عمر^(١) عن الكسائي الإمامة في (مشكاة) وهي غير ممتنعة^(٢)؛ لأن مشكاة إذا ثني انقلب ألفها ياء^(٣) سواء كان الألف فيها منقلبة عن ياء أو واو، وإذا كان كذلك لم تمتنع الإمامة^(٤).

قال ابن عباس في رواية عطاء وسليمان [بن قَتَّة^(٥)] ^(٦): «كَمْشَكُوفٌ» يعني كُوءٌ غير نافذة بلسان الحبش^(٧).

وهذا قول السدي، والكلبي، وقتادة^(٨)، وجميع المفسرين^(٩).

(١) في (ظ) و(ع): (أبو عمرو)، وهو خطأ. وهو أبو عمر الدُّوري كما في السبعة لابن مجاهد، والحجة للفارسي، واسمه حفص بن عمر بن عبدالعزيز، الدُّوري، الأزدي، البغدادي، النحوي، صاحب الكسائي، كان شيخ المقرئين في عصره، وقد طال عمره وقصد من الآفاق؛ لعلو سنده وسعة علمه، وكان عالماً بالقرآن وتفسيره، ذا دين وخير، ويقال إنه أول من جمع القراءات، توفي سنة ٢٤٦ هـ. انظر: تاريخ بغداد ٨/٢٠٣، ومعرفة القراء الكبار ١/١٩١، وغاية النهاية ١/٢٥٥، وتهذيب التهذيب ٢/٤٠٨، وشذرات الذهب ٢/١١١.

(٢) انظر: السبعة ٤٥٥، والمبسوط لابن مهران ١٠٨، وإرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي للقلانسي ٤١٦.

(٣) في الحجة: «إذا ثنيت انقلبت ألفها ياء».

(٤) من قوله: (وروى أبو عمر . . .) إلى هنا، هذا كلام أبي علي الفارسي في الحجة ٥/٣٢٢ مع اختلاف يسير.

(٥) (قَتَّة) مهملة في (أ) و(ظ).

(٦) ساقط من (ع).

(٧) روى عبد بن حميد كما في الدر المنثور للسيوطي ٦/١٩٩ عن ابن عباس قال: «المشكاة بلسان الحبشة: الكُوء».

(٨) لم أجد من ذكره عن السدي والكلبي، وعن قتادة رواه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٦٠.

(٩) نسبة المؤلف هذا القول إلى جميع المفسرين فيه تجاوز، إلا أن يريد أن جميع المفسرين قد حكى عنهم هذا القول، أو أن قولهم يرجع إلى هذا القول، فمجاهد مثلاً الذي سيحكي الواحدي عنه قولاً آخر روى عنه ابن أبي حاتم ٧/٤٥ ب أنه قال: «المشكاة الكُوء بلغة الحبشة»، ومحمد بن كعب الذي سيذكره الواحدي بعد ذلك يرجع قوله إلى أنها كُوء غير نافذة توضع فيها الفتيلة، وهكذا. فقد ذكر الطبري ١٨/١٣٧، ١٣٨ فيها أقوالاً بعد قوله: اختلف أهل التأويل في معنى المشكاة.

وذكر ابن أبي حاتم ٧/٤٥ فيها وجوهاً، وذكر فيها ابن الجوزي ٦/٤٠ ثلاثة أقوال، وحكى =

قالوا : هي الكُوة غير النافذة كما قال أهل اللغة ، غير أن بعضهم ذكر أنها بلغة الحبشة ، وهو السدي ، وعكرمة ، والكلبي^(١) ، وسعد^(٢) بن عياض ، وعطاء عن ابن عباس .

الماوردي في النكت والعيون ١٠٢/٤ فيها خمسة أقوال :

الأول : ما ذكر المؤلف أن المشكاة كُوة لا منفذ لها .

الثاني : المشكاة : القنديل .

الثالث : المشكاة : موضع الفتيلة من القنديل .

الرابع : المشكاة : الحديد الذي يعلق به القنديل ، وهي التي تُسمى السلسلة .

الخامس : المشكاة : صدر المؤمن .

وحكاية الماوردي للأخير محل نظر ؛ لأن مراد قائل هذا القول بيان المثل وما يقابله لا بيان لفظة المشكاة .

وقد رجَّح ابن كثير ٢٩٠/٣ القول الثالث بعد أن حكاه عن ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وغير واحد ، وقال : هذا هو المشهور .

(١) ذكر عنه الماوردي ١٠٣/٤ أنها لفظ حبشي معرب ، ولم يذكر عنه معناها .

(٢) في (أ) و(ظ) : (سعيد) ، والمثبت من (ع) ، وصحيح البخاري ، وجميع كتب التراجم . ووقع في المطبوع من الطبري : والدرا المنثور والمهذب في ما وقع في القرآن من المعرب : (سعيد) ، وهكذا وقع أيضاً في مصنف ابن أبي شيبة المطبوع ، وقد ذكر محققه أنه في الأصل وباقي النسخ : (سعد) ، فغيَّرها إلى سعيد تبعاً للطبري والدرا المنثور .

وهو سعد بن عياض الثمالي ، الأزدي ، الكوفي ، تابعي قليل الحديث . قال البخاري : «خرج فمات بأرض الروم» . انظر : التاريخ الكبير للبخاري ٦٢/٤ ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨٨/٤ ، ٨٩ ، والطبقات لابن سعد ١٧٦/٦ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٤٧٩/٣ .

وقوله : (رواه وكيع في تفسيره) ، كما في المهذب في ما وقع في القرآن من المعرب ١٤٤ ، وقد وقع فيه : (سعيد عن عياض) . فنصَّحت (بن) إلى (عن) عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعد بن عياض ، به . ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤٧٠/١٠ عن وكيع به ، ورواه البخاري في صحيحه ٤٤٦/٨ ، كتاب : التفسير ، باب : سورة النور معلقاً ، ووصله ابن حجر في تغليق التعليق ٢٦٤/٤ ، والفتح ٤٤٧/٨ من رواية ابن شاهين وأبي جعفر السراج في فوائده ، ورواه عن ابن عياض الطبري ١٣٩/١٨ من دون قوله : (بلسان الحبشة) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٠٠/٦ ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة .

وذكر محمد بن كعب القرظي المراد بالمشكاة فقال : «هي موضع الفتيلة من القنديل»^(١).

وذكره ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أيضاً ، فقال : «هي القصبة التي في جوف القنديل»^(٢).

قال الأزهري : «شبه الله - سبحانه - قصبة الزَّجَاجَة التي توضع فيها الفتيلة التي يستصبح^(٣) بها بكُوَّة غير نافذة ، ولذلك سمَّاه مشكاة»^(٤).

قوله : ﴿ فِيهَا مَصْبَاحٌ ﴾ : المصباح^(٥) : السَّراج في قول أهل اللغة^(٦) والتفسير^(٧).

قال الليث : «وهو قُرطه^(٨) الذي تراه في القنديل وغيره يضيء»^(٩).

قال مقاتل : «هو السراج التام الضوء»^(١٠).

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٥ / ٧ ب ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩٩ / ٦ ، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) رواه الطبري ١٨ / ١٤٠ ، وابن أبي حاتم ٤٥ / ٧ ب من رواية ابن أبي نجيح عنه . وعندهما : «الصُّفْر الذي في جوف القنديل» . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٠٠ / ٦ بمثل رواية الطبري ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد .

(٣) يستصبح بها ؛ أي يشعل بها السراج . لسان العرب (صبح) ٥٠٦ / ٢ .

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (شكا) ١٠ / ٣٠١ مع تقديم وتأخير .

(٥) في (أ) : (الزَّجَاجَة) ، وهو خطأ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (صبح) للأزهري ٤ / ٢٦٦ ، والصحاح للجوهري ١ / ٣٨٠ ، ولسان العرب ٥٠٦ / ٢ .

(٧) لأهل التفسير أقوالٌ في المصباح : أحدها : ما ذكره المؤلف . والثاني : إن المصباح : الفتيلة . والثالث : إن المصباح : الصُّوء . انظر : النكت والعيون للماوردي ٤ / ١٠٢ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٦ / ٤٠ .

(٨) قُرطه ؛ أي شُعلة النار . القاموس المحيط (القرط) ٢ / ٣٧٨ .

(٩) قول الليث في تهذيب اللغة للأزهري (صبح) ٤ / ٢٦٦ من دون قوله : (يضيء) ، وهو في العين (صبح) ٣ / ١٢٦ بمثل ما في تهذيب اللغة .

(١٠) انظر : تفسير مقاتل ٢ / ٣٨ ب .

قال أبو علي : « قوله : ﴿ فِيهَا مَصْبَاحٌ ﴾ صفة للمشكاة ؛ لأنها جملة فيها ذكر يعود إلى الموصوف »^(١) .

وقوله : ﴿ أَلَمْصَبَاحٌ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ . قال الفراء : « اجتمع القراء على ضم الزاي »^(٢) ، وقد يقال : زَجَاجَةٌ وزَجَاجَةٌ^(٣) .

وروى أبو عبيد عن الأموي^(٤) قال : « هو الزُّجَاجُ والزَّجَاجُ والزَّجَاجُ للقوارير »^(٥) ، قال : « وأقلها الكسر »^(٦) .

والمراد بالزَّجَاجَةِ هاهنا القنديل^(٧) .

قال أبو إسحاق : « النور في الزَّجَاجِ ، وضوء النار أبين منه في كل شيء ، وضوؤه يزيد^(٨) في الزَّجَاجِ »^(٩) .

(١) الحجة لأبي علي الفارسي ٣٢٢ / ٥ . انظر : الإملاء للعكبري ١٥٦ / ٢ ، والدر المصون ٨ / ٤٠٥ .

(٢) عند الفراء : (الزَّجَاجَةُ) .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٥٢ .

(٤) هو عبدالله بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص ، أبو محمد الأموي ، أحد اللغويين الكوفيين ، روى عنه أبو عبيد وغيره ، لقي العلماء ، ودخل البادية ، وأخذ عن فصحاء الأعراب ، وأخذ عنه العلماء ، وكان ثقة في نقله ، حافظاً للأخبار والشعر وأيام العرب . انظر : تهذيب اللغة ١ / ١١ ، ١٢ ، وإنباه الرواة للقفطي ٢ / ١٢٠ ، وبغية الوعاة ٢ / ٤٣ .

(٥) في (أ) : (القوارير) .

(٦) رواية أبي عبيد عن الأموي في تهذيب اللغة للأزهري (زَجَ) ١٠ / ٤٥٤ .

(٧) هذا قول الليث كما في تهذيب اللغة ١٠ / ٤٥٤ ؛ فقد ذكره بعد رواية أبي عبيد .

(٨) في (أ) : (يضيء) .

(٩) معاني القرآن للزَّجَاجِ ٤ / ٤٣ ، ٤٤ .

ثم وصف الزَّجَاجَةَ فقال : ﴿ الزَّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ ، ودُرِّيٌّ^(١) منسوب إلى أنه كالدر في صفائه وحسنه^(٢) .

قال أبو علي : « ويجوز أن يكون فعِيلاً من الدرء مخففة الهمزة انقلبت ياءً^(٣) ، كما تنقلب في النسيء والنبي ونحوه إذا خففت^(٤) ياءؤه^(٥) .

قال أبو إسحاق : « يقال للكوكب : درأ يدراً إذا تدافع منقضاً ، فتضاعف ضوؤه ، وهي النجوم الدَّراري التي تدرأ ؛ أي ينحط ويسير متدافعاً^(٦) .

وقال الفرَّاء : « درأ الكوكب إذ انحطَّ كأنَّه رُجم به الشيطان فيدفعه^(٧) ، والعرب تُسمِّي الكواكب العظام التي لا تعرف أسماءها : الدَّراري بغير همز^(٨) .

وهذا أيضاً على تخفيف الهمز ؛ لأن الأصل الهمز من الدرء وهو الدفع ، وذكرنا للدفع وجهين ؛ أحدهما ذكره أبو إسحاق ، والثاني ذكره الفرَّاء .

(١) (ودري) ساقطة من (أ) ، و(دري) بضم الدال وتشديد الراء المكسورة وتشديد الياء من غير همز ، وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم . انظر : السبعة ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، والتبصرة ٢٧٣ ، والتيسير ١٦٢ .

(٢) من قوله : (ثم وصف . . .) إلى هنا ، هذا كلام الزَّجَاج في معانيه ٤ / ٤٤ .

(٣) العبارة في الحجة : «مخفَّف الهمزة فانقلبت ياءً» .

(٤) في (ع) : (خفف) .

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي ٣٢٣ / ٥ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَاج ٤ / ٤٤ مع تقديم وتأخير .

(٧) عند الفرَّاء : «فيدمغه» .

(٨) معاني القرآن للفرَّاء ٢ / ٢٥٢ .

وذكر أبو علي وجهاً ثالثاً فقال : « المعنى أن ^(١) الخفاء اندفع عنه لتلائه في ظهوره فلم يخف كما خفي نحو الشها ^(٢) وما لا يحصى ^(٣) من الكواكب » ^(٤) .

[وقرأ أبو عمرو والكسائي : (درّي) مكسورة الدال مهموزة ^(٥) ، وهو فعيل من الدر الذي هو الدفع كما ذكرنا ، ومثله السكير والفسيق . قال أبو عثمان ^(٦) ، عن الأصمعي ، عن أبي عمرو ^(٧) قال : « مُدُ خرجت من الخندق لم أسمع أعرابياً يقول إلا كأنه كوكب درّي بكسر الدال ، من درأت النجوم تدرأ ، إذا اندفعت ، وهذا فعيل منه » ^(٨) .

قال سيويوه : « (درّي) بكسر الدال إذا كان مضيئاً فهو مشتق من درأ يدرأ إذا ^(٩) كان ضوءه يدفع بعضه بعضاً من لمعانه » ^(١٠) .

وقال ابن الأعرابي : « درأ علينا فلان ؛ أي هجم . قال : والدرّي : الكوكب المنقض يدرأ على الشيطان » ^(١١) .

(١) في (أ) : (أنَّ أن) مكررة .

(٢) الشها : كوكب خفي في بنات نعش الكبرى ، والناس يمتحنون به أبصارهم . الصحاح للجوهري ٢٣٨٦/٦ .

(٣) هكذا في النسخ جميعها ، وفي الحجة : «وما لم يُضىء» .

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي ٣٢٣/٥ ، وانظر في توجيه القراءة أيضاً : علل القراءات للأزهري ٥٤٥/٢ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٩٩ ، والكشف لمكي ١٣٨/٢ ، وإبراز المعاني لأبي شامة ٦١٤ .

(٥) انظر : السبعة ٤٥٦ ، والتبصرة ٢٧٣ ، والتيسير ١٦٢ .

(٦) هو أبو عثمان المازني .

(٧) هو أبو عمرو بن العلاء ، وفي (أ) : (أبي عمر) ، وهو خطأ .

(٨) من قوله : (وقرأ أبو عمرو) إلى هنا ، هذا كلام أبي علي في الحجة ٣٢٣/٥ مع اختلاف يسير .

(٩) (إذا) ساقطة من (أ) .

(١٠) لم أقف عليه .

(١١) قول ابن الأعرابي في تهذيب اللغة للأزهري (دري) ١٥٨/١٤ .

وقال خالد بن يزيد : «درأ علينا فلان وطراً إذا طلع فجأة ، ودرأ الكوكب دروءاً من ذلك»^(١) .

وقال نصير الرازي : «دُرُوء الكوكب طلوعه ، يقال : درأ علينا»^(٢) .

وهذا القول في الكوكب الدُرِّي غير الأوّل .

وقال شمر : «يقال : درأت النار إذا أضاءت»^(٣) ، وهذا قول ثالث .

وقرأ حمزة (دُرِّي) بضم الدال مهموزاً^(٤) .

قال الفرّاء : «ولا تُعرف [جهة]»^(٥) ضمّ أوله وهمزه ؛ لأنه لا يكون في الكلام فعيل إلا عجمياً»^(٦) .

وقال أبو إسحاق : «لا يجوز أن يُضم الدال ويُهمز ؛ لأنه ليس في الكلام فعيل ، [والنحويون أجمعون لا يعرفون الوجه في هذا ؛ لأنه ليس في كلام العرب شيء على فعيل]»^{(٧)(٨)} .

(١) قول ابن يزيد في تهذيب اللغة للأزهري (دري) ١٥٨/١٤ ، ١٥٩ .

(٢) قول نصير في تهذيب اللغة للأزهري (دري) ١٥٩/١٤ .

(٣) قول شمر في تهذيب اللغة للأزهري (دري) ١٥٨/١٤ .

(٤) وهي أيضاً قراءة عاصم في رواية أبي بكر . انظر : السبعة ٤٥٦ ، والتبصرة ٢٧٣ ، والتيسير ١٦٢ .

(٥) زيادة من معاني الفرّاء يستقيم بها المعنى .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٥٢ .

(٧) ساقط من (ظ) .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٤ مع تقديم وتأخير .

وحكى أبو بكر عن أبي العباس^(١) أنه قال : « غلط من قرأ (دُرِّي) ؛ لأنه بناه على فعَّيل ، وليس في كلام العرب فعَّيل ، غير أن سيبويه^(٢) قال عن أبي الخطاب : وكوب دُرِّي ، وهذه أضعف اللغات ، قال : وهو في معنى (دُرِّي) مأخوذ من الضوء والتلاؤ و ليس بمنسوب إلى الدر » .

قال أبو علي : « وجه هذه القراءة معروف ، وهو أنه (فُعَّيل) من الدرء الذي هو الدفع ، وهو صفة ، ونظيره من الأسماء غير الصفة قولهم : المَرَّيق^(٣) ، وقد حكاه سيبويه » .

[قال سيبويه^(٤) : « ويكون الكلام على (فُعَّيل) وهو قليل في الكلام [قالوا]^(٥) : المَرَّيق ، حدثنا أبو الخطاب عن العرب قالوا : كوكب دري وهو صفة^(٦) . هكذا قرأته^(٧) على أبي بكر^(٨) بالهمز » . وقد صرح سيبويه بأنه فعَّيل ، وأنه في الصفة مثل المَرَّيق في الاسم . ويدلك أيضاً على أن (دُرِّي) عنده (فُعَّيل) ما قبله وما بعده في الكتاب من الفصول ، فالذي قبله (فُعَّيل) وهو^(٩) [في]^(١٠) الاسم : السكين

(١) هو المبرد .

(٢) انظر : الكتاب : ٢٦٨ / ٤ .

(٣) المَرَّيق : حَبُّ العصفور . لسان العرب (مرق) ٣٤٢ / ١٠ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٥) زيادة من الإغفال والكتاب : يستقيم المعنى بها .

(٦) الكتاب : ٢٦٨ / ٤ .

(٧) القارئ هو أبو علي الفارسي .

(٨) هو أبو بكر السراج .

(٩) في (أ) : (فهو) .

(١٠) زيادة يستقيم بها المعنى .

والبطّيح ، والصفة : الفسّيق^(١) ، وبعده (فُعَيْل) في الاسم : العليق والقبيط^(٢) ،
والصفة : الرُّمِيل والسكيت^{(٣)(٤)} .

فكما^(٥) أن ما^(٦) بعد^(٧) الياء في هذه الفصول لامات ، كذلك ما بعد الياء
في (دري) لام ، وقد ثبت الضم مع الهمز بحكاية سيبويه وإثبات أبي الحسن^(٨)
وغيره ، وقول من زعم أن ذلك ليس في كلامهم مع ما حكيناه غلط ، ومما يثبت ما
حكيناه ويقوّيه قولهم : العُلَيَّة^(٩) ، وهو فعيلة من [العلو إلا أن اللام انقلبت للياء
الساکنة قبلها^(١٠) ، ولا يجوز أن يكون فعيلة من]^(١١) مضاعف^(١٢) العين واللام ، لأن
معنى العلو قائم فيه ، فلا يحمل اللفظ إلى^(١٣) غير العلو مع وجود هذا المعنى فيه ،

- (١) انظر : الكتاب : ٢٦٨ / ٤ .
- (٢) العليق : نبات يتعلق بالشجر ، ويلتوي عليه . لسان العرب (علق) ١٠ / ٢٦٥ .
والقبيط : النَّاطِف ، وهو نوع من الحلوى يصنع من اللوز والجوز والفسق . انظر : لسان العرب
(قبط) ٧ / ٣٧٣ ، والمعجم الوسيط ٢ / ٩٣٠ ، ٩٣١ .
- (٣) في (ظ) و(ع) : (السكيت) من دون واو . والسكيت : هو الذي يبيء في آخر الحلبة آخر الخيل . لسان
العرب (سكت) ٢ / ٤٤ .
- (٤) والرُّمِيل : الضعيف الجبان . القاموس المحيط ٣ / ٣٩٠ .
- (٥) انظر : الكتاب : ٢٦٨ / ٤ .
- (٦) في (أ) : (وكما) .
- (٦) (ما) ساقطة من (أ) .
- (٧) في (ع) : (بعده) .
- (٨) هو الأُخفش . انظر : الإغفال : ل ١١٧ ب .
- (٩) العُلَيَّة : الغرفة . لسان العرب (علا) ١٥ / ٨٦ .
- (١٠) قال الجوهرى في الصحاح ٦ / ٢٤٣٧ : «وأصله علّوية ، فأبدلت الواو ياءً وأدغمت ، لأن هذه الواو
إذا سكّن ما قبلها صَحَّتْ ، وهو من علوت» .
- (١١) ساقط من (ظ) .
- (١٢) في (ظ) و(ع) : (تضاعف) ، والمثبت من (أ) هو الموافق لما في الإغفال .
- (١٣) في (ع) : (على) .

وهذا قول الأَخفش ، ومثله : السرية^(١) وهي فعيلة من السَّرو^(٢) ، ولأن صاحبها إذا أراد استيلادها لم يمتنها ولم يبتذها [كما يبتذل]^(٣) من لا يراد للاستيلاذ ، ولا يكون فعيلة من السَّرِّ لأن السَّرَّ لا يتجه فيها إلا أن يريد : [أن]^(٤) المولى قد يُسر بها عن حرّية^(٥) . ويجوز إن أخذتها من السرور لأن صاحبها يُسر بها^(٦) أمران :

أحدهما : أن يكون فعلية^(٧) من السرور ، والآخر : أن تكون فعيلة^(٨) فأبدل من لام فعيلة للتضعيف حرف الليل وأدغم^(٩) ياء فعيلة فيها فصارت سرّية^(١٠) .

قال : ولا يكون فعيلة^(١١) من السراة لأن السراة : الظهر ، وهي لا تؤتى من ذلك المأتى ، ومن رأى ذلك جاز عنده أن يكون فعيلة من السراة .

(١) السرية : هي الجارية المتخذة للملك والجماع . لسان العرب (سرر) ٣٥٨ / ٤ .

(٢) السَّرو : الشرف والمروءة . لسان العرب (سرا) ٣٧٧ / ٤ .

(٣) ساقط من (ظ) و(ع) .

(٤) زيادة من الحجة يستقيم بها المعنى .

(٥) في (أ) و(ع) : (حرية) ، وهي مهملة في (ظ) .

قال ابن منظور في لسان العرب (حرر) ١٨٢ / ٤ : «وحرية العرب : أشرفهم ويقال : هو من

حرية قومه ، أي من خالصهم» . اهـ . ووقع من المطبوع من الحجة : (عَمَّنْ حَدَّثَهُ) ، وهو تصحيف .

وقد تكون الكلمة : (حرته) ، فتصحفت في النسختين ؛ ففي لسان العرب (سرر) ٣٥٨ / ٤ ، وتاج

العروس للزبيدي (سرر) ١٣ / ١٢ : «والسرية : الأمة التي بوأنتها بيتاً ، وهي فعيلة منسوبة إلى السَّرِّ ،

وهو الجماع والإخفاء ، لأن الإنسان كثيراً ما يسرها ويسترها عن حرّته» .

(٦) في الحجة : «لأن صاحبها يسر بها من حيث كانت نفساً عن الحرة» .

(٧) في (ظ) : (فعيلة) ، وهو خطأ .

(٨) في (أ) : (فعيلة) ، وهو خطأ ، وهكذا وقع أيضاً في المطبوع من الحجة .

(٩) في (أ) : (وأدغمها) .

(١٠) يعني أنها فعيلة ؛ أي سريرة من السرور ، فأبدل لام فعيلة -وهو الراء- للتضعيف حرف الياء

فأصبحت سرية ، وأدغم هذه الياء في ياء فعيلة فأصبحت سرّية .

(١١) في (أ) : (فعيلة) .

هذا الذي حكينا كلامه ذكر بعضه في كتاب إصلاح الإغفال^(١) وبعضه في الحجة^(٢) في وجه تصحيح قراءة حمزة . والقدماء من النحويين على إنكارها ، ويقولون في المريق : إنه أعجمي ، ذكر ذلك أبو العباس المبرّد وغيره ، والله أعلم .

وذكر أبو عبيد لهذه القراءة وجهاً آخر فقال : «كان في الأصل دروء على فعول ثم استثقلت الضمات المجتمعة فرد بعضها إلى الكسر فقليل : درّى ، وقد وجدنا العرب تفعل هذا في فعول وهو أخف من الأول ، كقراءة من قرأ : (عتياً) [مريم : ٨] بالكسر ، فإذا كان التحريك ممكناً في المثال الأخف فهو في الثقيل أخرى وأمكن»^(٣) .

وحكى أبو إسحاق في هذا الحرف قراءة شاذة وهي (درّى) بالفتح من غير همز^(٤) .

قال أبو علي : «ولا يكون ذلك إلا على تغيير النسب ، ألا ترى أنه ليس في الكلام شيء على فاعيل إلا ما حكاه أبو زيد أن بعضهم قال : عليكم بالسَّكينة في السَّكينة ، وذلك نادر ، فإذا كان كذلك علمت أنه مثل قولهم في الإضافة إلى أُمِّيَّة : أموي»^(٥) .

(١) الإغفال ٢/ ١١٤٢-١١٤٩ .

(٢) انظر : الحجة ٥/ ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(٣) ذكر الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٨٣ ب كلام أبي عبيد مع اختلاف يسير .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٤ . وقد نسبت هذه القراءة إلى سعيد بن المسيب ، ونصر بن عاصم ،

وأبي رجاء العطاردي ، وقتادة ، وزيد بن علي ، والضحاك . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٦ ،

والمحتسب لابن جني ٢/ ١١٠ ، والبحر المحيط ٦/ ٤٥٦ .

(٥) الإغفال ٢/ ١١٤٧ .

قوله (يُوقَدُ) : قرأ ابن كثير وأبو عمرو^(١) بالتاء مفتوحة ونصب الدال^(٢) ، على أن فاعل (توقد) المصباح ، وهذه القراءة هي البينة ؛ لأن المصباح هو الذي يتوقد . قال امرؤ القيس :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ رُهَبَانٍ تُشَبُّ لِقْفَالِ^(٣)

(١) في (أ) : (وابن عمرو) ، وهو خطأ .

(٢) (توقد) . انظر : السبعة ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، والتيسير ١٦٢ .

(٣) البيت في : ديوانه ٣١ ، وروايته فيه :

نظرتُ إليها والنجومُ كأنَّها

وفي الحجة ٣٢٤/٥ بمثل رواية الواحدي ، وفي العمدة لابن رشيق ٤٥/٢ ، وخزانة الأدب ٦٨/١

بمثل رواية الديوان . وقبل هذا البيت :

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرَعَاتِ وَأَهْلُهَا بِيَثْرَبِ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرْتُ عَالِ

قال ابن رشيق في العمدة ٤٥/٢ : «ومن بيان المبالغة قول امرئ القيس يصف ناراً وإن كان فيه إغراق :

نظرتُ إليها والنجومُ والبيت .

يقول : نظرت إلى نار هذه المرأة تُشبُّ لقفال ، والنجوم كأنها مصابيح رُهبان ، وقد قال :

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرَعَاتِ البيت .

وبين المكانين بُعدٌ لأن أذرعات بالشام ويثرب هذه المدينة وإنما يرجع القفال من الغزو والغارات وجه الصباح فإذا رآها من مسيرة أيام وجه الصباح ، وقد خمد سناها وكلٌّ موقدها ، فكيف كانت أول الليل ؟ ! وشبَّه النجوم بمصابيح الرهبان أنها في السحر يضعف نورها كما يضعف نور المصابيح الموقدة ليلاً أجمع ، ولا سيما مصابيح الرهبان لأنهم يكلون من سهر الليل ، فربما نعسوا في ذلك الوقت .

ونقل البغدادي في خزانة الأدب ٦٩/١ عن بعضهم قوله : «ومن التشبيه الصادق هذا البيت ، فإنه شبَّه النجوم بمصابيح رهبان لفرط ضيائها ، وتعهد الرهبان لمصابيحهم وقيامهم عليها لتزهر إلى الصبح ، وكذلك النجوم زاهرة طول الليل وتتضاءل إلى الصبح كتضاؤل المصابيح له .

وقال : (تشبُّ لقفال) لأن أحياء العرب بالبادية إذا قفلت إلى مواضعها التي تأوي إليه من مصيف إلى مشتي إلى مربع ، أو قادت لها نيران على قدر كثرة منازلها وقتلتها ؛ ليهتدوا بها ، فشبَّه النجوم ومواقعها في السماء بتفرق تلك النيران واجتماعها من مكان بعد مكان ، على حسب منازل القفال بالنيران الموقدة لهم» . اهـ .

وَقُرِئَ (يُوقَدُ) بضم الياء وبالذال^(١) ؛ أي المصباح ، وهذه القراءة كالأولى في المعنى .

وَقُرِئَ (تُوقَدُ)^(٢) ؛ أي الزَّجَّاجَة ، والمعنى على مصباح الزَّجَّاجَة ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه^(٣) .

وَقُرِئَ (تَوَقَّدُ) بفتح التاء^(٤) وتشديد القاف وضم الدال^(٥) .

وهذا أيضاً على حمل الكلام على الزَّجَّاجَة ، والمعنى (تتوقَّدُ) ، فحذف التاء الثانية^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ ﴾ . قال أبو علي : «أي من زيت شجرة ، فحذف المضاف ، يدلُّك^(٧) على ذلك قوله : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهُ يَأْخُذُ ﴾^(٨) .

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر وحفص عن عاصم . انظر : السبعة ٤٥٦ ، والتبصرة ٢٧٣ ، والتيسير ١٦٢ .

(٢) بضم التاء والذال والتخفيف ، وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي بكر عن عاصم . انظر : السبعة ٤٥٦ ، والتبصرة ٢٧٣ ، والتيسير ١٦٢ .

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي ٣٢٥ / ٥ .

(٤) في (أ) : (الياء) ، وهو خطأ ، ومهملة في (ظ) .

(٥) وهي قراءة مجاهد ، والحسن ، والسلمي ، وابن محيصن ، وجماعة ، ورواية المفضل عن عاصم . انظر : الشواذ لابن خالويه ١٠٢ ، والبحر المحيط ٤٥٦ / ٦ ، والدر المصون ٤٠٧ / ٨ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢ / ٢٩٨ .

(٦) الحجة الفارسي ٣٢٥ / ٥ .

(٧) في (ظ) : (ويدلك) .

(٨) الحجة إلى الفارسي ٣٢٤ / ٥ .

روى أبو أسيد^(١) عن النبي ﷺ أنه قال : «كلوا الزَّيت^(٢) وادَّهِنُوا^(٣) به ؛ فإنه من شجرة مباركة»^(٤) .

وروى عبدالله بن جراد^(٥) أن النبي ﷺ قال : «اللهم بارك في الزيت والزيتون ، اللهم بارك في الزيت والزيتون»^(٦) .

(١) هو أبو أسيد- بفتح الهمزة- بن ثابت ، الأنصاري ، الزُّرقي ، المدني . قيل : اسمه عبدالله ، وكان يخدم النبي ﷺ . انظر : الكنى للدولابي ١٥ / ١ ، والاستغناء لابن عبدالبر ٩٢ / ١ ، والاستيعاب ٨٧٥ / ٣ ، وأسد الغابة ١٨٩ / ٣ ، والإصابة ٨ / ٤ .

(٢) في (ظ) و(ع) : (بالزيت) .

(٣) في (أ) : (واندهنوا) .

(٤) رواه الإمام أحمد ٤٩٧ / ٣ ، والدارمي ١٠٢ / ٢ ، والترمذي ٥٨٥ / ٥ في الأطعمة ، باب : ما جاء في أكل الزيت ، والحاكم في مستدركه ٣٩٧ / ٢ ، ٣٩٨ ، والبغوي في شرح السنة ٣١١ / ١ ، ٣١٢ ، وفي تفسيره ٤٧ / ٦ .

وتصحَّف في المطبوع من التفسير إلى : أسد بن ثابت ، وأبي أسلم الأنصاري . وصوابه : أسيد بن ثابت ، أو أبو أسيد الأنصاري ، كلهم من طريق سفيان ، عن عبدالله بن عيسى ، عن عطاء رجل كان بالشام وليس باب : ن أبي رباح ، عن أبي أسيد به . وعطاء هذا قال عنه الذهبي في الميزان ٧٧ / ٣ : «لَيْنَ البخاري حديثه ، لا يدري من هو» .

لكن ذكر الألباني في الصحيحة ١ / ٣٧٩ لهذا الحديث شواهد من حديث عمر وأبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم ، ثم قال ١ / ٤ ق ١١٢ : «وجملة القول أن الحديث بمجموع طريقَي عمر وطريق أبي أسيد- وتصحف في المطبوع إلى : -سعيد- يرتقي إلى درجة الحسن لغيره على أقل الأحوال ، والله أعلم» .

(٥) في (أ) : (جواد) ، وهو خطأ .

وهو عبدالله بن جراد بن المتفق بن عامر بن عقيل العامري ، العقيلي ، له صحبة ، من أهل الطائف ، روى عنه يعلى الأشدق وغيره ، التاريخ الكبير للبخاري ٣٥ / ٥ ، والاستيعاب ٨٨٠ / ٣ ، وأسد الغابة ١٣٢ / ٣ ، والإصابة ٢٧٩ / ٢ .

(٦) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٣ / ٨٤ أ من طريق يعلى الأشدق ، عن عمه عبدالله بن جراد به . وفي سنده يعلى الأشدق قال عنه البخاري : «لا يكتب حديثه» ، وقال أبو حاتم : «ليس بشيء» ، ضعيف في الحديث ، وقال أبو زرعة : «هو عندي لا يُصدَّق ، ليس بشيء» . انظر : التاريخ الصغير للبخاري ٢ / ١٦٥ ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٩ / ٣٠٣ ، والمغني في الضعفاء للذهبي ٢ / ٧٦٠ ، ولسان الميزان لابن حجر ٦ / ٣١٢ .

ومن البركة في الزيت والزيتون^(١) ما ذكره عطاء عن ابن عباس ، قال : «فيها أنواع من المنافع ، فالزيت يُسرج به ، وهو إدام ، وهو دهان ، وهو دباغ ، وهو وقيد^(٢) يوقد بحطبه وثقله^(٣) ، وليس منه شيء إلا وفيه^(٤) منافع حتى الرّماد يُغسل به الإبريسم»^(٥) .

ومن بركتها أنها أول شجرة نبتت بعد الطوفان ، وهي تنبت في منازل الأنبياء والمرسلين والأرض المقدسة ، ودعا لها سبعون نبياً بالبركة ، منهم : إبراهيم الخليل^(٦) - عليه السلام -^(٧) ونبينا محمد ﷺ كما ذكرنا .

وذكر الزّجاج من بركتها أن أغصانها تكون مورقة من أسفلها إلى أعلاها ، وليس في الشجر شيء يورق غصنه من أوله إلى آخره مثل الزيتون والرّمّان^(٨) .

(١) في (ع) : (الزيتونة) .

(٢) في (ع) : (وقود) ، وهما لغتان . انظر : القاموس المحيط (الوقد) ١/ ٣٤٦ .

(٣) في (أ) : (وتقله) ، ومهملة في (ظ) . والثقل : ما سفل من كل شيء . لسان العرب (ثقل) ١١/ ٨٤ .

(٤) في (ظ) و(ع) : (وفيها) .

(٥) ذكره عن ابن عباس القرطبي ١٢/ ٢٥٨ ، وذكره ابن الجوزي ٦/ ٤٣ من غير نسبة .

(٦) (الخليل) : زيادة من (ع) .

(٧) من قوله : (ومن بركتها . . .) إلى هنا ، ذكره الثعلبي ٣/ ٨٤ أ ، وصدّره بقوله : (قيل) . وما ذكر

يحتاج إلى دليل ، والله أعلم .

(٨) معاني القرآن للزّجاج ٤/ ٤٥ .

وكذلك قال أبو طالب في بعض القرشيين^(١) وقد مات بغزة^(٢) يرثيه :

بُورِكَ الْمَيِّتُ الْغَرِيبُ كَمَا بُورِكَ نَضْرُ^(٣) الرُّمَّانِ وَالزَّيْتُونِ^(٤)

- (١) هو مسافر بن أبي عمرو بن أمية ، ولذا يقول أبو طالب في مطلع قصيدته :
لَيْتَ شَعْرِي مُسَافِرَ بْنَ أَبِي عمرو وليتَ يقولُ المحزونُ
وانظر : خبر موت مسافر في الأغاني للأصفهاني ٥١ / ٩ ، والخزانة للبغدادي ٤٦٨ / ١٠ .
- (٢) في (أ) و(ظ) : (لعه) مهملة .
وغزة : موضع معروف من مشارف الشام . انظر : معجم البلدان لياقوت ٢٨٩ / ٦ ، ٢٩٠ ، ومعجم ما استعجم للبكري ٩٩٧ / ٢ .
ومسافر بن عمرو لم يمت بغزة ، وإنما مات بهالة أو تبالة . قال أبو طالب في تلك القصيدة :
مَيِّتٌ صِدْقٍ عَلَى هِبَالَةٍ أَمْسَيْتَ وَمِنْ دُونِ مَلْتَقَاكَ الْحَجُونُ
وفي ديوان أبي طالب ٥١ :
- مَيِّتٌ صِدْقٍ عَلَى تِبَالَةٍ
وهبالة : ماء لبني عقيل ، وقيل لبني نمير ، وقد ذكره ياقوت في معجم البلدان ٤٤٢ / ٨ ، وذكر فيه شعر أبي طالب . وانظر : معجم ما استعجم ١٣٤٤ / ٢ .
وتبالة : موضع قرب الطائف . معجم ما استعجم للبكري ٣٠١ / ١ .
أمّا الذي مات بغزة من القرشيين فهو هاشم بن عبدمناف كما ذكر ذلك ياقوت ٢٩٠ / ٦ ، والبكري في معجم ما استعجم ٩٩٧ / ٢ .
- (٣) في (أ) : (نضر) ، أهمل أوله ، وفي (ع) : (نضو) ، وفي (ظ) : (نضو) مهملة .
- (٤) البيت لأبي طالب ، وهو منسوب إليه في كتاب : التّبات للأصمعي ٢٦ حيث قال : «ويقال : نَضَحَ الشَّجَرُ يَنْضَحُ نَضْحًا ، إِذَا تَفَطَّرَ لِلتَّوْرِيقِ . قال أبو طالب بن عبدالمطلب :
بورك الميت الغريب كما بورك نضح الرمان والزيتون»
ونسب قريش لأبي عبدالله المصعب الزبيري ١٣٧ بمثل رواية الأصمعي .
وفي ديوان شيخ الأباطح أبي طالب (جمع أبي هفان المهزومي وشرح أبي الفتح ابن جني) ٢١ بمثل رواية الأصمعي .
والأغاني للأصفهاني ٥١ / ٦ ، وعنده :

بورك نضر الرمان والزيتون

والمحرر الوجيز لابن عطية ٥١١ / ١٠ ، والقرطبي ٢٥٨ / ١٢ ، وعندهما (نبح) في موضع (نضح) ، والبحر المحيط لأبي حيان ٤٥٧ / ٦ ، وعنده : (نَضْرُ) بمثل رواية الواحدي ، وخزانة الأدب للبغدادي ٤٦٣ / ١٠ ، ٤٦٧ ، وذكر رواية الديوان ورواية صاحب الأغاني ، لكن رواية صاحب الأغاني عنده : =

ولا يحتاج دهنه إلى عصّار يستخرجه^{(١)(٢)}، وهذه كلها من بركات هذه الشجرة.

وقوله: ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ بدل من قوله: ﴿شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾^(٣).

وخص الزيتون من بين سائر الأشجار؛ لأن دهنها أضوى وأصفى^(٤).

قوله: ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾. قال ابن عباس في رواية عكرمة: «هي شجرة بالصحراء»^(٥)، لا يظلمها شجر ولا جبل ولا كهف، ولا يوارىها شيء، وهو أجود لزيتها»^(٦).

.... كما بورك عُصْنُ الرِّيحَانِ والزيتون. والبيت غير منسوب في معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٤٥، وفي

المطبوع:

.... كما بورك نظم

وأحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٣٨٨، وعنده: (نضر).

أما معنى البيت فقد قال البغدادى في الخزانة ١٠/ ٤٧٠: «(بورك الميت ... إلخ): جملة دعائية، والبركة: الزيادة، والنضح بفتح النون وسكون الضاد المعجمة بعدها حاء مهملة: القليل ... نضح الشجر إذا تفتّر، وأراد به اسم المفعول؛ أي الفروع المنشقة عند ما يخرج. والزيتون معطوف على نضح».

(١) في (ع): (يخرجه أو يستخرجه).

(٢) هذا قول الثعلبي في تفسيره ٣/ ٨٤ أ.

(٣) ذكر أبو حيان ٦/ ٤٥٨ هذا القول، ثم قال: «وجوّز بعضهم أن يكون عطف بيان، ولا يجوز على مذهب البصريين، لأن عطف البيان عندهم لا يكون إلا في المعارف، وأجاز الكوفيون وتبعهم الفارسي أنه يكون في النكرات». وذكر السمين الحلبي في الدر المنثور ٨/ ٤٠٨ القولين، وذكر أن القول بالبدلية هو أشهرهما.

(٤) هذا قول الثعلبي في تفسيره ٣/ ٨٤ أ.

(٥) في (أ): (الصحراء).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ٧٤٧ ب، ٤٨ أ من رواية عكرمة عن ابن عباس، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٠١، وزاد نسبته إلى الفريابي، وذكره البغوي ٦/ ٤٧، وابن الجوزي ٦/ ٤٣ من رواية عكرمة عنه.

وقال السدّي : «يقول : ليست بشرقيّة يحوزها المشرق دون المغرب ، وليست^(١) بغربيّة يحوزها المغرب دون المشرق ، ولكنها على رأس جبل في صحراء تصيبها الشمس النهار كله»^(٢) .

وقال الكلبي : «هي بفلاة»^(٣) على تلعة^(٤) من الأرض لا يصيبها ظل غرب ولا شرق ، ولا يسترها من المشرق ولا من المغرب شيء ، وهو أصفى الزيت»^(٥) .
وقال قتادة : «هي شجرة لا يفي عليها ظل شرق ولا غرب»^(٦) ، ضاحية للشمس^(٧) ، وزيتها أصفى الزيت»^(٨) .

(١) في (ع) : (ولا) .

(٢) رواه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٨ / ٧ أ ، وذكره عنه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٣ / ٢٩١ .

(٣) فلاة : الصحراء الواسعة أو المستوية التي ليس فيها شيء . لسان العرب (فلا) ١٥ / ١٦٤ .

(٤) التلعة : ما ارتفع من الأرض . القاموس المحيط ٣ / ١٠ .

(٥) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٦٠ / ٢ عن الكلبي من قوله : (ولا يسترها) .

(٦) في (أ) زيادة (ويسترها من المشرق) بعد قوله : (ولا غرب) ، وهو انتقال نظر من الناسخ إلى السطر الذي قبله .

(٧) في (ع) : (للنّهار) .

(٨) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٦٠ / ٢ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٢٠٠ ، وعزاه أيضاً إلى عبد بن حميد والطبري ، ولم أره في الطبري .

ونحو هذا قال عكرمة^(١)، ومجاهد^(٢)، وجوير عن الضحاك^(٣)، وأكثر المفسرين^(٤)، واختاره الفراء، والزجاج^(٥).

قال الفراء: «الشرقية التي تأخذها الشمس إذا شرقت، ولا تصيبها [إذا غربت؛ لأن لها سترًا]^(٦)، والغربية التي تصيبها الشمس بالعشي^(٧) ولا تصيبها»^(٨) بالغداة، فلذلك قال: ﴿لَا شَرْقِيَّةٌ﴾ وحدها ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٌ﴾ وحدها، ولكنّها شرقية غربية، وهو^(٩) كما تقول في الكلام: فلان لا مُسافر ولا مُقيم، إذا كان يسافر ويقيم، والمعنى أنه ليس بمنفرد بإقامة ولا سفر^(١٠).

ونحو هذا قال أحمد بن يحيى^(١١)، فقال: «يقول: هي شرقية غربية، كما تقول: ليس هذا بأبيض ولا أسود، إذا كان له من كلا الأمرين قسط ونصيب».

-
- (١) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٨٤ أ، ورواه عنه سعيد بن منصور في سننه ١٦٠ أ، والطبري ١٨/ ١٤٢، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧/ ٤٨ أ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٠١ من رواية عبد بن حميد عنه.
- (٢) رواه الطبري ١٨/ ١٤٢، وابن أبي حاتم ٧/ ٤٨.
- (٣) قال السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٠١ بعد أن ذكر هذا القول عن ابن عباس: «وروى عبد بن حميد عن عكرمة، والضحاك مثله».
- (٤) انظر: الطبري ١٨/ ١٤٢، وابن أبي حاتم ٧/ ٤٧ ب، ٤٨ أ ب، وابن كثير ٣/ ٢٩٠، ٢٩١، والدر المنثور للسيوطي ٦/ ٢٠٠، ٢٠١.
- (٥) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٥.
- (٦) في (أ): (يستر).
- (٧) (بالعشي) ساقطة من (ع).
- (٨) ساقط من (ظ).
- (٩) في (أ): (وهذا).
- (١٠) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٥٣.
- (١١) هو ثعلب. وقد ذكر عنه هذا القول الثعلبي ٣/ ٨٤ أ.

قال الفرزدق :

بَأْيَدِي رِجَالٍ لَمْ يَشِيمُوا سِيُوفَهُمْ وَلَمْ يَكْثُرِ الْقَتْلُ^(١) بِهَا حِينَ سُلَّتِ^(٣)

يعني : شاموا سيوفهم وأكثروا بها من القتل .

وقال الزَّجَّاج : «أي تصيبها الشمس بالغداة والعشي فهو أنضر لها وأجود لزيته وزيتونها»^(٤) .

وفسر قوله : ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ بضد التفسير الذي ذكرنا :

قال أبو مالك في قوله : ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ : «هي شجرة بين^(٥) الأشجار ، لا تصيبها الشمس في شرق ولا غرب»^(٦) .

(١) في (ظ) و(ع) : (يكثروا) .

(٢) في (ظ) و(ع) : (القتل) .

(٣) البيت في المعاني الكبير لابن قتيبة ٢/ ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ١٠٨١ ، والكامل للمبرِّد ١/ ٣٠٨ ، والأضداد لابن الأنباري ٢٥٩ ، ولسان العرب (شيم) ١٢/ ٣٣٠ .

قال ابن قتيبة ٢/ ٩٠٠ : «أراد لا يشيمون سيوفهم ولم يكثروا القتل بها ، ولكنهم يشيمونها إذا أكثروا بها القتل» ، وقال ٢/ ١٠٨١ : «يقول : لم يغمدوا سيوفهم والقتل لم تكثر حين سلت ، ولكن أغمدوها حين كثرت القتل» . وقال المبرِّد في الكامل ١/ ٣٠٨ : «وهذا البيت طريف عند أصحاب المعاني ، وتأويله : (لم يشيموا) : لم يغمدوا ، (ولم تكثر القتل) أي لم يغمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتل بها حين سلت» . وقال ابن الأنباري ٢٩٥ : «أراد : لم يغمدوا سيوفهم حتى كثرت القتل» .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٤٥ .

(٥) في (أ) : (من) .

(٦) قال السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٠١ بعد أن ذكر عن ابن جبير نحو هذا القول : «وأخرج عبد بن حميد عن أبي مالك وكعب نحوه» .

وهذا قول أبي روق ، والضحاك^(١) ، وسعيد بن جبير^(٢) ، قالوا : « لا تصيبها الشمس لا شرقاً ولا غرباً » .

قال سعيد : « وذاك أجود ما يكون من الزيت »^(٣) .

وهذا القول يروى عن أبي بن كعب - رحمه الله - قال : « هي شجرة التفّ بها الشجر »^(٤) فهي خضراء ناعمة ، لا تصيبها الشمس على أي حال كانت لا إذا طلعت ولا إذا غربت »^(٥) .

وروى الربيع بن أنس^(٦) عن أبي العالية قال : « ليس هذا في الدنيا إنما هو مثل ضرب »^(٧) .

ونحو هذا قال الحسن : « ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا ، ولو كانت في الأرض لكانت شرقية أو غربية ، وإنما هو مثل ضربه الله عز وجل »^(٨) .

(١) جاء عن الضحاك خلاف هذا القول ، فقد ذكر السيوطي في الدر المنثور ٢٠١/٦ ، بعد ذكره قول ابن عباس : « شجرة لا يظلمها كهف ولا جبل ولا يوارىها شيء ، وهو أجود لزيتها » ، قال : « وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة والضحاك . . . مثله » .

(٢) رواه سعيد بن منصور في سننه : ل ١٦٠ أ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤٧/٧ ب ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٠١/٦ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) رواه ابن أبي حاتم ٤٨/٧ بمثله ، ورواه سعيد بن منصور في سننه : ل ١٦٠ أ بلفظ : « وهي من أجود الشجر » .

(٤) في (ظ) و(ع) : (الشجرة) .

(٥) رواه الطبري ١٨/١٣٨ ، وابن أبي حاتم ٤٧/٧ ب ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩٧/٦ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٦) في (ظ) : (عن أنس) ، وهو خطأ .

(٧) لم أجد من ذكره عنه .

(٨) ذكره عنه الثعلبي ٣/٨٤ بهذا اللفظ ، ورواه عبدالرزاق في تفسيره ٦٠/٢ ، والطبري ١٨/١٤٢ ، وابن أبي حاتم ٤٨/٧ ب بنحوه ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٠١/٦ ، ونسبه أيضاً إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

وقال ابن زيد : «يعني أنها شامية ؛ لأن الشام لا شرقي ولا غربي»^(١) .

والقول هو الأول .

قوله : ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾ : زيت الزيتون ، يعني الدهن (يُضيءُ) المكان من ضيائه وصفائه^(٢) .

﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ : ولو لم تصبه النار .

واختلفوا في المراد بهذا المثل .

فروي عن أبي بن كعب أنه قال : «هذا مثل إلى عبد قد جعل الإيمان والقرآن في صدره ، فالمشكاة : قلبه ، والمصباح : هو الإيمان والقرآن ، والزجاجاة : صدره»^(٣) .

قال الثعلبي ٤٨/٣ أ : «وقد أفصح القرآن بأنها من شجر الدنيا ، لأنه أبدل من الشجرة فقال : (زيتونة)» . وضعف هذا القول الرازي في تفسيره ٢٣/٢٣٦ ، وردّه الشنيطي كما في تفسير سورة النور ١٣٨ .

(١) رواه الطبري ١٨/١٤٢ ، وابن أبي حاتم ٤٨/٧ ب بنحو مختصراً .

(٢) الثعلبي ٨٤/٣ ب .

(٣) ذكره عنه الثعلبي ٨٥/٣ أ ، وعنده : (المشكاة : نفسه) ، ورواه الطبري ١٨/١٣٨ ، وابن أبي حاتم مرفقاً ٧/٤٥ أ ب ، ٤٦ أ ب عنه - رضي الله عنه - لكن في روايتهما أن المشكاة : صدره ، والزجاجاة : قلبه .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/١٩٧ بمثل رواية الطبري وابن أبي حاتم ، وعزاه إليهما ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه وغيرهم .

وهذا قول الكلبي، والسدي، وقتادة^(١) والحسن، وابن زيد^(٢)، وقول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير^(٣).

قال ابن عباس في قوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾: «يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونوراً على نور، كقول إبراهيم -عليه السلام- قبل أن تحيئه المعرفة ﴿هَذَا رَيِّي﴾ [الأنعام: ٧٦] من غير أن أخبره^(٤) أحد أن له رباً^(٥)، فلما أخبره الله أنه ربه ازداد هدى على هدى»^(٦).

قوله تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾: قال مجاهد: «النار على الزيت»^(٧).

وقال الكلبي: «المصباح نور، والقنديل نور»^(٨).

-
- (١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٩/٧ ب عن السدي وقتادة بمعناه مختصراً.
 - (٢) ذكره الثعلبي ٨٥/٣ أعن الحسن وابن زيد بنحوه، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٥/٧ أعن الحسن بنحوه، ورواه الطبري في تفسيره ١٣٩/١٨ عن ابن زيد بنحوه.
 - (٣) روى ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٥/٧ أ من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «مثل نوره»: مثل نور من آمن بالله.
 - (٤) عند الطبري: (يخبره).
 - (٥) ذكر ابن كثير ١٥١/٢ اختلاف المفسرين في قوله إبراهيم: ﴿هَذَا رَيِّي﴾ هل هو مقام نظر أو مناظرة، ثم قال: «والحق أن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- كان في المقام مناظراً لقومه، مُبَيِّناً لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام»، ثم بين ذلك وساق الأدلة على هذا الأمر.
 - (٦) رواه الطبري ١٣٨/١٨، وذكره مختصراً السيوطي في الدر المنثور ١٩٧/٦، ونسبه إلى الطبري وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي في الأسماء والصفات.
 - (٧) رواه الطبري ١٤٣/١٨، وابن أبي حاتم ٤٩/٧ ب، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٠٠/٦، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد.
 - (٨) ذكره عن ابن الجوزي ٤٣/٦، لكن فيه (الزجاج) بدلاً من (القنديل).

قال ابن عباس : « وهو مثل لإيمان المؤمن وعمله »^(١) .

وقال الحسن : « يعني أن القرآن نور من الله لخلقه مع ما قد »^(٢) قام لهم من الدلائل والأعلام قبل نزول القرآن »^(٣) .

وقال أبي بن كعب : « ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ : يعني أن المؤمن يتقلب في خمسة من النور : فكلامه نور ، وعمله نور ، ومدخله نور ، ومخرجه نور ، ومصيره إلى النور يوم القيامة »^(٤) .

وقال السدي : « نور الإيمان ونور القرآن »^(٥) .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : « ﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ : يعني محمداً ﷺ »^(٦) .

قال أبو إسحاق : « وذلك جائز أن يراد بالنور في قوله : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ محمد ﷺ لأنه هو المرشد والمبين والناقل عن الله - عز وجل - على ما هو نير بين »^(٧) .

(١) رواه الطبري ١٣٩/١٨ ، وابن أبي حاتم ٤٩/٧ أ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩٨/٦ ، ونسبه أيضاً إلى ابن مردويه .

(٢) (قد) ساقطة من (أ) .

(٣) ذكره عنه البغوي ٤٩/٦ ، وذكر الثعلبي ٨٥/٣ أ هذا القول بنصه غير منسوب إلى أحد .

(٤) رواه الطبري ١٣٨/١٨ ، وابن أبي حاتم ٤٩/٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩٧/٦ ، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه وغيرهم .

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٩/٧ ب ، وذكره عنه البغوي ٤٩/٦ ، وابن كثير ٢٩١/٣ .

(٦) هذا مروى عن سعيد بن جبير والضحاك وكعب . انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٤٥/٧ أ ، والبغوي ٤٥/٦ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤٣/٤ .

والمشكاة : قلبه ، والمصباح : مثل لما في قلبه من الإيمان والنور^(١) والنبوة والحكمة ، والزجاجة : مثل لصدره في الصفاء والحسن والنقاء ، ثم قال : ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾ يقول : استنار نور محمد ﷺ من نور إبراهيم عليه السلام ؛ لأنه من ولده وعلى دينه ومنهاجه وسُنَّته ، ويعني بالزيتونة حسن طاعة إبراهيم لله تعالى في دار الدنيا ، ثم قال في صفة الزيتونة : ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ يقول : إن إبراهيم - عليه السلام - لم يكن يصلي^(٢) قبل المشرق ولا قبل المغرب ؛ أي لم يكن يصلي قبله اليهود ولا قبله النصارى^(٣) ، وقوله : ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ﴾ يقول : لو أن إبراهيم لم يكن نبياً لأعطاه الله بحسن^(٤) طاعته لله في الدنيا الثواب مع الأنبياء ، ثم قال : ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ يقول : استنار نور محمد ﷺ من نور إبراهيم ، وهذا كلام ابن عباس في رواية عطاء^(٥) .

ونحو هذا روي عن ابن عمر^(٦) وكعب الأحبار^(٧) في هذه الآية .

(١) (والتور) ساقطة من (ع) .

(٢) في (أ) : (يصل) .

(٣) في (ظ) : (لليهود ، للنصارى) .

(٤) في (ظ) : (الحسن) .

(٥) لم أجده .

(٦) رواه الطبراني في الكبير ٣١٧/١٢ ، وفي الأوسط ٥٠١/٢ ، ٥٠٢ ، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٢٥٥٦/٧ ، والثعلبي في تفسيره ٨٤/٣ ب ، كلهم من طريق الوائز بن نافع ، عن سالم بن عبد الله ، عن ابن عمر ، فذكر نحوه . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٣/٧ : «رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه الوائز بن نافع وهو متروك» .

(٧) رواه الطبراني في تفسيره ١٣٧/١٨ ، وابن أبي حاتم في تفسيره مفرقاً ٤٦/٧ أ عن شمر بن عطية قال : جاء ابن عباس - رضي الله عنهما - إلى كعب الأحبار فقال : حدثني عن قول الله (الله نور السموات والأرض) ، فذكر نحوه . وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩٨/٦ ، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه . وهذا الأثر منقطع ؛ فإن شمر بن عطية لم يلق ابن عباس . قال أبو بكر ابن العربي في أحكام القرآن ١٣٨٩/٣ بعد ذكره هذا القول : «وهذا كله عدول عن الظاهر ، وليس يمتنع في التمثيل أن يتوسع المرء فيه ، ولكن على الطريقة التي شرعناها في قانون التأويل لا على الاسترسال المطلق الذي يخرج الأمر عن بابه : ويُحْمَلُ على اللفظ ما لا يطيقه» .

قال القرطبي : « المشكاة : إبراهيم ، والزَّجَّاجَة : إسماعيل ، والمصباح : محمد ﷺ ، والشجرة المباركة : إبراهيم ؛ لأن أكثر الأنبياء كانوا من صلبه ، ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ لم يكن يهودياً ولا نصرانياً . وقوله : ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ﴾ يقول : تكاد محاسن محمد ﷺ تظهر للناس قبل أن يوحى ^(١) إليه ، ﴿تُورُّ عَلَى نُورٍ﴾ نبي مرسل من نسل نبي مرسل ^(٢) .

وقال مقاتل : « شبه عبدالمطلب بالمشكاة ، وعبدالله بالزَّجَّاجَة ، والنبي محمد ﷺ بالمصباح ، فورث النبوة من أبيه إبراهيم - عليه السلام - ، وهو قوله : ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾ ^(٣) .

قوله تعالى : ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ . قال ابن عباس : «لدينه الإسلام» ^(٤) .

وإن شئت قلت للقرآن ، وإن شئت لمحمد ﷺ على اختلاف التفسير في قوله : ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾ .

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ﴾ : ويبيِّن الله الأشباه للناس تقريباً إلى الأفهام وتسهيلاً لسبل الإدراك ^(٥) ، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ .

(١) في (ظ) و(ع) : (أوحى) .

(٢) ذكره عنه الثعلبي ٨٤/٣ ب ، ٨٥ أ ، والبغوي ٤٨/٦ ، والقرطبي ٢٦٣/١٢ .

(٣) عند الثعلبي ٨٥/٣ أ : روى مقاتل عن الضحاك : شبه عبدالمطلب بالمشكاة . . . بمثل ما ذكره الواحدي هنا . فالذي يظهر أن الواحدي نقله عن الثعلبي وأسقط الضحاك ؛ لأن قول مقاتل في تفسيره والذي ينقل منه الواحدي عادة يختلف عما هنا ، فإن فيه ٣٨/٢ ب : «يعني بالمشكاة صُلب عبدالله أبي محمد ﷺ ، ويعني بالزَّجَّاجَة جسد محمد ﷺ ، ويعني بالسَّراج الإيَّان في جسد محمد ﷺ ، فلما خرجت الزَّجَّاجَة فيها المصباح من الكُوء صارت الكُوء مظلمة فذهب نورها ، والكُوء مثل عبدالله ، ثم شبه الزَّجَّاجَة بمحمد ﷺ . . . ويعني بالشجرة إبراهيم » . اهـ . وقد تقدّم كلام ابن العربي في هذه الأقوال البعيدة .

(٤) ذكره عنه البغوي ٤٩/٦ ، وذكره ابن الجوزي ٤٤/٦ من غير نسبة .

(٥) الثعلبي ٨٥/٣ ب .

٣٦. ﴿ فِي يُؤْتِ ﴾ : اختلفوا في المتصل به من قوله : ﴿ فِي يُؤْتِ ﴾ فذكر الزَّجَّاج^(١) والفراء^(٢) قولين :

أحدهما : أنه من صلة المشكاة على تقدير : كمشكاة فيها مصباح في بيوت [فيكون قوله : ﴿ فِي يُؤْتِ ﴾]^(٣) وصفاً للنكرة كما كان قوله : ﴿ فِيهَا مَصْبَاحٌ ﴾ وصفاً لها .

وهذا القول اختيار أبي علي ، قال : «وفي قوله : ﴿ فِي يُؤْتِ ﴾ ضمير مرفوع يعود إلى الموصوف ؛ لأن الظرف في الصفة مثله في الصلة»^(٤) .

القول الثاني : أن (في) متصلة بقوله : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ ﴾ ، ويكون^(٥) ﴿ فِيهَا ﴾ تكراراً على التوكيد كقولك : في الدار قام زيد فيها .

وهذا القول إنما هو على قراءة العامة^(٦) . [وعلى قراءة]^(٧) من قرأ (يُسَبِّح) بفتح الباء لا تكون (في) من صلة التسبيح . وذكر غيرهما^(٨) أن^(٩) (في) من صلة (توقد) ، هذا الذي ذكرنا معنى قول أهل المعاني .

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ٤٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

(٣) ساقط من (ع) .

(٤) الحجة لأبي علي ٥ / ٣٢٢ .

(٥) (ويكون) ساقطة من (أ) .

(٦) قرأ جمهور القراء : (يُسَبِّح) بكسر الباء ، وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر (يُسَبِّح) بفتح الباء . انظر : السبعة ٤٥٦ ، والتبصرة ٢٧٣ ، والتيسير ١٦٢ .

(٧) ساقط من (ع) .

(٨) ذكر ذلك الطبري ١٤ / ١٤٤ ، والثعلبي ٣ / ٨٥ ب ، وحكاه ابن عطية ١٠ / ٥١٣ ، وأبو حيان ٤٥٧ / ٦ عن الرماني .

(٩) (أن) ساقطة من (ع) .

والاختيار أن لا تجعل هذه الآية متصلة بما قبلها ؛ لأن الآية الأولى في^(١) ضرب المثل لنور المؤمن بالمشكاة التي فيها مصباح يُزهر بزيت^(٢) مضيء . ولا فائدة في وصف المصباح بكونه في بيوت أو في غيرها ، ولا تأكيد لضوئها بأن تُوصف^(٣) أنها في بيوت يذكر فيها اسم الله ، وأيضاً فإنه وحّد المشكاة وجمع البيوت ، ولا تكون مشكاة في بيوت^(٤) ، فإذاً الأولى أن يقال : قوله : ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ ابتداء كلام في وصف مساجد المؤمنين^(٥) الذين يذكرون الله فيها ويعبدونه ويصلون له .

وأماً معنى البيوت فقال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد المساجد»^(٦) ، وهو قول أبي صالح^(٧) ومجاهد في رواية ابن أبي نجيح^(٨) ، ومقاتل^(٩) ، وعكرمة^(١٠) ، والحسن^(١١) وأكثر المفسرين^(١٢) .

وعلى هذا الآية عامة في جميع المساجد .

-
- (١) في (ع) : (من) .
 (٢) في (ع) : (بنور زيت) .
 (٣) في (ع) : (تذكر) .
 (٤) حكي الرازي ٢/٢٤ هذا الاعتراض عن أبي مسلم بن بحر الأصفهاني .
 (٥) في (أ) و(ع) : (والمؤمنين) .
 (٦) لم أجد من ذكره عنه من رواية عطاء . وقد روى الطبري ١٨/١٤٤ ، وابن أبي حاتم ٧/٤٩ ب هذا القول عنه من رواية علي بن أبي طلحة ، ورواه الطبري ١٨/١٤٤ أيضاً من رواية العوفي .
 (٧) ذكره عنه ابن أبي حاتم ٧/٤٩ ب ، وابن كثير ٣/٢٩٢ .
 (٨) رواه عنه الطبري ١٨/١٤٤ من رواية ابن أبي نجيح ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٢٠٢ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد .
 (٩) انظر : تفسير مقاتل ٢/٣٩ أ .
 (١٠) ذكره عنه ابن أبي حاتم ٧/٤٩ ب ، وابن كثير ٣/٢٩٢ . وله قول آخر : «أنها البيوت كلها» . رواه عنه الطبري ١٨/١٤٤ ، وابن أبي حاتم ٧/٥٠ أ .
 (١١) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٦٠ ، والطبري ١٨/١٤٤ .
 (١٢) انظر : الطبري ١٨/١٤٤ ، وابن الجوزي ٦/٤٦ ، وابن كثير ٣/٢٩٢ .

قال ابن عباس في ما روى عنه سعيد بن جبير : «المساجد بيوت الله في الأرض ، وهي تُضيء لأهل السماء»^(١) كما^(٢) تضيء النجوم لأهل الأرض»^(٣) .

ومنه من خصَّص البيوت هاهنا ، فقال : هي أربعة مساجد لم يبنهنَّ إلا نبي :

الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل ، وبيت^(٤) أريحا بناه داود وسليمان ، ومسجد المدينة ومسجد قُباء بناهما النبي ﷺ ، وهذا قول ابن بريدة .

وقال السدي : «هي بيوت المدينة»^(٥) .

وإنما خصَّ بيوت المدينة لأنها كانت يُصلَّى فيها ، ويُذكر الله فيها حين نزلت هذه الآية .

وروى ليث عن مجاهد قال : «هي بيوت النبي ﷺ»^(٦) .

(١) في (أ) : (الشهادة) .

(٢) (كما) ساقطة من (أ) .

(٣) رواه الثعلبي في تفسيره ٨٥ / ٢ ب من طريق بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس به . وبكير بن شهاب قال فيه ابن حجر في التقریب ١٠٧ / ١ : «مقبول» . ومعنى مقبول عن ابن حجر : حيث يتابع ، وإلا فلنَّ الحديث . انظر : مقدمة التقریب ٥ ، ولم يتابع بكيراً أحداً ، فإسناده ضعيف . وذكره البغوي ٤٩ / ٦ من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس .

(٤) (بيت) : ساقط من (ع) ، وفيها : (وأريحا) . والمراد بأريحا وهي بالفتح ثم كسر الراء : بلدة في الأردن بالشام ، بينها وبين بيت المقدس مسافة يوم للفارس . معجم البلدان ١ / ٢١٠ .

(٥) ذكره عنه الثعلبي ٨٥ / ٣ ب .

(٦) رواه ابن أبي حاتم ٥٠ / ٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٠٣ / ٦ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم . وسنده ضعيف ؛ لأن فيه ليث بن أبي سليم وهو مجمع على ضعفه . وما تقدّم عن مجاهد هو الصحيح . وذكر هذا القول عن مجاهد أيضاً ابن الجوزي ٦ / ٦ ، والقرطبي ١٢ / ٢٦٥ .

وقد روي مرفوعاً أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية ، فسئل أي بيوت هذه ؟ فقال :
«بيوت الأنبياء»^(١) .

والقول هو الأول .

وقوله : ﴿ أَذِنَ اللَّهُ ﴾ . قال مقاتل : «أمر الله»^(٢) .

﴿ أَنْ تُرْفَعَ ﴾ . قال ابن عباس^(٣) ، ومجاهد^(٤) ، ومقاتل^(٥) ، وغيرهم^(٦) : «أن
تبنى ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ ﴾ [البقرة : ١٢٧]» .

وقال الحسن : «(تُرْفَع) أي تُعْظَم»^(٧) .

(١) رواه ابن مردويه كما في الدر المنثور ٢٠٣/٦ ، والثعلبي في تفسيره الكشف والبيان ٨٥/٣ ب
عن أنس بن مالك وعن بريدة . وهذا الحديث لا يصح ؛ لأنه من رواية نفع بن الحارث عن أنس
وبريدة . ونفع هذا قال عنه الحاكم : روى عن بريدة وأنس أحاديث موضوعة . وقال ابن عبد البر :
«اتفق أهل العلم على نكارة حديثه وضعفه ، وكذبه بعضهم ، وأجمعوا على ترك الرواية عنه ، وليس
عندهم شيء» ، وقال الذهبي : «هالك ، تركوه» ، وقال ابن حجر : «متروك ، وقد كذبه ابن معين» .
انظر : الاستغناء لابن عبد البر ١/٦٠٤ ، والمغني في الضعفاء للذهبي ٧٠١/٢ ، وتهذيب التهذيب
لابن حجر ١٠/٤٧٠ ، ٤٧٢ ، وتقريب التهذيب لابن حجر ٢/٣٠٦ .

(٢) تفسير مقاتل ٢/٣٩ أ .

(٣) ذكره عنه الرازي ٣/٢٤ ، وأبو حيان ٦/٤٥٨ ، وروى الطبري ١٨/١٤٤ ، وابن أبي حاتم ٧/٤٩
ب عنه قال : «تكرّم ، ونهى عن اللغو فيها» .

(٤) رواه الطبري ١٨/١٤٥ ، وابن أبي حاتم ٧/٥٠ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٢٠٢ ، وعزاه
إلى عبد بن حميد أيضاً .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٢/٣٩ أ .

(٦) هو الطبري ، قال في تفسيره ١٨/١٤٤ : «معناه : أذن الله أن ترفع بناءً ، كما قال جل ثناؤه : (وإذ يرفع
إبراهيم القواعد من البيت) ؛ وذلك أن ذلك هو الأغلب من معنى الرفع في البيوت والأبنية» .

(٧) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٦٠ ، ٦١ ، والطبري ١٨/١٤٥ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور :
٦/٢٠٢ ، ٢٠٣ ، وعزاه لمن تقدّم . وحكى الرازي في تفسيره ٣/٢٤ في قوله (تُرْفَع) قولاً ثالثاً هو
مجموع الأمرين ؛ أي تبنى وتُعْظَم . ولعل هذا الأقرب ؛ لأنه يعم القولين . قال العلامة الشنقيطي في
تفسير سورة النور ١٤١ : «والرفع قسبان : الأول : الرفع الحسي ، وهو رفع القواعد والبناء ، ومنه =

والمعنى : لا يتكلم فيها بالخنا^(١) .

قال أبو علي : « قوله : [أذن الله]^(٢) أن ﴿ تَرْفَع ﴾) صفة للبيوت ، والعائد منها إلى البيوت الذكر الذي في قوله : ﴿ تَرْفَع ﴾ »^(٣) .

قوله : ﴿ وَيُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُهُ ﴾ . قال مقاتل : « يوحد الله فيها »^(٤) .

﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا ﴾ : يُصَلِّيَ لله في تلك البيوت . ﴿ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ : يعني الصَّلوات المفروضة في قول المفسرين^(٥) .

قوله تعالى : (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) .

الثاني : الرفع المعنوي ، وذلك يكون بأداء عبادة الله فيها وصونها عما ينجسها حسياً كان أو معنوياً كارتكاب المنكرات .

وعماره المسجد الحقيقية هي العماره المعنوية ، فلو زخرف المسجد وارتكبت فيه المنكرات ، أو لم تقم فيه عبادة الله ، فليس بمعمور حقيقة . ولو بني بالنخل والجريد والطين وأقيمت فيه العبادة ، وطهر من الأقدار الحسنة والمعنوية فهو معمور حقيقة . ولهذا كان مسجد رسول الله ﷺ مبنياً بالجريد والنخل ، ومع ذلك كانت عمارته أعظم من اليوم ، وإن كانت عمارته الحسنة اليوم أعظم من ذلك اليوم .

(١) الخنا من الكلام : أفحشه . لسان العرب (خنا) ١٤ / ٢٤٤ .

(٢) ساقط من (أ) .

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي ٣٢٢ / ٥ .

(٤) تفسير مقاتل ٢ / ٣٩ أ . وفي الآية قولان آخران حكاهما الماوردي ٤ / ١٠٧ : أحدهما : يتلى فيها كتابه ،

قاله ابن عباس . الثاني : تُذكر فيها أسماءه الحسنى ، قاله ابن جرير .

وما حكاه الماوردي عن ابن عباس رواه الطبري ١٨ / ١٤٥ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٥٠ ب عنه من رواية علي بن أبي طلحة ، وقول الطبري في تفسيره ١٨ / ١٤٥ . قال أبو حيان ٦ / ٥٨٨ : « (ويذكر في اسمه) ظاهره مطلق الذكر فيعم كل ذكر » .

(٥) حكى الثعلبي ٣ / ٨٦ أ هذا القول عن المفسرين ، وحكاه البغوي ٦ / ٤٧ عن أهل التفسير ، ولم يذكره غيره . وعليه اقتصر الطبري ١٨ / ١٤٦ ، وابن كثير ٣ / ٢٩٤ . وحكى الماوردي ٤ / ١٠٧ ، وابن الجوزي ٦ / ٤٧ ، والرازي ٢٤ / ٤ قولين في التسييح :

أحدهما : ما ذكره هنا ، وعزاه الرازي إلى الأكثرين .

الثاني : إنه التسييح المعروف ، وعزاه ابن الجوزي إلى بعض المفسرين .

واستظهر الرازي هذا الوجه ؛ لأن الصلاة والزكاة قد عطفها على ذلك من حيث قال : « ذكر الله وإقام

٣٧. ﴿رَجَالٌ﴾ : وهي ترتفع بقوله (يُسَبِّحُ) .

وقرأ ابن عامر (يُسَبِّحُ) بفتح الباء^(١) ، وهذا على أنه أقام الجار والمجرور مقام الفاعل ، ثم فسّر من يُسَبِّحُ ؟ فقال : (رجال) أي يُسَبِّحُ له فيها رجال^(٢) ، ورفع رجالاً بهذا المضمّر الذي دلّ عليه قوله : (يسبح) ؛ لأنه إذا قال (يُسَبِّحُ) دلّ على فاعل التسبيح ، ومثل هذا قول الشاعر^(٣) :

لِيُنْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحُصُومَةٍ

الصلاة وإيتاء الزكاة . والأولى عموم ذلك للصلاة والتسبيح المعروف ؛ ولأن الصلاة مشتملة على التسبيح .

(١) وقرأ الباقر بكسرهما . انظر : السبعة ٤٥٦ ، والتبصرة ٢٧٣ ، والتيسير ١٦٢ .

(٢) (رجال) ساقطة من (ظ) .

(٣) هذا صدر بيت ، وعجزه :

وَمُخْتَبِطٌ مَّا تُطِيحُ الطَّوَائِفُ

وهو في الكتاب : لسيبويه ٢٨٨/١ منسوباً إلى الحارث بن نهبك ، وكذلك في شرح شواهد الإيضاح ٩٤ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٨٠/١ . وهو في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٤٩/١ ، والطبري ٢١/١٤ منسوباً إلى نهشل بن حرّيّ ، وروايته عندهما :

لِيُنْكَ يَزِيدُ بَائِسٌ لِّضِرَاعَةٍ وَأَشْعَثُ مِمَّنْ طَوَّحَتْهُ الطَّوَائِفُ

وصوب البغدادي في خزانة الأدب ٣١٣/١ هذه النسبة ، وذكر أقوالاً آخر في نسبة هذا الشعر . والبيت من غير نسبة في معاني القرآن للزجاج ٣٦/٤ ، والإيضاح العضدي للفارسي ١١٥ ، والخصائص لابن جني ٣٥٣/٢ . وهو من أبيات في رثاء يزيد بن نهشل ذكرها البغدادي في الخزانة ٣١٠/١ ، أولها :

لعمري لئن أمسى يزيد بن نهشل حشا جدت تسفي عليه الروائح

قال السيرافي في شرح أبيات سيبويه ١١٢/١ : «والضارع : الذي قد ذل وضعف ، والمختبط : السائل ، وتطيح : تهلك وقوله : مما تطيح (وما تطيح) مصدر بمنزلة الإطاحة ، كما تقول : يعجبني ما صنعت ؛ أي يعجبني صنعك . وأراد : مختبط من أجل ما قد أصابه من إطاحة الأشياء المطيحة ؛ أي . . . المهلكة . يريد أنه احتاج وسأل من أجل ما نزل به» . وقال ١١١/١ : «الشاهد فيه أنه رفع (ضارع) فعلٌ ، كأنه قال بعد قوله : (ليبك يزيد) : لييكه ضارعٌ» .

لَمَّا قَالَ : لِيكَ^(١) ، يَزِيدُ ، دَلَّ عَلَى فاعِلٍ للبكاء كأنه قيل : من ييكه^(٢) ؟ فقيل : ييكه ضارع .

والوجه قراءة الجمهور ، فيكون فاعِلٌ يُسَبِّحُ (رجال) الموصوفون^(٣) بقوله : ﴿لَا تُلْهِيمِمْ تِجَارَةً﴾^(٤) ؛ أي لا تشغلهم تجارة^(٥) .

قال مقاتل : «يعني الشراء»^(٦) ، وبنحوه قال الواقدي .

وعندهما أن التجارة اسم للشراء هاهنا خاصة لقوله : ﴿وَلَا يَبِيعُ﴾ ، فذكر البيع مفرداً .

وقال الفرّاء : «التجارة لأهل الجلب ، والبيع ما باعه الرجل على يديه ، كذا جاء في التفسير»^(٧) .

وهذا القول أولى ؛ لأن التجارة اسم للبيع والشراء ، فيبعد أن يخصّ بأحدهما^(٨) .

(١) في (أ) : (ليك) .

(٢) في (أ) : (ييكك) .

(٣) في (أ) : (الموصوفين) .

(٤) من قوله : (وقرأ ابن عامر . . .) إلى هنا ، نقلاً عن الحجة لأبي علي ٣٢٥/٥ ، ٣٢٦ مع اختلاف يسير جداً . وانظر : علل القراءات للأزهري ٤٥٦/٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ١٠٩/٢ ، ١١٠ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٥٠١ ، والكشف لمكي ١٣٩/٢ .

(٥) الثعلبي ٨٦/٣ ، والطبري ١٤٦/١٨ .

(٦) تفسير مقاتل ٣٩/٢ أ .

(٧) معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٣ .

(٨) قد ذكر المؤلف هنا قولين ، وفيه قول ثالث ذكره أبو حيان ٤٥٩/٦ قال : «ويحتمل أن يكون (ولا يبيع) من ذكر خاص بعد عام ؛ لأن التجارة هي البيع والشراء طلباً للربح ، وبَّه على هذا الخاص لأنه في الإلهاء أدخل ، من قبل أن التاجر إذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكليّة من صناعته أهته ما لا يلهيه شيء يتوقع فيه الربح ؛ لأن هذا يقين وذاك مظنون» .

وُخِصَّتِ التجارة بالذكر من بين الشواغل عن الصلوات^(١)؛ لأنها أعظم ما يشغل بها الإنسان عن الصلاة وأعمها^(٢).

قوله: ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾. قال المقاتلان: «يعني الصلوات المفروضة»^(٣).

وقال عطاء: «عن شهود الصلاة المكتوبة»^(٤).

قال ابن عباس: «يريد أنهم إذا حضر»^(٥) وقت الصلاة لم يلهمهم حب الربح أن يؤخروا الصلاة عن وقتها»^(٦).

وقال الثوري: «كانوا يشتركون ولا يدعون الصلاة في الجماعات في المساجد»^(٧).

وقوله: ﴿وَلِقَامِ الصَّلَاةِ﴾. قال الكلبي: «يعني: وإتمام الصلاة»^(٨).

والمعنى: لا تشغلهم عن أدائها وإقامتها لوقتها»^(٩).

(١) في (ظ): (الصلاة).

(٢) ذكر الثعلبي ٨٦/٣ أ هذا القول، وعزاه إلى أهل المعاني.

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ج ٧ ل ٥٠ ب عن مقاتل بن حيان، وذكره عنه ابن كثير ٣/٢٩٥. وقول مقاتل بن سليمان في تفسيره ٢/٣٩ أ.

(٤) ذكره عنه النحاس في معاني القرآن ٤/٥٣٩، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٢٠٧، وعزاه إلى الفريابي.

(٥) في (ظ): (حضروا).

(٦) ذكر السيوطي في الدر المنثور ٦/٢٠٧ عنه نحوه، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) لم أجده عن الثوري، وقد روى أن أبا حاتم ٧/٥١ أ ب روى عن الضحاك وسعيد بن أبي الحسن وعطاء نحو هذا المعنى.

(٨) ذكر ابن الجوزي ٦/٤٨ هذا القول مع زيادة (أداؤها لوقتها)، ولم ينسبه إلى أحد.

(٩) الطبري ١٨/١٤٧ مع اختلاف يسير.

وفائدة قوله : ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ بعد قوله : ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ، والمراد به الصلاة المفروضة إقامتها لوقتها^(١) .

قال الزَّجَّاج : «يقال : أقيمت الصلاة إقامة . وكان أصلها : إقواماً»^(٢) ، ولكن قلبت الواو ألفاً ، فاجتمعت ألفان ، فحذفت إحداهما وهي المنقلبة لالتقاء الساكنين ، وأدخلت الهاء عوضاً من المحذوف ، وقامت الإضافة هاهنا مقام الهاء المحذوفة»^(٣) .

وزاد الفراء بياناً فقال : «ومثله مما سقط بعضه فجعلت فيه الهاء قولهم : وعدته عدة ، ووزنته زنة ، ووجدت من المال جدة . لما أسقطت الواو من أوله كثر بالهاء في آخره ، وإنما أستجيز سقوط الهاء من قوله : ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ ؛ لإضافتهم إياها . وقالوا^(٤) : الخافض وما^(٥) خفض بمنزلة الحرف الواحد ، فلذلك أسقطوها^(٦) في الإضافة» ، وأنشد :

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدُّوا^(٧) الْيَبْنَ فَنَجَرْدُوا^(٨) وَأَخْلَفوكَ عَدَ^(٩) الْأَمْرِ الَّذِي وَعَدُوا^(١٠)

(١) ذكر البغوي ٥١ / ٦ ، وابن الجوزي ٤٨ / ٦ هذا المعنى ، ولم ينسبها إلى أحد .

(٢) في (أ) : (قواما) ، وفي (ظ) : (أقاموا) ، والمثبت من (ع) والمعاني .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٦ / ٤ .

(٤) في (ظ) و(ع) زيادة (في) بعد قوله : (قالوا) ، وليست عند الفراء في معانيه .

(٥) في (أ) : (ما) سقطت (الواو) .

(٦) في (ظ) : (كذلك سقطوها) .

(٧) في النسخ جميعها : (أجد) ، والتصويب من معاني الفراء وغيره .

(٨) في (ع) : (وانحدروا) .

(٩) في (أ) : (عدا) .

(١٠) البيت أنشده الفراء في معانيه ٢ / ٢٥٤ من غير نسبة ، وهو منسوب إلى الفضل بن عباس اللهي في

شرح شواهد الشافية ٦٤ ، ولسان العرب (غلب) ٦٥١ / ٧ ، والمقاصد النحوية للعيني ٥٧٢ / ٤ .

والبيت بلا نسبة في الطبري ١٨ / ١٤٧ ، والخصائص ٣ / ١٧١ ، ولسان العرب (خلط) ٢٩٣ / ٧ .

يريد : عدة الأمر فاستجاز إسقاط الهاء حين أضافها^(١) .

وقوله : ﴿وَلِيَأْخُذُوا زَكَاةً﴾ . قال ابن عباس : «إذا حضر وقت الزكاة^(٢) لم يحبسوها» .

هذا قوله في رواية عطاء^(٣) .

وهو قول الحسن ، قال : «يعني الزكاة الواجبة في المال»^(٤) .

وروي عن ابن عباس أنه قال : [«يعني بالزكاة^(٥) : طاعة الله والإخلاص»^(٦) .

وعلى هذا المعنى أنهم يبذلون من أنفسهم الطاعة الخالصة لله ، ولعل الأقرب هذا ؛ فإنه ليس كل المؤمنين من أهل الزكاة الواجبة في المال ، بل عامتهم فقراء لا تجب عليهم الزكاة فلا يحسن إخراجهم عن هذه الجملة ، كيف وقد قال مقاتل^(٨) في هذه الآية : «نزلت في أصحاب الصفة ، وهم كانوا من أفقر الناس وأزهدهم في الدنيا» .

(١) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٥٤ .

(٢) في (ظ) زيادة : (الواجبة في المال) بعد قوله : (الزكاة) ، وهو انتقال نظر من الناسخ .

(٣) ذكره عنه البغوي ٦ / ٥١ من غير نصٍّ على رواية عطاء .

(٤) ذكره عنه الثعلبي ٣ / ٨٦ ب ، والقرطبي ١٢ / ٢٨٠ .

(٥) ساقط من (ظ) .

(٦) في (أ) : (الزكاة) .

(٧) رواه عنه الطبري ١٨ / ١٤٧ ، ١٤٨ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٥٢ من طريق علي بن أبي طلحة .

(٨) مقاتل هنا هو ابن حيان . وقد ذكر عنه هذا القول الثعلبي ٣ / ٨٦ ب .

وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾: ذكروا فيه ثلاثة^(١)
أقوال:

أحدها: إن القلوب زالت عن أماكنها من الصدور، فنشبت^(٢) في الحلق
عند الحناجر، والأبصار تزرق^(٣) فتكون زرقاً، قاله مقاتل بن سليمان^(٤).

ونحوه قال الضحاك: «يُحْشَرُ الْكَافِرُ وَبَصَرُهُ حَدِيدٌ، فَتَرْزُقُ [عَيْنَاهُ]^(٥)، ثم
يعمى، وينقلب قلبه في جوفه يريد أن يخرج فلا يجد مخلصاً، حتى يقع في الحنجرة،
فذلك قوله: ﴿إِذَا الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨]»^(٦).

القول الثاني: إن القلوب تتقلب من الطمع في النجاة والخوف من الهلاك،
والأبصار تتقلب من أين يؤتون كتبهم؟ أمن قبل الأيمان أم من قبل الشكائل؟^(٧).

القول الثالث: ذكره الفراء، والزجاج، وابن قتيبة، وهو أن كان قلبه
مؤمناً بالبعث والقيامة ازداد بصيرة ورأى ما وعد به، ومن كان قلبه^(٨) على غير
ذلك رأى ما يوقن معه بأمر القيامة والبعث؛ فعلم بقلبه وشاهد ببصره، فذلك
تقلب القلوب والأبصار.

-
- (١) في (أ) زيادة (أوجه) بعد قوله: (ثلاثة)، ولا معنى لها.
 - (٢) فنشبت؛ أي عقلت. الصحاح للجوهري (نشبت) ٢٢٤/١.
 - (٣) في تفسير مقاتل: (تقلب). ومعنى تزرق: يغشى سوادها بياض، وقيل خضرة في سواد العين. لسان العرب (زرق) ١٣٨/١٠، ١٣٩.
 - (٤) تفسير مقاتل ٣٩/٢.
 - (٥) عيناه: ساقطة من (ظ) و(ع).
 - (٦) رواه عنه ابن أبي حاتم ٥٢/٧ مختصراً، وذكره عنه الرازي ٦/٢٤.
 - (٧) هذا قول الطبري ١٤٨/١٨، ونسبه إليه ابن الجوزي ٤٨/٦، وذكره الثعلبي ٨٦/٣ والبغوي ٥١/٦، والقرطبي ١٢/٢٨٠، ٢٨١، ولم ينسبه إلى أحد.
 - (٨) في (أ): (في قلبه)، وهو خطأ.

هذا كلام أبي إسحاق^(١)، وهو معنى قول الفراء^(٢).

وقال ابن قتيبة: «يريد أن القلوب يوم القيامة تعرف الأمر يقيناً فتقلب عما كانت عليه من الشك والكفر، والأبصار ترى يومئذٍ ما كانت مغطاة عنها فتقلب عما كانت عليه، ونحوه قوله: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ [ق: ٢٢]^(٣)».

والوجه قول أبي إسحاق لدخول قلوب المؤمنين والكافرين في ما ذكر من التفسير^(٤).

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/٤٧.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٣.

(٣) مشكل القرآن لابن قتيبة ٣٢٩.

(٤) قال ابن عطية ١٠/٥١٧ بعد ذكره هذا القول الذي ذكره الواحدي عن الفراء والزجاج وابن قتيبة: «وليس يقتضي هولاً»، قال: «ومقصد الآية هو وصف هول يوم القيامة... وإنها معنى الآية عندي أن ذلك اليوم—لشدة هولـه ومطلعه—القلوب والأبصار فيه مضطربة قلقلة متقلبة من طمع في النجاة إلى طمع، ومن حذر هلاك إلى حذر، ومن نظر من هول إلى النظر في الآخر». اهـ.

واستبعد أبو حيان ٦/٤٥٩ القول الذي ذكره الواحدي، واستظهر ما قاله ابن عطية.

واستظهر الشنقيطي—رحمه الله—في أضواء البيان ٦/٢٤٠: «أن تقلب القلوب هو حركتها من أماكنها من شدة الخوف كما قال تعالى: ﴿إِذْ أَلْقُوهُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨]، وأن تقلب الأبصار هو زيغوغتها ودورانها بالنظر في جميع الجهات من شدة الخوف، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفَ رَأَيْتَهُمْ يَقْظِرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]، وكتوبه: ﴿وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠]، فال دوران والزيغوغة المذكوران يُعلم بهما معنى تقلب الأبصار، وإن كانا مذكورين في الخوف من المكروه في الدنيا». اهـ.

٣٨. قوله تعالى : ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ : اللام تتعلق^(١) بقوله : ﴿يُسَبِّحُ لَهُ﴾ ؛ أي يسبحون له تعالى : ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾^(٢) .

قال مقاتل : «يعني الذي»^(٣) عملوا من الخير ولهم مساوئ فلا يجزيهم بها»^(٤) .

والمعنى : ليجزيهم بحسناتهم ؛ والمراد بالأحسن : جميع الحسنات ، وهي موصوفة في مقابلة الذنوب بأنها أحسن^(٥) .

قوله تعالى : ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾ . قال ابن عباس : «تفضلاً منه عليهم» .

وقال مقاتل : «فضلاً على أعمالهم»^(٦) .

والمعنى أنه يزيدهم ما لا يستحقونه بأعمالهم^(٧) .

﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ مفسر في ما مضى^(٨) .

(١) في (أ) : (متعلق) .

(٢) قال السمين الحلبي في كتابه الدر المصون ٨ / ٤١١ بعد حكايته لهذا القول : «ويجوز تعلقه بمحذوف ، أي فعلوا ذلك ليجزيهم» . اهـ ، وجوز أبو البقاء العكبري في الإملاء ٢ / ١٥٦ أن تتعلق اللام بـ (يسبح) ، وبـ (لا تلهيهم) ، وبـ (يخافون) ، واستظهر أبو حيان ٦ / ٤٥٩ تعلقها بـ (يسبح) ، وجعل الزمخشري ٣ / ٦٩ اللام متعلقة بـ (يسبح) و(يخافون) ، فقال : «والمعنى : يسبحون ويخافون ليجزيهم» .

(٣) في النسخ جميعها : (الذين) ، والتصويب من تفسير مقاتل .

(٤) تفسير مقاتل ٢ / ٣٩ أ .

(٥) ذكر الشنقيطي في تفسير سورة النور ١٤٦ وجهاً آخر ، فقال : «أعمال الإنسان منها الحسن وهو المباح وهذا لا يجازى عليه ، ومنها الأحسن وهو المندوب والواجب ، وهو المراد بقوله : (أحسن ما عملوا)» .

(٦) تفسير مقاتل ٢ / ٣٩ أ .

(٧) هذا قول الثعلبي ٣ / ٨٦ ب . قال الطبري ١٨ / ١٤٨ : «يفضل عليهم من عنده بها أحب من كرامته لهم» .

(٨) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة : ٢١٢] .

ثم ذكر الكفار وضرب المثل لأعمالهم .

٣٩. فقال : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرِبٍ بِقِيَعَةٍ﴾ . قال الفرّاء : «السّرّاب ما لصق بالأرض ، والآل الذي يكون ضحى كالماء بين السماء والأرض»^(١) .

وقال ابن السكيت : «السّرّاب الذي يجري على وجه الأرض كأنه الماء ، وهو يكون نصف النهار ، وهو^(٢) الذي يلصق بالأرض»^(٣) .

وقال أبو الهيثم : «سُمِّي السّرّاب سرباً ؛ لأنه يسرب سرباً ؛ أي يجري جرياً . يقال : سرب الماء يسرب سروباً»^(٤) .

وقال الفرّاء : «القيعة»^(٥) : جمع القاع ، كما قالوا : جاز وجيزة . والقاع : ما انبسط من الأرض ، وفيه^(٦) يكون السّرّاب نصف النهار»^(٧) .

وقال الليث : «القاع أرض واسعة قد انفرجت عنها»^(٨) الجبال والآكام ، يقال : قاعٌ وأقوع وأقواع وقيعة وقيعان ، وهو ما استوى من الأرض ، لا حصى فيها ولا حجارة ، ولا ينبت الشجر ، وما حواليه أرفع منه ، وهو مصبُّ المياه»^(٩) .

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٥٤ .

(٢) في (أ) : (وهي) .

(٣) قول ابن السكيت في تهذيب اللغة للأزهري (سرب) ١٢ / ٤١٦ .

(٤) قول أبي الهيثم في تهذيب اللغة للأزهري (سرب) ١٢ / ٤١٦ .

(٥) في (أ) و(ظ) : (القيعة) .

(٦) في (ظ) : (وفيه وفيه) تكرار .

(٧) قول الفرّاء بنصّه في تهذيب اللغة للأزهري (قاع) ٣ / ٣٣ ، وهو في كتابه معاني القرآن ٢ / ٢٥٤ ، وليس فيه قوله : (وفيه يكون . . .) .

(٨) في (أ) : (عليها) .

(٩) قول الليث في تهذيب اللغة للأزهري (قاع) ٣ / ٣٣ .

قوله تعالى : ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ﴾ : وهو الشديد العطش ، يقال : ظمئ يظمأ ظمأً فهو ظمآن^(١) .

وقوله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ . قال أبو إسحاق^(٢) : «أي حتى إذا جاء إلى السَّراب وإلى موضعه رأى أرضاً لا ماء فيها»^(٣) ، وهو معنى^(٤) ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ .

قال المبرد : «أي شيئاً مما حسب»^(٥) ، وقال غيره : «أي شيئاً على ما قَدَّر»^(٦) .

قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير : «أعمال الكفار إذا احتاجوا إليها مثل السَّراب إذا رآه الرجل وقد احتاج إلى الماء ، فأتاه فلم يجده شيئاً ، فذلك مثل عمل الكافر يرى أن له ثواباً وليس له ثواب»^(٧) .

وقال قتادة : «هذا مثل ضربه الله لعمل الكافر [يحسب أنه في شيء كما يحسب السَّراب ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، وكذلك الكافر]^(٨) إذا مات لم يجد عمله شيئاً»^(٩) .

(١) تهذيب اللغة للأزهري (ظم) ٤٠١/١٤ مع تقديم وتأخير . انظر : الصحاح للجوهري (ظمأ) :

٦١/١ ، ولسان العرب (ظمأ) ١١٦/١ .

(٢) من هنا يبدأ الحزم في نسخة (ظ) .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤٧/٤ .

(٤) في (ع) : (قوله) .

(٥) ذكر البغوي ٥٢/٦ هذا المعنى والذي بعده ، وساقها مساقاً واحداً من غير نسبة إلى أحد .

(٦) هذا قول الثعلبي في تفسيره ٨٦/٣ ب .

(٧) لم أجده من رواية سعيد بن جبير ، وقد روى الطبري ١٨/١٤٩ ، وابن أبي حاتم ٥٣/٧ من طريق العوفي ، عن ابن عباس ، نحوه .

(٨) ساقط من (ع) .

(٩) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٦١/٢ ، والطبري ١٨/١٤٩ ، وابن أبي حاتم : ٧٥٣/٧ .

وقال مجاهد : «عمل الكافر [إذا جاءه لم يجده شيئاً ، وإتيانه إياه^(١) : موته وفراقه الدنيا»^(٢) .

وروى الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب في هذه الآية قال : «كذلك^(٣) الكافر»^(٤) يجيء يوم القيامة وهو يحسب أن له عند الله خيراً فلا يجده ويدخله الله النار»^(٥) .

مقاتل : يقول : «هكذا الكفار حتى إذا انتهى الواحد منهم إلى عمله يوم القيامة وجده لم يغن^(٦) عنه شيئاً ، كما لم يجد العطشان السراب شيئاً ، حتى انتهى إليه فمات من العطش وهلك^(٧) ، فكذا^(٨) الكافر يهلك يوم القيامة»^(٩) .

وقال أبو إسحاق : «أعلم الله - عز وجل - أن الكافر الذي يظن أن عمله قد نفعه عند الله ظنّه كظن الذي يظن أن السراب ماء»^(١٠) .

(١) في (أ) و(ع) : (إياها) ، والتصويب من الطبري وابن أبي حاتم وغيرهما .

(٢) رواه الطبري ١٨/١٤٩ ، وابن أبي حاتم ٧/٥٣ ب ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٢١٠ ، وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) كذلك : ساقطة من (ع) .

(٤) ما بين المعقوفين في حاشية (أ) ، وعليه علامة التصحيح .

(٥) رواه الطبري ١٨/١٤٩ ، وابن أبي حاتم ٧/٥٣ ب ؛ وذكره السيوطي في الدر المنثور : ٦/١٩٧ ، ١٩٨ ، وعزاه أيضاً إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه .

(٦) في (أ) : (يغن) مهملة الأول ، وفي (ع) : (تغن) ، والمثبت من تفسير مقاتل .

(٧) في (أ) : (أو هكذا) .

(٨) في (أ) : (وهكذا) .

(٩) تفسير مقاتل ٢/٣٩ أ .

(١٠) معاني القرآن ٤/٤٧ .

وقال ابن قتيبة : «الكافر يحسب ما قَدَّم من عمله نافعاً كما يحسب العطشان السراب من البعد ماءً يرويه ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَهُ﴾ ؛ أي مات لم يجد عمله شيئاً لأن الله -عز وجل- قد أبطله بالكفر ومَحَقَّه»^(١) .

وقوله : ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ . قال مقاتل : «وجد الله بالمرصاد عند عمله ﴿فَوَفَّيْنَاهُ حِسَابَهُ﴾ يقول جازاه بعمله»^(٢) .

وقال الفراء : «﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ عند عمله يقول : قدم على الله فوفاه حسابه»^(٣) .

وقال صاحب النظم في هذه الآية : «هذا نظم غامض ؛ لأنه -عز وجل- وصف أعمال الكفار التي يريدون بها البرَّ في الدنيا بأنها^(٤) تبطل في الآخرة ولا تنفعهم شيئاً ، فشبهها بالسراب الذي يحسب الظمآن أنه ماء فإذا جاءه لم يجده شيئاً ، كذلك الكفار في أعمالهم لا تنفعهم ولا تُقبل منهم فهي كأنها لا شيء ، وقوله : ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ﴾ متصل بالظمآن دون الكفار ، إلا أنه -عز وجل- لمَّا جعل الظمآن والسراب مثلاً للكفار في بطول أعمالهم ، أقامه^(٥) مقامهم في ما يصير إليه عاقبة أمورهم ، فقال : ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوَفَّيْنَاهُ حِسَابَهُ﴾ فجاء بذكر الظمآن على التوحيد ، والمعني^(٦) به الكفار ؛ لأن الظمآن هاهنا مثل لا عين يقصد بالخبر ، والعين المقصود بالخبر هم الكفار ، وهم يُوفَّون الحساب ، يدلُّك^(٧)

(١) مشكل القرآن لابن قتيبة ٣٢٩ .

(٢) تفسير مقاتل ٣٩ / ٢ أ .

(٣) معاني القرآن ٢ / ٢٥٤ .

(٤) في (ع) : (وأنها) .

(٥) في (ع) : (قامه) .

(٦) في (ع) : (المعني) .

(٧) في (ع) : (يدل) .

على ذلك قوله : ﴿ فَوَقَّعْنَاهُ حِسَابَهُ ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [وهذا لا يحتمل اتصاله بالظمان ؛ لأنه لا يكون هنالك حساب ، وإنما الحساب في الآخرة] . هذا كلامه .

ومعنى هذا أن قوله : ﴿ وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ ﴾ في الظاهر خبر عن الظمان ، والمراد به الخبر عن الكفار ، ولكن لما ضرب الظمان مثلاً للكفار جعل الخبر عنه كالخبر عنهم .

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾^(١) . قال مقاتل : « يخوفهم بالحساب كأنه قد جاء »^(٢) ، والمعنى على هذا أنه عن قريب يحاسب الكفار .

وهذا الوجه سوى ما ذكرنا الوجه في معنى ﴿ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾^(٣) في سورة البقرة^(٤) .

٤٠ . ﴿ أَوْ كُظِّمَتْ ﴾ . قال أبو إسحاق : « أعلم الله أن أعمال الكفار إن مثلت بما يوجد ، فمثلها مثل السراب ، وإن مثلت بما يرى ، فهي كهذه »^(٥) .
الظلمات التي وصف في قوله : ﴿ أَوْ كُظِّمَتْ فِي بَحْرِ لُجِّي ﴾ الآية^(٦) .

(١) ساقط من (ع) .

(٢) تفسير مقاتل ٣٩ / ٢ ب ، وفيه كأنه قد كان .

(٣) (الحساب) ساقطة من (أ) .

(٤) ذكر الواحدي في البسيط عند قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [البقرة : ٢٠٢] أقوالاً هي على سبيل الاختصار :

١ . إنه سريع الحساب ؛ لأنه علم ما للمحاسب وما عليه قبل حسابه .

٢ . إن المعنى : والله سريع المجازاة للعباد على أعمالهم وإن كان قد أمهلهم مدة من الدهر .

٣ . إنه سريع الحساب ؛ أي الإحاطة والعلم ؛ لأنه لا يحتاج إلى عقد يد ، ولا وعي صدر ، ولا روية كالعاجزين .

(٥) في (ع) : (كذلك) .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤٨ / ٤ .

ومعنى قوله (بما يوجد وبما يرى) يعني بالعين وبالأثر^(١). فالتشبيه بالسراب تشبيه بعين، والتشبيه بالظلمات تشبيه بأثر وحدث.

وقال صاحب النظم: «الآية الأولى في ذكر أعمال الكفار، ثم رجع إلى ذكر كفرهم فقال: ﴿أَوْ كُذِّبَتْ﴾ يعني كفرهم، ولم يذكر الكفر هاهنا إنما نسقه على أعمالهم لأن الكفر أيضاً من أعمالهم فشبهه^(٢) بالظلمات كما قال عز وجل: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] أي من الكفر إلى الإيمان يدل على ذلك قوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ يعني به الإيمان^(٣).

وقال أبو علي الفارسي: «قوله: ﴿أَوْ كُذِّبَتْ﴾ معناه: أو كذبي ظلمات، ويدل على حذف المضاف قوله: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ﴾ فالضمير الذي أضيفت إليه يده يعود إلى المضاف المحذوف. ومعنى ذي ظلمات أنه في ظلمات^(٤)، ومثل^(٥) حذف المضاف هنا حذفه في قوله: ﴿أَوْ كَصِيبٍ﴾ [البقرة: ١٩] تقديره: أو كذوي صيب، أو أصحاب صيب فحذف المضاف^(٦).

فعلى قول أبي إسحاق التمثيل وقع لأعمال الكافر، وهو قول عامة المفسرين^(٧). وعلى قول صاحب النظم التمثيل وقع لكفر الكافر، وعلى قول أبي علي التمثيل وقع للكافر^(٨)، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء، قال: «هذا مثل للمشرك».

(١) في (ع): (والأثر).

(٢) في (أ): (فشبهه).

(٣) ذكره القرطبي ١٢/ ٢٨٤، ٢٨٥ عن الجرجاني، وهو صاحب النظم، وذكره أيضاً عنه أبو حيان ٦/ ٤٦١.

(٤) هنا ينتهي الحرم في نسخة (ظ)، ويتبدئ الموجود من: (ومثل).

(٥) في (ع): (فمثل).

(٦) الحجة للفارسي ٥/ ٣٢٩، ٣٣٠. وقد تعقب أبو حيان ٦/ ٤٦١ هذا القول بأنه خلاف الظاهر.

(٧) انظر: الطبري ١٨/ ١٥٠، ١٥١، والثعلبي ٣/ ٨٧، وابن الجوزي ٦/ ٥١.

(٨) ذكر القرطبي ١٢/ ٢٨٤ هذا الكلام ونسبه إلى القشيري.

ونحو هذا قال قتادة: «هو^(١) مثل ضربه الله للكافر وأنه يعمل في ظلمة وحيرة»^(٢)، وهو قول أبي بن كعب^(٣).

وقال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: «هذا مثل قلب الكافر»^(٤).

وهو قول السدي^(٥)، ومقاتل^(٦)، والكلبي، والفراء^(٧).

قوله تعالى: ﴿فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ﴾. قال أبو عبيدة: «(لُجِّيٍّ) مضاف إلى اللجة، وهو معظم البحر»^(٨). وقال الليث: «بحر لُجِّيٍّ: واسع اللجة»^(٩).

وقال الفراء: «بحر لُجِّيٍّ ولجِّيٍّ، كما يُقال^(١٠): سُخْرِيٍّ وسُخْرِيٍّ»^(١١).

(١) في (ظ): (وهو).

(٢) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٦١/٢، والطبري ١٨/١٥٠، وابن أبي حاتم ٧/٥٤، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٢١٠، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد.

(٣) رواه الطبري ١٨/١٥١، وابن أبي حاتم ٧/٥٤ ب، والحاكم في مستدركه ٢/٣٩٩، ٤٠٠.

(٤) ذكره عنه القرطبي ١٢/٢٨٤.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٥٤ ب، وذكره عنه ابن كثير ٣/٢٩٦.

(٦) تفسير مقاتل ٢/٣٩ ب.

(٧) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٥.

(٨) مجاز القرآن ٢/٦٧.

(٩) قول الليث في تهذيب اللغة (لجّ) ١٠/٤٩٣، وهو في العين (لجّ) ٦/١٩.

(١٠) في (أ): (تقول).

(١١) قول الفراء بنصّه في تهذيب اللغة (لجّ) ١٠/٤٩٣، ولم أجده في المطبوع من معاني القرآن في هذا الموضع من سورة النور، لكن ذكر الفراء عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا﴾ [المؤمنون: ١١٠] بعد ذكره القراءتين بالضم والكسر عن الكسائي أنه قال: سمعت العرب تقول بحر لجي ولجي. انظر: معاني القرآن ٢/٢٤٣.

وقال المبرّد: «اللُّجِّي: العظيم اللُّجَّة، ومعناه: كثرة الماء. ولجج فلان إذا توسّط. ولجّة البحر: معظم مائه حيث لا يُرى أرض ولا جبل»^(١).

وقال ابن عباس: «﴿فِي بَحْرِ لُجِّي﴾ يريد: عميق».

وهو قول قتادة^(٢)، ومقاتل^(٣).

ومعنى «لُجِّي» له لُجَّة، ولُجَّتُهُ حيث يبعد عمقه، فهو بمعنى العميق، كما ذكره أهل التفسير.

قال مقاتل: «والبحر إذا كان عميقاً كان أشد لظلمته»^(٤).

وقوله: «يَغْشَاهُ مَوْجٌ»؛ أي يعلو ذلك البحر اللُّجِّي موج.

«مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ». قال ابن عباس: «يريد موجاً من فوق الموج»^(٥).

«مِّنْ فَوْقِهِ»: من فوق الموج»^(٦) «سَحَابٌ».

(١) لم أجده عن المبرّد. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (لجّ) ١٠/٤٩٣، ٤٩٤، والصحاح للجوهري

(لجج): ١/٣٣٨، ولسان العرب (لجج) ٢/٣٥٤.

(٢) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/٦١، والطبري ١٨/١٥١، وابن أبي حاتم: ٧/٥٤، وذكره السيوطي

في الدر المنثور ٦/٢١٠، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد.

(٣) تفسير مقاتل ٢/٣٩ ب.

(٤) تفسير مقاتل ٢/٣٩ ب.

(٥) ذكر الماوردي ٤/١١٠، وابن الجوزي ٦/٥٠، والقرطبي ١٢/٢٨٤ هذا القول من غير نسبة إلى

أحد.

وحكى الماوردي والقرطبي قولاً آخر هو: أن معناه يغشاه موج من بعده، فيكون المعنى: الموج يتبع

بعضه بعضاً حتى كأن بعضه فوق بعض، وهو أخوف ما يكون إذا توالى موجهه وتقارب.

(٦) ساقط من (ظ) و(ع).

﴿ظَلُمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ؛ يعني ظلمة البحر ، وظلمة الموج ، [وظلمة الموج] ^(١) فوق الموج ، وظلمة السحاب .

و﴿ظَلُمْتُ﴾ ^(٢) خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هذه ظلمات بعضها فوق بعض ^(٣) .

ومن قرأ ^(٤) (سحابٌ) بالتنوين و(ظلمات) بالكسر والتنوين جعلها بدلاً من الظلمات الأولى . ومن قرأ ^(٥) (سحابٌ ظلمات) فأضاف السحاب إلى الظلمات ، فالظلمات هي الظلمات التي تقدّم ذكرها ، وأضاف السحاب إليها لاستقلال السحاب وارتفاعه في ذلك الوقت ، وهو وقت كون هذه الظلمات كما تقول : سحاب رحمة ، وسحاب مطر ، إذا ارتفع في الوقت الذي يكون فيه المطر والرحمة ^(٦) .

فمن قال : هذا مثل لأعمال الكافر ، فالمعنى أنه يعمل في حيرة لا يهتدي لرشد ، فهو في جهله وحيرته كمن في هذه الظلمات .

(١) ساقط من (ظ) .

(٢) في (أ) : (وظلمات الموج) .

(٣) هذا توجيه لقراءة الجمهور (ظلمات) بالرفع والتنوين . وذكر مكي في الكشف ١٤٠ / ٢ وجهاً آخر لقراءة الجمهور فقال : «وَحُجَّةٌ مِنْ رَفَعِ (ظَلَمَاتٍ) أَنَّهُ رَفَعَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ ، وَ(بَعْضُهَا) ابْتِدَاءٌ ثَانٍ ، وَ(فَوْقَ) خَبَرٌ لـ (بَعْضٍ) ، وَخَبَرُهَا خَبَرٌ عَنْ ظَلَمَاتٍ» . ونقل أبو حيان ٦ / ٤٦٢ عن الحوفي تجويزه لهذا الوجه ، ثم قال : «والظاهر أنه لا يجوز لعدم المسوغ فيه للإبتداء بالنكرة ، إلّا إن قُدِّرَتْ صِفَةُ مُحذَوْفَةٍ أَيْ ظَلَمَاتٍ كَثِيرَةٌ أَوْ عَظِيمَةٌ بِبَعْضِهَا فَوْقَ بَعْضٍ» . انظر : الدر المنصون ٨ / ٤١٥ .

(٤) هو ابن كثير في رواية قبل . انظر : السبعة ٤٥٧ ، والتبصرة ٢٧٣ ، والتيسير ١٦٢ .

(٥) هو ابن كثير في رواية البرّي . انظر ما تقدّم من مراجع .

(٦) من قوله : (وظلمات خبر . . .) إلى هنا ، نقلاً عن الحجة للفارسي ٣٣٠ / ٥ مع اختلاف يسير .

انظر : إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ١١٣ / ٢ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٥٠٢ ، والكشف لمكي ١٣٠ - ١٣٩ .

قال أبي بن كعب : «الكافر يتقلب في خمس من الظلمات : كلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار»^(١) .

ومن قال : هذا مثل لكفر^(٢) [الكافر ، فكفره عمله كما بيّناه .

ومن قال : هذا مثل للكافر^(٣) ، فالكافر من عمله وكلامه متقلب في ظلمات وجهالة .

ومن قال : هذا مثل لقلب الكافر ، وهو قول عامة المفسرين^(٤) ، فقال الكلبي : «شبه قلب الكافر بالبحر ، يغشى ذلك البحر موج ، من فوق ذلك الموج موج . يعني ما يغشى قلبه من الشك والجهل والحيرة والرین والحثم والطبع»^(٥) .

وقال السدي : «يعني ظلمة القلب»^(٦) ، وظلمة الصدر ، وظلمة الجوف»^(٧) .

(١) رواه الطبري ١٨ / ١٥١ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٥٤ ب ، والحاكم ٢ / ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٩٨ ، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه .

(٢) في (ظ) : (لكافر) .

(٣) ساقط من (ع) .

(٤) نسب الثعلبي ٣ / ٨٧ أ القول بأن البحر اللجي هو مثل لقلب الكافر إلى المفسرين ، ونسب ابن الجوزي ٦ / ٥٠ هذا القول إلى الفراء ، ونسب إلى الجمهور أنه مثل لعمل الكافر .

(٥) ذكر القرطبي ١٢ / ٢٨٥ أن هذا المعنى روي عن ابن عباس وغيره ، وذكر الثعلبي ٣ / ٨٧ أن نحو هذا القول غير منسوب إلى أحد ، وذكر الشوكاني ٤ / ٤٠ هذا القول من دون نسبة ، وقال عنه : «إنه من غرائب التفاسير» ، وقال : «وهذا تفسير هو عن لغة العرب بمكان بعيد» . وذكر أبو حيان في البحر ٦ / ٤٦٣ نحو هذا المعنى ، وقال : «والتفسير بمقابلة الأجزاء شبيه بتفسير الباطنية وعدول عن منهج كلام العرب» .

(٦) في النسخ جميعها : (القبر) ، والتصويب من تفسير ابن أبي حاتم .

(٧) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧ / ٥٤٧ ب .

وهذا غير مرضي من القول ؛ لأن كل واحد بهذه الصفة لا ينفذ الضوء إلى جوفه و صدره وقلبه . إلا أن يراد بظلمة قلبه أنه لا يُبصر نور الإيمان ، ولا يعقل ، ثم يبقى عليه ظلمة الصدر والجوف ، فيحمل على ما قال مقاتل : « قلب مظلم في صدر مظلم ، وجسد مظلم لا يبصر نور الإيمان كما أن صاحب البحر إذا أخرج يده في الظلمة لم يكدرها »^(١) . فبين أن هذه الظلمات مثل لظلمات الجهل والحيرة .

وقوله : ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْهَا ﴾ تأكيد لشدة هذه الظلمات ، وهذا اللفظ يحمل^(٢) معنيين :

أحدهما : رآها^(٣) من بعد أن كان لا يراها من شدة الظلمة .

والثاني : لم يرها ولم يكدر .

قال الفرّاء : « والأول^(٤) وجه العربية^(٥) ، والثاني هو معنى الآية ؛ لأن أقل من هذه الظلمات التي وصفها لا يرى فيها الناظر كفه »^(٦) .

ونحو هذا قال الزّجاج سواء^(٧) ، وهو قول مقاتل^(٨) والمفسرين^(٩) ، قالوا : « معناه : لم يرها ألبتة » . قال الحسن : « لم يرها ولم يقارب الرؤية »^(١٠) .

(١) تفسير مقاتل ٣٩/٢ مع اختلاف يسير .

(٢) في (أ) : (محتمل) .

(٣) في (ظ) و(ع) : (يرأها) .

(٤) في (ظ) و(ع) : (فالأول) .

(٥) يعني أنه أظهر معاني الكلمة من جهة ما تستعمل العرب (كاد) في كلامها ، قاله الطبري ١٥١/١٨ .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢/٢٥٥ مع زيادة يسيرة وتقديم وتأخير .

(٧) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٤/٤٨ .

(٨) تفسير مقاتل ٣٩/٢ ب .

(٩) انظر : الطبري ١٥١/١٨ ، والثعلبي ٨٧/٣ أ .

(١٠) رواه ابن أبي حاتم ٥٥/٧ أ بمعناه ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٢١٠ بمثل رواية ابن أبي =

قال المبرّد: «لم يقارب أن يراها، ومعنى ﴿لَمْ يَكْدِرْنَهَا﴾: نفي المقاربة^(١) من الرؤية^(٢)».

وقال الأخفش: «إذا قلت: (لم يكد يفعل) كان المعنى: لم يقارب الفعل ولم يفعل، على صحة الكلام، وهكذا معنى الآية. إلا أن اللغة قد أجازت (لم يكد يفعل) وقد فعل بعد شدة^(٣)، وليس هذا صحة الكلام؛ لأنه إذا قال: (كاد يفعل) فإنما يعني قارب الفعل، وإذا قال: (لم يكد يفعل) يقول: لم يقارب الفعل». هذا كلامه^(٤).

فعند الأخفش والمبرّد: إذا قلت: لم يكد يفعل، نفي للفعل والمقاربة منه. وقال ابن الأنباري: «قال اللغويون: (كدت أفعل) معناه [عند العرب: قاربتُ الفعل ولم أفعل، و(ما كدت أفعل) معناه]^(٥): فعلت بعد إبطاء، وشاهده قوله: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] معناه: فعلوا بعد إبطاء، لتعذر وجدان البقرة عليهم».

حاتم، وعزاه إلى عبد بن حميد، وقد ذكر هذا القول عنه أيضاً الماوردي ١١١/٤، وابن الجوزي ٥٠/٦، والقرطبي ٢٨٥/١٢.

(١) في (أ): (والمقاربة).

(٢) في الكامل للمبرّد ٩٥/١: «(إذا أخرج يده لم يكد يراها)؛ أي لم يقرب من رؤيتها. وإيضاحه: لم يرها ولم يكد». وقد ذكر الثعلبي ٨٧/٣، والبغوي ٥٣/٦، وابن الجوزي ٥٠/٦، والقرطبي ٢٨٥/١٢ عن المبرّد خلاف هذا القول، وهو أن معنى (لم يكد يراها): لم يرها إلا بعد الجهد، كما يقول القائل: ما كدت أراك من الظلمة، وقد رآه ولكن بعد يأس وشدة.

(٣) هكذا في النسخ جميعها، وتهذيب اللغة للأزهري. وفي معاني القرآن: «لم يكد يفعل» بمعنى: فعل بعد شدة.

(٤) كلام الأخفش في تهذيب اللغة للأزهري (كاد) ٣٢٨/١٠، وهو في معاني القرآن للأخفش ٥٢٥/٢١ مع اختلاف يسير.

(٥) ساقط من (ظ).

قال : «وقد يكون (ما كدت أفعل) بمعنى : ما فعلت ولا قاربت ؛ إذ أُكِّد الكلام بأكد وجعل صلة^(١) . وعلى ما ذكره (يكد) صلة في الآية وتأکید ، والمعنى : لم يرها» ، وأنشد :

سَرِيعٌ إِلَى الْهَيْجَاءِ شَاكٍ سِلَاحَهُ فَمَا إِنْ يَكَادُ قِرْنُهُ يَتَنَفَّسُ^(٢)

أراد : ما إن يتنفس ، وأنشد لحسان^(٣) :

وَتَكَادُ تَكْسَلُ^(٤) أَنْ تَحِيَّاءَ فِرَاشِهَا

قال : أراد : وتكسل أن تحيء .

(١) كلام ابن الأنباري بنصّه في تهذيب اللغة (كاد) ٣٢٩/١٠ من دون قوله : (وجعل صلة) ، وفي

الأضداد لابن الأنباري ٩٨ ، والزاهر في معرفة كلام الناس له أيضاً ٩٠/٢ ، ٩١ نحو هذا الكلام .

(٢) هذا البيت أنشده ابن الأنباري في الأضداد ٩٧ من غير نسبة ، وروايته فيه :

سريعاً إلى الهيجاء .

وأنشده أيضاً في الزاهر ٩٠/٢ ، في إيضاح الوقف والابتداء ٨٠٠/٢ من غير نسبة .

والبيت لزيد الخليل ، وهو في : ديوانه ٧٤ ، والطبري ١٦/١٥١ ، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي

٤/٤٠٠ ، وتاج العروس للزبيدي (كود) ٩/١١٩ . الهيجاء : الحرب ، وشاك سلاحه ؛ أي لبس

سلاحه لبساً تاماً فلم يدع منه شيئاً ، وقرنه بالكسر : هو كفوّه ونظيره في الشجاعة والحرب . انظر :

لسان العرب (هيج) ٢/٣٩٥ ، و(شكك) ٩/٤٥٢ ، و(قرن) ١٣/٣٣٧ .

(٣) أنشده ابن الأنباري لحسان في الأضداد ٩٧ ، والزاهر ٢/٩١٤ ، وإيضاح الوقف والابتداء ٨٠٠/٢ ،

وتتمته :

في جسمٍ خرعيةٍ وحسنٍ قوامٍ

وهو في ديوانه ١/٢٩ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٣٨٢ ، وهو من قصيدة قالها يوم بدر يذكر

الحارث بن هشام بن المغيرة بن مخزوم وهزيمته ، وافتتحها بقوله :

تبلتُ فؤادك في المنام خريدةً تشفي الضّجيجَ بباردٍ بسّامٍ

(٤) في (أ) : (ويكاد يكسل) ، وهو خطأ .

قال : ويقال معنى قوله : ﴿لَمْ يَكْدِرْنَهَا﴾ : لم يُرد أن يراها ؛ لأن تلك الظلمات آيسته من تأمل يده ، فيكد بمعنى يُرد ، وأراد : أن يراها ، فحذف (أن) وارتفع الفعل كقوله : ﴿تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ﴾ [الزمر : ٦٤] . وقيل في قوله : ﴿كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف : ٧٦] : كذلك أردنا^(١) .

قوله تعالى : ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ . قال ابن عباس : «من لم يجعل الله له ديناً فما له من دين»^(٢) .

وقال السدي : «ومن لم يجعل الله له إيماناً فما له من إيمان»^(٣) .

وقال مقاتل : «يعني هدى ، وهو الإيمان»^(٤) .

وقال الزجاج : من لم يهده الإسلام لم يهتد^(٥) .

٤١ . ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ يَسْعَى لَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ : مضى تفسير هذا في سورة الحج^(٦) ، وعند قوله : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْعَى بِهِمْ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

(١) هذا القول حكاه ابن الأنباري في الأضداد ٩٧ ، ولم ينسبه إلى أحد ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٦١ / ٤ ، وقال : ذكره ابن القاسم ، يعني ابن الأنباري ، وذكره البغوي ٢٦٢ / ٤ غير منسوب إلى أحد ، وذكره القرطبي ٢٣٦ / ٩ منسوباً إلى ابن الأنباري .

(٢) ذكره عنه البغوي ٥٣ / ٦ ، وابن الجوزي ٥١ / ٦ ، والقرطبي ٥١ / ٦ .

(٣) رواه ابن أبي حاتم ٥٥ / ٧ ، وذكره عنه ابن الجوزي ٥١ / ٦ .

(٤) تفسير مقاتل ٣٩ / ٢ ب .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤٨ / ٤ ، وفيه : «من لم يهده الله إلى الإسلام لم يهتد» .

(٦) في (ظ) : في سورة سبحان عند قوله : (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) .

وقوله : ﴿وَالطَّيْرُ﴾ عطف على (من)^(١) ، وخص بالذكر ؛ لأنها تكون في الجو بين السماء والأرض ، فهي خارجة عن جملة ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿صَفَّيْتُ﴾ يعني باسطات أجنحتها في الهواء^(٣) .

وقوله : ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ . قال مجاهد : « الصلاة للإنسان ، والتسبيح لما سوى ذلك من خلقه »^(٤) .

وذكر الفراء^(٥) والزجاج^(٦) وصاحب النظم في هذا تقدير ثلاثاً^(٧) :

أحدها : أن يعود الضمير في الصلاة والتسبيح على لفظ (كل) ؛ أي إنهم يعلمون بما يجب عليهم من الصلاة والتسبيح .

والثاني : أن تكون الهاء راجعة على^(٨) ذكر الله - عز وجل - بمعنى : كل قد علم صلاة الله وتسبيحه الواجبين عليه .

(١) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣ / ١٤١ ، والإملاء للعكبري ٢ / ١٥٨ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٤١٨ / ٨ .

(٢) ذكر البغوي ٦ / ٥٣ هذا القول ، وصدره بقوله : (قيل) ، وذكره ابن الجوزي ٦ / ٥١ ، وأبو حيان ٦ / ٤٦٣ من دون نسبة .

(٣) الثعلبي ٣ / ٨٧ ب ، والطبري ١٨ / ١٥٢ .

(٤) رواه الطبري ١٨ / ١٥٢ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٥٥ ب ، وأبو الشيخ في العظمة ٥ / ٧٣٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٢١١ ، وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر ، ورواه أيضاً النحاس في معاني القرآن ٤ / ٥٤٣ من طريق ابن أبي شيبة .

(٥) انظر : معاني القرآن ٢ / ٢٥٥ .

(٦) انظر : معاني القرآن ٤ / ٤٨ ، ٤٩ .

(٧) في (ظ) و(ع) : (ثلاث) .

(٨) في (ظ) : (إلى) .

والثالث : أن يكون الذي يعلم^(١) هو الله عز وجل ، يعلم صلاة الكل منهم وتسبيحه .

واختار^(٢) الزَّجَّاج هذا القول ، فقال : «والأجود أن يكون : كلُّ قد علم الله صلاته وتسبيحه ، ودليل ذلك قوله : ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾»^(٣) .

وعلى هذا قال النحاس : «كان من حكم النظم أن يكون (وهو عليم بما يفعلون) ولكن إظهار المضمّر أفخم ، وأنشد سيبويه^(٤) :

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئًا نَغَصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَ^{(٥)(٦)}»

(١) في (ظ) : (يعلمه) .

(٢) في (أ) : (واختيار) .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/٤٩ . وعلى قول الزَّجَّاج هذا يكون قوله : (والله عليم بما يفعلون) تأكيداً لفظياً . واستظهر أبو حيان ٦/٤٦٣ القول الأول الذي ذكره الواحدي ، واستظهره أيضاً الشنيطي رحمه الله ، واستدل بقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور : ٤١] فقد ذكر فيها علمه ، وحمل الكلام على التأسيس أولى من حمله على التأكيد . انظر : أضواء البيان ٦/٢٤٤ ، ٢٤٥ .

(٤) البيت أنشده سيبويه في الكتاب : ١/٦٢ ، ونسبه إلى سودة بن عدي ، وكذلك نسبه إليه السيوطي في شرح شواهد المغني ٢/١٧٦ ، وهو في ديوان عدي بن زيد العبادي ٦٥ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢/٤١٧ منسوباً إلى عدي . وقال الشنيطي في تحصيل عين الذهب ١/٣٠ : «وقيل لأمية بن أبي الصلت» . وهو من غير نسبة في الخصائص ٣/٥٣ . وصحَّح البغدادي في الخزانة ١/٣٨١ أن البيت لعدي بن زيد . قال البغدادي في الخزانة ١/٣٧٦-٣٨١ : «أي لا أرى الموت يسبقه شيء ، أي لا يفوته ، . . . وقوله نغص الموت . . . إلخ يريد : نغص عيش ذي الغنى والفقير . يعني أن خوف الغني من الموت ينغص عليه الالتذاذ بالغنى والسرور به ، وخوف الفقير من الموت ينغص عليه السعي في التماس الغنى ، لأنه لا يعلم أنه إذا وصل إليه الغنى هل يبقى حتى يتفك به أو يقطع الموت عن الانتفاع ؟» .

(٥) في (أ) : (والفقير) .

(٦) قول النحاس وما أنشده لسيبويه في كتابه القطع والائتناف ١٣٥ .

وعلى التقديرين الأولين قوله : (وَاللَّهُ عَلِيمٌ [بِمَا يَفْعَلُونَ])^(١) استئناف ، والمعنى : لا يخفى عليه طاعتهم وصلاتهم وتسبيحهم .

٤٢ . قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد لا يملكها أحدٌ غيره » .

وقال الكلبي : « يعني خزائن السماوات والأرض : المطر والرزق والنبات »^(٢) .
قوله : ﴿ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ مرجع العباد بعد الموت [والله أعلم]^(٣) .

٤٣ . ﴿ يُزْجِي سَحَابًا ﴾ . قال المفسرون^(٤) وأهل اللغة^(٥) : يسوق سحاباً . قال الليث : « هو السَّوق الرقيق »^(٦) .

وقال المبرد : « يسوقه سوقاً عاجلاً ؛ لأن المزجي : الخفيف »^(٧) .

وذكرنا معنى الإزجاء عند قوله : ﴿ يَبْضَعُهُ مُزْجَعًا ﴾ [يوسف : ٨٨] .

(١) زيادة من (ع) .

(٢) في (أ) : (والحساب) ، وهو خطأ .

(٣) زيادة من (ظ) .

(٤) انظر : الطبري ١٨ / ١٥٣ ، والثعلبي ٣ / ٨٧ ب ، ومعاني القرآن للنحاس ٤ / ٥٤٣ .

(٥) انظر : الصحاح (زجا) للجوهري ٦ / ٢٣٦٧ ، ولسان العرب ١٤ / ٣٥٥ .

(٦) قول الليث في تهذيب اللغة للأزهري (زجي) ١١ / ١٥٥ .

(٧) قال المبرد في الكامل ٢ / ٢٧٩ عند شرحه قول الشاعر :

وراحتِ الرِّيحُ تزجي بُلْقَه

قال : « قوله : تزجي : يقول : تسوقه وتستحثه ، . . . » ، وقال في موطن آخر ١ / ٢٨١ : « المزجاة : اليسيرة الخفيفة المحمل ، قال الله عز وجل : ﴿ وَجَحْنًا يَبْضَعُهُ مُزْجَعًا ﴾ [يوسف : ٨٨] » ، وقال في موطن آخر ١ / ٢٥٦ : « يقال زَجَّى فلان حاجتي : أي خف عليه تعجيلها » .

قوله : ﴿ ثُمَّ يُؤْلَفُ بَيْنَهُ ﴾ : الأصل في التأليف : الهمز ، فتقول (يؤلف)^(١) بالهمز ، وإذا خففت أبدلت منها الواو ، وهو قراءة ورش ، كما تقول : التؤدة ، في التؤدة^(٢) ، فالتحقيق^(٣) والتخفيف حسنان ، ولا يختلف النحويون في قلب هذه الهمزة واواً إذا خففت^(٤) .

ومعنى التأليف : ضمُّ بعض الشيء إلى بعض^(٥) .

قال أبو إسحاق : «أي يجعل القطع المتفرقة من السحاب قطعة واحدة»^(٦) .

قال الفرّاء : «(بين) لا يصلح إلا [مضافاً إلى]^(٧) اثنين^(٨) فما زاد ، وفي الآية ﴿ يُؤْلَفُ بَيْنَهُ ﴾ لأن السحاب واحد في اللفظ ومعناه جمع ، ألا ترى قوله : ﴿ وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ [الرعد : ١٢] ، وواحدته : سَحْبَةٌ ، وهو بمنزلة : (نخلة ونخل) و(شجرة وشجر) ، وأنت قائل : فلان بين الشَّجر وبين النَّخل ، والذي لا يصلح من ذلك قولك : (المال بين زيد) ، فهذا خطأ حتى تقول : بين زيد وعمرو ، وإن نويت بزيد أنه اسم لقبيلة جاز ذلك ، كما تقول : (المال بين [تميم])^(٩) .

(١) في (أ) : (تألف) ، والمثبت من باقي النسخ ، والحجة .

(٢) التؤدة بفتح الهمزة وسكونها التَّأْي والتَّمْهَل . تهذيب اللغة للأزهري (وَأَد) ٢٤٤ / ١٤ ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (وَأَد) ٣٤٣ / ١ .

(٣) في (أ) : (والتحقيق) .

(٤) من قوله : (الأصل . . .) إلى هنا ، نقلاً عن الحجة للفارسي ٣٣١ / ٥ مع اختلاف يسير .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (ألف) ٣٧٨ / ١٥ ، ولسان العرب (ألف) ١٠ / ٩ ، ١١ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤٩ / ٤ .

(٧) ساقط من (ظ) .

(٨) في (ظ) و(ع) : (اسمين) .

(٩) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٥٦ .

وقال الزَّجَّاج : «يجوز أن يكون السحاب جمع سحابة ، ويكون ﴿يَبْتَهُ﴾ ؛ أي بين^(١) جميعه . ويجوز أن يكون السحاب واحداً إلا أنه قال : ﴿يَبْتَهُ﴾ لكثرت^(٢) ، كما تقول : ما زلت أدور بين الكوفة ؛ لأن الكوفة اسم ينتظم أمكنة كثيرة^(٣) .

وقوله : ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا﴾ . قال الليث : «الرَّكَم : جُمْعُكَ شَيْئاً فوق شيء حتى تجعله مركوماً ركاماً»^(٤) .

وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا﴾ [الأنفال : ٣٧] .

والمعنى : يجعل بعض السحاب يركب بعضاً^(٥) .

قوله : ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ : يعني القطر والمطر في قول المفسرين^(٦) .

قال الليث : «الودقُ : المطر كله شديده وهيئه . يقال : سحابةٌ وادقة^(٧) ، وقلَّ ما يقولون : ودقت تدقُ»^(٨) .

(١) ساقط من (ظ) و(ع) .

(٢) في (أ) : (لره) .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/٤٩ مع اختلاف يسير .

(٤) قول الليث في تهذيب اللغة للأزهري (ركم) ١٠/٢٤٢ ، وهو في العين (ركم) ٥/٣٦٩ .

(٥) في (ظ) : (بعضه) .

(٦) انظر : الطبري ١٨/١٥٣ ، ١٥٤ ، والثعلبي ٣/٨٧ ب . وقد ذكر ابن أبي حاتم ٧/٥٦ أ ، والماوردي

٤/١١٣ ، والقرطبي ١٢/٢٨٨ ، ٢٨٩ في (الودق) قولين : أحدهما : ما ذكره الواحدي هنا ، وعزاه

الماوردي والقرطبي إلى الجمهور . والثاني : أن الودق : البرق . انظر : الدر المنثور ٦/٢١١ .

(٧) في المطبوع من تهذيب اللغة للأزهري : (وداقه) .

(٨) قول الليث في تهذيب اللغة للأزهري (ودق) ٩/٢٥١ ، وهو في العين (ودق) ٥/١٩٨ .

وأنشد أبو عبيدة^(١) :

فَلَا مُزْنَةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا وَلَا أَرْضٌ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا

وقال المبرد : «الودق : المطر . سُمي ودقاً لخروجه من السحاب ، يقال : ودقت سُرَّتُهُ إذا خرجت»^(٢) .

وقوله : ﴿ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ : خَلَلُ^(٣) السَّحَاب : مخارج القطر ، والجميع : الخلال^(٤)^(٥) .

قال أبو إسحاق : «خلال : جمع خَلَل ، مثل جَبَل وجبال»^(٦) .

وقوله : ﴿ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ : من أضعافه^(٧) .

وذكرنا معنى الخلال عند قوله : ﴿ فَجَاسُوا خِلَلَ الدِّيَارِ ﴾ [الإسراء : ٥] .

(١) البيت أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٦٧/٢ ، ونسبه إلى عامر بن جوين الطائي ، وهو في معاني القرآن للأخفش ٢١٧/١ ، ٥٢٠/٢ ، والكمال للمبرد ٢٧٩/٢ ، والمقاصد النحوية للعيني ٤٦٤/٢ ، وشرح شواهد المغني ٩٤٣/٢ ، وخزانة الأدب ٥٠/١ منسوباً في جميعها إلى عامر بن جوين .

قال السيوطي في شرح شواهد المغني ٩٤٣/٢ : «(مزنة) واحدة المزن ، وهو السحاب الأبيض ، ويقال للمطر : حب المزن والودق بالبدال المهملة : المطر ، ودقت تدق : قطرت وأرض : اسم للبرية المزنة ، وأقبل خبرها ويقال للمكان أول ما ينبت فيه البقل : أقبل ، وقال البغدادي في الخزانة ٥٠/١ : «وصف به أرضاً خصبة بكثرة ما نزل بها من الغيث» .

(٢) في الكامل للمبرد ٢٧٩/٢ : «والودق : المطر ، يقال : ودقت السماء يا فتى ، تدق ودقاً ، قال الله عز وجل : ﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾» ، ثم أنشد البيت المتقدم .

(٣) في (أ) : (خل) .

(٤) في (أ) : (الخلل) .

(٥) تهذيب اللغة للأزهري (خل) ٥٧٢/٦ منسوباً إلى الليث ، وانظر : لسان العرب (خلل) ٢١٣/١١ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤٩/٤ .

(٧) لم أجد من ذكره عنه .

وقوله : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾ : ذكر الفراء والزجاج في هذا تقديرين :

أحدهما : وهو قول الفراء : « أن الجبال في السماء من برد خلقة مخلوقة ، كما تقول في الكلام : الأدمي من لحم ودم ، ف (من) هاهنا تسقط فتقول : الأدمي لحم ودم ، والجبال برد ، وكذا سمعت تفسيره »^(١) .

وقال أبو إسحاق : « المعنى : من جبال برد فيها كما تقول : هذا خاتم في يدي من حديد ، المعنى : هذا خاتم حديد في يدي »^(٢) .

قال أبو علي : « مفعول الإنزال على هذا التقدير محذوف ، حذف للدلالة عليه والتقدير : وينزل من السماء من جبال برد فيها برداً ، فاستغنى عن ذكر المفعول للدلالة عليه كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ [إبراهيم : ٤٨] .

قال : « ويجوز أن يكون »^(٣) ﴿ مِنْ بَرَدٍ ﴾ في موضع نصب على قول أبي الحسن^(٤) في زيادة (من) في الإيجاب كما تقول : أكلت من طعام ، فيكون البرد منزلاً على هذا »^(٥) .

(١) معاني القرآن ٢٥٦٢-٢٥٨٧ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤٩/٤ .

(٣) (يكون) ساقطة من (ظ) .

(٤) قال أبو الحسن الأخفش في كتابه معاني القرآن ٤٦٤/٢ ، ٤٦٥ عند كلامه عن قوله تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة : ٤] : « أدخل (من) كما أدخله في قوله : كان من حديث » و(ينزل من السماء من جبال فيها من برد) وهو في ما فسر : ينزل من السماء جبلاً فيها برد .

قال ابن عطية ١٠/٥٣٠ بعد حكايته هذا القول عن الأخفش : (هو ضعيف) .

(٥) الإغفال لأبي علي الفارسي ١١٥١/٢ .

ويكون ذكر الجنس الذي منه الجبال محذوفاً إذا جعلت ﴿مِنْ بَرٍّ﴾ في موضع المفعول به . واختار المبرّد هذا التقدير ، وقال ^(١) : «أي من جبال في السماء ، وتلك الجبال من برد» .

وهذا ^(٢) قول ابن عباس ، قال : «أخبر الله تعالى أن في السّماء جبلاً من برد» ^(٣) .

وهذا القول هو الذي عليه ^(٤) التفسير ^(٥) ، وأصل العربية ^(٦) .

وقالوا : (من) الأولى لابتداء الغاية ؛ لأن ابتداء الإنزال من السماء .

والثانية : للتبعيض ؛ لأن ما ينزله ^(٧) الله تعالى بعض تلك الجبال التي في السماء .

والثالثة : لتبين الجنس ؛ لأن جنس تلك الجبال جنس البرد ^(٨) .

(١) في (أ) : (قال ، هذا) .

(٢) في (أ) : (قال ، هذا) .

(٣) ذكره عنه البغوي ٥٤ / ٦ .

(٤) (عليه) ساقطة من (ظ) .

(٥) ذكر الرازي ١٤ / ٢٤ وأبو حيان ٦ / ٦٤ هذا القول عن مجاهد والكلبي وأكثر المفسرين .

(٦) يظهر أن الواحدي اعتمد في هذا على قول الفرّاء ؛ فإن الفرّاء بعد ذكره التقدير الأول قال وهو ما سيذكره الواحدي عنه من التقدير الثاني : «وقد يكون في العربية» .

(٧) في (أ) : (ينزل) .

(٨) ذكر الثعلبي ٨٧ / ٣ ب هذا القول غير منسوب إلى أحد ، وذكره البغوي ٥٤ / ٦ منسوباً إلى أهل النحو ، وذكره الرازي ١٤ / ٢٤ منسوباً إلى أبي علي الفارسي ، وذكره الكرمانى في غرائب التفسير ٨٠٢ / ٢ منسوباً إلى ابن عيسى الرمانى . وقد حكى أبو حيان والسمين الحلبي الاتفاق على أن (من) الأولى لابتداء الغاية ، وأمّا الثانية والثالثة ففيهما خلاف ؛ فقليل وهو ما ذكره الواحدي : إن الثانية للتبعيض ، والثالثة للبيان ، ويكون التقدير : وينزل من السماء بعض جبال فيها التي هي البرد . وقيل : الثانية لابتداء ، والثالثة للتبعيض ، ويكون التقدير : وينزل بعض برد من السماء من جبال فيها . وقيل : الثانية لابتداء ، والثالثة زائدة ، ويكون التقدير : وينزل من السماء جبلاً برداً . وهذا القول أضعف الوجوه . فظهر بذلك أن في (من) الثانية ثلاثة أوجه : ابتدائية ، أو للتبعيض ، أو زائدة . وفي =

وعلى هذا القول الذي يقول المفعول محذوف ، لا على قول أبي الحسن .

التقدير ^(١) الثاني : قال الفرّاء : «وينزل من السماء من أمثال جبال ومقاديرها من البرد» ^(٢) .

وقال أبو إسحاق : «ويكون معنى ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾ من مقدار جبال من برد ، كما نقول : عند فلان جبال مال ^(٣) ، تريد : مقدار جبال من كثرته» ^(٤) .

قال أبو علي : «الجبال في هذا التقدير معناه : التكاثر والتعظيم ، لا التي هي خلاف السهل كما قال ابن مقبل :

إِذَا مِتُّ عَنْ ذِكْرِ الْقَوَافِي فَلَنْ تَرَى لَهَا شَاعِرًا مِنِّي ^(٥) أَطَبَّ وَأَشْعَرَا
وَأَكْثَرُ بَيْتًا شَاعِرًا ضَرَبَتْ ^(٦) بِهِ بَطُونُ جِبَالِ الشُّعْرِ حَتَّى تَيْسَرَ ^(٧)

وأما تقدير مفعول الإنزال فعلى ما ذكرنا في التقدير الأول .

(من) الثالثة ثلاثة أوجه أيضاً : بيانية ، أو للتبويض ، أو زائدة . وذكر السمين الحلبي في (من) الثالثة وجهاً رابعاً : أنها ابتدائية . انظر : المحرر لابن عطية ٥٣٠ / ١٠ ، والكشاف للزنجشري ٧١ / ٣ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٤٦٤ / ٦ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٤٢٠ / ٨ ، ٤٢١ .

(١) في (ظ) : (والتقدير) .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢٥٧ / ٢ .

(٣) (مال) ساقطة من (ع) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤٩ / ٤ .

(٥) هكذا في النسخ جميعها والإغفال .

(٦) في (ظ) و(ع) : (عرضت) .

(٧) الإغفال لأبي علي ١١٥٢ / ٢ . وقد ذكر الواحدي تقديرين اثنين في معنى (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) ، وفي الآية تقدير ثالث حكاه الماوردي ١١٣ / ٤ ، هو أن السماء : السحاب ، سمّاه لعلوه ، والجبال صفة للسحاب أيضاً سُمّي جبالاً لعظمه ؛ لأنها إذا عظمت أشبهت الجبال ، فينزل منه برداً . انظر : الرازي ١٤ / ٢٤ ، والبحر لأبي حيان ٤٦٤ / ٦ . وابن كثير ٢٩٧ / ٣ .

وأما البرد ، فإن الليث^(١) زعم أنه مطرٌ جامد ، قال : « وسحاب بردٌ^(٢) : ذو برد ؛ وقد برد القوم ، إذا أصابهم البرد »^(٣) .

وقوله : ﴿ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ﴾ . قال مقاتل : « يصيب بالبرد من يشاء فيضره في زرعه وثمرته ، ويصرفه عمن يشاء فلا يضره في زرعه وثمرته »^(٤) .

ونحو هذا قال ابن عباس والمفسرون^(٥) .

وقوله : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴾ السنا : الضوء ، مثل : سنا النار ، وسنا البدر ، وسنا البرق^(٦) .

قال الليث : « وقد أسنى البرق إذا دخل سناه عليك بيتك ، أو وقع على الأرض ، أو طار في السحاب »^(٧) .

(١) الليث) ساقط من (ظ) .

(٢) في (ظ) : (سحاب بارد) .

(٣) قول الليث في تهذيب اللغة (برد) ١٠٤ / ١٤ : مصدر ، في قول الأزهري : « فَإِنَّ اللَّيْثَ زَعَمَ . . . » ، وهو في العين (برد) ٢٧ / ٨ بلفظ : (مطر كالجمد) .

(٤) تفسير مقاتل ٣٩ / ٢ ب .

(٥) انظر : الطبري ١٥٤ / ١٨ ، والثعلبي ٨٧ / ٣ ب . وعلى هذا القول فالضمير في قوله : (به) ، وقوله : (ويصرفه) يعود إلى البرد ؛ لأنه هو الأقرب إلى الضمير ، فالإصابة به نقمة وصرفه نعمة . وقيل : الضمير يعود إلى (الودق) ، فالإصابة به نعمة وصرفه نقمة . وقد أشار الله تعالى إلى طمع الناس في الماء بقوله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدَقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ ﴾ [الروم : ٤٨] . انتهى من تفسير سورة النور للشنقيطي ٦٤ مع اختصار وتصرف . انظر : البحر لأبي حيان ٤٦٥ / ٦ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٤٢٣ / ٨ ؛ فقد جَوَّزَا هذا الوجه ، واستبعده الألويسي ١٨ / ١٩١ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (سنا) للأزهري ٧٧ / ١٣ ، والصاحح للجوهري ٢٣٨٣ / ٦ ، ولسان العرب ٤٠٣ / ١٤ .

(٧) قول الليث في تهذيب اللغة للأزهري (سنا) ٧٧ / ١٣ ، وانظر : العين (سنو) ٣٠٣ / ٧ .

وقال ابن السكيت : «السَّنا : سنا البرق ، وهو ضوؤه ، يكتب بالألف ، ويشنَّى سنوان ، ولم يعرف الأصمعي له فعلاً»^(١) .

وذكر الكسائي جمع السَّنا فقال : «والجماع : سُنيّ وسني ، بضم السين وكسرهما ، والنون مكسورة ، والياء مشددة»^(٢) .

وقال المبرِّد^(٣) : «السَّنى مقصور وهو اللَّمع ، فإذا كان من الشرف والحسب فهو ممدود . والأصل واحد ؛ لأن معناهما الإشراف ، تقول : ما^(٤) رأيت سنى ناره ، أي التماعها ، كما قال الشاعر :

يَكادُ سَنَها في السَّماءِ يَطيرُ^(٥)

قال السدِّي : «يكاد ضوء برقه يلتصع البصر فيذهب به»^(٦) .

(١) قول ابن السكيت في تهذيب اللغة (سنا) ٧٧/١٣ بنصّه ، وهو في كتاب : حروف الممدود والمقصور لابن السكيت ٩٩ مع اختلاف يسير .

(٢) لم أجده .

(٣) في الكامل للمبرِّد ٢٢٠/١ : «السنا : ضوء النار ، وهو مقصور ، قال الله عز وجل : (يكاد سنا برقه . . .) ، والسنا من الشرف» ، ونحوه في الكامل ١٣٧/٣ ، ٧٤/٤ . وانظر : التعازي والمراثي للمبرِّد ٧٥ . وقد ذكر القرطبي ٢٩٠/٢ هذا القول عن المبرِّد مختصراً .

(٤) (ما) ليست في (ظ) و(ع) .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) رواه ابن أبي حاتم ٥٦/٧ ب عنه بنحوه .

٤٤. وقوله : ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ . قال السدِّي^(١) ، والكلبي ، ومقاتل^(٢) : «يأتي بالليل ويذهب بالنهار ، ويأتي بالنهار ويذهب بالليل»^(٣) .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التقلب^(٤) ﴿لَعِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لدلالة لأهل^(٥) العقول والبصائر على قدرة الله - سبحانه وتعالى - وتوحيده^(٦) .

(١) رواه ابن أبي حاتم ٥٦/٧ ب ، ٥٧ أ عنه به ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢١٢/٦ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٢) تفسير مقاتل ٣٩/٢ ب ، ٤٠ أ .

(٣) هذا أحد الوجوه في معنى تقلب الليل والنهار ، وفيه وجه أخرى ذكرها الماوردي وغيره ، منها : أولاً : إن معنى ذلك ولوج أحدهما في الآخر ، وأخذ أحدهما من الآخر . ثانياً : إنه يغيّر النهار بظلمة السحاب تارة وبضوء الشمس أخرى ، ويغيّر الليل بظلمة السحاب مرة وبضوء القمر مرة . وتغير أحوالهما في البرد والحر وغيرهما . ثالثاً : إن تقلبهما باختلاف ما يقدر فيهما من خير وشر ونفع وضر .

قال الرازي : «ولا يمتنع في مثل ذلك أن يريد - تعالى - معاني الكل ، لأنه في الإنعام والاعتبار أولى وأقوى» . انظر : الماوردي ١١٤/٤ ، والرازي ١٥/٢٤ ، والقرطبي ٢٩٠/١٢ ، والبحر لأبي حيان ٤٦٥/٦ ، وابن كثير ٢٩٧/٣ .

(٤) هذا قول مقاتل في تفسيره ٤٠/٢ أ ، وقيل : إن في ذلك المذكور من تسييح من في السموات والأرض والطير له سبحانه ، وإنشاء السحاب ، وإنزال الودق منه ، والبرد من السماء ، وتقليبه الليل والنهار انظر : الطبري ١٨٧/١٥٥ ، والثعلبي ٨٧/٣ ب ، وتفسير سورة النور للشنقيطي ١٦٦ .

(٥) في (أ) : (أهل) .

(٦) (توحيده) ساقطة من (ظ) و(ع) .

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ يعني كل [حيوان من] ^(١) مميز وغيره مما يشاهد في الدنيا ^(٢). ولا يدخل الجن والملائكة في هذا؛ لأننا لا نشاهدهم ولم يثبت أنهم خلقوا من ماء ^(٣)، يدل على صحة هذا أن المفسرين قالوا في هذه الآية: من نطفة ^(٤).

وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾. قال ابن عباس: «يريد الحيات» ^(٥).

وقال مقاتل: «يعني الهوام» ^(٦).

ويدخل في هذا الجنس الحيتان والديدان.

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسان والطير ^(٧)، ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كالبهائم والأنعام ^(٨).

(١) ساقط من (أ).

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٥٠/٤ مع اختلاف يسير.

(٣) ذكر البغوي ٥٥/٦، والقرطبي ٢٩١/١٢ هذا القول غير منسوب إلى أحد، وقد روى مسلم في صحيحه ٢٢٩٤/٤ في كتاب: الزهد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم».

(٤) روى ابن أبي حاتم ٥٧/٧ هذا القول عن ابن زيد، وحكاها الماوردي ١١٤/٤ عن السدي. وعلى هذا القول اقتصر الطبري ١٥٥/١٨، وحكى الماوردي ١١٤/٤، وابن الجوزي ٥٣/٦ في قوله: (من ماء) قولاً آخر، هو أنه الماء المعروف، وهو أصل كل دابة.

(٥) ذكر الطبري ١٥٥/١٨ هذا القول من دون نسبة.

(٦) تفسير مقاتل ٤٠/٢ أ.

(٧) الطبري ١٥٥/١٨، والثعلبي ٨٨/٣ أ.

(٨) الطبري ١٥٥/١٨، والثعلبي ٨٨/٣ أ.

قال أبو إسحاق: «لما كان قوله: ﴿كُلَّ دَابَّةٍ﴾ لما يعقل ولما لا يعقل قيل: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي﴾، ولما خلط الجماعة وقيل^(١): (منهم) جعلت العبارة بـ (من)^(٢) فقليل: ﴿مَنْ يَمْشِي﴾»^(٣).

وهذا معنى ما ذكره الفراء^(٤).

وقال المبرد: «قوله: ﴿كُلَّ دَابَّةٍ﴾ للناس وغيرهم، وإذا اختلط النوعان فحمل الكلام على الأغلب كما تقول: جاءني أخواك، وأنت تريد: أخاه وأخته وهذا الوجه المستقيم، وقد يخلط بينهما وهما في الحكم^(٥) سواء، ليس أحدهما أغلب من الآخر كما قال:

يَا لَيْتَ زَوْجِكَ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُحْمًا^(٦)

والرمح لا يتقلد، ولكنه لما كان محمولاً كالسيف سوى^(٧) بينهما، ومنه قول الآخر:

شَرَّابُ أَلْبَانٍ وَتَمْرٍ^(٨) وَأَقِطٌ^(٩)

-
- (١) في (ع): (قبل).
- (٢) الباء زيادة من المعاني يستقيم بها المعنى.
- (٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٥٠ مع تقديم وتأخير واختلاف يسير.
- (٤) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٥٧.
- (٥) في (أ): (الحلم)، وهو خطأ.
- (٦) البيت في الكامل ١/ ١٩٦ منسوباً إلى عبدالله بن الزبيري، وهو من غير نسبة في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٦٨، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٤٦٦، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٨٤، وفيه: (بعلك)، وأما المرتضى ١/ ٥٤، وأما ابن الشجري ٣/ ٧٢١، والخصائص لابن جني ٢/ ٤٣١، واللسان (لد) ٣/ ٣٦٧.
- (٧) في (ع): (وسمى)، وهو خطأ.
- (٨) في (أ): (وتمر)، وهو خطأ.
- (٩) أشد المبرد هذا البيت من الرجز في الكامل ١/ ٣٣٤، ٣٧١، ٢/ ٢٧٥، والمقتضب ٢/ ٥٠ من غير =

لأن الكل في باب الدخول في الحلق واحد^(١).

وقال أبو عبيدة في قوله: ﴿يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾: «لا يكون المشي إلا لما له قوائم، فإذا خلط ما لا قوائم له مع ماله قوائم جاز أن تقول: يمشي، كما تقول: أكلت خبزاً ولبناً»^(٢).

وهذا ضد ما قال الزَّجَّاج في هذه الآية: «كل سائر كان»^(٣) له رجلان أو أربع أو لم يكن له قوائم يقال له^(٤): ماش وقد مشى. ويقال لكل مستمر^(٥): ماش، وإن لم يكن من الحيوان، حتى يقال: قد مشى هذا الأمر»^(٦).

والصحيح هذا، لا ما قاله أبو عبيدة.

وباقى الآية والذي بعدها ظاهر.

قال ابن عباس^(٧): ثم ذكر أهل النفاق وشكَّهم في الله تعالى، فقال:

٤٧. ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾. قال مقاتل: «صدَّقنا بتوحيد الله وبالرسول محمد أنه من الله» ﴿وَأَطَعْنَا﴾ قولهما، يعني المنافقين يقولون هذا

-
- = نسبة إلى أحد، وهو في الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات ابن الأنباري ٦١٣/٢، ولسان العرب (زجج) ٢/٢٨٧.
- (١) انظر نحو هذا الكلام للمبرِّد في: المقتضب ٢/٤٩، ٥٠، والكامل ١/٣٣٤، ٣٧١، ٢/٢٧٥.
- (٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٨/٢ مع اختلاف يسير.
- (٣) (كان) ساقطة من (ع).
- (٤) (له) ساقطة من (ظ) و(ع).
- (٥) في (ظ): (مشمر)، ومهملة في (ع).
- (٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/٥٠.
- (٧) لم أجد من ذكره عن ابن عباس، وقد روى ابن أبي حاتم ٥٧/٧ ب، ٥٨ أعنه وأبو العالية وقتادة أنها في المنافقين.

بألسنتهم، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ ثم يعرض عن طاعتها طائفة منهم ﴿مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ من بعد قولهم آمنا^(١).

قال مقاتل وغيره^(٢): «نزلت في بشر المنافق كان يخاصم يهودياً في أرض، فجعل اليهودي يحجره إلى رسول الله ﷺ، وجعل المنافق يحجره إلى كعب بن الأشرف، ويقول: إن محمداً يحيف علينا. فقال الله: ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني الذي يعرضون عن حكم الله ورسوله».

٤٨. ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ﴾ إلى كتاب الله ﴿وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ الرسول في ما اختصموا فيه ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٣) عما يدعون إليه من حكم الله ورسوله.

وقال الفراء: «إنما قال: (لِيَحْكُمَ)، ولم يقل: ليحكم؛ لأن المعنى: للرسول، وإنما بُدئ^(٤) بذكر الله إعظاماً لله»^(٥).

وذكرنا مثل هذا في ما تقدّم^(٦).

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٤٠ أ.

(٢) قول مقاتل في تفسيره ٢/ ٤٠ أ. وذكره الثعلبي ٣/ ٨٨ من غير سند، وذكر الواحدي في أسباب النزول ١٣٣ من رواية الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس نحو هذا في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء ٦٠]. ومقاتل والكلبي وأمثالهما لا يعتمد عليهم في الرواية.

(٣) في (أ) و(ظ): (فإذا)، وهو خطأ.

(٤) في (أ): (بدأ).

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٥٨ مع تقديم وتأخير.

(٦) انظر: البسيط عند قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة ٦٢].

٤٩. ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ . قال ابن عباس^(١) ومقاتل^(٢) : «مسرعين» .

وقال الكلبي : «طائعين»^(٣) .

وقال الزجاج : «الإذعان في اللغة : الإسراع مع الطاعة . تقول : قد أذعن لي بحقي ؛ أي طاعوني لما كنت التمس منه ، وصار يسرع إليه»^(٤) .

وقال ابن الأعرابي : «مذعنين : مقرّين خاضعين»^(٥) .

وقال المبرد : «طائعين غير ممتنعين كما تقول : أذعن فلان بحقي ، إذا أقرّ به ولم يمتنع»^(٦) .

أخبر الله تعالى أن المنافقين يعرضون عن حكم الرسول لعلمهم بأنه^(٧) يحكم بالحق ولا يدهن ، فإذا كان الحق لهم على غيرهم أسرعوا إلى حكمه لثقتهم بأنه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضاً بالحق ، ويتتصف لهم بمن لهم الحق عليه .

قال ابن عباس : «ثم أخبر بما في قلوبهم من المرض والشك ، فقال : ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾» .

(١) روى الطبري ١٨/١٥٦ مثل هذا القول عن مجاهد ، ورواه ابن أبي حاتم ٧/٥٨ أب ، عن ابن زيد ، وذكره النحاس في معاني القرآن ٤/٥٤٧ عن عطاء ، وحكاها الماوردي ٤/١١٥ والقرطبي ١٢/٢٩٣ عن مجاهد .

(٢) تفسير مقاتل ٢/٤٠ أ .

(٣) روى ابن أبي حاتم ٧/٥٨ ب مثل هذا القول عن الحسن ، وذكره الماوردي ٤/١١٥ ، وقال : «حكاها ابن عيسى» .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/٥٠ .

(٥) قول ابن الأعرابي في تهذيب اللغة للأزهري (ذعن) ٢/٣٢٠ .

(٦) انظر نحو هذا : عند الطبري ١٨/١٥٦ ، وانظر : لسان العرب (ذعن) ١٣/١٧٢ .

(٧) في (ظ) و(ع) : (أنه) .

قال مقاتل : «يعني الكفر»^(١) .

﴿أَمْ أَرْثَاؤُكُمْ﴾ : أَمْ شَكُّوا فِي الْقُرْآنِ .

وإنما جاء بلفظ الاستفهام ؛ لأنه أشد في الذم والتوبيخ ؛ أي إن هذا أمرٌ قد ظهر حتى لا يحتاج فيه إلى البيّنة^(٢) ، كما جاء في نقيضه على طريق الاستفهام لأنه أشد مبالغة ، وهو قول جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا^(٣)

أي أنتم كذلك^(٤) .

وبنحو^(٥) هذا فسّر ابن عباس فقال : «أخبر الله تعالى بما في قلوبهم من المرض والشك» .

فجعل معنى هذا الاستفهام : الإخبار .

(١) تفسير مقاتل ٢ / ٤٠ أ .

(٢) في (ع) : (حتى لا يحتاج فيه إلّا إلى التنبيه) .

(٣) هذا صدر بيت من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان ، وعجزه :

وأندى العالمين بطون راح

وهو في ديوانه ١ / ٨٩ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ٣٦ ، ١٨٤ ، وأمالي ابن الشجري ١ / ٢٦٥ ، ولسان العرب (نقص) ٧ / ١٠ ، ومغني اللبيب لابن هشام ١ / ٢٤ . قال السيوطي في شرح شواهد المغني ١ / ٤٤ : «المطايا : جمع مطية ، وهي الدابة تمطو في مشيها أي تسرع ، وأندى : أسخى ، والراح : جمع راحة وهو الكف» . اهـ .

(٤) من قوله : (وإنما جاء بلفظ الاستفهام . . .) إلى هنا ، هذا قول الثعلبي في تفسيره ٣ / ٨٨ أ مع اختلاف يسير في العبارة . وقد ذكره ابن الجوزي ٦ / ٥٥ ، والقرطبي ١٢ / ٢٩٤ ، وأبو حيان ٦ / ٤٦٧ من غير نسبة .

(٥) في (أ) : (ونحو) .

قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رَسُولَهُ ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون ^(١) : « أن يجور الله عليهم » .

والحييف : الميل في الحكم ، وحيُف النَّاحِل أن يعطي بعض أولاده دون بعض ^(٢) .

وقال المبرّد : « يقال : حاف عليّ فلانٌ في القضية ؛ أي جار عليّ وألزمني ما لا يلزم » ^(٣) .

﴿ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ؛ أي لا يظلم الله ورسوله في الحكم ، بل هم الذين يظلمون أنفسهم بالكفر والإعراض عن حكم رسول الله ﷺ ^(٤) .

قال مقاتل : « ثم نعت الصادقين في إيمانهم ، فقال :

٥١ . ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية » ^(٥) .

قال الفراء : « ليس هذا بخبر ^(٦) ماض يخبر ^(٧) عنه ^(٨) ، كما تقول : إنما كنت صبيّاً ، ولكن معناه : إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دعوا أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، وهو أدب من الله تعالى ، قال : وكذا جاء في التفسير » ^(٩) .

(١) انظر : الطبري ١٥٦ / ١٨ .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (حاف) ٥ / ٢٦٤ ، وانظر : لسان العرب (حييف) ٦٠ / ٩ .

(٣) لم أجد من ذكره عنه ، وانظر : لسان العرب (حييف) ٦٠ / ٩ .

(٤) انظر : الطبري ١٥٧ / ١٨ .

(٥) تفسير مقاتل ٢ / ٤٠ أ .

(٦) في (أ) : (الحبر) في الموضعين .

(٧) في (أ) : (الحبر) في الموضعين .

(٨) (عنه) ساقطة من (ع) .

(٩) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٥٨ .

وقال مقاتل : «يقولوا سمعنا قول النبي وأطعنا أمره»^(١) .

وقال ابن عباس : «وإن كان ذلك في ما يكرهون»^(٢) ويضرُّ بهم»^(٣) .

٥٢ . قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ . قال ابن عباس : «في ما ساءه وشره»^(٤) .

وقال مقاتل : «في أمر الحكم» ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ﴾ في ذنوبه التي عملها ﴿وَيَتَّقَهُ﴾ في ما تعبد^(٥) فلم يعص الله»^(٦) .

والمعنى : يتقي عذاب الله بطاعته»^(٧) .

(١) تفسير مقاتل ٢ / ٤٠ أ .

(٢) في (ظ) و(ع) : (يكرهونه) .

(٣) ذكره عنه القرطبي ١٢ / ٢٩٤ .

(٤) ذكره عنه البغوي ٦ / ٥٦ ، وذكره الرازي ٢٤ / ٢٢ من غير نسبة .

(٥) في (أ) : (يعبد) ، والمثبت من باقي النسخ ، وتفسير مقاتل .

(٦) تفسير مقاتل ٢ / ٤٠ أ .

(٧) هذا قول الطبري ١٤ / ١٥٧ بنصّه .

وفي (يتقه) وجوه من القراءات :

أحدها : (يتقهي) موصولة بياء^(١) ، وهو الوجه ؛ لأن ما قبل الهاء متحرك ، وحكمها إذا تحرك ما قبلها أن تتبعها الياء في الوصل .

وروى قالون^(٢) عن نافع : بكسر الهاء ولا يبلغ بها الياء^(٣) ، ووجهه أن الحركة قبل الهاء ليست تلزم ، ألا ترى أن الفعل إذا رفع دخلته الياء ، وإذا دخل^(٤) الياء اختير حذف الياء بعد الهاء في الوصل مثل : (عليه) ، فلما كان الحرف المحذوف لا يلزم حذفه صار كأنه في اللفظ .

وقرأ أبو عمرو : (ويتقه) جزماً^(٥) ، ووجهه أن ما يتبع هذه الهاء من الواو والياء زائد^(٦) ، فردّ إلى الأصل ، وحذف ما يلحقه من الزيادة .

(١) وهذه قراءة جمهور القراء . انظر : السبعة ٤٥٧ ، والتبصرة ٢٧٤ ، والتيسير ١٦٣ .

(٢) هو عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى ، الزرقى مولى بني زهرة ، أبو موسى ، الملقب بقالون ، قارئ المدينة في زمانه ونحوهم . يقال إنه ربيب نافع ، وقد اختص به كثيراً ، وهو الذي ساء قالون لجودة قراءته ، وهي لفظة رومية معناها : جيّد ، وقد انقطع لإقراء القرآن والعربية ، وطال عمره ، وبُعِدَ صيته ، توفي سنة ١٢٠ هـ . انظر : ومعرفة القراء الكبار للذهبي ١/ ١٥٥ ، وغاية النهاية ١/ ٦١٥ ، وشذرات الذهب ٢/ ٤٨ .

(٣) انظر : السبعة ٤٥٧ ، والتبصرة ٢٧٤ ، والتيسير ١٦٣ .

(٤) هكذا في النسخ جميعها ، وفي الحجة : (دخلت) .

(٥) انظر : السبعة ٤٥٧ ، والتبصرة ٢٧٤ ، والتيسير ١٦٢ .

(٦) في الحجة : زائدة .

وقد حكى سيبويه^(١) أنه سمع : (هذه أمة^(٢) الله) ، في الوصل والوقف ، وهذه الهاء التي في (هذه) قد أجروها مجرى هاء الضمير ، فلماً^(٣) استجازوا الحذف في (هذه) فكذلك يجوز في الهاء التي للضمير .

وروى حفص عن عاصم (ويته) ساكنة القاف مكسورة الهاء مختلسه^(٤) .

ووجهه أن (ته) من (يته) بمنزلة : كتف ، فكماً^(٥) يسكن^(٦) كتف كذلك سَكَنَ القاف من (ته)^{(٧)(٨)} ، وقد تقدّم لهذا نظائر واستشهادات .

(١) الكتاب : ١٩٨ / ٤ .

(٢) في (ظ) و(ع) : (آية) .

(٣) في الحجة : (فكماً) .

(٤) انظر : السبعة ٤٥٨ ، والتبصرة ٢٧٤ ، والتيسير ١٦٣ .

(٥) في (ظ) و(ع) : (فلماً) ، والمثبت من (أ) والحجة .

(٦) في (ع) : (سكن) .

(٧) في (أ) : (يقه) .

(٨) من قوله : ((يتقهي) موصولة . . .) إلى هنا ، نقلاً عن الحجة لأبي علي الفارسي ٣٢٧ / ٥ - ٣٢٩ مع تقديم وتأخير واختلاف يسير ، وانظر أيضاً : توجيه القراءات علل القراءات السبع لابن خالويه ١١١ - ١١٣ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، والكشف لمكي ١٤٠ / ٢ - ١٤٢ .

وقال ابن الأنباري^(١): «هذا على لغة من يسقط الياء ويسكن الحرف الذي قبلها في باب الجزم فيقول: لم أرَ زيداً، ولم أَشترِ طعاماً، ولم يَتَّقِ زيد. وهو من التوهم^(٢)، والتقدير لما ذهبت الياء^(٣) استوثقوا من الجزم بتسكين ما قبل الياء. أنشد الفرءاء^(٤):

وَمَنْ يَتَّقِ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَهُ وَرَزَقُ اللَّهِ مُتَّابٌ^(٥) وَغَادٍ

وقال مقاتل بن سليمان وغيره^(٦): «لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى كَرَاهِيَةَ الْمُنَافِقِينَ لِحُكْمِ النَّبِيِّ ﷺ أَتَوْهُ فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَخْرُجَ مِنْ دِيَارِنَا وَأَمْوَالِنَا وَنَسَائِنَا لَخَرَجْنَا، وَإِنْ أَمَرْتَنَا بِالْجِهَادِ جَاهِدْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي مَا حَلَفُوا قَوْلَهُ تَعَالَى:

- (١) ذكر ابن خالويه في علل القراءات ١١٣/٢ هذا القول باختصار مع البيت غير منسوب إلى أحد وابن خالويه يروي عن ابن الأنباري.
- (٢) أي توهم أنها لام الفعل فتُسكن للجزم.
- (٣) (الياء) ساقطة من (ع).
- (٤) لم أجده في كتابه معاني القرآن، ويظهر أنه من تمام كلام ابن الأنباري. والبيت بلا نسبة في الخصائص لابن جني ٣٠٦/١، والصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ٤٨، وشرح شواهد الشافية ٢٢٨، ولسان العرب (أوب) ٢١٨/١، و(وقي) ٤٠٢/١٥، والرواية عندهم: (مؤتاب) في موضع (منتاب). وصدر البيت في همع الهوامع ٧٩/١ بلا نسبة.
- (٥) هكذا في النسخ جميعها، وفي بقية المصادر التي ذكرت البيت: (مؤتاب).
- (٦) تفسير مقاتل ٤٠/٢ ب. وذكر الثعلبي ٨٨/٣ أنه نحوه بغير سند، وروى ابن مردويه كما في الدر المنثور ٢١٤/٦ عن ابن عباس نحو هذا.

٥٣. ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾. قال مقاتل : «من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين»^(١)، وقد مر^(٢).

﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ يا محمد ﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ إلى الجهاد ، ومن أموالهم وديارهم^(٣).

﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا﴾. قال ابن عباس : «قل : لا تحلفوا فإن الله لو بلغ منكم الجهد لم تبلغوه ، يعني : لو كلفكم^(٥) ما تقسمون عليه ما وفيتهم بيمينكم»^{(٦)(٧)}.
وتمَّ الكلام ، ثم قال :

﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾. قال مقاتل بن حيان : «أمرهم أن لا يحلفوا على شيء ، ولكن أمرهم أن تكون منهم طاعة معروفة للنبي - عليه السلام - من غير أن يقسموا»^(٨).

وقال مقاتل بن سليمان : «﴿قُلْ﴾ لهم : ﴿لَا تُقْسِمُوا﴾ ولكن لتكن^(٩) منكم ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ يعني حسنة [النبي ﷺ]»^(١٠).

وهذا معنى قول الكلبي : «يقول : أطيعوه وقوله المعروف من الكلام».

(١) تفسير مقاتل ٤٠/٢ ب.

(٢) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [المائدة ٥٣] ، والبسيط عند قوله تعالى : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [الأنعام : ١٠٩].

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٤٠/٢ ب.

(٤) (منكم) ساقطة من (ع).

(٥) في (أ) : (لم تبلغوا نعمتي لو كلفكم) ، وهي عبارة لا معنى لها .

(٦) في (ع) : (بتمنيكم) ، وهو خطأ .

(٧) لم أجده .

(٨) رواه ابن أبي حاتم ٥٩/٧ أب ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢١٤/٦ ، ونسبه إلى ابن أبي حاتم .

(٩) في تفسير مقاتل : «ولكن هذه منكم» .

(١٠) تفسير مقاتل ٤٠/٢ ب.

وفسّر ابن عباس الطاعة المعروفة^(١) هاهنا بأن يُضمروا في القلب طاعته بنِيّة خالصة^(٢).

وقال أبو إسحاق: «تأويله: طاعة معروفة أمثل من قسمكم بما لا تصدقون فيه. فالخبر مُضمّر وهو: (أمثل)، وحذف لأن في الكلام دليلاً^(٣) عليه^(٤)».

وقال مجاهد: «أي هذه طاعة معروفة منكم بالقول دون الاعتقاد؛ أي إنكم تكذبون في ما تقولون، لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا خرجنا^(٥)».

وذكر أبو عبيدة هذا الوجه، فقال: «أي هذه طاعة معروفة^(٦)».

وعلى هذا معنى المعروفة أنها عرفت منهم، فهم يقولون ولا يفون بما يقولون.

وقيل: طاعة معروفة منكم بالكذب^(٧).

وقد حصل في ارتفاع الطاعة ثلاثة أقوال^(٨).

(١) ساقط من (أ).

(٢) ذكر البغوي ٥٧/٦، والقرطبي ٢٩٦/١٢ نحو هذا المعنى ولم ينسبها لأحد.

(٣) في (أ): (دلالة).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥١/٤.

(٥) ذكر الثعلبي ٨٨/٣ أ هذا القول، وقال: «وهذا معنى قول مجاهد». اهـ. وقد رواه بنحوه مختصر الطبري ١٥٧/١٨، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢١٤/٦ بمثل رواية الطبري، ونسبه إلى ابن المنذر.

(٦) هذا معنى ما قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٦٩/٢، ونصّه: «(طاعة معروفة) مرفوعتان . . . ، فرفعنا على ضمير يُرفع به، أو ابتداءً».

(٧) (بالكذب) ساقطة من (ع).

(٨) هذا قول الطبري ١٥٧/١٨، والثعلبي ٨٨/٣ ب.

(٩) هذه الأقوال هي حسب ذكر الواحدي لها:
الأول: أن تكون فاعلةً بفعل محذوف؛ أي ولتكن طاعة.
الثاني: إنها مبتدأ والخبر محذوف؛ أي أمثل أو أولى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾؛ أي من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل^(١).

وقال عطاء عن ابن عباس: «يريد بأعمالكم وسرائركم».

قال مقاتل: «ثم أمرهم الله بطاعته وطاعة رسوله، فقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾»^(٢).

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾. قال الفراء: «واجه القوم، ومعناه: فإن تتولَّوا، فهي في موضع جزم، ولو كانت لقوم غير مخاطبين كان فعلاً ماضياً بمنزلة قولك: فإن قاموا، كما قال: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ حَسِبَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ١٢٩] هؤلاء غير مخاطبين، والجزاء يصلح فيه فعل ويفعل كهذه^(٣) الآية والتي في هذه السورة، وأنت تعرفهما بالقراءة بعدهما؛ ألا ترى قوله: ﴿عَلَيْهِ مَا حِمْلٌ وَعَلَيْكُمْ مَا حِمْلٌ﴾، ولم يقل: عليهم، وقوله: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧] فهذا يدل على (فعلوا). انتهى كلامه^(٤).

وقد بان بما ذكر أن قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾^(٥) مخاطبة من الله تعالى لهم بعد أن أمر رسوله أن يخاطبهم بقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، ولو كان قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ من خطاب الرسول معهم لقال: فإنما علي ما حَمَل.

الثالث: إنها خبر مبتدأ مضمرة تقديره: هذه طاعة، أو المطلوب طاعة، انظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٤٤، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٥١٤، ٥١٥، والبيان في غريب إعراب القرآن للأنباري ٢/ ١٩٨، والإملاء للعكبري ٢/ ١٥٨، ١٥٩، والدر المصون للسمين الحلبي ٨/ ٤٣٢.

(١) انظر: الطبري ١٨/ ١٥٧، والتعلبي ٣/ ٨٨ أ.

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٤٠ ب.

(٣) في (ظ): (هذه)، وفي (ع): (بهذه).

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٥٨ مع تقديم وتأخير وتصرف في بعض العبارات.

(٥) (تولوا) ساقط من (ظ).

قال ابن عباس : «الذي حُلَّ النبي ﷺ أن يبلغهم ، وحملوا أن يطيعوه»^(١) .

وقال مقاتل^(٢) والسدي^(٣) : «يقول فإنما على محمد ما أمر من تبلغ الرسالة ، وعليكم ما أمرتم من طاعتها» .

﴿وَأِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ تصيبوا الحق^(٤) .

﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلْغُ أَلْمِثِّ﴾ : ليس عليه إلا أن يبلغ ويبين لكم .

٥٥ . ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ الآية . قال أبي بن كعب : «لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة ، وآوهم الأنصار ، رمتهم العرب عن قوس واحدة ، وكانوا لا يبيتون إلا مع السلاح ولا يصبحون إلا فيه ، فقالوا : ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله ، فنزلت هذه الآية»^(٥) .

وقوله : ﴿لَيْسَتْ خَلْفَنَّهُمْ﴾ . قال الفراء والزجاج^(٦) : «إنما جاءت اللام ؛ لأن العدة قول يصلح فيها (أن) ، ويصلح فيها جواب اليمين ، تقول : وعدتك أن آتيك ، ووعدتك لا آتيك ، ومثله : ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُئْنُهُ﴾ [يوسف : ٣٥]

(١) ذكره القرطبي ٢٩٦/١٢ عن ابن عباس وغيره .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٤٠/٢ ب .

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩/٧ ب عن السدي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢١٤/٦ منسوباً إلى ابن أبي حاتم .

(٤) الطبري ١٥٨/١٨ .

(٥) رواه الطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين في زوائد المعجمين للهشيمي ٥٨/٦ ، والحاكم في مستدركه ٤٠١/٢ ، والبيهقي في دلائل النبوة ٦/٣ ، ٧ ، والحافظ الضياء المقدسي في المختارة ٣/٣٥٢ ، ٣/٣٥٣ ، والواحدي في أسباب النزول ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٢١٦ ، وعزاه أيضاً إلى ابن المنذر وابن مردويه . قال الهشيمي في مجمع الزوائد ٨٣/٧ : «ورجاله ثقات» .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٨ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤/٥١ .

وتقول : وعده لأكرمه ، بمنزلة قلت ؛ لأن الوعد لا ينعقد إلا بقول^(١) ، وقد فسّرنا هذا في غير هذا الموضع .

ومعنى ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ لجعلهم يخلفون من قبلهم .

قال المفسرون : أي لنورثهم أرض الكفار من العرب والعجم فنجعلهم ملوكها وساستها وسكانها^(٢) .

وعلى هذا الآية عامة في المؤمنين .

وخصص بعضهم الآية بالخلفاء والولاة من أصحاب النبي ﷺ .

وهو قول ابن عباس في رواية عطاء ، ومعنى قول مقاتل بن حيان .

قال ابن عباس في هذه الآية : «يريد أبا بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - ومن ولي من أصحاب النبي ﷺ»^(٣) .

وقال مقاتل : ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني أرض المدينة^(٤) .

وهذا يدل على أنه أراد استخلاف الخلفاء الثلاثة الذين ذكرهم ابن عباس ؛ لأنهم كانوا في المدينة ، ولم يرد تخصيص الأرض بالمدينة ؛ لأن الله تعالى فتح عليهم الكثير من أرض الدنيا ، وليس في أن يعدهم فتح أرض المدينة كبير^(٥) نصره ولا

(١) وفي مجيء اللام في (ليستخلفنهم) وجه آخر ، هو أن اللام جواب قسم مضمّر ؛ أي أقسم ليستخلفنهم ، ويكون مفعول الوعد محذوفاً تقديره : وعدهم الاستخلاف لدلالة (ليستخلفنهم) عليه ، أو التمكين لدينكم . انظر : البحر المحيط لأبي حيان ٦/٦٦٩ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٨/٤٣٤ .

(٢) الثعلبي ٣/٨٨ ب ، والطبري ١٨/١٥٨ .

(٣) ذكر عنه القرطبي ١٢/٢٩٨ نحو هذا القول .

(٤) رواه عنه ابن أبي حاتم ٧/٦١ أ ، وروى عنه ابن أبي حاتم ٧/٦٠ ب أيضاً أنه قال في قوله : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال : «يعني أصحاب النبي ﷺ» .

(٥) في (أ) : (كثير) .

تمكين في الدين . كيف والآية نازلة بعد أن كانوا في المدينة ، ولكن أراد : ليجعلهم خلفاء في المدينة يسكنونها .

والآية على هذا التفسير دلالة على خلافة هؤلاء ، وأن الوعد من الله قد سبق^(١) باستخلافهم . [خلفاء في المدينة]^(٢) ، والظاهر القول الأول^(٣) .

قوله تعالى : ﴿ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ . قال مقاتل : «يعني بني إسرائيل»^(٤) ؛ إذ أهلك^(٥) الجبابرة بمصر وأورثهم أرضهم وديارهم .

روى أبو بكر عن عاصم : (استخلف) بضم التاء وكسر اللام^(٦) .

والوجه (استخلف) ، ألا ترى أن^(٧) اسم الله قد تقدّم ذكره ، والضمير في ﴿ لَيْسَ تَخْلِفَنَّهُمْ ﴾ يعود إلى اسم الله ، فكذلك في قوله : ﴿ كَمَا اسْتَخْلَفَ ﴾

(١) في (ع) : (قد سبق من الله) .

(٢) ساقط من (ظ) و(ع) .

(٣) ويدخل في ذلك أصحاب النبي ﷺ دخولاً أولياً ؛ «لأنه لم يتقدمهم أحد في الفضيلة إلى يومنا هذا ؛ فأولئك مقطوع بإمامتهم ، متفق عليهم ، وصدق وعد الله فيهم ، وكانوا على الدين الذي ارتضى لهم ، واستقر الأمر لهم ، وقاموا بسياسة المسلمين ، وذُبحوا عن حوزة ؛ فنفذ الوعد فيهم ، وصدق الكلام فيهم . وإذا لم يكن هذا الوعد بهم يُنجز ، وفيهم نَفَذٌ ، وعليهم ورد ، ففي من يكون إذن ؟ وليس بعدهم مثلهم إلى يومنا هذا ، ولا يكون في ما بعده» انتهى من كلام ابن العربي في أحكام القرآن ١٣٩٢ / ٣ . انظر : ما قاله أبو حيان ٤٦٩ / ٦ ، وابن كثير ٣٠٠ / ٣ - ٣٠٢ في إنجازه وعده للصحابة ومن بعدهم حين قاموا بالشروط في الآية .

(٤) تفسير مقاتل ٤٠ / ٢ ب . وقوله : (إذ أهلك . . . وديارهم) ليس من كلام مقاتل ، وإنما هذا كلام الثعلبي في تفسيره ٨٨ / ٣ ب بنصّه ، ساقه الواحدي مُبيّناً به كلام مقاتل .

(٥) في (أ) : (هلك) .

(٦) وقرأ الباقر بفتح التاء واللام . انظر : السبعة ٤٥٨ ، والتبصرة ٢٧٤ ، والتيسير ١٦٣ .

(٧) في (أ) : (أنه) .

والمعنى : يستخلفنهم استخلافاً كاستخلافه^(١) الذين من قبلهم . ووجه (استخلف) أنه مراد به ما أريد باستخلف^(٢) .

قوله تعالى : ﴿وَلْيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى﴾ . قال ابن عباس : «يريد يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها ، ويظهر دينهم على جميع الأديان ، ويملكهم على جميع الملوك»^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَلْيَبَدِّلْهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ : قُرئ بالتخفيف والتشديد في ﴿وَلْيَبَدِّلْهُمْ﴾^(٤) .

قال الفرّاء : «وهما متقاربان . فإذا قلت للرجل : قد بُدِّلَ ، فمعناه : غيِّرَ وغيِّرَ حالك ولم يأت مكانك آخر ، وكلُّ ما غيِّرَ عن حاله فهو مبدل بالتشديد» .

وقد يجوز مبدل بالتخفيف وليس بالوجه . وإذا جعلت الشيء مكان الشيء قلت : قد أبدلته^(٥) ، كقولك : أبدل هذا الدرهم ؛ أي أعطني مكانه^(٦) ، وبَدَّلَ

(١) في (أ) : (كاستخلاف) ، والمثبت من باقي النسخ والحجة .

(٢) من قوله : (وروى أبو بكر ، عن عاصم . . .) ، إلى هنا ، نقلاً عن الحجة لأبي علي الفارسي ٣٣١/٥ ، ٣٣٢ مع اختلاف سير ، وانظر : علل القراءات للأزهري ٤٥٨/٢ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٥٠٤ .

(٣) ذكره عنه البغوي ٥٨/٦ إلى قوله : (الأديان) .

(٤) قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بتخفيف الدال ، وقرأ الباقر بالتشديد . انظر : التبصرة ٤٥٨ ، والإقناع لابن الباذش ٧١٣/٢ ، والتيسير للداني ١٦٣ .

(٥) في (أ) : (بدلته) ، وهو خطأ .

(٦) في تهذيب اللغة للأزهري (بدل) ١٣٢/١٤ نقل عن الفرّاء ، يزيد كلامه الذي نقله عنه الواحدي من كتابه معاني القرآن وضوحاً . قال الأزهري : «وقال أبو العباس - أحمد بن يحيى - : قال الفرّاء : يقال : أبدلتُ الخاتم بالحلقة ، إذا نَحَيْتُ هذا وجعلتُ هذا مكانه» ، وبَدَّلْتُ الخاتم بالحلقة ، إذا أذْبَتَهُ وَسَوَّيْتَهُ حلقة . . . قال أبو العباس : «وحقيقته أن التبديل تغيير الصورة إلى صورة أخرى والجوهرة بعينها ، والإبدال تنحية الجوهرة واستئناف جوهرة أخرى» . اهـ .

قال النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٤٥ ، ١٤٦ بعد ذكر قول ثعلب في التفريق بين التبديل والإبدال : «وهذا القول صحيح . . . غير أنه قد يستعمل أحدهما في موضع الآخر» . اهـ .

جائر . فمن شدد فكأنه جعل سبيل الخوف أمناً ، ومن خفف قال : الأمن خلاف الخوف ، فكأنه قال : جعل مكان الخوف أمناً ؛ أي ذهب بالخوف وجاء بالأمن .

وهذا من سعة العربية . وقال أبو النجم^(١) :

عَزَلُ الْأَمِيرِ لِلْأَمِيرِ الْمُبْدَلِ

فهذا يوضح الوجهين جميعاً^(٢) .

وقال مقاتل بن سليمان : «من بعد خوفهم من كفار مكة»^(٣) .

وقال عطاء عن ابن عباس : «يريد من بعد خوف أبي بكر في الغار» .

والوجه : إنه على العموم في كل خوف كان لأصحاب رسول الله ﷺ .

قال مقاتل بن حيان : «فقد فعل الله بهم ذلك»^(٤) ، وبمن كان بعدهم من هذه الأمة فمكَّن لهم^(٥) في الأرض ، وأبدلهم أمناً من بعد خوف ، وبسط لهم في الأرض^(٦) ، ونصرهم على الأعداء ، فقد أنجز الله مواعده لهم»^(٧) .

(١) هو الفضل بن قدامة العجلي ، تقدمت ترجمته في سورة النساء ، وله أرجوزة في هشام بن عبد الملك تعد أجود أرجوزة للعرب ، وأولها :

الحمد لله الوهوب المجزل أعطى فلم يبخل ولم يبخل

طبقات فحول الشعراء : ٧٣٧ / ٢ ، ٧٤٥ ، وخزانة الأدب للبغدادى ١ / ١٠٣ .

وهذا الشطر من الرجز أنشده الفراء ٢ / ٢٥٩ بلا نسبة ، وهو من لامية أبي النجم المشهورة ، وهو في ديوانه ٢٠٤ ، وتهذيب اللغة للأزهري (بدل) ١٤ / ١٣٢ ، ولسان العرب (بدل) ١١ / ٤٨ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٣ / ٢٥٩ مع تصرف .

(٣) تفسير مقاتل ٢ / ٤٠ ب .

(٤) في (ظ) و(ع) : (ذلك بهم) .

(٥) في (أ) : (فمكَّنهم) .

(٦) في رواية ابن أبي حاتم : (الرزق) .

(٧) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧ / ٦١ ب ، ٦٢ أ .

قوله : ﴿يَعْبُدُونِي﴾ . قال أبو إسحاق : «يجوز أن يكون في موضع الحال على معنى : وعد الله المؤمنين في حال عبادتهم بإخلاصهم لله ليفعلن بهم»^(١) .

وهذا الوجه هو اختيار المبرّد لأنه قال : «أي عابدين لي غير مشركين» .

قال أبو إسحاق : «ويجوز أن يكون استئنافاً على طريق الثناء عليهم وتبتيّاً، كأنه قال : يعبدونني^(٢) المؤمنون لا يشركون بي شيئاً»^(٣) .

وهذا معنى قول ابن عباس : «يريد عصمة مني لهم ، يعني أعصمهم عن عبادة غيري والإشراك بي» .

قال مقاتل : «لا يشركون بي شيئاً من الآلهة»^(٤) .

وهو قول العامة^(٥) .

وروى [ليث ، عن^(٦) مجاهد ، عن ابن عباس : «لا يخافون أحداً غيري»^(٧) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٥١/٤ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ١٤٦/٣ ، والكشاف للزمخشري ٧٤/٣ ، والبحر المحيط ٤٦٩/٦ ، والدر المصون ٤٣٤/٨ ، ٤٣٥ .

(٢) في معاني الزجاج : (يعبدني) .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥١/٤ .

(٤) تفسير مقاتل ٤٠/٢ ب .

(٥) انظر : الطبري ١٥٩/١٨ ، وابن أبي حاتم ٦٢/٧ أ ، والثعلبي ٨٨/٣ ب .

(٦) ساقط من (أ) و(ظ) ، وفي (ع) : (وروى مجاهد ، عن ليث ، عن ابن عباس) ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتنا .

(٧) روى ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢/٧ أ من طريق ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : (يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) قال : «يعبدونني» . هكذا في المخطوط ، ويظهر أن فيه نقصاً . وروى الطبري ١٦٠/١٨ من طريق ليث ، عن مجاهد : (يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) . «قال : لا يخافون غيره» . هكذا ، ولم يذكر ابن عباس .

وذكر السيوطي في الدر المنثور ٢١٦/٦ هذا القول عن ابن عباس ، وعزاه إلى عبد بن حميد . وذكره عن مجاهد ، وعزاه إلى الفريابي وابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن المنذر ، وذكره الماوردي ١١٩/٤ ، =

فجعل الإشراف في هذه الآية أن يخافوا أحداً^(١) غير الله .

قوله : ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ : يعني بهذه النعم^(٢) ، وليس يعني^(٣) الكفر بالله ؛ لأن الكافر بالله فاسق بعد هذا الإنعام وقبله ، والله [تعالى يقول : ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ ؛ أي جحد حق هذه النعم بعد إنعام الله]^(٤) بها .

وهذا معنى قول الربيع ، وأبي العالية^(٥) ، وأبي بن كعب^(٦) ، ومقاتل بن حيان^(٧) .

وقوله : ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ قال ابن عباس : «يريد العاصون لله»^(٨) .

وهذا يدل على أن الكفر هاهنا كفر بالنعمة لا كفر بالله [عز وجل]^(٩) .

والقرطبي ١٢ / ٣٠٠ عن ابن عباس . وهذه الرواية سواء عن ابن عباس أو مجاهد ضعيفة ؛ لأن في سندها ليثاً ، وهو ابن أبي سليم متفق على ضعفه .

(١) (أحداً) : زيادة من (ع) .

(٢) في (ع) : (النعمة) .

(٣) في (أ) : (بمعنى) ، وفي (ع) : (معنى) .

(٤) ساقط من (ع) .

(٥) رواه الطبري ١٨ / ١٥٩ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٦٢ أ عن الربيع ، عن أبي العالية .

(٦) لم أجد من ذكره عنه . لكن أبا العالية يروي كثيراً عن أبي رضي الله عنه .

(٧) رواه عنه ابن أبي حاتم ٧ / ٦٢ أ ب ، واختار الطبري ١٨ / ١٦٠ هذا القول ؛ فهو على هذا كفر وفسق

غير مخرج من الملة . وفي الآية قول آخر : أنه الكفر والفسق الناقل عن الملة . ذكره ابن عطية ١٠ / ٥٤ ، وأبو حيان ٦ / ٤٧٠ وقالوا : «وهو ظاهر قول حذيفة رضي الله عنه» .

وقال الشنقيطي في تفسير سورة النور ١٨٥ : «والأظهر أن المراد الكفر الأكبر والفسق الأكبر ، فهم خارجون عن طاعة الله خروجاً كلياً ، والفسق يطلق على الكفر الأكبر في قوله : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ [السجدة : ٢٠]» .

(٨) روى ابن أبي حاتم ٧ / ٦٢ ب هذا القول عن مجاهد ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٢١٦ عن مجاهد وعزاه إلى الفريابي وغيره ، وذكره البغوي ٦ / ٥٩ غير منسوب إلى أحد .

(٩) زيادة من (ظ) .

٥٧. قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: لا تحسبن يا محمد الكافرين .

قال مقاتل : «يعني أهل مكة يعجزوننا ويفوتوننا»^(١) .

قال الزَّجَّاج : «أي قدرة الله محيطة بهم . وقُرئت (لا يحسبن) بالياء^(٢) على حذف المفعول الأول من يحسبن [على معنى : لا يحسبن الذين كفروا إياهم معجزين ، كما تقول : زيد حسبه^(٣) قائماً ، تريد : حسب نفسه قائماً^(٤) . وكأنه قيل : لا يحسبن]^(٥) الذي كفروا أنفسهم معجزين ، وهذا في باب ظننت تطرح فيه النفس ، يقال : ظننتني أفعل ، ولا يقال : ظننت نفسي . ولا يجوز ضربتي ، أستغني عنها بضربت نفسي» . هذا كلامه^(٦) .

وقال أبو علي : «من قرأ بالياء جاز أن يكون فاعل الحسبان أحد شيئين : إمّا أن يكون قد أضمر^(٧) ضمير النبي ﷺ كأنه قال : لا يحسبن النبي الذين كفروا معجزين^(٨) ، ويجوز أن يكون فاعل الحسبان : الذين كفروا ، ويكون المفعول الأول محذوفاً تقديره : لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم»^(٩) .

(١) تفسير مقاتل ٤١ / ٢ أ .

(٢) قرأ ابن عامر وحمة (لا يحسبن) بالياء ، وقرأ الباقون بالتاء ، انظر : السبعة ٣٠٧ ، والمبسوط لابن مهران ٢٦٩ ، وإرشاد المبتدي للفلاسي ٤٦٤ .

(٣) في (ظ) و(ع) : (زيداً حسبه) ، والمثبت من (أ) ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج .

(٤) قائماً ساقطة من (ظ) و(ع) .

(٥) في هامش (أ) ، وعليه علامة التصحيح .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٥٢ / ٤ .

(٧) في (أ) و(ع) : (يضمّر) ، والمثبت من (ظ) ، وفي الحجة : «قد تضمّن ضميراً للنبي ﷺ» .

(٨) في (ع) زيادة (في الأرض) ، وهو انتقال نظر من الناسخ إلى ما بعده .

(٩) الحجة للفارسي ٣٣٢ / ٥ .

وهذا هو الوجه الذي ذكره أبو إسحاق . والوجه قراءة العامة بالتاء لظهور مفعولي الحسابان .

قال مقاتل^(١) والكلبي في هذه الآية : « لا يحسبن الذين كفروا فائتين في الأرض هرباً حتى يخزيهم بكفرهم » .

وقوله : ﴿ وَمَأْوَهُمُ النَّارُ ﴾ . [قال صاحب النظم : لا يحتمل أن يكون هذا متصلاً بقوله : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ؛ [لأن ذلك نفى ، وقوله : ﴿ وَمَأْوَهُمُ النَّارُ ﴾]^(٢) إيجاب لا نفى ؛ فهو معطوف بالواو على مضمرة قبله تقديره : لا يحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض]^(٣) ، بل مقدور عليهم ومحاسبون ومأواهم النار^(٤) .

(١) تفسير مقاتل ٤١/٢ أ .

(٢) ساقط من (ظ) .

(٣) ساقط من (ع) .

(٤) ذكره أبو حيان ٦/٤٧٠ عن صاحب النظم بأخصر مما هنا ، ثم قال : « واستبعد العطف من حيث إن (لا تحسبن) نهي ، (ومأواهم النار) جملة خبرية فلم يناسب عنده أن يعطف الجملة الخبرية على جملة النهي لتباينهما ، وهذا مذهب قوم . . . ، والصحيح أن ذلك لا يشترط ، بل يجوز عطف الجمل على اختلافها بعضاً على بعض ، وإن لم تتحد النوعية ، وهو مذهب سيبويه » ، انتهى . وذكره أيضاً السمين الحلبي في الدر المصون ٨/٤٣٨ ، وصرح باسمه فقال : « قال الجرجاني » .

ووهم المحقق فظنه عبد القاهر الجرجاني وأحال على البحر لأبي حيان . وحكى السمين في الآية قولين آخرين غير قول الجرجاني ، أحدهما : إن هذه الجملة عطف على جملة النهي قبلها من غير تأويل ولا إضمار . قال : وهو مذهب سيبويه .

والثاني : إنها معطوفة عليها ، ولكن بتأويل جملة النهي بجملة خبرية ، والتقدير : الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار . وعزاه إلى الزمخشري ، وهو في تفسيره ٧٤/٣ .

٥٨. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَفْزِنَكُمْ﴾ الآية . قال الكلبي : «بعث رسول الله ﷺ غلاماً من الأنصار يقال له : مُدَلِّج^(١) إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ظهيرة ليدعوه ، فوجده نائماً قد أغلق عليه الباب ، فدفع الغلام الباب ، وناداه ودخل ، فاستيقظ عمر وجلس ، فانكشف منه شيء ، فرآه الغلام ، وعرف عمر أن الغلام رأى ذلك منه ، فقال عمر : وَدِدْتُ - والله - أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن يدخلوا علينا هذه الساعات^(٢) إلا بإذن ، ثم انطلق معه إلى رسول الله ﷺ فوجده وقد نزل عليه الوحي بهذه الآية»^{(٣)(٤)} .

وقال المقاتلان : «نزلت في أساء بنت مرشدة^(٥) قالت للنبي ﷺ : إنه ليدخل على المرأة وزوجها وهما في ثوب واحد غلامهما بغير إذن ؛ فأنزل الله : ﴿لِيَسْتَفْزِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ يعني العبيد والإماء والولائد والخدم»^(٦) .

قال ابن عباس : «يريد من النساء والرجال»^(٧) .

(١) انظر : الإصابة ٣/ ٣٧٤ ؛ فقد اقتصر على تسميته بمدلج الأنصاري ثم ذكر خبره مع عمر رضي الله عنه ، ووقع عند الثعلبي في تفسيره ٣/ ٨٩ أ ، والبغوي في تفسيره ٦/ ٦٠ مدلج بن عمرو .

(٢) في (ظ) و(ع) : (الساعة) .

(٣) في (أ) و(ع) : (قد نزل عليه هذه الآية) .

(٤) رواه ابن منده في معرفة الصحابة كما في الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣/ ٣٧٥ من طريق السدي الصغير ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس . وإسناده باطل . وقد ذكره الثعلبي ٣/ ٨٩ ، والواحدي في أسباب النزول ٢٧٣ ، والبغوي ٦/ ٦٠ ، كلهم عن ابن عباس من غير سند .

(٥) في (أ) : (مرشد) .

(٦) رواه ابن أبي حاتم ٧/ ٦٣ ب عن مقاتل بن حيان ، وذكره عنه ابن كثير ٣/ ٣٠٣ ، والسيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢١٧ ، وعزا إلى ابن أبي حاتم ، وقول مقاتل بن سليمان في تفسيره ٢/ ٤١ أ ، وذكره الثعلبي ٣/ ٨٩ أ عن مقاتل بن سليمان .

(٧) ذكره عنه الرازي ٢٤/ ٢٩ .

وقال عطاء : «ذلك على كل صغير وكبير أن يستأذن»^(١) .

[وقال أبو عبد الرحمن السلمي في^(٢) هذه الآية : «هي^(٣) خاصة للنساء .
الرجال يستأذنون على كل حال بالليل والنهار»^(٤) .

قال أبو عبيد : «يعني أن الإماء ينبغي لهن أن يستأذن»^(٥) على مواليهن في هذه
الحالات الثلاث المسماة^(٦) هاهنا ، فأما ذكور الممالك فإن عليهم الاستئذان في
الأحوال كلها»^(٧) .

وروى ليث ، عن نافع ، عن ابن عمر : ﴿لَيْسَتْ بِكُمْ أَلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ قال :
«هي للرجال دون النساء»^(٨) .

قوله : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَرْبَعُونَ الْخُلُمَ مِنْكُمْ﴾ . قال مقاتل بن حيان : «من أحراركم من
الرجال والنساء»^(٩) .

(١) رواه الطبري ١٦٢ / ١٨ .

(٢) (في) ساقطة من (أ) .

(٣) (هي) ساقطة من (ع) .

(٤) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ٢١٩ ، والطبري ١٦١ / ١٨ ، وابن أبي حاتم ٦٣ / ٧ ب ، ورواه
ابن أبي شيبة في مصنفه ٤ / ٤٠٠ مختصراً ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٢١٩ منسوباً إلى الفريابي
وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) ساقط من (ظ) .

(٦) في (أ) و(ع) : (المسميات) ، والمثبت من (ظ) ، والناسخ والمنسوخ لأبي عبيد .

(٧) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ٢١٩ .

(٨) رواه البخاري في الأدب المفرد ٣١٠ ، والطبري ١٦١ / ١٨ من طريق ليث ، عن نافع ، عن ابن عمر
به . وليث هو ابن أبي سليم مجمع على ضعفه . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٢١٩ ، وزاد نسبه
إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر ، واختار الطبري ١٦١ / ١٨ العموم للرجال والنساء ؛ لأن الله عمم ولم
يخصص منهم ذكراً ولا أنثى ، فذلك على جميع من عمه ظاهر التنزيل .

(٩) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧ / ٦٤ أ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٢١٧ منسوباً إلى ابن أبي
حاتم .

وقوله : ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ : يعني ثلاثة أوقات ؛ لأنه فسّرهن بالأوقات وهو قوله : ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾ .

قال ابن عباس : «ثلاث مرات» .

ثم أخبر بأوقاتها فقال : ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ﴾ يريد المقييل : ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ يريد العتمة^(١) حين يأوي الرجل مع امرأته^(٢) .

وقال صاحب النظم : «قوله : ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ هاهنا بمعنى : ثلاثة^(٣) أوقات ؛ لأنها لو كانت على ظاهرها لوجب أن يكون الأمر واقعاً على ثلاث دفعات ، فإذا جاوزها ارتفع الأمر ، وأن يكون الاستئذان ثلاث دفعات^(٤)] فلا يكون دخول إلا بعد^(٥) استئذان ثلاث دفعات^(٦) ، ويدل على أن المراد به الأوقات قوله في أثره واصفاً للأوقات : ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ ثم سمّى هذه الأوقات عورات ؛ لأن الإنسان يضع فيها^(٧) ثيابه فتبدو عورته . انتهى كلامه .

وإنما قيل ثلاث مرات للأوقات ؛ لأنه أراد مرة في كل وقت من الأوقات التي ذكرها .

(١) في (أ) و(ع) : (بالعتمة) . والعتمة : ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق . لسان العرب (عتم) ٣٨١ / ١٢ .

(٢) ذكره ابن الجوزي ٦١ / ٦ ولم ينسبه لأحد .

(٣) في (أ) : (ثلاث) .

(٤) في (أ) : (وأن يكون الاستئذان ثلاث دفعات ، فإذا جاوزها ارتفع الأمر ، وأن يكون الاستئذان ثلاث دفعات) ، وهو تكرار .

(٥) (بعد) ساقطة من (ظ) .

(٦) ساقط من (ع) .

(٧) (فيها) ساقطة من (ع) .

قال مجاهد : « يُجْزِئُهُمْ أَنْ يَسْتَأْذِنُوا مَرَّةً فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ »^{(١)(٢)} .

وقال أبو إسحاق وأبو علي : « أَمَرَ اللَّهُ بِالْإِسْتِذَانِ فِي الْأَوْقَاتِ الَّتِي يَتَخَلَّى^(٣) النَّاسُ فِيهَا وَيَتَكَشَّفُونَ^(٤) ، وَبَيْنَهَا فَقَالَ : ﴿ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ﴾ فَفَصَّلَ الثَّلَاثَ بِهَذِهِ الْأَوْقَاتِ ، ثُمَّ أَجْمَلَ بَعْدَ التَّفْصِيلِ فَقَالَ : ﴿ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ﴾ ، فَأَعْلَمَ أَنَّهَا عَوْرَاتٌ ، وَالْمَعْنَى : هِيَ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ [أَوْ هَذِهِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ]^(٥) فَهِيَ خَبَرُ ابْتِدَاءٍ مُحذُوفٌ . وَمَنْ قَرَأَ (ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ) بِالنَّصْبِ^(٦) جَعَلَهُ بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ (ثَلَاثَ مَرَاتٍ) » .

فإن قيل : قوله : (ثلاث مرات) زمان ، بدلالة أنه فسّر بزمان على ما بيننا وليس العورات بزمان ، فكيف يصح البدل منه ؟ وليس هي هي .

قيل : يكون ذلك على أن يُضمَر^(٧) الأوقات كأنه : أوقات ثلاث عورات ، فلمّا حذف المضاف أعرب ما كان يقع الإضافة إليه بإعراب المضاف ، فعلى هذا يوجّه^{(٨)(٩)} .

(١) في (ع) : (الساعات) .

(٢) رواه ابن أبي حاتم ٦٤ / ٧ ب .

(٣) في (أ) : (ينحلى) .

(٤) في (أ) : (ويكشفون) ، وفي (ظ) و(ع) : (وينكشفون) ، والمثبت من معاني القرآن للزجاج ، والوسيط للواحدي .

(٥) ساقط من (أ) .

(٦) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم : (ثلاث عورات) بنصب (ثلاث) ، وقرأ الباقر بالرفع . انظر : السبعة ٤٥٨ ، والتبصرة ٢٧٤ ، والتيسير ١٦٣ .

(٧) في (ظ) : (ضمير) .

(٨) في (أ) : (الوجه) .

(٩) معاني القرآن للزجاج ٥٢ / ٤ ، والحجة لأبي علي الفارسي ٣٣٣ / ٥ .

والاختيار في العورات إسكان الواو ، وحكم ما كان على فَعْلَةٍ من الأسماء أن تُحْرَك العين منه في فعلات نحو : صحيفة^(١) وصَحَفَات ، وجفنة^(٢) وجَفَنَات .
إِلَّا أن التحريك في ما كان العين منه ياءً أو واواً كرهه عامة العرب ؛ لأن العين بالتحريك تصير على صورة ما يلزمه الانقلاب من كونه متحركاً بين متحركين ، فكَرِهوا ذلك ، وعدلوا عنه إلى الإسكان ، فقالوا : عَوْرَات وجَوَزَات ويُنْضَات ، ومثل هذا في أطراد التحريك في الصحيح وكراهية ذلك في المعتل قولهم في حنيفة : حَنْفِي ، وفي جديلة وربيعه : جَدَلِي وَرَبْعِي ، فإذا أضافوا إلى مثل طويلة وجويزة قالوا : طُوِيلِي وجُوِيزِي ، كراهية : طُوِيلِي وَجُوِيزِي ؛ لأنه يصير على ما يجب فيه القلب ، وكذلك قالوا في شديد : شَدِيدِي ، ورفضوا شَدِيدِي الذي أثروا نحوه في ربْعِي كراهية التقاء التضعيف . هذا كلام أبي علي^(٣) .

وقال السدِّي في هذه الآية : «كان أناس من أصحاب النبي ﷺ يعجبهم أن يواقعوا نساءهم في هذه الساعات ليغتسلوا ثم يخرجوا»^(٤) إلى الصلاة ، فأمرهم الله أن يأمرُوا الغلمان والمملوكين أن يستأذنوا في هذه الثلاث ساعات»^(٥) .

وقال مقاتل بن حيان : «هذا من المفروض ، يحق على الرجل أن يأمر بذلك من كان عنده من حر أو عبد أن لا يدخلوا تلك الساعات الثلاث إلا بإذن»^(٦) .

(١) وقع في المطبوع من الحجة : (صحيفة) ، وهو خطأ . والصَّحْفَةُ : شبه قصعة مُسَلَّنَطحة عريضة ، وهي

تشيع الخمسة ونحوهم . لسان العرب (صحف) ١٨٧/٩ .

(٢) الحَفْنَةُ : هي أعظم ما يكون من القصاع . لسان العرب (جفن) ٨٩/١٣ .

(٣) الحجة لأبي علي ٣٣٣/٥ ، ٣٣٤ .

(٤) في (ظ) و(ع) : (يخرجون) .

(٥) رواه ابن أبي حاتم ٦٣/٧ ب ، ٦٤ أ ، وذكره ابن كثير ٣/٣٠٣ ، والسيوطي في الدر المنثور ٦/٢١٧

ونسبه لابن أبي حاتم ، ورواية السدِّي هذه مع الروايتين المتقدمتين اللتين ساقهما الواحدي في سبب

نزول قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَرْزِقُوا ﴾ وهما رواية الكلبي والمقاتلين غير معتمدة في

نزول هذه الآية لعدم ثبوتها من طريق صحيح ، والله أعلم .

(٦) رواه ابن أبي حاتم ٦٤/٧ ب ، ٦٥ أ .

قال أبو عبيدة^(١): «ولا نعلم أحداً من العلماء أخبر عن هذه الآية بنسخ بل غلظوا شأنها»^(٢).

قال عطاء: «سمعت ابن عباس يقول: ثلاث آيات من كتاب الله تركهن الناس لا أرى أحداً يعمل بهن. قال عطاء: حفظت آيتين ونسيت واحدة، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَفْتِدْنَكَ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ الآية، وقال الله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ إلى قوله: ﴿أَنقَنَكُم﴾ [الحجرات: ١٣]، ثم^(٣) يقول الرجل بعد هذا للرجل: أنا أكرم منك، وليس أحدٌ أكرم من أحدٍ إلا بتقوى»^(٤).

وقال موسى بن أبي عائشة^(٥): «قلت للشعبي في هذه الآية: أمسوخة هي؟ قال: لا، فقلت: قد تركها^(٦) الناس؟ فقال: الله المستعان»^(٧).

وادّعى قوم النسخ في هذه الآية، واحتجوا بما روي عن عكرمة عن ابن عباس: «أن ناساً من أهل العراق سألوه عن هذه الآية، فقال: إن الله رفيق رحيم بالمؤمنين يحب الستر عليهم، وكان الناس ليست لهم ستور ولا حجاب»^(٨).

(١) في (ظ): (أبو عبيدة)، وهو خطأ.

(٢) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ٢١٩.

(٣) (ثم) ساقطة من (أ).

(٤) هذا لفظ رواية أبي عبيد في الناسخ والمنسوخ ٢٢٠. ورواه بنحوه عبدالرزاق في مصنفه ١٧٩/١٠، والطبري ١٨/١٦٢، وابن أبي حاتم ٧/٦٣ أ.

(٥) هو موسى بن أبي عائشة، الهمداني مولاها، الكوفي، أحد العلماء العابدين الثقات، روى عن سعيد بن جبير والشعبي وغيرهما، وعنه شعبة والسفيانان، وغيرهم. انظر: سير أعلام النبلاء ١٥٠/٦، وتهذيب التهذيب ١٠/٣٥٢، وتقريب التهذيب ٢/٢٨٥.

(٦) في (أ): (تركوها).

(٧) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ٢٢٠، وابن أبي شيبة في مصنفه ٤/٤٠٠، والطبري ١٨/١٦٢، ١٦٣، وابن أبي حاتم ٧/٦٣ أ ب، عن موسى بن أبي عائشة به.

(٨) عند أبي عبيد: (حجال).

فربما دخلت الخادم أو الولد^(١) والرجل على أهله فأمرُوا بالاستئذان في تلك العورات ، فجاءهم الله بالسُتور والخير ، فلم^(٢) أرَ أحداً يعمل بذلك^(٣)» .

قال أبو عبيد : « وليس وجه هذا أن يكون على الرخصة من أجل أن ابن عباس لم يخبر أنه نسخها قرآن ، ولا أن السُّتَّة جاءت برخصة فيها ، إنما قال : لم أرَ أحداً يعمل ذلك ، وقد حكى عنه عطاء هذا اللفظ^(٥) على وجه الإنكار والاستبطاء للناس ، ألا تسمع قوله : ثلاث آيات من كتاب الله تركهن الناس لا أرى أحداً يعمل بهن . فرواية عطاء عندنا مُفسِّرة للذي روى عكرمة . وليس المذهب في الآية إلا أنها محكمة قائمة لم ينسخها كتاب ولا خبر عن رسول الله ﷺ ، ولا عن أحد من أصحابه ولا التابعين بعدهم بالتَّسهل في ذلك ، إلا شيئاً يروى عن الحسن أنه كان يقول : والخادمة التي تبيت مع أهل الرجل لا بأس أن تدخل بغير إذن^(٦) .

(١) في (ع) : (الوالد) .

(٢) في (ظ) : (ولم) .

(٣) في (ظ) : (ذلك) .

(٤) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ٢٢١ ، وأبو داود في سننه ٩٦ / ١٤ ، ٩٧ ، كتاب : الأدب ، باب : في الاستئذان في العورات الثلاث ، وعندهما زيادة ذكر السؤال ، ورواه أيضاً ابن أبي حاتم ٦٣ / ٧ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٩٧ / ٧ ، وأوله « أن رجلين سألاه يعني ابن عباس عن الاستئذان » ، فذكره بنحوه ، وقال ابن كثير في تفسيره ٣ / ٣٠٣ : « وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس » ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٢١٩ بمثل لفظ ابن أبي حاتم والبيهقي ، وعزاه أيضاً إلى ابن المنذر وابن مردويه ، وقال أبو داود بعد روايته عن ابن عباس : « وحديث عبدالله وعطاء يُفسد وفي بعض النسخ : يُفسر هذا الحديث » ، وقال البيهقي : « وحديث عبدالله بن أبي يزيد وعطاء يضعف هذه الرواية » .

وحديث عبدالله المشار إليه رواه أبو داود في سننه ٩٥ / ١٤ ، كتاب : الأدب ، باب : الاستئذان في العورات الثلاث ، والبيهقي في السنن الكبرى ٩٧ / ٧ عن عبيدالله بن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول : لم يؤمن وفي بعض نسخ أبي داود : لم يؤمر بها أكثر الناس آية الإذن ، وإنِّي لأمر جاريته هذه تستأذن علي . وحديث عطاء ذكره الواحدي قبل ذلك .

(٥) في (ع) : (القول) .

(٦) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ٢٢٢ مع اختلاف يسير واختصار . وأثر الحسن رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ٢٢٢ من طريق هشيم ، عن يونس ، عن الحسن ، ورواه من وجه آخر عن يونس ، عن =

وقوله : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ ؛ أي ليس عليكم جناح ولا عليهم في أن لا يستأذنوا بعد أن يمضي كل وقت من هذه الأوقات ^(١) .

قال مقاتل : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ معشر المؤمنين ، ﴿وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني الخدم والغلمان ﴿جُنَاحٌ﴾ حرج ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ يعني بعد العورات ^(٢) .

وقال صاحب النظم : «دَلَّ بقوله : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ﴾ على أن ما عزمه على المالك من الاستئذان في هذه الأوقات معزوم أيضاً على الموالي ؛ لأنه لا يذكر رفع الجناح في شيء إلا عَمَّنْ يلزمه جناحه ، ثم أوضح ذلك بقوله : ﴿طَوَّفُونِ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ؛ أي إنكم كما يطوفون ^(٣) عليكم تطوفون عليهم في هذه الأوقات . هذا كلامه .

ويجوز أن يعود رفع الجناح في قوله : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ ؛ إلى أنه لا جناح على الموالي إذا لم يأمر المالك ^(٤) بالاستئذان في غير هذه الأوقات الثلاثة .

وقوله : ﴿طَوَّفُونِ عَلَيْكُمْ﴾ يريد أنهم خدمكم ، ولا بأس أن يدخلوا في غير هذه الأوقات الثلاثة بغير إذن . قال مقاتل : «يتقلبون فيكم ليلاً ونهاراً» ^(٥) .

= الحسن مفصلاً الطبري ١٨ / ١٦٢ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٦٣ ب ، ولفظه : «إذا أبأت الرجل خادمه معه فهو إذنه ، وإن لم يفته معه استأذن في تلك الساعات» .

(١) هذا كلام الزَّجَّاج في معاني القرآن ٤ / ٥٢ .

(٢) تفسير مقاتل ٢ / ٤١ أ .

(٣) في (أ) : (تطوفون) .

(٤) في (ظ) : (لم يأمر المولى المالك) .

(٥) تفسير مقاتل ٢ / ٤١ أ .

وقال الفرّاء والزّجاج : ﴿ طَوَّفُونِ ﴾ استئناف ، كقولك في الكلام : إنما هم خدمكم ^(١) [وطوافون عليكم] ^(٢) .

قال ابن قتيبة : « يريد أنهم خدمكم » ^(٣) ، قال الله تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ [الواقعة : ١٧] ؛ أي يطوف عليهم ولدان ^(٤) في الخدمة ، وقال النبي ﷺ في الهرة : « إنما هي من الطوافين عليكم والطوافات » ^(٥) جعلها بمنزلة العبيد والإماء ^(٦) .

وقال صاحب النظم : « يقال إن معنى الطواف هاهنا الخدمة ، ومنه قوله عز وجل : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ [الواقعة : ١٧] ^(٧) ؛ أي يخدمهم . وفي الخبر « أنها من الطوافين عليكم والطوافات » فشبه السنابير ^(٨) بخدم البيت » .

(١) في (ع) : (خدمكم ولا بأس أن يدخلوا في غير هذه الأوقات الثلاثة) ، وهو انتقال نظر من الناسخ إلى ما قبله .

(٢) هذا قول الفرّاء في معانيه ٢ / ٢٦٠ ، وأمّا الزّجاج فذكر هذا في معانيه ٤ / ٥٣ بمعناه فقال : « على معنى : هم طوافون عليكم » ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ٣ / ١٤٧ ، والبيان للأنباري ٢ / ١٩٩ ، والدر المصون ٨ / ١٤١ .

(٣) في حاشية (ع) .

(٤) ولدان) ساقطة من (أ) .

(٥) رواه أبو داود في سننه ١ / ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، كتاب : الطهارة ، باب : سؤر الهرة ، والنسائي في سننه ١ / ٥٥ ، كتاب : الطهارة ، باب : سؤر الهرة ، وابن ماجه في سننه ١ / ٧٢ في أبواب الطهارة ، باب : الوضوء بسؤر الهرة ، كلهم من حديث أبي قتادة - رضي الله عنه - مرفوعاً . قال ابن حجر في التلخيص الحبير ١ / ٥٤ : « وصحّحه البخاري والترمذي والعقيلي والدارقطني » ، وقال في بلوغ المرام ١٢ : « أخرجه الأربعة ، وصحّحه الترمذي وابن خزيمة » .

(٦) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٠٧ .

(٧) (مخلدون) : ليست في (ظ) و(ع) .

(٨) السنابير : جمع سنور ، وهو : الهرّ . لسان العرب (سنر) ٤ / ٣٨١ .

وقوله : ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ . قال الزَّجَّاج : «على معنى : يطوف بعضكم على بعض»^(١) .

وقال أبو الهيثم : «الطائف هو الخادم الذي يخدمك برفق وعناية ، وجمعه الطوائفون»^(٢) .

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَلُ مِنْكُمُ﴾ . قال المفسرون : يعني من الأحرار^(٣) .

﴿الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ ؛ أي في جميع الأوقات في الدخول عليكم ، فالبالغ يستأذن في كل الأوقات ، والطفل والمملوك يستأذنان في الثلاث عورات .

قال سعيد بن المسيب : «ليستأذن الرجل على أمه فإنها نزلت ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَلُ مِنْكُمُ﴾ في ذلك»^(٤) .

وقال مقاتل بن حيان : «الأحرار إذا بلغوا الحلم فليستأذنوا على كل حال وفي كل حين ، كما استأذن الذين بلغوا الحلم من قبلهم الذين أمروا بالاستئذان على كل حال»^(٥) .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٥٣/٤ .

(٢) قول أبي الهيثم في تهذيب اللغة للأزهري (طوف) ٣٤/١٤ .

(٣) الطبري ١٨/١٦٤ ، والثعلبي ٨٩/٣ ب .

(٤) رواه الطبري ١٨/١٦٥ ، وابن أبي حاتم : ٦٦/٧ أ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٢٢٠ منسوباً إلى ابن أبي حاتم .

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦/٧ أ .

فالمراد بقوله : ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الأحرار الكبار من الرجال في قول جميع المفسرين^(١) ، إلا في ما روى عطاء ، عن ابن عباس فإنه قال : «يريد الذين كانوا مع إبراهيم وإسماعيل»^(٢) .

٦٠ . قوله تعالى : ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ . قال ابن السكيت : «امرأة قاعد إذا قعدت عن الحيض ، فإذا أردت القعود قلت : قاعدة»^(٣) .

وقال أبو الهيثم : «القواعد من صفات الإناث ، لا يقال : رجال قواعد ، يقال : رجل قاعد عن الغزو ، وقوم قعّاد وقاعدون [عن الغزو]»^{(٤)(٥)} .

والمفسرون كلهم قالوا في القواعد : «هنّ اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبير»^(٦) .

قال الليث : «امرأة قاعد»^(٧) وهي التي قعدت عن الولد وانقطع عنها الحمل من كبر^(٨) ، وهنّ القواعد»^(٩) .

-
- (١) انظر : الطبري ١٨ / ١٦٤ ، والثعلبي ٣ / ٨٩ ب ، وابن كثير ٣ / ٣٠٣ .
 - (٢) ذكره البغوي ٦ / ٦٢ ، وصدّره بقوله : (وقيل) . وهو قول ضعيف بعيد .
 - (٣) قول ابن السكيت في تهذيب اللغة للأزهري (قعد) ١ / ٢٠٠ ، وهو بنحوه في المشوف المعلم ٢ / ٦٥٢ .
 - (٤) ساقط من (أ) .
 - (٥) قول أبي الهيثم في تهذيب اللغة للأزهري (قعد) ١ / ٢٠٠ .
 - (٦) انظر : الطبري ١٨ / ١٦٥ ، والثعلبي ٣ / ٨٩ ب .
 - (٧) في (أ) : (قاعدة) .
 - (٨) في (ع) : (كبرهن) .
 - (٩) قول الليث لم أجده في تهذيب اللغة ، ولعله سقط من المطبوع ، وهو بنحوه في العين (قعد) ١ / ١٤٣ من دون قوله : (وانقطع عنها الحمل) .

وقال الزَّجَّاج : «هي التي قعدت عن الزوج ، وهذا معنى قوله : ﴿الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾»^(١) .

قال ابن عباس : «يعني تزويجها»^(٢) .

وقال السدي : «هِنَّ اللَّاتِي قَدْ^(٣) تَرَكْنَ الْأَزْوَاجَ وَكَبِرْنَ»^{(٤)(٥)} .

وقال الفراء : «لا يطمعن أن يتزوجن من الكبر»^(٦) .

ويرجون في فعل جميع^(٧) النساء كقوله : ﴿إِلَّا أَنْ يَعْقُوبَ﴾ [البقرة : ٢٣٧] ، وقد مرَّ .

وقوله : ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ . قال عامة المفسرين^(٨) : يعني الجلباب والرداء والقناع الذي^(٩) فوق الخمار .

فالمراد^(١٠) بالثياب هاهنا بعضها لا كلها ، وهو ما ذكره المفسرون .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٥٣/٤ .

(٢) روى ابن أبي حاتم ٦٦/٧ ب هذا القول عن سعيد بن جبير .

(٣) (قد) ساقطة من (ظ) .

(٤) في (ظ) : (تركن الأزواج من كبر وقد كبرن عنهن) .

(٥) روى ابن أبي حاتم ٦٦/٧ ب معنى هذا القول عن مجاهد وزيد بن أسلم .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢٦١/٢ .

(٧) في (ع) : (جمع) .

(٨) انظر : الطبري ١٦٥/١٨ ، ١٦٦ ، وابن أبي حاتم ٦٧/٧ أ ، والثعلبي ٨٩/٣ ب ، وابن كثير

٣/٣٠٤ ، والدر المنثور ٦/٢٢٢ .

(٩) في (ع) : (التي) .

(١٠) في (ظ) : (والمراد) .

يدل عليه ما روي أن في حرف ابن مسعود (من ثيابهن)^(١)، وفُسِّر فقال: «أن يضعن الملحفة والرداء ويقمن في الدروع وفي خمرهن»^(٢).

وقال الحسن: «رخص لها أن تمشي في درع^(٣) وخمار وتصلي فيهما»^(٤).

وكان ابن عباس يقرأ: «[أن يضعن]^(٥) جلابيهن»^(٦).

وروى السدي عن أصحابه: «فليس عليهن جناح أن يضعن خمرهن عن رؤوسهن»^(٧).

(١) روى ابن أبي حاتم ٦٧/٧ ب عن سعيد بن جبير قال: «في قراءة ابن مسعود (أن يضعن من ثيابهن)»، وروى عبدالرزاق في تفسيره ٦٣/٢، وابن أبي حاتم ٦٧/٧ ب عن معمر قال: «في حرف ابن مسعود (أن يضعن من ثيابهن)». وعلى فرض صحة هذه القراءة عن ابن مسعود فهي قراءة تفسيرية.

(٢) لم أجد هذا اللفظ عن ابن مسعود. وروى عبدالرزاق في تفسيره ٦٣/٢، والطبري ١٨/١٦٦، وابن أبي حاتم ٦٧/٧ أ عن ابن مسعود في قوله: (أن يضعن ثيابهن) قال: «الرداء»، وروى عنه الطبري ١٨/١٦٦، وابن أبي حاتم ٦٧/٧ أ، والبيهقي في السنن الكبرى ٩٣/٣ قال: «الجلباب»، وروى عنه الطبري ١٨/١٦٦ قال: «هي الملحفة». وقد روى الطبري ١٨/١٦٥، وابن أبي حاتم ٦٧/٧ ب، والبيهقي في السنن الكبرى ٩٣/٧ عن ابن عباس نحو هذا المعنى، وروى ابن أبي حاتم ٦٧/٧ أنحوه عن أبي صالح.

(٣) في (أ): (دروع).

(٤) روى عبدالرزاق في تفسيره ٦٣/٢، وابن أبي حاتم ٦٧/٧ ب عن الحسن قال: «لا جناح على المرأة إذا قعدت عن النكاح أن تضع الجلابب والمنطق».

(٥) ساقط من (ع).

(٦) في الدر المنثور للسيوطي ٢٢٢/٦: «أخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود وابن عباس أنها كانا يقرأن: (فليس عليهن جناح أن يضعن جلابيهن)». والذي في تفسير ابن أبي حاتم ٦٧/٧ ب عن عمرو بن دينار قال: «كان ابن عباس يقول: فليس عليهن جناح أن يضعن جلابيهن». وهذه قراءة تفسير يدل عليها ما رواه البيهقي في السنن الكبرى ٩٣/٧ عن ابن عباس أنه كان يقرأ: (أن يضعن ثيابهن) ويقول: هو الجلابب. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٢١/٦، ونسبه أيضاً إلى أبي عبيد في فضائله، وابن المنذر، وابن الأنباري في المصاحف.

(٧) ذكره الرازي ٢٤/٣٥، والنيسابوري في غرائب القرآن ١٨/١٢٨ من رواية السدي عن شيوخه.

وروى خالد الحذاء عن أبي قلابة قال : «يرخصون للمرأة الكبيرة^(١) التي قد آيست من النكاح أن يرى الشيء من شعرها»^(٢) .

فعلى هذا القول يجوز لها أن تضع الخمار ، والصحيح ما عليه المفسرون .

قوله تعالى : ﴿عَمَّ مَتَرِحَتْ زِينَتُهُ﴾ التبرج : التكشف ؛ وهو أن تظهر المرأة محاسنها من وجهها وجسدها^(٣) .

قال أبو إسحاق : «التبرج إظهار الزينة وما يستدعى^(٤) به شهوة الرجل»^{(٥)(٦)} .

وقال المبرد : ﴿مَتَرِحَتْ زِينَتُهُ﴾ ؛ أي مبديات عن زينة يستدعين بها .

وقال المفسرون : «يعني من غير أن يردن بوضع^(٧) الجلباب أن ترى زينتهن»^(٨) .

قال مقاتل : «لا تريد^(٩) بوضع الجلباب أن تُرى زينتها ، يعني الحلي»^(١٠) .

(١) في (ع) : (والكبيرة) .

(٢) لم أجده .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (برج) للأزهري ٥٥ / ١١ ، ٥٦ ، والصحاح للجوهري ٢٩٩ / ١ ، ولسان العرب ٢١٢ / ٢ .

(٤) في (ع) : (تستدعى) .

(٥) في (ع) : (الرجال) .

(٦) قول أبي إسحاق في تهذيب اللغة للأزهري (برج) ٥٦ / ١١ بنصّه . وليس قوله في هذا الموضع من سورة النور في كتابه معاني القرآن ، بل ذكر هذا القول عند قوله تعالى : ﴿وَلَا تَبْرَحْنَ تَرَجُ الْجَنَاحَاتِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب : ٣٣] . والأظهر أن الواحدي نقل قول الرَّجَّاج عن تهذيب اللغة للأزهري .

(٧) في (ظ) : (موضع) .

(٨) الثعلبي ٨٩ / ٣ ب ، والطبري ١٦٧ / ١٤ .

(٩) في (ع) : (لا يريد) .

(١٠) تفسير مقاتل ٤١ / ٢ أ .

وقال مقاتل بن حيان : «يقول : ليس لها أن تضع [الجلباب]»^(١) ، يريد بذلك أن تظهر قلائدها وقرطها وما عليها من الزينة»^(٢) .

وقال قتادة : «إن المرأة تكون»^(٣) قد حلت فيكون العضو من أعضائها حسناً فلا ينبغي لها أن تبدي ذلك لتلمس به الزينة»^(٤) .

وقال عطاء : «تضع الجلباب في بيتها ، فأما إذا خرجت فلا يصلح»^(٥) .

فعلى هذا معنى ﴿عَيْرٌ مُتَبَرِّجَتٍ بِزِينَةٍ﴾ غير خارجات من^(٦) بيوتهن^(٧) .

ثم قال : ﴿وَأَن يَسْتَغْفِرَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ . قال ابن عباس : «يستغفرن فلا يضعن الجلباب»^(٨) .

وقال مجاهد : «يلبسن جلابيهن خيرٌ لهنَّ من وضع»^(٩) الجلباب»^(١٠) .

قوله : ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ : لقولكم ، ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بما في قلوبكم^(١١) .

(١) ليست في النسخ جميعها ، وهي زيادة زدناها من تفسير ابن أبي حاتم .

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨ / ٧ أ .

(٣) (تكون) ساقطة من (ظ) و(ع) .

(٤) لم أجده .

(٥) ذكره عنه القرطبي ٣١٠ / ١٢ .

(٦) في (ظ) : (عن) .

(٧) قال القرطبي ٣١٠ / ١٢ بعد حكايته هذا القول عن عطاء ، وذكره كلام الواحدي من غير نسبة : «وعلى هذا يلزم أن يقال : إذا كانت في بيتها فلا بد لها من جلباب فوق الدرع ، وهذا بعيد إلا إذا دخل عليها أجنبي» .

(٨) روى ابن أبي حاتم ٦٨ / ٧ أ عن سعيد بن جبير مثله .

(٩) في (ظ) : (موضع) .

(١٠) رواه الطبري ١٦٧ / ١٨ ، وابن أبي حاتم ٦٨ / ٧ أ عنه مختصراً ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٢٢ / ٦ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(١١) في (ظ) و(ع) : (والله سميع عليكم) لقولكم بما في قلوبكم .

٦١. ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى﴾ روى الزهري عن سعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله في هذه الآية أن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمنهم ، وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون : قد أحللناكم أن تأكلوا مما في بيوتنا ، فكانوا يتخرجون من ذلك ، وقالوا^(١) : لا ندخلها وهم غيب ، فنزلت هذه الآية رخصة لهم^(٢) .

وهذا قول عائشة - رضي الله عنها - روي أنها قالت في هذه الآية : «كان المسلمون يرغبون مع رسول الله ﷺ في المغازي ، ويدفعون مفاتيحهم إلى الضمنا»^(٣) ، ويقولون : قد أحللناكم أن تأكلوا مما في منازلنا ، فكانوا يتوقعون أن يأكلوا من منازلهم حتى نزلت هذه الآية»^(٤) .

(١) في (أ) : (قالوا) .

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٦٤ / ٢ ، وأبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ٢٤٤ ، وأبو داود في المراسيل ١٨٤ ، والطبري في تفسيره ١٦٩ / ١٨ من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله به . ورواه بنحوه أبو داود في المراسيل ١٨٥ ، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور للسيوطي ٢٢٤ / ٦ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٧٥ / ٧ من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله وابن المسيب ، ورواه بنحوه أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ ٦٠٠ ، ٦٠١ من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب . ورواه بنحوه الواحد في أسباب النزول ٢٧٤ من طريق مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب . وهذه الرواية مرسله ، لكن يشهد لها رواية عائشة الصحيحة الآتية ، وقد اعتمد هذا القول الإمام الطبري في تفسيره ١٨ / ١٧٠ فقال بعد ذكره الروايات في نزول هذه الآية : «وأشبه الأقوال التي ذكرنا في تأويل قوله : (ليس على الأعْمَى حرج) إلى قوله : (أو صديقكم) القول الذي ذكرنا عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله . . . » . وقال أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ ٦٠٢ بعد روايته أثر ابن المسيب وعائشة الآتي : «وهذا القول من أجل ما روي في الآية ، لما فيه عن الصحابة والتابعين من التوقيف أن الآية نزلت في شيء بعينه . . . » .

(٣) في (ع) : (الضمنى) ، وفي (ظ) : (الزمنى) ، وعند ابن أبي حاتم : (ضمناهم) .

(٤) رواه البزار في مسنده كما في كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي ٦١ / ٣ ، ٦٢ ، وابن أبي حاتم ٧٠ / ٧ ، وأبي جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ ٦٠١ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٢٤ / ٦ ، ونسبه أيضاً إلى ابن النجار وابن مردويه . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٤ / ٧ : «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح» . وهذه الرواية هي أصح ما ورد في سبب نزول الآية ، والله أعلم .

فعلی هذا معنى الآية : نفی الحرج عن الزمنى فی أكلهم من بیوت^(١) أقاربهم ، أو بیت من يدفع إليهم المفتاح إذا خرج للغزو .

وروى الكلبي ، عن أبي صالح ، [عن ابن عباس]^(٢) فی هذه الآية : «أن الأنصار كانوا قومًا ينتزّهون فی أشياء ؛ كانوا لا يأكلون مع الأعمى يقولون : الأعمى لا يبصر طيّب الطعام ونحن نبصره^(٣) فنسبّقه إليه^(٤) ؛ فيعزلونه على حدة . وكانوا لا يأكلون مع المريض يقولون : لا يقدر أن يأكل مثل ما أكلنا^(٥) يمنعه من ذلك المرض ، وكانوا يعزلونه على حدة ؛ وكانوا لا يأكلون مع الأعرج يقولون : لا يستمكن من المجلس فإلى أن يأكل هو لقمة قد أكلنا لقمتين ، فيعزلونه على حدة . فنزل فی ذلك : ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ يقولون : ليس على من أكل^(٦) مع الأعمى حرج»^(٧) .

وهذا معنى قول مقسم فی هذه الآية : «كانوا لا يأكلون مع الأعمى والأعرج والمريض ؛ لأنهم كانوا لا ينالون من الطعام كما ينالون ، فنزلت هذه الآية»^(٨) .

(١) فی (ظ) و(ع) : (بيت) .

(٢) ساقط من (ظ) و(ع) .

(٣) فی (ظ) و(ع) : (نبصر) .

(٤) (إليه) ساقطة من (ظ) و(ع) .

(٥) فی (ظ) : (مثل أكلنا) .

(٦) فی (ظ) : (ليس على كل من أكل) .

(٧) لم أجد هذه الرواية ، وهي رواية باطلة سنداً . ووقع فی تنوير المقباس الذي هو من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس : «لَمَّا أُنْزِلَ قَوْلُهُ : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء ٢٩] بالظلم وخافوا من ذلك ، فرخص لهم المؤاكلة من بعضهم بعض» . وروى الطبري ١٦٨/١٨ ، وابن أبي حاتم ٦٨/٧ ب نحو هذه الرواية عن الضحاك ، وروى ابن أبي حاتم ٦٨/٧ أ ب ، ٦٩ أ عن سعيد بن جبیر وسليمان بن موسى نحو هذه الرواية .

(٨) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٣٠/٨ ، والطبري ١٣٠/١٨ ، وابن أبي حاتم ٦٨/٧ ب عن مقسم ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٢٣/٦ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

ونحو هذا ذكر مقاتل بن سليمان في سبب النزول^(١).

واختار الفرّاء هذا القول ، وقال : «معنى الآية : ليس عليكم في مؤاكلتهم^(٢) حرج^(٣) . و(في) تصلح مكان (على) هاهنا^(٤) .

وعلى هذا قوله : ﴿عَلَى الْأَعْمَى﴾^(٥) معناه : في الأعمى ؛ أي في مؤكلة الأعمى ، فـ (على) بمعنى (في) ، والمضاف محذوف .

وقال آخرون : كان^(٦) هؤلاء يتنزّهون عن مؤكلة الأصحاء ؛ لأن الناس يتقذّرون منهم ، فكان الأعمى لا يؤاكل الناس ؛ لأنه لا يُبصر الطعام فيخاف أن يستأثر ، وكان الأعرج يتوقّى ذلك لأنه يحتاج لزمانته أن ينفسخ في مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه ، وكان المريض يخاف أن يفسد على الناس طعامهم بأمور قد تعتري مع المريض من رائحة بتغير أو جرح يبض^(٧) أو أنف يذن^(٨) أو بول يسلس^(٩) وأشباه ذلك فأنزل الله [عز وجل]^(١٠) هذه الآية .

يقول : ليس على هؤلاء حرج في مؤكلة الناس .

(١) تفسير مقاتل ٤١/٢ أ ب .

(٢) في (ع) : (مؤاكلتكم) .

(٣) في (ظ) : (تخرج) .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٢٦١ .

(٥) (على) ساقطة من (أ) .

(٦) المثبت من (ع) ، وفي باقي النسخ : (كانوا) .

(٧) يَبْضُ : يقطر منه الدم . انظر : لسان العرب (بضض) ١١٧/٧ .

(٨) يَذْنُ يسيل منه المخاط أو الماء . انظر : لسان العرب (ذنن) ١٣/١٧٣ .

(٩) يسلس ؛ أي لا يستمسك . القاموس المحيط ٢/٢٢٢ .

(١٠) زيادة من (ظ) و(ع) .

وهذا معنى قول^(١) سعيد بن جبير ، والضحاك^(٢) ، والسدي ، قالوا : « كان ناس من الأنصار لا يأكلون مع هؤلاء يتقذرون منهم » .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : « يريد ليس على هؤلاء حرج في التخلف عن الغزو مع رسول الله ﷺ » .

وهذا قول الحسن وابن زيد^(٣) .

وعلى هذا تم الكلام عند قوله : ﴿ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ كلام منقطع عما قبله^(٤) .

قال ابن عباس : « لما نزل قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ [النساء : ٢٩] ترك الناس مؤاكلة الصغير والكبير ، وقالوا : لا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ﴾^(٥) .

أي ليس عليكم حرج في أنفسكم أن تأكلوا من أموال عيالكم وأزواجكم .

فمعنى ﴿ مِنْ بُيُوتِكُمْ ﴾ من بيوت أزواجكم وعيالكم ، أضاف إليه ؛ لأن بيت^(٦) المرأة كبيت^(٧) الزوج .

(١) (قول) ساقط من (ظ) .

(٢) ذكر هذا المعنى الثعلبي ٩٠ / ٣ أ عن سعيد بن جبير والضحاك ، وعن الضحاك رواه الطبري ١٦٨ / ١٨ ، وابن أبي حاتم ٦٨ / ٧ ب .

(٣) ذكره الثعلبي ٩٠ / ٣ أ عن الحسن وابن زيد ، ورواه الطبري ١٦٩ / ١٨ عن ابن زيد .

(٤) من قوله : (تم الكلام . . .) إلى هنا ، هذا كلام الثعلبي ٩٠ / ٣ أ .

(٥) ذكره بهذا اللفظ عن ابن عباس الثعلبي ٩٠ / ٣ أ ، ورواه بنحوه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ٢٤٣ ، والطبري ١٦٨ / ١٨ ، وابن أبي حاتم ٧١ / ٧ أ ، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، ورواه بمعناه من وجه آخر البيهقي في السنن الكبرى ٢٧٥ / ٧ .

(٦) في (ع) : (بنت ، كبت) .

(٧) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٦١ / ٢ .

ذكر هذا المعنى الفراء^(١) وابن قتيبة .

قال [ابن قتيبة : «وقال»^(٢) بعضهم : أراد أن تأكلوا من بيوت [أولادكم فنسب بيوت]^(٣) الأولاد إلى بيوت الآباء ؛ لأن الأولاد كسبهم وأموالهم كأموالهم ، يدل ذلك على أن المراد بالآية^(٤) ما ذكرنا : أن الناس لا يتوقَّون أن يأكلوا من بيوتهم حتى ينفي الحرج عنهم ، وأيضاً فإنه عدَّد القربات وهم أبعد نسباً من الولد ولم يذكر الولد ، وقد قال المفسرون في قوله : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ [المسد : ٢] أراد ما أغنى عنه ماله وولده ، فجعل ولده كسباً»^(٥) .

وذكر مجاهد في سبب نزول الآية غير ما ذكر هؤلاء ، وقال : «كانت رجال زمني عمياً عرجاً أولي^(٦) حاجة يستتبعهم^(٧) رجال إلى بيوتهم ، فإن لم يجدوا طعاماً ذهبوا إلى بيوت آبائهم ومن عددهم معهم ، فكره ذلك^(٨) المستتبعون ، فأنزل الله في ذلك ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾^(٩) ، وأحل لهم الطعام حيث وجدوه»^(١٠) .

(١) ساقط من (ظ) و(ع) .

(٢) في (أ) : (يأكلوا) .

(٣) ساقط من (أ) .

(٤) في (ظ) و(ع) : (كما) .

(٥) مشكل القرآن لابن قتيبة ٣٣٣ ، ٣٣٤ . وقد ذكر هذا القول عن المفسرين في معنى (وما كسب) ابن الجوزي ٢٦٠ / ٦ .

(٦) في (أ) : (وإلى) .

(٧) في (ظ) : (ويستتبعهم) .

(٨) (ذلك) ساقطة من (أ) .

(٩) في النسخ جميعها : (لا جناح عليهم) ، وهو خطأ . ووقع عند أبي عبيد في الناسخ والمنسوخ وابن أبي حاتم والبيهقي : (لا جناح عليكم) ، وهو خطأ ، والتصويب من رواية الطبري .

(١٠) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، والطبري ١٨ / ١٦٩ ، وابن أبي حاتم ٦٩ / ٧ ب ، والبيهقي في السنن الكبرى ٧ / ٢٧٥ ، وهو مرسل ، ورواه عبدالرزاق في تفسيره ٦٤ / ٢ بنحوه ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٢٢٤ مثل رواية عبدالرزاق ، ونسبه أيضاً إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

وعلى هذا معنى الآية : لا جناح على هؤلاء الزمنى ولا على من استتبعهم أن يأكلوا من بيوت أزواجهم وعيالهم أو بيوت آبائهم وأقاربهم الذين ذكروا .

وقال السدّي : « كان الرجل يدخل بيت أبيه أو بيت أخيه [أو بيت أخته] ^(١) ، فتتحفه المرأة بشيء من الطعام ، فلا ^(٢) يأكل لأنه ليس ثمّ رب البيت ، فأنزل الله الرخصة » ^(٣) .

قال ابن قتيبة : « وهذا من رخصته للقربات ^(٤) وذوي الأواصر ^(٥) ، كرخصته في الغرباء والأبعد لمن دخل حائطاً وهو جائع أن يصيب من ثمره ، أو مرّ في سفر بغنم وهو عطشان أن يشرب من رسلها ^(٦) ، وكما أوجب للمسافر على من مرّ به الضيافة ، توسعة منه ولطفاً بعباده ، ورغبة بهم عن دناءة الأخلاق وضيق النَّظَر » ^(٧) .

وقوله : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاحَهُ ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : « يريد ممالككم » ^(٨) ، وذلك أن السيد يملك منزل عبده .

وقال الفرّاء : « يعني : أو بيوت ﴿ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاحَهُ ﴾ » ^(٩) يعني : بيوت عبيدكم وأموالهم .

(١) ساقط من (ظ) و(ع) .

(٢) في (ع) : (ولا) .

(٣) رواه ابن أبي حاتم ٦٩/٧ ب ، وذكره عنه ابن كثير ٣/٣٠٥ .

(٤) في (أ) : (رخصة القربات) .

(٥) في (ظ) : (الأواصر) . والأواصر : جمع أصرة ، وهي الرحم . لسان العرب (أصر) ٢٢/٤ .

(٦) رسلها : لبنها . القاموس المحيط ٣/٣٨٤ .

(٧) مشكل القرآن لابن قتيبة ٣٣٤ .

(٨) ذكر الثعلبي ٩/٣ ، والبغوي ٦٤/٦ هذا القول عن الضحاك .

(٩) في (ظ) : (يعني : أو بيوت ممالككم التي ملكتم مفاتيحهم ، يعني : بيوت عبيدكم وأموالكم) .

قال : « ويجوز أن تكون المفاتيح^(١) هاهنا : الخزائن ، ويجوز أن تكون التي يفتح بها^(٢) .

وذكرنا المفاتيح بمعنى الخزائن في^(٣) قوله : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

وهذا معنى قول مقاتل بن سليمان^(٤) ، والضحاك^(٥) .

وقال آخرون : معنى قوله : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِيحَهُ ﴾ ؛ أي ما خزنتموه لغيركم ، يريد الزماني الذين كانوا يخزنون للغزاة^(٦) .

وقال ابن عباس : « عنى بذلك وكيل الرجل وقِيَمه^(٧) في ضيعته^(٨) وماشيته ، لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته^(٩) » .

قال عكرمة : « إذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا بأس أن يطعم الشيء اليسير^(١٠) » .

(١) في (أ) : (أن يكون معنى المفاتيح) .

(٢) هذا معنى ما قاله الفراء في معاني القرآن ٢ / ٢٦١ لا نصّه .

(٣) في (ع) : (عند) .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٢ / ٤١ ب .

(٥) رواه عنه الطبري ١٨ / ١٧٠ ، وابن أبي حاتم ٧ / ١٧٠ أ ب .

(٦) ذكر الرازي ٢٤ / ٣٧ هذا القول ، ونسبه إلى الضحاك .

(٧) في (ع) : (وخليفته) .

(٨) الضيعة : هو مال الرجل من النخل والكرم والأرض ، وقِيَمه في ضيعته : هو الذي يقوم بأمرها وما تحتاج إليه ، انظر : لسان العرب (ضيع) ٨ / ٢٣٠ ، و(قوم) ١٢ / ٥٠٣ .

(٩) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي ٣ / ٩٠ أ ، ورواه بنحوه الطبري ١٨ / ١٧٠ ، وابن أبي حاتم ٧ / ١٧١ أ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٢٢٤ ، ونسبه أيضاً إلى ابن المنذر والبيهقي .

(١٠) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢ / ٦٥ ، وذكره عنه الجصاص في أحكام القرآن ٣ / ٣٣٥ ، والبغوي ٦ / ٦٤ ، ٦٥ .

وقال السدّي : « الرجل يوليه الرجل طعامه يقوم عليه فلا بأس أن يأكل منه »^(١).

وقال مقاتل بن حيان : « ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاحَهُ﴾ » [يعني : ما ملكتم]^(٢) خزائنه »^(٣).

وقال قتادة : « ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاحَهُ﴾ » [٤] مما تحتبس يا ابن آدم »^(٥).

ونحو هذا يروى عن مجاهد^(٦).

والمعنى : أو بيوت أنفسكم مما اخترنتم وملكتم .

وهذا أبعد الوجوه ؛ لأن الناس لا يتوقّون أن يأكلوا من بيوتهم .

وقوله : « ﴿أَوْ صَدِيقَكُمْ﴾ » . قال المقاتلان : « انطلق رجل غازياً يدعى الحارث بن عمرو^(٧) واستخلف مالك بن زيد^(٨) في أهله وخزائنه^(٩) ، فلما رجع^(١٠) الحارث من غزاته^(١١) رأى مالكاً مجهوداً قد أصابه الضرُّ ، فقال : ما أصابك ؟ قال

(١) رواه ابن أبي حاتم ٧٠ / ٧ ب ، وذكره عنه ابن كثير ٣ / ٣٠٥ .

(٢) ما ملكتم ساقطة من (ع) .

(٣) لم أجده عن مقاتل بن حيان ، وقد رواه ابن أبي حاتم ٧٠ / ٧ أ عن سعيد بن جبیر .

(٤) ساقط من (أ) .

(٥) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٢ / ٦٤ ، والطبري ١٨ / ١٧٠ ، وابن أبي حاتم ٧٠ / ٧ ب .

(٦) ذكر هذه الرواية عن مجاهد الثعلبي ٣ / ٩٠ ب ، ورواها الطبري ١٨ / ١٧٠ .

(٧) في (أ) : (عمر) .

(٨) في (أ) : (يزيد) .

(٩) في (ظ) و(ع) : (وخزائنه) .

(١٠) في (أ) : (خرج) .

(١١) في (أ) : (غرايه) .

مالك^(١) : لم يكن عندي سعة ، فقال الحارث : أما تركتك في أهلي ومالي ؟ قال : بلى ، ولكن لم يكن يحل^(٢) لي مالك ، ولم أكن لأكل ما لا يحل لي ، فأنزل الله : ﴿أَوْ صَدِيقَكُمْ﴾ يعني الحارث بن عمرو حين خلف مالكا في أهله^(٣) .

والمعنى : ليس عليكم جناح أن تأكلوا من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا ولم يعلموا^(٤) من غير أن تتزودوا أو تحملوا^(٥) .

وكان الحسن وقتادة^(٦) يريان دخول^(٧) الرجل بيت صديقه والتحرم من طعامه^(٨) من غير استئذان بهذه الآية .

قال معمر : «ودخلت على قتادة فقلت له^(٩) : أشرب من هذا الحب^(١٠) ؟ حُب فيه ماء ، فقال : أنت لنا صديق ، ثم قرأ : ﴿أَوْ صَدِيقَكُمْ﴾^(١١) .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «أو صديقكم إذا دعاكم»^(١٢) .

(١) مالك) ساقطة من (ع) .

(٢) يحل) ساقطة من (أ) .

(٣) رواه ابن أبي حاتم ٧٠ / ٧ ب ، ٧١ أ عن مقاتل بن حيان ، وهو في تفسير مقاتل بن سليمان ٤١ / ٢ ب .

(٤) في (أ) : (وإن لم تحضروا ولم تعلموا) .

(٥) في (ع) : (من غير أن يتزودوا أو يحملوا) .

(٦) ذكرها عنها بهذا اللفظ الثعلبي ٩٠ / ٣ ب ، وعن قتادة بمعناه رواه عبدالرزاق في تفسيره ٦٤ / ٢ ،

والطبري ١٨ / ١٧١ ، وابن أبي حاتم ٧٠ / ٧ ب .

(٧) في (ظ) و(ع) : (دخل) .

(٨) في (ظ) و(ع) : (بطعامه) .

(٩) (له) ساقطة من (أ) .

(١٠) الحب : الجرّة الضخمة ، أو الذي يوضع فيه الماء . لسان العرب (حب) ٢٩٥ / ١ .

(١١) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٦٥ / ٢ ، والطبري ١٨ / ١٧١ ، وابن حبان في روضة العقلاء ٨٧ عن معمر

به .

(١٢) ذكر الماوردي ٤ / ١٢٤ هذا القول بمعناه ، ولم ينسبه لأحد .

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ . قال أكثر المفسرين: «نزلت في بني ليث بن بكر^(١) - وهم حيي من كنانة - كان الرجل لا يأكل وحده ، يمكث يومه فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئاً ، وربما كانت معه الإبل الحفْل^(٢) فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه ، فأعلم الله أن الرجل منهم إن أكل وحده فلا إثم عليه»^(٣) .

ونصب ﴿جَمِيعًا﴾ على الحال . ومعنى ﴿أَشْتَاتًا﴾ : متفرقين ، جمع شت ، والشت المصدر بمعنى : التفرق ، يقال : شت القوم إذا تفرقوا ، ثم يوصف به ويجمع^(٤) .

وهذا معنى قول قتادة ، ومقاتل ، والضحاك ، وابن جريج ، ورواية الوالبي عن ابن عباس^(٥) .

(١) بطن من كنانة بن خزيمه ، من العدنانية ، وهو بنو ليث بن بكر بن عبد مناة من كنانة بن خزيمه بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، كانوا يقيمون حول مكة . انظر : جهرة أنساب العرب لابن حزم ١٨٠ ، ومعجم قبائل العرب لكحالة ٣/ ١٠١٩ ، ١٠٢٠ .

(٢) الحفْل : كُرْكُع : جمع حافلة ، وهي التي امتلأ ضرعها لبناً . انظر : لسان العرب (حف) ١١/ ١٥٧ ، والقاموس المحيط ٣/ ٣٥٨ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٥٤ . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٤٩ ، والبيان في غريب القرآن للأنباري ٢/ ٢٠٠ ، والدر المصون ٨/ ٤٤٤ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (شت) ١١/ ٢٦٩ ، والصحاح للجوهري (شتت) : ١/ ٢٥٤ ، ولسان العرب (شتت) ٢/ ٤٨ ، ٤٩ .

(٥) ذكره الثعلبي ٣/ ٩٠ عن هؤلاء عدا مقاتل . وقول مقاتل في تفسيره ٢/ ٤١ ب . وعن قتادة رواه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٦٥ ، والطبري ١٨/ ١٧٢ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٧٤ ب ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٢٥ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد . وقول الضحاك وابن جريج رواه عنهما الطبري ١٨/ ١٧٢ . ورواية الوالبي عن ابن عباس رواها الطبري ١٨/ ١٧٢ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٧١ أ .

وقال الكلبي : «كانوا إذا اجتمعوا ليأكلوا طعاماً عزلوا للأعمى^(١) على حدة ، وللأعرج على حدة ، فنزلت هذه الآية [رخصة لهم^(٢)]»^(٣)»^(٤) .

وذهب قوم إلى^(٥) أن هذا عام أباح الله تعالى للناس الأكل إن شاؤوا مجتمعين وإن شاؤوا متفرقين .

وهذا قول مقاتل بن حيان^(٦) ، ومعنى قول ابن عباس في رواية عطاء^(٧) .

وقال عكرمة وأبو صالح : «نزلت في قوم من الأنصار كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم ، فرخص لهم أن يأكلوا كيف شاؤوا مجتمعين أو متفرقين»^(٨) .

-
- (١) في (أ) : (الأعمى) .
 (٢) (لهم) ساقطة من (ع) .
 (٣) ساقط من (ظ) .
 (٤) رواه عنه عبدالرزاق في تفسيره ٦٥ / ٢ .
 (٥) (إلى) ساقطة من (ظ) و(ع) .
 (٦) روى ابن أبي حاتم ٧١ / ٧ ب هذا المعنى عن سعيد بن جبير ، ثم قال : وروى عنه مقاتل بن حيان نحو ذلك .
 (٧) انظر : الثعلبي ٩٠ / ٣ ب ، والبغوي ٦٥ / ٦ .
 (٨) ذكره الثعلبي ٩٠ / ٣ ب عنهما ، ورواه عنهما الطبري ١٨ / ١٧٤ ، وذكره عنها السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٢٢٥ ، ونسبه أيضاً إلى ابن المنذر . قال الطبري ١٨ / ١٧٢ بعد ذكره الروايات في سبب نزول الآية : «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله وضع الحرج عن المسلمين أن يأكلوا جميعاً معاً إذا شاؤوا أو أشتاتاً متفرقين إذا أرادوا ، وجائز أن يكون نزل بسبب من كان يتخوف من الأغنياء الأكل مع الفقير ، وجائز أن يكون بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا لا يطعمون وحداناً ، وبسبب غير ذلك ، ولا خبر بشيء من ذلك يقطع العذر ، ولا دلالة في ظاهر التنزيل على حقيقة شيء منه ، والصواب التسليم لما دل عليه ظاهر التنزيل ، والتوقف في ما لم يكن على صحته دليل» .

وقوله : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : إن هذا في دخول الرجل بيت نفسه والسلام على أهله ومن في بيته .
وهذا قول جابر بن عبد الله ، والزهري ، وقتادة ، وعطاء ، والأعمش ،
ومعنى قول ابن عباس في رواية عطاء^(١) .

وروى أبو الزبير عن جابر قال : « إذا دخلت على أهلِكَ فسلم عليهم ﴾ نَحْيَةً
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكََةً طَيِّبَةً ﴿^(٢) .

وروى عنه مرفوعاً أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على
أهلها »^(٣) .

وقال الزهري وقتادة في قوله : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ قالوا :
« بيتك إذا دخلت فقل : السلام عليكم »^(٤) .

وقال عطاء : « إذا دخلت على أهلِكَ فسلم »^(٥) .

وقال الأعمش : « يقول : فسلموا على أهليكم إذا دخلتم بيوتكم »^(٦) .

(١) قال الثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ٩١ أ : « وهو قول جابر بن عبد الله ، وطاووس والزهري ، وقتادة ، والضحاك ، وعمرو بن دينار ، ورواية عطاء الخراساني عن ابن عباس » .

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد ٣١٩ ، والطبري ١٨/ ١٧٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧/ ٧٢ أ .
 وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٢٦ ، وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

(٣) رواه الحاكم في مستدركه ٢/ ٤٠٢ من حديث جابر مرفوعاً ، وقال : « غريب الإسناد والمتن » .

(٤) رواه عنها عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٦٥ ، والطبري ١٨/ ١٧٣ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٧١ ب .

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٨/ ٤٥٥ ، والطبري ١٨/ ١٧٣ .

(٦) لم أجده . وقد روى الطبري ١٨/ ١٧٤ من طريق الأعمش عن إبراهيم قال : « إذا دخلت
المسجد . . . ، وإذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد . . . ، وإذا دخلت بيتك فقل : السلام عليكم » .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «هذا»^(١) أدب من الله - عز وجل - أمر أوليائه بالسلام على أهلهم» .

وعلى هذا قال : ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ ، وهو يريد أهليكم ؛ لأن أهل الرجل في نفسه .

القول الثاني : إن معنى الآية : ليسلم بعضكم على بعض إذا دخلتم بيوتاً . وهو قول الحسن ، وزيد بن أسلم وابن ، والسدي ، والكلبي ، والمقاتلين^(٢) ، كل هؤلاء قالوا : معنى الآية إذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أهلها وعلى من فيها من المسلمين ، وليسلم بعضكم على بعض عند دخول البيت والمنازل .

وعلى هذا معنى قوله : ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ ؛ أي على أهل ملتكم ، قاله السدي^(٣) . وقال مقاتل : «على أهل دينكم»^(٤) .

وقال زيد بن أسلم : «يقول»^(٥) على المسلمين»^(٦) .

وقال الحسن : «هذا كقوله : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء : ٢٩]»^(٧) .

-
- (١) (هذا) ساقطة من (أ) .
 (٢) قول ابن زيد ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٩٠ ب ، ورواه عنه الطبري ١٨/ ١٧٤ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٧٢ ب . وقول الكلبي رواه عنه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٦٦ . وقول مقاتل بن حيان رواه عنه ابن أبي حاتم ٧/ ٧٢ أ ب . وسيأتي تخريج أقوال الباقيين .
 (٣) ذكره عنه الماوردي ٤/ ١٢٦ .
 (٤) تفسير مقاتل ٢/ ٤١ ب .
 (٥) (يقول) ساقطة من (ع) .
 (٦) رواه ابن أبي حاتم ٧/ ٧٢ أ .
 (٧) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٩٠ ب . ورواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٦٦ ، والطبري ١٨/ ١٧٤ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٧٢ ب ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٢٨ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

القول الثالث : إن هذا في دخول البيوت الخالية .

روى منصور^(١) عن إبراهيم^(٢) في هذه الآية قال : «إذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»^(٣) .

وقال مجاهد في هذه الآية : «إذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل : السلام علينا من ربنا ، السلام علينا»^(٤) وعلى عباد الله الصالحين»^(٥) .

وهذا قول ابن عمر^(٦) ، والحكم^(٧) ، وماهان^(٨) .

وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس في هذه الآية قولاً رابعاً في قوله : ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ قال : «هو المسجد إذا دخلتم فسلموا على من فيه ، وقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»^(٩) .

فالبيوت في هذا القول المساجد .

(١) هو منصور بن المعتمر .

(٢) هو إبراهيم النخعي .

(٣) رواه الطبري ١٧٤ / ٢٨ ، ١٧٥ من رواية منصور عن إبراهيم .

(٤) في (ع) : (عليكم) .

(٥) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٦٦ / ٢ ، وسعيد بن منصور في تفسيره : ل ٥٨ أ ب ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٤٦١ / ٨ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٧٢ أ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٢٢٨ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٦) رواه عنه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤٦٠ / ٨ ، والبخاري في الأدب المفرد ٣١٠ ، والطبري في تفسيره ١٧٥ / ١٨ .

(٧) (والحكم) : في حاشية (ع) ، وهو الحكم بن عتيبة ، وقوله لم أجده .

(٨) هو ماهان الحنفي . وروى عنه هذا القول عبدالرزاق في تفسيره ٦٥ / ٢ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٤٦١ / ٨ ، والطبري ١٧٤ / ١٨ .

(٩) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٦٦ / ٢ ، والطبري ١٧٤ / ٨ ، وابن أبي حاتم : ٧ / ٧٢ أ ، والحاكم في مستدركه ٢ / ٤٠١ ، والثعلبي في الكشف والبيان ٣ / ٩١ أ ، كلهم من طريق عمرو بن دينار عن ابن عباس به ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٢٢٧ ، ونسبه أيضاً إلى ابن المنذر والبيهقي . وصحّح ابن العربي ٣ / ١٤٠٨ أن المراد البيوت كلها ، لعموم القول ، ولا دليل على التخصيص .

قوله : ﴿ تَحِيَّةٌ ﴾ ذكرنا معناها عند قوله : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ ﴾ [النساء : ٨٦] .

قال أبو إسحاق : « هو نصبٌ على المصدر لأن قوله (فسَلِّمُوا) بمعنى^(١) فتحيُّوا^(٢) ويحيي بعضكم تحية^(٣) » .

وقوله : ﴿ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ . قال ابن عباس : « أي هذه تحية حياكم الله بها »^(٤) .

وقال الفرَّاء^(٥) : « أي من أمر الله ، أمركم بها تفعلونه^(٦) طاعة له »^(٧) .

وقوله : ﴿ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد حسنة جميلة »^(٨) .

وقال الزَّجَّاج : « أعلم الله أن السلام مبارك طيب لما فيه من الأجر والثواب »^(٩) .

قوله : ﴿ كَذَلِكَ ﴾ ؛ أي كبيانهِ في هذه الآية .

(١) في (ظ) : (يعني) .

(٢) في (أ) : (فحيوا) .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٥٥ / ٤ . انظر : إعراب القرآن للنحاس ١٤٩ / ٣ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٥١٧ / ٢ ، والإملاء للعكبري ١٦٠ / ٢ .

(٤) لم أجده بهذا اللفظ ، وقد روى ابن أبي حاتم ٧٢ / ٧ ب من طريق الوالي عن ابن عباس في قوله : (تحية من عند الله) قال : « وهو السلام ؛ لأنه اسم الله ، وهو تحية أهل الجنة » .

(٥) الفرَّاء (ساقط من (ع) .

(٦) في (أ) : (تفعلوه) .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢٦٢ / ٢ .

(٨) ذكره عنه البغوي ٦٦ / ٦ .

(٩) معاني القرآن للزَّجَّاج ٥٥ / ٤ إلى قوله : (طيب) . أمَّا قوله : (لما فيه من الأجر والثواب) فهذا كلام الطبري في تفسيره ١٧٢ / ١٨ .

﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ : يفصل الله لكم معالم دينكم كما بين في أمر الطعام والتسليم^{(١)(٢)} .

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ : لكي تفقهوا^(٣) عن الله أمره ونهيه وأدبه .

٦٢ . قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ . قال مجاهد^(٤) ، وسعيد بن جبير^(٥) ، والمفسرون^(٦) : يعني الجمعة والغزو .

وقال مقاتل بن حيان : «يقول على أمر طاعة يجتمعون عليها نحو الجمعة والنحر والفطر والجهاد وأشباه ذلك»^(٧) .

وقوله : ﴿لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ . قال مقاتل : «نزلت في عمر بن الخطاب استأذن النبي ﷺ في غزوة تبوك في الرجعة إلى أهله ، فأذن له وقال : «انطلق ، فوالله ما أنت بمنافق» ، يريد بذلك أن يسمع المنافقين»^(٨) .

(١) في (ظ) : (والسلام) .

(٢) الطبري ١٨ / ١٧٥ مع اختلاف يسير .

(٣) في (أ) : (تفقهون) .

(٤) رواه عنه عبد الرزاق في مصنفه ٣ / ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٧٣ أ ب ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ونسبه أيضاً إلى الفريابي وابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٥) رواه عنه ابن أبي حاتم ٧ / ٧٣ أ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٢٣٠ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد .

(٦) انظر : الطبري ١٨ / ١٧٥ ، ١٧٦ ، والثعلبي ٣ / ٩١ أ .

(٧) روى عنه ابن أبي حاتم ٧ / ٧٣ ب .

(٨) تفسير مقاتل ٢ / ٤٢ أ . وهذه الرواية لا تصح في سبب نزول هذه الآية .

وقال ابن عباس : «الذي استأذنه عمر بن الخطاب ، وذلك^(١) أنه استأذن رسول الله ﷺ في العمرة فأذن له ، ثم قال : يا أبا حفص لا تنسنا في صالح^(٢) دعائك^(٣) .

وقال الثمالي^(٤) في هذه الآية : «إن رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة ، وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر ، لم يخرج حتى يقوم بحيال^(٥) رسول الله ﷺ حيث يراه ، فيعرف أنه^(٦) إنما قام ليستأذن ، فيأذن لمن شاء^(٧) منهم^(٨) .

قال مجاهد : «وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده^(٩) .

-
- (١) في (ع) : (في ذلك) .
 (٢) (صالح) ساقطة من (ع) .
 (٣) لم أجده عن ابن عباس ، وقد روى أبو داود في سننه ٣٦٥/٤ ، كتاب : الصلاة ، باب : الدعاء ، والترمذي ٧/١٠ ، كتاب : الدعوات ، وابن ماجه ١٥٥/٢ ، كتاب : المناسك ، باب : فضل دعاء الحاج ، عن ابن عمر أنه استأذن النبي ﷺ في العمرة فأذن له ، وقال : «يا أخي أشركنا في دعائك ولا تنسنا» . قال المنذري في مختصر أبي داود ١٤٦/٢ : «وفي إسناده عاصم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب وقد تكلم فيه غير واحد من الأئمة» . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١١/٣ عن عمر ، وفيه : «في صالح دعائك» ، وقال : «رواه أحمد وأبو يعلى ، وفيه عاصم بن عبدالله ، وفيه كلام كثير ، وقد وثق» .
 (٤) هو أبو حمزة الثمالي .
 (٥) بحيال ؛ أي بجانب .
 (٦) (أنه) ساقطة من (أ) .
 (٧) في (ع) : (يشاء) .
 (٨) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٩١/٣ ب بسنده عن أبي حمزة الثمالي به ، وهو ضعيف ؛ لضعف الثمالي ، ولإرساله . وقد ذكر البغوي ٦٧/٦ ، وابن الجوزي ٦٨/٦ ، ٦٩ هذا الخبر ، ونسباه إلى المفسرين .
 (٩) رواه عبدالرزاق في مصنفه ٢٤٢/٣ ، ٢٤٣ ، وابن أبي حاتم ٧٣/٧ أ ب ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٢٩/٦ ، ونسبه أيضاً إلى الفريابي وابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن المنذر .

قال الكلبي : « كان ذلك مع رسول الله ﷺ ، فأما اليوم فإذنه أن يأخذ بأنفه وينصرف »^(١) .

وذكر في سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب يوم الجمعة عرّض بالمنافقين في خطبته وعابهم ، فربما كانوا يخرجون من المسجد ولا^(٢) يصلون معه الجمعة فأنزل الله هذه الآية^(٣) .

وقال أبو إسحاق في هذه الآية : « أعلم الله - عز وجل - أن المؤمنين إذا كانوا مع نبيّه في ما يحتاج فيه إلى الجماعة لم يذهبوا حتى يستأذنه ، وكذلك ينبغي أن يكونوا مع أئمتهم لا يخالفونهم ، ولا يرجعون عنهم في جمع من جموعهم إلا بإذنهم ، وللإمام أن يأذن وله أن لا يأذن على قدر ما يرى من الحظ لقوله عز وجل : ﴿ فَأَذِّن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ فجعل المشيئة إليه في الإذن »^(٤) .

﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ ﴾ ؛ أي استغفر لهم لخروجهم عن الجماعة إن رأيت لهم عذراً .

(١) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٦٦/٢ ، وفي مصنفه ٢٤٤/٣ .

(٢) في (ع) : (لا) .

(٣) روى أبو داود في المراسيل ٤٧ عن مقاتل بن حيان نحوه ، وذكره نحو هذه الرواية الفراء في معاني القرآن ٢٦٢/٢ . انظر : ابن كثير ٣/٣٠٧ ، والدر المنثور ٦/٢٣١ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥٥/٤ .

قوله تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : « يريد من بعيد : يا أبا القاسم . ولكن افعلوا كما قال في الحجرات : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ ﴾ [الحجرات : ٣] »^(١) .

وعلى هذا معنى الآية أنهم أمروا بخفض الصوت إذا دعوا رسول الله ﷺ ونهوا أن يصيحوا به من بعيد .

وقال مجاهد : « أمرهم أن يدعوا^(٢) رسول الله ﷺ في لين وتواضع ، ولا يقولوا : يا محمد ، في تجهّم »^{(٣)(٤)} .

وقال سعيد بن جبير : « لا تقولوا يا محمد ، قولوا : يا رسول الله »^(٥) .

وقال قتادة : « أمرهم أن يُفخّموه ويُشرّفوه »^(٦) .

(١) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة ٤٦ / ١ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٣٠ / ٦ ، ونسبه أيضاً إلى عبد الغني بن سعيد في تفسيره . وقد تقدّم الكلام على هذه الرواية عن ابن عباس .

وروى ابن أبي حاتم ٧ / ١٧٤ ، وأبو نعيم في دلائل النبوة ٤٥ / ١ ، ٤٦ من طريق بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، نحو هذا القول . وهذه الرواية فيها ضعف وانقطاع ؛ فبشر بن عمار ضعيف ، والضحاك لم يلق ابن عباس . انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر ٤٥٥ / ١ ، ٤٥٣ / ٤ .

(٢) في (أ) : (يدعونا) .

(٣) في (أ) : (تهجم) . والتجهّم الاستقبال بوجه كره . انظر : لسان العرب (جهم) ١١٢ / ١١١ .

(٤) رواه الطبري ١٨ / ١٧٧ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٧٤ ب ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٣١ / ٦ ، وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره : ج ٧٤ ب ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٣١ / ٦ ونسبه إلى عبد بن حميد .

(٦) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٢ / ٦٦ ، والطبري ١٤ / ١٧٧ ، ورواه ابن أبي حاتم ٧ / ٧٤ ب بنحوه ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٣١ / ٦ ، ونسبه أيضاً إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

وقال المقاتلان : «يقول لا تدعوا النبي باسمه : يا محمد ، يا ابن عبد الله^(١) ، إذا دعوتوه كما يدعو بعضكم بعضاً باسمه : يا فلان ، ويا ابن فلان ، ولكن عظموه وفخموه وشرفوه ، وقولوا : يا رسول الله ، ويا نبي الله^(٢) .

وهذا قول أكثر المفسرين^(٣) ، واختيار الفراء^(٤) والزجاج ، قال : «أعلمهم الله فضل النبي ﷺ على سائر البرية^(٥) في المخاطبة^(٦) .

وروي عن ابن عباس قول آخر قال^(٧) : «نهى الله المؤمنين^(٨) أن يتعرضوا لدعاء الرسول عليهم ، يقول : دعوة الرسول عليكم موجبة فاحذروها^(٩) .

وهذا قول الحسن ، قال في هذه الآية : «لا تجعلوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضهم على بعض^{(١٠)(١١)} .

(١) في (ع) : (ولا يا بن عبد الله) .

(٢) قول مقاتل بن حيان رواه عنه ابن أبي حاتم ٧/ ٧٤ ب ، وقول مقاتل بن سليمان في تفسيره ٢/ ٤٢ أ .

(٣) انظر : ابن أبي حاتم ٧/ ٧٤ ب ، والدر المنثور للسيوطي ٦/ ٢٣١ .

قال ابن كثير ٣/ ٣٠٧ عن هذا القول : «وهو الظاهر من السياق كقوله : (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) إلى آخر الآية [البقرة : ١٠٤] ، وقوله : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم) إلى قوله : (خير أ لهم) [الحجرات : ٢-٥] فهذا كله من باب : الأدب في مخاطبة النبي ﷺ والكلام معه وعنده كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته . اهـ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٦٢ .

(٥) في (أ) : (النبوية) .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٥٥ .

(٧) في (ع) : (قالت) .

(٨) (المؤمنين) ساقطة من (ع) .

(٩) رواه الطبري ١٨/ ١٧٧ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٧٤ ب من قوله : (دعوة . . .) من رواية العوفي عنه ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٣١ ، ونسبه أيضاً إلى ابن مردويه . قال ابن عطية ١٠/ ٥٥٦ ولفظ الآية يدفع هذا المعنى .

(١٠) في (ع) : (كدعاء بعضكم بعضاً) ؛ أي على بعض .

(١١) رواه عنه ابن أبي حاتم ٧/ ٧٤ ب ، وذكره عنه ابن كثير ٣/ ٣٠٧ .

وذكر المبرّد وجهاً آخر فقال : «يجوز أن يكون المعنى : لا تجعلوا أمره إياكم ودعاءه لكم كما يكون من بعضكم لبعض ؛ إذ^(١) كان أمره فرضاً لازماً»^(٢) .

قال : ومثله قوله : ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

وعلى هذا المصدر يكون مضافاً إلى الفاعل والدعاء يكون من الرسول ، وهو أليق بما بعده من التهديد لمن تأخر عن الرسول وخالف أمره ، وهو قوله : ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾^(٣) .

قال الليث : «التسلل : انسلال^(٤) جماعة ، إذا ذهبوا»^(٥) .

والسَّل : الإخراج ، والتسلل والانسلال : الخروج . يقال : تسلل فلان من بين أصحابه ، إذا خرج من جملتهم^(٦) .

وذكرنا هذا عند تفسير^(٧) السلالة^(٨) .

(١) في (ع) : (إذا) .

(٢) ذكره عنه الرازي ٣٩ / ٢٤ ، ٤٠ وذكره عنه بمعناه أبو حيان ٤٧٦ / ٦ ، والسمين الحلبي ٤٤٦ / ٨ ، وذكر الماوردي ١٢٨ / ٤ هذا المعنى ، وقال : «حكاه ابن عيسى» .

(٣) اختار الرازي ٤٠ / ٢٤ ، وأبو حيان ٤٦ / ٦ هذا القول ، وذكرنا مثل هذا التعليل .

(٤) في (أ) : (استلال) .

(٥) قول الليث في العين (سلّ) ١٩٣ / ٧ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (سلّ) ١٢ / ٢٩٢-٢٩٤ ، والصحاح للجوهري (سلل) : ١٧٣١ / ٥ ، ولسان العرب (سلل) ١١ / ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

(٧) في (ع) : (عند قوله تفسير) .

(٨) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُكُلَاتٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون : ١٢] .

وقوله : ﴿لَوْذَا﴾ هو من الملاوذة ، وهو^(١) أن يستتر بشيء مخافة من يراه^(٢) .
قال الطرمّاح :

تَلَاوُذٌ^(٣) مِنْ حَرِّ كَأَنَّ أَوَارَهُ^(٤) يُذِيبُ دِمَاعَ الضَّبِّ فَهُوَ حَدَوُعٌ^(٥)
أي تستتر^(٦) بكنسها^(٧) يعني بقر الوحش .

قال الفراء : «إنما قيل لوذاً لوذاً ؛ لأنها مصدر (لاوذت) ، ولو كانت مصدراً
لـ (لذت) لكان ليذاً ، كما تقول : قمت إليك قياماً ، وقاومتك قواماً»^(٨) .

ونحو هذا قال الزّجاج^(٩) .

وذكر المبرّد العلة فقال : «صحت الواو في لوذاً ؛ لأن فعلها صحيح ، لاوذته
لوذاً وعادوته عواداً ، ولو اعتل الفعل لاعتل مصدره في (فعال) نحو : قمت
قياماً ، ونمت نياماً ، ولو قلت : قاومته ، لقلت : قواماً»^(١٠) .

(١) في (أ) : (هو) .

(٢) انظر : الصحاح (لوذ) ٥٧٠ / ٢ ، ولسان العرب ٥٠٨ / ٣ .

(٣) في (أ) : (تلاود) .

(٤) في (ظ) : (أواره) .

(٥) في (أ) : (جدوع) ، والمثبت من باقي النسخ ، والديوان .

(٦) في (ظ) : (يستتر) .

(٧) الكُنْس : جمع مكنس ، وهو مولج الوحش من الظباء والبقر تستكن فيه من الحر . لسان العرب
(كنس) ١٩٨ / ٦ .

(٨) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٦٢ .

(٩) معاني القرآن للزّجاج ٤ / ٥٦ .

(١٠) في الكامل للمبرّد ٢ / ٢٧٨ : وكذلك (فعال) إذا كان مصدراً صحيحاً صحَّ إذا صحَّ فعله ،
واعتل إذا اعتل فعله ، فما كان مصدراً لـ (فاعلت) فهو (فعال) صحيح ، تقول : قاولته قوالاً ،
ولاوذته لوذاً ، كقوله تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْلُلُونَ إِلَيْكُمْ لَوَاذًا ﴾ ؛ أي ملاوذة ، وإذا كان
مصدر (فعلت) اعتل لاعتلال الفعل ، فقلت : قمت قياماً ، ونمت نياماً ، ولذت ليذاً ، وعذت
عيذاً . اهـ .

قال ابن عباس في هذه الآية : «يلوذ بغيره ويهرب» .

وقال مقاتلان : «إن المنافقين كان يثقل عليهم يوم الجمعة قولُ النبي ﷺ وخطبته ، فيلوذون ببعض أصحاب محمد ﷺ حتى يخرجوا من المسجد ، [فيقوم المنافق فينسل] ^(١) مستخفياً مستتراً ^(٢) بغيره من غير استئذان» ^(٣) .

وعلى هذا التهديد في الخروج عن المسجد يوم الجمعة .

وقال ابن قتيبة : «ويقال : بل نزلت هذه في حفر الخندق ، فكان ^(٤) قوم يتسللون بلا إذن» ^(٥) .

ومعنى ﴿قَدْ يَعْلَمُ﴾ التهديد بالمجازاة .

وهو اختيار الفراء ، قال : «إن المنافقين كانوا يشهدون الجمعة فيعييهم النبي ﷺ بالآيات التي تنزل فيهم ، فيضجرون ، فإن خفي لأحدهم القيام قام» ^(٦) .

(١) زيادة من تفسير مقاتل يستقيم بها المعنى .

(٢) في (ظ) : (مستتراً) .

(٣) قول مقاتل بن حيان رواه عنه ابن أبي حاتم ٧/ ٧٥ أ ، وقول مقاتل بن سليمان في تفسيره ٢/ ٤٢ أ .

(٤) في (ظ) : (وكان) .

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٠٩ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٦٢ .

ثم حذّرهم الفتنة والعذاب ، فقال : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ ؛ أي يعرضون عن أمره ، ودخلت (عن) لتضمن^(١) المخالفة معنى الإعراض^(٢) . ﴿ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ قال ابن عباس : « ضلالة »^(٣) .

يعني الكفر ، قاله المقاتلان^(٤) .

وقال الحسن والكلبي : « بليّة تُظهر ما في قلوبهم من النفاق »^(٥) .

﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ : يعني القتل في الدنيا^(٦) .

وهذا دليل على أن من خالف الرسول فهو معرض^(٧) الفتنة والقتل .

(١) في (أ) : (وليحذر) ، وهو خطأ في الآية .

(٢) في (ظ) : (التضمن) .

(٣) هذا معنى ما قاله الطبري ١٧٨/١٨ . وذكر الماوردي ١٢٩/٤ ، وابن الجوزي ٦٩/٦ قولاً ثانياً ، ونسباه إلى الأخفش ، وهو أن (عن) زائدة ، والتقدير : فليحذر الذين يخالفون أمره . وهذا قول أبي عبيدة في المجاز ٦٩/٢ ، والصحيح الأول .

(٤) ذكره عنه ابن الجوزي ٦٩/٦ ، وذكر عنه الثعلبي ٩١/٣ ب ، والزنجشري ٧٩/٣ أنه قال : « قتل » .

(٥) قول مقاتل بن حيان رواه ابن أبي حاتم ٧٥/٧ ب ، وقول مقاتل بن سليمان في تفسيره ٤٢/٢ أ ، وذكره الثعلبي ٩١/٣ ب عن الحسن ، وذكره الماوردي ١٢٩/٤ ، وقال : « حكاه ابن عيسى » ، وذكره ابن العربي في أحكام القرآن ١٤١٢/٣ من غير نسبة ، ثم قال بعد ذكره هذا القول وغيره : « وهذه الأقوال صحيحة كلها ؛ ولكن متعلقاتها مختلفة ؛ فهناك مخالفة توجب الكفر ، وهناك مخالفة هي معصية » .

(٦) روى ابن أبي حاتم ٧٥/٧ ب هذا القول عن مقاتل بن حيان ، وذكر الماوردي ١٢٩/٤ هذا القول ، ونسبه إلى يحيى بن سلام ، ثم حكى قولاً ثانياً هو أن العذاب هنا عذاب جهنم في الآخرة .

(٧) في (ظ) : (تعرض) ، وفي (أ) و(ع) : (يعرض بإهمال أوله) ، ولعل الصواب : فهو متعرض للفتنة .

ثم عَظَّمَ نفسه ، فقال : ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يعني عبيداً^(١) ومملكاً وخلقاً^(٢) ، وفيه بيان أنه لا يجوز للعبد أن يخالف أمر مالكه الذي له ما في السموات والأرض^(٣) .

وقوله : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ . قال مقاتل : «من الإيِّمان والنفاق»^(٤) . وقال الكلبي : «من الاستقامة وغير ذلك»^(٥) .

قوله : ﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ : وهي النفخة الأخيرة يخرجون من قبورهم^(٦) .

﴿ فَيَنْتَبِهُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ﴾ من الخير والشر ، ﴿ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءً ﴾ من أعمالهم ﴿ عَلِيمٌ ﴾^(٧) .

* * *

(١) في (ظ) : (عبدا) .

(٢) الثعلبي ٩١/٣ ب .

(٣) الطبري ١٨/١٧٩ مع اختلاف يسير .

(٤) تفسير مقاتل ٤٢/٢ أ .

(٥) تنوير المقياس ٢٢٤ .

(٦) روى ابن أبي حاتم ٧/٧٥ ب عن أبي العالية نحو ذلك .

(٧) من قوله : (من الخير . . .) إلى هنا ، هذا قول مقاتل في تفسيره ٤٢/٢ أ .

تفسير

سورة الفرقان (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سورة الفرقان مكية ، حكى الإجماع على ذلك البقاعي . مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ٣١٦ / ٢ ، قال ابن الجوزي : « وحكي عن ابن عباس ، وقتادة ، أنها قالوا : إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة ؛ وهي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ إلى قوله : ﴿ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٦٨ - ٧٠] . زاد المسير ٧١ / ٦ ، قال الهيثمي : « رواه الطبراني من رواية علي بن زيد عن يوسف بن مهران ، وقد وثقا وفيهما ضعف ، وبقيّة رجاله ثقات » . مجمع الزوائد ٨٤ / ٧ .

إلا أن الثابت عن ابن عباس - رضي الله عنهما - يخالف هذا ؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه ، رقم : ٤٧٦٢ كتاب : التفسير ، باب : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ عن القاسم بن أبي بزة أنه سأل سعيد بن جبير : هل لمن قتل عمداً من توبة ؟ فقرأت عليه : ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ فقال سعيد : قرأتها على ابن عباس كما قرأتها عليّ ، فقال : هذه مكية نسختها آية مدنية التي في سورة النساء . فتح الباري ٨ / ٤٩٣ ، وأخرجه أيضاً مسلم ٢٣١٨ / ٤ ، كتاب : التفسير ، رقم : ٣٠٢٣ ، والمشهور عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن السورة كلها مكية . قال ابن الجوزي : « قال ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة في آخرين : هي مكية » . زاد المسير ٧١ / ٦ ، وقال السيوطي : « وأخرج ابن الضريس ، والنحاس ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل ، من طرق عن ابن عباس ، قال : نزلت سورة الفرقان بمكة » . الدر المنثور ٦ / ٢٣٤ .

١. ﴿تَبَارَكَ﴾ . قال ابن عباس : «تعالى عما قال القائلون» ، وروي عنه :
«جاء بكل بركة»^(١) .

وقال الفرّاء : «البركة والتقديس : العظمة ، وهما سواء ، وهو كقولك :
تقدس ربنا»^(٢) ، وذكرنا الكلام في ﴿تَبَارَكَ﴾ في سورة الأعراف^(٣) .

وقال البيهقي بعد ذكر أثر ابن عباس : «ولهذا الحديث شاهد في تفسير مقاتل ، وغيره من أهل
التفسير» . دلائل النبوة ٧ / ١٤٤ ، وعدد آياتها سبع وسبعون آية من غير اختلاف . مصاعد النظر
٢ / ٣١٩ ، أورد الواحدي في تفسيره الوسيط ٣ / ٣٣٣ حديثاً في فضل هذه السورة لم يذكره هنا في
تفسيره البسيط ، والحديث هو : عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ من قرأ
سورة الفرقان ؛ يبعث يوم القيامة وهو مؤمن أن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في
القبور ، ودخل الجنة بغير حساب . وهو حديث موضوع . قال ابن الجوزي : «وقد فرق هذا الحديث
أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره فذكر عند كل سورة منه ما يخصها ، وتبعه أبو الحسن الواحدي في
ذلك ، ولا أعجب منها ؛ لأنها ليسا من أهل الحديث» . الموضوعات ١ / ١٧٤ ، والحديث في تفسير
الثعلبي ٨ / ٩١ ب ، وحكم عليه بالوضع الزيلعي في تخريجه لأحاديث الكشف ٢ / ٤٦٩ ، والمناوي
في الفتح الساوي في تخريج أحاديث البيضاوي ٢ / ٨٨٥ .

(١) لم أجد هذا القول في ما تيسر لي من المراجع ، والذي ذكره ابن جرير في تفسيره ١٨ / ١٧٩ عن
ابن عباس رضي الله عنهما : تفاعل من البركة ، وهو كقول القائل : تقدس ربنا ، وإسناده فيه ضعف
وانقطاع ؛ لأن فيه بشر بن عمار وهو ضعيف ، وفيه الضحاك وهو لم يلق ابن عباس . تفسير ابن كثير
١ / ١١٣ ، وضعّفه ابن حجر في كتابه العجّاب في بيان الأسباب ١ / ٢٢٣ ، وأخرجه ابن أبي حاتم
٨ / ٢٦٥٩ بإسناد ابن جرير بلفظ : تفاعل من البركة . وهو كذلك عند الثعلبي في تفسيره ٨ / ٩٢ ،
ثم قال : كأن معناه : جاء بكل بركة . ﴿تَبَارَكَ﴾ اسم مختص بالله تعالى ، لم يستعمل في غيره ، ولذلك
لم يصرف منه مستقبل ، ولا اسم فاعل . تفسير ابن عطية ١١ / ٢ ، وتفسير السمرقندي ٢ / ٤٥٢ .

(٢) معاني القرآن ٢ / ٢٦٢ ، وفيه تقديم وتأخير .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف : ٥٤] قال الواحدي : «قال
الليث : تفسير ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ تمجيد وتعظيم . وقال أبو العباس : ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ : ارتفع . والتبارك :
المرتفع . وقال ابن الأنباري : ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ باسمه يتبرك في كل شيء . وقال الزجاج : ﴿تَبَارَكَ﴾
تفاعل من البركة ، كذلك يقول أهل اللغة» .

﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ . قال المفسرون : يعني القرآن^(١) . قال ابن عباس : «قرآناً فرقت فيه بين الحق والباطل ، وجعلت فيه المخرج من جميع الشبهات»^(٢) . والكلام في ﴿تَبَارَكَ﴾ ماضٍ^(٣) .

وذكر أبو علي في المسائل الحلبية الفرق بين ﴿الْفُرْقَانِ﴾ و﴿الْقُرْآنِ﴾ ، فقال : «الفرقان : صفة لأنه بمعنى الفارق»^(٤) ، ويقوِّي كونه صفة مجيئه على وزن يجيء عليه الصفات ، نحو : عُزَيَّان ، وَخُصَّاصَان^(٥) ، وهو صفة لا تجري على موصوف بل استعمال^(٦) استعمال الأسماء ، كالعبد ، والصاحب ، فإنهما صفتان في الأصل ، وقد استعمالاً استعمال الأسماء ، ومن ثم لم يعمل صاحب أعمال أسماء الفاعلين ،

(١) قال قتادة : «هو القرآن ، فيه حلال الله وحرامه ، وشرائعه ودينه ، فَرَّقَ الله به بين الحق والباطل» ، أخرجه ابن أبي حاتم ٢٦٦٠ / ٨ ، وزاد السيوطي ٦ / ٢٣٥ نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر . وهو قول مقاتل ٤٢ ب ، والثعلبي ٨ / ٩٢ أ .

(٢) لم أعثر على من نسبته إلى ابن عباس في ما لدي من المراجع . وفي تفسير مقاتل ٤٢ ب : «يعني القرآن ، وهو المخرج من الشبهات» ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٦٥٩ بسنده عن مجاهد ، وفي إسناده رجل لم يسم . وقال الزَّجَّاج : «والفرقان : القرآن ، يُسمى فرقاناً ؛ لأنه فُرقَ به بين الحق والباطل» ، ولم ينسبه . وذكر نحوه القرطبي ١٣ / ٢ ، ولم ينسبه .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة : ٥٣] قال الواحدي : «الفرقان مصدر فرقت بين الشيئين أفرق فرقاً وفرقناً ، كالرجحان والنقصان ، هذا هو الأصل ، ثم يُسمى كل فارق : فرقاناً ، كتسميتهم الفاعل بالمصدر ، كما سُمِّي كتاب الله : الفرقان ؛ لفصله بحججه وأدلته بين المحق والمبطل ، وسمى الله تعالى يوم بدر يوم الفرقان ، في قوله لأنه فرق في ذلك اليوم بين الحق والباطل فكان ذلك اليوم يوم الفرقان» .

(٤) أي إن الفرقان صفة لكلام الله تعالى ، سواء كان هذا الكلام في القرآن ، أو الإنجيل ، أو التوراة . قال الماوردي ٤ / ١٣١ في تفسيره للفرقان : «وقيل : إنه اسم لكل كتاب منزل كما قال تعالى : ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾» .

(٥) الخُمُصَان ، والخُمُصَان : الجائع الضامر البطن . مقاييس اللغة ٢ / ٢١٩ ، واللسان ٧ / ٢٩ .

(٦) في (أ) : (استعمال) .

نحو : ضارب ، وقاتل ، وكذلك الأجرع^(١) ، والأبطح^(٢) ، والأدم^(٣) ، حيث كُسرت^(٤) على الأفعال فتَعَدَّوا فيها : فُعْلاً وفُعْلاً ، والحرمر^(٥) والحرمران ، والسود والسودان ، وإذا كثر في كلامهم هذا النحو من الصفات التي تجري مجرى الأسماء ، وأن لا تجري على موصوف ، كذلك : الفرقان والقرآن في الأصل مصدر وليس بصفة ، إلا أن القرآن أضيف إلى ضمير التنزيل في قوله : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة : ١٧] ، ولو كانت صفة لم تجز إضافته إلى نفسه^(٦) . وسنذكر هذا الفصل مشروحاً إذا انتهينا إلى هذه الآية^(٧) ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ محمد عليه السلام^(٨) ،

(١) مصدر جَرَعَ الماء يجرعه ، لا غير ، والجَرَع : جمع جَرَعَة ، وهي : دِعْص بكسر الدال من الرمل لا ينبت شيئاً ، وأجرع : التواء في قوّة من قوى الحبل تكون ظاهرة على سائر القوى . المشوف المعلم ١/ ١٤٩ ، ومجمل اللغة ١/ ١٨٤ ، والقاموس المحيط ٩١٥ ، وقيل : هي الرملة السهلة المستوية . اللسان ٨/ ٤٦ .

(٢) الأبطح : البطيحة والأبطح والبطحاء : كل مكان متسع . مجمل اللغة ١/ ١٢٨ ، أو : مسيل واسع فيه دُقَاقُ الحصى . القاموس المحيط ٢٧٣ .

(٣) الأدم ، هكذا من اللون : الأسمر ، والأنثى : أدماء . المشوف المعلم ١/ ٥٨ ، والأدَمَة : باطن الجلد ، والبشرة ظاهرهما ، والأدم : جمع الأديم ، والإدام : ما يطيب به الطعام . مجمل اللغة ١/ ٩٠ ، والأدَمَة بالضم : القرابة ، والوسيلة . القاموس المحيط ١٣٨٨ ، وفي المسائل الحلبية ٣٠٠ : «الأدهم ، بدل الأدم» .

(٤) أي جمعت جمع تكسير .

(٥) في المسائل الحلبية ٣٠٠ : «كأحمر وحرمر وحرمران ، وأسود وسود وسودان» .

(٦) المسائل الحلبية ٢٩٩ ، وفيه : «إن الدلالة قد قامت على أن القرآن لا يكون صفة كما جاز أن يكون الفرقان صفة ، ألا ترى أن القرآن قد أضيف إلى ضمير التنزيل في قوله : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة : ١٧] ولو كان صفة لم تجز هذه الإضافة فيها ؛ لأن من أضاف المصدر إلى الفاعل نحو قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة : ٢٥١] لم يصف إليه اسم الفاعل فيقول : هذا ضاربٌ زيد ، فيضيف الصفة إلى الفاعل ؛ من حيث كان اسم الفاعل هو الفاعل في المعنى ، والشيء لا يضاف إلى نفسه » . وقد نقله الواحدي بالمعنى .

(٧) لم أجد في تفسير الواحدي لهذه الآية ما يتعلق بهذه المسألة ، حيث ذكر فيها معنى جمع القرآن في الآية ، المراد به ، ونقل أقوال المفسرين وأهل اللغة في ذلك ، والله أعلم .

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٦٠ عن ابن إسحاق .

ليكون محمد بالقرآن ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ يعني الجن والإنس^(١) ﴿نَذِيرًا﴾ مخوفاً من عذاب الله ، هذا قول المفسرين في النذير أنه محمد عليه السلام ، وأجاز آخرون أن يكون النذير هو القرآن ، وقالوا : إنه نذير للعالمين إلى يوم القيامة^(٢) .

٢. قال ابن عباس ومقاتل : «ثم عظم نفسه فقال : ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ عزيزاً ، ولا عيسى ، ولا الملائكة ، كما قالت اليهود ، والنصارى ، والمشركون»^(٣) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٦٦٠ / ٨ عن ابن عباس . قال السمرقندي ٤٥٣ / ٢ : «وأراد هاهنا جميع الخلق . وقد يذكر العام ويراد به الخاص من الناس كقوله عز وجل : ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة : ٤٧ ، ١٢٢] أي على عالمي زمانهم . يذكر ويراد به جميع الخلق كقوله تعالى : (رَبِّ الْعَالَمِينَ) . قال ابن زيد : لم يرسل الله رسولا إلى الناس عامة إلا نوحاً - عليه السلام - بدأ به الخلق ، فكان رسول أهل الأرض كلهم ، ومحمداً ﷺ ختم به» . أخرجه ابن جرير ١٨٠ / ١٨ ، قال البرسوي ١٨٨ / ٦ : «وأما نوح - عليه السلام - فإنه وإن كان له عموم بعثة لكن رسالته ليست بعامة لمن بعده» .

(٢) ويشهد له قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء : ٩] حيث أضاف الهداية إليه . تفسير الرازي ٤٥ / ٢٤ ، قال السمين الحلبي : «وفي (اسم يكون) ثلاثة أوجه ؛ أحدها : إنه ضمير يعود على الذي نزل ؛ أي ليكون الذي نزل الفرقان نذيراً . الثاني : إنه يعود على الفرقان ، وهو القرآن ؛ أي ليكون الفرقان نذيراً . الثالث : إنه يعود على عبده ؛ أي ليكون عبده محمد ﷺ نذيراً . وهذا أحسن الوجوه معنى وصناعة لقربه مما يعود عليه ، والضمير يعود على أقرب مذكور» . الدر المصون ٤٥٣ / ٨ ، وذكر هذا الترجيح الشوكاني ٥٨ / ٤ ، ولم ينسبه . قال ابن زيد : «النبى النذير ، وقرأ : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فاطر : ٢٤] ، وقرأ : ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ [الشعراء : ٢٠٨]» . أخرجه ابن جرير ١٨٠ / ١٨ ، وابن أبي حاتم ٢٦٦٠ / ٨ . قال ابن عطية ٣ / ١١ : «وقد يكون النذير ليس برسول ، كما روي في ذي القرنين ، وكما ورد في رسل رسول الله ﷺ إلى الجن ؛ فإنهم نذروا وليسوا برسول» .

(٣) تفسير مقاتل ٤٢ ب بتصرف . ولم ينسب الواحدى هذا القول إلى أحد في تفسيره الوسيط ٣ / ٣٣٣ ، وذكره ابن أبي حاتم ٢٦٦١ / ٨ عن عكرمة ، وذكره القرطبي ٢ / ١٣ من دون نسبة ، ولم أجده منسوبا إلى ابن عباس - رضي الله عنها - في ما تيسر لي .

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ كما قال عبدة الأوثان . وقال الكلبي : « ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ﴾ فيعازره في عظمته »^(١) . ﴿وَخَلَقَ كُلَّ﴾ ؛ أي مما يطلق له صفة المخلوق ﴿فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ قال ابن عباس : «فجرت المقادير على ما خلق الله تعالى إلى يوم القيامة ، وبعد القيامة»^(٢) .

وقال الكلبي : «جعل لكل شيء خلقاً ، ومنتهى ، وأجلاً ينتهي إليه»^(٣) .

وقال أبو إسحاق : «خلق الله الحيوان وقدر له ما يصلحه ويقيمه ، وقدر جميع ذلك لخلقه بحكمته وتقديره»^(٤) ، وعلى هذا المعنى يكون : وقدر له تقديرًا من الأجل والمعيشة .

وقال الآخرون : سوى كل ما خلق وهياً لما يصلح له^(٥) .

٣ . قال ابن عباس : «ثم ذكر ما صنع المشركون ، فقال : ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ يعني : الأصنام اتخذها أهل مكة»^(٦) .

﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ؛ أي وهي مخلوقة ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ . قال مقاتل : «لا تقدر الآلهة أن تمتنع ممن أراد بها سوءاً»^(٧) . والمعنى : لا يملكون دفع ضر ولا جلب نفع فحذف المضاف ، وهذا معنى قول المفسرين : ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ فيدفعونه عن أنفسهم ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ فيجرونه إلى

(١) في تنوير المقباس ٣٠٠ : «قال تعالى : ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ كما قال مشركو العرب فيأريه» .

(٢) تفسير القرطبي ١٣ / ٢ ، ولم ينسبه .

(٣) تنوير المقباس ٣٠٠ بمعناه .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٥٧ .

(٥) ممن قال بهذا القول ابن جرير ١٨ / ١٨٠ .

(٦) تفسير ابن جرير ١٨ / ١٨١ ، ولم ينسبه .

(٧) تفسير مقاتل ٤٢ ب . وذكره السمرقندي ٢ / ٤٥٣ بنصه ، ولم ينسبه .

أنفسهم ، ويجوز أن يكون المعنى : ولا يقدر أن يضروا أنفسهم أو ينفعونها بشيء ولا لمن يعبدها ؛ لأنها جماد لا قدرة لها . وهذا معنى قول الكلبي^(١) ، ولا يحتاج في هذا إلى تقدير المضاف .

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾ . قال مقاتل : «أن تمت أحداً»^(٢) ﴿وَلَا حَيَوَةً﴾ ولا يحيون أحداً ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ ولا تقدر الآلهة أن تبعث الأموات^(٣) ؛ أي فكيف تعبدون من لا يقدر على أن يفعل شيئاً من هذا وتتركون عبادة ربكم الذي يملك ذلك كله»^(٤) .

٤ . قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ ما هذا القرآن إلا إفك ؛ كذب افتراه محمد واختلقه من تلقاء نفسه^(٥) .

﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ . قال مجاهد : «يعني اليهود»^(٦) ، وقال مقاتل : «قالوا : أعان محمداً على هذا القرآن عدّاس مولى حويطب بن عبد العزى ، ويسار

(١) تنوير المقباس ٣٠٠ .

(٢) تفسير مقاتل ٤٢ ب .

(٣) تفسير السمرقندي ٤٥٣ / ٢ ، ثم قال : «وإنما ذكر الأصنام بلفظ العقلاء ؛ لأن الكفار يجعلونهم بمنزلة العقلاء فخاطبهم بلغتهم» .

(٤) تفسير مقاتل ٤٢ ب بتصرف يسير .

(٥) تفسير مقاتل ٤٢ ب . ونسبه الماوردي ١٣١ / ٤ ، والقرطبي ١٣ / ٣ إلى ابن عباس . وأخرج ابن أبي حاتم ٢٦٦٣ / ٨ عن سعيد بن جبير : كل شيء في القرآن إفك فهو كذب . والفرق بين الافتراء والكذب أن الافتراء : افتعال الكذب من قول نفسه والكذب : قد يكون على وجه التقليد للغير فيه . تفسير روح البيان ١٨٩ / ٦ ، وفي لسان العرب ١٥٤ / ١٥ : «يقال : فرى فلان الكذب يفتره : اختلقه» .

(٦) أخرجه ابن جرير ١٨١ / ١٨ ، وابن أبي حاتم ٢٦٦٣ / ٨ ، وذكره عنه الثعلبي ٩٢ / ٨ أ .

غلام عامر بن الحضرمي^(١)، وجبر مولى عامر . وكان هؤلاء الثلاثة من أهل الكتاب^(٢) .

قال الله تعالى : ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلُمًا وَزُورًا﴾ . قال مقاتل : «يقول : فقد قالوا شركاً ، وكذباً حين زعموا أن القرآن ليس من الله^(٣) ! قال الكلبي ومقاتل : «نزلت في النضر بن الحارث ، كان يقول للمشركين : ما يقول محمد لأصحابه إلا كما كنت أحدثكم عن رستم وإسفنديار»^(٤) .

وقال أبو إسحاق : «نصب ﴿ظُلُمًا وَزُورًا﴾ على : فجاءوا بظلم وزور ، فلما سقطت الباء أفضى الفعل فنصب»^(٥) .

(١) عامر بن عبد قيس الحضرمي ، له وفادة ، وهو أخو عمرو . الإصابة ١٣ / ٤ ، ولم يذكر شيئاً عن غلامه .

(٢) تفسير مقاتل ٤٢ ب ، ونسبه إلى النضر بن الحارث ، وفيه : «جبر مولى عامر بن الحضرمي ، كان يهودياً فأسلم» . وذكره الثعلبي ٩٢ / ٨ ، ولم ينسبه . وفي تنوير المقياس ٣٠٠ : «جبر ويسار وأبو فكيهة الرومي» . قال الماوردي ١٣٢ / ٤ : «وفي من زعموا أنه أعانه عليه أربعة أقاويل ١ - قوم من اليهود ، قاله مجاهد ٢ - عبدالله ابن الحضرمي ، قاله الحسن ٣ - عدّاس غلام عتبة ، قاله الكلبي . ٤ - أبو فكيهة الرومي ، قاله الضحاك» . ونسبه القرطبي ٣ / ١٣ ، إلى ابن عباس . قال ابن الأثير : «أبو فكيهة ، اسمه أفلح ، وقيل : يسار ، كان عبداً لصفوان بن أمية ، أسلم مع بلال ، أخذه أمية بن خلف وقام بتعذيبه ، ثم اشتراه أبو بكر - رضي الله عنه - فأعتقه» . الكامل ٤٦ / ٢ ، وهذا يدل على اختلافهم في التعيين فتبقى الآية على عمومها ، والله أعلم .

(٣) تفسير مقاتل ٤٣ أ بتصرف .

(٤) تنوير المقياس ٣٠٠ ، وتفسير مقاتل ٤٣ أ بتصرف ، وفيه : «عن رستم وإسفنديار» ، وليس فيه أنها نزلت في النضر ، بل فيه : «وقال النضر» ، وهو مذكور عند الآية رقم ٦ من سورة الفرقان ، وليس عند هذه الآية . قال الهواري ٢٠١ / ٣ في تفسير قول الله تعالى : ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ ، وقال الكلبي : «عبد ابن الحضرمي ، وعدّاس مولى عتبة» ، ولم أجده في أسباب النزول للواحدي ، ونسبه القرطبي ٣ / ١٣ ، إلى ابن عباس رضي الله عنهما .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥٨ / ٤ .

وقال الكسائي : ﴿جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ كما تقول : أتيت أمراً عظيماً ، وجئت أمراً عظيماً ، وجئت شيئاً إداً ، وشئت شيئاً نكراً^(١) ، يعني أن القول واقع عليه ، وليس بمعنى حذف الخافض ، وهذا أحسن وأليق مما ذكره المفسرون^(٢) .

٥ . قوله : ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ . قال أبو إسحاق : ﴿أَسَاطِيرُ﴾ خبر ابتداء محذوف . المعنى : وقالوا : الذي جاء به أساطير الأولين ، معناه : ما سطره الأولون^(٣) . قال المفسرون : يعني قول النضر : «هذا القرآن أحاديث الأولين حديث رستم وإسفنديار»^(٤) .

﴿كَتَبَهَا﴾ انتسخها محمد من عداس ، وجبر ، ويسار . ومعنى ﴿اَكْتَتَبَهَا﴾ هنا : أمر أن تكتب له ، كما يقال : احتجم وابتنى ، إذا أمر بذلك . وقد يكون اكتب بمعنى : كتب ، وليس هاهنا بمعنى : كتب بنفسه ؛ لأن النبي ﷺ لم يكن كاتباً ، ولكنهم نسبوه إلى أنه أمر هؤلاء بأن ينسخوا له ويكتبوه له .

قوله تعالى : ﴿فَهِىَ ثَمَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ فأبدلت اللام الأخيرة ياءً هرباً من التضعيف^(٥) .

(١) نسبه إلى الكسائي أبو حيان ٤٤١ / ٦ .

(٢) قال الزمخشري ٢٥٧ / ٣ : «وظلمهم أن جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاماً عربياً أعجز بفصاحته جمع فصحاء العرب . والزور أن بهتوه بنسبة ما هو بريء منه إليه» .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥٨ / ٤ . يتصرف .

(٤) تفسير ابن جرير ١٨٢ / ١٨ ، وقد ذكر خبر النضر مطولاً من طريق محمد بن إسحاق ، وفيه مجهول . انظر : تفسير الطوسي ٤٧٢ / ٧ ، حيث ورد ذكر إسفنديار ، في خبر ذكره ، وتفسير الثعلبي ٩٦ / ٨ عن علي - رضي الله عنه - في شأن أهل الرس ، وفيه : «كانت أعظم مداينهم إسفنديار ، وهي التي ينزلها ملكهم ، وكان يسمى فركور بن عامور» .

(٥) سر صناعة الإعراب ٧٥٨ / ٢ بنصه وفيه : «وقد جاء القرآن باللغتين جميعاً ، قال تعالى : ﴿فَهِىَ ثَمَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان : ٥] ، وقال عز اسمه : ﴿وَلَيْمَلِيلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ [البقرة : ٢٨٢] . وذكره بنصه القرطبي ٤ / ١٣ ، ولم ينسبه .

كقولهم : تَطَنَّتْ^(١) ، و :

تَقْضَى الْبَازِي^(٢)

قال المفسرون وأهل المعاني : فهي تقرأ عليه ؛ ابن عباس ، ومقاتل ، وأبو عبيدة ، وغيرهم^(٣) . والإملاء المعروف يستعمل مع الكتابة ، يُملى الرجلُ على من يكتب ، وهاهنا استعمل لا مع الكتابة ؛ لأن النبي لم يكن يكتب ، والمعنى : يُملى عليه ليحفظ كما يُملى على الكاتب ليكتب ، فلما كان الإملاء هاهنا مع الحفظ فُسِّرَ بالقراءة .

(١) التَّطَنَّى : إعمال الظن ، وأصله : التَّطَنُّنُ ، أُبدل من إحدى النونات ياء . اللسان ٢٥٧ / ١٣ ، والقاموس ١٥٦٦ .

(٢) جزء شطر ، وتماهه :
تَقْضَى الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَر
وصدره :

دَانَى جَنَاحِيهِ مِنَ الطَّوْرِ فَمَرَّ

ديوان العجاج ٥٢ ، قال محققه : «دانى جناحيه من الطور ، وهو الجبل ، ولكنه عنى هاهنا : الشام ، إنما هذا مثل ، يقول : انقض ابن معمر انقضاة من الشام ، والطور بالشام ، يقول : انقض انقضااض البازي ضم جناحيه ، فكأن مجيئه من سرعته انقضااض باز إذا البازي كسر ، وإذا كسر ضم جناحيه» . وفي سر صناعة الإعراب ٧٥٩ / ٢ : «تقضي : تفعل من الانقضااض ، وأصله : تقضض ، فأبدلت الضاد الآخرة ياء» .

والبازي : واحد البزاة التي تصيد ؛ ضرب من الصقور . لسان العرب (بزا) ٧٢ / ١٤ ، والقاموس ١٦٣٠ .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير معلقاً بصيغة الجزم . فتح الباري ٤٩٠ / ٨ ، ولم أجده بهذا اللفظ عند مقاتل في تفسيره ، والذي فيه ٤٣ أ : «هؤلاء نفر الثلاثة يعلمون محمداً ﷺ طرفي النهار بالغداة والعشي» . ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٧١ / ٢ ، وفيه : «وهي من أمليته عليه ، وهي في موضع آخر أملت عليه» . وذكره ابن جرير ١٨٣ / ١٨ ، ولم ينسبه إلى أحد .

قوله تعالى : ﴿بُكَرَةً وَاصِيلًا﴾ . قال ابن عباس : «غدوة وعشيًا»^(١) ، وقال مقاتل : «يقولون : هؤلاء النفر الثلاثة يعلمون محمداً طر في النهار بالغدوة والعشي»^(٢) .

٦ . قال الله تعالى : ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد^(٣) : ﴿أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أنزل القرآن الذي لا يخفى عليه شيء . قال مقاتل : «وذلك»^(٤) أنهم قالوا بمكة سرّاً هل هذا إلا بشر مثلكم ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء ٣]^(٥) ، كما أخبر الله عنهم في سورة الأنبياء ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الآية ، فأنزل الله في هذه السورة : ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُوًّا رَحِيمًا﴾ . قال ابن عباس : «لأوليائه رحيماً بهم»^(٦) ، وقال مقاتل : «﴿عَفُوًّا﴾ في تأخير العذاب عنهم ، ﴿رَحِيمًا﴾ لا يعجل عليهم بالعقوبة»^(٧) .

قال أهل المعاني في قوله : ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ أنزله على ما يقتضيه العلم بباطن الأمور لا على ما تقتضيه أهواء النفوس»^(٨) .

٧ . قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا﴾ : يعني المشركين^(٩) ﴿مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ . قال أبو إسحاق : «أي شيء لهذا الرسول

(١) لم أجده إلا في تنوير المقباس ٣٠٠ .

(٢) تفسير مقاتل ٤٣ أ ، وهو قول ابن جرير ١٨٣ / ١٨ .

(٣) تفسير السمرقندي ٤٥٣ / ٢ .

(٤) (وذلك) من تفسير مقاتل ٤٣ أ .

(٥) تفسير مقاتل ٤٣ أ .

(٦) ذكره القرطبي ٤ / ١٣ ، ولم ينسبه .

(٧) تفسير مقاتل ٤٣ أ .

(٨) تفسير الطوسي ٧ / ٤٧٣ بنصّه ، ولم ينسبه .

(٩) تفسير الطبري ١٨ / ١٨٤ .

في حال أكله الطعام ومشيه في الأسواق ، التمسوا أن يكون الرسول على غير بنية الآدميين ، والواجب أن يكون الرسول إلى الآدميين آدمياً ليكون أقرب إلى الفهم عنه»^(١) .

والمعنى أنهم أنكروا أن يكون الرسول بشراً يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق لطلب المعيشة ، وهذا هو الصحيح ، ألا ترى أنهم قالوا : ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ ؛ أي ليستغني عن طلب المعاش . وعبرَ بعض البلغاء عن معنى هذه الآية فقال : يعنون أنه ليس بملك ولا مَلِك ؛ وذلك أن الملائكة لا يشربون ولا يأكلون ، والملوك لا يتسوقون ولا يتبدلون^(٢) فعجبوا أن يكون مثلهم في الحال يمتاز من بينهم بعلو المحل والجلال ، و﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] .

قوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ، نَذِيرًا﴾ ، قال محمد بن إسحاق : «إنهم قالوا للنبي ﷺ : سل ربك أن يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول ويجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي ، فإنك تقوم في الأسواق ، وتبتغي المعاش كما نلتمسه ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم»^(٣) .

وقال أبو إسحاق : «طلبوا أن يكون في النبوة شركة وأن يكون الشريك ملكاً ، والله - عز وجل - يقول : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩] أي

(١) معاني القرآن للزجاج ٥٨ / ٤ ، بنصه .

(٢) رجل متبدل : إذا كان يلي العمل بنفسه . تهذيب اللغة (بذل) ٤٣٤ / ١٤ .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٨٣ / ١٨ بسنده إلى ابن عباس من طريق محمد بن إسحاق مطولاً .

لم يكن ليفهمهم حتى يكون رجلاً»^(١)، وقال الفرّاء : «﴿لَوْلَا﴾ بمنزلة هلاً»^(٢) .
ونصب ﴿فَيَكُونُ﴾ على الجواب بالفاء للاستفهام^(٣) .

٨. قوله تعالى : ﴿أَوْ يُلقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ .
قال الفرّاء : «هو مرفوع بالرد على ﴿لَوْلَا﴾ كقولك في الكلام : أو هلاً يلقى إليه كنز»^(٤) ، ونحو هذا قال الزّجاج : «هو عطف على الاستفهام»^(٥) .

قال ابن عباس ومقاتل : «أو ينزل إليه مال من السماء ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بستان»^(٦) . ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ . قال ابن عباس : «يأكل من ثمارها» .

قال أبو علي الفارسي : «قال الكفار : ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ ليبين ممّا باقتران الملك به وكونه معه نذيراً ، ويفترق من جملتنا . وكذلك اقترحوا عليه إلقاء كنز عليه ، أو كون جنة تختص بما يأكل منها ، حتى يتبين في^(٧) مأكله منهم ، كما تبين باقتران الملك به عليهم من الكفار ، فقالوا في ما أخبر الله عنهم : ﴿أَبَشِّرْهُمُ بِأَنْزِلِنَا﴾ [التغابن : ٦] وأنكروا أن يكون لمن ساواهم في البشرية حال ليست لهم ، وقد احتج الله - سبحانه - عليهم في ذلك بقوله : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا﴾ [الأنعام : ٩] ، وبقوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ﴾

(١) معاني القرآن للزّجاج ٥٨ / ٤ بنصّه .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢٦٢ / ٢ .

(٣) معاني القرآن للزّجاج ٥٨ / ٤ بنصّه .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢٦٣ / ٢ ، بتصرف ، ويعني به : ﴿تَكُونُ﴾ .

(٥) معاني القرآن للزّجاج ٥٩ / ٤ .

(٦) تنوير المعبّاس ٣٠١ ، وتفسير مقاتل ٤٣ أ . وذكره ابن جرير ١٨٤ / ١٨ ، والثعلبي ٩٢ / ٨ ب .

(٧) (في) من نسخة (ج) ، وهو موافق لما في كتاب أبي علي الحجة ٣٣٥ / ٥ .

الآية [يوسف: ١٠٩ ، النحل: ٤٣] . ومن قرأ : (نأكل منها)^(١) فكأنه أراد أنه يكون له بذلك مزية علينا في الفعل بأكلنا من جنته^(٢) .

وقوله : ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ . قال ابن عباس : «وقال المشركون للمؤمنين^(٣) : ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ ؛ أي ما تتبعون إلا مخدوعاً مغلوباً على عقله^(٤) . وذكرنا تفسير المسحور عند قوله : ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾ [الإسراء ١٠١]^(٥) .

٩ . قوله تعالى : ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ . قال مقاتل : «وصفوا لك الأشياء حين زعموا أنك مسحور^(٦)» . وذلك أنهم كانوا يقولون له مرة : ساحر ، ومرة : هو شاعر ، ومرة : هو مجنون ومسحور ، كما أخبر الله تعالى عنهم في آي كثيرة^(٧) ، فذلك ضربهم له الأمثال ، وتشبيههم حاله بحال الساحر ، والشاعر ، والمجنون ، والمسحور .

(١) قراءة حمزة والكسائي . السبعة في القراءات ٤٦٢ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ٣٣٥ ، والنشر في القراءات العشر ٢ / ٣٣٣ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٣٣٥ باختصار .

(٣) ذكره ابن جرير ١٨ / ١٨٤ ، ولم ينسبه .

(٤) تنوير المقباس ٣٠١ ، وتفسير مقاتل ٤٣ أ ، وتفسير هود الهواري ٣ / ٢٠١ ، ولم ينسبه .

(٥) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : «قيل في المسحور هاهنا أنه بمعنى الساحر ؛ كالمشؤوم والميمون ، وذكرنا هذا في قوله : ﴿حِجَابًا مَسْجُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] ، وهذا قول الفراء وأبي عبيدة ، وقيل إنه مفعول من السحر ؛ أي أنك قد سحرت فأنت تحمل نفسك على هذا الذي تقوله للسحر الذي بك ، وقال محمد بن جرير : أي معطى علم السحر ، فهذه العجائب التي تأتي بها من سحره» .

(٦) تفسير مقاتل ٤٣ أ ، وفيه : (ساحر) بدل (مسحور) .

(٧) كقوله تعالى : ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧] ، والآية رقم ٢٧ من سورة الشعراء والآية رقم ٣٦ من سورة الصافات والآية رقم ١٤ من سورة الدخان والآيات ٤٠-٤٢ من سورة الحاقة ، وغيرها .

وقال أهل المعاني : «مثلوه بالمسحور ، وبالمحتاج المتروك ، والناقص عن القيام بالأمر»^(١) .

قال الله تعالى : ﴿فَضَلُّوا﴾ . قال مقاتل : «عن الهدى»^(٢) ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد سبيل الهدى»^(٣) ، وهذا قول أعظم المفسرين^(٤) . والمعنى أنهم ضلوا عن قصد الطريق بتكذيبك ولا يجدون إلى الحق طريقاً^(٥) . وهذه الآية بهذا التفسير تدل على أن الكافر غير مستطيع للإيمان باستطاعته الكفر^(٦) .

(١) لم أجد هذا القول في ما تيسر لي من كتب المعاني .

(٢) تفسير مقاتل ٤٣ أ .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٨ / ١٨٥ بإسناده ، من طريق ابن إسحاق ، بلفظ : «أي التمسوا الهدى في غير ما بعثتك به إليهم فضلوا ، فلن يستطيعوا أن يصيبوا الهدى في غيره» . ولم ينسبه إلى غيره . وأخرجه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٦٦٥ من قول ابن إسحاق ، ولم ينسبه إلى غيره ، ولم يذكره في تنوير المقباس ٣٠١ ، بل ذكر قولاً قريباً من كلام مجاهد .

(٤) هكذا في نسخة : (أ) و(ب) : (أعظم) ، وفي نسخة : (ج) : (عُظُم) ؛ عُظُم الناس ، وعظمتهم ؛ أي معظمهم . لسان العرب (عظم) ١٢ / ٤١٠ ، وابن جرير يذكر ذلك في تفسيره ٤ / ٥٥٠ قال : «وذلك قراءة عُظُم أهل الحجاز . . .» . ولم أجد هذا القول إلا إلى ابن عباس من طريق ابن إسحاق كما سبق ؛ فنسبة هذا القول إلى أكثر المفسرين فيه نظر ، ولا سيما أنه ذكر بعد ذلك ما يخالف هذا من قول مجاهد ومقاتل . ولما ذكر الثعلبي ٨ / ٩٢ هذا القول اقتصر عليه ، ولم ينسبه إلى أحد ، والله أعلم .

(٥) قريب من هذا قول الطوسي ٧ / ٤٧٤ : «معناه : لا يستطيعون طريقاً إلى الحق ، مع تمسكهم بطريق الجهل ، وعدوهم عن الداعي إلى الرشـد» . أمّا قول ابن عباس : «يريد : سبيل الهدى» فلا يفيد هذا المعنى . قال ابن جرير ١٨ / ١٨٤ : «فلا يجدون سبيلاً إلى الحق إلا في ما بعثتك به» ، ثم ساق قول ابن عباس مؤيداً له ، والله أعلم .

(٦) هذا الفهم لا يدل عليه ما نسبته إلى ابن عباس ؛ والذي يظهر أنه تبع فيه الثعلبي ٨ / ٩٢ حيث قال : «ثبت أن الاستطاعة التي يحصل بها الضلال غير الاستطاعة التي يحصل بها الهدى والإيمان . والآية ظاهرة في أن المراد بها نفي أن يكون للمشركين حجة ، يطعنون فيها على النبي ﷺ . وعلى تقدير أن المراد بها ما ذكر فإن الاستطاعة تنقسم إلى قسمين ١ - استطاعة قبل الفعل ، وهي الاستطاعة المشروطة في التكليف ، كقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران ٩٧] ، قال =

وقال مجاهد: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ مخرجاً يخرجهم من الأمثال التي ضربوها لك^(١)، وهو قول مقاتل يقول: «لا يجدون مخرجاً مما قالوا: إنك ساحر»^(٢)، يعني أنهم كذبوا في ما زعموا فلزمهم هذا الكذب حتى لا يجدون منه مخرجاً بحجة أو برهان على ما قالوا.

وقال الفراء: «يقول: لا يستطيعون في أمرك حيلة»^(٣)، وهذا قول ثالث في الآية^(٤)، والمعنى: لا سبيل لهم في دفع ما أتيتهم به من الحق ولا حيلة لهم في إبطاله.

عمران بن حصين رضي الله عنه: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ فَقَالَ: «صَلِّ قَائِمًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ». أخرجه البخاري في كتاب: الصلاة، رقم ١١١٧ فتح الباري ٢/ ٥٨٧، والترمذي ٢/ ٢٠٧ في كتاب: أبواب الصلاة، رقم ٣٧١.

٢. استطاعة مقارنة للفعل، وهي الموجبة له، وهذه هي المنفية عمن لم يفعل في مثل قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]. فتاوى ابن تيمية ١٨/ ١٧٢، ٨/ ١٢٩، فيقال في الأولى: القدرة، وفي الثانية: الإرادة. قال ابن أبي العز الحنفي: «وتقسيم الاستطاعة إلى قسمين، هو قول عامة أهل السنة، وهو الوسط، وقالت القدريّة والمعتزلة: لا تكون القدرة إلا قبل الفعل». شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٦٣٣.

(١) أخرجه ابن جرير ١٨/ ١٨٥، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٦٥، وتفسير مجاهد ٤٤٧، ونقله عنه هود الهواري في تفسيره ٣/ ٢٠٢، واقتصر عليه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٣٧، واختاره السمرقندي ٢/ ٤٥٤، ولم ينسبه، ولم يذكر غيره.

(٢) تفسير مقاتل ٤٣أ.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٦٣ بنصّه.

(٤) هذه الأقوال الثلاثة، في المراد بالسبيل؛ القول الأول: سبيل الهدى، والثاني: مخرجاً يخرجهم من الأمثال التي ضربوها لك، والثالث: لا يستطيعون في أمرك حيلة. وكان الأولى بالواحدى — رحمه الله — أن يبين ضعف القول الأول، كما سبق، وخاصة أنه مخالف لظاهر الآية؛ إذ إن ظاهرها يدل على عجزهم عن مقاومة الرسول ﷺ، والله أعلم. وذكر الماوردي ٤/ ١٣٤ في الآية ثلاثة أقوال؛ الأول: قول مجاهد، والثاني: سبيلاً إلى الطاعة لله، ونسبه إلى السدي، ولم أجد من نسبه إليه غيره، والثالث: سبيلاً إلى الخير، ونسبه إلى يحيى بن سلام.

١٠. ثم أعلم الله تعالى أنه لو شاء لأعطى نبيه ﷺ من الدنيا خيراً مما اقترحوا أن يكون له فقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾؛ أي خيراً مما قالوا^(١) من إلقاء كنز، وأن تكون لك جنة تأكل منها. وقال مقاتل: «يعني أفضل من الكنز والجنة»^(٢)، ثم بيّن ذلك الذي هو خير مما قالوا بقوله: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

وقال الكلبي: «﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت غرفها وشجرها ومساكنها»^(٣)، يعني في الدنيا؛ لأنه قد شاء أن يعطيه إياها في الآخرة.

قال خيشمة^(٤): «قيل للنبي ﷺ: إن شئت أعطيناك مفاتيح الأرض وخزائنها لا ينقصك ذلك عندنا شيئاً في الآخرة، ونزلت هذه الآية»^(٥)، فزهد فيها رسول

(١) هذا قول مجاهد، وما بعده من كلام الواحدي. تفسير مجاهد ٤٤٧، وأخرجه عن مجاهد ابن جرير ١٨٥/١٨، وابن أبي حاتم ٢٦٦٦/٨، وذكره عنه الثعلبي ٩٢/٨، وذكر ابن جرير ١٨٥/١٨، قولاً آخر: «خيراً من أن تمشي في الأسواق، وتلتبس المعاش كما يلتمسه الناس»، ونسبه إلى ابن عباس، لكنه من طريق محمد بن إسحاق، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٦٦٦/٨، من قول محمد بن إسحاق. وذكره الثعلبي ٩٢/٨، منسوباً إلى ابن عباس. وهذا القول فيه تخصيص من دون مخصص، وظاهر الآية رجوع اسم الإشارة إلى كل ما سبق ذكره من اقتراحات المشركين، والله أعلم. تفسير مقاتل ٤٣ ب.

(٢) تنوير المقياس ٣٠١.

(٣) خيشمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة، لأبيه وجده صحبة، حدث عن أبيه وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم، أدرك ثلاثة عشر صحابياً، توفي سنة ٨٠ هـ. انظر: تاريخ الثقات للعجلي ١٤٥، وتهذيب التهذيب ٣/١٥٤، وسير أعلام النبلاء ٤/٣٢٠، وذكره العلائي في جامع التحصيل ٢٠٩، فالحديث مرسل.

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٨٦/١٨، بسنده عن حبيب قال: قيل للنبي ﷺ: إن شئت أن نعطيك من خزائن الأرض ومفاتيحها ما لم يعطَ نبي قبلك، ولا يعطى من بعدك، ولا ينقص ذلك مما عند الله تعالى، فقال: اجعوهالي في الآخرة، فأنزل الله - عز وجل - في ذلك: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ﴾، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٦٦٦/٨ بسنده عن حبيب بن أبي ثابت عن خيشمة مختصراً قريباً من سياق ابن جرير، وذكره السمرقندي ٢/٤٥٤، وابن كثير ٦/٩٥، كلاهما من دون إسناد عن سفيان الثوري عن حبيب به. وحبيب بن أبي ثابت، ثقة فقيه جليل، ولكنه كان كثير =

الله ﷻ وأثر أمر الآخرة^(١)؛ وذلك أنه شاور جبريل في ذلك، فقال جبريل: تواضع لله، فقال النبي ﷺ، الفقر أحب إليّ وأن أكون عبداً صابراً شكوراً، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية جويبر عن الضحاك عنه^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكَ قُصُورًا﴾: قُرئ بجزم اللام ورفع^(٣)؛ فمن جزم فلأن المعنى: إن يشأ يجعل لك جنات ويجعل لك قصوراً، هذا قول أبي إسحاق^(٤). وشرحه أبو علي، فقال: «من جزم ﴿وَجَعَلَ لَكَ﴾ عطفه على موضع: جعل؛ لأن موضع جعل جزم بأنه جزاء الشرط فإذا جزم ﴿وَجَعَلَ﴾ حملة على ذلك، وإذا كانوا قد جزموا ما لم يله فعل لأنه في موضع جزم كقراءة من قرأ: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ فَلَآ هَادِيَ لَهُ، وَيَذَرُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٦]^(٥) فالفعل أولى أن يحمل عليه من حيث كان الفعل بالفعل أشبه منه بغير الفعل، وحكم المعطوف أن يكون مناسباً للمعطوف عليه ومشابهاً له. ومن رفع قطعه مما قبله واستأنف، والجزء في هذا النحو موضع استئناف، ألا ترى أن الجمل من الابتداء والخبر تقع فيه كقوله: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ﴾

الإرسال والتدليس. جامع التحصيل للعلاني ١٩٠، والتقريب ٢١٨، وهنا لم يصرح بالتحديث، إضافة إلى علة الإرسال من خيثة كما سبق في ترجمته قريباً.

- (١) هذا من كلام الواحدي - رحمه الله - وليس من الرواية، وهو بنصّه في معاني القرآن للزجاج ٥٩/٤.
- (٢) أخرج هذه الرواية الثعلبي ٨٩٢ب، مطوّلة جداً، وفيها: «الفقر أحب إليّ...». وأخرجها الواحدي في أسباب النزول ٣٣٢، من طريق الثعلبي. وهي رواية منقطعة، وضعيفة؛ فالضحاك لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما، وجويبر ضعيف جداً.
- (٣) قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: (ويجعل) بالرفع، وقرأ الباقر بالجزم. انظر: السبعة في القراءات ٤٦٢، والحجة للقراء السبعة ٣٣٦/٥، والنشر في القراءات العشر ٣٣٣/٢.
- (٤) معاني القرآن للزجاج ٥٩/٤ بنصّه.
- (٥) ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ فيها ثلاث قراءات: بالياء والرفع، والنون والرفع، وبالياء مع الجزم، والثالثة هي الشاهد من ذكر القراءة، وقرأ بها حمزة والكسائي وخلف. انظر: السبعة في القراءات ٢٩٩، والنشر ٢٧٣/٢.

فَكَلا هَادِيَ لَهٗ ﴿١﴾ [الأعراف: ١٨٦] ، وقوله : ﴿وَإِنْ تُخَفُّوْهَا وَتُؤْتُوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ^(١) [البقرة: ٢٧١] . هذا كلامه ^(٢) .

وبين القراءتين فرق في المعنى ، هو أن يقف على ﴿الْأَنْهَرُ﴾ واستأنف ﴿وَيَجْعَلُ﴾ فيكون المعنى : ويجعل لك قصوراً في الآخرة ^(٣) . قال أبو إسحاق : «أي سيعطيك الله قصوراً في الآخرة أكثر مما قالوا» ^(٤) .

قال مجاهد في قوله تعالى : ﴿قُصُورًا﴾ «بيوتاً مبنية مشيدة كانت قريش ترى البيت من حجارة قصرأ كائناً ما كان» ^(٥) ، وقال مقاتل : «إن قريشاً يسمون كل شيء من الصوف والشعر : البيوت ، ويسمون بيوت الطين : القصور» ^(٦) . ومعنى القصر في اللغة : الحبس ^(٧) . وسمي هذا المبنى قصرأ ؛ لأن من فيه مقصور عن أن يوصل إليه ^(٨) . وكل محوط على شيء فهو قصر .

(١) سبق ذكر الشاهد في الآية الأولى ، وأما الآية الثانية فلم يذكر الشاهد فيها ، وهو قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تُخَفُّوْهَا وَتُؤْتُوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ بِالرَّفْعِ . قرأ نافع وحزمة والكسائي وخلف وابن عامر بجزم الراء ، وقرأ الباقون برفعها . انظر : السبعة في القراءات ١٩١ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٦ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٣٦ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٣٧ ، بمعناه . والوقف على هذه القراءة على ﴿الْأَنْهَرُ﴾ وقف كاف ، والقطع والالتفاف ٢/ ٤٧٩ ، والمكتفى ٤١٤ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٥٩ بنصه .

(٥) تفسير مجاهد ٤٤٨ ، وأخرجه ابن جرير ١٨/ ١٨٦ ، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٦٦ ، كلهم من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد .

(٦) تفسير مقاتل ٤٣ ب ، وفيه : «وذلك أن قريشاً يسمون بيوت الطين : القصور» . أما ما قبله فغير موجود عند تفسير هذه الآية .

(٧) تهذيب اللغة (قصر) ٨/ ٣٥٩ ، ومنه قوله تعالى : ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَارِ﴾ [الرحمن: ٧٢] ، وذكر هذا الثعلبي ٨/ ٩٢ ب .

(٨) تفسير الطوسي ٧/ ٤٧٥ .

١١. ثم أخبر عن تكذيبهم بالبعث فقال : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾^(١) ، ومعنى ﴿بَلْ﴾ هاهنا : تحقيق لتكذيبهم ، وإيدان أن القصة الأولى قد تمت . وذكرنا هذا عند قوله : ﴿بَلْ زَعَمْتَ﴾ في سورة الكهف [٤٨]^(٢) . ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ﴾ يوم القيامة^(٣) ﴿سَعِيرًا﴾ ناراً تتلظى عليهم .

١٢. ثم وصف ذلك السعير ، فقال : ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ : أنث فعل السعير وهو مذكر ؛ لأنه أراد النار^(٤) . قال أبو عبيدة : « ووصفها بالرؤية »^(٥) ، وقد قال النبي ﷺ : من يقل عليّ ما لم أقل فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً ، قيل يا رسول الله : وهل لها عينان ؟ قال : « نعم ، ألم تسمعوا إلى قول الله

(١) الساعة جزء من أجزاء الزمان ، يُعبر به عن القيامة تشبيهاً بذلك لسرعة حسابه ، كما قال تعالى : ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام ٦٢] . المفردات للراغب الأصفهاني ٢٤٨ .

(٢) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : « بل هاهنا إيدان بأن القصة الأولى قد تمت وبدأ في كلام آخر ؛ وذلك أن الآية عامة في المؤمن والكافر إلى قوله : ﴿بَلْ زَعَمْتَ﴾ فلما أخذ في كلام خاص لأحد الفريقين أدخل : بل ، ليؤذن بتحقيق ما سبق ، وتوكيد ما يأتي بعده كقوله تعالى : ﴿بَلْ أَذْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ عَنْهَا غَمُونَ﴾ [النمل : ٦٦] .

(٣) تفسير هود الهواري ٢٠٣/٣ ، وتفسير السمرقندي ٤٥٥/٢ ، وتفسير الطوسي ٤٧٥/٧ .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٧٠/٢ ، بتصرف . ويوجد قول آخر ذكره البغوي ٧٥/٦ ، والزخشري ٣/٣٦٠ ، فيه إضافة الرؤية إلى الزبانية ، وهو مخالف لظاهر الآية ، وقد أحسن الواحدي - رحمه الله - في اقتضائه على القول الأول .

(٥) لم أجد قول أبي عبيدة في كتابه المجاز .

تعالى : ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾^(١) . قال الكلبي والسدّي ومقاتل :
«من مسيرة مائة عام»^(٢) .

﴿سَبِعُوا لَهَا تَغِيْظًا﴾ : التغیظ : الاغتيال ، يقال اغتال عليه ، وتَغِيْظُ عليه ،
بمعنى : أنكر عليه أمراً ، وغضب عليه ، وغظته أغيظه غيظاً إذا حملته على
الغضب ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَيْتُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾ [الشعراء : ٥٥] ، ويقال أيضاً : تغيظت
الهاجرة إذا اشتد حميها^(٣) . قال الأخطل :

لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى إِذَا مَا تَغِيْظَتْ هَوَاجِرٌ مِنْ شَعْبَانَ حَامٍ أَصِيلُهَا^(٤)

(١) أخرجه ابن جرير ١٨٧/١٨ بسنده عن فُديك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وهو مرسل ؛ لأن فديكاً وهو ابن سليمان ، ويقال : ابن أبي سليمان ، من أتباع التابعين يروي عن التابعين كالأوزاعي ، وعباد بن عباد ، وغيرهم . ولم أجد لفديك سنة وفاة . التاريخ الكبير ٧/ رقم الترجمة ٦١٣ ، وتهذيب التهذيب ٨/ ٢٣١ ، وقال عنه ابن حجر : «مقبول» . التقريب ٧٧٩ ، والحديث أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٦٧ بسنده عن خالد بن دُرَيْك ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ مع اختلاف في المتن بين الطريقتين . وخالد بن دُرَيْك ثقة لكنه يرسل . جامع التحصيل في أحكام المراسيل ٢٠٥ ، والتقريب ٢٨٥ ، وأخرجه الثعلبي في تفسيره ٨/ ٩٣ ب من طريق خالد بن دُرَيْك . وذكر البغوي في تفسيره ٦/ ٧٤ هذا الأثر ، وحكم عليه بالثبوت ، ولم يذكر إسناده ، ولا من أخرجه . ونسبه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٣٨ إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر . وذكر الواحدي - رحمه الله - لهذا الحديث دلالة على إثبات ظاهر الآية ، وهذا مسلك حسن . قال ابن عطية ١١/ ١١ بعد أن ذكر أن الآية محتملة للحقيقة والمجاز : «إلا أنه ورد حديث يقتضي الحقيقة في هذا . . .» ثم ذكر هذا الحديث .

(٢) في تنوير المقباس ٣٠١ خمسمائة عام . وكذا في تفسير الهواري ٣/ ٢٠٣ ، وذكره السمرقندي ٢/ ٤٥٥ ، ولم ينسبه . وقول مقاتل في تفسيره ٤٣ ، وقول السدّي أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٦٧ ، وذكره ابن كثير ٦/ ٩٦ ، وابن الجوزي ٦/ ٧٥ ، وذكر هذا القول عن الكلبي والسدّي البغوي ٦/ ٧٤ .

(٣) تهذيب اللغة (غاض) ٨/ ١٧٣ ولم ينسبه .

(٤) ديوان الأخطل ٥٦٩ ، ورواية الديوان : (تقيضت) ، ورواية الواحدي مطابقة لرواية الأزهري : (تغيظت) ، وتهذيب اللغة (غاض) ٨/ ١٧٣ ، يصف المطايا التي حملت معشوقته ، والمشاقي التي تلتقتها المطايا بسبب الحر . شرح ديوان الأخطل ٥٦٧ .

قال مقاتل في هذه الآية : «سَمِعُوا لَهَا» من شدة غيظها عليهم^(١) (تغيظاً) . وفي سماع الغيظ قولان ؛ أحدهما : إن هذا من باب حذف المضاف ؛ أي صوت تغيظ ، وغليان تغيظ ، كالغضبان إذا غلا صدره من الغضب ، وهذا قول أبي إسحاق^(٢) . ويجوز أن يكون التغيظ بمعنى الغضب ، كقوله تعالى : ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك : ٨] ، ويجوز أن يكون بمعنى الحمي والحرارة ، كما ذكرنا في قول الأخطل .

القول الثاني : إن المعنى : رأوا لها تغيظاً وسمعوا لها زفيراً ، كما قال :

متقلداً سيفاً ورمحاً^(٣)

(١) تفسير مقاتل ٤٣ .
(٢) معاني القرآن للزجاج ٥٩ / ٤ ، ونقله الثعلبي ٨ / ٩٣ ، واقتصر عليه الواحدي في تفسيره ؛ الوسيط ٣ / ٣٣٥ ، والوجيز ٢ / ٧٧٥ ، قال ابن عطية ١١ / ١١ : «وذلك أن التغيظ لا يُسمع ، وإنما المسموع أصوات دالة على التغيظ ، وهي ولا شك احتدامات في النار كالذي يُسمع في نار الدنيا» . قال الراغب ٣٦٨ : «الغيظ : أشد الغضب . . . ، والتغيظ : إظهار الغيظ ، وقد يكون ذلك مع صوت مسموع ، كما قال تعالى : ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾» .

(٣) شطر بيت إلى عبدالله بن الزبيري في ديوانه ٣٢ ، وصدره كما في الديوان :

يا لَيْتَ زَوْجِكَ قَدْ غدا

وأنشده المبرد ١ / ٤٣٢ ، والثعلبي في تفسيره ٢ / ٩٣ ، ثم قال : «أي وحاملاً رمحاً» ، والفراء ١ / ١٢١ ، والبغوي ٦ / ٧٥ ، والقرطبي ١٣ / ٨ ، والبيت في تهذيب اللغة (مسح) ٤ / ٣٥٢ ، واللسان ٢ / ٥٩٣ ، وهو في الخصائص ٢ / ٤٣١ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٦٨ ، والبحر المحيط ٦ / ٤٤٥ ، كلها غير منسوب .

وقد تقدّم لهذا نظائر^(١)، وهذا قول قطرب . والزفير : آخر نهيق الحمار^(٢) .
وقد مرّ الكلام في تفسيره^(٣) .

وقال المبرّد : «الزفير : الصوت يسمع من جوف المتغيظ ، يقال : سمعت لفلان زفيراً عليك»^(٤)، وهذا شائع في الكلام . قال عبيد بن عمير في هذه الآية : «إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى نبي ولا ملك إلا خر ترعد فرائصه»^(٥) .

(١) ذكر الواحدي هذه المسألة في تفسير قول الله تعالى : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة : ٦] ؛ حيث قال : «وقال جماعة من أهل المعاني : إن الأرجل معطوفة على الرؤوس في الظاهر ، والمراد فيها الغسل ، وقد ينسق بالشيء على غيره والحكم فيها مختلف كما قال الشاعر :

يَالَيْتَ بَعْلَكَ قَدْ غَدَا
مَتَقَلْدًا سَيْفًا وَرَمَحًا

الغنى : وحاملاً رمحاً» .

(٢) تفسير مقاتل ٤٣ ، وعكسه الفراء ؛ فقال : «الزفير : أول نهيق الحمار ، وشبهه ، والشهيق من آخره» . معاني القرآن ٢٨ / ٢ ، وذكره الأزهرى ، ولم يتعقبه ، وتهذيب اللغة (زفر) ١٩٣ / ١٣ ، وصحّحه في (شهق) ٣٩٠ / ٥ ، وجمع بينهما ابن عطية ١١ / ١١ ، فقال الزفير : «صوت ممدود كصوت الحمار المرجّع في نهيقه» .

(٣) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى : ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود : ١٠٦] : «قال الليث : الزفر والزفير : أن يملأ الإنسان صدره غماً ثم يزفر به ، فالزفير : إخراج النفس ، والشهيق : رد النفس وهو قول جميع أهل اللغة . قال أبو إسحاق : هما من أصوات المكروبين المحزونين ، وحكى عن أهل اللغة جميعاً أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار بالنهيق والشهيق بمنزلة آخر صوته ، ونحو هذا قال المفسرون» .

(٤) الزفر ، والزفير : أن يملأ الرجل صدره غماً ثم يزفر به ، والشهيق : مد النفس ، ثم يزفر ؛ أي يرمي به ويخرجه من صدره . كتاب العين (زفر) ٣٦٠ / ٧ ، ونقله عنه الأزهرى في تهذيب اللغة (زفر) ١٩٣ / ١٣ ، وبحث عن قول المبرّد في المقتضب والكامل فلم أجده .

(٥) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٥٦ / ٢ ، وابن جرير ١٨٧ / ١٨ ، وابن أبي حاتم ٢٦٦٧ / ٨ ، وابن كثير ٩٧ / ٦ ، كلهم من طريق عبدالرزاق ، وفيها زيادة (حتى إن إبراهيم ليحشو على ركبته ، فيقول : يا رب لا أسألك اليوم إلا نفسي) . وهذا الأثر من المغيبات مما لا مجال للعقل فيه ، ولم يصرح فيه عبيد بن عمير بالرفع فيوقف فيه ؛ لاحتال أخذه عن بني إسرائيل ، والله أعلم . وذكره السمرقندي في تفسيره ٤٥٥ / ٢ ، وصدره بقوله : «وروي في الخبر أن جهنم . . .» .

وقال الكلبي : «سمعوا تغيطاً كتغيط بني آدم ، وصوتاً كصوت الحمار»^(١) .
[وقال ابن قتيبة : «قال قوم : بل يسمعون فيها تغيط المعذنين وزفيرهم ، واعتبروا ذلك بقوله تعالى : ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦]]»^(٢) ، قال : «والتفسير الأول أشبه بما أريد إن شاء الله ؛ لأنه قال : ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾ ولم يقل : سمعوا فيها ، ولا منها»^(٣) .

١٣ . قوله : ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا﴾ من جنهم^(٤) ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : «يضيق عليهم كما يضيق الزُّجُّ في الرمح»^(٥) . وسئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ، فقال : «والذي نفسي بيده إنهم يستكروهون في النار كما يستكره الودد في الحائط»^(٦) .

(١) في نسخة : (أ) و(ب) : (ونهبق) بدل (كصوت الحمار) ، وقول الكلبي في تنوير المقباس ٣٠١ ، وتفسير السمرقندي ٤٥٥ / ٢ ، من دون نسبة ، ونسبه إليه القرطبي ٨ / ١٣ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ب) .

(٣) غريب القرآن إلى ابن قتيبة ٢١٠ .

(٤) تفسير مقاتل ٤٣ ، وتفسير هود الهواري ٢٠٣ / ٣ .

(٥) في تفسير مقاتل ٤٣ : «كضيق الرمح في الزج» . وذكره هود الهواري في تفسيره ٢٠٣ / ٣ ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٦٦٨ / ٨ بإسناده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، من طريقين ، وأخرجه ابن كثير ٩٧ / ٦ عنه أيضاً ، وذكره السيوطي ٢٤٠ / ٦ عن عبد الله بن عمر ، ونسبه إلى ابن أبي حاتم ، وهو خلاف ما في تفسير ابن أبي حاتم كما سبق . ولعل ما في تفسير الهواري تصحيف ؛ من (عمرو) إلى (عمر) ، حيث إنه لم يذكر له إسناداً ، والله أعلم .

ولفظ ابن أبي حاتم موافق للفظ الواحدي . وذكر أن مجاهداً روي عنه نحو ذلك . ونسبه الثعلبي في تفسيره ٨ / ٩٣ إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - من دون إسناد ، وكذا البيهقي ٧٥ / ٦ ، وابن عطية ١١ / ١٢ ، ونسبه الماوردي ٤ / ١٣٤ إلى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما . والزُّجُّ : الحديدية التي تُركَّب في أسفل الرمح ، وتركز به الرمح في الأرض . لسان العرب (زجج) ٢ / ٢٨٥ ، والقاموس ٢٤٤ .

قال الزمخشري ٣ / ٢٦٠ : «ولقد جمع الله على أهل النار أنواع التضيق ، والإرهاق ، حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصاً» .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٦٦٨ / ٨ ، من طريق نافع بن يزيد ، عن يحيى بن أبي أسيد ، يرفع الحديث إلى =

وقال الكلبي : «إذا التقوا في أبواب جهنم تضيق عليهم كتضايق الزُّج في الرمح ، فالأسفلون يرفعهم اللهب ، والأعلون يخفضهم اللهب ، فيزدحمون في تلك الأبواب الضيقة»^(١) ، فعند ذلك يدعون بالشبور .

وقوله : ﴿وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد في الأصفاد ، والأغلال . يعني : أن أيديهم قرنت إلى أعناقهم»^(٢) . وقيل : مقربين مع الشياطين في السلاسل^(٣) . وذكر مقاتل القولين ، فقال : «موثقين في الحديد وقرنوا مع الشياطين»^(٤) . ومضى الكلام في هذا عند قوله : ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم : ٤٩] .

١٤ . ﴿لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ : دعوا بالويل على أنفسهم والهلاك ، قاله ابن عباس^(٥) والمفسرون^(٦) ، وقال ابن قتيبة :

رسول الله ﷺ ، ونقله عنه الثعلبي ٨/ ٩٣ ، وابن كثير ٦/ ٩٧ ، وهو فيها بلفظ : (ليستكرهون) . خلافاً لما في النسخ الثلاث فهي من دون اللام . ونافع بن يزيد الكلاعي ، أبو يزيد المصري ، ثقة عابد ، ت ١٦٨ هـ . التاريخ الكبير ٨/ ٨٦ ، رقم الترجمة ٢٢٨٠ . وتهذيب الكمال ٢٩/ ٢٩٦ ، والتقريب ٩٩٦ ، ويحيى بن أبي أسيد ذكره المزي في شيوخ نافع بن يزيد ، ونسبه إلى مصر ، لكنني لم أعثر على ترجمة له ، ولم يذكر ابن أبي حاتم من حديثه بذلك ، حيث قال : «قوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا﴾ قُرِئَ على يونس بن عبد الأعلى . . . » .

(١) ذكره عن الكلبي الرازي ٢٤/ ٥٦ ، وهو في تنوير المقباس ٣٠١ ، بنحوه .
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٦٩ عن أبي صالح بلفظ : ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ ، قال : «مكتفين» ، وذكر نحوه الثعلبي ٨/ ٩٣ ، ولم ينسبه .
(٣) تنوير المقباس ٣٠١ ، وذكره الثعلبي ٨/ ٩٣ ، ونسبه الماوردي ٤/ ١٣٤ إلى يحيى بن سلام . وهذا القول لا يسعفه ظاهر الآية .

(٤) في (أ) و(ب) : (في قوامع الشياطين) ، وفي تفسير مقاتل ٤٣ ب : (قرناً مع الشياطين) .
(٥) أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير معلقاً بصيغة الجزم ، ونصه : «﴿ثُبُورًا﴾ وبلاً» . الفتح ٨/ ٤٩٠ ، ووصله ابن جرير ١٨/ ١٨٧ ، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٦٩ من طريق علي بن أبي طلحة ، وذكره الثعلبي ٨/ ٩٣ ب .

(٦) تفسير مقاتل ٤٣ ، وتفسير هود الهواري ٣/ ٢٠٣ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ٩٣ ب ، وتفسير =

«هذا كما يقول القائل : واهلاكاه»^(١) . وفي الحديث : «إن إبليس يكسى حلة من النار فيسحبها وذريته من خلفه ، وهو يقول : يا ثوراه وينادون : يا ثورهم ، حتى يردوا النار فيقال لهم : ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾»^(٢) .

قال المفسرون : ادعوا ويلاً كثيراً لأنها دائمة لهم أبداً^(٣) .

وقال أبو إسحاق : «أي هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة»^(٤) .

الماوردي ١٣٤/٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥٩/٤ ، وأخرج ابن جرير ١٨٨/١٨ عن الضحاك : (الثور) الهلاك .

(١) غريب القرآن إلى ابن قتيبة ٣١٠ ، أخرج ابن أبي حاتم ٢٦٦٩/٨ عن الضحاك : «دعوا بالهلاك ؛ فقالوا : واهلاكاه ، واهلاكاه» .

(٢) الحديث أخرجه مطولاً ابن جرير ١٨٨/١٨ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف . وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٦٦٩/٨ من الطريق نفسه ، وكذا الثعلبي في تفسيره ٩٣/٨ ب ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٠٤/٤ ، رقم : ١٢٥٣٨ ، من طريق علي بن زيد أيضاً ، عن أنس رضي الله عنه .

وقال الهيثمي ٢٩٢/١٠ : «رواه أحمد والبخاري ، ورجاهما رجال الصحيح ، غير علي بن زيد ، وقد وثق» . لكن أكثر أهل العلم على تضعيفه ، من جهة حفظه ، واختلاطه في كبره ، وقلبه للأحاديث . ميزان الاعتدال ١٢٧/٣ ، وأخرجه الواحدي في الوسيط ٣٣٦/٤ من الطريق السابق ، وصححه السيوطي ٢٤٠/٦ ، وقال الشوكاني ٦٤/٣ بعد ذكر إسناد الإمام أحمد لهذا الحديث : «وفي علي بن زيد مقال معروف» . وهذا الحديث يقابل ما أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، رقم ٤٦٢٥ ، الفتح ٢٨٦/٨ ، ومسلم : ٢١٩٤/٤ في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، رقم ٢٨٦٠ ، من أن أول من يكسى من أهل الجنة نبي الله إبراهيم عليه السلام . ولفظه عندهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما - قَالَ : خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حَفَاةَ عَرَاةٍ غُرْلًا ثُمَّ قَالَ : ﴿كَأَبَدْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَعَلِيلِينَ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ثُمَّ قَالَ : أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلْقِ يَكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ» .

(٣) تفسير مقاتل ٤٣ ، وتفسير هود الهواري ٢٠٣/٣ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٢٦٦٩/٨ بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما : «لا تدعوا اليوم ويلاً واحداً» ، ونحوه عن الضحاك وقتادة .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥٩/٤ .

وقال المبرّد : «الشبور هلاك على هلاك ، ولا يكون لمرة واحدة ، ومنه قولهم :
ثابر فلان على كذا ، أي دام عليه» ، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿مَثْبُورًا﴾
[الإسراء : ١٠٢] ^(١) .

قال الفراء : «الشبور مصدر ، فلذلك ^(٢) قال : ﴿مَثْبُورًا كَثِيرًا﴾ ؛ لأن المصادر
لا تجمع ، ألا ترى أنك تقول : قعدت قعوداً طويلاً ، وضربته ضرباً كثيراً فلا
تجمع» ^(٣) . وقال الكلبي : «هذا كله نزل في أبي جهل وأصحابه» ^(٤) .

١٥ . ثم ذكر ما وعده لمحمد ﷺ وأصحابه ، فقال : ﴿قُلْ أَذَلِكَ﴾ يعني :
السعير ^(٥) المذكور في قوله : ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾
[الفرقان : ١١] وما بعده إلى قوله : ﴿أَذَلِكَ﴾ ^(٦) صفته وصفة أهله
﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ . قال أبو إسحاق : «إن قال قائل : كيف
يقال : الجنة خير من النار ؛ وليس في النار خير ألبتة ؟ ثم أجاب ،
فقال : إنما يقع التفضيل في ما دخل في صنف واحد ، والجنة والنار قد

(١) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : «وقوله تعالى : ﴿وَلِيَّ لَأَطْنُكَ يَفِرَّعَوْثُ مَثْبُورًا﴾ قال الكلبي :
وإني لأعلمك يا فرعون ﴿مَثْبُورًا﴾ ، قال ابن عباس : ملعوناً ، وقال قتادة : مهلكاً ، وقال مجاهد :
هالكاً ، قال الفراء : المَثْبُورُ الملعون المحبوس عن الخير ، والعرب تقول : ما تَبَرَّكَ عن هذا ؟ أي ما
منعك منه وما صرفك ، وروى أبو عبيد عن أبي زيد : تَبَرَّتْ فلاناً عن الشيء : رَدَّته عنه ، وروى
ثعلب عن ابن الأعرابي : المَثْبُورُ : الملعون المطرود السُّمَّعَدُ ، وهذا وجه قول ابن عباس ، وأما وجه
قول مجاهد وقاتدة فقال الزَّجَّاج : تَبَرَّ الرجل فهو مَثْبُور إذا هلك ، والشبور الهلاك ، قال شمر : ومثَّل
للعرب : إلى أمه يأوى من تَبَرٍّ ؛ أي من أهلك ، قال أبو عبيد : والمعروف في الشبور الهلاك ، والملعون
هالك» . البسيط ٣/ ١٦٦ أ ، النسخة الأزهرية .

(٢) (فلذلك) : من كتاب الفراء ، وهي غير موجودة في النسخ الثلاث .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٦٣ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٥٩ .

(٤) تنوير المقياس ٣٠١ ، أبو جهل : هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي .

(٥) تنوير المقياس ٣٠١ .

(٦) (من) ساقطة من نسخة (ج) .

دخلا في باب المنازل في صنف واحد ؛ فلذلك قال : ﴿أَذْلَٰكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ كما قال : ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان : ٢٤]»^(١) .

وقال غيره من أهل المعاني : «هذا على التذكير والتنبيه على تفاوت ما بين المنزلين والحالين»^(٢) .

قوله : ﴿الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ ؛ أي وعد المتقون دخولها ، أو نزولها ، أو الخلود فيها ، وما أشبه هذا مما يؤدي هذا المعنى ، وبهذا التقدير تتم صلة الموصول وتمام المعنى ، ولهذا ذكر قوله : ﴿وَعَدَ﴾ ولم يكن : وعدت ؛ لأن الموعود دخولها .

قوله تعالى : ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَصِيرًا﴾ . قال ابن عباس : «ثواباً ومرجعاً»^(٣) .

١٦ . قوله : ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا﴾ ؛ أي كان دخولها ونزولها وعداً . والدخول قد ذكرنا تقديره في قوله : ﴿وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الفرقان : ١٥] . ويجوز أن يعود ﴿كَانَ﴾ إلى الخلود ، ودل عليه قوله : ﴿خَالِدِينَ﴾ . قال الكلبي : «وعد الله المؤمنين الجنة فجعلها لهم ، فسألوه ذلك الوعد

(١) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٦٠ ، وهذه الآية تدل على أن أهم شيء الفوز بالجنة ، والنجاة من النار . ويشهد لهذا حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ : «مَا تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ ؟ قَالَ أَتَشْهَدُ ثُمَّ أَسْأَلُ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ ، أَمَا وَاللَّهِ مَا أَحْسَنُ دَنَدَنَتَكَ وَلَا دَنَدَنَةَ مَعَاذٍ فَقَالَ : حَوْلَهَا نَدْنَدُنْ» أخرجه أبو داود ١ / ٥٠١ ، كتاب : الصلاة ، رقم ٧٩٢ . وابن ماجه ١ / ٢٩٥ ، كتاب : الصلاة ، رقم ٩١ . وهو في صحيح أبي داود ١ / ١٥٠ ، رقم ٧١٠ .

(٢) الدندنة : أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ، ولا يفهم . النهاية في غريب الحديث ٢ / ١٣٧ . قال في الوسيط ٣ / ٣٣٦ : «وهذا على التنبيه على تفاوت ما بين المنزلتين ، لا على أن السعير خير» ، ولم ينسبه ، وذكر قريباً منه القرطبي ١٣ / ٩ ، ونقل البرسوي ٦ / ١٩٥ قول الواحدي في الوسيط ، ونسبه إليه . قال أبو حيان ٦ / ٤٤٥ : «خير ، هنا ليس تدل على الأفضلية بل هي على ما جرت عادة العرب في بيان فضل الشيء وخصوصيته بالفضل دون مقابلة . . . كقول العرب : الشقاء أحب إليك أم السعادة . وكقوله تعالى : ﴿السَّيِّئُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف : ٣٣]» .

(٣) تفسير مقاتل ٣٤ ، وتفسير السمرقندي ٢ / ٤٥٥ ، من دون نسبة ، وذكره البغوي ٦ / ٧٥ ، ولم ينسبه .

في الدنيا فقالوا : ﴿رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران : ١٩٤] ^(١) ؛
 أي على لسان رسلك ؛ يعنون الجنة ، فلم يلجئهم يوم القيامة إلى أن
 يسألوه ، فأدخلهم الجنة بوعدہ إياهم ذلك ^(٢) ، وهذا القول هو اختيار
 الفرّاء ^(٣) .

وقال القرطبي : «إن الملائكة تسأل لهم ذلك ، وهو قوله : ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ
 جَنَّاتٍ﴾ ^(٤) [غافر : ٨] ، واختار الزّجاج هذا القول ^(٥) .

وقال مقاتل : «يسأله المتقون في الآخرة ما وعدهم في الدنيا ، وهي الجنة» ^(٦) .

وذكر الفرّاء وجهاً آخر فقال : «هذا كما تقول في الكلام» ^(٧) : لأعطينك ألفاً
 وعداً مسؤولاً ؛ أي هو واجب لك فتسأله ؛ لأن المسؤول ^(٨) واجب وإن لم يُسأل
 كالدين ^(٩) ، وعلى هذا المعنى : وعداً واجباً هو مما يُسأل وإن لم يُسأل ، وهذا معنى

(١) ذكر هذا القول ابن جرير في تفسيره ١٨٩ / ١٨ ، والسمرقندي ٤٥٥ / ٢ ، والثعلبي ٩٣ ب ، والبغوي ٧٦ / ٦ ولم ينسبه لأحد ، وبنحوه عند الماوردي ١٣٥ / ٤ ، منسوباً إلى ابن عباس رضي الله عنهما . وهو في الوسيط ٣٣٦ / ٣ غير منسوب ، ونسبه القرطبي ٨ / ١٣ إلى الكلبي ، ثم قال : «وهو معنى قول ابن عباس» .

(٢) تنوير المقياس ٣٠١ بلفظ : «سألوه فأعطاهم» . وذكره هود الهواري ٢٠٣ / ٣ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢٦٣ / ٢ ولم ينسبه .

(٤) ذكر هذا القول الهواري ٢٠٣ / ٣ ولم ينسبه ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٦٧١ / ٨ عن القرطبي ، وكذا الثعلبي ٩٣ ب ، والماوردي ١٣٥ / ٤ ، وهو كذلك في الوسيط ٣٣٦ / ٣ ، والبغوي ٧٦ / ٦ ، وابن كثير ٩٨ / ٦ .

(٥) معاني القرآن للزّجاج ٦٠ / ٤ ، وتفسير السمرقندي ٤٥٥ / ٢ ، ولم ينسبه .

(٦) تفسير مقاتل ٤٣ ، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم ٢٦٧١ / ٨ ، عن أبي حازم ، ونسبه الماوردي ١٣٥ / ٤ إلى زيد بن أسلم .

(٧) (في الكلام) من نسخة : (أ) و(ب) .

(٨) في نسخة : (أ) و(ب) : (السؤال) .

(٩) معاني القرآن للفرّاء ٢٦٣ / ٢ .

قول ابن عباس في تفسير قوله: ﴿وَعَدَا مَسْئُولًا﴾: «يريد: لا خلاف فيه»^(١). وهذا الوجوب من قبل الله تعالى هو أوجه على نفسه أنه لا يخلف الميعاد، ولا يجب لأحد عليه شيء دون إيجابه^(٢).

١٧. ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾. قال مقاتل: «يجمعهم يعني: كفار مكة»^(٣)، وقال غيره: «يعني المشركين كلهم ومن»^(٤) كان يعبد غير الله»^(٥)؛ لقوله: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. قال ابن عباس: «ونحشر ما يعبدون من دون الله»^(٦). قال مجاهد: «عيسى، وعزيراً، والملائكة»^(٧).

وقال عكرمة والضحاك: «يعني الأصنام»^(٨).

(١) أخرج نحوه ابن جرير ١٨٩/١٨ من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكذا ابن أبي حاتم ٢٦٧١/٨، وذكره العز في تفسيره ٤١٩/٢، وابن كثير ٩٨/٦ من الطريق السابق.

(٢) حاصل ما ذكر أن ﴿مَسْئُولًا﴾ فيها قولان ١- مطلوباً. والطالب له: إمّا المؤمنون، وإمّا الملائكة. ٢- إن معنى المسؤل: الواجب. تفسير ابن الجوزي ٧٧/٦، وعلى المعنى الثاني، يكون واجباً بحكم الاستحقاق، على قول المعتزلة، أو بحكم الوعد على قول أهل السنة. تفسير الزمخشري ٢٦١/٣، والرازي ٢٤/٦٠، وتفسير أبي حيان ٤٤٦/٦، قال ابن كثير ٩٨/٦: «هذا من وعد الله الذي تفضل به عليهم، وأحسن به إليهم». قال البقاعي ٣٥٧/١٣: «وهو من وادي ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّالِّ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]».

(٣) تفسير مقاتل ٤٣ ب.

(٤) في (ج): (من) من دون واو.

(٥) ذكر هذا كله الواحدي - رحمه الله - في الوسيط ٣٣٦/٣ غير منسوب.

(٦) تفسير مقاتل ٤٣ ب، وتفسير الطوسي ٤٧٨/٧، ولم ينسبه. وذكر المعبودات هنا بلفظ (مَا) إشارة إلى أن ناطقها وصامتها جاد بل عدم بالنسبة إليه سبحانه، مع أن (مَا) موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم، وإن كان أكثر استعماله في غير العقلاء. نظم الدرر ٣٦٠/١٣، وتفسير أبي السعود ٢٠٨/٦.

(٧) أخرجه ابن جرير ١٨٩/١٨، وابن أبي حاتم ٢٦٧٢/٨، وتفسير مجاهد ٤٤٨/٢، وذكره عنه الثعلبي ٩٣ ب، والماوردي ١٣٦/٤، وابن كثير ٩٩/٦.

(٨) تفسير الثعلبي ٩٣ ب منسوباً إليهما، وهو كذلك في الوسيط ٣٣٦/٣، والبغوي ٧٦/٦، وابن عطية ١١/١٧، والقول الأول أرجح؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْلُؤَلَاءَ إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ﴾ =

وقال الكلبي في هذه الآية : «يعني عبدة الأوثان ، والأصنام»^(١) .

ثم يأذن لها في الكلام ويخاطبها ﴿فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ﴾^(٢) . قال مقاتل : «يقول : ءأنتم أمرتموهم بعبادتكم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ ؟ يقول : أم هم أخطؤوا الطريق ؟»^(٣) .

وُقِرَّي ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ بالياء والنون ، وكذلك ﴿فَيَقُولُ﴾ بالياء والنون^(٤) ، وذلك على تلوين الخطاب من الأفراد والجمع^(٥) ، ثم ذكر جواب المعبودين بقوله :

١٨ . ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «نزهوا الله ، وعظموه من أن يكون معه إله»^(٦) .

[سبأ : ٤٠] ، وقوله : ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُنِّجِ إِلَهَيْهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة ١١٦] . تفسير ابن جزي ٤٨٢ ، وتفسير أبي حيان ٤٤٧/٦ .

(١) تنوير المقباس ٣٠١ ، وفي تفسير البحر ٤٤٧/٦ عن الكلبي : «يحيي الله الأصنام يومئذ لتكذيب عابديها» .

(٢) الاستفهام هنا على سبيل التقرع للمشركين ، كما قال لعيسى ﷺ : ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُنِّجِ إِلَهَيْهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة ١١٦] ؛ ولأن تبرؤ المعبودين منهم أشد في حسرتهم وحيرتهم . تفسير الرازي ٦٢/٢٤ .

(٣) تفسير مقاتل ٤٣ ب ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٦٧٢/٨ عن مقاتل بن حيان بلفظ : «قد أخطؤوا قصد السبيل» ، وهو عند البغوي ٧٦/٦ غير منسوب .

(٤) ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ قرأ بالياء ابن كثير وحفص عن عاصم ، وبالنون نافع وأبو عمرو وحمة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر . انظر : السبعة ٤٦٢ ، والحجة ٣٣٧/٥ ، وإعراب القراءات إلى ابن خالويه ١١٧/٢ ، والميسوط في القراءات العشر ٢٧٠ ، والتبصرة ٦٣١ ، والنشر ٣٣٣/٢ ، و(فنقول) بالنون ، قراءة ابن عامر ، والباقون بالياء . انظر : المراجع السابقة .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٣٣٨/٥ .

(٦) تفسير مقاتل ٤٣ ب ، وتنوير المقباس ٣٠١ ، وذكره الهواري ٢٠٤/٣ ، والسمرقندي ٤٥٥/٢ ، والواحد في الوسيط ٣٣٦/٣ ، والبغوي ٧٦/٦ ، ولم ينسبه لأحد . قال القرطبي ١٠/١٣ : «فإن قيل : فإن كانت الأصنام التي تعبد تحشر فكيف تنطق وهي جماد ؟ قيل : ينطقها الله تعالى يوم القيامة كما ينطق الأيدي والأرجل» .

﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ : إن قيل : كيف يجوز للمعبودين أن يقولوا هذا ؛ وإنما اتخذهم غيرهم أولياء من دون الله ، وليس هذا الجواب يليق للسؤال المتقدم ؟ والجواب عنه من وجوه ؛ أحدها : إن المعنى : ما كان ينبغي لنا أن نعبد غيرك [ونتخذ غيرك ولياً ومعبوداً فكيف ندعو إلى عبادتنا ؛ أي إذا كنّا نحن لا نعبد غيرك] ^(١) فكيف ندعو أحداً إلى أن يعبدنا ؟ فذكر من جوابهم على أنهم لم يضلّوهم ، ولم يأمرهم بعبادتهم ، وهو أنهم إذا كانوا لا يرون لأنفسهم عبادة غير الله ، فكيف يدعون غيرهم إلى عبادتهم ؟ وهذا معنى قول الفراء ^(٢) .

وقال صاحب النظم : «هذا بالتدريج يصير جواباً للسؤال الظاهر ؛ وهو أن من عبد شيئاً فقد تولاه ، وإذا تولاه العابد صار المعبود ولياً للعابدين» ^(٣) ، ويدل على هذا قوله : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ^(٤) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِئِنَّا مِنْ دُونِهِمْ ﴿سبأ٤١، ٤٢﴾ ؛ أي لم نتخذهم أولياء وإن عبدونا في الظاهر . فدل هذا على أن العابد يُسمّى ولياً للمعبود ، ويصير المعنى : كأنهم قالوا : ما كان ينبغي لنا أن نأمر غيرنا باتخاذنا ولياً ، ولن نتخذ من دونك ولياً يعبدنا ، فحذف من الكلام اتخاذ العابدين إياهم أولياء بدلالة ما ذكر عليه ، وهذا معنى قول ابن عباس في هذه الآية : يقولون ما توليناهم ولا أحببنا عبادتهم . قال : ويحتمل أن يكون قولهم : ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أرادوا معشر العبيد لا أنفسهم ؛ أي إنّنا وهم عبيدك فكان لا ينبغي لعبيدك أن يتخذوا من دونك أولياء ، ولكنهم تواضعاً منهم أضافوا ذلك إلى أنفسهم وعنوهم به ، كما يقول الرجل إذا أتى أخوه كبيرة : ما كان ينبغي لي أن أفعل مثل هذا ، وهو يعني به غيره ، ولهذا الإشكال قرأ من قرأ ﴿أَنْ نَتَّخِذَ﴾ بضم النون . وهذه القراءة أقرب

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٦٣ ، وقريب من هذا في تنوير المقباس ٣٠١ ، وتفسير مقاتل ٤٣ ب .

(٣) في (ج) : (للعابد) .

في التأويل لو صحت^(١). قال أبو إسحاق : «هذه القراءة خطأ ؛ لأنك تقول : ما اتخذت من أحد ولياً ، ولا يجوز : ما اتخذت أحداً من ولي ؛ لأن (مِنْ) إنما دخلت لأنها تنفي واحداً في معنى جمع ، تقول : ما من أحد قائماً ، وما من رجل محباً لما يضره ، ولا يجوز : ما رجل من محب ما يضره ، ولا وجه لهذا عندنا ألبتة . ولو جاز هذا لجاز في ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة : ٤٧] ما أحد عنه من حاجزين ، ولو لم يكن (مِنْ) لصحت هذه القراءة^(٢) .

(١) هذه قراءة أبي جعفر المدني . معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٦٤ ، وإرشاد المبتدي ٤٦٦ ، ونسبها ابن جرير ١٨ / ١٩١ إلى الحسن ، ويزيد بن القعقاع ، وهو أبو جعفر المدني . قال ابن الجزري ٢ / ٣٣٣ ، بعد أن نسبها إلى أبي جعفر : «وهي قراءة زيد بن ثابت ، وأبي السدراء ، وأبي رجاء ، وزيد بن علي» ، وذكرها ابن جني في المحتسب ٢ / ١١٩ ، وقول الزَّجَّاج ٤ / ٦٠ : «وقرأ أبو جعفر المدني وحده» يعني من العشرة . وجزم الواحدي - رحمه الله - بضعف هذه القراءة تبع فيه الزَّجَّاج ، حيث نقل كلامه في تضعيفها ، ولم يعترض عليه . وضعف ابن جرير ١٨ / ١٩١ هذه القراءة لعلل ثلاث ؛ لإجماع الحجة على القراءة بفتح النون ، ولقوله تعالى في سورة سبأ : ٤٠ ، ٤١ : ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِئْنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ والعلة الثالثة ما ذكره الواحدي عن الزَّجَّاج .

وقد وجه هذه القراءة ابن جني ، فقال : «(مِنْ أَوْلِيَاءَ) في موضع الحال ؛ أي ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك أولياء ، ودخلت (مِنْ) زائدة لمكان النفي ، كقولك : اتخذت زيدا وكيلاً ، فإن نفيت قلت : ما اتخذت زيدا من وكيل ، وكذلك : أعطيته درهماً ، وما أعطيته من درهم» . المحتسب ٢ / ١٢٠ ، وقد حسن هذا التوجيه وارتضاه ابن الجزري في النشر ٢ / ٣٣٣ ، وتبعه على ذلك البناء صاحب إتحاف فضلاء البشر ٣٢٨ ، ووجه هذه القراءة أيضاً الزخشي ٣ / ٢٦٣ ، وصححها ابن القيم في إغاثة اللهفان ٢ / ٢٣٧ ، قال ابن كثير ٦ / ٩٩ بعد ذكر هذه القراءة : «وهي قريبة المعنى من الأولى» . قال البقاعي : «وقراءة أبي جعفر بالبناء للمفعول ، بضم النون وفتح الحاء ، واضحة المعنى ، أي يتخذنا أحد آلهة تنولى أموره» . نظم الدرر ١٣ / ٣٦١ ، فالحاصل أن هذه القراءة ثابتة ، مقروء بها عن أبي جعفر المدني ، والله أعلم .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ٦٠ ، وتخطئة الزَّجَّاج لهذه القراءة لتخطئة أكثر النحويين لها ، حيث قال : «وهذه القراءة عند أكثر النحويين خطأ» . ومثل هذا لا يكفي لتخطئة القراءة ؛ إذ الاعتبار بصحة الرواية . قال ابن جني في الرد على من رد الرواية لمجرد مخالفتها للمشهور من القراءة : «وكيف يكون هذا والرواية تنميه إلى رسول الله ﷺ والله تعالى يقول : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر : ٧] ، وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ» . المحتسب ١ / ٣٣ ، وقال أيضاً : =

وقال صاحب النظم : «العلة في سقوط هذه القراءة : أن ﴿مِنْ﴾ لا تحدث إلا على مفعول ، لا مفعول دونه ، فإذا كان قبل المفعول [مفعول سواء لم يحسن دخول : مِنْ ، مثل قوله عز وجل : ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ (مريم : ٣٥) ؛ فقوله : ﴿مِنْ وَلَدٍ﴾ لا مفعول دونه سواء^(١) ، ولو قال : ما كان لله أن يتخذ أحداً من ولد ، لم يحسن فيه دخول : (مِنْ) ؛ لأن^(٢) الاتحاد مشغول بـ (أحد)^(٣) . كذلك قوله : ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ قد قامت النون المضمومة مقام مفعول ، وشغل الاتحاد به فلم تعمل (مِنْ) في المفعول الذي بعده ؛ لأن تأويله يكون مثل قولك : ما كان لزيد أن يتخذ من ولي . هذا كلامه . ومن أجاز هذه القراءة يجعل (مِنْ) صلة^(٤) .

قال الفرّاء : «العرب تدخل ﴿مِنْ﴾ في الأسماء لا في الأخبار ، ألا ترى أنهم يقولون : ما أخذت من شيء ، وما عندي من شيء ، ولا يقولون : ما رأيت عبداً لله من رجل . فلو لم يكن في الأولياء ﴿مِنْ﴾ لكان وجهاً جيداً ، وهو على قلة من قرأ به ، قد يجوز أن يجعل الاسم في ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ ، ويجعل الخبر ما في ﴿نَتَّخِذُ﴾ على القلب^(٥) .

= «والقرآن يُتخير له ، ولا يتخير عليه» . المحتسب ١ / ٥٣ ، وقال ابن الجزري : «كل قراءة وافقت العربية مطلقاً ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً ، وتواتر نقلها ، هذه القراءة المتواترة المقطوع بها . ومعنى العربية مطلقاً : ولو بوجه من الإعراب . . . ثم قال : والذي جمع في زماننا هذه الأركان الثلاثة ، هو قراءة الأئمة العشرة التي أجمع الناس على تلقيها بالقبول ، وهم : أبو جعفر ، ونافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، ويعقوب ، وابن عامر ، وعاصم ، وحزمة ، والكسائي ، وخلف» . منجد المقرئين ١٥ .

- (١) ما بين المعقوفين ساقط من (ج) .
- (٢) (لأن فعل الاتحاد مشغول) بزيادة (فعل) . هكذا عند ابن القيم في إغاثة اللهفان ٢ / ٢٣٧ .
- (٣) انظر قول صاحب النظم في : إغاثة اللهفان ٢ / ٢٣٧ ، وقد صرح ابن القيم بالنقل عنه ، وهو مطابق لما نقله الواحدي .
- (٤) تفسير البغوي ٦ / ٧٦ .
- (٥) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٦٤ .

ثم ذكر المعبودون سبب ترك العابدين للإيمان بالله بقوله : ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ
وَأَبْكَاهُمْ﴾ . قال ابن عباس : «أطلت لهم العمر فأفضلت عليهم ووسعت لهم
في الرزق»^(١) ، وقال الفرّاء : «ولكنك يا رب ، متعتهم بالأموال والأولاد»^(٢) .

﴿حَتَّىٰ سَأُوا الذِّكْرَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد تركوا الموعظة» ، وقال مقاتل :
«تركوا إيماناً بالقرآن»^(٣) .

﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ . قال مجاهد والكلبي ومقاتل^(٤) والمفسرون^(٥) : «فاسدين
هالكين قد غلب عليهم الشقاء والخذلان»^(٦) ، وقال الزجاج : «البائر في اللغة

(١) أخرج ابن أبي حاتم ٢٦٧٢ / ٨ عن ابن عباس في تفسير هذه الآية : «ذهبت أعمارهم في الدنيا ولم يكن لهم
أعمال صالحة» . ولم يذكر القول الذي أورده الواحدي . وقريب من هذا القول في تفسير السمرقندي
٤٥٦ / ٢ ، ولم ينسبه ، وهو بنصّه في الوسيط ٣٣٧ / ٣ منسوباً إلى ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢٦٤ / ٢ ، قال الزمخشري ٨٦ / ٣ (ط : دار الفكر ، حيث لم أجده في طبعة دار
الكتب العلمية) : «فجعلوا النعمة التي حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ، ونسيان الذكر .
والمترفون عادة هم أعداء الرسل وأتباعهم ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ
مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٥١) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ [سبا : ٣٤ ،
٣٥] ، وقال تعالى : ﴿وَقَالَكَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
رَبَّنَا لِضُلُوكَ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾
[يونس : ٨٨]» .

(٣) تفسير مقاتل ٤٣ ب . قال ابن قتيبة : «يعني القرآن» ، وغريب القرآن ٣١١ ، ومن قال إنه القرآن
زيد بن أسلم . أخرجه ابن أبي حاتم ٢٦٧٢ / ٨ ، وفي تفسير السمرقندي ٤٥٦ / ٢ : «تركوا التوحيد ،
والإيمان بالقرآن» ولم ينسبه . وذكر الثعلبي ٩٣ في الذكر خمسة أقوال : القرآن ، والرسول ، والتوحيد ،
والإسلام ، وذكر الله . وكلها متلازمة . والقولان في الوسيط ٣٣٧ / ٣ من دون نسبة .

(٤) تفسير مجاهد ٤٤٨ / ٢ ، وأخرجه عنه ابن جرير ١٨ / ١٩٠ ، وقول الكلبي في تنوير المقباس ٣٠١ ،
وتفسير السمرقندي ٤٥٦ / ٢ ، وتفسير مقاتل ٤٣ ب .

(٥) (المفسرون) في (ج) .

(٦) أخرج ابن جرير ١٨ / ١٩٠ ، وابن أبي حاتم ٢٦٧٣ / ٨ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من طريق
علي بن أبي طلحة : (بُوراً) هلكى ، ونسبه الماوردي ٤ / ١٣٧ إلى ابن عباس . وذكر هذا القول هود
الهواري ٣ / ٢٠٤ ، وابن الأباري في الزاهر في معاني كلمات الناس ١ / ٣١٤ ، والثعلبي ١٩٤ . وهو
بنصّه في الوسيط ٣٣٧ / ٣ غير منسوب .

الفاسد الذي لا خير فيه»^(١)، وقال الفرّاء: «البور مصدر يكون واحداً وجمعاً»^(٢)، وقال أبو عبيدة: «رجل بور، ورجلان بور، وقوم بور، وكذلك الأنثى، ومعناه: هالك. وقد يقال: رجل بائر، وقوم بور»، وأنشد:

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بَوْرٌ^(٣)

أبو الهيثم: «البائر: الهالك. والبوار: الهلاك». وقال الحسن وابن زيد: «البور الذي ليس فيه من الخير شيء»^(٤). ومعنى هذه الآية أن المعبودين قالوا: ما أضلللناهم ولكنهم ضلّوا.

١٩. قال الله عز وجل: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾؛ أي فيقال للكفار حينئذٍ^(٥)، ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾؛ أي كذبكم المعبودون بقولكم: إنهم آلهة، وإنهم شركاء^(٦).

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/٦٠، وأخرج ابن أبي حاتم ٨/٢٦٧٣ عن شهر بن حوشب: (بُوراً) قال: «معناه: فسدت»، ومثله عن قتادة قال: «والبور الفاسد، وإنه والله ما نسي قوم ذكر الله إلا باروا، وفسدوا».

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢/٢٦٤.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٧٣، ونسبه إلى عبد الله بن الزبيري، وكذا ابن جرير ١٨/١٩١، وابن الأنباري في الزاهر ١/٣١٥، والثعلبي ٩٤، وابن عطية ١١/١٩، وهو في ديوان ابن الزبيري ٣٦ من قصيدة يمدح فيها النبي ﷺ، ويعتذر إليه مما فعل؛ يعني أنه مصلح لما أفسد. الرقيق: ضد الفتق. اللسان ١٠/١١٤، والقاموس ١١٤٣، والفتق: الشق. اللسان ١٠/٢٩٦، والقاموس ١١٨٢.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/٦٧ عن الحسن، ومن طريقه أخرجه ابن جرير ١٨/١٩٠، وابن أبي حاتم ٨/٢٦٧٣، وأخرجه عن ابن زيد ابن جرير ١٨/١٩١، وذكره عنها الثعلبي ٩٤.

(٥) تفسير مجاهد ٢/٤٤٨، وتفسير مقاتل ٤٣ب، وتفسير الطبري ١٨/١٩٢.

(٦) تفسير هود الهواري ٣/٢٠٤، ومعاني القرآن للزجاج ٤/٦٠، وتفسير الماوردي ٤/١٣٧، ونسبه إلى مجاهد.

ومن قرأ: ﴿يَمَّا نَقُولُكَ﴾ بالياء^(١)، فالمعنى ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ﴾ بقولهم: ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ الآية^(٢).

وقوله: (فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا)؛ أي ما يستطيع الشركاء والمعبودون صرف العذاب عنكم^(٣). هذه قراءة العامة بالياء^(٤). ولا يحسن أن يجعل ﴿تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالياء للمتخذين الشركاء على الانصراف من الخطاب إلى الغيبة؛ لأن قبله خطاباً، وبعده خطاباً، وهو قوله: ﴿وَمَنْ يَظْلِمُ مِنْكُمْ﴾^(٥)، وهذا مذهب مجاهد؛ لأنه قال: «المشركون لا يستطيعونه»^(٦). ونحو ذلك روى عطاء عن ابن عباس قال: «لا يصرفون عن أنفسهم سوء العذاب، يعني المشركين». ولكن ﴿تَسْتَطِيعُونَ﴾ خبر عن الشركاء على ما ذكرنا، وهو مذهب مقاتل^(٧). ومن قرأ بالتاء فالمعنى: ﴿تَسْتَطِيعُونَ﴾ أيها المتخذون الشركاء صرفاً ولا نصراً^(٨).

-
- (١) قال أبو بكر بن مجاهد: «قال لي قبل عن أبي بزة عن ابن كثير: (يَقُولُونَ) (يَسْتَطِيعُونَ) بالياء جميعاً». السبعة في القراءات ٤٦٣، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٤.
- (٢) قال مقاتل ٤٣ ب: «بقولهم إنهم لم يأمرؤكم أن تعبدوها».
- (٣) تنوير المقياس ٣٠٢، وتفسير مقاتل ٤٣ ب، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٤٢، وتفسير هود الهواري ٣/ ٢٠٤، وذكر الماوردي ٤/ ١٣٧ أربعة أوجه، هذا أحدها.
- (٤) قرأ عاصم في رواية حفص: ﴿يَمَّا نَقُولُكَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتاء جميعاً، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم: ﴿يَمَّا نَقُولُكَ﴾ بالتاء (فَمَا يَسْتَطِيعُونَ) بالياء. وعن ابن كثير أنه قرأ بالياء في الموضعين. انظر: السبعة ٤٦٣، والمبسوط في القراءات العشر ٢٧١، والتبصرة ٦١٣، والنشر ٢/ ٣٣٤.
- (٥) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٤٠ بنصّه.
- (٦) أخرجه ابن جرير ١٨/ ١٩٢، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٧٤، وتفسير مجاهد ٢/ ٤٤٩.
- (٧) تفسير مقاتل ٤٣ ب.
- (٨) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٤٠.

قال أبو عبيد: «والاختيار الياء، وتصديقها حرف ابن مسعود: (فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا)»^(١)، فلما جاءت المخاطبة بقوله: ﴿لَكُمْ﴾ تبيّن أنه أخبر بالاستطاعة عن قوم».

وتفسير الصرف هاهنا: صرف العذاب في قول ابن عباس، ومقاتل، وأكثر المفسرين، وأهل المعاني^(٢). وروي عن يونس أنه قال: «الصرف: الحيلة. ومنه قيل: فلان يتصرف؛ أي يحتال»^(٣). ويقال للمحتال: صيرف، وصيرفي^(٤).

وقوله: ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ معناه على قراءة العامة: ولا أن ينصروكم من عذاب الله بدفعه عنكم، وعلى قراءة من قرأ: ﴿تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتاء معناه: ولا نصراً من العذاب لأنفسكم، يعني: ولا أن تنصروا أنفسكم بمنعها من العذاب^(٥). وقال المبرّد: «ولا أن ينصر بعضكم بعضاً كقوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [الصفات: ٢٥]؛ أي لا ينصر المشركون بعضهم بعضاً»، وهذا على تفسير مجاهد وعطاء لقوله: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا﴾ بالياء^(٦).

-
- (١) أخرج هذه القراءة بإسناده ابن جرير ٣١٩/١٨، ونصها: (مَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا)، ولعل هذا تصحيف من: (لكم) إلى (لك)، ثم قال: «فإن تكن هذه الرواية عنه صحيحة، صح التأويل...»، وذكره ابن عطية ٢٠/١١ نقلاً عن ابن أبي حاتم، لكنني لم أجده عنده.
- (٢) تفسير مقاتل ٤٤٤ أ. وذكره السمرقندي ٤٥٦/٢ والثعلبي ٩٤ أ، ونسبه الماوردي ١٣٧/٤ إلى زيد بن أسلم، ومعاني القرآن للزجاج ٦١/٤.
- (٣) غريب القرآن إلى ابن قتيبة ٣١١، حيث نسبته إلى يونس، وكذا الثعلبي ٩٤ أ. وعن ابن قتيبة، ذكره الماوردي ١٣٧/٤، وابن الجوزي ٧٩/٦.
- (٤) في (ج): (صرف، وصرفي).
- (٥) تنوير المقياس ٣٠٢.
- (٦) قول مجاهد وعطاء في الصفحة السابقة.

قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ نُدْقَهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ . قال ابن عباس والحسن ومقاتل : «ومن يشرك منكم»^(١) . قال مقاتل : «ومن يشرك بالله منكم في الدنيا فيموت عليها»^(٢) ندقه في الآخرة ﴿عَذَابًا كَبِيرًا﴾ يعني : شديداً ، [فلا عذاب أشد وأعظم من النار كقوله : ﴿إِلَّا تُطْعَمَيْنَا كَبِيرًا﴾ [الإسراء : ٦٠] يعني : شديداً]^(٣) ، وكقوله : ﴿وَلَنَعْلَنَ عُلُوءًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء : ٤] يعني : شديداً^(٤) .

قال ابن عباس : «ثم رجع - عز وجل - إلى ذكر النبي ﷺ يعزيه ، فقال»^(٥) :

(١) أخرج ابن أبي حاتم ٢٦٧٤ / ٨ عن ابن عباس من طريق بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك : «كل شيء نسبته إلى غير الإسلام ، من اسم مثل : مسرف ، وظالم ، ومجرم ، وفاسق ، وخاسر ، فإنما يعني به الكفر . وما نسبته إلى أهل الإسلام فإنما يعني به الذنب ، قال : ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ نُدْقَهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ يقول : من يكفر منكم» . وذكر القرطبي ١٢ / ١٣ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه الشرك . وأخرجه عن الحسن عبد الرزاق ٦٧ / ٢ ، وعنه ابن جرير ١٩٣ / ١٨ ، وتفسير مقاتل ٤٤٤ أ . قال ابن عطية ٢٠ / ١١ بعد ذكره هذا القول : «وقد يحتمل أن يعمر غيره من المعاصي» ، إلا أن سياق الآية لا يشهد له ، والله أعلم .

(٢) (عليها) هكذا عند الواحدي ، ومقاتل ؛ أي على هذه المعصية ، وإن كان الأظهر : عليه ، والله أعلم .

(٣) ما بين المعقوفين في (أ) و(ب) .

(٤) تفسير مقاتل ٤٤٤ أ ، سوى ما بين المعقوفين ؛ فهو غير موجود .

(٥) هكذا في الوسيط ٣٣٧ / ٣ غير منسوب إلى أحد . لكن ذكر الواحدي - رحمه الله - في أسباب النزول ٣٣٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن المشركين لما عيروا رسول الله ﷺ بالفاقة ، وقالوا : ﴿قَالُوا مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَا كُلِّ الطَّعَامِ وَيَتَنَى فِي الْأَسْوَاقِ﴾ حزن رسول الله ﷺ فنزل جبريل - عليه السلام - من عنده به معزياً له ، فقال : السلام عليك يا رسول الله ، رب العزة يقرئك السلام ، ويقول لك : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ . وهذا غير ثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما ؛ لأنه من طريق جوير عن الضحاك . وجوير ضعيف جداً ، والضحاك لم يلق ابن عباس . وقد سبق ذلك عند تفسير الآية العاشرة من هذه السورة ، وذكره القرطبي ١٢ / ١٣ من دون إسناد .

٢٠. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ . قال : يريد كما تأكل أنت ^(١) ، ﴿وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ يقول : فكيف يكون محمدٌ بدعاً من الرسل ^(٢) . ووجه النظم على هذا التأويل مختلف فيه . قال الفراء : ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ﴾ صلة لاسم متروك اكتفى بـ ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ منه ، كقولك في الكلام : ما بعثت إليك من الناس إلا مَنْ أنه ليعطيك ، ألا ترى أن قولك : ليعطيك ^(٣) صلة لـ (مِنْ) ، وجاز ضميرها ^(٤) كما قال : ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصفات : ١٦٤] ، وكذلك قوله : ﴿وَلِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَاِردْهَا﴾ [مريم : ٧١] ؛ أي ما منكم إلا من يردّها . قال : ولو لم تكن اللام جواباً لـ (إِنَّ) كانت إن مكسورة أيضاً لأنها مبتدأة ، إذ كانت صلة . انتهى كلامه ^(٥) .

وقال أبو إسحاق : «هذا احتجاج عليهم في قوله : ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ ، ف قيل لهم : كذلك كان من خلا من الرسل يأكل الطعام ويمشي في الأسواق» ، قال : «وأما دخول (أنهم) فعلى تأويل : ما أرسلنا

(١) نظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ ، وقوله : ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٦٢/٤ ، قال ابن العربي ٤٣٣/٣ : «وإنما كان يدخلها حاجته ، أو لتذكرة الخلق بأمر الله ودعوته ، ويعرض نفسه على القبائل في مجتمعهم ، لعل الله أن يرجع إلى الحق بهم» . وهذا يدل على أنه ينبغي لأهل العلم والفضل دخول الأسواق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم الناس ما يتعلق بأحكام البيع والشراء ، ونحو ذلك . وفي كتاب ظلال القرآن ٢٥٥٣/٥ كلام جيد في حكمة مشي الأنبياء في السوق ، فليراجع . وهذه الآية أصل في تناول الأسباب ، وطلب المعاش بالتجارة والصناعة ، وغير ذلك ، وفي هذا رد على من لا يأخذ بالأسباب يزعم أنه متوكل . وقد قرر هذه المسألة القرطبي في تفسيره ١٣/١٤ تقريراً حسناً .

(٣) هكذا : (ليعطيك) في الموضعين ، في النسخ الثلاث ، وفي معاني القرآن للفراء ٢/٢٦٤ : (ليطيعك) من الطاعة . ولعله أقرب ، والله أعلم .

(٤) أي حذفها . حاشية معاني القرآن للفراء ٢/٣٦٤ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٢٦٤ ، وذكر ابن جرير ١٨/١٩٤ قريباً منه ، ولم ينسبه .

[قبلك من المرسلين]^(١) إلا هم يأكلون الطعام ، وإلا إنهم ليأكلون الطعام ، وحذفت رسالاً لأن (إلا) دليل على ما حذف . فأما مثل السلام بعد إلا فقول الشاعر :

مَا أَنْطَيَانِي وَلَا سَأَلْتُهُمَا إِلَّا وَإِنِّي لَحَاجِزِي نَسْبِي^(٢)

وقال في قول الفرّاء : «وهو خطأ بّين ؛ لأنه لا يجوز حذف الموصول وتبقية الصلة»^(٣) . وهذه مسألة خلاف بين الكوفيين والبصريين ، ذكرنا هذا قديماً . وعلى ما قال الزّجاج : الموصوف محذوف ، وعلى قول الفرّاء : الموصول هو المحذوف .

وذكر ابن الأنباري قول الفرّاء ، واحتج عليه بأبيات ذكرناها قديماً ، في ما مضى من الكتاب ، منها قول ذي الرّمة :

فَظَلُّوا وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ سَابِقٌ لَهُ البيت^(٤)

- (١) ما بين المعقوفين في (ج) ، وهذه الزيادة غير موجودة في معاني القرآن للزّجاج ٦٠ / ٤ .
(٢) البيت لكثير بن عبد الرحمن ، وتارة ينسب إلى صاحبه عزة انظر : ديوانه ٢١٩ ، وهو من قصيدة يمدح فيها عبد الملك ، وعبد العزيز ابني مروان بن الحكم إننا يريد أنه إذا سألهما وأعطياه حجّزه كرمه عن الإلحاف في السؤال . أنطيان : أعطيان . معاني القرآن للزّجاج ٦٢ / ٤ ، وعند سيبويه ، والمبرد ، وفي الديوان : (أعطيان) ، وقبل هذا البيت :

دَعُ عَنْكَ سَلْمَى إِذْ فَاتَ مَطْلِبُهَا وَادْكُرْ خَلِيلِكَ مَنْ بَنَى الْحَكَمَ
وقد أورده منسوباً سيبويه ١٤٥ / ٣ ، والمبرد في المقتضب ٣٤٦ / ٢ ، ولم ينسبه . قال عبد السلام هارون في تحقيقه للكتاب : «الشاهد فيه كسر (إن) لدخول اللام في خبرها ، والجملة واقعة موقع الحال ، ولو حذف اللام لم تكن إلا مكسورة أيضاً لوقوع الجملة موقع الحال» . ونص البيت عند الزّجاج ، وفي الكتاب : (كرمي) بدل (نسبي) كما هو في النسخ كلها .

(٣) معاني القرآن للزّجاج ٦٠ / ٤ .

(٤) ديوان ذي الرمة ٥٦ ، وعجّزه :

وَأَخْرُ يَتْنِي دَمْعَةَ الْعَيْنِ بِالْمَهْلِ

ورواية الديوان :

فَظَلُّوا وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ غَالِبٌ لَهُ

وقول آخر :

لَوْ قُلْتُ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تَيْتَمِ يَفْضُلُهَا فِي حَسَبٍ وَمَيْسَمٍ^(١)
وذكر قولاً آخر فقال : «كسرت إنَّ بعد إلا للاستئناف بإضمار واو بتقدير :
إلا وإنهم ، فأضمرت الواو كما أضمرت في قوله : ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف : ٤]
والتأويل : أو وهم قائلون» .

قوله تعالى : ذكروا فيه ثلاثة أقوال^(٢) ؛ أحدها : إن هذا في رؤساء المشركين ؛
فقرءاء الصحابة جعلوا فتنة لهم^(٣) ، وهو قول الكلبي ، واختيار الفرءاء^(٤) . قال
الكلبي : «(فِتْنَةٌ) بليّة ، ابتلي الشريف بالوضع ، والعربي بالمولى^(٥) ، فإذا رأى
الشريف الوضع قد أسلم قبله حمي أنفأ أن يسلم فيكون مثله ، وقال : أسلم
فأكون مثل هذا الوضع شرعاً سواء»^(٦) . وذكر أبو إسحاق هذا القول فقال :
«كان الرجل الشريف ربما أراد الإسلام فعلم أن مَنْ دونه في الشرف قد أسلم قبله

وأنشده الفرءاء كاملاً ، ونسبه إلى ذي الرمة ، وقال : «يريد : منهم من دمه سابق» . معاني القرآن
للفرءاء ١/ ٢٧١ في تفسير سورة النساء .

(١) أنشده سيبويه ٢/ ٣٤٥ ، والفرءاء في معاني القرآن ١/ ٢٧١ ، وابن جنبي في الخصائص ٢/ ٣٧٠ ،
والبغدادى في الخزانة ٥/ ٦٢ ، ولم ينسبه . وفي حاشية الكتاب : «البيت لحكيم بن معية» . وأصل
تيمم : تأثم ، والميسم الجمال ، من الوسامة . والشاهد فيه حذف الموصوف ؛ التقدير : لو قلت ما في
قومها أحد يفضلها لم تكذب فتأثم .

(٢) ذكر الماوردي ٤/ ١٣٨ أربعة أقوال ، وهي قريبة مما ذكر الواحدي .

(٣) تفسير السمرقندي ٢/ ٤٥٦ ، ولم ينسبه .

(٤) معاني القرآن للفرءاء ٢/ ٢٦٥ .

(٥) تنوير المقباس ٣٠٢ .

(٦) تفسير السمرقندي ٢/ ٤٥٦ ولم ينسبه ، ونسبه في الوسيط ٣/ ٣٣٧ إلى الكلبي ، وكذا في البحر
٦/ ٤٥٠ ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ . تفسير الرازي ٢٤/ ٦٥ .

فيمتنع من الإسلام لثلاثا يقال : أسلم من قبله مَنْ هو دونه^(١) ، ويقيم على كفره لثلاثا يكون له السابقة والفضل عليه . وذلك افتتان بعضهم ببعض .

القول الثاني : إن هذا عام في جميع الخلق . رُوي ذلك عن أبي الدرداء ، عن النبي ﷺ قال : «ويل للعالم من الجاهل ، وويل للجاهل من العالم^(٢) ، وويل للسلطان من الرعية ، وويل للرعية من السلطان^(٣) ، وويل للمالك من المملوك ، وويل للمملوك من المالك ، وويل للشديد من الضعيف ، وويل للضعيف من الشديد . بعضهم لبعض فتنة»^(٤) . فهو قول الله عز وجل : ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ .

القول الثالث : إن هذا في أصحاب البلاء والمعافين . يقول الفقير : لمَّ لمَّ أُجعل بمنزلة الغني ؟ ويقول ذو البلاء ، كالأعمى والزَّمن : لمَّ لمَّ أُجعل بمنزلة المعافي^(٥) ؟ وذكر مقاتل أن هذا قول في ابتلاء فقراء المؤمنين ، نحو : بلال ، وخباب ، وأبي ذر ، وابن مسعود ، وصهيب ، وعمار ، بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون :

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٦/٤ ، ومعاني القرآن للفراء ٢٦٥/٢ .

(٢) ما بين المعقوفين في (أ) و(ب) .

(٣) ما بين المعقوفين في (ج) .

(٤) ذكره هود الهواري في تفسيره ٢٠٥/٣ ، فقال : «ذكروا عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ . . . » ، وذكره الثعلبي ٩٤ بأسناده عن الحسن عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، وعنه القرطبي ١٨/١٣ ، وذكره السيوطي ٢٤٤/٦ عن الحسن ، يرفعه للنبي ﷺ مع اختلاف في اللفظ ، ونسبه إلى ابن أبي شيبه ، ولكني لم أجده عنده . والحسن هو البصري ، ثقة فقيه فاضل مشهور ، لكنه كان يرسل كثيراً ، ويدلس . السير ٥٦٣/٤ ، وجامع التحصيل ١٩٤ ، والتقريب ٢٣٦ ، وقد عنعن الحسن في هذا الحديث فهو بهذا الإسناد لا يصح رفعه ، فلعله من كلام الحسن ، والله أعلم .

(٥) ذكر هذا القول ابن جرير ١٩٤/١٨ عن الحسن ، ونحوه عن ابن جريج . ويشهد لهذا حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ» البخاري ، كتاب : الرقاق ، رقم ٦٤٩٠ ، الفتح ٣٢٢/١١ ، ومسلم ٢٢٧٥/٤ ، كتاب : الزهد ، رقم ٢٩٦٣ .

انظروا إلى هؤلاء الذين تبعوا محمداً من مواليها ، [وأعواننا رذلة]^(١) كل قوم ، فقال الله هؤلاء الفقراء : ﴿ أَتَصْبِرُونَ ﴾ على الأذى والاستهزاء^(٢) ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ إن صبرتم . فصبروا ، ولم يجزعوا ، فأنزل الله فيهم : ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [المؤمنون : ١١١] ؛ أي في الدنيا على الأذى والاستهزاء من كفار قريش^(٣) .

وقال الفرّاء على قول الكلبي ﴿ أَتَصْبِرُونَ ﴾^(٤) : « يقول : هو هذا الذي ترون » ، فمعناه : هو هذا السبق على قدر الدرجات ، وقال أبو إسحاق : « أي أتصبرون على البلاء فقد عرفتم ما وُعد الصابرون »^(٥) .

وقال صاحب النظم : « ليس لقوله : ﴿ أَتَصْبِرُونَ ﴾ في الظاهر انتظام ما اتصل به من اللفظ ؛ لأن فيه إضماراً كأنه يقول : لنعلم أتصبرون أم لا . فأوماً بقوله : ﴿ أَتَصْبِرُونَ ﴾ إلى هذا الإضمار لأنه يقتضيه » .

(١) ما بين المعقوفين من تفسير مقاتل ٤٤٤ أ ؛ لأن ما في النسخ الثلاث لا يستقيم به المعنى .

(٢) (فليس لمن قد فتن فتنة دواء مثل الصبر) . إغاثة اللفهان ١٥٧/٢ .

(٣) تفسير مقاتل ٤٤٤ أ . وذكره عن مقاتل الثعلبي ٩٤ ب ، وذكر الهواري ٢٠٦/٣ عن بعض المفسرين أن هذه الآية في الأنبياء وأقوامهم . ونسبه الماوردي ١٣٨/٤ إلى يحيى بن سلام ، ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿ وَلَسْتُمْ عَلَىٰ أَثَرِيْنَ وَأَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ وَمَنِ الّذِينَ أَشْرَكُوا أَدْنَىٰ كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ . ومن السنة قوله ﷺ : « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم وقال : إنما بعثتك لأبتيك ، وأبتي بك » . صحيح مسلم ٢١٩٧/٤ ، كتاب : الجنة ، رقم : ٢٨٦٥ . ولا مانع من حمل الآية على الكل لأن بين الجميع قدراً مشتركاً . تفسير الرازي ٢٤/٦٦ ، فالخطاب لجميع الناس ، لاختلاف أحوالهم . تفسير ابن جزي ٤٨٣ ، وانظر : إغاثة اللفهان ١٥٥/٢ ، فهذه الأقوال التي ذكرها الواحد لا تعارض بينها فهي تفسير للآية بالمثال ، والله أعلم .

(٤) يعني بقول الكلبي ما سبق ذكره من فتنة الشريف من قريش بمن هو دونه ، وذكر الفرّاء هذا القول ٢/٢٦٥ ، ولم ينسبه . وعلى هذا يكون الخطاب هنا لكفار قريش ؛ أي أتصبرون مع النبي ﷺ وسلمان وأصحابه حتى تكونوا معهم في الدين والأمر سواء . تنوير المقباس ٣٠٢ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/٢٦ .

وذكر عطاء عن ابن عباس قولاً آخر في هذه الآية ؛ وهو : أن الله تعالى لما ذكر أن من أرسل قبله كانوا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ، ذكر أنه جعل محمداً ﷺ سبب ضلالة من أنكروا نبوته بقولهم : ﴿ مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ﴾ الآية ، فقال : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ ﴾ يعني : محمداً ﷺ ﴿ لِبَعْضٍ ﴾ يعني : المشركين ﴿ فِتْنَةً ﴾ ضلالة ، ثم قال لنبيه : ﴿ أَتَصْبِرُ ﴾ يريد : اصبر ، هذا الذي ذكرنا معنى قوله ^(١) .

ويجوز أن يكون الاستفهام يراد به الأمر كقوله : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴾ [المائدة : ٩١] ؛ أي انتهوا . كذلك هاهنا أمر النبي ﷺ وأصحابه بالصبر على ما يسمعون من المشركين ^(٢) ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ ^(٣) ؛ أي بمن يصبر ، وبمن يجزع ^(٤) . وقال ابن عباس : «يريد بها تعملون» ^(٥) .

٢١ . قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُوتُ ﴾ . قال المفسرون وأهل المعاني : لا يخشون ولا يخافون البعث ^(٦) .

(١) أي معنى قول ابن عباس رضي الله عنها . قال الضحاك ، في معنى : قوله تعالى : ﴿ أَتَصْبِرُ ﴾ أي على الحق . القرطبي ١٨ / ١٣ .

(٢) تفسير السمرقندي ٤٥٦ / ٢ ، وتفسير أبي حيان ٤٥٠ / ٦ .

(٣) في هذه الآية تكريم للنبي ﷺ بإضافته إلى ربوبية الله .

(٤) أخرج هذا ابن جرير ١٩٥ / ١٨ عن ابن جريج ، وذكره الثعلبي ٩٤ ب ، ولم ينسبه ، ونسبه إليه الماوردي ١٣٨ / ٤ .

(٥) أخرج ابن أبي حاتم ٢٦٧٦ / ٨ عن عبيد بن عمير : قال تعالى : ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ قال : «يعني : الناس عامة» ، ولم ينسبه إلى ابن عباس . وقال السمرقندي ٤٥٧ / ٢ : «علماً بمن يصلح له الغنى ، والفقر» ، وقال الماوردي ١٣٩ / ٤ : «بصيراً بالحكمة في ما جعل بعضكم لبعض فتنة» ، ولا تعارض بينها ، ولم يذكره الواحدي - رحمه الله - في الوسيط ٣٣٧ / ٣ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢٦٥ / ٢ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٧٣ / ٢ ، وغريب القرآن إلى ابن قتيبة ٣١٢ ، والطبري ١ / ١٩ ، وحكى الماوردي ١٣٩ / ٤ ، فيها ثلاثة أقوال ، هذا أحدها ، ونسبه إلى السدي ، والثاني : لا يبالون ، قاله ابن عمير ، والثالث : لا يأملون ، وهي متقاربة . وفي تفسير الطوسي ٤٨٢ / ٧ ، وإذا استعملوا الرجاء مع النفي أرادوا به الخوف ، كقوله تعالى : ﴿ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ . وأما =

كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [يونس: ٧]، ﴿تَوَلَّوْا هَلَّا﴾^(١) ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ﴾ وكانوا رسلاً إلينا^(٢) ﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ فيخبرنا أنك رسوله^(٣). قال الكلبي ومقاتل: «نزلت في مشركي مكة؛ أبي جهل، وأصحابه^(٤)، طلبوا من الآيات ما لم يأت أمة من الأمم»^(٥).

ابن عطية ٢٣/١١ فقد ذهب إلى أن الرجاء هنا على بابه؛ لأن خوف لقاء الله تعالى مقترن أبداً برجائه، وفي ذكر الكفار بنفي الرجاء تنبيه على غبطة ما فاتهم من رجاء الله تعالى، وهذا توجيه حسن، واختاره ابن جزي ٤٨٣، وأبو حيان ٦/٤٥٠، والشوكاني ٦٧/٤.

(١) تنوير المقياس ٢، ٣، وتفسير مقاتل ٤٤أ، وتفسير هود الهواري ٣/٢٠٦، وتفسير الطبري ١/١٩، ومعاني القرآن للزجاج ٦٣/٤.

(٢) تفسير مقاتل ٤٤أ. وطلبهم إنزال الملائكة إما ليكونوا رسلاً إليهم كما ذكر الواحدي هنا، واقتصر عليه، وكذا في الوسيط ٣/٣٣٨، وإما لكي يصدقوا الرسول كما قال تعالى: ﴿تَوَلَّوْا أَنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ، نَذِيرًا﴾. وذكره في الوجيز ٢/٧٧٧ واقتصر عليه، وذكر الوجه الثاني الهواري ٣/٢٠٦ واقتصر عليه، وكذا ابن جرير ١/١٩، وأخرج ابن أبي حاتم ٨/٢٦٧٦ بسنده عن قتادة: «أي فزاهم عياناً»، ولم يذكر غيره، وذكر الثعلبي ٨/٩٤ ب القول الثاني، وذكر الماوردي ٤/١٤٠ القولين، وذكر ابن كثير ٦/١٠١ قولاً ثالثاً، وهو عنادهم في قولهم: ﴿تَوَلَّوْا أَنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ﴾؛ أي بالرسالة، كما تنزل على الأنبياء، كما أخبر الله عنهم في الآية الأخرى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾.

(٣) تنوير المقياس ٣٠٢ بمعناه، وتفسير مقاتل ٤٤أ، وتفسير هود ٣/٢٠٦، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ ﴿أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَكِ قِيلًا﴾ [الإسراء: ٩٠، ٩٢]، وتفسير الطبري ١/١٩، وأخرج بسنده عن ابن جريج، أنه قال: قال كفار قريش: ﴿تَوَلَّوْا أَنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ﴾ فيخبرونا أن محمداً رسول الله ﷺ. وهذا منهم مشابهة لليهود في قولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]. وهذا كله على سبيل التعنت، وإلا ففي ما جاءهم به من المعجزات كفاية. تفسير أبي حيان ٦/٤٥٠، وحتى لو أجيبوا في ما طلبوا لم يحصل منهم الإيمان ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَكُ﴾ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ [الأنعام ١١١].

(٤) تنوير المقياس ٣٠٢، وتفسير مقاتل ٤٤أ، وفيه تسمية من نزلت فيهم.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/٦٣ بنصه، وهو في الوسيط ٣/٣٣٨ غير منسوب أيضاً.

قال الله عز وجل : ﴿لَقَدْ آسَتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «يعني : تكبروا»^(١) حيث سألوا الله - عز وجل - الشَّطَط^(٢) ؛ لأن الملائكة لا ترى إلا عند الموت ، أو عند نزول العذاب»^(٣) .

﴿وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا﴾ . قال مقاتل : «علوا في القول علواً شديداً حين قالوا : ﴿أَوْزَيْ رَبَّنَا﴾»^(٤) ، وقال ابن عباس : «والله لا تدركه الأبصار فلا عين تراه» . هذا كلامه^(٥) . وإنما وصفوا بالعتو عند طلب الرؤية ؛ لأنهم طلبوها في الدنيا عناداً للحق ، وإباءً على الله ورسوله في طاعتها»^(٦) .

(١) تفسير مقاتل ٤٤ أ ، وما بعده غير موجود فيه ؛ فلعلة من كلام الواحدي رحمه الله .

(٢) الشَّطَط : مجاوزة القدر ، قال تعالى : ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ [ص : ٢٢] . مجمل اللغة إلى ابن فارس ٤٩٦ / ٢ ، والقاموس المحيط ٨٧٠ .

(٣) الذي في تفسير مقاتل ٤٤ أ ، هو ما ذكره الواحدي بعد ذلك . وأما ما ذكره هنا فلم أجده ، وقد نقله القرطبي ٢٠ / ١٣ بنصه ، وليس فيه نسبته إلى ابن عباس ، ولا مقاتل ، ولعل هذا هو الصواب ؛ على أنه لا يتوجه لومهم على مجرد طلبهم نزول الملائكة ، وإنما لومهم على أنهم ما طلبوا ذلك للإيمان وإنما طلبوه استكباراً وعتواً ، والله أعلم . قال ابن جزي ٤٨٣ : «وقوله : ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ كما يقول : فلان عظيم في نفسه . أي عند نفسه ، أو بمعنى : أنهم أضمروا الكفر في أنفسهم» . تفسير مقاتل ٤٤ أ .

(٤) قول ابن عباس - رضي الله عنهما - إذا ثبتت نسبته له محمول على رؤية الله تعالى في الدنيا ، أما الرؤية في الآخرة فهي ثابتة . قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُنْزِلُ تَائِذُهُ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة : ٢٢ ، ٢٣] ، وقال جريبر بن عبدالله - رضي الله عنه - قَالَ : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً يَعْنِي الْبَدْرَ ، فَقَالَ : «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُصَافُونَ فِي رُؤْيَيْهِ فَإِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾» . أخرجه البخاري ، كتاب : مواقيت الصلاة ، رقم ٥٥٤ الفتح ٣٣ / ٢ ، ومسلم ٤٣٩ / ١ في كتاب : المساجد ، رقم ٦٣٣ .

وقد ألفت في ذلك كتب خاصة ، مثل : كتاب الرؤية للدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ، ولم أجد هذا القول ولا نسبته إلى ابن عباس ، ولم يتعرض الواحدي هنا للرد على المعتزلة ، القائلين بنفي رؤية الله عز وجل ، حيث جعل القاضي عبد الجبار هذه الآية دليلاً على مذهبه ، فقال : يدل على نفي الرؤية ، لأنه تعالى عظم هذا القول من قائله ، ولو كانت الرؤية جائزة ، لم يجب ذلك فيه . متشابه القرآن ٥٢٩ . قال الهواري في تفسيره ٢٠٦ / ٣ : «وعصوا عصياناً كبيراً» ، وقال الزمخشري ٢٦٥ / ٣ : «وأن الله لا =

قال أبو إسحاق : «والعتو في اللغة المجاوزة في القدر في الظلم»^(١) ، وقد مرّ^(٢) .

ثم أعلم الله تعالى أن الوقت الذي يرون فيه الملائكة هو يوم القيامة ، وأن الله قد حرمهم البشرى في ذلك اليوم ، فقال^(٣) :

٢٢ . ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ : وهذا جواب لقولهم : ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ﴾ أخبروا أنهم إذا رأوا الملائكة فلا بشرى لهم يومئذ . قال أبو إسحاق : «يَوْمٌ» منصوب على وجهين ؛ أحدهما ، على معنى : لا بشرى تكون للمجرمين يوم يرون الملائكة ، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ هو مؤكّد لـ

يصح أن يرى . . . وقد وصف العتو بالكبير فبالغ في إفراطه ، يعني أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم إلا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار ، وأقصى العتو . وهو مبني على مذهبه الاعتزالي في إنكار رؤية الله - عز وجل - مطلقاً ، في الدنيا والآخرة . والصواب أن وصفهم بالعتو الكبير ليس لأجل طلبهم رؤية الله عز وجل ، وإنما لأنهم لم يطلبوا الرؤية للإيمان ، وإنما طلبوها عناداً واستكباراً . ويدل لذلك أن نبي الله موسى ﷺ قد طلب رؤية الله عز وجل : ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِيْ اَنْظُرْ لِئَلَا يَكُنْ اَنْظُرُ اِلَى الْجَبَلِ فَاِنْ اَسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرٰنِيْ﴾ الآية [الأعراف : ١٤٣] فلم يَلَمْ على طلبه الرؤية ، ولم تتحقق له لعجزه في الدنيا كما هو ظاهر من سياق الآية . وعلى هذا ، فإن ما ذكره الطوسي ٧/ ٤٨٢ ، وكذا الطبري ٧/ ٢٦٠ عن الجبائي أنه قال : «وذلك يدل على أنهم كانوا مجسمة ، فلذلك جَوَزُوا الرؤية على الله التي تقتضي التشبيه» يلزم منه أن يكون نبي الله موسى ﷺ كذلك ! والرد هو ما سبق . ثم وجدت قريباً من هذا الرد للرازي ٢٤/ ٧٠ ، قال البرسوي ٦/ ٢٠٠ : «ومن لطائف الشيخ نجم الدين في تأويلاته ، أنه قال : يشير إلى أن الذين لا يؤمنون بالآخرة والحشر من الكفار يتمنون رؤية ربهم بقولهم : (أَوْ نَرَى) فالؤمنون الذين يدعون أنهم يؤمنون بالآخرة والحشر كيف ينكرون رؤية ربهم ! وقد ورد بها النصوص فلمنكري الحشر عليهم فضيلة بأنهم طلبوا رؤية ربهم وجَوَزُوا كما جَوَزُوا إنزال الملائكة» ، وهذا كلام حسن يقابل ما ذكره الجبائي .

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٦٣ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٧٦ بسنده عن عكرمة أنه قال : «العتو في كتاب الله : التجبر» .

(٢) قال الواحدي عند تفسير قول الله تعالى : ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف : ٧٧] : «يقال : عتا يعتو عتواً ؛ إذا استكبر ، ومنه يقال : جبار عاتٍ . قال مجاهد : العتو : الغلو في الباطل» .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٦٣ بنصّه .

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ ولا يجوز أن يكون منصوباً بـ ﴿لَا بُشْرَى﴾ لأن ما اتصل بـ : ﴿لَا﴾ لا يعمل في ما قبلها . ألا ترى أنك لا تقول : زيد إلا ضارب كما تقول : لا ضارب زيداً^(١) . ولكن لما قيل : [٢] لا بشرى للمجرمين ، صار كأنه قيل : يمنعون البشرى يوم يرون الملائكة^(٣) . والوجه الآخر : أن يكون منصوباً على معنى : اذكر يوم يرون الملائكة^(٤) .

ثم أخبر فقال : ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ . قال مجاهد : «يعني : يوم القيامة»^(٥) ، وهو قول مقاتل ، وعطية ، والأكثرين^(٦) ، وقال عطاء عن ابن عباس : «يعني : عند الموت»^(٧) .

-
- (١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٦٦ ، من قوله : (ألا ترى) إلى الحاشية ، رقم ٢ ، وما بعده فمن الزجاج .
- (٢) ما بين المعقوفين في (أ) و(ب) .
- (٣) قال السمين الحلبي : «ولا يجوز أن يعمل فيه نفس البشرى لوجهين ؛ أحدهما : أنها مصدر ، والمصدر لا يعمل في ما قبله . والثاني : أنها منفية بـ (لا) ، وما بعدها لا يعمل في ما قبلها» . الدر المنصور ٨/ ٤٧٠ .
- (٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٦٤ ، وفيه : «يجمعون البشرى يوم القيامة» ، وعند الواحدي : «يمنعون» ، وهو الصواب ، وذكر هذا الزخشي ٣/ ٢٦٦ .
- (٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٧٧ ، وتفسير مجاهد ٢/ ٤٤٩ .
- (٦) تفسير مقاتل ٤٤ أ . وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٧٧ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وعطية العوفي ، والضحاك .
- (٧) تنوير المقياس ٣٠٢ ، وبه قال الهواري ٣/ ٢٠٦ ، وقد استدل الحافظ ابن كثير ٦/ ١٠١ على رؤية المشرّكين للملائكة وقت الاحتضار بقوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [الأنفال ٥٠] ، ويقول تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ أُلْقِلْمُونَ فِي عَمَزَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ [الأنعام ٩٣] ، ثم قال : «وهذا بخلاف حال المؤمنين حال احتضارهم فإنهم يشرون بالخيرات ، وحصول المسرات ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت : ٣٠]» ، وجمع بين القولين فقال : «ولا منافاة بين هذا وما تقدم فإن الملائكة في هذين اليومين يوم المساء ويوم المعاد تنجلي للمؤمنين وللكافرين ، فتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان ، وتحذر الكافرين بالخيبة والخسران» .

وقوله: ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾. قال أبو إسحاق: «المجرمون: الذين اجترموا الذنوب. وهو في هذا الموضع الذين اجترموا الكفر بالله عز وجل»^(١).

قوله: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾؛ أي حراماً محرماً، قاله ابن عباس وجميع المفسرين^(٢). وأصل الحَجْر في اللغة: المنع. وحَجَرُ القضاة على الأيتام إنما هو منعهم، والحَجَرَة: ما حُوِّط عليه، وما مُنِع من الوصول إليه فهو حِجر، بكسر الحاء^(٣).

قال ابن قتيبة: «وإنما قيل للحرام حِجر؛ لأنه حُجر عليه بالتحريم. يقال: حَجَرْتُ حِجْرًا، واسم ما حَجَرْتُ حِجْرًا»^(٤). ومنه: حِجر البيت^(٥). والحِجْر: العقل؛ لأنه يمنع صاحبه من التخطي إلى القبيح^(٦). والأنثى من الأفراس: حِجْرٌ؛ لأنها تحجر ماء الفحل في بطنها، هذا كلام أبي عبيدة والمبرد والزجاج^(٧).

وذكرنا تفسير الحِجر عند قوله: ﴿وَحَرَّتْ حِجْرٌ﴾ [الأنعام: ١٣٨]^(٨).

واختلفوا في أن هذا من قول مَنْ، فالأكثر على أنه من قول الملائكة^(٩).

(١) معاني القرآن للزجاج ٦٤/٤، وهو قول الهواري ٢٠٦/٣.

(٢) تفسير مقاتل ٤٤٤، وتنوير المقباس ٣٠٢، وأخرجه عبد الرزاق ٧٦/٢ عن الحسن وقتادة. وبه قال الهواري ٢٠٦/٣، وابن جرير ٢/١٩، وأخرجه عن الضحاك وقتادة، وزاد ابن أبي حاتم ٢٦٧٧/٨: عطاء الخراساني. وبه قال السمرقندي ٤٥٧/٢، وهو قول سيبويه في الكتاب ٣٢٦/١، والمبرد في المقتضب ٢١٨/٣.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٦٣/٤، ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة (حجر) ١٣٢/٤.

(٤) غريب القرآن إلى ابن قتيبة ٣١٢.

(٥) قال ابن جرير ٢/١٩: «لأنه لا يدخل إليه في الطواف، وإنما يطاف من ورائه».

(٦) قال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥].

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٧٣/٢ ومعاني القرآن للزجاج ٦٣/٤.

(٨) ما ذكره الواحدي هنا أكثر وأوسع مما أحال عليه؛ حيث اقتصر في تفسير الحجر في آية الأنعام على قوله: «معنى الحجر في اللغة: الحرام، وأصله من المنع، ومنه سُمي العقل حجراً لمنعه عن القبائح، وفلان في حجر القاضي، أي منعه».

(٩) ذكر ذلك ابن جرير ٢/١٩ عن الضحاك، وقتادة، ومجاهد، وبه قال الزجاج ٦٤/٤.

قال عطاء عن ابن عباس : «تقول الملائكة : محرماً أن^(١) يدخل الجنة إلا من قال : لا إله إلا الله ، وقام بشرائعها» ، ونحوه قال الكلبي^(٢) .

وقال مقاتل : «إن الكفار إذا خرجوا من قبورهم قال لهم الحفظة من الملائكة : حراماً محرماً عليكم أيها المجرمون أن يكون لكم البشرى كما بُشِّرَ المؤمنون»^(٣) .

وقال عطية : «إذا كان يوم القيامة تلقى الملائكة المؤمنين بالبشرى ، فإذا رأى ذلك الكفار قالوا للملائكة : بشّرونا ، فيقولون : ﴿حَبْرًا مَّحْجُورًا﴾ ؛ أي حراماً محرماً أن نلقاكم بالبشرى»^(٤) . وهذا القول هو اختيار الفراء والزجاج وابن قتيبة والأزهري . قال الفراء وابن قتيبة : «حراماً محرماً أن يكون لهم البشرى»^(٥) .

وقال الزجاج : «حراماً محرماً عليهم البشرى»^(٦) .

وقال الأزهري : «حُجِرَتْ عليكم البشرى فلا تبشرون بخير»^(٧) .

(١) في (ج) : (حراماً في أن يدخل) .

(٢) تنوير المقباس ٣٠٢ ، وفيه نسبة القول إلى الملائكة من دون ما بعده .

(٣) تفسير مقاتل ٤٤ ب .

(٤) (بالبشرى) في (ج) . وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٦٧٧/٩ عن عطية العوفي بمعناه .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٢٦٦ ، وغريب القرآن إلى ابن قتيبة ٣١٢ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤/٦٣ .

(٧) تهذيب اللغة (حجر) ٤/١٣٢ ، وبه قال الهواري ٣/٢٠٦ .

وقال آخرون : « هذا من قول المجرمين للملائكة »^(١) ، وهذا قول مجاهد وابن جريج ، واختيار أبي عبيدة والليث . قال مجاهد : « عوداً معاذاً ، يستعيذون من الملائكة »^(٢) ، ويقولون مقالة الجاهلية عند الاستعاذة .

وقال ابن جريج : « كانت العرب إذا نزلت بهم شدة »^(٣) شديدة ، أو رأوا ما يكرهون قالوا : حجراً محجوراً ، فقالوا حين عاينوا الملائكة هذا »^(٤) .

وقال أبو عبيدة : « كان الرجل من العرب إذا لقي رجلاً في الشهر الحرام وبينهما ترة »^(٥) يقول : حجراً محجوراً ؛ أي دمي عليك حرام . فالمشركون يوم القيامة يقولون للملائكة مثل ذلك »^(٦) .

(١) تنوير المقباس ٣٠٢ ، حيث جعل هذا القول مشتركاً بين الملائكة والمجرمين . وذكر الزمخشري ٢٦٦/٣ أن هذا من قول المجرمين ، ثم قال : « وقيل : هو من قول الملائكة » . وقد رد ابن جرير ٣/١٩ هذا القول ، فقال : « معلوم أن الملائكة هي التي تخبر أهل الكفر أن البشري عليهم حرام . وأما الاستعاذة فإنها الاستجارة ، وليست بتحريم ، ومعلوم أن الكفار لا يقولون للملائكة : حرام عليكم ، فيوجه الكلام إلى أن ذلك خبر عن قيل المجرمين للملائكة » . وذكر الماوردي ٤/١٤١ أن هذا من قول الكفار لأنفسهم ، ونسبه إلى قتادة ، وبين ذلك ابن عطية ١١/٢٦ بقوله : « ويحتمل أن يكون المعنى : ويقولون : حرام محرم علينا العفو » . قال ابن كثير ٦/١٠٣ : « وهذا القول وإن كان له مأخذ ووجه ، ولكنه بالنسبة إلى السياق بعيد ، لا سيما وقد نص الجمهور على خلافه » .

(٢) أخرجه ابن جرير ٣/١٩ ، وابن أبي حاتم ٩/٢٦٧٨ بلفظ : « عوداً معاذاً . الملائكة تقوله » ، وكذا في تفسير مجاهد ٢/٤٤٩ ، وتفسير الهواري ٣/٢٠٧ ، فهو خلاف ما حكاه عنه الواحدي - رحمه الله - من أن هذا من قول المجرمين . لكن أخرج ابن جرير ٣/١٩ عن ابن جريج عن مجاهد أنه قال : عوداً ، يستعيذون من الملائكة . وسبق ذكر نقد ابن جرير لهذا القول .

(٣) (شدة) في (ج) .

(٤) أخرجه ابن جرير ٣/١٩ ، وأخرج عبدالرزاق ٢/٦٧ نحوه عن الحسن وقتادة ، وأخرجه عنها ابن أبي حاتم ٨/٢٦٧٨ من طريق عبدالرزاق .

(٥) قال الترمذي ٥/٤٣٠ في كتاب : الدعوات ، حديث رقم : ٣٣٨٠ : « قال بعض أهل العربية : الترة هو : الثأر » ، ولم أجده عند غيره .

(٦) لم أجد قول أبي عبيدة في كتابه المجاز ، وقريب منه في تفسير أبي حيان ٦/٤٥١ منسوباً إلى أبي عبيدة ، وكذا في نظم الدرر ١٣/٣٧٠ .

وقال الليث : «كان الرجل في الجاهلية يلقي رجلاً يخافه في الشهر الحرام فيقول : حجراً محجوراً ؛ أي حرام محرم عليكم^(١) في هذا الشهر فلا يَنْدَاهُ بشر . فإذا كان يوم القيامة رأى المشركون الملائكة فقالوا : ﴿حَجْرًا مَحْجُورًا﴾ وظنوا أن ذلك ينفعهم عندهم كفعلهم^(٢) في الدنيا»^(٣) .

وذكر صاحب النظم القولين جميعاً ، فقال : «هذا نظم كان في أول الدهر ثم درج ؛ كان الرجل منهم إذا أراد حرمان الرجل شيئاً يسأله ، أو يطمع فيه ، قال : حجراً محجوراً ، فيعلم السائل بذلك أنه لا يريد أن يفعل ، ومنه قول الشاعر :

حَنْتُ إِلَى النَّخْلَةِ الْقُصْوَى فَقُلْتُ لَهَا حَجْرٌ حَرَامٌ أَلَا تِلْكَ الدَّهَارِيسُ^(٤)

(١) هكذا في النسخ الثلاث : (عليكم) . وأما في تهذيب اللغة (حجر) ١٣١ / ٤ ، ولسان العرب ١٦٧ / ٤ : (عليك) .

(٢) في (ج) : (كقولهم) .

(٣) العين حجر ٧٤ / ٣ ، وفيه : «فلا يبدؤه بشر» ، وذكره الأزهري في تهذيب اللغة (حجر) ١٣١ / ٤ ، وفيه : «فلا ينداه منه بشر» . وفي لسان العرب ١٦٧ / ٤ : «فلا يبدؤه منه بشر» ، وفي النسخ الثلاث قبل : (فلا ينداه . . .) (إلا يداً) ، ومعناها في سياق الكلام غير واضح ، ولم أجدها في المراجع السابقة ، ولذا رأيت حذفها والإشارة إلى ذلك . ومعنى ينداه : يصله . تهذيب اللغة (ندأ) ١٩٢ / ١٤ . وقد ردّ الأزهري قول الليث بقوله : «فإن أهل التفسير الذين يُعتمدون مثل ابن عباس ، وأصحابه فسّروه على غير ما فسّره الليث» . وهذا منهج حسن ؛ لأن الصحابة - رضي الله عنهم - هم أئمة التفسير .

(٤) أنشده أبو عبيدة ٧٣ / ٢ ، ونسبه إلى المتلمس ، وفيه : (النخلة) بالتعريف كما في النسخ الثلاث ، خلافاً لما في ديوان المتلمس ٩٦ ، وكذا ابن جرير ٢ / ١٩ ، والماوردي ١٤١ / ٤ ، وفي معجم البلدان ٣٢٠ / ٥ : «نخلة القصوى : واحدة النخل ، والقصوى تأنيث الأقصى» ، ثم ذكر بيت المتلمس . وفي حاشية الديوان : «نصب : نخلة القصوى ؛ لأنه واد . والدهاريس : الدواهي ، الواحدة : دَهْرَس» . تهذيب اللغة (دهرس) ٥٢١ / ٦ .

ويقال فيه : إن معناه أن الرجل من العرب كان إذا سافر فخاف على نفسه قوماً لقّوه ، قال : حجراً محجوراً ؛ أي حراماً محرماً عليكم^(١) التعرض لي . وعلى هذا يجب أن يكون هذا القول من الكفار ؛ وذلك أنهم إذا رأوا الملائكة يوقعون^(٢) بهم ضرباً وتعذيباً قالوه ؛ لأنهم كانوا لا يقولون ذلك في الدنيا إلا استعازة ممن يريدونهم بسوء . وإذا حمل على المعنى الذي قبله ، وجب أن يكون من قول الملائكة ؛ لأنه إتياس منهم لهم من الخير . انتهى كلامه .

وفي الآية قول ثالث ؛ وهو أن قوله : (حِجْراً) من قول الكفار ، و(مَحْجُوراً) من قول الملائكة ، وهو قول الحسن ، قال : «كانوا إذا خافوا شيئاً قالوا : حجراً ، يتعوذون منه . فإذا كان يوم القيامة قالوا : (حِجْراً) قالت الملائكة : مَحْجُوراً) أن تُعَاذُوا من شر هذا اليوم . فحجر الله ذلك عليهم يوم القيامة»^(٣) . قال الأزهري : «والقول الأول أشبه بكلام العرب ، والآية أخرى أن تكون كلاماً واحداً لا كلامين^(٤) . والله أعلم»^(٥) .

٢٣ . قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَبَجَلْنَاهُ هَبْأَةً مِّنْثُورًا ﴾ . قال الأزهري : «يقال قدم فلان إلى أمر كذا ، أي قصده» ، وذكر هذه

(١) في نسخة (أ) و(ب) : (عليك) .

(٢) هكذا في النسخ الثلاث : (يوقعون) .

(٣) تهذيب اللغة (حجر) ١٣٢/٤ بمعناه ، وعلى هذا الوقف على (حِجْراً) وقف تام . القطع والائتناف ٤٨١/٢ ، حيث نسب هذا الوقف إلى الحسن من دون شرح القول ، ولم أجد أحداً نسب هذا القول إلى الحسن باللفظ الذي ذكره الواحدي غير الأزهري . وذكره الرازي ٧١/٢٤ ، ونسبه إلى القفال والواحدى ، وفي كلامه ما يُشعر باختيار الواحدى هذا القول ؛ وهذا ليس بصواب فإن الواحدى في كتابيه ؛ الوسيط والوجيز ، لم يذكر هذا القول مطلقاً ، وإنما ذكره هنا ، وذكر بعده ردّ الأزهري له . فعبارة الرازي تحتاج إلى تحرير . وذكره القرطبي ٢١/١٣ ، وذكر عن الحسن أيضاً أنه قال : «(وَيَقُولُونَ حِجْراً) وقف من قول المجرمين ، فقال الله عز وجل : (مَحْجُوراً) عليهم أن يعاذوا أو يجابوا» .

(٤) تهذيب اللغة (حجر) ١٣٢/٤ ، ويعني بالقول الأول أن (حِجْراً مَحْجُوراً) من قول الملائكة .

(٥) (والله أعلم) في (ج) .

الآية^(١). قال ابن عباس : «لم يكن الله تعالى غائباً عن أعمالهم ؛ ولكن يريد : وعمدنا»^(٢) ، وهذا قول مجاهد والكلبي والفراء والزجاج ، كلهم قالوا : «عمدنا»^(٣) .

وقال مقاتل : «وجئنا»^(٤) . وأراد بلفظ المجيء : القصد أيضاً .

قال أبو إسحاق : «معنى قدمنا : عمدنا ، وقصدنا . كما تقول : قام فلان يشتم فلاناً ، يريد : قصد إلى شتم فلان . ولا يريد : قام من القيام على الرجلين»^(٥) .

قوله : ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ . قال النضر بن شميل : «الهباء التراب الذي تُطِيرُه الريح»^(٦) .

وقال الليث : «الهبة غبار ساطع في الهواء كأنه دخان ، يقال هبأ يهبو هبوا إذا سطع . وأهبا الفرسُ التراب إهباءً إذا أثاره . والهباء دقاقُ التراب ساطعه ومنتوره على وجه الأرض»^(٧) .

(١) تهذيب اللغة (عمد) ٤٨/٩ ، ومن قبله ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ١٣٨ .

(٢) تنوير المقباس ٣٠٢ ، وفيه : (عمدنا) من دون ما قبله ، وهو بنصه في الوسيط ٣/٣٣٨ .

(٣) تفسير مجاهد ٤٤٩/٢ ، ومعاني القرآن للفراء ٢/٢٦٦ ، وقاله ابن قتيبة في غريب القرآن ٣١٢ ، والهواري ٣/٢٠٧ ، وابن جرير ٣/١٩ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/٢٦٧٨ عن مجاهد ، والسدي ، وسفيان الثوري ، ونسبه السمرقندي ٢/٤٥٧ إلى الكلبي ، وهو في تنوير المقباس ٣٠٢ .

(٤) تفسير مقاتل ٤٤ ب بلفظ : «يعني : وجئنا ، ويقال : وعمدنا» .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/٦٤ .

(٦) تهذيب اللغة (هبا) ٤٥٤/٦ بنصه ، وتتمته : «فتراه على وجوه الناس وجلودهم وثيابهم يلزق لزوفاً» .

(٧) كتاب العين (هبو) ٤/٩٦ ، ونقله عنه الأزهرى في تهذيب اللغة (هبا) ٤٥٤/٦ ، قال الفراء ٢/٢٦٦ : «والهباء : معدود غير مهموز في الأصل ، يصغر هُبِيَّ كما يصغر الكساء كُئِيَّ» .

وقال أبو عبيدة: «الهباء مثل الغبار يدخل البيت من الكُوَّة إذا طلعت الشمس ليس له منثر»^(١).

وقال أبو إسحاق: «الهباء ما يدخل من الكُوَّة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار»^(٢)، وهذا قول عكرمة^(٣) ومجاهد^(٤) والحسن^(٥) والسدي والضحاك^(٦) والكلبي^(٧). وأكثر المفسرين قالوا: «هو الغبار الذي يكون في الشمس يدخل من الكُوَّة كأنه الدقيق»^(٨).

وقال قتادة: «هو ما تذر الرياح من حطام الشجر»^(٩)، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء الخراساني^(١٠)، وقول سعيد بن جبير. وقال مقاتل: «يعني كالغبار الذي

-
- (١) هكذا في النسخ الثلاث: (منثر)؛ وهي غير واضحة، وفي مجاز القرآن ٧٤ / ٢: «مثل الغبار إذا طلعت فيه الشمس وليس له منثر ولا يرى في الظل»، وفي تنوير المقباس ٣٠٢: «ويقال: كشيء يحول في ضوء الشمس إذا دخلت في كوة يرى، ولا يُستطاع أن يمس».
- (٢) معاني القرآن للزجاج ٦٤ / ٤، وفيه: «شبيهة (بالضم)»، ولكن أبدله المحقق إلى (شبيهة)، وأشار إلى ذلك في الحاشية، ولم يبين سبب التغير، ولا حاجة إلى ذلك؛ فهو بالرفع ليس بخطأ حتى يصحح.
- (٣) أخرجه ابن جرير ٤ / ١٩، وابن أبي حاتم ٢٦٧٨ / ٨.
- (٤) أخرجه ابن جرير ٤ / ١٩، وابن أبي حاتم ٢٦٧٨ / ٨، وتفسير مجاهد ٤٤٩ / ٢.
- (٥) أخرجه عبدالرزاق ٦٧ / ٢، وابن جرير ٤ / ١٩، وابن أبي حاتم ٢٦٧٩ / ٨.
- (٦) أخرجه عنهما ابن أبي حاتم ٢٦٧٩ / ٨.
- (٧) تنوير المقباس ٣٠٢، وتفسير السمرقندي ٤٥٧ / ٢.
- (٨) ذكر نحوه ابن جرير ٤ / ١٩ عن ابن زيد، وأخرج ابن أبي حاتم ٢٦٧٩ / ٨ نحوه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

- (٩) أخرجه عبدالرزاق ٦٧ / ٢، وعنه ابن جرير ٤ / ١٩.
- (١٠) أخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - معلقاً بصيغة الجزم: «(هَبَاءٌ مَثُورًا) ما تسفي به الريح». الفتح ٤٩٠ / ٨، ووصله ابن جرير ٤ / ١٩ من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس مثله، وزاد: (ويث)، وأخرج أيضاً ٥ / ١٩ من طريق علي بن أبي طلحة: «(هَبَاءٌ مَثُورًا) الماء المهراق».

يسطع من حوافر الدواب»^(١)، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء بن أبي رباح، قال: «هو ما يخرج من سنانك الخيل إذا ركضت»^(٢). والمنثور: المفرق^(٣).

قال الزَّجَّاج: «وتأويله أن الله - عز وجل - أحبط أعمالهم حتى صارت بمنزلة الهباء المنثور»^(٤). والمعنى: فجعلناه باطلاً^(٥).

ثم أعلم فضل أهل الجنة على أهل النار، فقال^(٦):

٢٤. ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾. قال ابن عباس: «يعني يوم القيامة»^(٧). ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ موضع قرار من المشركين.

(١) تفسير مقاتل ٤٤ ب، وتفسير هود الهواري ٣/ ٢٠٧ ولم ينسبه، وأخرج ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٧٩ نحوه عن علي رضي الله عنه.

(٢) تنوير المقياس ٣٠٢ بمعناه. قال ابن قتيبة: «والهباء المنبث: ما سطع من سنانك الخيل». تأويل مشكل القرآن ١٣٩، وغريب القرآن ٣١٢، وقال ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٧٩: «وروي عن ابن عباس، في بعض الروايات، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم، والضحاك، نحو ذلك». والسنانك جمع سُنْبُك، وهو طَرْفُ الخافر. القاموس المحيط ١٢١٨.

(٣) وصف الهباء بالمنثور؛ لأنك تراه منتظماً مع الضوء، فإذا حركته الريح رأيتَه قد تناثر وذهب كل مذهبه. تفسير الزمخشري ٣/ ٢٦٧.

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٦٤.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٦٦ بلفظ: «هَبَاءٌ مَّنْثُورًا» أي باطلاً. وقد أوصل ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٧٩ اختلاف المفسرين في الهباء المنبث إلى خمسة أقوال، وكذا الماوردي ٤/ ١٤١، وابن الجوزي ٦/ ٨٣، وليس بينها تعارض بل يمكن أن تحمل الآية عليها؛ إذ المعنى كما قال الواحدي: فجعلناه باطلاً. وكل ما ذكر من الأقوال السابقة يصلح مثلاً على ذلك، والله أعلم. قال ابن كثير ٦/ ١٠٣: «وحاصل هذه الأقوال التنبيه على مضمون الآية، وذلك أنهم عملوا أعمالاً اعتقدوا أنها شيء، فلما عرضت على الملك الحكيم العدل الذي لا يجوز ولا يظلم أحداً، إذا إنها لا شيء بالكلية. وسبب بطلانها لفقدها شرط القبول». قال الثعلبي ١٩٤: «أي باطلاً لا ثواب لهم؛ لأنهم لم يعملوه لله سبحانه وتعالى، وإنما عملوه للشيطان».

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٦٤ بنصّه.

(٧) تنوير المقياس ٣٠٢، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٨٠ بسنده عن سعيد بن جبيرة رضي الله عنه.

قال ابن عباس : «يريد في ظل عرش الرحمن» .

وقال مقاتل : «أفضل منزلاً في الجنة»^(١) . والكلام في نظير هذا وهو قوله : ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ [الفرقان : ١٥] قد تقدّم .

وقال الفراء في هذه الآية : «أهل الكلام إذا اجتمع لهم أحق وعاقل لم يستجيزوا أن يقولوا لأحدهما : هذا أعقل الرجلين . ويقولون : لا نقول ذلك إلا لعاقلين يفضل أحدهما صاحبه . وقد قال الله تعالى : ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ فجعل أهل الجنة خيراً مستقراً من أهل النار ، وليس في مستقر أهل النار شيء من الخير فاعرف ذلك من خطائهم»^(٢) ، يعني أنه يجوز أن يقال : هو أعقل الرجلين وإن كان الثاني أحق ، قياساً على هذه الآية . وقال أبو طالب : «إنما جاز ذلك ؛ لأنه موضع ، فيقال : هذا الموضع خير من ذلك الموضع . وإذا كان نعتاً لم يستقم أن يكون نعت واحد لاثنتين مختلفين»^(٣) .

(١) تفسير مقاتل ٤٤ ب ، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٦٨١ عن قتادة ، وذكره السمرقندي ٢ / ٤٥٧ ، ولم ينسبه .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٦٧ . خطائهم : جمع خطأ . تهذيب اللغة ٧ / ٤٩٩ ، ولسان العرب (خطأ) ١ / ٦٧ ، قال ابن عطية ١١ / ٢٨ : «ويظهر لي أن الألفاظ التي فيها عموم ما ويتوجه حكمها من جهات شتى ، نحو قولك : أحب ، وأحسن ، وخير ، وشر ، يسوغ أن يجاء بها بين شيئين لا شركة بينهما» . واستشهد ابن كثير ٦ / ١٠٤ على هذا التفضيل بقوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر : ٢٠] ، واستظهر ابن جرير أن التفضيل هنا عام في جميع أحوال أهل النار في الدنيا والآخرة ، قال ١٩ / ٦ : «فالواجب أن يعمّ كما عمّ ربنا جل ثناؤه ، فيقال : أصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقراً في الجنة من أهل النار في الدنيا والآخرة ، وأحسن منهم مقيلاً» ، وذهب إلى هذا الاختيار الطوسي ٧ / ٤٨٤ ، ولم يذكر غيره ، ولم ينسبه .

(٣) تهذيب اللغة (لقي) ٩ / ٣٠٦ بنصّه .

قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾: يعني موضع القائلة^(١)، يقال: قال يقيل مقيلًا. والمقيل: الموضع أيضًا^(٢).

قال الأزهري: «والقيلولة عند العرب الاستراحة نصف النهار إذا اشتدَّ الحرُّ، وإن لم يكن مع ذلك نوم».

والدليل على ذلك أن الجنة لا نوم فيها^(٣).

قال ابن مسعود وابن عباس: «لا يتتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل أهل النار في النار، وأهل الجنة في الجنة»^(٤).

وقال مقاتل: «يخفف الحساب على أهل الجنة حتى يكون مقدار نصف النهار من أيام الدنيا، ثم يقلون من يومهم ذلك في الجنة في ما يشتهون من التحف

(١) في تنوير المقباس «﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ مبيتاً من منزل أبي جهل وأصحابه، ومبيتهم». قال ابن جرير ٥/١٩: «فإن قال قائل: وهل في الجنة قائلة؟ فيقال: (وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) فيها؟ قيل: معنى ذلك: وأحسن فيها قراراً في أوقات قائلتهم في الدنيا، وذلك أنه ذكر أن أهل الجنة لا يمر فيهم في الآخرة إلا قدر ميقات النهار من أوله إلى القائلة، حتى يسكنوا في مساكنهم في الجنة، فذلك معنى قوله: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾»، ثم ذكر نحوه بإسناده عن المفسرين من الصحابة والتابعين. وقال الطوسي ٤٨٤/٧: «معناه: أحسن موضع قائلة، وإن لم يكن في الجنة نوم، إلا أنه من تمهيده يصلح للنوم، لأنهم خطبوا بها يعرفون، كما قال: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢] على ما اعتادوه». وهذا توجيه حسن، والله أعلم.

(٢) تهذيب اللغة (لقي) ٣٠٥/٩.

(٣) تهذيب اللغة (لقي) ٣٠٦/٩.

(٤) ذكر نحوه ابن جرير ٥/١٩ عن ابن جريج، وفيه أنه قال: «وفي قراءة ابن مسعود: (ثم إن مقيلهم لال الجحيم)»، ولم ينسبه إلى ابن عباس، وذكر رواية أخرى عن ابن عباس قريبة من السياق، وليست مطابقة، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٦٨٠/٨ بسنده عن ابن مسعود، مع القراءة التي ذكرها ابن جرير، وهو بنصّه في الوسيط ٣/٣٣٨، ونسب هذا القول الثعلبي ٩٤ب إلى ابن مسعود، وذكر نحوه عن ابن عباس، وهو عند ابن كثير ٦/١٠٤ عن ابن مسعود، وأخرجه الحاكم ٤٣٦/٢، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

والكرامة»^(١)، وهذا هو معنى ما روي عن أهل التفسير: «أن أهل الجنة يصيرون إلى أهلهم في الجنة وقت نصف النهار»^(٢).

٢٥. قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ﴾^(٣) عطف على قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾، و﴿تَشَقُّقُ﴾ يجوز فيه أمران؛ أحدهما: إنه يراد به الآتي، والآخر: أن يكون حكاية حال تكون، كما أن قوله: ﴿رُبِمَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحجر: ٢٢] كذلك. وكما أن قوله: ﴿وَكَلَّبُهُمْ بِسِطْرِ ذَرَأِيهِ﴾ [الكهف: ١٨] في أنه حكاية حال قد مضت^(٤). وفيه قراءتان: تشديد الشين، وتخفيفها^(٥)، والتقدير: تشقق^(٦)؛ فَمَنْ شَدَّدَ أدغم التاء في الشين؛ لأن الصوت بالشين يلحق بمخارج هذه الحروف التي هي من طرف اللسان وأصول الثنايا فأدغم^(٧) فيها ما أدغم في الضاد كما كانت كذلك. وَمَنْ خَفَّفَ حذف التاء التي أدغمها مَنْ شَدَّدَ. قال أبو الحسن: «الخفيفة أكثر في الكلام؛ لأنهم أرادوا الخفة فكان الحذف أخف عليهم من الإدغام»^(٨).

(١) تفسير مقاتل ٤٤ ب مختصراً.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/٦٤ بنصه. قال الهواري ٣/٢٠٧: «قال بعضهم: وبلغنا عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: إنِّي لأعلم أي ساعة يدخل أهل الجنة الجنة، قبل نصف النهار حين يشتهون الغداء». وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/٢٦٨٠ عن سعيد بن جبير، والضحاك، وعكرمة.

(٣) أخرج ابن أبي حاتم ٨/٢٦٨٢ عن مجاهد أنه يوم القيامة.

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/٣٤١ بنصه.

(٥) قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بتشديد الشين، وقرأ أبو عمرو وعاصم وحزمة والكسائي بالتخفيف. انظر: السبعة ٤٦٤، ومعاني القرآن للفراء ٢/٢٦٧، ومعاني القراءات للأزهري ٢/٢١٥، والمبسوط في القراءات العشر ٢٧١، والتبصرة ٦١٣، والنشر ٢/٣٣٤، قال ابن جرير ١٩/٦: «هما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، بمعنى واحد، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب».

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤/٦٤.

(٧) في الحجة للقراء السبعة ٥/٣٤١: «فأدغم فيها كما أدغم في الضاد لما كانت كذلك».

(٨) الحجة للقراء السبعة ٥/٣٤١ بنصه.

قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ ﴾ . قال أبو علي : « المعنى : تشقق السماء وعليها غمام . وهذا كقوله : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ [الانشقاق : ١] ، وقوله : ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ ﴾ [الرحمن : ٣٧] »^(١) .

وقال الفراء : « معناه في ما ذكروا : تشقق السماء عن الغمام . وعلى ، وعن ، والباء ، في هذا الموضع كالواحد ؛ لأن العرب تقول : رميت عن القوس ، وبالقوس ، وعلى القوس ، يراد به معنى واحد »^(٢) .

وهذا هو معنى ما ذكره المفسرون ، قالوا : هو غمام أبيض رقيق مثل الضباب ، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم فتنشق السماء عنه لنزول الرب وملائكته^(٣) . وهو الذي قال الله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وهذا قول مجاهد ومقاتل والكلبي ، قالوا : « ومعنى بالغمام : عن الغمام »^(٤) ، وذكرنا معنى إتيان الله في سورة البقرة^(٥) .

(١) الحجة للقراء السبعة ٣٤١ / ٥ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٦٧ / ٢ .

(٣) في تنوير المقباس ٣٠٢ : « عن الغمام لنزول الرب بلا كيف » ، وتفسير مقاتل ٤٤ ب . وليس فيه : (ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم) ، لكنه عند ابن جرير ٦ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٨ / ٢٦٨٢ عن مجاهد . والظاهر من الآية أن الغمام هو السحاب المعهود . تفسير أبي حيان ٦ / ٤٥٣ ، والله أعلم .

(٤) أخرجه ابن جرير ٦ / ١٩ عن مجاهد ، وتفسير مقاتل ٤٤ ب ، وتنوير المقباس ٣٠٢ ، وبه قال ابن قتيبة في غريب القرآن ٣١٢ ، وبه قال الهواري ٣ / ٢٠٧ ، ثم قال : « هذا بعد البعث ، تشقق فتراها واهية متشقة ، كقوله تعالى : ﴿ وَنُفِثَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾ [النبأ : ١٩] » .

(٥) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : « في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ وجهان ؛ أحدهما : أن هذا من باب حذف المضاف : أن يأتيهم عذاب الله ، أو أمر الله أو آيات الله . . . والثاني : المعنى : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بها وعدهم من العذاب والحساب فحذف ما يأتي به تهديداً ؛ إذ لو ذكر ما يأتي به كان أسهل عليهم في باب الوعيد » . وما ذكره الواحدي - عفى الله عنه - صرف للفظ عن ظاهره ، فالآية فيها إثبات إتيان الله تعالى لفصل الحساب والجزاء ، وهو إتيان يليق بجلاله وعظمته ، ومثل هذه الآية كما قال ابن كثير ١ / ٥٦٦ في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا دُكِّيَ السَّيِّئُ دُكًّا دَكًّا ﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا [الفجر : ٢١ ، ٢٢] .

والمراد بالسماء هاهنا : السموات السبع . كذا قال مقاتل وابن عباس^(١) ، وذكره الزجاج ، فقال : «المعنى : تشقق سماء سماء»^(٢) .

قال ابن عباس : «تشقق سماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الجن والإنس ، ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ، ومن الجن والإنس ، ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة ، وأهل كل سماء يزدون على أهل السماء التي قبلها ، ثم ينزل الكروبيون^(٣) ، وحملة العرش»^(٤) ، فذلك قوله :

﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ . قال مقاتل : «من السماء إلى الأرض عند تشققها لحساب الثقليين»^(٥) .

-
- (١) تفسير مقاتل ٤٤ ب .
 (٢) معاني القرآن للزجاج ٦٤ / ٤ .
 (٣) الكروبيون : سادة الملائكة المقربون . النهاية في غريب الحديث ١٦١ / ٤ ، ولسان العرب (كرب) ٧١٤ / ١ ، والقاموس المحيط ١٦٧ .
 (٤) تفسير مجاهد ٤٥٠ / ٢ ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من طريق حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ابن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، بسياق أطول مما هو هنا . ومن الطريق نفسه أخرجه ابن جرير ٦ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٦٨٢ / ٨ أيضاً . ويوسف بن مهران لم يرو عنه إلا ابن جدعان ، وهو لئى الحديث . التقريب ١٠٩٦ ، وميزان الاعتدال ٤٧٤ / ٤ .
 قال ابن كثير ١٠٧ / ٦ بعد ذكر هذه الرواية عن ابن أبي حاتم : «مداره على علي بن زيد بن جدعان ، وفيه ضعف ، وفي سياقاته غالباً نكارة شديدة» .
 (٥) تفسير مقاتل ٤٤ ب . قال الماوردي ١٤٢ / ٤ : «وفي نزولهم قولان ؛ أحدهما : ليبشروا المؤمنين بالجنة ، والكافر بالنار . والثاني : ليكون مع كل نفس سائق وشهيد» . واقتصر الواحدي في الوجيز ٧٧٧ / ٢ على أن ذلك لإكرام المؤمنين . وليس هناك ما يمنع من حصول الأمرين معاً ، والله أعلم .

وقرأ ابن كثير : ﴿وُنَزِّلَ﴾ مخففة من الإنزال^(١) ﴿لَمَّا نَسَبَا﴾ نصباً^(٢) ، فجعل الفعل من الإنزال ، والمصدر على فَعَّل ؛ لأن أنزل مثل نَزَلَ ، كقوله تعالى : ﴿وَبَنَّا إِلَيْهِ نَبِيًّا﴾ [المزمل : ٨]^(٣) ، وقال^(٤) :

وَقَدْ تَطَوَّيْتُ أَنْطَوَاءَ الْحِضْبِ^(٥)

لَمَّا كَانَ تَطَوِيْتُ وَأَنْطَوِيْتُ مُتَقَارِبَيْنِ حُمِّلَ مُصَدَّرٌ ذَا عَلَى مُصَدَّرٍ ذَا^(٦) .

٢٦ . قوله تعالى : ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ . قال أبو إسحاق : «الحق صفة للملك ، ومعناه أن الملك الذي هو الملك حقاً ملك الرحمن - جل وعز - يوم القيامة ، كما قال عز وجل : ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر : ١٦] لأن الملك الزائل كأنه ليس بملك»^(٧) ، وقال ابن عباس :

(١) السبعة ٤٦٤ ، ومعاني القراءات للأزهري ٢ / ٢١٦ ، والمبسوط في القراءات العشر ٢٧١ ، والتبصرة ٦١٣ ، والنشر ٢ / ٣٣٤ .

(٢) في (أ) و(ب) : (قال مقاتل : نصباً) ، ولعله خطأ من الناسخ لأن السطر الذي قبله فيه : (وقال مقاتل) ، وهو غير موجود في تفسير مقاتل ، ولا في (ج) ، ويدل لهذا أنه عند الأزهري في معاني القراءات ٢ / ٢١٦ : نصباً ؛ لأنه مفعول به .

(٣) قال السمين الحلبي : «ومثله : ﴿وَبَنَّا إِلَيْهِ نَبِيًّا﴾ أي تبتلاً . الدر المنصون ٨ / ٤٧٧ .

(٤) (وقال) في (أ) و(ب) ، ويعني به أبا علي الفارسي ، في الحجة ٥ / ٣٤٢ ، حيث ذكر البيت ، ولم ينسبه .

(٥) صدر بيت لرؤبة في ديوانه ١٦ ، وقد أنشده سيويه في الكتاب ٤ / ٨٢ ، ونسبه إلى رؤبة ، وقال بعده : «لأن تطويت وانطويت واحد» . وأنشد البيت كاملاً ونسبه الأزهري . الحضب بالكسر : ضرب من الحيات ، وقيل : هو الذكر الضخم منها ، واستشهد الأزهري بهذا البيت على ذلك ، والشاهد فيه : أن يكون الانطواء مصدرًا لتطوى . تهذيب اللغة (حضب) ٤ / ٢٢٠ ، وذكره أبو علي في الحجة للقراء السبعة ٥ / ٣٤٢ ولم ينسبه .

(٦) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٣٤٢ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٦٥ ، ووصف الملك بأنه حق ؛ لأنه لا يزول ولا يتغير . تفسير الرازي ٧٥ / ٢٤ .

«يريد أن يوم القيامة لا مَلِك يقضي غيره»^(١)، وقال مقاتل: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ وحده، واليوم الكفار ينازعونه في أمره»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ قال ابن عباس: «هو على الكافرين عسير»^(٣) وهو على المؤمنين غير عسير عليهم. قال مقاتل: «عسير عليهم يومئذٍ لشدة، ومشقته، ويهون على المؤمنين كأدنى صلاة»^(٤) صلاتها في دار الدنيا»^(٥). وفي هذه الآية تبشير عظيم للمؤمنين حيث خص الكافرين بشدة ذلك اليوم وعسره^(٦).

- (١) في تنوير المقباس ٣٠٢: (الْمَلِكُ) القضاء، ﴿يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ العدل. وذكره في الوسيط ٣/٣٣٩، ونسبه البغوي ٦/٨٠ إلى ابن عباس.
- (٢) تفسير مقاتل ٤٤ ب. وفي إضافة الملك في يوم القيامة لاسمه تعالى الرحمن معانٍ عظيمة، ذكر بعضها السعدي في تفسيره ٥/٤٧٤.
- (٣) ما بين المعوفين في نسخة (أ) و(ب)، وهو في تنوير المقباس ٣٠٢ بمعناه، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم ٢٦٨٣/٨ عن قتادة.
- (٤) (صلاة) في نسخة (أ) و(ب).
- (٥) تفسير مقاتل ٤٤ ب بمعناه، وذكره الثعلبي ٨/٩٥ ب، ولم ينسبه. وقد ورد هذا في حديث مرفوع. قال الإمام أحمد: «حَدَّثَنَا حَسَنٌ حَدَّثَنَا ابْنُ لُحْيَةَ حَدَّثَنَا دَرَّاجٌ عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَوْمًا كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مَا أَطْوَلَ هَذَا الْيَوْمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لِيُخَفَّفَ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَحْفَ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيُهَا فِي الدُّنْيَا». المسند ٤/١٥١، رقم: ١١٧١٧، وأخرجه أبو يعلى الموصلي ٢/٥٢٧، من طريق الإمام أحمد، وقال الهيثمي ١٠/٣٣٧: إسناده حسن على ضعف في روايه، وذكره ابن كثير ٦/١٠٧ ونسبه إلى الإمام أحمد، وسكت عنه. وهذا الحديث مرسل. وابن لُحْيَةَ صدوق، اختلط بعد احتراق كتبه، ورواية ابن وهب وابن المبارك عنه أعدل من غيرهما. المغني في الضعفاء ١/٥٠٢، والتقريب ٥٣٨، وهذا الحديث ليس من طريقهما. ودراج هو ابن سمعان، أبو السمع، صدوق، في حديثه عن أبي الهيثم ضعف. التقريب ٣١٠، وذكر ابن عدي هذا الحديث في الكامل في ضعفاء الرجال ٣/٩٨١، وقال: «لا يتابع دراج عليه».
- (٦) تقديم ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ للحصر، وهو قصر إضافي؛ أي دون المؤمنين. تفسير ابن عاشور ١٩/١١.

وذكر المفسرون أن ذلك اليوم يهون على المؤمنين [بدلالة الخطاب ؛ وذلك أنه لما ذكر شدته على الكفار كان مفهومه أنه يهون على المؤمنين]^(١) فدل تفسير المفسرين لهذه الآية على مسألة المفهوم^(٢).

٢٧. قوله : ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ : اختلف المفسرون في سبب نزوله ، فقال مجاهد : «إن عقبة^(٣) دعا مجلساً فيهم النبي ﷺ لطعام ، فأبى النبي ﷺ أن يأكل ، وقال : لا أكل حتى تشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فشهد بذلك عقبة ، وطعم النبي ﷺ من طعامه . فبلغ ذلك أمية بن خلف^(٤) فقال : صبوت يا عقبة ؟ وكان خليله ، فقال : لا والله ما صبوت فإن أخاك على ما تعلم ، ولكن صنعنا طعاماً فأبى أن يأكل حتى قلت ذلك ، واستحييت أن يخرج من بيتي قبل أن يطعم ، فشهدت له وليس من^(٥) نفسي » ، هذا قول مجاهد والكلبي^(٦).

(١) ما بين المعقوفين في (أ) و(ب) .

(٢) وأشار إلى هذا الاستدلال القرطبي ٢٤ / ١٣ ، والمفهوم مقابل للمنطوق ، والمنطوق أصل للمفهوم . ودلالة المفهوم المقصودة هنا هي مفهوم المخالفة ، ومعناه : الاستدلال بتخصيص الشيء بالذكر على نفي الحكم عما عداه ، ويُسمى أيضاً دليل الخطاب . الإحكام للآمدي ٦٣ / ٣ ، وروضة الناظر ٧٧٥ / ٢ .

(٣) هو عقبة بن أبي معيط ، واسم أبيه أبان بن ذكوان بن أمية ، من مقدمي قريش في الجاهلية ، كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة ، قتله يوم بدر عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، أخو بني عمر و بن عوف . انظر : السيرة النبوية إلى ابن هشام ٣٦٦ / ٢ ، والأعلام ٢٤٠ / ٤ .

(٤) أمية بن خلف بن وهب الجهمي ، من بني لؤي ، أحد جبابرة قريش في الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وهو الذي عذب بلالاً الحبشي - رضي الله عنه - في أول ظهور الإسلام ، قُتل يوم بدر . انظر : السيرة النبوية إلى ابن هشام ٢٨٣ / ٢ ، والأعلام ٢٢ / ٢ .

(٥) من (أ) و(ب) .

(٦) تفسير مجاهد ٤٥١ / ٢ ، وأخرجه عنه ابن جرير ٨ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٦٨٣ / ٨ ، وتنوير المقباس

٣٠٢ ، وذكره ابن قتبية في تأويل مشكل القرآن ٢٦٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ثم بين أن الآية عامة ، فقال : «فأراد سبحانه بـ ﴿الظَّالِمُ﴾ كل ظالم في العالم ، وأراد بـ (فلان) كل من أطع بمعصية الله ، وأرضي بإسقاط الله» ، واستشهد على أن الظالم يراد به جماعة الظالمين ، بقوله تعالى : ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ إِنِّي إِنِّي كُنتُ رَبًّا﴾ [النبا : ٤٠] . وقد ردَّ - رحمه الله - في ٢٦٠ على من ذهب إلى أنها نازلة في أبي =

وقال ابن سابط : «دعا أمية مجلساً فيه النبي ﷺ فقاموا غير النبي ﷺ فقال : لا أقوم حتى تسلم وتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فشهد ، فقام النبي ﷺ فلقبه عقبه فأنكر عليه ، فقال : أنا قلت له لطعامنا»^(١) ، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء الخراساني^(٢) .

وقال السدي : «كان عقبه يغشى رسول الله ﷺ وهم أن يسلم ، فلقبه أمية ابن خلف فقال : يا عقبه ، بلغني أنك صبوت ، قال : ما فعلت ، قال : فوجهي من وجهك حرام حتى تأتيه فتتفل في وجهه وتبرأ منه ، فيعلم قومك أنك عدو من عاداهم وفرق جماعتهم ، فأطاعه ، وفعل ذلك ، واشتد على النبي ﷺ ، فأنزل الله فيه يخبره بما هو صائر إليه»^(٣) .

وهذا قول الشعبي^(٤) ، ونحو هذا قال مقاتل سواء ، إلا أنه ذكر أبيتاً بدل أمية^(٥) .

بكر ، وعمر رضي الله عنهما ، ونعتهم : بالمتسمين بالمسلمين ، وصرح الرازي ٢٤ / ٧٥ بأنهم الرافضة ، حيث قالوا : هذا الظالم رجل بعينه ، وإن المسلمين غيروا اسمه ، وكنموه ، وجعلوه : فلاناً ! قال الرازي في الرد عليهم : «المقصود من الآية زجر الكل عن الظلم ، وذلك لا يحصل إلا بالعموم ، وأما قول الرافضة فذلك لا يتم إلا بالطعن في القرآن ، وإثبات أنه غير وبدل ، ولا نزاع في أنه كفر» .

(١) نسبها السيوطي ٦ / ٢٥٢ إلى ابن أبي شيبه ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، ولم أجد هذه الرواية في تفسير ابن أبي حاتم المطبوع .

(٢) أخرج عبد الرزاق في تفسيره ٢ / ٦٨ روايتين عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من طريق مقسم نحواً من هذا ، وأخرجه ابن جرير ٨ / ١٩ من طريق عطاء الخراساني ، وذكره الثعلبي ٨ / ٩٥ ، وعنه الواحدي في أسباب النزول ٣٣٣ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٦٨٥ .

(٤) تفسير الثعلبي ٨ / ٩٥ ب ، وفي خبر الشعبي أن عقبه أسلم ، فعاتبه أمية ، وقال له إلخ ، وعنه الواحدي في أسباب النزول ٣٣٣ .

(٥) تفسير مقاتل ٤٤ ب ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٦٨٤ عن قتادة . قال ابن عطية ١١ / ٣٣ : «ومن أدخل في هذه الآية أمية بن خلف ، فقد وهم ، إلا على قول من يرى (الظالم) اسم جنس» .

وقال الكلبي : «قال أبي لعقبة : ما أنا بالذي أَرْضِي عَنْكَ أبداً حتى تأتي محمداً ﷺ وتبزيق في وجهه ، وتطأ عنقه ، ففعل ذلك عقبة ، فأنزل الله : ﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ ﴾ يعني : عقبة ، في قول الأكثرين»^(١) .

وفي قول ابن سابط ، ورواية عطاء الخرساني : الظالم هنا أبي بن خلف^(٢) .

قال ابن عباس في رواية عطاء بن أبي رباح : «يريد : عقبة بن أبي معيط»^(٣) ، يقول : يأكل يديه حتى يذهب إلى المرفق ، ثم تنبت ، لا تزال هكذا كلما أكلها نبتت بندامة على ما فرط^(٤) .

(١) ومن قال بذلك عمرو بن ميمون ، أخرجه ابن أبي حاتم ٢٦٨٥ / ٨ ، وأكثر الروايات عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، ورواية أخرى عن السدي ، ليس فيها ذكر أنه فعل ما هم به من التفل ، ووطء العنق ، بل في رواية مفسم التصريح بأن الله تعالى لم يسلطه على ذلك ، فيتعين الأخذ بها لما فيها من حفظ النبي ﷺ عن الإهانة ، إضافة إلى أنها أخبار تحتاج إلى تأكيد ؛ لأن من رواها لم يعاصر هذه الحادثة ، والله أعلم . أخرج هذه الروايات ابن جرير ٨ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٦٨٤ / ٨ ، وذكر الثعلبي ٩٥ عن الضحاك أن عقبة لما فعل ذلك رجع بزاقه في وجهه ، وانشعب شعبتين فأحرق خديه ، فكان أثر ذلك فيه حتى الموت ، وكان يحسن من الواحدي — رحمه الله — إيراد هذه الرواية ، وقد أعرض ابن كثير — رحمه الله — عن إيراد هذه الروايات كلها .

(٢) لم أجد قول ابن سابط هذا ، إلا أن ابن أبي حاتم ٢٦٨٦ / ٨ قد ذكر عنه أنه قال في قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنفَعُ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ يعني أبي بن خلف . فعلى هذا يكون الظالم عقبة بن أبي معيط ، والله أعلم .

(٣) في تنوير المقbas ٣٠٢ : «الظالم : عقبة بن أبي معيط» ، وليس فيه ذكر شيء من هذه القصة ، وفيه أيضاً تفسير اليد بالأنامل . قال النحاس : «ولم يُسميا في الآية ؛ لأنه أبلغ في الفائدة ، ليعلم أن هذه سبيل كل ظالم قبل من غيره في معصية الله عز وجل» . إعراب القرآن ٣ / ١٥٨ ، وعليه فإن الألف واللام يجوز أن تكون للعهد ، فإراد به عقبة خاصة ، ويجوز أن تكون للجنس ، فيتناول عقبة ، وغيره . تفسير الزمخشري ٣ / ٢٦٩ .

(٤) أخرج ابن أبي حاتم ٢٦٨٤ / ٨ نحوه عن سفيان ، ونسبه في الوسيط ٣ / ٣٣٩ إلى عطاء . وهو عضو حقيقي لليدين ، كما ذكر الواحدي — رحمه الله — من شدة ما يجد من الحسرة ، والندامة ، كما هو ظاهر الآية ، وليس هناك ما يدفعه . وعليه فإن ما ذكره الزمخشري ٣ / ٢٦٨ ، وكذا ابن جزي ٤٨٣ وغيرهما ، من أن هذا كناية عن الغيظ والحسرة ، فغير مسلم ؛ لأنه صرف للفظ عن ظاهره من دون دليل . قال ابن كثير ٦ / ١٠٨ : «فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم ، ويعض على يديه قائلاً : =

وقال أبو إسحاق : «إذا كان يوم القيامة أكل يده ندماً ، وتمنى أنه آمن»^(١) .

وقال أبو القاسم الزَّجَّاجي : «هكذا يعض على يديه يوم القيامة ندماً وحسرةً على كفره بالله» . والعرض على اليد يجري عندهم مجرى معاينة اليد بها صنعت ، وإن لم تكن لليد في^(٢) الكفر صنيع ؛ فإن الله تعالى قد أسند الفعل إليها ، فقال : ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ﴾ [الأنفال : ٥١] ؛ وذلك أن مباشرة الذنوب بها ، فاللائمة ترجع عليها^(٣) ؛ لأنها هي الجارحة العظمى فيسند إليها ما لم تباشره . ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفْيَهُ﴾ [الكهف : ٤٢] ، وقد مرَّ^(٤) .

قوله تعالى : ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا﴾ : قُرِئَ (يَلَيْتَنِي) بسكون الياء وفتحها^(٥) ، والأصل التحريك ؛ لأنها بإزاء الكاف التي للمخاطب إلا أن

﴿يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا﴾ . قال البقاعي : «فيكاد يقطعها لشدة حسرته ، وهو لا يشعر» . نظم الدرر ٣٧٤ / ١٣ ، لكنه بعد هذا التقرير الجيد لظاهر الآية رجع فنقل كلام الزمخشري بنصه ، في أن هذا كناية ، ولم يتعقبه . قال الشوكاني ٦٩ / ٤ : «الظاهر أن العض هنا حقيقة ، ولا مانع من ذلك ، ولا موجب لتأويله . ويشهد لهذا تعدية العض بـ (على) ، لإفادة التمكن من المعضوض ، إذا قصدوا عضاً شديداً كما في هذه الآية» . تفسير ابن عاشور ١٢ / ١٩ .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٦٥ / ٤ ، وذكره الثعلبي ٩٥ / ٨ ب بمعناه .

(٢) في (أ) و(ب) : (على) بدل (في) .

(٣) في (ج) : (إليها) .

(٤) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ﴾ [الأنفال : ٥١] : قال ابن عباس : «جرحت قلوبكم» . قال أهل المعاني : إنما قال : ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ﴾ مع أن اليد لا تعقل شيئاً للبيان عن أن اعتقاد الكفر بالقلب بمنزلة ما يعمل باليد في الخيانة ، ولذلك لم يذكر القلوب وإن كان بها معتمد العصيان ؛ لأن القصد إظهار ما تقع به الجنايات في غالب الأمر وتعارف الناس .

وقال الواحدي في تفسير آية الكهف : «قال أبو عبيدة والزَّجَّاج والمفضل وابن قتيبة : فلان يقلب كفيه على ما فاته ، وتقلب الكفين يفعله النادم كثيراً ، والعرب تقول للرجل إذا ندم على الشيء وجعل يفكر فيه : يقلب يديه وكفيه لأن ذلك يكثر من فعله فصار تقلب الكف عبارة عن الندم كعض اليد» .

(٥) قرأ بفتح الياء أبو عمرو ، وأسكنها الباقون . انظر : السبعة ٤٦٤ ، والنشر في القراءات العشر ٣٣٥ / ٢ .

حرف اللين تكره فيه الحركة ، فلذلك أسكن مَنْ أسكن^(١) . قال ابن عباس :
«يقول : ليتني اتبعت محمداً على دينه»^(٢) . وقال مقاتل : «ليتني اتخذت مع محمد
سبيلاً إلى الهدى»^(٣) .

وقال السدي : «يقول : ليتني أطعت محمداً»^(٤) . وقال أبو إسحاق : «تمنى أن
اتخذ مع النبي ﷺ طريقاً إلى الجنة»^(٥) .

قوله تعالى : (يَوَيْلٌ لَّآ) قرأ حمزة والكسائي بالإمالة^(٦) . والإمالة هاهنا وتركها
حسنان ، ولو قيل : إن ترك الإمالة أحسن لكان قولاً ؛ وذلك أن أصل هذه الألف
الياء ، وكان حكمها : يا ويلتي ، ويا حسرتي ، فأبدل من الكسرة فتحة ، ومن الياء
الألف ، كراهة للياء وفراراً منها ، فإذا أمال^(٧) كان عائداً إلى ما كان تركه ، وآخذاً
بما رفضه ، ألا ترى أن الإمالة إنما هي تقريب الألف من الياء وانتحاء بها نحوها ،
والإمالة إنما تكون في الألف بأن تنحو بالفتحة التي قبل الألف نحو الكسر ،
فتميل الألف لذلك نحو الياء^(٨) .

(١) الحجة للقراء السبعة ٣٤٢/٥ ، بنصه .

(٢) في تنوير المقباس ٣٠٢ : «استقمت على دين الرسول» .

(٣) تفسير مقاتل ١٤٥ .

(٤) أخرج ابن أبي حاتم ٢٦٨٥/٨ نحوه عن السدي .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٦٥/٤ ، ومعنى «سبيلاً» على هذا : سبيلاً ووصلت . مجاز القرآن لأبي عبيدة
٢/٧٤ ، قال ابن عاشور ١٩/١٣ : «وأصل الأخذ التناول باليد ، فأطلق هنا على قصد السير فيه ،
قال تعالى : ﴿وَأَتَّخِذْ سَبِيلَهُ﴾ في البحر [الكهف : ٦٣]» .

(٦) السبعة في القراءات ٤٦٤ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/١٢١ ، والحجة للقراء السبعة
٣٤٣/٥ .

(٧) في (أ) و(ب) : (مال) من دون ألف .

(٨) الحجة للقراء السبعة ٣٤٢/٥ ، قال السمين الحلبي معلقاً على قول أبي علي : «وهذا منقوض بنحو :
باع ، فإن أصله : الياء ، ومع ذلك أمالوا ، وقد أمالوا : ﴿يَحْصِرُنَّ عَنْ مَاقَرَطُ﴾ [الزمر : ٥٦] ،
و﴿يَنَاسِفُ﴾ [يوسف : ٨٤] ، وهما كـ (يَا وَيْلَتَا) في كون ألفهما عن ياء المتكلم . الدر المصون
٨/٤٨٠ .

قوله تعالى: ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا حَلِيلًا﴾: يعني أبيتاً في قول الأكثرين^(١)، وفي قول الشعبي والسدي يعني أمية^(٢)، وفي قول ابن سابط يقول: «أي ليتني لم أتخذ فلاناً، يعني: عقبة^(٣)، وكانا متخالين في الدنيا»^(٤).

وقال مقاتل: «يقول: ليتني لم أطع فلاناً»^(٥). فعلى قول هؤلاء: فلان عبارة عن الأدمي. وقال مجاهد: «يعني الشيطان»^(٦)، وهو قول أبي رجاء^(٧)، وعلى هذا القول: فلان كناية عن الشيطان. قال الزجاج: «وتصديق هذا القول قوله في الآية الثانية: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾»^(٨).

ومن قال بالقول الأول قال: إن قبوله من أبي بن خلف، وطاعته له من عمل الشيطان وإغوائه^(٩). وفلان في العربية: كناية عن واحد بعينه من الناس. قال الخليل: وتقديره: فُعال، وتصغيره: فُعِيل^(١٠)، فُلَيْن، قال: ولا يحسن فيه الألف واللام، يقال: فلان، وفلان آخر؛ لأنه لا نكرة له، ولكن العرب سمّوا به الإبل؛

(١) تنوير المقباس ٣٠٢، واقتصر عليه البغوي ٨١/٦.

(٢) وهو قول مقاتل ٤٥ أ.

(٣) سبق قريباً التعليق على هذا.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٦٨٦/٨ عن سعيد بن المسيب.

(٥) تفسير مقاتل ٤٥ أ.

(٦) تفسير مجاهد ٤٥٢/٢، وأخرجه ابن جرير ٨/١٩، وابن أبي حاتم ٢٦٨٦/٨.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٦٨٦/٨، وأبو رجاء هو عمران بن ملحان التميمي البصري، أسلم بعد فتح مكة، ولم ير النبي ﷺ، مشهور بكنيته، ثقة، معمر، توفي سنة ١٠٥ هـ عن ١٢٠ عاماً. انظر: السير ٤/٢٥٣، والتقريب ٧٥٢.

(٨) معاني القرآن للزجاج ٦٥/٤.

(٩) معاني القرآن للزجاج ٦٥/٤، حاصل الأقوال في: (فلاناً) أربعة: ١- أبي بن خلف. ٢- أمية بن خلف. ٣- عقبة بن أبي معيط. ٤- الشيطان. وقد اقتصر في الوسيط ٣/٣٣٩، والوجيز ٢/٧٧٨ على أنه أبي، وذكر ابن عطية ١١/٣٣ كلاماً حسناً في عموم الآية، وشمولها لكل ظالم، وأنه ليس من ظالم إلا وله في دنياه خليل يعينه ويخرضه، هذا في الأغلب.

(١٠) كلمة (فُعِيل) في (أ) و(ب).

فقالوا : الفلان ، وهذه الفلانة ، فإذا نسبت قلت : فلان الفلاني ؛ لأن كل اسم ينسب إليه فإن الياء التي تلحقه تُصَيِّرُهُ نكرة^(١) .

وقال ابن السكيت : « تقول : لقيت فلاناً ، إذا كُنت عن آدميين قلته بغير الألف واللام ، فإذا كُنت عن البهائم قلته بالألف واللام . تقول : حلبت الفلانة ، وركبت الفلانة »^(٢) ، وأنشد في ترخيم فلان ، فقال :

وَهُوَ إِذَا قِيلَ لَهُ وَيَهَا فُلٌ فَإِنَّهُ أَحَجَّ بِهِ أَنْ يَنْكُلُ^(٣)

قال المبرِّد : « قولهم : يا فل ، أقبل ، ليس بترخيم فلان ؛ ولو كان كذلك قيل : يا فلا ، أقبل . ومما يزيده وضوحاً قولهم للأثنى : يا فلة أقبلي ، قال : ولكنها كلمة على حدة^(٤) ، قال : وقد تستعمل في غير النداء ، كقوله :

فِي لَجَّةٍ أَمْسِكْ فُلَانًا عَنْ فُلٍ^(٥)

(١) الكتاب ٢/٢٤٨ بمعناه ، وما ذكره الواحدي بنصّه في كتاب العين (فلن) ٨/٣٢٦ ، ونقله عنه الأزهرى في تهذيب اللغة ١٥/٣٥٤ ، وذكر ابن خالويه نحواً من هذا عن ابن دريد عن أبي حاتم . إعراب القراءات السبع وعللها ٢/١٢١ .

(٢) بنصّه في إصلاح المنطق ٢٩٦ من دون إنشاد البيت .

(٣) تهذيب اللغة (فلن) ١٥/٣٥٤ ، وفيه إنشاد البيت مع آخر بعده ، ولم ينسبه ، وهو كذلك في لسان العرب ١٣/٣٢٤ ، ولم أجد من نسبه .

(٤) في تهذيب اللغة (فلن) ١٥/٣٥٥ ، « وقال المبرِّد : قولهم : يا فل ليس بترخيم ، ولكنها على حدة » . قال أبو حيان ٦/٤٥٤ : وهم ابن عصفور ، وابن مالك ، وصاحب البسيط ، في قولهم : فل ، كناية عن العَلَم ، كفلان . ويعني بصاحب البسيط ضياء الدين أبو عبدالله محمد بن علي الأشيبي . حاشية الدر المصون ٨/٤٨٠ . قال السمين الحلبي : « فلان كناية عن علم من يعقل وهو منصرف ، وفُل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور ، وفُلة عمن يعقل من الإناث ، والفلان والفلانة بالألف واللام عن غير العاقل ، ويختص فُل وفُلة بالنداء إلا في ضرورة . الدر المصون ٨/٤٧٩ .

(٥) المقتضب ٤/٢٣٧ ، ولم ينسب البيت ، ونسبه سيويه إلى أبي النجم في الكتاب ٢/٢٤٨ ، واستشهد به على استعمال : فل ، موضع فلان ، في الشعر للضرورة ، وأنشده الأزهرى ، ولم ينسبه ، واستشهد به على أن اللجة : الصوت . تهذيب اللغة (لج) ١٠/٤٩٤ ، وذهب ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن =

وروى أبو تراب عن الأصمعي : «يا فلا ، في النداء»^(١) ، وهذا يقوِّي قول المبرِّد ، وذكرنا معنى الخليل في سورة النساء^(٢) .

٢٩ . قوله تعالى : ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ . قال الكلبي : «صرفني» ، وقال مقاتل : «ردني»^(٣) . وكل ما أضلك عن شيء حتى لا تجده فقد صرفك وردك عنه .

﴿عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ . قال ابن عباس : «يريد القرآن ، وما فيه من المواعظ» ، وقال الكلبي : «يعني القرآن والإيمان ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ مع الرسول»^(٤) .

٢٦٣ إلى أن قول القائل : ما جاءك إلا فلان بن فلان ، يريد أشراف الناس المعروفين ، كقول الشاعر :

فِي لَجَّةٍ أُمْسِكُ فَلَانًا عَنْ فُلٍ

يريد : أُمْسِكُ فَلَانًا عَنْ فُلَانٍ ، ولم يرد رجلين بأعيانها ، وإنسا أراد : أنهم في غمرة الشر ، وضجته ، فالحجزة ، يقولون لهذا : أُمْسِكُ ، ولهذا : كُفَّ . واللجة : كثرة الأصوات . اللسان ١٣ / ٣٢٥ .

(١) تهذيب اللغة (فلن) ١٥ / ٣٥٥ ، ولفظه : أبو تراب عن الأصمعي ، يقال : قم يا فل ، ويا فلاة . أبو تراب خراساني لغوي ، استدرك على الخليل بن أحمد في كتاب العين ، وردَّ عليه العلماء في ذلك كما قال القفطي ، وصنف كتاب الاستدراك على الخليل ، ومن هذا الكتاب أخذ الأزهرى ما نقله عن أبي تراب في كتابه تهذيب اللغة . انظر : إنباه الرواة على أنباه النحاة ٤ / ١٠٢ ، والفهرست ٩٢ .

(٢) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى : ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء ١٢٥] : قال أبو بكر ابن الأنباري : «الخليل معناه في اللغة : المُحِبُّ الكامل المحبة ، والمحبوب الموفي حقيقة المحبة . . . وقال بعض أهل العلم : ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ أي فقير إليه لا يجعل فقره وفاقته إلى غيره ، ولا ينزل حاجته بسواه . . . فهذان القولان ذكرهما جميع أهل المعاني ؛ والاختيار هو الأول ؛ لأن الله - عز وجل - خليل إبراهيم ، وإبراهيم خليل الله ، ولا يجوز أن يقال : الله خليل إبراهيم من الخللة التي هي الحاجة» .

(٣) تفسير مقاتل ٤٥ أ .

(٤) تنوير المقياس ٣٠٢ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٨ / ٢٦٨٧ عن عمرو بن ميمون ، يعني : الإسلام .

وقال مقاتل : «عن الإيمان بالقرآن»^(١) ، وقيل : عن الرسول ، حكاة
الفراء^(٢) . وتمّ الكلام هاهنا ، ثم قال : ﴿وَكَاَنَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ ، وهذا
من قول الله تعالى لا من الإخبار عن قول الظالم^(٣) . يقول : وكان الشيطان في
الآخرة خذولاً للإنسان ، يعني الكافر ، يتبرأ منه^(٤) ، هذا قول مقاتل^(٥) . وأمّا قول
ابن عباس فهو^(٦) أن هذا الخذلان من الشيطان للكافرين في الآخرة^(٧) .

وقال الكلبي : «يعني خذلان إبليس للمشرّكين ببدر ، وكان معهم في صورة
سراقه بن مالك ، فلما عاين الملائكة تبرأ منهم ، وهو قوله تعالى : ﴿نَكَصَ عَلَى

(١) تفسير مقاتل ٤٥ أ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٦٧ ، واقتصر في الوسيط ٣ / ٣٣٩ على القرآن والإيمان به ، وفي الوجيز
٢ / ٧٧٨ على القرآن . وليس بين هذه الأقوال تعارض ، فهي من باب اختلاف التنوع ، لا اختلاف
التضاد . قال ابن عطية : «الذكر ما ذكر به الإنسان أمر آخرته من قرآن أو موعظة ، ونحوه» .

(٣) اقتصر الواحدي - رحمه الله - على هذا القول ، مع أنه يحتمل أن يكون من كلام الظالم ، وذلك من
شدة ما يجد من الحسرة ، ولوضوح الحقيقة عنده في ذلك الموقف . انظر : تفسير الزمخشري ٣ / ٢٦٩ ،
حيث ذكر هذا الاحتمال ، وكذا ابن عطية ١١ / ٣٥ ، والأظهر عند الشنقيطي ٦ / ٣٠٥ أنه من كلام
الله ، وليس من كلام الكافر النادم يوم القيامة .

(٤) أخرج نحوه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٦٨٧ عن قتادة . قال الثعلبي ٨ / ٩٥ ب : «وحكم هذه الآيات عام في
كل متحايين اجتماعاً على معصية الله عز وجل» ، وذكر البغوي ٦ / ٨٢ بعد تفسيره لهذه الآيات جملة
من الأحاديث النبوية في المجلس الصالح والجليس السوء .

(٥) يوهّم صنيع الواحدي - رحمه الله - هنا أن مقاتلاً يقول بالعموم ، وليس الأمر كذلك ، بل قيد
الإنسان كما في تفسيره ٤٥ بعقبه . ثم قال : «ونزل فيها» : ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾
[الزخرف : ٦٧] ، ونحوه في تفسير عبدالرزاق ٢ / ٦٨ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من طريق
مُقَسَّم .

(٦) في النسخ جميعها (وهو) ، والمناسب للسياق : فهو .

(٧) في تنوير المقباس ٣٠٢ جعله عاماً في خذلانه عندما يحتاج إليه .

عَقَبِيهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ ﴿١﴾ الآية [الأنفال: ٤٨] ^(١). وقتل عقبة بن أبي معيط يوم بدر صبراً ^(٢)، ولم يُقتل من الأسارى غيره وغير النضر بن الحارث ^(٣).

٣٠. قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾. قال ابن عباس: «يريد محمداً ﷺ يشكوههم إلى الله عز وجل» ^(٤)، ﴿يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾: ذكروا في المهجور قولين؛ قال ابن عباس: «يريد: هجروا القرآن، وهجروني وكذبوني».

وقال الكلبي: «مهجوراً: متروكاً» ^(٥).

وقال مقاتل: «تركوا الإيذان بهذا القرآن فهم مجانبون له» ^(٦).

(١) ليس هناك تعارض في ما ذكره الواحدي رحمه الله، وليس في هذه الأمثلة ما يدل على أن هذا من كلام الكافر، وقد اقتصر في الوسيط ٣/ ٣٣٩، والوجيز ٢/ ٧٧٨ على أن الإنسان في الآية الكافر.

(٢) يقال: قُتل فلان صبراً، معناه: حبساً، ومن ذلك الصوم سُمِّي صبراً؛ لأنه حبس للنفس عن المطاعم، والنكاح، والملتذ من الشهوات. الزاهر في معاني كلمات الناس ٢/ ٢٠١.

(٣) تفسير مقاتل ٤٥ أ. وأخرج ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٨٧ عن السدي أنها قُتلا جميعاً يوم بدر، يعني أمية وعقبة، وذكر السمرقندي ٢/ ٤٥٩ أن أبي بن خلف قُتل يوم أحد، وكذا قال الثعلبي ٨/ ٩٥ ب.

(٤) أخرج نحوه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٨٧ عن قتادة، ونسبه ابن الجوزي ٦/ ٨٧ إلى مقاتل، لكنني لم أجده في تفسيره، ولم يبين الواحدي - رحمه الله - زمن هذا القول، لكن البغوي ٦/ ٨٢ قال: «ويقول الرسول في ذلك اليوم. يعني اليوم الذي يعرض فيه الظالم على يديه، فيكون في هذا زيادة تعذيب لهم. ويحتمل أن تكون هذه الشكاية في الدنيا، وفي ذلك تعظيم لأمرها، من جهة أن الأنبياء كانوا إذا التجؤوا إلى الله وشكوا إليه قومهم حل بهم العذاب، ولم يُنظروا». تفسير الزمخشري ٣/ ٢٦٩، وجعله ابن عطية ١١/ ٣٥ قول الجمهور، ثم قال: «وقالت فرقة: هو حكاية عن قوله ذلك في الآخرة»، وتبعه ابن الجوزي ٦/ ٨٧، ورجح الرازي ٢٤/ ٧٧ أن يكون ذلك في الدنيا؛ لأنه موافق للفظ، ولأن ما ذكره الله تعالى من قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ تسلياً للرسول ﷺ ولا يليق إلا إذا كان وقع ذلك القول منه. والله أعلم».

(٥) تنوير المقياس ٣٠٢، وذكره الفراء ٢/ ٢٦٧، ولم ينسبه.

(٦) تفسير مقاتل ٤٥ أ.

هذا قول من جعله من الهجران والهجر^(١).

وقال مجاهد: «يهجرون فيه بالقول، يقولون: هو سحر»^(٢).

وقال إبراهيم: «قالوا فيه غير الحق»^(٣).

وقال مسعر: «قالوا فيه هُجْرًا»^(٤)، وعلى هذا القول: المهجور من الهجرة. وذكرنا الكلام في الهجر عند قوله: ﴿سَمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧]^(٥).

وذكر الفراء والزجاج القولين، فقالا: «يجوز أن يكون مهجوراً: متروكاً، أي جعلوه متروكاً»^(٦) مهجوراً، لا يسمعون^(٧) ولا يتفهمونه. ويقال: إنهم جعلوه كالهجر بمنزلة الهذيان. والهجر: ما لا ينتفع به من القول. وكانوا يقولون: إن النبي ﷺ يهجر^(٨)، وعلى هذا يقال: هَجَرَ، يَهْجُرُ، هَجْرًا، وَهْجْرًا، والكلام مهجور، فجعلوا القرآن كلاماً لغواً، وهو قولهم: إنه شعر، وسحر، وسمر، وأساطير الأولين.

(١) نسب هذا القول ابن جرير ٩/١٩ إلى عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، ثم قال: «وهذا القول أولى بتأويل ذلك، وذلك أن الله أخبر عنهم أنهم قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَافِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦] وذلك هجرهم إياه».

(٢) تفسير مجاهد ٢/٤٥٢، وأخرجه ابن جرير ٩/١٩، وابن أبي حاتم ٨/٢٦٨٧، وذكره السيوطي ٦/٢٥٣، وزاد نسبته إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) أخرجه ابن جرير ٩/١٩، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/٢٦٨٨ من طريقين؛ الأول كرواية الطبري، والثاني بنحوه، وذكره السيوطي ٦/٢٥٣، وزاد نسبته إلى الفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) لم أجد قول مسعر بن كدام، في ما تيسر لي من المراجع.

(٥) ذكر الواحدي في تفسير هذه الآية أقوال المفسرين وأهل اللغة في معنى الهجر والمراد به في الآية، وهو قريب مما ذكره هنا.

(٦) (متروكاً) في (أ) و(ب).

(٧) في (ج): (يستمعونه).

(٨) معاني القرآن للفراء ٢/٢٦٧، ومعاني القرآن للزجاج ٤/٦٦ بمعناه.

ويدل على صحة القول الأول ما روي عن أنس أن النبي ﷺ قال : «من تعلم القرآن وعلق مصحفاً لم يتعاهده ، ولم ينظر فيه ، جاء يوم القيامة معلقاً به ، يقول : يا رب العالمين ، عبدك هذا اتخذني مهجوراً ، اقض بيني وبينه»^(١) .

وذكر صاحب النظم وجهاً آخر من الهجر ، فقال : «يجوز أن يكون المهجور مصدراً ، كالهجر والهجير ، ويكون المعنى : اتخذوا هذا القرآن هُجراً ، أي إذا سمعوه قالوا فيه الهجير ، وقالوا : إنه هجر ، كما يقال : اتخذنا فلاناً ضحكة أو سُخرة ، أي إذا رأيناه ضحكنا منه وسخرنا منه . وهذا النظم أبلغ من أن لو قيل : هجروا القرآن ، أو هجروا فيه ؛ لأنه يدل على أنهم جعلوا عادتهم هجر القرآن»^(٢) . وذكرنا تحقيق هذا الفصل عند قوله : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء : ٢٩] وعند قوله : ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ [إبراهيم : ٤٠]^(٣) .

(١) قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشف ٤٥٩/٢ : رواه الثعلبي ، ثم ساق إسناده ، وفيه : ثنا أبو هذبة إبراهيم بن هذبة ، ثنا أنس بن مالك . ويوجد في النسخة التي عندي من تفسير الثعلبي سقط في سورة الفرقان من الآية ٢٠ إلى الآية ٣٧ ، قال ابن حجر : «أخرجه الثعلبي من طريق أبي هذبة عن أنس ؛ وأبو هذبة كذاب» . الكاف الشاف بحاشية الكشف ٢٧٠/٣ ، قال الإمام أحمد : «إبراهيم بن هذبة لا شيء ، روى أحاديث مناكير» ، وقال يحيى بن معين : «كذاب خبيث» . الضعفاء والمتروكون إلى ابن الجوزي ٥٨/١ .

(٢) حاصل الأقوال في قوله تعالى : ﴿مَهْجُورًا﴾ ثلاثة : ١- إنهم هجروه بإعراضهم . ٢- إنهم قالوا فيه هُجراً ؛ أي قبيحاً . ٣- إنهم جعلوه هُجراً من الكلام ، وهو ما لانفع فيه من العبث والهديان . تفسير الماوردي ١٤٣/٤ ، واقتصر الواحدي في الوسيط ٣٣٩/٣ ، والوجيز ٧٧٨/٢ على القول الأول . وذكر ابن القيم أن هجر القرآن أنواع خمسة . الفوائد ٨١ ، ونحوه في تفسير ابن كثير ١٠٨/٦ .

(٣) قال الواحدي : «قوله تعالى : ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ ذكره على النعت ولم يذكره على الفعل لأن النعت ألزم وأكثر من الفعل ، كأنه قال : رب اجعلني من عادتي إقامة الصلاة ، ولو قال : اجعلني أقيم الصلاة لم يكن فيه من المبالغة ما في المقيم ، وذكرنا استقصاء هذا الفصل في قوله : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ الآية [الإسراء : ٢٩] .

وقال في تفسير آية الإسراء : «قال صاحب النظم : لا تكاد العرب تقول جعلت يدي مغلولة ، ولا جعلت رجلي مقيدة ، ولا جعلت رأسي معماً ، إنها يقولون : غَلَلْتُ يدي ، وَقَيْدْتُ رجلي ، وَعَمَمْتُ رأسي ، والعلة في هذا النظم أن الفعل أقل من النعت ، والنعت ألزم وأكثر من الفعل ؛ كما قلنا في =

قال ابن عباس : «فَعَزَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^(١) ، فقال :

٣١. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٢) ؛ أي وكما جعلنا لك يا محمد أعداء من مشركي قومك ، كذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا من كفار قومه»^(٣) .

قوله : ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَىٰ﴾ [طه : ١٢١] لأنه قد كان منه ، ولا يجوز أن يقال : آدم عاص غاو ؛ لأن هذا نعت لازم ، وكانوا يقولون : يد فلان مغلولة ، أي أن المنع عادة له ، ولا يكادون يقولون غُلَّت يده ؛ لأن هذا فعل غير لازم ، والأول لازم ، وقد يمنع الإنسان في مواضع المنع ولا يرجع عليه بلوم ، فلذلك قال عز وجل : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي لا تكن ممسكاً عن البذل عادة ، ولم يرد أن لا يمسك عند وقت الإمساك ، يدل على ذلك قوله : ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ ومما يشبه هذا النظم ، قوله تعالى : ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ [إبراهيم : ٤٠] ، وقد مر .

(١) تفسير مقاتل ٤٥أ ، وتفسير هود ٣/ ٢٠٩ ، والبغوي ٦/ ٨٣ ، والطبرسي ٧/ ٢٦٥ ، والقرطبي ١٣/ ٢٧ ، ولم ينسبه ، وذكره في الوسيط ٣/ ٣٣٩ غير منسوب ، وذكره ابن الجوزي ٦/ ٨٨ ، وصدره بقوله : قال المفسرون ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٨٨ عن قتادة ، وأخرج ابن جرير ١٩/ ١٠ بسنده عن ابن عباس أنه قال : «يوطن محمداً ﷺ أنه جاعل له عدوًّا من المجرمين كما جعل لمن قبله» .

(٢) من فوائد هذه الآية علو الحق على الباطل ، وتبين الحق ، واتصاحه اتصاحاً عظيماً ؛ لأن معارضة الباطل للحق تزیده وضوحاً وبياناً وكمال استدلال . تفسير السعدي ٥/ ٤٧٧ ، وإذا كان هذا في حق الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فغيرهم من السائرين على طريقهم لا بد أن ينالهم شيء من ذلك ، فلا بد من الصبر على الأذى ، وتحمل العناد والاستكبار حتى يأتي الله بأمره . ذكر البرسوي ٦/ ٢٠٨ عن أبي بكر بن طاهر أنه قال : «رُفِعَتْ درجات الأنبياء والأولياء بامتحانهم بالمخالفين ، والأعداء» . ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام : ١١٢] .

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ١٠ بنحوه . وأخرج ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٨٨ عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ قال : «الكفار» . وهو في الوسيط ٣/ ٣٣٩ بنصه ، ولم ينسبه .

والعدو هاهنا يجوز أن يكون في معنى الجماعة، كما قال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾^(١) [الشعراء: ٧٧]. قال مقاتل: «يقول لا يكبرن عليك، فإن الأنبياء قبلك قد لقيت هذا التكذيب من قومهم»^(٢).

وقال السدي: «لم يبعث نبي قط إلا والمجرمون له أعداء، وبعضهم أشد عليه من بعض. وكان عدو النبي ﷺ من قريش بنو أمية وبنو المغيرة»^(٣). ولهذا دخل حرف التخصيص في قوله: ﴿مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٤). قال الكلبي: «إن كل نبي أتى قومه كان بعضهم أغلظ من بعض وأسوأ قولاً، وصنيعاً، وبعضهم يستحي من ذلك وهو ألين قولاً، وأكف شراً». ويجوز أن يكون المراد بقوله: ﴿عَدُوًّا﴾ واحداً من المجرمين، ممن كان أشد المشركين على نبيهم. وهذا مذهب الكلبي ومقاتل، قالوا: «نزلت في أبي جهل»^(٥). وكان - لعنه الله - أشدهم عداوة لرسول الله ﷺ^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَكُنِيَ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾. قال ابن عباس: «هادياً لك وناصراً على أعدائك»^(٧).

(١) معاني القرآن للزجاج ٦٦/٤، وجزم بهذا ابن جزي ٤٨٤، حيث قال: «العدو هنا جمع»، ورجحه ابن عاشور ١٨/١٩.

(٢) تفسير مقاتل ١٤٥.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٦٨٨/٨.

(٤) وصف أعداء الأنبياء بأنهم من المجرمين؛ أي من جملة المجرمين، فإن الإجماع أعم من عداوة الأنبياء، وهو أعظمها. التحرير والتنوير ١٨/١٩.

(٥) تنوير المقباس ٣٠٢، وتفسير مقاتل ١٤٥، ومعاني القرآن للزجاج ٦٦/٤ غير منسوب، ونسبه القرطبي ٢٧/١٣ إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وكذا السيوطي ٢٥٤/٦، ونسبه إلى ابن مردويه.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢٦٧/٢، وفي هذه الآية تنبيه للمشركين ليعرضوا أحوالهم على هذا الحكم التاريخي فيعلموا أن حالهم كحال من كذبوا من قوم نوح، وعاد، وثمود. تفسير ابن عاشور ١٨/١٩.

(٧) في تنوير المقباس ٣٠٢: ﴿هَادِيًا﴾ حافظاً، ﴿وَنَصِيرًا﴾ مانعاً مما يراد بك.

وقال مقاتل : «هادياً إلى دينه ومانعاً منهم»^(١).

وقال أبو إسحاق : «[الباء زائدة ، المعنى : كفى ربك]»^(٢).

و﴿هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ منصوبان على الحال . المعنى : وكفى ربك في حال الهداية والنصر . ويجوز أن يكون منصوباً على التمييز على معنى : كفى ربك من الهداة والنصار^(٣) ، وهذا مما قد تقدّم فيه الكلام^(٤).

(١) تفسير مقاتل ٤٥ أ ، ونحوه قال الهواري ٣/ ٢٠٩ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٨٨ عن محمد بن إسحاق : «إن ينصرك الله فلا يضرك خذلان من خذلك . وفي هذا تسلية للنبي ﷺ بوعده بهداية كثير ممن هم معرضون عنه» . تفسير ابن عاشور ١٩/ ١٨ .

قال تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر : ١ ، ٢] .
(٢) ما بين المعقوفين لم أجده عند الزّجاج . قال ابن عاشور ١٩/ ١٨ : «والباء ، في قوله : (بربك) تأكيد لاتصال الفاعل بالفعل . وأصله : كفى ربك في هذه الحالة» .

وقع الخلاف بين أهل العلم في وقوع الزائد في القرآن الكريم ، فمنهم من أنكره كالمبرد وثعلب ، وأكثر العلماء على إثبات ذلك ؛ لكنهم اختلفوا في تسميته ، فمنهم من يسميه : صلة ، ومنهم من يسميه : المقحم . قال الزركشي : «واعلم أن الزيادة واللغو من عبارة البصريين ، والصلة والحشو من عبارة الكوفيين ، قال سيبويه عقب قوله تعالى : ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ﴾ [النساء ١٥٥] : إن (ما) لغو ؛ لأنها لم تحدث شيئاً . والأولى اجتناب مثل هذه العبارة في كتاب الله تعالى ؛ فإن مراد النحويين بالزائد من جهة الإعراب لا من جهة المعنى» . البرهان في علوم القرآن ٣/ ٨٠ ، وقال أيضاً : «ومعنى كونه زائداً أن أصل المعنى حاصل بدونه دون التأكيد ؛ فبوجوده حصل فائدة التأكيد ، والواضع الحكيم لا يضع الشيء إلا لفائدة . وسُئِلَ بعض العلماء عن التأكيد بالحرف وما معناه ؛ إذ إسقاط الحرف لا يخل بالمعنى ؟ فقال : هذا يعرفه أهل الطباع إذ يجدون أنفسهم بوجود الحرف على معنى زائد لا يجدونه بإسقاط الحرف» . البرهان ٣/ ٨٢ ، وهذا كلام حسن . وتكلم عن هذه المسألة د . عبد الفتاح الحموز في رسالته : التأويل النحوي في القرآن الكريم ، حيث عقد فصلاً عنوانه : الزيادة في التنزيل .

(٣) معاني القرآن للزّجاج ٤/ ٦٦ .

(٤) قال الواحدي في تفسير الآية السادسة من سورة النساء ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسيبًا﴾ : «والباء في قوله : ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ﴾ وكفى برّبك في جميع القرآن زائدة . قال الزّجاج : المعنى : كفى الله ، كفى ربك . واستقصاء هذا مذكور في هذه السورة عند قوله : ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء ٤٥] . وتفسير هذه الآية من القسم المفقود من البسيط .

٣٢. وقوله : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾^(١) . قال الكلبي : «كانت كفار قريش يأتون رسول الله ﷺ فيتعننونه ، ويسألونه ، ويقولون : تزعم أنك رسول من عند الله أفلا أتيتنا بالقرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة ، والإنجيل ، والزبور^(٢) فأنزل الله هذه الآية»^(٣) . والمعنى : هلاً نزل عليه القرآن في وقت واحد^(٤) .

(١) لم يسندوا فعل التنزيل لله عز وجل ؛ لكونهم ينكرون ذلك ، فلا نكارهم إنزال القرآن من عند الله تعالى بُني الفعل للمفعول (نُزِّلَ) ، والله أعلم . نظم الدرر ٣٧٨ / ١٣ .

(٢) تنوير المقباس ٣٠٢ ، وهذا يدل على اعتراضهم على كيفية نزول القرآن . أخرج ابن أبي حاتم ٢٦٨٩ / ٨ عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال المشركون : إن كان محمد كما يزعم نبياً فلم يعذبه ربه ، ألا ينزل عليه القرآن جملة واحدة . وهذا يدل على أنهم قالوه شفقة ورحمة ! وذكر القرطبي ٢٨ / ١٣ أنها نزلت في كفار قريش ، وأخرج ابن أبي حاتم ٢٦٨٩ / ٨ عن ابن عباس أن اليهود قالوا : يا أبا القاسم ، لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى ، فأنزل الله : بل نثبت به فؤادك . ولم يذكر ابن أبي حاتم من حديثه به ، بل قال : «ذكر عن عبدالرحمن بن عمر ابن رُسته الأصبهاني ، بسنده إلى ابن عباس ، وعبدالرحمن هذا ثقة ، لكن له غرائب» . ميزان الاعتدال ٥٧٩ / ٢ ، والتقریب ٥٩٢ ، وفيه أيضاً : حكيم بن جبيرة ، ضعيف رمي بالتشيع . ميزان الاعتدال ٥٨٣ / ١ ، والتقریب ٢٦٥ ، ولا يلزم من هذا القول أن تكون الآية مدنية ، بل هو يدل على اعتراض المشركين من قريش ومن اليهود ، على طريقة إنزال القرآن ، والله أعلم . واعتراض المشركين على إنزال القرآن جملة اعتراض لا طائل تحته ؛ لأن الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة ، أو مفزقاً . تفسير البضاوي ١٤٠ / ٢ .

(٣) قال الزخشي ٢٧٠ / ٣ : «(نُزِّلَ) هاهنا بمعنى : أنزل ، لا غير ، كخبرٍ بمعنى : أخبر ، وإلا كان متدافعاً» . قال أبو حيان ٤٥٥ / ٦ : «وإنما قال : إن (نُزِّلَ) بمعنى : أنزل ؛ لأن (نُزِّلَ) عنده أصلها أن تكون للتفريق ، فلو أقره على أصله عنده من الدلالة على التفريق تدافع هو وقد قررنا أن (نُزِّلَ) لا تقتضي التفريق ؛ لأن التضعيف فيه عندنا مرادف للهمزة» ، وذكر نحوه ابن عاشور ١٩ / ١٩ ، وقد ورد القرآن باللفظين في موضع واحد ، قال تعالى : ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ سُورَةُ فَإِذَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ تُحْكَمُ﴾ [محمد : ٢٠] .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٦٦ / ٤ ، أنزل الله - عز وجل - القرآن جملة واحدة من السماء السابعة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر . قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر : ١] ، وقال تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ [الدخان : ٣] ، ثم نزل بعد مفزقاً على النبي ﷺ ، وقد بين هذا وفصله ابن عباس رضي الله عنهما ، أخرجه عنه ابن أبي حاتم ٢٦٨٩ / ٨ ، لكن إسناداه ضعيف ؛ لضعف حكيم بن جبيرة . انظر : ميزان =

قال الله تعالى : ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ . قال الزَّجَّاج : «أنزلناه كذلك متفرقاً ؛ لأن معنى قولهم : ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ يدل على معنى : لم نزل عليه القرآن متفرقاً ؟ فأعلموا لم ذلك^(١) ؛ وهو قوله : ﴿لِنُثَبِّتَ﴾ ، وذهب قوم إلى أن قوله : ﴿كَذَلِكَ﴾ من كلام المشركين ، فقالوا : إنهم قالوا : ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ﴾ أي كالتوراة ، والإنجيل ، والكتب المتقدمة^(٢) .

الاعتدال ١/ ٥٨٣ ، والتقريب ٢٦٥ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٩٠ نحوه مختصراً عن ابن عباس رضي الله عنهما - أيضاً ، وفي إسناده : أبو يحيى الحماني ، واسمه : عبد الحميد بن عبد الرحمن ، أبو يحيى الكوفي ، صدوق يخطئ ، ورمي بالإرجاء . ميزان الاعتدال ٢/ ٥٤٢ ، والتقريب ٥٦٦ ، وفيه : حبيب بن أبي الأشرس ضعيف جداً بل متروك . ميزان الاعتدال ١/ ٤٥٠ ، وتاريخ ابن معين ٣/ ٣٥٦ ، رقم : ١٧٢٥ ، وأخرجه عنه النسائي في السنن الكبرى ٦/ ٥ من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة ، وقد أورد ابن كثير ٦/ ١١٠ حديث النسائي ، ولم يعلق عليه .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٦٦ ، وقد اقتصر الواحدي - رحمه الله - على هذا القول في الوسيط ٣/ ٣٤٠ ، والوجيز ٧٧٨ ، مما يدل على اختياره له ، وإن لم يصرح بهذا هنا ، والله أعلم .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٦٧ ، ولم ينسبه ، ونقله عنه النحاس في القطع والانتاف ٢/ ٤٨٣ ، وقال النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٦٠ : «والأولى أن يكون التسام ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ ؛ لأنه إذا وقف على (كَذَلِكَ) صار المعنى : كالتوراة والإنجيل والزبور ، ولم يتقدّم لها ذكر . وهذا قول حسن ، ولأن مشركي قريش لم يكونوا أهل كتاب حتى يطالبوا بالمثلثة . وعليه فإن هذه الآية لا تصلح دليلاً للقول بأن الكتب السماوية السابقة كانت تنزل جملة واحدة ، وما ذكر من حكمة الإنزال المفرق تشهد للقول بأنها كانت تنزل مفرقة» . وقد ورد هذا المعنى صريحاً في قول ابن عباس - رضي الله عنهما - أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٩٠ بلفظ : «لنشدد به فؤادك ، ونربط على قلبك ، يعني : بوحية الذي نزل به جبريل عليك من عند الله ، وكذلك يفعل بالمرسلين من قبلك» . لكن في إسناده بشر بن عمار ، وهو ضعيف ، والضحاك وهو لم يلتق ابن عباس ، كما تقدّم في صدر السورة . وعليه فإن ما ذكره الواحدي - رحمه الله - في آخر تفسيره هذه الآية من أن التوراة أنزلت جملة ، لأنها أنزلت على نبي يقرأ ويكتب ، يحتاج إلى دليل يثبت به ، والله أعلم . وقد حسّن القول بأن قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ﴾ من قول المشركين ابن الأنباري ، نقله عنه القرطبي ١٣/ ٢٩ ، واقتصر عليه الآلوسي ١٩/ ١٥ مع أنه صدّره به (قيل) . ولعل اقتصاره عليه لترجيحه أن نزول الكتب السابقة كان جملة ، وسيأتي ذكر قوله . وردّ هذا القول البقاعي في نظم الدرر ١٣/ ٣٨٠ ، وعلل ذلك بأن نزول الكتب السابقة إنما كان منجماً ، ولم يكن جملة . وقد بين رأيه هذا ووضّحه واستدل عليه عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء ١٦٤] . نظم الدرر ٥/ ٥٠٧ ، وذهب إلى هذا أيضاً الشوكاني ، حيث قال ٤/ ٧٠ : «وهذا

وعلى هذا نحتاج إلى إضمار في الآية ليصح النظم ؛ وهو أن نقول : تقديره : أنزلناه متفرقاً لثبث به فؤادك^(١) ؛ أي ليقوى به قلبك ، فتزداد بصيرة ؛ وذلك أنه إذا كان الوحي يأتيه متجدداً في كل أمر وحادثة كان ذلك أزيد في بصيرته ، وأقوى لقلبه^(٢) . وذكرنا معنى تثبيت الفؤاد عند قوله : ﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [هود : ١٢٠] . وقال أبو عبيدة : « ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ ؛ أي لنطيب به نفسك ، ونشجعك^(٣) » ، وهذا معنى ما ذكرناه .

زعم باطل ، ودعوى داحضة ، فإن هذه الكتب نزلت مفرقة كما نزل القرآن ، ولكنهم معاندون ، أو جاهلون لا يدرون بكيفية نزول كتب الله - سبحانه - على أنبيائه ، ومثله المرامي ١٢ / ١٩ ، وكذا ابن عاشور ١٨ / ١٩ ، وبعد أن قرر هذا قال : « فحوض المفسرين في بيان الفرق بين حالة رسولنا من الأمية ، وحالة الرسل الذين أنزلت عليهم الكتب اشتغال بها لا طائل تحتها ، فإن تلك الكتب لم تنزل أسفاراً تامة قط » . وقد نبه على هذا القاسمي أيضاً ، ومما قاله في محاسن التأويل ١٢ / ٢٦١ : « والحال أن القول بنزولها دفعة واحدة ، لا أصل له ، وليس عليه أثارة من علم ، ولا يصححه عقل » . وأمّا البرسوي ٢٠٩ / ٦ فقد جزم بأن إنزال القرآن منجماً فضيلة خص بها نبينا محمد ﷺ من بين سائر الأنبياء ، لكنه لم يذكر ما يدل على هذا التخصيص ، وكذلك الألوسي ١٥ / ١٩ ، حيث قال : « أي هلاً أنزل القرآن عليه - عليه الصلاة والسلام - دفعة غير مفرق ، كما أنزل التوراة والإنجيل والزيور ، على ما تدل عليه الأحاديث والآثار ، حتى كاد يكون إجماعاً ، كما قال السيوطي » ، ثم ردّ قول من قال بخلاف ذلك ، ولكنه لم يذكر شيئاً من هذه الأحاديث والآثار ، ولم يذكر السيوطي هذا في الدر المنثور عند تفسير هذه الآية ، وكذا لم أجده في الإتقان والله أعلم .

وأما قول الله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف : ١٤٥] فقد وقع الخلاف بين المفسرين : هل هذه الألواح هي التوراة أم لا ؟ قال ابن كثير بعد أن ذكر الخلاف : « وعلى كل تقدير كانت كالتعويض له عما سأل من الرؤية ومنع منه » . تفسير ابن كثير ٤٧٤ / ٣ .

(١) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٦٧ .

(٢) الوسيط ٣ / ٣٤٠ ، وذكر مقاتل ٤٥٠ أن التثبيت هنا للقرآن في قلب النبي ﷺ فقال : « يعني : لثبث القرآن في قلبك » . وفي تأويل مشكل القرآن ٢٣٢ الخطاب هنا للنبي ﷺ ، والمراد بالتثبيت هو : والمؤمنون .

(٣) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : « قال ابن عباس : يريد : لنزيدك يقيناً ، وفسر التثبيت هاهنا بالتشديد عن ابن عباس ، وبالتقوية عن الضحاك ، والتصيير عن ابن جريج ؛ وهو الأقرب ؛ لأن ما يُقَصُّ عليه من إنباء الرسل إنما هو للاعتبار بها لما فيها من حسن صبرهم على أمهم » .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٧٤ ، وفي تنوير المقباس ٣٠٣ : « لنطيب به فؤادك ، ونحفظ به قلبك » .

قوله تعالى : ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ . قال ابن عباس : «بَيَّنَّاهُ بَيَانًا»^(١) ، وقال إبراهيم : «فَرَّقْنَاهُ فِي التَّنْزِيلِ»^(٢) ، وهو معنى قول الحسن^(٣) ، وقال السدي : «فَصَّلَّنَاهُ تَفْصِيلًا»^(٤) ، وقال الزجاج : «أَنْزَلْنَاهُ عَلَى التَّرْتِيلِ ؛ وَهُوَ : ضِدُّ الْعَجَلَةِ»^(٥) ، وقال ابن الأعرابي : «مَا أَعْلَمَ التَّرْتِيلَ إِلَّا التَّحْقِيقَ وَالتَّبَيُّنَ»^(٦) .

قال الليث : «الرَّتَلْ ، بفتح التاء : تنسيق الشيء . وَثَغْرَ رَتَلٍ ، حَسَنُ الْمُتَنَزِّدِ . وَرَتَلْتُ الْكَلَامَ تَرْتِيلًا ، إِذَا تَمَهَّلْتُ فِيهِ وَأَحْسَنْتُ تَأْلِيفَهُ . وَهُوَ يَتَرْتَلُ فِي كَلَامِهِ ، وَيَتَرَسَّلُ»^(٧) . فمعنى الترتيل في الكلام : أن يأتي به بعضه في أثر بعض ، على تَوَدَّةٍ ، وَتَمَهُّلٍ ؛ كَالثَّغْرِ الرَّتْلِ ، وَهُوَ : ضِدُّ الْمُرَاصِ ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ فِي تَفْسِيرِ التَّرْتِيلِ : «بَعْضُهُ عَلَى أَثَرِ بَعْضٍ»^(٨) .

- (١) في الوسيط ٣/ ٣٤٠ منسوباً إلى ابن عباس رضي الله عنهما : «بَيَّنَّاهُ بَيِّنًا» ، وهو كذلك في الوجيز ٧٧٨ ، لكنه غير منسوب . وفي تنوير المقباس ٣٠٣ : (تبياناً) بدل (بياناً) ، ونسبه الهواري ٣/ ٢٠٩ إلى قتادة ، وأخرجه عن قتادة ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٩١ ، وأخرج أيضاً عن ابن عباس : ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ يقول : «شيء بعد شيء» .
- (٢) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١١ ، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٩١ .
- (٣) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٦٩ ، وابن جرير ١٩/ ١١ ، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٩٠ .
- (٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٩١ .
- (٥) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٦٦ .
- (٦) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (رتل) ١٤/ ٢٦٨ عن أبي العباس بلفظ : «مَا أَعْلَمَ التَّرْتِيلَ إِلَّا التَّحْقِيقَ وَالتَّمَكِينَ ، أَرَادَ : فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» .
- (٧) كتاب العين (رتل) ٨/ ١١٣ ، ونقله الأزهري في تهذيب اللغة (رتل) ١٤/ ٢٦٨ ، قال ابن عاشور ١٩/ ٢٠ : «اتَّفَقَتْ أَقْوَالُ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ عَلَى أَنَّ هَذَا التَّرْتِيلَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : ثَغْرَ مَرْتَلٍ ، وَرَتْلٍ وَلَمْ يوردوا شاهداً عليه من كلام العرب» .
- (٨) تهذيب اللغة (رتل) ١٤/ ٢٦٨ ، ويجوز أن يراد به (وَرَتَّلْنَاهُ) أمرنا بترتيله ؛ أي بقراءته مرتلاً ؛ أي بتمهله بأن لا يعجل في قراءته ، كقوله تعالى : ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل : ٤] . تفسير ابن عاشور ١٩/ ٢٠ ، و(أثر) و(إثر) معناهما واحد . قال ابن السكيت : «يقال خرجت في أثره وإثره» ، وتهذيب اللغة (أثر) ١٥/ ١٢١ .

قال المفسرون : وكان بين أول نزول القرآن وآخره ، نحو من : ثلاث وعشرين سنة^(١) . وإنما أنزلت التوراة جملة ؛ لأنها نزلت مكتوبة ، على نبي يكتب ، ويقرأ ، وأنزل القرآن متفرقاً ؛ لأنه أنزل على نبي أمي لا يكتب ، ولا يقرأ ، ولأن منه : الناسخ والمنسوخ ، ومنه : ما هو جواب عن أمور سألوه عنها ؛ فلذلك أنزل متفرقاً^(٢) .

٣٣ . قوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ : ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ يعني : المشركون^(٣) ﴿بِمَثَلٍ﴾^(٤) يضربونه لك في إبطال أمرك ، ومخاصمتك ، كما قالوا : ﴿أَوَلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ﴾ بالذي هو الحق لترد به خصومتهم ، وتبطل به كيدهم ، وما جاؤوا به من المثل^(٥) .

(١) أكثر أهل العلم على ذلك ، وما ورد من تحديد المدة بعشرين سنة ، أو اثنتين وعشرين ، فمحمول على التقريب لا التحديد ، والله أعلم . ومن ورد عنه القول بعشرين سنة ابن عباس ، أخرجه عنه النسائي في السنن الكبرى ٦/٥ ، وذكره عنه ابن كثير ٦/١١٠ ، وأخرج عبدالرزاق ٢/٦٩ ، وابن جرير ١٩/١١ ، وابن أبي حاتم ٨/٢٦٩٠ عن الحسن أن بين أوله وآخره نحواً من عشرين سنة . وبه قال الفراء ٢/٢٦٧ ، والزجاج ٤/٦٦ ، واقتصر عليه ابن جزي ٤٨٤ ، وقال ابن جريج : «اثنتين وعشرين ، أو ثلاث وعشرين» ، أخرجه عنه ابن جرير ١٩/١١ ، ومن قال بثلاث وعشرين سنة ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢٣٢ ، والهوارى ٣/٢٠٩ ، وابن كثير ٦/١٠٩ ، والشنقيطي ٣/٥٧٦ .

(٢) ذكر هذا التعليل الطوسي ٧/٤٨٨ ، ولم ينسبه ، وكذا البغوي ٦/٨٣ ، وفي هذه الآية بيان لحكمة إنزال القرآن مفزقاً ؛ إذ لو نزل جملة لسبق الحوادث التي كانت ينزل فيها القرآن ، ولو نزل جملة بما فيه من الفرائض لثقل ذلك عليهم . وقد ذكر ابن قتيبة هذه الحكمة في كتابه تأويل مشكل القرآن ٢٣٢ ، والنحاس في إعراب القرآن ٣/١٥٩ ، والرازي ٢٤/٧٩ ، حيث ذكر ثمانية أوجه ، لكن يبقى القول بأن حكمة التفريق حتى يعيه النبي ﷺ ويحفظه بعيد ؛ لأنه لا يدل عليه لفظ الآية ، ولأن الله تعالى قد تكفل له بحفظه : ﴿سَتُفَرِّقُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ ١٠١ ﴿إِلَّا مَا سَأَلَ اللَّهُ﴾ [الأعلى : ٦ ، ٧] ، والله أعلم . والقول بالتفريق بين الكتب السابقة في كيفية نزولها لأجل اختلاف أحوال الأنبياء في القراءة والكتابة سبقت الإجابة عنه .

(٣) تفسير الهوارى ٣/٢٠٩ ، وابن جرير ١٩/١١ .

(٤) تنكير مثل في سياق النفي يدل على التعميم . تفسير ابن عاشور ١٩/٢١ .

(٥) قال البغوي ٦/٨٣ : «فسمى ما يوردون من الشبه مثلاً ، وسمى ما يدفع به الشبه حقاً» . قال السعدي ٥/٤٧٨ : «وفي هذه الآية دليل على أنه ينبغي للمتكلم في العلم ، من محدث ، ومعلم ، وواعظ ، أن يقتدي بربه ، في تدبيره حال رسوله ، كذلك العالم يدبر أمر الخلق ، وكلما حدث موجب ، أو حصل موسم ، أتى بما يناسب ذلك من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والمواظظ الموافقة لذلك» .

﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ؛ أي من مثله^(١) . قال الزَّجَّاج : « وحذفت (من) ؛ لأن في الكلام دليلاً عليه ، لو قلت : رأيتُ زيداً وعمراً ، فكان عمرو^(٢) أحسن وجهاً كان في الكلام دليل على أنك تريد : مِنْ زيد^(٣) ، وهذا الذي ذكرنا معنى قول مقاتل في هذه الآية^(٤) .

وذكر عطاء والكليبي بيان ما يأتون به ، وما يجيء الله به مما هو الحق ، فقالا : ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ كما أتوا به في صفة عيسى ، فقالوا : إنه خُلِقَ من غير أب^(٥) ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ ؛ أي بما فيه نقض لحجتهم ؛ وهو : آدم ، خُلِقَ من غير أب ، ولا أم ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ﴾ الآية^(٦) [آل عمران : ٥٩] .

وأما معنى التفسير فهو تفعيل من الفسر . قال ابن الأعرابي : «الْفَسْرُ كَشْفُ ما غطي»^(٧) ، وقال الليث : «الفسر التفسير ، وهو البيان ، والتفصيل ، والتفسر كل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه . ولهذا قيل للبول الذي ينظر فيه الأطباء ، فيستدلون به على علّة العليل : تَفْسِرَة»^(٨) .

(١) قال الهواري ٢٠٩/٣ : «وقال بعضهم : أحسن تفضيلاً» .

(٢) فكان عمرو ساقطة من (ج) .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٦٧/٤ .

(٤) تفسير مقاتل ٤٥ أ .

(٥) ذكر هذا القول القرطبي ٣٠/١٣ من دون نسبة ، وذكر عن الكليبي أنه قال : ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ؛ أي تفصيلاً ، ومثل ذلك ذكر ابن أبي حاتم ٢٦٩١/٨ عن عطاء ، ولم يذكر هذا المثل .

(٦) الشاهد من الآية لم يذكر ، وهو قوله : ﴿كَمْثَلٍ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ، ولم أجد هذا القول في الوسيط والوجيز .

(٧) تهذيب اللغة (فسر) ٤٠٦/١٢ .

(٨) العين (فسر) ٢٤٧/٧ ، ونقله عنه الأزهرى في تهذيب اللغة ٤٠٦/١٢ .

٣٤. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾. قال الكلبي: «هم أهل الكتاب»، وقال مقاتل: «هم كفار مكة»^(١)؛ وذلك أنهم قالوا لمحمد وأصحابه: هم شر خلق الله، فأنزل الله هذه الآية. قال أنس: سئل رسول الله ﷺ: كيف يحشر أهل النار على وجوههم؟ فقال: «إن الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم»^(٢).

قوله: ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾. قال ابن عباس: «يريد مصيراً» ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ أي ديناً وطريقاً^(٣)، وهذه الآية من قبل قوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤]، وقوله: ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ أَمَّ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ [الفرقان: ١٥]،

- (١) تفسير مقاتل ٤٥ ب. وفي تنوير المقباس ٣٠٣: «أبو جهل وأصحابه».
- (٢) أخرجه الواحدي بسنده في الوسيط ٣/ ٣٤٠، وقال في آخره: رواه البخاري عن عبد الله بن محمد عن يونس بن محمد. نعم، هو كذلك عند البخاري من حديث أنس -رضي الله عنه- في التفسير، باب: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾، رقم: ٤٧٦٠. الفتح ٨/ ٤٩٢، ولفظه: «أن رجلاً قال: يا نبي الله يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة»، وأخرجه مسلم ٤/ ٢١٦١، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، رقم: ٢٨٠٦، وفيه: «قال قتادة: بلى، وعزة ربنا»، وأخرجه الطبري ١٩/ ١٢ عن أنس -رضي الله عنه- من ثلاثة طرق. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَيَحْشَرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَبُكَاً وَصُمًّا﴾ [الأنعام: ٩٧]، وبهذا يبطل القول بأن هذا تمثيل، كما يقال: جاءني على وجهه؛ أي كارهياً. وقد ذكر هذا القول النحاس ٣/ ١٦٠، وصدره بقوله: قيل، ولم يدفعه، مع أنه قد ذكر الحديث المرفوع السابق. وكذلك فعل ابن عطية ١١/ ٣٨، أمّا القرطبي ١٠/ ٣٣٣ فقد قال بعد ذكر حديث أنس رضي الله عنه: وحسبك، فرحمه الله، وجزم ابن جزري بأن هذا حقيقة لحديث أنس -رضي الله عنه- ولم يذكر غيره، وكذا فعل ابن كثير ٦/ ١١٠، حيث اقتصر على ذكر هذا الحديث، ثم قال: وهكذا قال مجاهد، والحسن، وقتادة، وغير واحد من المفسرين. قال البرسوي ٦/ ٢١٠: «ولما استكبر الكفار واستعلوا حتى لم يخروا للسجدة الله تعالى حشرهم الله تعالى على وجوههم».
- (٣) أخرج نحوه ابن جرير ١٩/ ١٢ عن مجاهد، وأخرج ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٩٢ عن ابن عباس: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ «يقول: وأبعد حجة».

وقد مرَّ^(١). قال مقاتل في هذه الآية : «يقول : هو شر منزلاً وأخطأ طريقاً من المؤمنين»^(٢).

وقال أبو إسحاق : «الَّذِينَ» ابتداء ، «أُولَئِكَ» ابتداءً ثانٍ ، وشر خبره ، وهما خبرا «الَّذِينَ»^(٣).

٣٥. وقوله : «وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا»^(٤). قال مقاتل والكلبي : «يعني : معيناً على الرسالة»^(٥).

(١) ومثلها أيضاً قوله تعالى : «أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا» [مريم : ٧٣] ، وقوله تعالى : «فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا» [مريم : ٧٥] .

(٢) تفسير مقاتل ٤٥ ب بمعناه . قال البيضاوي ١٤١ / ٢ : «والفضل عليه هو الرسول ﷺ على طريقة قوله تعالى : «قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ» [المائدة ٦٠] .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٦٧ / ٤ .

(٤) قال الرازي ٨٠ / ٢٤ : «اعلم أنه تعالى لما قال : «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا» أتبعه بذكر جملة من الأنبياء ، وعرفه بما نزل بمن كذب من أمهم» . وذكر أبو حيان ٤٥٧ / ٦ أن تقديم ذكر نبي الله موسى ﷺ لأنه نزل عليه الكتاب جملة واحدة ، ومع ذلك كفروا به ، وخالفه البقاعي في نظم الدرر ٣٨٥ / ١٣ فقال : «وقدم قصة موسى - عليه السلام - لمناسبة الكتاب في نفسه أولاً ، وفي تنجيته ثانياً» ، وقال في ٣٨٤ : «وفيه إشارة إلى أنه لا ينفع في إيمانهم إرسال ملك كما اقترحوا ليكون معه نذيراً» .

أمّا ابن عاشور فقد ذكر ٢٥ / ١٩ أن الابتداء بذكر نبي الله موسى ﷺ لأنه أقرب زماناً من الذين ذكروا بعده ، ثم قال : «فإن صح ما روي أن الذين قالوا : «لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً» اليهود ، فوجه الابتداء بذكر ما أوتي موسى أظهر» .

(٥) تفسير مقاتل ٤٥ ب ، وتنوير المقباس ٣٠٣ ، وذكره ابن جرير ١٢ / ١٩ ، ولم ينسبه . وأخرج ابن أبي حاتم ٢٦٩٣ / ٨ نحوه عن قتادة ، وذكر الهواري ٢٠٩ / ٣ ثلاثة أقوال : عوينا ، وعضداً ، وشرىكا في الرسالة ، ثم قال : «وهو واحد ، وذلك قبل أن تنزل عليهما التوراة ، ثم نزلت فقال : «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْقُرْآنَ وَضِيَاءً» [الأنبياء : ٤٨] .

وقال الزَّجَّاج : «الوزير في اللغة الذي يُرجع إليه ويُتَّصن برأيه . والوَزَر : ما يُلتجأ إليه ويُعتصم به»^(١) ، وذكرنا تفسير الوزير عند قوله : ﴿وَجَعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ [طه : ٢٩] ^(٢) .

٣٦ . ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبًا﴾ قال الكلبي ^(٣) : «هذا لموسى خاصة» . ونحو هذا ذكر الفراء ، فقال : «إنما أمر موسى وحده بالذهاب»^(٤) ، وعلى هذا خوطب الواحد بخطاب الاثنين ، وهو من عادة العرب ، كما أنشد النحويون :

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي لَا تَحْبِسَانَا بِنَزْعِ أَصُولِهِ وَاجْتَزَّ شَيْئَنَا^(٥)

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٦٧ / ٤ ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة : ١١] ، وكذا النحاس في إعراب القرآن ١٦٠ / ٣ .

(٢) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : «قال المفسرون : عوناً وظهيراً» ، وقال أبو إسحاق : «الوزير في اللغة اشتقاقه من الوَزَر ، وهو الجبل الذي يعتصم به لينجي من الهلكة ، وكذلك وزير الخليفة معناه : الذي يعتمد على رأيه في أموره ويلتجئ إليه» .

(٣) (الكلبي) ساقطة من (ج) .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢٦٨ / ٢ ، وقال أيضاً : وهذا بمنزلة قوله : ﴿فَيَا حُوْنَهُمَا﴾ [الكهف : ٦١] ، وقوله : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَاتُ﴾ [الرحمن : ٢٢] . وقال السمرقندي : «يعني به موسى ، كقوله - عز وجل - في سورة طه [٤٢] : ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ﴾ خاطب موسى خاصة إلى القوم» . وقد نقد الفراء أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن ١٦١ / ٣ ، فقال : «وهذا مما لا ينبغي أن يجترأ به على كتاب الله جل وعز ، وقد قال جل ثناؤه : ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَمَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى﴾ ١١ ﴿فَلَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّعِنَ﴾ [طه : ٤٤ ، ٤٥] . وهذا هو الصواب الموافق لظاهر الآية ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم : ٥٣] . قال المراغي ١٦ / ١٩ : «فإنه وإن كان نبياً فالشرعية لموسى عليه السلام ، وهو تابع له فيها ، كما أن الوزير متبع لسلطانه» . وقد ردّ الرازي ٨١ / ٢٤ على من استدلل بكون هارون وزيراً على أنه ليس بنبي بكلام جيد ؛ فراجع . وأما قوله تعالى : ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [النازعات : ١٧] فلا ينافي هذا ؛ لأنها إذا كانا مأمورين فكل واحد مأمور . تفسير القرطبي ٣١ / ١٣ .

(٥) أنشده الفراء في معاني القرآن ٧٨ / ٣ ، وعنه ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢٩١ ، وابن جني في سر صناعة الإعراب ١٨٧ / ١ ، ولم ينسبوه . وفي حاشية تأويل مشكل القرآن : «المعنى لا تحبسنا عن شي اللحم بأن تقطع أصول الشجر ، بل خذ ما تيسر من الشيوخ ؛ والشيوخ نبت طيب الرائحة ، واجتر =

وإن كان الخطاب لهما فهو ظاهر^(١).

قوله: ﴿إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾: يعني فرعون وقومه^(٢). قال أهل المعاني: «ذكرهم الله هاهنا بالصفة القائمة مقام الاسم؛ لأنهم كانوا عند نزول القرآن قد كذبوا بآيات موسى وإن لم يكونوا موصوفين بالتكذيب عند إرسال موسى إليهم»^(٣).

ويحتمل أن يكون المعنى: اذهب بآياتنا إلى القوم الذين كذبوا، فتكون الآيات من صلة الذهاب، لا من صلة التكذيب، وتكذيبهم في ذلك الوقت لم يكن بآيات موسى، وإنما كان بآيات مَنْ تقدّمه من الأنبياء، كإبراهيم وإسحاق ويعقوب. وفرعون حين ادّعى الربوبية، وقومُه لما أطاعوه، كانوا مكذّبين أنبياء الله وكتبه^(٤). قوله: ﴿فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾: أي أهلكناهم بالعذاب^(٥) إهلاكاً، يعني:

- =
- اقطع. والشاهد قوله: تحبسنا: خاطب الواحد بلفظ الاثنين. وأنشده في لسان العرب (جزز) ٣١٩/٥ نقلاً عن ثعلب والكسائي، ونسباه إلى زيد بن الطثري، ويروى: واجدَر، ثم قال: «قال ابن بري: ليس هو ليزيد بن الطثري؛ وإنما هو لمضر بن ربيعي الأسدي».
- (١) وقد جزم بهذا القرطبي ١٣/٣٠ - وهو الصحيح - وضعف القول الآخر بتصديره بـ (قيل). ولم يتعرض الواحدي لنقد هذا القول مع أنه حري بذلك، والله أعلم.
- (٢) تنوير المقياس ٣٠٣، والهوّاري ٣/٢٠٩، والزّجاج ٤/٦٧، وزاد: «والذين مسخوا قرودة وخنازير».
- (٣) تفسير مقاتل ٤٥ ب، حيث جعل الآيات هنا آيات نبي الله موسى ﷺ التسع. ونسبه السمرقندي ٢/٤٦٠ إلى الكلبي، ثم قال: «وقال بعضهم: هذا التفسير خطأ؛ لأن الآيات التسع أعطاه الله تعالى موسى بعد ذهابه إليه».
- (٤) اختار هذا القول الواحدي في الوسيط ٣/٣٤٠، واقتصر عليه، ولم يتعرض لذلك في الوجيز، واختاره ابن الجوزي ٦/٨٩، ويشهد لهذا العموم تفسير مجاهد للآيات في هذه الآية بالبينات من دون تحديد لها. أخرجه ابن أبي حاتم ٨/٢٦٩٣، قال السمرقندي ٢/٤٦٠: ﴿بِعَايَتِنَا﴾ أي بتوحيدها، وديننا.
- (٥) أخرجه ابن أبي حاتم ١٧٩ ب عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وعن السدي. وذكر لفظ التدمير للمبالغة في وصف ما أصابهم؛ لأنه كسر الشيء على وجه لا يمكن معه إصلاحه. تفسير المراعي ١٩/١٥، وروح المعاني ١٩/١٨.

الغرق^(١)، وما دمر عليه^(٢) من صنائعهم كقوله: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ
فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وقال صاحب النظم: «معنى الآية: فذهبوا،
وكُذِّبُوا» ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾، ودخول الفاء دلالة على هذا الإضمار. والتدمير لم
يكن بعد الأمر لهما بالذهاب، إنما كان بعد الذهاب والتكذيب^(٣).

٣٧. قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾. قال الفراء: «نصبت (قوم نوح) بـ ﴿لَمَّا
كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ وإن شئت بالتدمير المذكور قبلهم»^(٤).

قوله: ﴿لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾. قال الزجاج: «من كذب نبياً فقد كذب
جميع الأنبياء»^(٥)، وقوم نوح إذ كذبوه، فقد كذبوا أيضاً من قبله من الرسل^(٦)،

(١) تنوير المقباس ٣٠٣ بمعناه، وتفسير مقاتل ٤٥ ب بنصه، وتفسير هود الهواري ٣/ ٢٠٩.

(٢) كذا في النسخ الثلاث: (عليه)، ولعل الصواب: (عليهم).

(٣) قال الرازي ٢٤/ ٨١: «التعقيب هاهنا محمول على الحكم لا على الوقوع، وقيل: إنه -تعالى- أراد
اختصار القصة فذكر حاشيتها أولها وآخرها لأنها المقصود من القصة بطولها، أعني إلزام الحجة ببعثة
الرسول، واستحقاق التدمير بتكذيبهم».

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٦٨، واعترض النحاس على الفراء في أنه منصوب بـ ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ فقال:
«وهذا لا يحصل؛ لأن أغرقنا ليس مما يتعدى إلى مفعولين فيعمل في المضمر وفي قوم نوح». إعراب
القرآن ٣/ ١٦١.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٦٧ بمعناه. واقتصر على هذا الواحدي في الوجيز ٢/ ٧٧٩، حيث قال:
«مَنْ كَذَبَ نَبِيًّا فَقَدْ كَذَبَ الرُّسُلَ كُلَّهُمْ؛ لأنهم لا يفرقون بينهم في الإيذان»، وكذا البغوي ٦/ ٨٤،
وابن عطية ١١/ ٤٠، واختاره ابن كثير ٦/ ١١٠.

(٦) ما ذكره الواحدي من تكذيبهم للأنبياء الذين كانوا قبل نبي الله نوح ﷺ غير مسلم؛ لأن نوحاً ﷺ
أول الرسل، ليس قبله أحد كما دل على ذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى
نُوحٍ وَالنَّوِيِّنِ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء ١٦٣]. الأصول الثلاثة وحاشيته ٤٩، ومن السنة حديث الشفاعة
الطويل، وفيه: «فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا
شَكُورًا أَمَا تَسْرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا بَلَّغْنَا أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ». أخرجه البخاري في
كتاب: أحاديث الأنبياء، رقم: ٣٣٤٠، والفتح ٦/ ٣٧١، ومسلم ١/ ١٨٠ في كتاب: الإيمان،
رقم: ١٩٣. ومثل ما قال الواحدي قال البقاعي ١٣/ ٣٨٧: «ولأنهم كذبوا من مضى من الأنبياء
-عليهم الصلاة والسلام- في ما سمعوه من أخبارهم»، وكذا أبو السعود ٦/ ٢١٨، والقاسمي =

فلذلك قال : ﴿لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ﴾ ، وهذا قول الكلبي ، قال : «يعني نوحاً وما جاءهم من خبر الرسل»^(١) ، قال : «ويجوز أن يكون يعني به الواحد ، ويذكر لفظ الجنس ، كما تقول للرجل الذي ينفق الدرهم الواحد : أنت ممن ينفق الدراهم ؛ أي ممن نفقته من هذا الجنس . وفلان يركب الدواب وإن لم يكن يركب إلا دابة واحدة»^(٢) . وهذا قول ابن عباس ، ومقاتل ؛ لأنهما قالوا في قوله : ﴿كَذَبُوا الرُّسُلَ﴾ «يعني : نوحاً وحده»^(٣) .

قوله : ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ ؛ أي بالطوفان^(٤) . قال الكلبي : «أمطر الله عليهم من السماء أربعين يوماً ، وخرج ماء الأرض أربعين يوماً ، فصارت الأرض بحراً واحداً»^(٥) ،

- =
- ١٢ / ٢٦٣ ، وسمي بعضهم البرسوي : ٢١١ / ٦ : كشيث ، وإدريس . ويحتمل جمع الرسل في الآية ما قاله ابن عاشور ٢٧ / ١٩ : «لأنهم أول من كذب رسولهم ، فكانوا قدوة للمكذبين من بعدهم» . وقد أجاب ابن حجر ٣٧٢ / ٦ على من استشكل كون نبي الله نوح ﷺ أول الرسل ، بنبو آدم وإدريس - عليهما الصلاة والسلام - بأجوبة ، منها : إن نوحاً - عليه السلام - أول الرسل إلى أهل الأرض ؛ لأن في زمن آدم - عليه السلام - لم يكن للأرض أهل ، وأما إدريس - عليه السلام - فلم يثبت أنه كان قبل نوح عليه السلام ، والله أعلم .
- (١) تنوير المقياس ٣٠٣ بمعناه .
- (٢) معاني القرآن للزجاج ٦٨ / ٤ بنصه . قال السمرقندي ٤٦١ / ٢ : «يعني نوحاً وحده ، كما قال : ﴿يَكْفُرُ الرُّسُلُ﴾ [المؤمنون : ٥١] ، ولم يكن إلا واحد وقت هذا الخطاب فيجوز أن يذكر الجماعة ويراد به الواحد ، كما يذكر الواحد ويراد به الجماعة» .
- (٣) تفسير مقاتل ٤٥ ب ، وأيد هذا القرطبي ٣١ / ١٣ ، فقال : «لأنه لم يكن في ذلك الوقت رسول إليهم إلا نوح وحده» ، وذكر الطوسي ٧ / ٤٩٠ وجهاً غريباً في الآية ، فقال : «وقيل : المعني نوحاً ، والرسل من الملائكة» .
- (٤) تنوير المقياس ٣٠٣ ، وتفسير الطبري ١٩ / ١٣ ، وهذا إغراق عام لم ينج منه سوى أصحاب السفينة فقط . تفسير ابن كثير ١١١ / ٦ .
- (٥) هذا التحديد لم أجده له دليلاً ، فالماء قد فجره الله من تحتهم ، وأنزله من فوقهم . قال تعالى : ﴿فَفَتْحْنَا أُنُوبَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۖ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر : ١١ ، ١٢] .

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ﴾ ؛ أَي لِمَنْ بعدهم ﴿ءَايَةً﴾ عبرة^(١) ، ودلالة على

قدرتنا^(٢) . قال ابن عباس : «وهذا كله تعزية للنبي ﷺ وتخويف للمشركين»^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ : يعني سوى ما حل بهم في الدنيا^(٤) .

٣٨ . وقوله : ﴿وَعَادًا وَثُمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ . قال الفراء : «نصبت (عاداً) بالتدمير»^(٥) ، وقال الزجاج : «(وَعَادًا) عطفاً^(٦) على الهاء والميم التي في قوله : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ ، قال : ويجوز أن يكون معطوفاً

(١) تنوير المقباس ٣٠٣ ، وتفسير مقاتل ٤٥ ب ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٦٩٤ / ٨ عن الربيع بن أنس ، وفيه : عبرة ومتفكر .

(٢) قال تعالى : ﴿إِنَّا لَنَّا طَعَا أَلَمًا مَّحْمُوكًا فِي الْجَارِيَةِ ۖ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَفَعَلْنَا أُنْذُنًا وَعِيَةً﴾ [الحاقة : ١١ ، ١٢] .

(٣) الوسيط ٣ / ٣٤٠ ، بنصّه .

(٤) تفسير الطبري ١٣ / ١٩ بمعناه . قال القرطبي ٣١ / ١٣ : «أَي للمشركين من قوم نوح وقيل : أي هذه سبيلي في كل ظالم» . وعلى هذا يكون المراد بالظالمين قوم نوح ﷺ وهذا محتمل ، كما قال الرازي ٨١ / ٢٤ ، واقتصر عليه البرسوي ٢١١ / ٦ ، إلا أن ظاهر الآية أعم من ذلك ، فأعتدنا لكل من سلك سبيلهم في تكذيب الرسل عذاباً أليماً . ولم يذكر البقاعي ٣٨٦ / ١٣ غير هذا ، وكذا المراغي ١٧ / ١٩ ، ويشهد له قول الله - عز وجل - في قصة قوم لوط ﷺ : ﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود : ٨٣] ، وهذا أقرب إلى تحذير المشركين وتخويفهم ، والله أعلم . وذكر ابن أبي حاتم ٢٦٩٤ / ٨ من طريق الضحاك عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن الظالمين : الكافرين ، وذكر ابن جزي ٤٨٤ القولين من دون ترجيح ، وكذا البيضاوي ١٤١ / ٢ ، والشوكاني ٧٣ / ٤ ، والعذاب في الآية هو الأخروي إن كان المراد بالظالمين قوم نوح ؛ لأنه سبق الإخبار عن عذابهم في الدنيا ، ويحتمل العذاب الدنيوي والأخروي إن كان المراد بهم عموم الظالمين . تفسير أبي السعود ٢١٨ / ٦ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٦٨ .

(٦) هكذا في (أ) و(ب) ، وفي (ج) : (عطف) .

على معنى ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ، ويكون التأويل : وَعَدْنَا
الظالمين بالعذاب ، ووعدنا عاداً وثموداً^(١) .

قوله : ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ : الرس في اللغة : كل محفور مثل البئر ، والمعدن ،
والقبر ، ونحوها . وجمعه : رساس ، ومنه قول الجعدي :

تَنَابَلَةً يَحْفِرُونَ الرَّسَّاسَا^(٢)

وقال أبو عبيدة : «الرس : كل رَكِيَّة لم تُطَوَّ^(٣) بالحجارة والآجر والخشب»^(٤) .
واختلفوا في أصحاب الرس ؛ [فروى عكرمة عن ابن عباس ، قال : سألت كعباً
عن أصحاب الرس ؟]^(٥) فقال : صاحب ياسين الذي قال : ﴿يَقَوْمُ أَتَّبِعُوا

(١) معاني القرآن للزجاج ٦٨ / ٤ .

(٢) عجز بيت للنابغة في ديوانه ٨٢ ، صدره :

سَبَقْتُ إِلَى فَرَطٍ نَاهِلٍ

وأنشده أبو عبيدة ٧٥ / ٢ منسوباً ، وقال : «الرساس : المعادن» ، وأنشده ابن جرير ١٩ / ١٤ من دون
نسبة ، وفيه : باهل ، بالباء الموحدة تحت ، وأنشده ابن قتيبة في غريب القرآن ٣١٣ منسوباً إلى النابغة ،
وذكر قول أبي عبيدة الثعلبي ٨ / ٩٩ . وفي تهذيب اللغة (رسس) ١٢ / ٢٩٠ : «وكل بئر عند العرب :
رَسٌّ» ، وأنشد البيت للدلالة على ذلك .

ضبط (تنابله) في التهذيب ١٢ / ٢٩٠ بالرفع ، وفي الديوان والمجاز لأبي عبيدة بالنصب . وفي تهذيب
اللغة (فرط) ١٣ / ٣٣١ : «الفرط : المتقدم في طلب الماء» ، والناهل في كلام العرب : العطشان .
تهذيب اللغة (نهل) ٦ / ٣٠٠ ، والتنبال : الرجل القصير . تهذيب اللغة (تنبل) ١٤ / ٣٥٤ .

النابغة الجعدي الشاعر المشهور المعمر رضي الله عنه ، اختلف في اسمه فقيل : عبدالله بن قيس ، وقيل :
قيس بن عبدالله ، من جعدة بن كعب بن ربيعة ، أقام مدة لا يقول الشعر ثم قاله فقيل : نبغ .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٢٢٣ في سورة ق ، وفي غريب القرآن إلى ابن قتيبة ٣١٣ بالإثبات ، حيث
قال : «كل ركية تطوى فهي رس» ، وفي اللسان ٦ / ٩٩ : «والرس : البئر المطوية بالحجارة» . فكلمة :
رَسَسْتُ ، من الأضداد ، تستعمل في الإصلاح ، وتستعمل في الإفساد . الأضداد للأنباري ٣٨٣ .

(٤) تفسير الثعلبي ٨ / ٩٩ أنبئه .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ج) ، وقول كعب ذكره الثعلبي ٨ / ٩٦ من دون ذكر السؤال .

الْمُرْسَلِينَ ﴿يس: ٢٠﴾ قتلوه^(١)، قتله قومه ورَّسوه في بئر لهم يقال لها: الرس؛ أي دسوه فيها^(٢). وهذا قول مقاتل والسدي، قالوا: «الرس: بئر بأنطاكية»^(٣) قتلوا فيها حبيبا النجار فنسبوا إليها^(٤).

وروى عطاء عن ابن عباس في أصحاب الرس، قال: «بئر كانوا عليها نزولاً»^(٥). وهذا قول مجاهد، قال: «بئر كان عليها قوم يقال لهم: أصحاب الرس»^(٦)، ونحو هذا قال وهب، قال: «وبعث الله إليهم شعبياً، وكانوا أهل بئر نزولاً عليها، وأصحاب مواش، وكذبوا شعبياً، وآذوه فانهارت البئر بهم، وبديارهم ومنازلهم، فهلكوا جميعاً»^(٧).

- (١) كلمة: (قتلوه) في (أ) و(ب). ويوجد بعد هذه الكلمة تكرار في (ب) قدر سطرين.
- (٢) أخرج ابن جرير ١٩/١٤ عن عكرمة أنه قال: «أصحاب الرس بفلج هم أصحاب يس»، ولم ينسبه إلى ابن عباس، وذكره القرطبي ٣٢/١٣ منسوباً إلى ابن عباس.
- (٣) أنطاكية: قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بطيب الهواء وعذوبة الماء، وكثرة الفواكه وسعة الخير، حاصرها أبو عبيدة بن الجراح، وصالح أهلها، ثم نقض أهلها العهد فأرسل إليهم أبو عبيدة عياض بن غنم، وحبيب بن مسلمة ففتحها. معجم البلدان ٣١٦/١، ومراصد الإطلاع ١/١٢٤، وموقعها الآن جنوب تركيا تبعد عن الساحل الشرقي للبحر المتوسط نحو ٥٠ كم.
- (٤) تفسير مقاتل ٤٥ب، لكنه لم يسمه، وذكره الثعلبي ٨/٩٦أ، ونسبه إلى كعب ومقاتل، ونسبه ابن الجوزي ٩٠/٦ إلى السدي.
- (٥) أخرج ابن أبي حاتم ٨/٢٦٩٥ بسنده عن عكرمة عن ابن عباس: «أنها بئر بأذربيجان».
- (٦) أخرجه عن مجاهد ابن جرير ١٩/١٤، وابن أبي حاتم ٨/٢٦٩٥، وأخرج نحوه ابن جرير عن ابن عباس.
- (٧) الوسيط ٣/٣٤٠ بنصه منسوباً إلى وهب، وهو كذلك عند البغوي ٦/٨٤، والطبرسي ٧/٢٦٦، وابن الجوزي ٦/٩٠، والقرطبي ١٣/٣٢، وكون أصحاب الرس قوم شعيب -عليه السلام- المذكور في تنوير المقياس ٣٠٣، وأخرج ابن جرير ١٩/١٣ بإسناده عن ابن جريج، قال: «قال ابن عباس: ﴿وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ قال: قرية من ثمود»، وذكره ابن كثير ٦/١١١، واستبعد هذا أبو حيان ٦/٤٥٧، وقال: «ويبعده عطفه على ثمود؛ لأن العطف يقتضي التغاير»، وتبعه الألوسي ١٩/١٩.

وقال قتادة : «الرس : قرية بفلج اليمامة^(١) قتل أهلها نبيهم فأهلكهم الله»^(٢) .

وقوله : ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ ؛ أي وأهلكنا قرونًا ما بين عاد إلى أصحاب الرس^(٣) ، قاله مقاتل^(٤) .

(١) فلج اليمامة : بفتح أوله وثانيه ، مدينة بأرض اليمامة ، لبني جعدة ، وقشير ، وكعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . انظر : معجم البلدان ٣٠٧ / ٤ ، وتسمى الآن : الحرج ، المدينة المعروفة جنوب الرياض بنحو ١٠٠ كم .

(٢) أخرج هذا القول بإسناده عن قتادة ابن جريز ١٩ / ١٤ ، وابن أبي حاتم ٢٦٩٥ / ٨ ، وذكره القرطبي ١٣ / ٣٢ ، وزاد البغوي ٦ / ٨٤ نسبته إلى الكلبي . ولم يرجع الواحدي - رحمه الله - شيئاً من هذه الأقوال ، ولعل أقربها أنهم قوم كانوا على بئر ؛ لأن هذا هو الموافق للمعنى اللغوي ، وقد اقتصر عليه في الوجيز ٢ / ٧٧٩ ، وهو اختيار ابن جريز ١٩ / ١٤ ، وجزم به السمرقندي ٢ / ٤٦١ ، وذكر ابن جريز ١٩ / ١٤ ، والثعلبي ٨ / ٩٦ أقولاً في أصحاب الرس أنهم أصحاب الأخدود ، والرس هو الأخدود الذي بنوه . قال ابن جريز ١٩ / ١٤ : «ولا أعلم قوماً كانت لهم قصة بسبب حفرة ذكرهم الله في كتابه إلا أصحاب الأخدود» ، وذكر أيضاً خبراً طويلاً مرفوعاً في شأن أهل الرس ، وهو لا يصح ؛ لأنه من طريق محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي ، يرفعه للنبي ﷺ ، وذكره ابن كثير ٦ / ١١١ من طريق ابن جريز ، ثم قال : «عن محمد بن كعب مرسلاً ، وفيه غرابة ، ونكارة ، ولعل فيه إدراجاً» . وقد أعرض عنه الواحدي - رحمه الله - فلم يذكره في تفاسيره الثلاثة ، ولا في أسباب النزول . وذكر الثعلبي ٨ / ٩٦ خبراً طويلاً عن علي - رضي الله عنه - موقوفاً عليه في شأن أصحاب الرس ، وهو من الإسرائيليات ، وذكر أيضاً أخباراً آخر في شأنهم ، وقد أحسن الواحدي - رحمه الله - صنعاً في ترك ذكرها ؛ إذ العبرة حاصلة في إهلاكهم .

قال الرازي ٢٤ / ٨٢ : «وأي شيء كان فقد أخبر الله تعالى عن أهل الرس بالهلاك» .

وقال في ٨٣ ، بعد ذكره الأقوال الواردة في أصحاب الرس : «واعلم أن القول ما قاله أبو مسلم وهو أن شيئاً من هذه الروايات غير معلوم بالقرآن ، ولا يخبر قوي الإسناد ، ولكنهم كيف كانوا فقد أخبر تعالى أنهم أهلكوا بسبب كفرهم» . ما تحته خط هكذا وجدته في تفسير الرازي . وقال القاسمي ١٢ / ٢٦٢ : «ويروى هنا بعضهم آثاراً لا تصح» ، كما نبه عليه الحافظ ابن كثير رحمه الله : «فلا تحمل الجراء على روايتها ، ولا تنزيل الآية عليها ؛ لأنه من قفو ما ليس للمرء به علم ، ومثله يحظر الخوض فيه» .

(٣) هكذا في (ج) و(أ) و(ب) : (قرونًا بين عاد وأصحاب الرس) .

(٤) تفسير مقاتل ٤٥ ب . واقتصر عليه ابن الجوزي ٦ / ٩١ ، وظاهر الآية أعم من ذلك . قال ابن جريز

١٩ / ١٥ : «ودمرنا بين أضعاف هذه الأمم التي سمينها لكم أمماً كثيرة» ، ويؤيده قوله تعالى : =

٣٩. وقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ الْأُمْتَلَّ﴾ . قال الزَّجَّاجُ: ﴿وَكُلًّا﴾ منصوب بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره . المعنى : وأنذرنا كلًّا ضربنا له الأمثال^(١) . قال قتادة : «وكُلًّا قد أعذر الله إليه ثم انتقم منه»^(٢) . وقال مقاتل : و«كُلًّا بيَّنَّا لهم أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا»^(٣) .

﴿وَكُلًّا تَبَرَّنَا تَنْبِيرًا﴾ أهلكننا بالعذاب إهلاكاً^(٤) . قال الزَّجَّاجُ : «وكل شيء كَسَّرَتْهُ وَفَتَّتَهُ فَقَدْ تَبَرَّتْهُ ، ومنه تبر الذهب»^(٥) ، وذكرنا معنى التنبير في سورة سبحان^(٦) .

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧] ، ونحوه قال السمرقندي ٤٦١/٢ ، أخرج الحاكم في المستدرک ٤٣٧/٢ بسنده عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : معد بن عدنان بن أدد بن زند بن البراء بن أعراف الثرى ، قالت : ثم قرأ رسول الله : ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ لا يعلمهم إلا الله ، قالت أم سلمة : وأعراف الثرى : إسماعيل بن إبراهيم ، وزند : هميسع ، وبراء نبت . قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : صحيح ، وأخرجه البيهقي في الدلائل ١٧٨/١ قريباً من رواية الحاكم ، وهذا الحديث يدل على بطلان الحديث الذي أورده بعض المفسرين ، مثل ابن عطية ٤١/١١ عن ابن عباس موقوفاً ، ومرفوعاً : «كذب النسابون من فوق عدنان» ، وهو حديث لا يصح ؛ لأنه من طريق محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح . سلسلة الأحاديث الضعيفة ١٤٤/١ ، رقم ١١١ .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٦٨/٤ ، بنصّه .

(٢) أخرجه بسنده عبد الرزاق ٧٠/٢ ، وعنه ابن جرير ١٥/١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٦٩٧/٨ ، قال ابن كثير ١١٢/٦ : «أي بيَّنَّا لهم الحجج ، ووضحنا لهم الأدلة» .

(٣) لم أجده في تفسير مقاتل . وفي تنوير المقياس ٣٠٣ : «بيَّنَّا لكل قرن عذاب القرون الذين قبلهم فلم يؤمنوا» . وذكر أبو حيان ٤٥٨/٦ وجهاً غريباً في ذلك ، واستبعده ، وهو حري بذلك ، وهو أن الضمير في (لَهُ) لرسول الله ﷺ .

(٤) تفسير الثعلبي ١٩٩/٨ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٦٩/٤ .

(٦) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى : ﴿وَلْيَسْتَبَرُّوا مَا عَلَوْا تَنْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧] : «يقال تبر الشيء يَتَبَرُّ تَبَاراً إذا هلك ، وَتَبَّرَهُ أَهْلَكَهُ» ، وقال أبو إسحاق : «وكل شيء كَسَّرَتْهُ وَفَتَّتَهُ فَقَدْ تَبَرَّتْهُ ، ومن هذا تبر الرَّجَّاج وتبرَّ الذهب لِكُسْرِهِ» .

٤٠. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنَوَّا﴾ : يعني كفار مكة^(١). ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ : يعني قرية قوم لوط^(٢) ﴿الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرًا سَوِيًّا﴾ : قال مقاتل وغيره : «يعني : الحجارة ، كل حجر في العظم على قدر إنسان»^(٣). ﴿أَفَكَمْ يَكُونُوا يَكُونُوهَا﴾ في أسفارهم إذا مروا بها فيخافوا ويعتبروا^(٤).

قال ابن عباس : «كانت قريش في تجارتها إلى الشام تمر بمدائن قوم لوط»^(٥) ؛ وذلك قوله : ﴿وَلَا تَكْفُرُوا لَهُمْ عَلَيْهِمْ مُّصِيبَاتٌ﴾ [الصفات : ١٣٧] .

(١) تنوير المقباس ٣٠٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٦٩/٤ ، وتفسير السمرقندي ٤٦١/٢ ، وتصدير قصة قوم لوط ﷺ باللام وقد دليل على عظم إعراضهم عن الانتفاع بالمواعظ والزواجر ، والله أعلم .

(٢) تنوير المقباس ٣٠٣ ، والزجاج ٦٩/٤ ، والسمرقندي ٤٦١/٢ ، وذكر الثعلبي ٨٩٩/٨ ، والبخاري ٢٧٣/٣ ، والرازي ٨٤/٢٤ ، وأبو حيان ٤٥٨/٦ الذي نسبته إلى ابن عباس ، وأبو السعود ٢١٩/٦ ، والألوسي ٢١/١٩ أنها خمس قرى ، فأهلك الله أربعاً ، وبقيت الخامسة ، وكان أهلها لا يعملون ذلك العمل الخبيث . وهذا مخالف لظاهر القرآن ؛ لأن الله - تعالى - لم يستثن منهم قرية ، بل استثنى من العذاب أهل لوط ﷺ فقط . قال الله تعالى : ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ (٣) ﴿لَا عَجُوزًا فِي الْفَتَرَيْنِ﴾ (٣) ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الشعراء : ١٧٠-١٧٣] ، وقال ابن كثير ١٧٤/٤ : «والغرض أن الله - تعالى - أهلكهم عن آخرهم بتكذيبهم نبي الله لوطاً - عليه السلام -» . وذكر ابن عطية ٤٢/١١ ، وابن كثير ١١٢/٦ ، والبيضاوي ١٤٢/٢ أن اسم القرية سدوم بالشام . قال أبو حاتم في كتاب السُّمُزَالِ وَالْمُفْسَدِ : «إنما هو سدوم ، بالذال المعجمة ، والذال خطأ» . نقله الأزهرى في تهذيب اللغة ٣٧٤/١٢ ، وصححه ، وعنه ياقوت في معجم البلدان ٢٢٦/٣ ، واقتصر المراغي ١٨/١٩ ، والألوسي ٢١/١٩ على ذكرها بالذال .

(٣) تفسير مقاتل ٤٥ ، وذكره البرسوي ٢١٤/٦ غير منسوب ، وهي حجارة السجيل المذكورة في قوله تعالى : ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ مَّنْصُورٍ﴾ [هود : ٨٢] ، ووصف مقاتل لها بأنها في العظم على قدر الإنسان يحتاج إلى إثبات ؛ ووصفها بالإمطار يدل على أنها شبيهة بالمطر في الكثرة ، والتتابع ولا يلزم من ذلك كبرها وعظمتها ، والله أعلم .

(٤) تفسير الثعلبي ٨٩٩/٨ ، وتفسير الماوردي ١٤٦/٤ .

(٥) ذكره البغوي ٨٥/٦ غير منسوب ، ونسبه القرطبي ٣٤/١٣ إلى ابن عباس رضي الله عنها .

ثم أعلم الله - عز وجل - أن الذي جرأهم على التكذيب ، وترك المبالاة بما شاهدوا من التعذيب في الدنيا أنهم كانوا لا يصدقون بالبعث ، فقال : ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَتَّخِذُونَ نَذْرًا﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «لا يخافون بعثاً ، ولا يصدقون به»^(١) .

٤١ . قوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ ؛ أي ما يتخذونك إلا مهزواً به^(٢) ، ثم ذكر أي شيء يقولون من الاستهزاء ، فقال : ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ ؛ أي قالوا مستهزئين : أهذا الذي بعثه الله رسولاً إلينا^(٣) ؟ وجواب (إذا) هو ما أضمر من القول على تقدير : وإذا رأوك قالوا : أهذا الذي بعث الله^(٤) ؟ . وقوله : ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ جملة اعترضت بين ﴿وَإِذَا﴾ ، وجوابها ، والمعنى : إذا رأوك مستهزئين قالوا هذا القول ، وهو قولهم :

(١) تفسير مقاتل ٤٥ ب . أخرج ابن أبي حاتم ١١٨٢ عن قتادة في قوله تعالى : ﴿لَا يَتَّخِذُونَ﴾ «أي لا يخافون» ، وأخرج ابن جرير ١٧/١٩ عن ابن جريج : ﴿وَلَا تُشْوَكَ﴾ بعثاً . قال ابن الجوزي : «أي لا يخافون بعثاً ، هذا قول المفسرين» . زاد المسير ٩١/٦ ، وقال الزجاج : «الذي عليه أهل اللغة أن الرجاء ليس بمعنى الخوف ، وإنما المعنى : بل كانوا لا يرجون ثواب عمل الخير ، فركبوا المعاصي» . معاني القرآن للزجاج ٦٩/٤ ، وارتضى هذا القول الرازي ٨٤/٢٤ ، وجوز القرطبي ٣٤/١٣ القولين .

(٢) تفسير الطبري ١٧/١٩ بنحوه . قال أبو حيان ٤٥٨/٦ : لم يقتصر المشركون على إنكار نبوة الرسول ﷺ وترك الإيمان به ، بل زادوا على ذلك بالاستهزاء والاحتقار ، حتى يقول بعضهم لبعض : ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ .

(٣) ذكر مقاتل في تفسيره ٤٥ ب أنها نزلت في أبي جهل ، وكذا السمرقندي ٤٦١/٢ ، والثعلبي ٨/٩٩ ، والبغوي ٨٥/٦ ، والقرطبي ٣٤/١٣ ، وأخبر بلفظ الجمع تعظيماً لقبح صنعه ، أو لكون جماعة معه قالوا ذلك . تفسير أبي حيان ٤٥٨/٦ .

(٤) ذكر النحاس ٣/١٦٢ أن جواب (إذا) هو قوله تعالى : ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾ ؛ لأن معناه : يتخذونك . وأشار إلى القول الذي ذكره الواحدي بقوله : «وقيل : الجواب محذوف ؛ لأن المعنى : قالوا : أهذا الذي بعث هو ﷺ» .

٤٢. ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ . قال ابن عباس : «لقد كاد أن يصرفنا عن عبادة آلهتنا»^(١) ، وقال مقاتل : «استزلنا عن ديننا»^(٢) . قال الله سبحانه : ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ ؛ أي بما يعاينوه في الآخرة . ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ : من أخطأ طريقاً عن الهدى أهم أم المؤمنون ، قاله مقاتل^(٣) ، وقال غيره : المعنى : يعلمون أنه لا أحد أضل منهم^(٤) .

٤٣. ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾^(٥) . قال عطاء عن ابن عباس : «أرأيت يا محمد ، من عرف أني إلهه ، وخالقه ، ثم هوى حجراً يعبده فما حاله عندي ؟»^(٦) .

(١) تنوير المقياس ٣٠٣ ، وتفسير السمرقندي ٤٦٢ / ٢ من دون نسبة ، وهذا يدل على عظم حرص النبي ﷺ على هداية قومه ، ومجاهدتهم بكل ما يستطيع . تفسير الزمخشري ٢٧٤ / ٣ ، قال المراغي : «وهذا منهم مغالاة ، حيث سمّوا دعوته إضلالاً . تفسير المراغي ١٩ / ١٩ ، ويشبه هذا ما حكاه الله تعالى عن فرعون : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] .

(٢) تفسير مقاتل ٤٥ ب . وجمعهم بين الاستهزاء بالنبي ﷺ ووصفه بأنه كاد أن يضلهم عن دينهم ، دليل على حيرتهم في أمره ، تارة يستهزئون به ، وتارة يصفونه بما لا يليق إلا بالعالم الكامل . تفسير أبي حيان ٤٥٩ / ٦ .

(٣) تفسير مقاتل ٤٥ ب .

(٤) قال الثعلبي ٨ / ٩٩ أ : «هذا وعيد لهم» .

(٥) في تقديم ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣] إفادة حصر ؛ فإن الكلام قبل دخول (أرأيت) مبتدأ وخبر ؛ المبتدأ : هوأه ، والخبر : إلهه ، وتقديم الخبر يفيد الحصر ، فكأنه قال : أرأيت من لم يتخذ معبوده إلا هوأه ، فهو أبلغ في ذمه وتوبيخه . الانتصاف بحاشية الكشف ٣ / ٢٧٤ .

(٦) تفسير الماوردي ٤ / ١٤٦ ، والبعوي ٦ / ٨٥ بنحوه منسوباً إلى ابن عباس .

وقال الكلبي : «كانت العرب إذا هوى الرجل منهم شيئاً عبده من دون الله ، فإذا رأى أحسن منه عبده حجراً أو شجراً أو أشباههما»^(١) .

وقال سعيد بن جبير : «كان أهل الجاهلية يعبد أحدهم الحجر فإذا رأى أحسن منه أخذه وترك الأول»^(٢) .

وقال مقاتل : «وذلك أن الحارث بن قيس السهمي^(٣) هوى حجراً فعبد»^(٤) ، وعلى هذا القول تقدير الآية : أرأيت من اتخذ إلهه بهواه ، فحذف الجار^(٥) ، أو : إلهه ما يهواه ، فسُمي المفعول باسم المصدر ، يقال : فلان هوّى لفلان ، إذا كان يهواه ويميل إليه ، ومنه قول الشاعر :

هَوًى بِتِهَامَةٍ وَهَوًى بِنَجْدٍ فَمَا أَذْرِي أَنْجِدُ أَمْ أَغُورُ^(٦)

ومعنى الآية : تعجيب النبي ﷺ من نهاية جهلهم حين عبدوا ما دعاهم إليه الهوى ، وما يدعو إليه الهوى باطل^(٧) ، وهذا القول اختيار الفرّاء^(٨) .

- (١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٦٨ بمعناه من دون نسبة ، ونسبه القرطبي ١٣/ ٣٥ إلى الكلبي .
- (٢) تفسير الثعلبي ٨/ ١٩٩ من دون نسبة ، وأخرج ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٩٩ نحوه منسوباً إلى ابن عباس . ومثل رواية ابن أبي حاتم ذكر الماوردي ٤/ ١٤٦ ، وابن كثير ٦/ ١١٣ .
- (٣) الحارث بن قيس بن عدي بن سعد القرشي السهمي ، ذكره ابن جرير ١٤/ ٧٠ في المستهزين عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ ﴾ [الحجر : ٩٥] .
- (٤) تفسير مقاتل ٤٥ ، ونسبه العز ٢/ ٤٢٦ إلى الحسن .
- (٥) تفسير القرطبي ١٣/ ٣٥ .
- (٦) لم أقف على من أنشد البيت ، ولا على قائله . وفي لسان العرب (غور) ٥/ ٣٤ : «غور تهامة : ما بين ذات عرق والبحر وهو الغور ، وقيل : الغور تهامة وما يلي اليمن» .
- (٧) فلاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوْنَهُ ﴾ للتقرير ، والتعجيب . البياضوي ٢/ ١٤٢ .
- (٨) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٦٨ .

وفي الآية قول آخر ؛ وهو قول الحسن وابن عباس . قال ابن عباس : «الهوى إله يعبد من دون الله»^(١) .

وقال الحسن : «لا يهوى شيئاً إلا اتبعه»^(٢) . وذكر الزجاج القولين ، فقال في القول الثاني : «أي أطاع هواه ، وركبه فلم يبال عاقبة ذلك»^(٣) ، وهو اختيار ابن قتيبة ، قال : «يقول : يتبع هواه ويدع الحق فهو كالإله»^(٤) .

قوله تعالى : ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد لست عليه بمسيطر»^(٥) .

وقال مقاتل : «يريد أن تكون بيدك المشيئة في الهوى والضلالة»^(٦) ، والمعنى : أفأنت عليه حافظ ، تحفظه من اتباع هواه ، وعبادته ما يهوى من دون الله^(٧) ؛ أي لست كذلك . قال الكلبي : «نسختها آية القتال»^(٨) .

(١) تفسير الثعلبي ٨/ ٩٩ منسوباً إلى ابن عباس فقط ، وعنه نقل ابن عطية ١١/ ٤٣ ، وذكره القرطبي ١٣/ ٣٥ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٠٠ ، وأخرج بسنده عن قتادة : «والله لكلما هوى شيئاً ركه ، وكلما اشتهى شيئاً أتاه ، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى» . وزاد السيوطي ٦/ ٢٦٠ نسبه إلى عبد بن حميد . وأخرج عبد بن حميد عن الحسن أنه قيل له : في أهل القبلة شرك ؟ فقال : نعم ؛ المنافق مشرك ، إن المشرك يسجد للشمس والقمر من دون الله ، وإن المنافق يعبد هواه ، ثم تلا هذه الآية : ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ . الدر المنثور ٦/ ٢٦١ ، قال الألوسي ١٩/ ٢٤ بعد أن ساق هذا القول : «والمنافق عند الحسن مرتكب المعاصي كما ذكره غير واحد من الأجلة» .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٦٩ .

(٤) غريب القرآن إلى ابن قتيبة ٣١٣ ، قال القرطبي ١٣/ ٣٥ بعد أن ذكر القولين : «والمعنى واحد» .

(٥) تفسير الماوردي ٤/ ١٤٦ منسوباً إلى السدي ، ونحو هذا المعنى قوله تعالى : ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] ، ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [قال: ٤٥] .

(٦) تفسير مقاتل ٤٥ ب .

(٧) في غريب القرآن إلى ابن قتيبة ٣١٣ : ﴿وَكَيْلًا﴾ أي كفيلاً ، وقيل : حافظاً . ونسب الماوردي ٤/ ١٤٣ الأول إلى الكلبي ، والثاني إلى يحيى بن سلام . قال الثعلبي ٨/ ٩٩ : «أي حفيظاً من الخروج إلى هذا الفساد» .

(٨) تنوير المقباس ٣٠٣ ، والوسيط ٣/ ٣٤١ ، ولم ينسب هذا القول في الوجيز ٢/ ٧٨٠ ، وصدره =

٤٤. أي ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾ بل أتحسب يا محمد^(١). ﴿أَنْ أَكْثَرَهُمْ﴾^(٢). قال ابن عباس: «يريد أهل مكة ﴿يَسْمَعُونَ﴾ ما يذكرهم به سماع طالب للفهم»^(٣) ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾؛ أي يميزون الهدى من الضلالة. ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ﴾. قال مقاتل: «في الأكل والشرب، لا يلتفتون إلى الآخرة»^(٤)، وقال الكلبي: «شبههم بالأنعام في المأكول والمشرب

بقوله: «وقيل: إن هذا مما نسخته آية السيف». وجزم بالنسخ الثعلبي ٨/ ١٩٩، ولم ينسبه. وصدره ابن الجوزي ٦/ ٩٣ بقوله: وزعم الكلبي وصدره القرطبي ١٣/ ٣٦ بـ (قيل)، ثم قال: «وقيل: لم تنسخ؛ لأن الآية تسلية للنبي ﷺ». وصدر الشوكاني ٤/ ٧٥ القول بالنسخ بـ (قيل) ولم ينسبه، ولم يذكر غيره. والصحيح أن الآية لا نسخ فيها؛ إذ لا دليل عليه، وآيات العفو والصفح والإعراض يعمل بها في أوقاتها المناسبة، والله أعلم.

قال الزركشي: «وبهذا التحقيق تبين أن ما لهج به كثير من المفسرين في الآيات الآمرة بالتخفيف أنها منسوخة بآية السيف، وليست كذلك بل هي من المنسأ، بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعله توجب ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر، وليس بنسخ، إنما النسخ الإزالة حتى لا يجوز امتثاله أبداً». البرهان في علوم القرآن ٣/ ٤٩، وإذا عرفنا أن اصطلاح النسخ في عرف المتقدمين أوسع من اصطلاح المتأخرين زال الإشكال. قال شيخ الإسلام: «والمنسوخ يدخل فيه في اصطلاح السلف العام: كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجح كتخصيص العام، وتقييد المطلق». الفتاوى ١٣/ ٢٧٢.

(١) تنوير المقباس ٣٠٣، فـ ﴿أَمْ﴾ هنا للإضراب، والأقرب أنها هنا عديلة لألف الاستفهام. انظر: معاني الحروف للرماني ٧٠، وجعل البضاوي ٢/ ١٤٢ الاستفهام للإنكار، والله أعلم. قال أبو السعود ٦/ ٢٢١: «إضراب وانتقال عن الإنكار المذكور إلى إنكار حسبانته ﷺ هم ممن يسمع أو يعقل؟». واقتصر على القول بالإنكار الشوكاني ٤/ ٧٥، وذكر ابن عاشور ١٩/ ٣٧ قولاً قريباً من كلام أبي السعود. قال الشنقيطي ٦/ ٣٣١: ﴿﴿أَمْ﴾﴾ في هذه الآية هي المنقطعة، وأشهر معانيها أنها جامعة بين معنى (بل) الإضرابية، واستفهام الإنكار معاً.

(٢) قال النحاس: «ولم يقل: أنهم؛ لأن منهم من قد علم أنه يؤمن». إعراب القرآن ٣/ ١٦٢، وقال الرازي ٢٤/ ٨٦: «لأنه كان فيهم من يعرف الله تعالى، ويعقل الحق، إلا أنه ترك الإسلام لمجرد حب الرياسة لا للجهل»، ويحمل أيضاً على أن منهم من رضي باتباع الرؤساء والزعماء، ولم يكلف نفسه حتى السماع. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَصْلَحُونَا أَلَسِيْلًا﴾ [الأحزاب: ٦٧].

(٣) تفسير الثعلبي ٨/ ٩٩ بـ.

(٤) تفسير مقاتل ٤٥ بـ. وأخرج ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٠٠ بسنده عن ابن عباس قال: «مثل الذين كفروا

لا تعقل غيره»^(١)، وقال الزَّجَّاج: «في قلة التمييز في ما جعل دليلاً لهم من الآيات، والبرهان»^(٢). ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾. قال ابن عباس: «يريد أن البهائم ليس عليها عقاب ولا لها ثواب»^(٣)، وهذا معنى قول الكلبي؛ لأنها لا حجة عليها»^(٤).

قال مقاتل: «يقول الله: بل هم أخطأ طريقاً من البهائم؛ لأنها تعرف ربها وتذكره، وأهل مكة لا يعرفون ربهم فيوحدونه»^(٥)، وهذا المعنى أراد الزَّجَّاج، فقال: «لأن الأنعام تسبح بحمد الله، وتسجد له، وهم كما قال الله تعالى: ﴿فَهَيَّ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾»^(٦) [البقرة: ٧٤]، وقيل: لأن الأنعام تنقاد لأربابها الذين يُعَلِّفونها ويتعهدونها، وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق، ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم»^(٧)، ونظير هذه الآية في سورة الأعراف»^(٨).

كمثل البعير والحمار والشاة، إن قلت لبعضهم: كل، لم يعلم ما تقول غير أنه يسمع صوتك، كذاك الكافر إن أمرته بخير أو نهيته عن شر أو وعظته لم يعقل ما تقول غير أنه يسمع صوتك».

- (١) تنوير المقياس ٣٠٣.
- (٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٦٩/٤ بنصه.
- (٣) تنوير المقياس ٣٠٣ بنصه.
- (٤) تنوير المقياس ٣٠٣ بمعناه.
- (٥) تفسير مقاتل ٤٦ أ.
- (٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٧٠/٤.
- (٧) تفسير الثعلبي ٨/٩٩ ب. وذكر الرازي ٨٦/٢٤ وجوهاً ستة في كونهم أضل من الأنعام.
- (٨) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

٤٥. قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ ^(١) ذَكَرَ فِيهِ أَوْجَهُ . قال مقاتل : « أَلَمْ تَرَ إِلَى فِعْلِ رَبِّكَ » ^(٢) .

وعلى هذا الآية من باب حذف المضاف ^(٣) . وقال أبو إسحاق : « ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ ، وهذا من رؤية القلب » ، قال : « ويجوز أن يكون من رؤية العين ، ويكون المعنى : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ رَبِّكَ » ^(٤) ، وهذا قريب مما ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ مَقْلُوبٌ ؛ عَلَى تَقْدِيرٍ : أَلَمْ تَرَ إِلَى الظِّلِّ كَيْفَ مَدَّهُ رَبُّكَ ^(٥) ، قال : « والأجود أن يكون بمعنى العلم » ^(٦) .

﴿ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ . قال أبو عبيدة : « الظل ما تنسخه الشمس ، وهو

(١) قال الرازي ٨٨ / ٢٤ : « اعلم أنه تعالى لما بين جهل المعرضين عن دلائل الله تعالى وفساد طريقتهم في ذلك ذكر بعده أنواعاً من الدلائل الدالة على وجود الصانع » ، ثم جعل هذه الآية النوع الأول ، وذكر نحوه أبو حيان ٦ / ٤٦٠ ، وهذا غير مسلم ؛ لأن القوم لم يكونوا منكروا لوجود الله حتى تساق لهم الآيات والبراهين الدالة عليه ، فالأولى أن تكون هذه الآيات سبقت لإلزامهم بإفراد الله بالعبادة ، من خلال مشاهدتهم لهذه الآيات المختلفة والمتضادة التي لا ينكرونها ، والتي لا تقدر الآلهة على شيء منها ، فأقرارهم بوحداية الله في خلقه لها وتصريفها مع عجز جميع المخلوقات عن التصرف فيها مستلزم الإقرار بتوحيد الألوهية ، ويدل لهذا توجيه الخطاب إلى النبي ﷺ ليعلمهم بذلك . وجعل ابن عاشور ٣٩ / ١٩ هذه الآية مفيدة تمثيل هيئة تنزيل القرآن منجماً ، بهيئة مد الظل مدرجاً ، ولو شاء لجعله ساكناً ، وفيه بعد ، والله أعلم .

(٢) لم أجده في تفسير مقاتل . وفي تنوير المقياس ٣٠٣ : « أَلَمْ تَنْظُرْ إِلَى صَنِيعِ رَبِّكَ » ، وكذا عند الزمخشري ٣ / ٢٧٥ غير منسوب ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿ صُنِعَ اللَّهُ لِدَايَ أَنْفَنَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل : ٨٨] .

(٣) تفسير السمرقندي ٢ / ٤٦٢ ، وفيه : « أَلَمْ تَرَ إِلَى صَنِيعِ رَبِّكَ » .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٧٠ ، واقتصر ابن عطية ١١ / ٤٤ على أن المراد به : رؤية القلب .

(٥) تفسير السمرقندي ٢ / ٤٦٢ غير منسوب .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٧٠ .

بالغداة»^(١) . والكلام في معنى الظل قد تقدّم^(٢) .

والمفسرون جميعاً قالوا في معنى الظل هاهنا : إنه الظل من وقت طلوع
الفجر ، إلى وقت طلوع الشمس^(٣) .

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٧٥ / ٢ بمعناه . وقال في ٧٦ : «والفيء : ما نسخ الشمس من الظل ، وهو بالعشي ، إذا استدارت الشمس . والغدوة : من أول النهار» . المفردات للراغب ٣٥٨ ، وقال الراغب في ٣١٤ : «الظل أعم من الفيء ، فإنه يقال : ظل الليل ، وظل الجنة ، ويقال لكل موضع لم تصل إليه الشمس ظل ، ولا يقال الفيء إلا لما زال عنه الشمس» .

(٢) قال الواحدي في تفسير قوله الله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾ [البقرة : ٥٧] : «الظل في اللغة معناه الستر ، يقال : لا أزال الله عنا ظل فلان ؛ أي ستره ، وظل الشجرة سترها ، ويقال لظلمة الليل : ظل ؛ لأنها تستر الأشياء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَيْكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ [الفرقان : ٤٥]» .

(٣) أخرجه عبد الرزاق ٧٠ / ٢ عن الحسن وقتادة ، وذكره البخاري تعليقاً عن ابن عباس . فتح الباري ٨ / ٤٩٠ ، ووصله من طريق علي بن أبي طلحة ابن جرير ١٨ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٠١ ، وأخرجه ابن جرير ١٨ / ١٩ بإسناده عن سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وكذا ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٠١ ، وزاد نسبه إلى أبي العالية ، والنخعي ، ومسروق ، والحسن ، وهو قول مقاتل ٤٦ ، والقرءاء في معاني القرآن ٢ / ٢٦٨ ، وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٣١٤ ، والزجاج في معاني القرآن ٤ / ٧٠ .

ويرى ابن عطية ١١ / ٤٥ أن المراد بالظل في الآية : هو ما بين أول الإسفار إلى بزوغ الشمس ، ومن بعد مغيبها مدة يسيرة ، وردّ ما خالفه بقوله : «وتظاهرت أقوال المفسرين على أن هذا الظل هو من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، وذلك معترض بأن ذلك في غير نهار ، بل في بقايا الليل ، فلا يقال له : ظل» . ونقل قوله ابن جزي ٤٨٥ ، وأبو حيان ٦ / ٤٦٠ ، ولم يتعقباه ، وردّه ابن حجر بقوله : «لأن الذي نقل أنه يُطْلَق على ذلك (ظل) ثقة مُثْبِت ، فهو مقدم على النافي ، حتى ولو كان قول النافي محققاً لما امتنع إطلاق ذلك عليه مجازاً . فتح الباري ٨ / ٤٩١ ، والأولى أن يقال : إن اعتراض ابن عطية لا وجه له ؛ لأن النهار في لسان الشرع يبدأ من دخول وقت الفجر ، فلا يقال للوقت بعد طلوع الفجر إلى الإسفار : ليل ، قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، وقال ﷺ : «إِنَّ بِلَالاً يُؤَدِّنُ بَلِيلَ فُكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَنَادِيَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ» ثُمَّ قَالَ وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى لَا يَنَادِي حَتَّىٰ يُقَالَ لَهُ أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ» . أخرجه البخاري في الأذان ، رقم : ٦١٧ ، والفتح ٢ / ٩٩ ، ومسلم ٢ / ٧٦٨ ، كتاب : الصيام ، رقم : ١٠٩٢ ، والله أعلم .

فالظل الذي يكون بعد طلوع الفجر ، وانبساطه قبل طلوع الشمس وظهورها على الأرض هو الذي أراد الله بقوله : ﴿مَدَّ الظِّلَّ﴾ . واستدلوا بقوله في صفة ظل الجنة : ﴿وِظِلِّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة : ٣٠] ؛ أي لا شمس فيه^(١) . كذلك الظل في ما بين هذين الوقتين لا شمس معه ، فهو ظل ممدود^(٢) .

وقوله : ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «يقول لو شئت لجعلت الظل دائماً لا يزول إلى يوم القيامة»^(٣) .

وقال مجاهد : «لا تصيبه الشمس ولا يزول»^(٤) .

وقال الحسن : «ساكناً كما هو»^(٥) .

قال الكلبي : «دائماً لا شمس معه»^(٦) .

(١) تأويل مشكل القرآن ٣١٤ ، حيث استدل بهذه الآية ، وقريب منه في تفسير السمرقندي ٤٦٢ / ٢ ، وتفسير الثعلبي ٩٩ / ٨ ب . قال الرازي ٨٨ / ٢٤ : «وهذه الحالة أطيب الأحوال ؛ لأن الظلمة الخالصة يكرهها الطبع ، وينفر عنها الحس ، وأما الضوء الخالص . . . فهي لقوتها تبهر الحس البصري ، وتفيد السخونة القوية ، وهي مؤذية ، فإذا أطيب الأحوال هو الظل ، ولذلك وصف الجنة به» .

وقال أبو العالية : «نهار الجنة هكذا ، وأشار إلى ساعة المصلين صلاة الفجر» . تفسير القرطبي ٣٧ / ١٣ .

(٢) قال القرطبي ٣٧ / ١٣ : «ليس من ساعة أطيب من تلك الساعة ؛ فإن فيها يجد المريض راحة ، والمسافر وكل ذي علة» .

(٣) تفسير مقاتل ٤٦ أ . وذكر البخاري في كتاب : التفسير ، باب : سورة الفرقان عن ابن عباس : ﴿سَاكِنًا﴾ دائماً . الفتح ٨ / ٤٩٠ ، ووصله ابن جرير ١٩ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٠٢ من طريق علي بن أبي طلحة .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٩ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٠٢ ، وتفسير مجاهد ٢ / ٤٥٣ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٠٢ .

(٦) تنوير المقياس ٣٠٤ .

وقال الفراء والزجاج : «أي ثابتاً دائماً لا يزول»^(١) .

وقال ابن قتيبة : «أي مستقراً دائماً حتى يكون كظل الجنة الذي لا تنسخه الشمس»^(٢) .

وقال صاحب النظم : «ليس هذا من السكون الذي هو ضد الحركة ؛ لأن الظل ساكن أبداً ، ولكنّه من السكون الذي هو بمعنى الإقامة ، يقال : سكن فلان بلد كذا ؛ أي أقام فيه» .

قوله : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ ذكر فيه قولان ؛ قال مقاتل : «يعني على الظل دليلاً تعلوه الشمس فتدفعه حتى تأتي على الظل كله»^(٣) ، وهذا معنى قول مجاهد : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ ، قال : «تحويه»^(٤) ؛ أي تأخذه» .

وقال الكلبي : «حيثما يكون الظل تكون الشمس»^(٥) .

وقال أبو إسحاق : «الشمس دليل على الظل وهي تنسخ الظل»^(٦) . وهذه الأقوال معناها واحد ، ويبانها ما ذكره صاحب النظم ، فقال : «دليل ، هاهنا فاعيل بمعنى : مفعول ، نحو : العتيل ، والدهين ، والخصيب»^(٧) . والمعنى : دللنا

(١) معاني القرآن للفراء ٢/٢٦٨ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤/٧٠ .

(٢) تأويل مشكل القرآن ٣١٤ بنصّه ، ونحوه في تفسير غريب القرآن ٣١٣ .

(٣) تفسير مقاتل ٤٦٤ ، وفيه (يتلو) بدل (تعلوه) . وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/٢٧٠٢ عن قتادة والسدي . قال الهواري ٣/٢١٢ : «تبعه ، وتقبضه» .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٩/١٩ ، وابن أبي حاتم ٨/٢٧٠٢ ، وتفسير مجاهد ٢/٤٥٣ .

(٥) تنوير المقياس ٣٠٤ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤/٧٠ .

(٧) هكذا في (أ) و(ب) : (العتيل) ، وأهمّل وضع النقط في (ج) . العتيل : الأجير . تهذيب اللغة

٢/٢٧١ ، واللسان (عتل) ١١/٤٢٤ ، الدهين : الناقة القليلة اللبن ، ورجل دهين : ضعيف . تهذيب

اللغة ٦/٢٠٦ ، واللسان (دهن) ١٣/١٦١ ، الخصيب : الرجل إذا كان كثير خير المنزل ، يقال : إنه =

الشمس على الظل حتى ذهبت به ؛ أي أتبعناها إياه . يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ ؛ أي شيئاً بعد شيء^(١) .

القول الثاني : قال ابن عباس : «يدل الشمس على الظل»^(٢) . واختار ابن قتيبة هذا القول وشرحه ، فقال : «تقول لما طلعت الشمس : دلت عليه ، وعلى معناه ، وكل الأشياء تعرف بأضدادها ، ولولا الشمس ما عرف الظل ، ولولا النور ما عرفت الظلمة ، ولولا الحق ما عرف الباطل ، وهكذا سائر الألوان والطعوم ، قال الله تعالى : ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات : ٤٩] يريد : ضدين ذكراً وأنثى ، وأسود وأبيض ، وحلواً وحامضاً ، وأشباه ذلك^(٣) ، وعلى هذا القول دليل : فعيل بمعنى فاعل^(٤) .

٤٦ . وقوله : ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ فيه قولان ؛ قال مجاهد : «يعني حوى الشمس إياه»^(٥) .

خصيب الرجل . ويقال : مكان مخصب ، وخصيب . تهذيب اللغة ٧ / ١٥٠ ، واللسان (خصب) = ٣٥٦ / ١ .

(١) قال ابن جرير ١٩ / ١٩ : «ثم دللناكم أيها الناس بنسخ الشمس إياه عند طلوعها عليه أنه خلق من خلق ربكم ، يوجد إذا شاء ، ويفنيه إذا أراد» .

(٢) ذكر البخاري عن ابن عباس (دليلاً) : طلوع الشمس . كتاب : التفسير ، باب : سورة الفرقان . فتح الباري ٨ / ٤٩٠ ، ووصله ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٠٢ من طريق علي ابن أبي طلحة .

(٣) تأويل مشكل القرآن ٣١٤ .

(٤) الظاهر أن لا فرق بين القولين ، وقد ساق ابن جرير الآثار السابقة مجمعة بعد تقريره أن الشمس دليل على الظل ، والله أعلم . وفي جعل الشمس دليلاً على الظل مصلحة ظاهرة للعباد ، فينبون حاجتهم إلى الظل ، واستغناءهم عنه على حسب ذلك . تفسير الزمخشري ٣ / ٢٧٥ ، وزاد عليه ابن عاشور ٤٣ / ١٩ فوائد أخرى .

ومعنى الآية واضح ظاهر ، ومع ذلك قال ابن عاشور ٤١ / ١٩ : «ولم يفصح المفسرون عن معنى هذه الجملة إفصاحاً شافياً» ، ثم قال ٤٢ : «وتعدية ﴿دليلاً﴾ بحرف على يفيد أن دلالة الشمس على الظل هنا دلالة تنبيه على شيء قد يخفى . والله أعلم» .

(٥) يعني : الظل . أخرجه ابن جرير ١٩ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٠٣ .

وقال الكلبي : «إذا طلعت الشمس قبض الله الظل قبضاً يسيراً»^(١) .

وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل : «خفياً»^(٢) . وقال عطاء : «سهلاً»^(٣) .

وقال الفرّاء : «الظل إذا لحقته الشمس قبض قبضاً يسيراً»^(٤) . ومعنى الآية على هذا القول : ثم جمعنا أجزاء الظل المنبسطة بتسليط الشمس عليه حتى تنسخها شيئاً فشيئاً^(٥) فذلك قوله : ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ ؛ وذلك أن الظل بعد طلوع الشمس لا يذهب كله دفعة ، وإنما يقبض الله - جل وعز - ذلك الظل قبضاً خفياً ، شيئاً بعد شيء ، ويُعَقَّبُ كُلُّ جزء منه يقبضه بجزء من ضياء الشمس حتى يذهب كله^(٦) .

القول الثاني : ذكره ابن قتيبة ، واختاره ، فقال : «المراد بقبض الظل هاهنا : الظل الذي يعود بعد غروب الشمس إلى ظلمة الليل وسواده ؛ وذلك أن الشمس إذا غربت عاد الظل الممدود ، ثم يقبض الله ذلك الظل بانتشار الظلمة وتزايدها ، ولا يُقْبَلُ الظلام كله جملة ، وإنما يقبض الله ذلك الظل شيئاً بعد شيء بجزء من سواد الليل»^(٧) .

(١) في تنوير المباس ٣٠٤ : «﴿ثُمَّ قَبْضَتْهُ﴾ عني : الظل» ، واستشهد عليه الهواري ٢١٢/٣ بقوله تعالى : ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ . قال النحاس في إعراب القرآن ٤٦٢/٢ : «ويقال يسيراً ، يعني : خفياً فلا يدري أحد أين يصير ، وكيف يصير» ، ونسبه الواحدي في الوسيط ٣٤٢/٣ إلى الكلبي .

(٢) أخرج ابن جرير ٢٠/١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٧٠٣/٨ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من طريق علي ابن أبي طلحة : «﴿يَسِيرًا﴾ سريعاً ، وأخرجنا عن مجاهد : خفياً ، وهو قول مقاتل ٤٦٦ أ . وجمع بين القولين ابن جرير ٢٠/١٩ فقال : «فمعنى الكلام إذا كان ذلك كذلك ، يتوجه لما روي عن ابن عباس ، ومجاهد ؛ لأن سهولة قبض ذلك قد تكون بسرعة وخفاء» .

(٣) ذكره ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٣١٥ ، ولم ينسبه ، وكذا الزجاج في معاني القرآن ٧٠/٤ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢٦٨/٢ .

(٥) ذكر نحوه الثعلبي ٩٩/٨ ب .

(٦) تأويل مشكل القرآن ٣١٥ بنصّه .

(٧) تأويل مشكل القرآن ٣١٥ بمعناه ، وذكر هذا القول ابن جرير الطبري ٢٠/١٩ ، ولم ينسبه .

وعلى هذا القول المراد : قبض الظل بسواد الليل . وعلى القول الأول : قبضه بضياء الشمس . وهذا القول أعم ؛ لأن الظل إنما يقبض بضياء الشمس ، حيث يكون شخص يقع له ظل ، فأما البراري والصحاري فإن ظلها يقبض عند طلوع الشمس دفعة واحدة ، فيخرج عن قوله : ﴿ قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ ، ويقوي القول الأول قوله : ﴿ ثُمَّ قَبْضَتُهُ ﴾ ، والكناية تعود إلى الظل الذي سبق ذكره ؛ وهو ظل الغداة^(١) بإجماع المفسرين^(٢) . وفي القول الثاني : الكناية تعود إلى ظل من جنس الظل المذكور .

وقال ابن قتيبة : « دل الله - عز وجل - بهذا الوصف على قدرته ، ولطفه ، في معاقبته بين الظل ، والشمس ، والليل ، لمصالح عباده وبلاده ، قال : وهذا القول الثاني أجمع للمعاني وأشبه بما أراد الله »^(٣) ، يعني أنه يشتمل على ذكر الليل ، وإدخاله بعد غروب الشمس .

وأجاز أبو علي الفارسي ، في قوله : ﴿ ثُمَّ قَبْضَتُهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ ، قولاً ثالثاً ، فقال : « يجوز أن تعود الكناية من قوله : ﴿ قَبْضَتُهُ ﴾ إلى ضياء الشمس ؛ لأنه يقبض أيضاً قبضاً يسيراً على التدرج » .

وعلى هذا معنى الآية : ثم قبضنا ضياء الشمس بالفيء قبضاً يسيراً^(٤) .

(١) أي ظل أول النهار . قال تعالى : ﴿ بِالْغَدَوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام : ٥٢ ، الكهف : ٢٨] المفردات للراغب ٣٥٨ .

(٢) سبق أن أشار الواحدي إلى هذا بقوله : « والمفسرون جميعاً قالوا في معنى الظل هاهنا : إنه الظل من وقت طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس » .

(٣) تأويل مشكل القرآن ٣١٥ .

(٤) واختار هذا القول ابن جرير ٢٠ / ١٩ ، حيث قال : « ثم قبضنا ذلك الدليل من الشمس على الظل إلينا قبضاً خفياً سريعاً بالفيء الذي نأتي به بالعشي . وفي الآية وجه آخر ؛ وهو : أن يكون المراد قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَبْضَتُهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ [الفرقان : ٤٦] كأنه يشعر بذلك » . مدارج السالكين ٢٩٣ / ٣ ، وتفسير البيضاوي ١٤٣ / ٢ ، وتفسير أبي السعود ٢٢٣ / ٦ ، =

٤٧ . قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا ﴾ . قال ابن عباس : « يريد ألبسته الظلمة ليسكن فيه » ، وعلى هذا المعنى : ذا لباس من الظلمة ؛ أي ألبس الظلمة ليترك فيه العسل والتصرف . قال مقاتل : « يعني سكناً »^(١) ، وهو معنى وليس بتفسير ، واعتباره بقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴾ [يونس : ٦٧] ^(٢) . وقال أهل العربية والمعاني : جعل الليل لباساً ؛ لأن ظلمته تلبس كل شخص وتغشاه حتى يمنع من إدراكه ، وهو مشتمل عليكم وعلى كل شيء كاللباس الذي يشتمل على لابس^(٣) . ومن هذا قول ذي الرمة :

فَلَمَّا لَبَسْنَا اللَّيْلَ^(٤) البيت

والله تعالى ألبسنا الليل وغشانا لنسكن فيه^(٥) .

= وهذا القول فيه بعد ؛ إذ المراد جعل ذلك آية ظاهرة مشاهدة للناس يدركونها ويشاهدونها في حياتهم ؛ والقول بأن المراد به عند قيام الساعة لا يؤدي هذا المعنى ، والله أعلم .

- (١) تفسير مقاتل ٦٤ ، وهو قول الهواري ٣ / ٢١٢ .
- (٢) تأويل مشكل القرآن ١٤٤ ، وذكر فيه أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٩] .
- (٣) تهذيب اللغة (لبس) ١٢ / ٤٤٤ بمعناه ، وفي تنوير المقباس ٣٠٤ : « ملبساً يلبس كل شيء فيه » .
- (٤) ديوان ذي الرمة ٣١٣ ، والبيت بتمامه :

فَلَمَّا لَبَسْنَا اللَّيْلَ أَوْ حِينَ نَضَبْتُ لَهُ مِنْ خَذَا آذَانَهَا وَهُوَ جَانِحٌ

لبسنا الليل : دخلنا فيه ، يريد نصبت آذانها لبرد الليل ، كانت قد خفضتها ثم رفعت رؤوسها ونصبت آذانها في ذا الوقت حين جنح الليل ، والحذا : الاسترخاء . ديوان ذي الرمة بشرح الخطيب التبريزي ٣١٣ .

- (٥) بنصه في تفسير الطوسي ٧ / ٢٧٠ ، وذكر ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ١٤٤ قولين في معنى (لباساً) ؛ الأول : سترًا وحجاباً لأبصاركم ، والقول الثاني : سكناً ، واقتصر في كتابه الغريب ٣١٣ على القول الأول .

وقوله : ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ . قال الليث : «السبات : النوم شبه غشية . يقال : سبت المريض ، فهو مسبوت»^(١) ، وقال الزَّجَّاج : «السبات أن يقطع عن الحركة والروح في بدنه ؛ أي جعلنا نومكم راحة لكم»^(٢) ، وقد أجاد وأحسن في تفسير السبات^(٣) . وقال ابن الأنباري : «﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ ؛ أي قطعاً لأعمالكم»^(٤) .

قال ابن عباس ومقاتل : «ينتشرون فيه لابتغاء الرزق»^(٥) . والنشور معناه : التفرق ، الانبساط في التصرف ، ومنه : نشور الميت ، وهو حياته ، وحركته ، وتصرفه ، بعد هموده . وحسُن ذكر النشور هاهنا ؛ لأن النائم بالليل يكون بانقطاعه عن العمل كالميت ، فإذا استيقظ بالنهار وأخذ في أعماله كان النهار نشوراً له من وفاة النوم^(٦) . وفي هذه الآية تذكير بالنعم من الله تعالى ؛ وهي النوم الذي فيه راحة الأبدان ، والنهار الذي يصلح للتصرف فيه .

- (١) كتاب العين (سبت) ٢٣٩/٧ ، ونقله عنه الأزهرى في تهذيب اللغة ٣٨٧/١٢ .
- (٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٧٢/٥ في تفسير سورة النبأ . قال مقاتل ٤٦٤ : «يعني الإنسان مسبوتاً لا يعقل كأنه ميت» ، وذكر نحوه الهواري ٢١٢/٣ .
- (٣) تهذيب اللغة (سبت) ٣٨٦/١٢ ، قاله الأزهرى بعد نقل قول الزَّجَّاج . واقتصر ابن قتيبة في الغريب ٣١٣ على تفسير السبات بالراحة ، ثم قال : «وأصل السبات التمدد» ، وذكر الأزهرى ٣٨٦/١٢ عن ابن الأنباري أنه قال : «لا يعلم في كلام العرب سبت بمعنى استراح ، وإنما معنى سبت : قطع» . وجعل الزمخشري ٢٧٦/٣ مقابلة السبات بالنشور يمنع من تفسيره بالراحة ، فقال : «والمسبوت : الميت ؛ لأنه مقطوع الحياة ، وهذا كقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام ٦٠]» . ورد هذا أبو حيان ٤٦٢/٦ ، فقال : «ولا يابأه إلا لو تعين تفسير النشور بالحياة . وهو كلام جيد» .
- (٤) تهذيب اللغة (سبت) ٣٨٦/١٢ بنصّه منسوباً إلى ابن الأنباري . وفي تفسير الثعلبي ٩٩/٨ ب : «راحة لأبدانكم وقطعاً لعملكم» .
- (٥) تفسير مقاتل ٦٤ ، وتفسير مجاهد ٤٥٤/٢ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٢٧٠٤/٨ عن قتادة : «لما يشبههم ولخوايجهم ولتصرفهم» .
- (٦) تفسير ابن جرير ٢١/١٩ بمعناه ، واستشهد على ذلك بقول النبي ﷺ إذا أصبح وقام من نومه : «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور» . أخرجه البخاري في كتاب : الدعوات ، رقم : ٦٣١٢ ، والفتح ١١/١١٣ ، والترمذي ٤٤٩/٥ في كتاب : الدعوات ، رقم : ٣٤١٧ .

٤٨. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ سبق الكلام في تفسيره ، ووجوه القراءات في سورة الأعراف^(١).

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾: المفسرون يقولون: من السحاب^(٢). وقال الحسن: «المطر من السماء ، والسحاب علم ينزل عليه الماء من السماء»^(٣).

وأما الطهور فقال أبو إسحاق: «كل ما نزل من السماء ، أو خرج من بحر ، أو أذيب من ثلج أو برد ، فهو طهور . قال النبي ﷺ في البحر: هو الطهور ماءؤه»^(٤)، وقال الليث: «الطهور: اسم الماء كالوضوء ، وكل ما لطف اسمه :

(١) عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧] حيث ذكر معنى (بشراً) ، وأصل اشتقاقها ، ووجوه القراءات فيها ، وبقية ألفاظ الآية ، تكلم عن ذلك في ست صفحات .

(٢) تفسير ابن جرير ٢١ / ١٩ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٠٤ / ٨ عن السدي ، وفيه قوله: «ثم يفتح أبواب السماء ليسيل الماء على السحاب ثم تمطر السحاب بعد ذلك» ، ولم يذكر نسبته إلى الحسن .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٧١ / ٤ بنصّه . والحديث أخرجه مالك ٢٢ / ١ في كتاب: الطهارة ، رقم: ١٢ ، وأحمد ٢٣ / ٣ ، رقم: ٧٢٣٧ ، وأبو داود ٦٤ / ١ ، كتاب: الطهارة ، رقم: ٨٣ ، والترمذي ١ / ١٠٠ ، كتاب: الطهارة ، رقم: ٦٩ ، والنسائي ١ / ٥٣ ، كتاب: الطهارة ، رقم: ٥٩ ، وابن ماجه ١ / ١٣٦ ، كتاب: الطهارة ، رقم: ٣٨٦ من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سأل رجل رسول الله ﷺ ، فقال يا رسول الله إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضعنا به عطشنا أفنتوضأ من ماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ: «هو الطهور ماءؤه الحل ميتته» . قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ، وهو في سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم: ٤٨٠ . أخرج ابن أبي حاتم ٢٧٠٥ / ٨ عن عكرمة قال: قال ابن عباس: إن الماء لا ينجسه شيء يطهر ، ولا يطهره شيء ، فإن الله - عز وجل - قال: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨] . قال ابن عاشور ٤٧ / ١٩: «وماء المطر بالغ متهى الطهارة إذ لم يختلط به شيء يكدره أو يقدره ، وهو في علم الكيمياء أنقى المياه لخلوه عن جميع الجراثيم ، فهو الصافي حقاً» .

طَهُور . والتوبة التي تكون بإقامة الحدود نحو الرجم وغيره ، طَهُور للمذنب تطهره تطهيراً^(١) .

وقال الأزهري : «الطَّهَور في اللغة هو الطاهر المطهر»^(٢) . والطَّهَور ما يتطهر به ، كالوَضوء ما يتوضأ به ، والنَّشُوق ما^(٣) يتنشق به ، والفَطُور ما^(٤) يفطر عليه . ومنه قوله ﷺ : هو الطَّهَور ماؤه^(٥) .

وقال غيره^(٦) : «صيغة الفعول تأتي في الكلام على أنواع ؛ تكون بمعنى^(٧) المفعول كالرَّكوب ، والحَلوب ، وبمعنى المتفعل به كالسَّحور ، فإنه : متسحر به ، والطَّهَور ، فإنه : متطهر به ، وتكون بمعنى الفاعل [وفيه معنى المبالغة كالأَكول والشروب ، وتكون بمعنى الفاعل والمفعول به]^(٨) من أفعل ، وذلك كقولهم : الإبل رَقَّوْءُ الدم ؛ أي مُرْقِية^(٩) . والفَطُور بمعنى المفطر به . والطَّهَور إذا جُعل

(١) العين (طهر) ١٩/٤ بنصّه . وقد أضاف المحقق زيادات من التهذيب ١٧١/٦ ، وجعلها في الأصل ، وعلق على ذلك في الحاشية بأنها نص ما نقله صاحب التهذيب ، والذي يظهر خلاف ذلك ؛ فالأزهري نقل جزءاً من الكلام ، وزاد عليه . فجعل المحقق هذه الزيادة من العين غير مستقيم . ويؤكد هذا توافق ما نقل الواحدي مع ما في العين ، إذا حذفت الزيادة التي أدخلها المحقق .

(٢) واقتصر على هذا التعريف في الوجيز ٧٨٠/٢ .

(٣) (ما) في (ج) فقط .

(٤) (ما) في (ج) فقط .

(٥) تهذيب اللغة (طهر) ١٧٢/٦ .

(٦) ذكر نحوه الزمخشري ٢٧٦/٣ ، ونسبه إلى سيبويه .

(٧) هنا تكرار في (أ) قدر ثلاثة أسطر .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٩) قال ابن السكيت : «الرَّقَّوْء : الدواء الذي يُرقأ به . والعرب تقول : لا تسبوا الإبل فإن فيها رَقَّوْءُ الدماء ؛ أي تعطى في الديات فتحقن الدماء» . تهذيب اللغة (رقا) ٢٩٢/٩ ، والشاهد فيه أن رَقَّوْء على وزن فعول ، من أرقى . ومُرْقِية بالضم على اعتبار اسم الفاعل ، وبالفتح باعتبار اسم المفعول .

بمعنى المطهّر فهو فعول متعدّد من مصدر لازم كالمشوّ، وهو الدواء الذي يمشي البطن^(١). ومما ورد الطهور فيه بمعنى المطهّر قول جرير:

لَقَدْ كَانَ إِخْرَاجُ الْفَرْزَدَقِ عَنْكُمْ طَهُورًا لِّمَا بَيْنَ الْمُصَلَّى وَوَاقِمٍ^(٢)

أي كان إخراجه مطهراً لهذا المكان. وقال أبو علي الفارسي: «الطهور على ضربين؛ اسم، وصفة، فإذا كان اسماً كان على ضربين؛ أحدهما: أن يكون مصدراً كما حكاه سييويه^(٣)، تطهرت طهوراً حسناً، وتوضأت وضوءاً حسناً، فهذا مصدر على فعول، بفتح الفاء. ومثله: وقدت النار وقوداً في أحرف آخر. وأمّا الاسم الذي ليس بمصدر فكقوله عليه السلام: «طهور إناء أحدكم» الحديث^(٤). فالطهور اسم لما يطهر، وكذلك الفطور، والوجور، والسعوط، واللّود، والبرود^(٥)، كلها أسماء وليست بمصادر. وأمّا كونه صفة فنحو قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾، وقوله: ﴿وَسَقَيْنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، وقوله عليه السلام: «هو الطهور ماؤه»؛ فالطهور هاهنا صفة، ألا ترى أنه قد ارتفع به الماء كما يرتفع الاسم بالصفات المتقدمة.

- (١) تهذيب اللغة (مشي) ٤٣٨/١١ عن ابن السكيت، وفيه: «يقال: شربت مشوّاً ومشاءً».
- (٢) ديوان جرير ٤٦٠ من قصيدة طويلة يجيب فيها الفرزدق. المصل: موضع الصلاة؛ وهو موضع بعينه في المدينة، واقم: أطم من أطام المدينة كأنه سُمّي بذلك لحصانته، ومعناه أنه يرد عن أهله. معجم البلدان ٤٠٨/٥، والأطم: الحصن. تهذيب اللغة (أطم) ٤٤/١٤.
- (٣) أشار إلى ذلك الزمخشري ٢٧٦/٣.
- (٤) أخرجه مسلم ٢٣٤/١، كتاب: الطهارة، رقم: ٢٣٤، وأبو داود ٥٧/١، كتاب: الطهارة، رقم: ٧١. ولفظه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «طَهُورٌ إِنَاءٌ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكُلْبُ أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَوْ لَاهَنَ بِالتُّرَابِ». ضبط حرف الطاء في كلمة: طهور في صحيح مسلم: بالفتح والضم. الوجور: صب الماء أو الدواء في فم الصبي. تهذيب اللغة (وجر) ١٨٠/١١، وفي المعجم الوسيط ١٠١٤/٢: الوجور: الدواء يصب في الحلق. السعوط: الدواء يصب من الأنف. تهذيب اللغة (سعط) ٦٧/٢، والمعجم الوسيط ٤٣١/١، اللّود: ما يصب من الأدوية ونحوها في أحد شقي الفم. تهذيب اللغة (لد) ٦٧/١٤، والمعجم الوسيط ٨٢١/٢، البرود: كل ما يرد به من شيء، كالشّراب، والكحل تبرد به العين. تهذيب اللغة (برد) ١٠٦/١٤، والمعجم الوسيط ٤٨/١.

وأجاد أبو القاسم الزَّجَّاجي - رحمه الله - في تفسير الطهور ، وكشف عن حقيقة المعنى ، فقال : « الطهور : اسم للماء الذي يتطهر به ، ولا يجوز إلا أن يكون طاهراً في نفسه ، مطهراً لغيره ؛ لأن العرب إذا عدلت عن بناء فاعل إلى بناء فاعيل ، أو فعول لم تعدل إلا لزيادة معنى ؛ لأن اختلاف الأبنية لاختلاف المعاني ، فكما أنه لا يجوز التسوية بين صابر وصبور ، وشاكر وشكور ، كذلك في طاهر وطهور ، فإذا سوّيت بينهما فقد خالفت ما عليه موضوع الكلام . والشيء إذا كان طاهراً في نفسه لا يجوز أن يكون من جنسه ما هو أطهر منه حتى تصفه بقول : كل طهور لزيادة طهارته ، وليس كذلك قادر وقدير ، وعالم وعليم ، وغافر وغفور ؛ لأن هذه نعوت تحتل (١) الزيادة ، والطهارة ليست كذلك ؛ لأننا إذا وصفنا الشيء بأنه طاهر فقد أدّينا حقه في (٢) وصفه بالطهارة ، فإذا نقلنا هذا اللفظ إلى بناء من أبنية المبالغة لم (٣) يكن إلا لزيادة معنى فيه ، وذلك المعنى ليس إلا التطهير ، إذ لم يكن يحتل زيادة الطهارة ، كما يحتل الغفور زيادة الغفران .

فإن قيل : هذه اللفظة من (طَهَّرَ) ، وهو لازم ، فكيف يجوز أن يُعدَّى ما تبنيه من فعل لازم ؟ قلنا : الاعتبار والنظر في هذه اللفظة أدّانا إلى معنى التطهير ؛ وذلك أنه لا سبيل إلى إطلاق هذا الوصف على الماء الذي ليس بمطهر ؛ لأن العرب لا تُسمِّي الشيء الذي لا يقع به التطهر طهوراً ، فمن هذا الوجه يجب أن يُعلم ، لا من جهة التعدي واللزوم . الدليل على ذلك قوله ﷺ : « وترابها لي طهوراً » (٤) فجعل التراب طهوراً ؛ لأنه يقع به التطهير والتطهر ، فهو اسم لما

(١) في (أ) و(ب) زيادة (الغو) وزيادة الغفران ، والظاهر أنها تكرر لما سيأتي بعدها ؛ فالكلام لا يستقيم بها .

(٢) في (أ) و(ب) : (واو) بدل (في) .

(٣) في (أ) و(ب) : (لم يكن) ، وفي (ج) : (لا يكون) .

(٤) الحديث أخرجه مسلم ١/ ٣٧١ ، كتاب : المساجد ، رقم : ٥٢٢ من حديث حُذَيْفَةَ ، ولفظه : « وَجَعَلْتُ لَنَا الْأَرْضَ كُلَّهَا مَسْجِداً وَجَعَلْتُ تُرْبَتَهَا لَنَا طَهُوراً إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ » . وأما حديث « وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » فهو متفق عليه من حديث جابر رضي الله عنه . البخاري ، كتاب : التيمم ، رقم : ٣٣٥ ، والفتح ١/ ٤٣٥ ، ومسلم ١/ ٣٧١ ، كتاب : المساجد ، رقم : ٥٢٣ .

يتطهر به ، ونظيره : الفطور لما يفطر عليه ، والسحور لما يتسحر به ، والوقود الذي توقد به النار ، والوضوء الذي يتوضأ به ، ومثله كثير . وقد علمنا من مذهب العرب أنهم يقولون للشيء إذا وصفوه بالطهارة : طاهر ، [ولا يقولون لما لا يقع به التطهير : طهور ، كالمائعات الطاهرة]^(١) ، وإنما يقولونه للشيء الذي تقع به الطهارة^(٢) . ولهذا قالوا للحد الذي يقام على مستحقه : طهور . فأما قول جرير :

عَذَابُ الثَّانِيَا رِيْقُهُنَّ طَهُورٌ^(٣)

فإنه لما علم أن غاية وصف الماء أن يقال : طهور ، شَبَّهَ الرِّيقَ بالماء ، وأحبَّ أن يُزِيلَ عن الرِّيقِ سِمَةَ النجاسة ، فلم يمكنه أن يصفه إلا بما يوصف به الماء . ألا ترى أنه قال : عذاب الثنايا ، فوصفها بالعذوبة ، وهي من صفة الماء ؛ فكما أن

(١) ما بين المعقوفين في (أ) و(ب) ، وفي (ج) : (ولا يقولون لما تقع به الطهارة طهوراً كالمائعات الطاهرة ، والنباتات الطاهرة) .

وقوله : كالمائعات الطاهرة ، إن كان المراد بالتطهير بها رفع الحدث فهذا صحيح فلا يرفع الحدث إلا الماء ، دون غيره من المائعات الطاهرة ؛ للنص على استعماله ، وللأمر باستعمال التراب عند فقدته . وأما إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة فهو محل خلاف بين أهل العلم ، فمن فسر ﴿طَهُورًا﴾ بـ (طاهراً) ، جوَّزَ إزالة النجاسات بالمائعات الطاهرة ، ومن فسره بأنه مطهر ، لم يجز إزالة النجاسة ببائع سوى الماء . تفسير الماوردي ٤/ ١٤٨ ، وتفسير البغوي ٦/ ٨٧ ، والمبسوط ١/ ٩٦ ، وأحكام القرآن للجصاص ٥/ ٢٠١ ، وابن العربي ٣/ ٤٣٥ ، والاستدلال بالآية على أنه لا يطهر النجاسة إلا الماء استدلال بعيد ؛ لأن الآية فيها إخبار عن وصف الماء بهذا الوصف ، الذي يبين أصله ، وليس فيها منع من تطهير النجاسات بغيره . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «فالراجح في هذه المسألة : أن النجاسة متى زالت بأي وجه كان زال حكمها ، فإن الحكم إذا ثبت بعلّة زال بزوالها ، لكن لا يجوز استعمال الأطعمة ، والأشربة في إزالة النجاسة لغير حاجة ؛ لما في ذلك من فساد الأموال ، كما لا يجوز الاستنجاء بها» . الفتاوى ٢١/ ٤٧٥ ، قال الزمخشري ٣/ ٢٧٧ : «لما كان سقي الأناسي من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور إكراماً لهم ، وتتميماً للمنة عليهم» .

(٢) في نسخة (ج) كلمتان غير واضحتين ، والأقرب أنهما : والنباتات الطاهرة .

(٣) لم أجده في ديوان جرير ، وأنشده ابن العربي في أحكامه ٣/ ٤٣٥ غير منسوب ، وكذا القرطبي ١٣/ ٣٨ ، وأبو حيان ٦/ ٤٦٣ . وفي الحاشية : «البيت لجميل» في ديوانه ٩٣ ، ولم أجده فيه ، وفي حاشية الدر المصون ٨/ ٤٨٨ : «لم أهد إلى قائله» .

العذب حقيقة في الماء ، مجاز في غيره ، كذلك : الطهور ، حقيقة في الماء ، مستعار في الريق .

وأما قوله تعالى : ﴿وَسَقَّيْنَاهُم مِّنْ شَرَابٍ طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] فإن الله تعالى لما وصف الماء في الدنيا بالطهارة فجعله طهوراً ، وهذا غاية ما يوصف به الماء ، وصف ذلك الشراب أيضاً هذا الوصف لنعقد فيه من الطهارة ما اعتقدناه في ما وصفه من الماء . فإن قيل : لو كان المراد بالطهور ما ذكرته ما سمي طهوراً إلا بعد أن يطهر فهذا ساقط ، ومذهب العرب بخلاف هذا . ألا ترى أنهم يسمون الطعام الذي يفطر عليه : فطوراً ، وكذلك : السحور ، ويسمون الشعير : قضيباً قبل أن يُقضم ، ويقولون : ما في دار فلان مأكول ، ولا مشروب ؛ أي ما أعد له . وكل وصف يجري على الموصوف للمبالغة فإنه يكون لما مضى ، والحال ، والاستقبال ، كما تقول : فلان شكور للنعم ، لا يُراد : إنه شكر في ما مضى ، بل يراد به : شاكراً في الحال والاستقبال . وهذا واضح بين إن شاء الله . انتهى كلامه (١) .

فأما التفسير فقال ابن عباس في قوله : ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ : «يريد : المطر» (٢) ، وقال مقاتل : «بل طهوراً للمؤمنين» (٣) .

(١) لم أجد قول الزّجّاجي . قال ابن كثير ١١٤ / ٦ في تفسير هذه الآية : «أي آلة يتطهر بها ، كالسحور والوقود ، وما جرى مجراها ، فهذا أصح ما يقال في ذلك ، وأما من قال : إنه مبني للمبالغة والتعدي فعلى كل منهما إشكالات من حيث اللغة ، والحكم ، ليس هذا موضع بسطها . والله أعلم» ، وقال أبو السعود ٢٢٤ / ٦ : «وما قيل إنه ما يكون طاهراً في نفسه ، ومطهراً لغيره ، فهو شرح لبلاغته في الطهارة ، كما ينبى عنه قوله تعالى : ﴿وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ﴾ [الأنفال ١١] .

(٢) تفسير مقاتل ٦٤ أ .

(٣) تفسير مقاتل ٦٤ أ من دون (بل) .

٤٩. قوله تعالى: ﴿لَنُحْيِي بِهِ بَلَدَةً مَّيْتًا﴾. قال ابن عباس: «لنخرج فيها الثمار والنبات»^(١)، وقال مقاتل: «لنحيي بالمطر بلدة ليس فيها نبت»^(٢). قال أبو إسحاق: «قيل: ميتاً، ولفظ البلدة مؤنث؛ لأن معنى البلدة، والبلد، واحد»^(٣).

وقال غيره: «أراد بالبلدة المكان»^(٤)، كقول الشاعر:

وَلَا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا^(٥)

ذهب بلفظ الأرض إلى المكان».

- (١) أخرج ابن أبي حاتم ٢٧٠٦/٨ بسنده عن عكرمة، قال: ما أنزل الله - عز وجل - من السماء قطرة إلا نبت بها في الأرض عشب، أو في البحر لؤلؤة.
- (٢) تفسير مقاتل ٦٤ أ. وتنكير قال تعالى: ﴿بَلَدَةً﴾ يدل على أن لماء المطر خاصية الإحياء لكل أرض؛ لأنه، لخلوه من الجراثيم ومن بعض الأجزاء المعدنية والترابية التي تشتمل عليها مياه العيون ومياه الأنهار والأودية، كان صالحاً بكل أرض، وبكل نبات على اختلاف طباع الأرضين، والمنابت. تفسير ابن عاشور ٤٨/١٩.
- (٣) معاني القرآن للزجاج ٧١/٤، واستدل عليه الزمخشري ٢٧٧/٣ بقوله تعالى: ﴿فَسَقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [فاطر: ٩].
- (٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٧٦/٢، وتفسير ابن جرير ٢١/١٩، ولم يذكر البيت المشار إليه، والثعلبي ٩٩/٨ كذلك، واقتصر عليه في الوسيط ٣٤٢/٣.
- (٥) أنشده سيويه في الكتاب ٤٦/٢، ونسبه إلى عامر بن جُوَيْن الطائي، وأنشده كذلك أبو عبيدة في مجاز القرآن ٦٧/٢، وصدره عندهما:

فَلَا مُزْنَةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا

وفي حاشية الكتاب: «يصف أرضاً مخصبة لكثرة الغيث. والمزنة: واحدة المزن؛ وهو السحاب يحمل الماء. والودق: المطر. وأبقلت: أخرجت البقل؛ وهو من النبات ما ليس بشجر».

قوله تعالى: ﴿وَشَقِيقُهُ، مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَنَاسِيًّا كَثِيرًا﴾^(١): تقدّم الكلام في السقي والإسقاء عند قوله: ﴿فَأَسْقَيْنَكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢]^(٢). قال ابن عباس: «ونسقي من ذلك الماء أنعاماً، ونسقي من ذلك الماء أيضاً بشراً كثيراً، وهو قوله: ﴿وَأَناسِيًّا كَثِيرًا﴾».

قال الفرّاء والزّجاج: «واحد الأناسي إنسي، مثل: كرسي، وكراسي. ويجوز أن يكون الأناسي جمع إنسان، وتكون الياء الأخيرة بدلاً من النون؛ الأصل: أناسين بالنون، مثل: سراحين»^(٣).

قال الفرّاء: «وإذا قالوا: أناسين، فهو بين مثل: بستان وبساتين. قال: ويجوز: أناسي، مخففة الياء، أسقطوا الياء التي تكون في ما بين لام الفعل،

(١) قال الزمخشري ٢٧٧/٣ في بيان وجه تخصيص الأنعام بالذكر دون غيرها من المخلوقات: «لأن الطير، والوحش تبعّد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الأنعام، ولأنها قنية الأناسي وعمامة منافعهم متعلقة بها، فكان الإنعام عليهم بسقي أنعامهم كالإنعام بسقيهم».

(٢) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: ﴿فَأَسْقَيْنَكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢]: «قال الأزهري: العرب تقول لكل ما كان من بطون الأنعام ومن السماء أو نهر يجري أسقيت، أي جعلته شرباً له وجعلت له منها مسقى، فإذا كانت السقيا لشفته قالوا: سقاه، ولم يقولوا: أسقاه... وقال أبو علي: «تقول سقيته حتى روى، وأسقيته نهراً جعلته شرباً له، وقوله: ﴿فَأَسْقَيْنَكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢] جعلناه سقيا لكم، وربما قالوا في أسقى سقى».

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢٦٩/٢ بمعناه، ومعاني القرآن للزّجاج ٧١/٤ بنصّه، ونسبه في الدر المصون ٨/٤٨٨ إلى سيبويه. وفي حاشية الدر: «ليس في الكتاب إشارة إلى ذلك». قوله: سراحين: جمع سرحان. إعراب القرآن للنحاس ١٦٣/٣، وهو الذئب، ويجمع على سراحين، وسراحٍ. تهذيب اللغة (سرح) ٣٠١/٤، وفي الحديث: «فأمّا الفجر الذي يكون كذنب السرحان فلا تحمل الصلاة فيه، ولا يحرم الطعام». أخرجه الحاكم ٣٠٤/١، وقال: إسناده صحيح، ووافقه الذهبي. وقد أنكر ابن جني أن يكون (أناسي) جمع إنسان أو جمع تكسير، ونقد في ذلك الفرّاء، وتعقب أيضاً أبو البركات ابن الأنباري قول الفرّاء، فقال: «وهو ضعيف في القياس؛ لأنه لو كان ذلك قياساً لكان يقال في جمع سرحان: سراحٍ، وذلك لا يجوز». البيان في إعراب القرآن ٢٠٦/٢، ولم يذكر وجه المنع، وقد سبق قول الأزهري في جواز جمعه على هذا، والله أعلم.

وعينه ، مثل : قراير وقراقر^(١) ، قال : وتقول العرب : أناسية كثيرة^(٢) . وإنما قال : كثير ، ولم يقل : كثيرون كما قال : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ [الشعراء : ٥٤] ؛ لأنه قد جاء فعيل مفرداً يراد به الكثرة ، نحو قوله : ﴿ وَحَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء : ٦٩] ، وقد مر^(٣) . وقوله : ﴿ وَلَا يَسْتَلْ حِمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يَبْصُرُونَهُمْ ﴾ [المعارج : ١٠ ، ١١] فدل عود الذكر مجموعاً إلى القبيلين على أنه أريد بهما الكثرة ، وذكرنا هذا عند قوله : ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ٤٦ ، ١٥٥]^(٤) ، ومثل هذا في هذه السورة قوله : ﴿ وَفُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣٨] .

٥٠ . قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا ﴾ : أكثر هذه الآية قد ذكرت في سورة سبحان ، وفسرناها هناك^(٥) ، وفُسرَت هذه الآية هنا تفسيراً آخر ؛ أي صرفنا الماء المنزل من السماء سقياً لهم وغيثاً ، وهو المطر ، مرة لهذه البلدة ، ومرة لبلدة أخرى^(٦) .

(١) جمع : قرقور ، وهي السفينة ، أو العظيمة من السفن . تهذيب اللغة (قر) ٨ / ٢٨٢ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٦٩ .

(٣) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قال الفراء : « وإنما وحد الرفيق وهو حقه الجمع ؛ لأن الرفيق والبريد والرسول تذهب به العرب إلى الواحد وإلى الجمع ، ولا يجوز أن تقول : حسن أولئك رجلاً . . . » البسيط ١ / ٢٩٩ (تحقيق : المحميد) .

(٤) تفسير الآية رقم : ٤٦ من سورة النساء مفقود .

وفي تفسير الآية رقم : ١٥٥ من سورة النساء أحال الواحدي على الآية رقم ٨٨ من سورة البقرة . قال الواحدي في تفسير آية سورة البقرة : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة : ٨٨] : « يريد : فها يؤمنون قليلاً ولا كثيراً ، والعرب قد تستعمل لفظ القلة في موضع النفي ، فتقول : قل ما رأيت من الرجال مثله ، وقل ما تزورنا ، يريدون النفي لا إثبات القليل . وحكى الكسائي عن العرب : مررت بأرض قل ما تنبت إلا الكراث والبصل ؛ أي ما تنبت إلا هذين » .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا ﴾ [الفرقان : ٥٠] .

(٦) تفسير مقاتل ٦٤ أ ، وغريب القرآن إلى ابن قتيبة ٣١٤ ، وتفسير الهواري ٣ / ٢١٣ ، واستبعد هذا القول ابن جزي ٤٨٦ .

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « ما عام بأكثر مطراً من عام ، ولكن الله يصرفه في الأرض ، ثم قرأ : ﴿ وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ ﴾ »^(١) . وهذا كما روى ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : « ما من سنة بأكثر من أخرى ، ولكن إذا عمل قوم بالمعاصي حوّل الله ذلك إلى غيرهم فإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفياثي والبحار »^(٢) .

وقوله : ﴿ لِيَذْكُرُوا ﴾ . قال مقاتل : « ليعتبروا ، ويتفكروا في ذلك ، فيستدلوا به على التوحيد »^(٣) ، وقال أبو إسحاق : « ليتفكروا في نعم الله عليهم فيه ، ويحمدونه على ذلك »^(٤) .

(١) أخرجه ابن جرير ٢٢ / ١٩ من طريقين ؛ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٠٦ / ٨ من طريق واحد عنه ، وأخرجه الحاكم ٤٣٨ / ٢ ، وقال : على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي . قال ابن عاشور ٥١ / ١٩ : « فحصل من هذا أن المقدار الذي تفضل الله به من المطر على هذه الأرض لا يختلف كميته ، وإنما يختلف توزيعه » . وهذه حقيقة قررها علماء حوادث الجو في القرن الحاضر ، فهو من معجزات القرآن العلمية .

(٢) أخرجه ابن جرير ٢٢ / ١٩ مختصراً موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه ، وليس مرفوعاً ، وقد ذكره السمرقندي : ٤٦٣ / ٢ مرفوعاً بنصّه من دون إسناد ، وأخرجه الثعلبي ١٠٠ بأسناده من طريق إسحاق بن بشر ، نا ابن إسحاق ، وابن جريج ، ومقاتل ، كلهم قالوا وبلغوا به ابن مسعود . وهذا إسناد منقطع ؛ لأن هؤلاء الثلاثة لم يلقوا ابن مسعود رضي الله عنه ، فابن إسحاق من الطبقة الخامسة : صغار التابعين الذين رأوا الواحد والاثنين من الصحابة ، لكن لم يثبت لهم لقاء أحد منهم . وابن جريج من الطبقة السادسة : عاصروا الخامسة ، لكن لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة . ومقاتل بن سليمان من الطبقة السابعة : طبقة كبار أتباع التابعين كمالك والثوري . مقدمة تقريب التهذيب ٨٢ ، والحديث المنقطع : هو ما لم يتصل إسناده على أي وجه كان انقطاعه . تدريب الراوي ٢٠٨ / ١ ، فالأقرب أن يكون موقوفاً على ابن مسعود - رضي الله عنه - كما هو عند ابن جرير ، والله أعلم . قال ابن حجر في الكاف الشاف ٢٧٨ / ٣ : « وفي الباب عن ابن مسعود ، أخرجه العقيلي ، من رواية علي بن حميد ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص عنه . وقال : لا يتابع على رفعه » . ثم أخرجه موقوفاً من رواية عمرو بن مرزوق عن شعبة ، وقال : هذا أولى . وهو بنصّه في الفتح السماوي ٨٨٥ / ٢ ، وأصله عند الزيلعي في تحريجه لأحاديث الكشاف ٤٦٤ / ٢ .

(٣) تفسير مقاتل ٤٦ أبعنائه ، وفي تنوير المقباس ٣٠٤ : « لكي يتعظوا بذلك » ، ونحوه ذكر الهواري ٢١٣ / ٣ عن الحسن .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٧١ / ٤ .

وقال أبو علي: «ليتفكروا في قدرة الله، وموضع نعمته عليهم بما أحيا بلادهم به من الغيث»^(١). ومن قرأ (ليذكروا) بالتخفيف^(٢) من الذكر، فمعناه: ليذكروا موضع النعمة به فيشكروه.

قوله تعالى: ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾. قال مقاتل والكلبي: «إلا كفرًا بالله وبنعمته»^(٣).

قال أبو إسحاق: «وهم الذين يقولون: مطرنا بنوء كذا»^(٤).

-
- (١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٤٥.
- (٢) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي، والباقون بالتشديد. انظر: السبعة في القراءات ٤٦٥، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٤٥، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٤.
- (٣) تفسير مقاتل ١٦٤، وتنوير المقباس ٣٠٤.
- (٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٧١، وتفسير الثعلبي ٨/ ١١٠، وتفسير الهواري ٣/ ٢١٣، ولم ينسبوه. وأخرجه ابن جرير ١٩/ ٢٢، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٠٦ عن عكرمة. ويشهد لهذا حديث زيد بن خالد الجهني أنه قال: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءَ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انْتَصَرَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ «هَلْ تَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بَنُو كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ». أخرجه البخاري في الأذان، رقم ٨٤٦، وفتح الباري ٢/ ٣٣٣، ومسلم ١/ ٨٣ في كتاب: الإيمان، رقم: ٧١. وأدعى النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٦٣ أن لا خلاف بين أهل التفسير أن الكفر هاهنا قولهم: مطرنا بنوء كذا وكذا. وهو محمول على أن المراد بالتصريف تصرف المطر، أو لعله لم يطلع على غير هذا القول. ويدخل في هذا المعنى كل من ينسب هذه الظاهرة أو غيرها من الزلازل والبراكين ونحو ذلك إلى الطبيعة، منكرًا تقدير الله تعالى وتدبيره لها، وحدوثها من دون فعل فاعل.

هذا الذي ذكرنا هو قول أكثر المفسرين^(١). وروى عطاء عن ابن عباس : «ولقد صرفنا القرآن ، يعني : أمثاله ، ومواعظه بينهم ليتعظوا فأبى أكثر الناس إلا جحوداً بالقرآن»^(٢).

٥١. وقوله : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ . قال مقاتل : «لو شئنا لبعثنا في زمانك في كل قرية رسولا يندرهم ، ولكن بعثتك إلى القرى كلها رسولا ، اختصاصك بها»^(٣) ، وحملتك أعباء النبوة ، لتستوجب ما أعددنا لك من الكرامة»^(٤).

(١) أي إن الضمير في قوله تعالى : ﴿صَرَفْنَاهُ﴾ يرجع إلى المطر . وهذا وجه ظاهر ؛ لأنه أقرب مذكور ، وسياق الآية يدل عليه ، والله أعلم . وقد اقتصر عليه في الوجيز ٧٨١ / ٢ ، ولم يذكر غيره ابن كثير ١١٥ / ٦ ، واختاره الشنقيطي ٣٣٥ / ٦ .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٢٧٠٧ / ٨ من قول عطاء الخراساني ، واستدل على صحته بقول تعالى فيه : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ (٥٩) فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَهَادًا كَبِيرًا ، وجعله الماوردي ١٤٩ / ٤ راجعا إلى الفرقان المذكور في أول السورة . واختاره ابن جزي ٤٨٦ ، ولا يمنع أن يكون راجعا إلى جميع ما سبق . تفسير أبي حيان ٤٦٣ / ٦ ، وذكر الزمخشري ٢٧٧ / ٣ وجها ثالثا ، واستظهره ، ولم ينسبه ؛ وهو أن المراد تصريف الحديث عن المطر والسحاب في القرآن وفي الكتب السماوية السابقة لما في هذه الآية من العبرة والعظة ، فقال : ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ﴾ يريد : ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي أنزلت على الرسل - عليهم السلام - وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر - ليتفكروا ويعتبروا ، ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا ، وذكره أبو السعود ٢٢٤ / ٦ ، واستظهره ، ولم ينسبه ، وكذا البرسوي ٢٢٥ / ٦ ، واقتصر عليه القاسمي ٢٦٦ / ١٢ ، والله أعلم .

(٣) تفسير مقاتل ٦٤ ، وفيه : «ولكن بعثناك . . . اختصاصك» . وقد دلت نصوص كثيرة على عموم بعثته ﷺ كقوله تعالى : ﴿لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى : ٧] ، و﴿قُلْ يَكَايْهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ، وفي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قَالَ : «أُعْطِيَ خَسَاءٌ لَمْ يُعْطِهَنَّ أَحَدٌ قَبْلِي ؛ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَظَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأَحْلَتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيَ الشَّفَاعَةُ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُعْتَرُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» . أخرجه البخاري في كتاب : التيمم ، رقم : ٣٣٥ ، والفتح ٤٣٥ / ١ ، ومسلم ٣٧٠ / ١ في كتاب : المساجد ، رقم : ٥٢١ .

(٤) تفسير ابن جرير ٢٣ / ١٩ ، وتفسير الثعلبي ١١٠ ، وفيه : «قوله : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ : =

٥٢. وقوله: ﴿فَلَا تُطِيعُوا الْكَافِرِينَ﴾: يعني كفار مكة، وذلك حين دُعي إلى دين آبائه^(١).

﴿وَجَهَدْهُمْ بِهِ﴾. قال ابن عباس: «بالقرآن»^(٢). ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾: يعني شديداً^(٣).

رسولاً، ولقسمنا النذر بينهم كما قسمنا المطر». وفي الوجيز ٧٨١/٢: «لنخفف عنك أعباء النبوة، ولكن لم نفعل ذلك ليعظم أجرك».

(١) تفسير مقاتل ٦٤أ. وفي تنوير المقباس ٣٠٤: «أبا جهل وأصحابه». وظاهر الآية أعم من أن يكون المراد النهي عن طاعتهم في اتباع دينهم، فيدخل فيه موادعتهم، ومداونتهم، وترك دعوتهم. ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الْيَهُودُ أَنَّ اللَّهَ لَا يُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٠١﴾ وَاتَّبَعَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿[الأحزاب: ١، ٢]، فنهاه الله عن طاعتهم، وأمره باتباع الوحي. ومثل ما ذكر هنا الواحدي ذكر في الوسيط ٣/٣٤٣، أمّا في الوجيز فقد أوجز وأبلغ، فقال: ﴿﴿فَلَا تُطِيعُوا الْكَافِرِينَ﴾ في هواهم، ولا تداهنتهم». قال الرازي ٢٤/١٠٠: «ودلت هذه الآية على أن النهي عن الشيء لا يقتضي كون المنهي عنه مشغلاً به».

(٢) أخرجه ابن جرير ٢٣/١٩، وهو قول مقاتل ٦٤أ، وذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ٣١٤، وأخرج ابن جرير ٢٣/١٩، وابن أبي حاتم ٨/٢٧٠٧ عن ابن زيد أنه قال: «الإسلام»، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة ٧٣]. ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة ١٢٣]، وجعله أبو حيان ٦/٤٦٤ راجعاً إلى القرآن، والإسلام، والسيف، وترك طاعتهم. ولعل اقتصار من سبق على ذكر المجاهدة بالقرآن، دون السيف؛ لأن هذه السورة مكية أمر فيها النبي ﷺ بجهاد الكفار بالحجة، والبيان، وتبليغ القرآن، ولم يؤمر بقتالهم. تفسير الهواري ٣/٢١٤، وزاد المعاد ٣/٥، وتفسير الشوكاني ٧٨/٤.

(٣) تفسير مقاتل ٦٤أ. وفي تنوير المقباس ٣٠٤: «بالسيف». والجهاد الكبير المذكور في الآية هو المصحوب بالغلظة عليهم، كقوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا قَدِ ابْلُغُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة ١٢٣]، وقوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ جَاهَدُوا الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣، والتحريم: ٩]. تفسير الشنقيطي ٦/٣٣٧، والآية دالة على عظم جهاد العلماء لأعداء الدين بما يوردون عليهم من الأدلة، وأوفرهم حظاً المجاهدون بالقرآن منهم. تفسير البغوي ٦/٣٣.

٥٣. قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ . قال أبو زيد : «مرج البحرين خلاهما ، ثم جعلهما لا يلتبس ذا بذا ؛ قال : وهو كلام لا يقوله إلا أهل تهامة»^(١) ، وأمّا النحويون فيقولون : أَمَرَجْتَهُ وأمرَج دابته^(٢) إذا خلاها وأرسلها ترعى^(٣) ، ونحو هذا قال الكسائي سواء .

وقال أبو عبيدة : «إذا خَلَّيت الشيء فقد مَرَجْتَهُ ، وإذا أَلْقَى الدابة في المرعى فقد مَرَجَهَا ، وأَمَرَجَهَا»^(٤) ، وأنشد العجاج :

رَعَى بِهَا مَرَجَ رَبِيعٍ مُمَرَّجًا^(٥)

وقال الفراء : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أرسلهما^(٦) .

(١) سُمِّيت تهامة بذلك لشدة حرها وركود ريحها . وهو من التَّهَم ؛ وهو شدة الحر وركود الرياح ، يقال : تهم الحر : إذا اشتد . معجم البلدان ٧٤ / ٢ ، وتهامة : سهول تقع بين جبال الحجاز وساحل البحر الأحمر في المملكة العربية السعودية .

(٢) تهذيب اللغة (مرج) ٧٢ / ١١ ، واللسان ٣٦٥ / ٢ .

(٣) واقتصر على أن معناه : خلاهما ابن قتيبة في غريب القرآن ٣١٤ .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٧٧ / ٢ بمعناه . قال ابن الأنباري : «مرجت الدابة : إذا خلَّيتها . وأمرجتها : إذا رعيته» . الزاهر ٤٢٥ / ١ .

(٥) أنشده أبو عبيدة في المجاز ٧٧ / ٢ منسوباً إلى العجاج ، وأنشده الأزهري في تهذيب اللغة (مرج) ٧١ / ١١ ، ولم ينسبه ، وكذا ابن جرير ٢٣ / ١٩ ، وهو في ديوان العجاج ٢٩٠ ، وفيه : «يقول : رعى هاهنا في الربيع . والمرج : القطعة من الأرض الكثيرة الكلاء . والمُمَرَّج : المخلَّى» .

(٦) معاني القرآن للفراء ١١٥ / ٣ في سورة الرحمن .

وقال الزَّجَّاجُ : خَلَّأَ بَيْنَهُمَا ، تقول : مَرَجَتِ الدَّابَّةُ ، وَأَمَرَجْتُهَا إِذَا خَلَّيْتُهَا ترعى ، وَالْمَرْجُ مِنْ هَذَا سُمِّيَ ، وَمَرَجَتِ عَهْدُهُمْ ^(١) إِذَا اخْتَلَطَتْ ^(٢) . قال ابن عباس ، والضحاك ، ومقاتل : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ خَلَعَ أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخَرِ ^(٣) . وقال مجاهد : « أَفَاضَ أَحَدُهُمَا فِي الْآخَرِ » ^(٤) .

وقال أهل المعاني : أَرْسَلَهُمَا فِي مَجَارِيهِمَا كَمَا تَرْسِلُ الْخَيْلُ فِي الْمَرْجِ .

(١) هذا جزء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : « كَيْفَ بَكُمُ وَبَزَمَانُ أَوْ يَوْشُكُ أَنْ يَأْتِيَ زَمَانٌ يُعْرَبِلُ النَّاسَ فِيهِ غَرْبِلَةٌ تَبْقَى خِثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ وَاخْتَلَفُوا فَكَانُوا هَكَذَا » وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ فَقَالُوا : وَكَيْفَ بَنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : « تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ وَتَذَرُونَ مَا تُنْكِرُونَ وَتُقْبِلُونَ عَلَى أَمْرِ خَاصَّتْكُمْ وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَامَّتْكُمْ » قَالَ أَبُو دَاوُدَ : « هَكَذَا رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، مِنْ غَيْرِ وَجْهِ » . سنن أبي داود ٥١٣ / ٤ في كتاب : الملاحم ، رقم : ٤٣٤٢ ، وابن ماجه ١٣٠٧ / ٢ في كتاب : الفتن ، رقم : ٣٩٥٧ . وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٦٧ / ١ رقم : ٢٠٥ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاجِ ٧٢ / ٤ ، وفَسَّرَ المَرْجَ بِالْإِخْتِلَاطِ ابن جرير ٢٣ / ١٩ ، واستدل بقوله تعالى : ﴿ فِي أَمْرِ مَرْجٍ ﴾ [ق : ٥] ؛ أي مختلط .

(٣) أخرجه بسنده عن ابن عباس والضحاك ابن جرير ٢٤ / ١٩ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٠٧ / ٨ عن الضحاك فقط . وفي تنوير المقياس ٣٠٤ : « أَرْسَلَ الْبَحْرَيْنِ » . ولم أجد قول مقاتل في تفسيره . ونسبه إلى الثلاثة جميعاً الثعلبي ١١٠٠ .

(٤) تفسير مجاهد ٤٥٤ / ٢ ، وتفسير الهواري ٢١٤ / ٣ ، وأخرجه ابن جرير ٢٤ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٧٠٧ / ٨ ، وقد وردت أقوال أخرى في معنى الآية فيها صرف للفظ المرج عن ظاهره ، والحق ما اقتصر عليه الواحدي هنا . ومثَّلَ له ابن الجوزي بقوله : « يُرَى مَاءُ الْبَحْرِ إِلَى الْخَضِرَةِ الشَّدِيدَةِ ، وَمَاءُ دَجَلَةٍ إِلَى الْحَمْرَةِ الْخَفِيفَةِ ، فَيَأْتِي الْمُسْتَقْيُ فَيَغْرِفُ مِنْ مَاءِ دَجَلَةٍ عَذْبًا ، لَا يَخَالِطُهُ شَيْءٌ ، وَإِلَى جَانِبِهِ مَاءُ الْبَحْرِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ . وَهَذَا أَبْلَغُ فِي إِثْبَاتِ قُدْرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَعُطْفِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ عَلَيْهِ يَشْهَدُ لَهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ » .

وهما يلتقيان^(١) فلا ينبغي الملح على العذب ، ولا العذب على الملح بقدره الله عز وجل^(٢) ، وذلك قوله : ﴿وَهَذَا﴾ : يعني أحد البحرين^(٣) .

﴿عَذْبٌ﴾ : طيب ، عَذْبُ الماءِ يَعَذُّبُ عُذُوبَةً فهو عَذْبٌ طيب بارد ، وَأَعَذَبَ القومَ إِذَا عَذَّبَ ماؤُهُم ، واستعذبوا إِذَا استَقَوْا ماءً عَذْباً ، وأصله من المنع . والماء العَذْبُ هو الذي يمنع العطش ، يقال : عَذَبَهُ عَذْباً إِذَا منعه ، وعَذَبَ عُذُوباً إِذَا امتنع . والعاذب : الفرس الذي يمتنع من العلف ، وسُمِّي العذاب عذاباً ؛ لأنه يعذب^(٤) المعاقب عن معاودة الفعل الذي عوقب عليه^(٥) .

قوله : ﴿فُرَاتٌ﴾ : الفرات : أَعَذَّبَ المِياهُ^(٦) ، وقد فَرَّتِ الماءُ ، يَفْرُتُ فُرُوتَةً إِذَا عَذَّبَ ، فهو فُرَاتٌ^(٧) .

وقوله : ﴿وَمِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ . قال الليث : «المِلْحُ خلاف العَذْبِ من الماء ، يقال : ماءٌ مِلْحٌ ، ولا يقال : مالِحٌ»^(٨) ، ونحو هذا قال ابن السكيت^(٩) .

- (١) نسب هذا القول الرازي ١٠٠ / ٢٤ إلى ابن عباس رضي الله عنهما .
- (٢) معنى هذا أن (مرج) تطلق في اللغة بمعنى أرسل وخلي ، وتطلق بمعنى خلط . تفسير الشنقيطي ٣٣٨ / ٦ ، ثم شرح معنى الآية على كلا الإطلاقين ، ويُن ٣٣٩ / ٦ أن معنى البرزخ ، على القول الأول : هو اليبس من الأرض ، وعلى القول الثاني : حاجز من قدرة الله غير مرئي للبشر .
- (٣) تفسير الطوسي ٢٧٣ / ٧ ولم ينسبه ، وكذا ابن الجوزي ٩٦ / ٦ ، وصدره بقوله : قال المفسرون .
- (٤) هكذا في النسخ الثلاث : (يعذب) ، ولعل الصواب : (يمنع) .
- (٥) تهذيب اللغة (عذب) ٣٢١ / ٢ .
- (٦) في المجاز لأبي عبيدة ٧٧ / ٢ : «شديد العذوبة» ، وغريب القرآن إلى ابن قتيبة ٣١٤ ، وهو كذلك في تفسير ابن جرير ٢٤ / ١٩ ، وقال : «يعني بالعذب الفرات : مياه الأنهار ، والأمطار ، وبالمِلْح الأجاج : مياه البحار» . ومعاني القرآن للزجاج ٧٢ / ٤ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١٠٠ أ .
- (٧) تهذيب اللغة (فرت) ٢٧٢ / ١٤ بنصه .
- (٨) العين (ملح) : ٢٤٣ / ٣ ، ونقله عنه الأزهر في تهذيب اللغة ٩٨ / ٥ .
- (٩) إصلاح المنطق ٢٨٨ ، ونقله عنه الأزهر في تهذيب اللغة (ملح) ٩٨ / ٥ ، وقال به ابن قتيبة في غريب القرآن ٣١٤ ، وقال ابن جني في المحتسب ١٢٤ / ٢ : «مالحاً ، ليست فصيحة ، صريحة ، لأن الأقوى في ذلك : ماء ملح» .

وقال يونس: «لم أسمع أحداً من العرب يقول: ماء مالح»، قال: وقال أبو الدقيش^(١): «ماء مالح، وماء ملح». قال الأزهري: «هذا وإن وجد في كلام العرب قليلاً فهي لغة لا تنكر»^(٢).

قوله تعالى: ﴿أَجَا﴾: الأجاج أشد الماء ملوحة^(٣). قال الزجاج: «وهو الشديد الملوحة المحرق ملحوته»^(٤)، من: أَجَّتِ النارُ أَجًّا^(٥).

قال مقاتل: ﴿هَذَا عَذْبٌ قُرْتُ﴾: يعني طيباً حلواً^(٦)، ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أَجَا﴾: يعني مرأً من شدة الملوحة^(٧).

والمعنى أن الله تعالى خلط البحرين؛ العذب والملح، وحجز أحدهما عن الآخر فليس يفسد الملح العذب، ولا العذب الملح؛ وهو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ حاجزاً من قدرة الله^(٨).

(١) أبو الدقيش هو القنائي الغنوي. هكذا ذكره الفطحي، ولم يزد عليه. إنساب الرواة ١٢١/٤، وذكر الأزهري بإسناده إلى أبي زيد أنه قال: «دخلت على أبي الدقيش الأعرابي، وهو مريض، فقلت: كيف تحبك يا أبا الدقيش؟ فقال: أجد ما لا أشتهي، وأشتهي ما لا أجد، وأنا في زمان سوء؛ من وجد لم يجِدْ، ومن جاد لم يجِدْ». مقدمة تهذيب اللغة ١٣/١.

(٢) تهذيب اللغة (ملح) ٩٨/٥، ٩٩. قال الأزهري ذلك بعد سياقه لأقوال من سبق. وأمّا أبو السعود ٢٢٥/٦ فلم يذكر شيئاً من ذلك، بل جعل: ملح تخفيف مالح، كبرد تخفيف بارد.

(٣) في المجاز لأبي عبيدة ٧٧/٢: «أملح الملوحة»، وتفسير الثعلبي ٨/١٠٠.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٧٢/٤.

(٥) تهذيب اللغة (أجج) ٢٣٤/١١.

(٦) تفسير مقاتل ٤٦١، وهو بنصّه في تنوير المقباس ٣٠٤، وغريب القرآن إلى ابن قتيبة ٣١٤.

(٧) تفسير مقاتل ٤٦١. وفي تنوير المقباس ٣٠٤: «مر مالح زعاق». وأخرج عبدالرزاق ٧٠/٢ بإسناده عن قتادة: «الأجاج: المر». قال ابن قتيبة في الغريب ٣١٤: «وقيل: هو الذي يحالطه مرارة»، واقتصر الهواري ٢١٤/٣ على تفسيره بالمر.

(٨) في معاني القرآن للفساء ٢٧٠/٢: «البرزخ الحاجز». قال أبو عبيدة في المجاز ٧٧/٢: «كل ما بين شيئين: برزخ، وما بين الدنيا والآخرة: برزخ». قال ابن جريج: «فلم أجد بحراً عذباً إلا الأنهار العذاب، فأخبرني الخبر بها أنها تقع في البحر، فلا تمور فيه بينها مثل الخيط الأبيض، فإذا رجعت =

قال ابن عباس : « قضاء من قضائه لا يعذب هذا المملح ، ولا يملح هذا العذب » ، وقال الزَّجَّاج : « هما في مرآة العين مختلطان ، وفي قدرة الله منفصلان ، لا يختلط أحدهما بالآخر »^(١) .

وقوله : ﴿ وَحِجْرًا تَحْجُورًا ﴾ . قال ابن عباس : « حراماً محرماً [أن يُعَذَّبَ هذا المملح بالعذب ، أو يُملح هذا العذب بالمملح] »^(٢) ، وقال الفراء : « حراماً محرماً »^(٣) أن يغلب أحدهما صاحبه »^(٤) . وفي الآية محذوف ؛ وهو الذي حرم بقوله : ﴿ وَحِجْرًا ﴾

لم ترجع في طريقها من البحر ، والنيل يصب في البحر . تفسير ابن جرير ٢٥ / ١٩ ، وذكر أبو حيان ٦ / ٤٦٤ مشاهدته ذلك وأن الناس في البحر يستقون الماء العذب منه ، وذكر الحسن أن المراد بالحاجز : اليبس . تفسير ابن جرير ٢٥ / ١٩ : « أي حائلاً من الأرض » ، ونصر هذا القول الرازي ١٠١ / ٢٤ ، وقد ردَّ هذا القول ابن جرير . والعجب من الحافظ ابن كثير ١١٧ / ٦ ، فقد ذكر قول ابن جريج المتقدم ، واختيار ابن جرير له ، ومع ذلك فقد رجح أن المراد بالحاجز : اليبس من الأرض ، ولم يتعقب ابن جرير في اختياره . قال الشنقيطي ٣٣٩ / ٦ : « وهذا محقق الوجود في بعض البلاد ، ومن المواضع التي هو واقع فيها المحل الذي يختلط فيه نهر السنغال بالمحيط الأطلسي ، بجنب مدينة (سانلويس) ، وقد زرت مدينة (سانلويس) عام ستة وستين وثلاثمائة وألف هجرية ، واغتسلت مرة في نهر السنغال ، ومرة في المحيط ، ولم آت محل اختلاطهما ، ولكن أخبرني بعض المرافقين الثقات أنه جاء إلى محل اختلاطهما ، وأنه جالس يغرف بإحدى يديه عذباً فراتاً ، وبالأخرى ملحاً أجاباً ، لا يختلط أحدهما بالآخر . فسبحانه - جل وعلا - ما أعظمه ! وما أكمل قدرته ! فالأولى أن تجعل الآية شاملة لكلا المعنيين ، حيث لا تعارض بينهما . والله أعلم » .

وفي مجلة الإعجاز العدد الثالث بحث الإعجاز العلمي في هذه الآية .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٧٢ / ٤ ، وقد ورد في تفسير الحاجز أقوال أخرى ، ذكرها ابن أبي حاتم : ٢٧٠٨ / ٨ وغيره ، وفي بعضها صرف للفظ عن ظاهره ، واقتصار الواحدي - رحمه الله - على هذا القول يدل على اختياره له . ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ مَجَّ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾^(١١) يَنْهَمَا بُرْجٌ لَا يَبْعِيَانِ ﴿ [الرحمن : ١٩] ، ٢٠] ، وقوله : ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خُلُوفَهَا أَنْهَدًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِرًا ﴾ [النمل : ٦١] .

(٢) في تنوير المقباس ٣٠٤ : « حراماً محرماً من أن يغير أحدهما طعم صاحبه » .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ج) .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٧٠ ، وفي تفسير مقاتل ٤٦ : « يعني : حجاباً محجوباً فلا يختلطان ، ولا يفسد طعم المملح العذب » .

تَحْجُورًا ﴿١﴾ على تقدير : وحراماً محرماً أن يفسد أحدهما الآخر ، فحذف لدلالة قوله : ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ عليه . وذكرنا الكلام في ﴿وَحَجَرًا تَحْجُورًا﴾ في هذه السورة ^(١) .
وتفسير البرزخ تقدّم في سورة المؤمنون ^(٢) .

٥٤ . وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ . قال مقاتل : «خلق من النطفة إنساناً» ^(٣) ﴿فَجَعَلَهُ﴾ يعني : الإنسان ^(٤) ﴿نَسَبًا﴾ ^(٥) النسب : نسب القربات ، والصهر : حرمة الختونة ^(٦) .

قال الأصمعي وابن الأعرابي : «الأحماء من قبل الزوج ، والأختان من قبل المرأة ، والصهر يجمعهما» ^(٧) .

قال أبو عبيد : «يقال : فلان مصهر بنا ، وهو من القرابة» ، وأنشد لزهير :

- (١) عند قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى لِمُمْرِئٍ يَقُولُونَ حَجَرًا تَحْجُورًا﴾ [الفرقان : ٢٢] .
- (٢) عند قوله تعالى : ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] ، قال الواحدي في تفسيرها : «معنى البرزخ في اللغة : الحاجز بين الشيئين كيفما كان من عين أو معنى نحو المسافة والجدار والأيام والعداوة وغير ذلك» .
- (٣) تفسير مقاتل ٤٦/أ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٧٧/٢ ، وغريب القرآن إلى ابن قتيبة ٣١٤ ، وتفسير ابن جرير ٢٦/١٩ .
- (٤) تفسير مقاتل ٤٦/أ .
- (٥) قال ابن كثير ١١٧/٦ : «فهو في ابتداء أمره ولد نسيب ، ثم يتزوج فيصير صهراً ، ثم يصير له أصهار ، وأختان ، وقربات ، وكل ذلك من ماء مهيّن» .
- (٦) قال ابن قتيبة ٣١٤ : «﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ عني : قرابة النسب . ﴿وَصِهْرًا﴾ يعني : قرابة النكاح» . قال الماوردي ١٥١/٤ : «النسب : من تناسب كل والد وولد ، وكل شيء أضيفته إلى شيء عرّفته به فهو مناسبه . ثم قال : وأصل الصهر الاختلاط ، فسميت المناكح صهراً لاختلاط الناس بها ، ومنه قوله تعالى : ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [الحج : ٢٠]» وقيل : إن أصل الصهر : الملاصقة . وأما الختونة فهي المصاهرة . تهذيب اللغة (ختن) ٣٠١/٧ .
- (٧) تهذيب اللغة (ختن) ٣٠٠/٧ .

قَوْدُ الْجِيَادِ وَإِضْهَارُ الْمُلُوكِ وَصَبُّ رُفِي مَوَاطِنَ لَوْ كَانُوا بِهَا سَيِّئُوا^(١)

واختلفوا في المراد بالنسب ، والصهر ؛ فقال علي رضي الله عنه : « النسب : ما لا يحل نكاحه ، والصهر : ما يحل نكاحه »^(٢) . والآية من باب حذف المضاف ، على تقدير : فجعله ذا نسب وصهر ؛ أي ذا قرابات لا يحل له التزوج بهن ، وفيهن ، كالأم ، والأخت ، والبنت ، وبنات الأخ ، وبنات الأخت . وذا نسب لا يحرم عليه ذلك النسب التزوج ، كالأخوين يتزوجان بأختين ، فصهر أحد الأخوين لم يحرم مصاهرة الأخ الثاني . وكذلك الرجل يتزوج بالمرأة ، وابنه بابنتها ، وما شاكل هذا من باب المصاهرة ، هذا على قول علي رضي الله عنه .

قال الكلبي ، والضحاك ، وقتادة ، ومقاتل : « النسب : سبعة أصناف من القرابة ؛ وهو قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ﴾^(٣) [النساء : ٢٣] ، والصهر : مَنْ لا قرابة له ، ويحرم بالنسب ، وهي

(١) تهذيب اللغة (صهر) ١٠٨/٦ . ونسب البيت إلى زهير من إنشاد أبي عبيد ، وهو في ديوان زهير ٩٤ ، من قصيدة يمدح فيها هرم بن سنان ، فيصفه بقيادة الخيل ، ومصاهرة الملوك ، والصبر في مواطن الحرب ، وغيرها مما يسأم فيه غيره . حاشية الديوان .

(٢) ذكره الثعلبي ١٠٠/٨ ب منسوباً إلى علي - رضي الله عنه - من دون إسناد .

(٣) أمهات النساء غير داخلة في المحرمات من القرابة ، فقوله : (إلى) لا يدخل فيه ما بعدها . وظاهر صنيع الواحدي - رحمه الله - أنه يدخل المحرمات من الرضاة في المحرمات من القرابة ؛ لأن المحرمات من الرضاة في الآية المشار إليها ذكر قبل ذكر المحرمات من الصهر ، وهذا مخالف لكون المحرمات بالنسب خمسة ؛ إذ لا يكمل العدد إلا بإدخال المحرمات من الرضاة فيه . وهذا موافق لما في تفسير مقاتل ٤٦ أ ، قال : « والصهر من القرابة خمس نسوة : أمهاتكم اللاتي أرضعنكم ، وأخواتكم من الرضاة . . . » . وما ذكره الواحدي عن الضحاك مخالف لما أخرجه عنه ابن جرير ٢٦/١٩ ، ومخالف أيضاً لما سينقله عن ابن عباس - رضي الله عنهما - حيث جعل الرضاة من الصهر ، ومخالف لما ذكره الثعلبي ١٠٠ ب منسوباً إلى الضحاك ، وقتادة ، ومقاتل . فالظاهر أن الآية كتبت خطأ . ويشهد لهذا ما ذكره في الوسيط ٣/٣٤٣ ، حيث جعل المحرمات من الصهر سبعة ؛ ستاً مذكورة في الآية ، والسابعة في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [النساء ٢٢] .

خمسة : ﴿وَأَمَّهَتْ نِسَائِكُمْ﴾ إلى قوله : ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾^(١) ، وهذا القول اختيار الفراء والزجاج^(٢) .

وعلى هذا الصهر محرم ، كالنسب ، ونحو هذا روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وجعل من جهة الصهر سبعاً أيضاً ، فقال : «حرم الله من النسب سبعاً : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ﴾ وبنات الأخت ، من النسب ، ومن الصهر : ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ﴾ إلى آخر الآية . والسابعة : ﴿مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾»^(٣) .

وهؤلاء جعلوا الصهر السبب المحرم ، وهو الخلطة التي تشبه القرابة^(٤) .

٥٥ . قوله تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد الأصنام ، والحجارة التي كانوا يعبدونها»^(٥) .

(١) أخرجه ابن جرير ٢٦ / ١٩ عن الضحاك ، ونسبه السمرقندي ٤٦٣ / ٢ إلى الكلبي . وهو في تفسير الثعلبي ١٠٠ ب منسوباً إلى من ذكر الواحدي عدا الكلبي .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٧٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤ / ٧٢ ، وليس فيهما التفصيل الذي ذكره الواحدي .

(٣) أخرج هذا القول ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧١٠ عن قتادة . وليس في رواية قتادة تفصيل المحرمات ، بل قال : «سبع من النسب ، وسبع من الصهر» . وذكر قول قتادة الشنقيطي ٦ / ٣٤٢ ، ثم قال : «لم يظهر لي وجهه ، وما يزيده عدم ظهور ضعف دلالة الاقتران عند أهل الأصول» . وجعل الزخشي ٣ / ٢٧٩ هذه الآية كقوله تعالى : ﴿يَجْعَلُ بَيْنَهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [القيامة : ٣٩] فقال : «أي قسمه قسمين ، ذوي نسب ، أي ذكوراً ينتسب إليهم ، وذوات صهر ، أي إناثاً يصاهر بهن» ، وتبعه أبو السعود ٦ / ٢٢٦ ، والبرسوي ٦ / ١٣٠ ، والبغوي ١٩ / ٢٦ ، وأيده الشنقيطي ٦ / ٣٤٠ ، وكذا الألوسي ١٩ / ٣٦ .

(٤) وصحح هذا القول البغوي ٦ / ٩٠ ، فقال : «وقيل : - وهو الصحيح - النسب من القرابة ، والصهر : الخلطة التي تشبه القرابة» .

(٥) أخرج ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧١١ بسنده عن قتادة : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ هذا الوثن ، وهذا الحجر .

وقال مقاتل : «مَا لَا يَنْفَعُهُمْ» في الآخرة ، إن عبدوهم في الدنيا ، ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ في الدنيا ، إن لم يعبدوهم»^(١) .

وقوله : ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ : الظهير : المعين ، فعيل بمعنى مفاعل ، كوزير ، وشريب ، وأكيل . ونحو هذا قال ابن عباس ، ومجاهد ، والمفسرون في تفسير الظهير أنه : العون والمعين^(٢) . قال مقاتل : «يعني : معيناً للمشركون على أن لا يوحدهوا الله»^(٣) .

(١) تفسير مقاتل ٤٦ ب . وفي هذه الآية قُدم النفع على الضر ، وفي صدر هذه السورة عكس ذلك : ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ .

وهكذا في مواضع آخر من كتاب الله ، ونجد بعض أهل العلم يذكر حكماً لتقديم النفع على الضر في آيات ، وعكسها في آيات أخرى ، ومن ذلك الخطيب الإسكافي في درة التنزيل ٣٢٨ ، وكذا غيره . قال ابن عاشور ١٨ / ٣٢٠ : «واعلم أن ضراً ونفعاً ، هنا جرى مجرى المثل لقصد الإحاطة بالأحوال ، فكأنه قيل : لا يملكون التصرف بحال من الأحوال ، وهذا نظير أن يقال : شرقاً وغرباً ، وليلاً ونهاراً وبذلك أيضاً لا يتطلب وجه لتقديم الضر على النفع ؛ لأن المقام يقتضي التسوية في تقديم أحد الأمرين ، فالتكلم بخير في ذلك» ، وهذا كلام جيد ، والله أعلم .

(٢) تنوير المقياس ٣٠٤ ، وتفسير مجاهد ٤٥٥ / ٢ ، وابن قتيبة في الغريب ٣١٤ ، وتفسير الهواري ٣ / ٢١٥ ، وأخرجه بسنده عن مجاهد ، والحسن ، وابن زيد ، ابن جرير ١٩ / ٢٦ ، واستدل عليه ابن زيد بقوله تعالى : ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ [القصص : ٨٦] ؛ أي لا تكونن لهم عويناً . وقوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبِهِمْ﴾ [الأحزاب : ٢٦] ظاهرهم : أعانهم ، واستظهر هذا القول الشنقيطي ٦ / ٣٤٣ .

(٣) تفسير مقاتل ٤٦ ب . قال ابن القيم عن هذه الآية : «هذا من ألطف خطاب القرآن ، وأشرف معانيه ، وأن المؤمن دائماً مع الله على نفسه وهواه وشيطانه وعدو به» ، ثم ذكر عبارات السلف في تفسير الآية ، ثم قال : «وهذه العبادة هي الموالاتة والمحبة والرضا بعبوديتهم المتضمنة لمعيتهم الخاصة فظاهروا أعداء الله على معاداته ومخالفته ، ومساخطه ، بخلاف وليه - سبحانه وتعالى - فإنه معه على نفسه وشيطانه وهواه» . الفوائد ٧٩ ، ٨٠ .

وقال الحسن : «عونا للشيطان على ربه بالمعاصي»^(١) ، واختاره أبو إسحاق ، فقال : «لأنه يتابع الشيطان ، ويعلو به على معصية الله ؛ لأن عبادتهم الأصنام معاونة للشيطان»^(٢) .

قال ابن عباس ، وعطية ، ومقاتل ، والكلبي : «يعني أبا جهل»^(٣) .

وقال قوم : معنى : ﴿عَلَىٰ رَبِّهِ﴾ على أولياء ربه ، ورسل ربه ، وحذف المضاف للعلم به ؛ وذلك أن من عادى أولياءك فقد عاداك ، ومن ظاهر على صاحبك فقد ظاهر عليك . وذكر أبو علي الفارسي هذا الوجه ، فقال : «أولاً : الكافر في هذه الآية ، اسم الجنس ، كقولهم : كثر الشاة ، والبعير ، في أنه يراد به الكثرة ، وقد جاء ذلك في اسم الفاعل كما جاء في سائر الأجناس ، أنشد أبو زيد :

إِنْ تَبَخَّلِي يَا جُمْلُ أَوْ تَعْتَلِّيْ
أَوْ تُصْبِحِي فِي الظَّاعِنِ الْمُوَلَّى^(٤)

(١) أخرجه بسنده عبد الرزاق في تفسيره ٧٠ / ٢ ، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم ٢٧١١ / ٨ عن سعيد بن جبیر . وذكر السيوطي تخريج عبد بن حميد وابن المنذر نحوه عن قتادة . الدر المنثور ٢٦٧ / ٦ .
(٢) معاني القرآن للزجاج ٧٣ / ٤ .

(٣) تفسير مقاتل ٤٦ ب ، وتنوير المقباس ٣٠٤ ، وتفسير الهواري ٢١٥ / ٣ ، ولم ينسبه ، وأخرجه بسنده ابن جرير ٢٧ / ١٩ عن ابن عباس ، وذكره ابن أبي حاتم ٢٧١١ / ٨ عن مجاهد ، وسعيد بن جبیر ، وعطية . وذكر السيوطي تخريج ابن المنذر له عن عطية . الدر المنثور ٢٦٧ / ٦ ، وصدر الماوردي ١٥٢ / ٤ هذا القول بـ (قيل) . والآية أعم من ذلك . قال الزمخشري ٢٨٠ / ٣ : «ويجوز أن يريد بالظهير الجماعة ، كقوله تعالى : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم : ٤] ويريد بالكافر الجنس ، وأن بعضهم مظاهر لبعض على إطفاء دين الله» . قال ابن عطية ٥٦ / ١١ : «ويشبه أن أبا جهل سبب الآية ، ولكن اللفظ عام للجنس كله» . قال الرازي ١٠٢ / ٢٤ : «والأولى حمله على العموم ؛ لأن خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ ، ولأنه أوفق بظاهر قوله : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾» .

(٤) أنشده أبو زيد في النوادر ٥٣ ، ونسبه إلى منظور بن مرثد الأسدي ، وأنشده أبو علي في المسائل العسكرية ٢٢٢ ، وفي الحاشية : «جمل : اسم امرأة . تعتل : تتهازين . الظاعن : المرتحل . المولى : الذاهب» .

والآية تحتل تأولين ؛ أحدهما : على أولياء ربه معيناً ، أو يعادونهم ولا يوالونهم ، كما قال تعالى : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ﴾ [الحج : ٧٢] .
والآخر : أن يكون المعنى : كان هيناً عليه لا وزن له ، ولا منزلة^(١) ، وكأنه من قولهم :

ظَهَرَتْ بِحَاجَتِي إِذَا لَمْ تُعْنَ بِهَا^(٢)

قال الفرزدق :

تَمِيمُ بْنُ زَيْدٍ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي بَظْهَرٍ فَلَا يَعْيًا عَلَيَّ جَوَابُهَا^(٣)
قال^(٤) : ويمكن أن يكون قوله :

وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عَنْكَ عَارُهَا^(٥)

(١) واقتصر على هذا القول أبو عبيدة ٧٧/٢ ، واقتصر الواحدي في الوسيط ٣/٣٤٤ ، والوجيز ٢/٧٨٢ على القول الأول مما يدل على ترجيحه له ، والله أعلم .

(٢) ذكره الثعلبي ٨/١٠٠ ب ، وفيه : « من قول العرب : ظهرت به ، إذا جعلته خلف ظهره ، فلم تلتفت إليه » . وفي تهذيب اللغة ٦/٢٤٩ : « قال الأصمعي : ظهر فلان بحاجة فلان : إذا جعلها بظهره ، ولم يخف لها » . قال الماوردي ٤/١٥٢ : « مأخوذ من قولهم : ظهر فلان بحاجتي إذا تركها واستهان بها ، قال تعالى : ﴿ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا ﴾ [هود : ٩٢] أي هيناً » .

(٣) ديوان الفرزدق ١/٨٦ في سياق قصة ، وقد ورد البيت في الديوان بلفظ :

تميم بن زيد لا تهونن حاجتي لديك ولا يعيا علي جوابها
وذكر البيت ابن الأنباري في كتابه الأضداد ٢٥٦ في سياق قصة منسوباً إلى الفرزدق ، وفيه :

« . . . فلا يخفى علي جوابها »

ثم قال ابن الأنباري : « وأراد الفرزدق بقوله : لا تكونن حاجتي بظهره ، لا تطرحها » ، وذكره الأزهرى ٦/٢٥٦ غير منسوب ، ونسبه القرطبي ١٣/٦٣ إلى الفرزدق ، وفيه : تميم بن قيس .

(٤) قال في (أ) و(ب) ، ويعني به أبا علي الفارسي .

(٥) أنشده الأزهرى ٦/٢٥٤ ، ونسبه إلى أبي ذؤيب الهذلي ، وهو في ديوانه ١١٥ ، وصدره :

وعيرها الواشون أني أحبها

وهو كذلك في خزنة الأدب ٩/٥٥٥ .

من هذا ؛ أي تلك شكاة هي عنك تظهر ، فلا تعتن بها^(١) .

٥٦ . وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ ؛ أي بالجنة ، ﴿وَنَذِيرًا﴾ من النار^(٢) .

٥٧ . ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ : على القرآن وتبليغ الوحي^(٣) ﴿مِنْ أَجْرِ﴾ وفي هذا تأكيد لصدقه ؛ لأنه لو طلب على دعائهم إلى الله شيئاً من أموالهم لقالوا : إنما يطلب أموالنا ، فإذا لم يطلب شيئاً كان أقرب إلى الصدق^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ﴾ معناه : لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً بإنفاق ماله فعل ذلك^(٥) . فهو من الاستثناء المنقطع يعني : لا أسألكم لنفسي

(١) رد ابن جرير ٢٧ / ١٩ هذا القول ، واعترض عليه ، وصحح القول الأول ، فقال : «لأن الله - تعالى ذكره - أخبر عن عبادة هؤلاء الكفار من دونه ، فأولى الكلام أن يتبع ذلك ذمه إياهم ، وذم فعلهم دون الخبر عن هوانهم على ربهم ، ولما يجز لاستكبارهم عليه ذكر ، فيتبع بالخبر عن هوانهم عليه» . وذكر الشوكاني ٨١ / ٤ قولاً آخر ، فقال : «وقيل إن المعنى : وكان الكافر على ربه الذي يعبد وهو الصنم قوياً غالباً ، يعمل به ما يشاء ؛ لأن الجهاد لا قدرة له على دفع ونفع . وعلى هذا فتكون الآية في من يعبد جماداً دون غيره ، ولا يخفى أن هذا تخصيص لعموم الآية . والله أعلم» .

(٢) تفسير مقاتل ٤٦ ب ، وتنوير المقياس ٣٠٤ ، وتفسير الهواري ٣ / ٢١٥ .

(٣) عند مقاتل ٤٦ ب : «﴿عَلَيْهِ﴾ الإيمان» ، وفي تنوير المقياس ٣٠٤ : «على التوحيد والقرآن» ، وفي تفسير الهواري ٣ / ٢١٥ : «القرآن» . وهو قول ابن زيد ، أخرجه عنه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧١٢ ، وعند الثعلبي ٨ / ١٠٠ ب : «على تبليغ الرسالة» .

(٤) تفسير الثعلبي ٨ / ١٠٠ ب بنحوه . أخرج ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧١٢ عن ابن عباس : «﴿مِنْ أَجْرِ﴾ عرضاً من عرض الدنيا» .

(٥) تفسير الثعلبي ٨ / ١٠٠ ب بنحوه ، وإعراب القرآن للنحاس ٣ / ١٦٤ ، والوسيط ٣ / ٣٤٤ ، والوجيز ٢ / ٧٨٢ .

أجراً، ولكن لا أمتع^(١) من إنفاق المال في طلب مرضاة الله، واتخاذ السبيل إلى ثوابه وجنته^(٢)، وهذا الذي ذكرنا معنى قول المفسرين في هذه الآية^(٣).

٥٨. قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ لَا يَمُوتُ﴾ ظاهر التفسير إلى آخر الآية.

٥٩. وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مفسر في سورة الأعراف^(٤) إلى قوله: ﴿فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾. قال الكلبي: «يقول: فاسأل الخبير بذلك»^(٥). وعلى هذا الكناية في ﴿بِهِ﴾ تعود إلى ما ذكر من خلق السماوات، والأرض، والاستواء على العرش، والباء: من صلة الخبير قدم عليه، وذلك الخبير هو الله عز وجل، وقيل: جبريل عليه السلام^(٦)، وقيل: هذا الخطاب ظاهره للنبي ﷺ والمراد به غيره^(٧).

(١) كلمة: (لا أمتع) في (ج) فقط.

(٢) قال أبو عبيدة ٧٨/٢: «العرب قد تستثني الشيء من الشيء وليس منه على الاختصار، وفيه ضمير تقديره: قل ما أسألكم عليه من أجر إلا أنه من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فليتخذ. ويحتمل أن يكون المعنى: أن تتخذوا إلى ربكم سبيلاً بالتقرب إليه، وعبادته، فالاستثناء على هذا متصل». تفسير ابن جزي ٤٨٦، وذكر القولين أبو حيان ٦/٤٦٥، واستظهر القول بأن الاستثناء منقطع.

(٣) في تفسير مقاتل ٤٦ ب: «﴿سَبِيلًا﴾ طاعته». وهو قول قتادة أخرجه عنه ابن أبي حاتم: ٢٧١٢/٨ ولم يجعله في تنوير المقباس ٣٠٤ متعلقاً بالأجر، وإنما جعله راجعاً إلى الإيمان والتوحيد. قال الهواري ٣/٢١٥: «أي إنسا جنتكم بالقرآن ليتخذ به من آمن إلى ربه سبيلاً بطاعته؛ أي يتقرب به إلى الله». وقريب من كلام الواحدي في تفسير ابن جرير ٢٧/١٩.

(٤) عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤]، حيث تكلم عن كلمة: (ستة)، وبين أصل اشتقاقها، والمراد بها في الآية، والحكمة من ذلك، ثم تكلم عن بقية معاني الآية في خمس صفحات.

(٥) الوسيط ٣/٣٤٤، ونسبه البغوي ٦/٩١ إلى الكلبي. وهذا القول اختيار الهواري ٣/٢١٥: «أي خبيراً بالعباد».

(٦) تفسير الثعلبي ٨/١٠١ أنبحوه.

(٧) وجزم به في الوسيط ٣/٣٤٤، وكذا البغوي في تفسيره ٦/٩١.

وقال مجاهد : ﴿فَسْتَلْ بِهِ خَيْرًا﴾ ؛ أي فاسأل الله تسلاً عاماً بكل شيء لا يخفى عليه خافية^(١) ، وعلى هذا القول معنى الآية : فاسأله تسلاً بسؤالك إياه خبيراً ، كما تقول : سل ، تريد عاماً . والمسؤول هو زيد ؛ أي سل زيداً تسأله بسؤالك إياه عاماً . وكان علي بن سليمان يذهب إلى أن الكناية في ﴿بِهِ﴾ تعود إلى السؤال . وقوله : ﴿فَسْتَلْ﴾ يدل على السؤال ، والمعنى : فاسأل عاماً بسؤالك^(٢) .

وقال أبو إسحاق : «المعنى : فاسأل عنه خبيراً»^(٣) ، وهو مذهب الأخفش وجماعة ، جعلوا الباء بمعنى عن ، كقوله : ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج : ١] ، وأنشدوا :

وَأِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي
بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبٌ^(٤)

(١) أخرج ابن أبي حاتم ٢٧١٥ / ٨ بسنده عن مجاهد : قال : «ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك» ، وأخرج أيضاً بسنده ٢٧١٥ / ٨ عن شمر بن عطية : ﴿الرَّحْمَنُ فَسْتَلْ بِهِ خَيْرًا﴾ قال : «هذا القرآن خبيراً» .

(٢) القطع والائتناف ٤٨٦ / ٢ ، ونسبه إلى علي بن سليمان ، وهو علي بن سليمان بن الفضل النحوي ، أبو الحسن الأخفش الأصغر ، قرأ على ثعلب والمبرد ، وغيرهما ، من مصنفاته : شرح سيبويه ، والتشنية والجمع ، توفي سنة ٣١٥ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٤٨٠ / ١٤ ، وبغية الوعاة ١٦٧ / ٢ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٧٣ / ٤ .

(٤) ذكره ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٥٦٨ ، ونسبه إلى علقمة ، وهو في ديوانه ٢٣ ، وذكره الثعلبي ١٠١ / ٨ ولم ينسبه ، وذكره الطبرسي ٢٧٤ / ٧ منسوباً إلى علقمة بن عبدة ، وفيه : «باغواء النساء» ، وذكره أبو البركات ابن الأنباري في البيان ٥٩ / ٣ من دون نسبة ، ونسبه الشوكاني ٨١ / ٤ إلى امرئ القيس .

أي عن النساء^(١)، والمعنى : سل عن الله أهل العلم يخبروك ، كما قال الشاعر :

هَلَّا سَأَلْتُ الْقَوْمَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي^(٢)

فإن قيل : هل كان يحتاج النبي ﷺ إلى أن يسأل عن الله أحداً ؟

قيل : يحتمل أن يكون الخطاب له ، والمراد به غيره ، ويحتمل أن يكون كقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ ﴾ [يونس : ٩٤] ، وقد ذكرنا ما قيل فيها مستقصى^(٣) .

وكان ابن جرير يذهب إلى أن الباء صلة ، ويقول : « المعنى : فاسأله خبيراً » ، ويذهب إلى : أن ﴿ خَيْرًا ﴾ منصوب على الحال^(٤) .

قال أبو علي الفارسي : « قوله : ﴿ فَسْئَلِ بِهِ ﴾ مثل سل عنه ، فأما ﴿ خَيْرًا ﴾ فلا يخلو انتصابه من أن يكون على أنه حال ، أو مفعول به ، فإن كان حالاً لم يخل من أن يكون حالاً من الفاعل ، أو المفعول ، فإن جعلته حالاً من الفاعل السائل لم يسهل ؛ لأن الخبر لا يكاد يسأل إنما يسأل . ولا يسهل الحال من المفعول أيضاً ؛

(١) تفسير الثعلبي ٨ / ١٠١ . ومن ذهب إلى هذا القول ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٥٦٨ ، وأنكر علي بن سليمان هذا القول : فقال : « لو لقيت فلاناً لقيك به الأسد ؛ أي للقيك بلقاءك إياه الأسد » . تفسير القرطبي ١٣ / ٦٣ ، ورد ذلك أيضاً الألوسي ٧ / ٣٨ ، فقال : « والسؤال كما يعدي بـ (عن) لتضمنه معنى التفقيش ، يعدي بالباء لتضمنه معنى الاعتناء . . . فلا حاجة إلى جعلها بمعنى (عن) ، كما فعل الأخفش ، والزجاج » .

(٢) البيت لعنترة ، من معلقته في ديوانه ٢٥ ، وقد نسب البيت في تفسير الشوكاني ٤ / ٨١ إلى امرئ القيس ، ولعل ذلك خطأ ، لأنه ذكر بعده مباشرة البيت السابق منسوباً إلى امرئ القيس أيضاً ، والله أعلم .

(٣) قال الواحدي : « اختلّفوا في هذا الخطاب لمن هو ؛ فقال أكثر أهل العلم : هذا الخطاب للرسول عليه السلام ، والمراد غيره من الشكاك . . . » ، ثم نقل عن أبي إسحاق الزجاج قوله : « هذا أحسن الأقوال . . . » ثم قال : « وذكروا في هذه الآية أقوالاً متكلفة بعيدة فلم أحكمها » . سورة يونس ٩٤ .

(٤) حكاه عن ابن جرير النحاس في القطع والائتناف ٢ / ٤٨٦ ، وهو في تفسير ابن جرير ١٩ / ٢٨ ، وساقه بسنده عن ابن جريج .

لأن المسؤول عنه خير أبداً ، وليس للحال كثير فائدة . فإن قلت : يكون حالاً مؤكدة ، فغير هذا الوجه إذا احتمل أولى ، فيكون ﴿خَيْرًا﴾ إذا : مفعولاً به ، كأنه قال : فاسأل عنه خيراً ؛ أي مسؤولاً خيراً ، وكان المعنى : سل يتبين بسؤالك ، وبحثك من تستخير ليتقرر عندك ما اقتص عليك من خلقه ما خلق ، وقدرته على ذلك وتعلمه بالفحص عنه والتبين له ، قال : ومما يقوِّي أن السؤال إنما أريد به ما وصفنا قول أُمِّيَّة :

وَسَلْ وَلَا بَأْسَ إِنْ كُنْتَ امْرَأً أَعْمَهَا

إِنَّ السُّؤَالَ شِفَا مَنْ كَانَ حَيْرَانًا^(١)

أراد : سل حتى تتبين بسؤالك ، ألا ترى أنه قال : إن السؤال شفاء من كان حيراناً . والسؤال إذا خلا من العلم لم يكن شفاء ، إنما يكون شفاءً إذا اقترن به العلم والتبين ، وكذلك المراد في قوله : ﴿الرَّحْمَنُ فَسَّلَ بِهِ خَيْرًا﴾ اسأل سؤالاً تبحث به لتبين .

وأجاز أبو إسحاق وغيره في هذه الآية أن يكون الوقف والتمام عند قوله : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ ثم يتدئ ﴿الرَّحْمَنُ فَسَّلَ بِهِ خَيْرًا﴾ فيكون ابتداء ، و﴿فَسَّلَ بِهِ﴾ الخبر^(٢) . ومن لم يقف على (العرش) فارتفاع (الرحمن) يكون

(١) العمه : الذي يتردد متحيراً ، لا يهتدي لطريقه ومذهبه ، والعمه في الرأي ، والعمى في البصر . تهذيب اللغة (عمه) ١/ ١٤٩ ، ولم أجد من ذكر هذا البيت .

(٢) الوقف التام هو الوقف على كلام تم معناه ، ولم يتعلق بما بعده لفظاً ، ولا معنى ، وهو الذي يحسن الوقف عليه ، والابتداء بما بعده . والوقف الكافي هو الوقف على كلام يؤدي معنى صحيحاً مع تعلقه بما بعده من جهة المعنى . والوقف الحسن هو الوقف على كلام يؤدي معنى صحيحاً ، مع تعلقه بما بعده لفظاً ومعنى . والوقف القبيح هو الوقف على ما لا يؤدي معنى صحيحاً ، وذلك لشدة تعلقه بما بعده لفظاً ومعنى . وبعضه أقبح من بعض . ولا يجوز تعمد الوقف عليه إلا لضرورة من انقطاع نفس ونحوه . النشر في القراءات العشر ١/ ٢٢٤ ، وحق التلاوة لحسيني شيخ عثمان ٥١ .

من وجهين؛ أحدهما : على خبر ﴿الَّذِي﴾ ، على ^(١) تقدير : الذي خلق السماوات والأرض الرحمن ؛ أي ^(٢) هو الذي فعل ذلك . وإن جعلت ﴿الَّذِي﴾ متصلاً بالآية المتقدمة ارتفع (الرحمن) على البدل مما في قوله : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى﴾ فَبَيَّنَ بقوله : ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ^(٣) .

٦٠ . قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ . قال عطاء ، والكلبي ، والمفسرون : «قالوا : ما نعرف الرحمن إلا رحمن الياومة ، يعني : مسيلمة» ^(٤) .

قال أبو إسحاق : «الرحمن اسم من أسماء الله - عز وجل - مذكور في الكتب الأول ، ولم يكونوا يعرفونه من أسماء الله ^(٥) ، فلما سمعوه أنكروا ، فقالوا : ﴿وَمَا

(١) (على) في (أ) و(ب) .

(٢) (أي) في (ج) فقط .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٧٣ / ٤ ، وذكره النحاس في القطع والانتشاف ٤٨٥ / ٢ ، ولم ينسبه .

(٤) تفسير مقاتل ٤٦ ب ، في قصة طويلة ليس لها إسناد ، وتنوير المقباس ٣٠٥ من دون ذكر القصة . وذكره ابن جرير ٢٩ / ١٩ فقال : «وذكر بعضهم أن مسيلمة كان يدعى : رحمن الياومة» ، والثعلبي ١٠١ / ٨ ، ولم ينسبه ، وأخرجه بسنده ابن أبي حاتم ٢٧١٥ / ٨ عن عطاء ، وذكره ابن عطية ٦٠ / ١١ ، واقتصر عليه .

مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي ، المتنبئ المشهور بالكذاب ، وفي المثل : أكذب من مسيلمة ؛ لدعواه النبوة ، وقُتل مسيلمة سنة ١٢ هـ ، في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، في حروب الردة التي قادها خالد بن الوليد رضي الله عنه . انظر : سيرة ابن هشام ٢٤٧ / ٤ ، والكامل إلى ابن الأثير ٢٤٦ / ٢ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٧٣ / ٤ ، وجزم الواحدي - رحمه الله - في الوسيط ٣٤٤ / ٣ ، والوجيز ٧٨٢ / ٢ بأن المشركين ما كانوا يعرفون الرحمن في أسماء الله تعالى ، وكذا البغوي في تفسيره ٩٢ / ٦ ، وابن كثير ١٢٠ / ٦ ، قال ابن عاشور ١٧٢ / ١ : «وقد ذكر جمهور الأئمة : أن وصف الرحمن لم يطلق في كلام العرب قبل الإسلام ، وأن القرآن هو الذي جاء به صفة لله تعالى ، فلذلك اختص به تعالى ، حتى قيل : إنه اسم له وليس بصفة» .

الرَّحْمَنُ»^(١)، وقد ذكرنا هذا عند قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ الآية [الإسراء: ١١٠]^(٢).

قوله تعالى: ﴿لَمَّا تَأْمُرُنَا﴾ خطاب للنبي ﷺ وكأنهم تلقوا أمره بالرد والإنكار عليه^(٣). ومن قرأ بالياء^(٤)، فقال أبو عبيد: «تراه أراد لما يأمرنا الرحمن. وليس بالوجه؛ لأنهم لو أقرأوا أن الرحمن - تبارك وتعالى - هو الأمر، ما كانوا كفاراً، إنما كانت مقاتلتهم تلك للنبي ﷺ في ما يقول أهل التفسير؛ وذلك أنهم قالوا: يعنون

(١) قولهم: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ يجوز أن يكون سؤالاً عن المسمى به؛ لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم، والسؤال عن المجهول بها، ويجوز أن يكون سؤالاً عن معناه؛ لأنه لم يكن مستعملاً في كلامهم، كما استعمل: الرحيم، والرحوم، والراحم، أو لأنهم أنكروا إطلاقه على الله تعالى. الكشف ٢٨٢/٣، والألوسي ٣٩/٧.

(٢) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: «قال ابن عباس: إن رسول الله ﷺ قال وهو ساجد ذات ليلة: يا رحمن، فسمعه أبو جهل وهم لا يعرفون الرحمن، فقال: إن محمداً ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر مع الله يقال له: الرحمن، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ﴾ أي قل يا محمد، ادعوا الله يا معشر المؤمنين ﴿أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾؛ أي إن شئتم قولوا: يا الله، وإن شئتم قولوا: يا رحمن، ﴿أَيُّمَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ قال أبو إسحاق: أعلمهم الله أن دعاءهم الله أو دعاءهم الرحمن يرجعان إلى واحد، فقال: ﴿أَيُّمَا مَا تَدْعُوا﴾، المعنى أي أسماء الله تدعو ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.»

والظاهر أن قولهم: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ قول قوم كانوا يمجحدون التوحيد، ويدل عليه ازديادهم نفوراً لما أمروا أن يسجدوا للرحمن؛ لأن العرب كانوا يعرفون الرحمن في أسماء الله تعالى، وأنه اسم مسمى من الرحمة. تفسير الماوردي ١٥٣/٤، وفي تفسير الرازي ١٠٥/٢٤: والأقرب أن المراد إنكارهم لله لا للاسم؛ لأن هذه اللفظة عربية، وهم كانوا يعلمون أنها تفيد المبالغة في الإنعام. واستظهر هذا المعنى، ونصره أبو حيان ٤٦٦/٦.

(٣) تفسير الهواري ٢١٦/٣، والحجة للقراء السبعة ٣٤٦/٥.

(٤) قرأ بالياء حمزة والكسائي. انظر: السبعة في القراءات ٤٦٦، والحجة للقراء السبعة ٣٤٦/٥، والنشر في القراءات العشر ٣٣٤/٢.

أنسجد لما يأمرنا الرحمن اليامة»^(١)؛ تكبراً منهم واستهزاءً، ونحو هذا ذكر الفراء في قراءة من قرأ بالياء^(٢).

وقال أبو علي: «من قرأ بالياء فالمعنى: أنسجد لما يأمرنا محمد ﷺ بالسجود له، على وجه الإنكار منهم لذلك، ولا يكون على: أنسجد لما يأمرنا الرحمن بالسجود له؛ لأنهم أنكروا الرحمن بقولهم: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾»^(٣).

وقوله: ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾. قال مقاتل: «يقول»^(٤): زادهم ذكر الرحمن تباعداً من الإيمان»^(٥).

وقال غيره: «زادهم أمر النبي ﷺ إياهم بالسجود نفوراً عما أمروا به من ذلك»^(٦).

روى مسعر عن عبد الأعلى^(٧) أنه كان يقول في سجوده: زادنا لك خشوعاً ما زاد أعداءك عنك نفوراً^(٨)، فلا تُكَبَّ وجوهنا في النار بعد سجودها لك.

(١) ذكر قول أبي عبيد، النحاس في إعراب القرآن ١٦٥/٣، والقطع والانتفاف ٤٨٧/٢ مع شيء من الاختلاف، وما ذكر عن أهل التفسير في تفسير مقاتل ٤٦ب، وتفسير ابن جرير ٢٩/١٩.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٧٠/٢، ويمكن توجيه قراءة الياء على معنى: أنسجد لما يأمرنا الله تعالى حسب زعمك وقولك؟

(٣) الحجة للقراء السبعة ٣٤٦/٥، وذكره الهواري ٢١٥/٣، فقال: «ومن قرأها بالياء، فيقول: يقول بعضهم لبعض: أنسجد لما يأمرنا محمد؟». قال ابن جرير ٢٨/١٩: «إنها قراءتان مستفيضتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحد منهما علماء من القراء، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب».

(٤) (يقول) في (ج)، وهي غير موجودة في تفسير مقاتل.

(٥) تفسير مقاتل ٤٦ب، وتنوير المقباس ٣٠٥، وذكر قولاً آخر: القرآن.

(٦) الحجة للقراء السبعة ٣٤٦/٥، بنصه، وذكر نحوه الهواري ٢١٦/٣، وابن جرير ٢٩/١٩.

(٧) عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى بن مسهر، الغساني الدمشقي، الفقيه، شيخ الشام، توفي سنة ٢١٨هـ، من العاشرة، ثقة فاضل. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٢٨/١٠، وتقريب التهذيب ٥٦٢.

(٨) ذكره الثعلبي ١٠١/٨ عن سفيان الثوري من دون آخره، وكذلك القرطبي ٦٤/١٣، والبرسوي ٢٣٥/٦.

٦١. قوله تعالى: ﴿نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾. قال ابن عباس في رواية عطاء: «يريد بروج النجوم»^(١). يعني: منازلها الاثني عشر، كل برج منها: منزلان، ونصف منزل للقمر، وهو ثلاثون درجة للشمس، ولكل برج اسم على حدة، وأساميها معروفة^(٢).

وقال أبو صالح: «هي النجوم الكبار العظام»، وهو قول مقاتل، ومجاهد، والحسن، قالوا في تفسير البروج: «هي النجوم والكواكب»^(٣).

قال أبو إسحاق: «وإنما قيل للكواكب بروج؛ لظهورها، وبيانها، وارتفاعها. والبرجُ: تباعد ما بين الحاجبين، وكل ظاهر مرتفع فقد بُرِّج»^(٤).

(١) تنوير المقباس ٣٠٥، وذكره الهواري ٢١٦/٣، واقتصر عليه، ولم ينسبه.

(٢) وقد ذكرها مفصلة الثعلبي ١٠١/٨، ولم ينسبه إلى أحد، والبغوي في تفسيره ٩٢/٦، وهي: الحمل، والثور، والجوزاء، السرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت.

(٣) تفسير مقاتل ٤٦ب، وأخرجه بسنده عن قتادة عبدالرزاق في تفسيره ٧٠/٢، وأخرجه بسنده ابن جرير ٢٩/١٩ عن أبي صالح، ومجاهد، وقاتدة، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٧١٦/٨ عن أبي صالح، وسعيد بن جبير، وذكره عن مجاهد، والحسن، وقاتدة، وأخرجه بسنده الثعلبي ١٠١/٨ عن أبي صالح، وذكره عن مجاهد، وقاتدة.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٧٣/٤، وفيه: (تباينها) بدل (بيانها)، واقتصر على هذا القول.

وقال عطية العوفي: «هي قصور فيها الحرس»، وهو قول الأعمش وأصحاب عبدالله^(١)، وذكر الكلبي القولين: النجوم، والقصور^(٢).

والبروج بمعنى القصور ذكرنا تفسيرها عند قوله: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾. قالوا: هو الشمس، نظيره قوله: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾^(٤) [نوح: ١٦]. وقرأ حمزة والكسائي: (سُرْجًا)^(٥). قال الزَّجَّاج: «أراد الشمس، والكواكب معها»^(٦). ومن حجة هذه القراءة قوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا

(١) ذكره بسنده ابن جرير ٢٩/١٩ عن عطية، ويحيى بن رافع، وإبراهيم، وأبي صالح، وذكره بإسناده عن عطية ابن أبي حاتم ٢٧١٦/٨، والثعلبي ١٠١/٨. قال ابن أبي حاتم: «وروي عن ابن عباس، ومحمد بن كعب القرظي، وأبي صالح في إحدى الروايات، وإبراهيم النخعي، والأعمش أنها: القصور». ويشهد للحرس فيها قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثِّتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨]. تفسير السمرقندي ٤٦٤/٢.

(٢) تنوير المقباس ٣٠٥، وقال في الوجيز ٧٨٣/٢: «(بُرُوجًا) أي منازل الكواكب السبعة». ورجع ابن جرير ٣٠/١٩ أن المراد بها القصور، وجعل هذه الآية دليلاً عليه. والذي يظهر أنهم لا يعنون قصوراً في الجنة، بل قصوراً في السماء فيها الحرس، كما صرح به ابن كثير ١٢٠/٦، وعلى هذا لا يرد الإشكال الذي اعترض به ابن عطية ٦٢/١١، فقال: «والقول بأنها قصور في الجنة يحط من غرض الآية في التنبيه على أشياء مدركات تقوم بها الحجة على كل منكر لله أو جاهل به». وأما ابن كثير ١٢٠/٦ فقد استظهر أن المراد بها الكواكب العظام، ثم قال: «اللهم إلا أن تكون الكواكب العظام هي قصور للحرس فيجتمع القولان».

(٣) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: «والبروج في كلام العرب: القصور والحصون»، وقال ابن المظفر: «البروج بيوت تبنى على سور المدينة، وبروج الفلك اثنا عشر، كل برج فيها ثلاثون درجة، وأصلها في اللغة: من الظهور، ومنه يقال: تبرجت المرأة، إذا أظهرت محاسنها».

(٤) تفسير مقاتل ٤٦ب، وتنوير المقباس ٣٠٥، ومعاني القرآن للفراف ٢٧١/٢، واستشهد عليه بالآية، ومجاز القرآن ٧٨/٢، وأخرجه عن قتادة عبدالرزاق ٧٠/٢، وابن جرير ٣٠/١٩، وابن أبي حاتم ٢٧١٧/٨، وهو قول الهواري ٢١٦/٣، والزَّجَّاج ٧٤/٤، والثعلبي ١٠١/٨ ب.

(٥) السبعة في القراءات ٤٦٦، والحجة ٣٤٧/٥ والنشر ٣٣٤/٢.

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٧٤/٤.

السَّمَلَةُ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ ﴿[الملك: ٥] فشبهت الكواكب بالمصابيح في قوله : (سُرْجاً) كما شبهت المصابيح بالكواكب في قوله : ﴿الرَّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ﴾ [النور: ٣٥] ، والمعنى : مصباح الرَّجَاجَةِ ، ويدل ذلك قول امرئ القيس :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقْفَالٍ^(١)

واختار أبو عبيد (سُرْجاً) ، وقال : «من قرأ (سُرْجاً) أراد النجوم» ، وهي قد ذكرت قبل هذا في قوله : ﴿جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ ، وهذا الذي ذكره لا يقدر في قراءة حمزة ؛ لأنه يحمل البروج على غير الكواكب^(٢) .

٦٢. قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ : ذكر أهل اللغة والمفسرون في الخلفة قولين^(٣) ؛ قال أبو عبيدة : «الخلفة كل شيء بعد شيء»^(٤) .

(١) هذا بنصّه في الحجة للقراء السبعة ٣٤٧/٥ ، من قوله : «ومن حجة هذه القراءة» ، وعنه أنشد بيت

امرئ القيس ، ورواية الديوان هي :

نظرتُ إليها والنجومُ كأنها مصابيحُ رهبانٍ تُشَبُّ لِقْفَالٍ

سموتُ إليها بعد ما نام أهلها سمو حبابِ الماءِ حالاً على حالٍ

ديوان امرئ القيس ١٨٢ ، وفي حاشية الديوان : «تشب لقفال : توقد لعائدين من الغزو أو غيره .

الحباب : الفقايع التي تظهر على سطح الماء» .

(٢) ذكر قول أبي عبيد النحاس في إعراب القرآن ١٦٦/٣ ، وذكر الإجابة عنه فقال : «أبان بن تغلب قال :

السرج : النجوم الدراري ، فعلى هذا تصح القراءة ، ويكون مثل قوله جل وعز : ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِقَوْمِكَ فَكَتَبْنَا لَهُ إِيمَانَهُ وَرُسُلَهُ وَجَبْرِيْلَ وَمِيكَائِلَ﴾ [البقرة: ٩٨] فأعيد ذكر النجوم النيرة» . وذكر قول أبي

عبيد السمرقندي ٤٦٥/٢ ، وهو اختيار الثعلبي ١٠١/٨ ب .

(٣) أمّا ابن جرير ٣٠/١٩ فقد ذكر فيها ثلاثة أقوال :

١- يخلف أحدهما صاحبه . ٢- ما فات في أحدهما عمل في الآخر . وقد جعلها الواحدي قولاً واحداً .

٣- كل واحد منهما مخالف لصاحبه .

(٤) مجاز القرآن ٧٨/٢ بمعناه ، وهو قول الأزهري ، قال ٣٩٨/٧ : «كل شيء يبيء بعد شيء فهو خلفة» .

وقال الأصمعي : «خلفة الثمر : الشيء يجيء بعد الشيء . والخلفة من نبات الصيف بعد ما يبس العشب ، ومن الزروع ، ما زرع بعد إدراك الذي زرع أولاً ؛ لأنها تُستخلف»^(١) ، وأنشد :

وَلَهَا بِالْمَاطِرُونَ إِذَا أَكَلَ النَّمْلُ الَّذِي جَمَعَا
خِلْفَةً حَتَّى إِذَا ارْتَبَعَتْ سَكَنْتَ مِنْ جِلْقِي بَيْعًا^(٢)

قال المبرّد : «يقول : يخلف هذا المكان في هذا الوقت المكان الآخر» ، قال : «ومن هذا يقال للمبطون : أصابته خلفة لتردده بين أن يخلف المشي القعود ، والقعود المشي» ، فعلى هذا القول : الليل خلفة للنهار ، والنهار خلفة لليل ؛ لأن أحدهما يخلف الآخر ويأتي بعده .

(١) تهذيب اللغة (خلف) ٧/٣٩٩ ، ٤٠٠ بنصّه ، وفيه : «والخلفة ما أنبت الصيف من العشب ، بعد ما يبس العشب» . ولم ينشد البيت المذكور .

(٢) ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/٧٩ ، ولم ينسبه . قال المبرّد : «قال أبو عبيدة : هذا الشعر يُختلف فيه ؛ فبعضهم ينسبه إلى الأحوص ، وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية» . الكامل ١/٤٩٨ ، وذكره ابن جرير ١٩/٣١ ، ولم ينسبه ، وذكره ابن عطية ١١/٦٣ ، وزاد عليه بيتاً ، وقال فيه : «ومنه قول الآخر يصف امرأة تنقل من منزل في الشتاء لمنزل في الصيف دأباً» ، وأنشده أبو علي في كتاب الشعر ١/١٦٠ ، ولم ينسبه ، وكذا ابن جني في سر صناعة الإعراب ٢/٦٢٦ ، والمطرون : بستان بظاهر دمشق يسمى اليوم : الميطور ، وخلفة : خلفة الشجر : وهو ما يخرج من الثمر بعد الثمر الطيب ، أو من الاختلاف ؛ وهو : التردد ، وهو الشاهد من إيراد البيت . والنمل فاعل أكل ، والذي مفعوله ، والعائد محذوف ؛ أي جمعه ، وارتبعت : دخلت في الربيع ، وجلق : مدينة بالشام ، وبيعاً : مفعول سكنت ، وهو جمع بيع بالکسر ؛ كنيسة النصارى ، ومعنى البيتين : إن لهذه المرأة تردداً إلى الماطرون في الشتاء ، فإن النمل يخزن الحب في الصيف ليأكله في الشتاء ، ولا يخرج إلى وجه الأرض من قريته ، وإذا دخلت في أيام الربيع ارتحلت إلى البيع التي في جلق . خزائن الأدب ٧/٣١٢ .

قال الفرّاء : «يقول يذهب هذا ويحيى هذا»^(١) ، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء ، ومقاتل ، وابن زيد ، والضحاك ، والحسن . قال ابن عباس : «يريد من فاته شيء من الخير بالليل عمله بالنهار»^(٢) .

وقال مقاتل : «جعل النهار»^(٣) خلفاً من الليل لمن نام بالليل ، وجعل الليل خلفاً من النهار لمن كانت له حاجة ، وكان مشغولاً»^(٤) .

وقال ابن زيد : «يخلف أحدهما صاحبه ، إذا ذهب أحدهما جاء الآخر ، فهما يتعاقبان في الضياء والظلام ، والزيادة والنقصان»^(٥) .

وقال الضحاك : «من عجز عن عمل الليل فعمل بالنهار كان له خلفاً ، ومن عجز عن عمل بالنهار فعمل بالليل كان له خلفاً» ، وقال الحسن : «جعل أحدهما خلفاً للآخر فإن فات رجلاً من النهار شيء أدركه بالليل ، وإن فاته شيء بالليل أدركه بالنهار»^(٦) ، وهذا القول اختيار الليث ، قال : «أي إذا فاته أمر بالنهار

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٧١ ، واختار هذا المعنى ابن كثير ٦/ ١١٤ .

(٢) أخرجه بسنده ابن جرير ١٩/ ٣٠ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من طريق علي بن أبي طلحة ، وكذا ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧١٨ ، وذكره البخاري تعليقاً . الفتح ٨/ ٤٩٠ ، وذكره الثعلبي عن ابن عباس ، والحسن ، وقنادة . وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن شقيق قال : «جاء رجل إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال : فاتتني الصلاة الليلة ، فقال : أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك ، فإن الله جعل الليل والنهار خلفاً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً» . ويشهد لهذا حديث عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ نَامَ عَنْ حُزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّهُ قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ» . أخرجه مسلم ١/ ٥١٥ في صلاة المسافرين وقصرها ، رقم : ٧٤٧ ، والنسائي ٣/ ٢٨٨ في قيام الليل ، رقم : ١٧٩٠ .

(٣) في (ج) (الليل) ، وهو خطأ .

(٤) تفسير مقاتل ٤٧أ .

(٥) أخرجه بسنده ابن جرير ١٩/ ٣٢ مطولاً ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٠١ ب .

(٦) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧١ ، وابن جرير ١٩/ ٣١ ، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٧١٨ ، وساق بعده عبدالرزاق بسنده قول النبي ﷺ : «لا حسد إلا على اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فهو ينفق منه آناء الليل وآناء

تداركه بالليل ، وإذا فاتته بالليل تداركه بالنهار^(١) من العبادة ، والذكر ، وغير ذلك^(٢) .

القول الثاني : قال الكسائي : «يقال لكل شيئين اختلفا : هما خِلْفَان ، وخِلْفَتَان ، يقال : له ابنان خِلْفَان ، وله عبدان خِلْفَان ، وله أَمَتَان خِلْفَان ، إذا كان أحدهما طويلاً ، والآخر قصيراً ، أو كان أحدهما أبيض ، والآخر أسود^(٣) ، قال الراجز :

دَلَوَايَ خِلْفَانٍ وَسَاقِيَاهُمَا^(٤)

يقول : إحداهما مُصْعِدَةٌ ، والأخرى مُنْحَدِرَةٌ^(٥) ، وأحد الساقين طويل ، والآخر قصير^(٦) ، أو أحدهما أسود ، والآخر أحمر . وقال غيره : يقال : ولد فلان خلفه ؛ أي نصف صغار ، ونصف كبار ، ونصف ذكور ، ونصف إناث^(٧) ، وعلى

= النهار ، ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار . والحديث أخرجه البخاري كتاب العلم ، رقم ٧٣ ، الفتح ١ / ١٦٥ ، ومسلم ١ / ٥٥٨ ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، رقم ٨١٥ .
(١) العين (خلف) ٤ / ٢٦٨ ، ولم أجده في التهذيب . أخرج ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧١٨ عن الحسن أن عمر رضي الله عنه - أطال صلاة الضحى ، فقليل له : صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه ؛ فقال : إنه بقي علي من وردي شيء فأحببت أن أتمه أو أقضيه ، وتلا هذه الآية : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ .

(٢) اقتصر الواحد على هذا القول في الوسيط ٣ / ٣٤٥ ، والوجيز ٢ / ٧٨٣ .

(٣) تهذيب اللغة (خلف) ٧ / ٣٩٨ بنصه ، وهو قول أبي زيد في النوادر في اللغة ١٥ .

(٤) هكذا ورد في تهذيب اللغة ٧ / ٣٩٨ غير منسوب ، واللسان (خلف) ٩ / ٩١ كذلك ، ومقاييس اللغة ٢ / ٢١٣ ، ونوادر أبي زيد ١٥ .

(٥) تهذيب اللغة (خلف) ٧ / ٣٩٨ .

(٦) في نسخة (أ) و(ب) بالتثنية في (طويلاً ، وقصيراً) .

(٧) تهذيب اللغة (خلف) ٧ / ٣٩٨ بنصه . ولم يسم القائل .

هذا^(١) الخلفة من الاختلاف الذي هو ضد الاتفاق ، وهذا قول مجاهد ، قال : «جعل كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه ، فجعل هذا أسود ، وهذا أبيض»^(٢) .

وذكر الفراء والزجاج القولين جميعاً^(٣) ، وأنشدا قول زهير :

بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خَلْفَةً^(٤)

أي مختلفات ، في أنهما ضربان في ألوانها ، وهيئتها ، وتكون خلفة في مشيتها ، تذهب كذا ، وتجيء كذا^(٥) . وحكى الكلبي القولين أيضاً ، فقال : «﴿خَلْفَةً﴾ يخلف كل واحد منهما صاحبه . قال : ويقال الخلفة : اختلاف ألوانها»^(٦) . والخلفة اسم من الاختلاف أقيم مقام المصدر ، والاختلاف يحتمل المعنيين جميعاً ، وذكرنا ذلك عند قوله : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [البقرة :

(١) في (أ) و(ب) : (وهذا على) .

(٢) أخرجه بسنده عنه ابن جرير ٣١ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٧١٨ / ٨ ، وتفسير مجاهد ٤٥٥ / ٢ ، وذكره

عنه الهواري ٢١٦ / ٣ ، وأخرجه بسنده ابن أبي حاتم ٢٧١٨ / ٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٧١ / ٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٧٤ / ٤ .

(٤) صدر بيت ، وعجزه :

وَأُطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْمَعٍ

ديوان زهير ٧٥ ، وذكره مقتصراً على صدره الفراء ٢٧١ / ٢ ، وأبو عبيدة ٨٠ / ٢ ، وابن قتيبة في الغريب ٣١٤ ، وابن جرير ٣٢ / ١٩ ، والأزهري ٣٩٩ / ٧ ، وذكره بتمامه الثعلبي ١٠١ / ٨ ، وابن عطية ٦١ / ١١ ، قال ابن قتيبة : «الآرام : الطباء البيض ، والآرام : الأعلام ، واحده : أرم ، أي إذا ذهب فوج الوحش ، جاء فوج» .

(٥) تهذيب اللغة (خلف) ٣٩٩ / ٧ بنصه . وذكر نحوه الفراء ٢٧١ / ٢ ، وابن جرير ٣٢ / ١٩ .

(٦) في تنوير المقباس ٣٠٥ : «مختلفة بعضها لبعض» .

[١٦٤] ^(١)، ولهذا لم يثنَّ، كما يقال: رجلان عدل، ويحتمل أن يكون الأمر من باب حذف المضاف على تقدير: ذوي خلفه ^(٢).

قوله: ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ﴾؛ أي يتذكر، فيتين شكر الله، وموضع النعمة، وإتقان الصنعة، فيستدل به على التوحيد. والتشديد على أنه يتذكر، ويتفكر ليدرك العلم بقدرته، ويستدل على توحيده. وقرأ حمزة مخففاً ^(٣) على معنى ^(٤) أنه: يذكر ما نسيه في أحد هذين الوقتين، في الوقت الآخر. ويجوز أن يكون على تذكر تنزيه الله تعالى، وتسييحه فيهما، كما قال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]. هذا كلام أبي علي ^(٥).

وقال الفراء: «(ويذكر، ويتذكر) يأتيان بمعنى واحد، قال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٦٣]، في حرف عبدالله: (وتذكروا) ما فيه». انتهى كلامه ^(٦). وفي جعل الله تعالى الليل والنهار متعاقبين، يخلف أحدهما صاحبه

(١) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: «فسر الاختلاف هاهنا تفسيرين؛ أحدهما: أنه افتعال من قولهم: خلفه يخلفه إذا ذهب الأول وجاء الثاني خلفه؛ أي بعده وهذا فسر قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ . . . الثاني: قال ابن كيسان وعطاء في هذه الآية: أراد اختلافها في الطول والقصر والنور والظلمة والزيادة والنقصان . . . وهذا القول يرجع إلى المعنى الأول؛ لأن معنى الاختلاف في اللغة: التفرق في الجهات جهة اليمين والشمال والخلف والقدام، ثم شبه الاختلاف في المذاهب وفي كل شيء بالاختلاف في الطريق مواجهة أن كل واحد من المختلفين على نقيض ما ذهب إليه الآخر كالمختلفين في الطريق».

(٢) ذكره القرطبي ١٣/٦٦، ولم ينسبه.

(٣) كتاب السبعة في القراءات ٤٦٦، والحجة للقراء السبعة ٥/٣٤٨، وقرأ بها من القراء العشرة خلف، والنشر في القراءات العشر ٢/٣٣٤.

(٤) (معنى) (ج).

(٥) الحجة للقراء السبعة ٥/٣٨٤، قال: «المعنى في قراءة حمزة: ﴿أَنْ يَذْكُرَ﴾ يتذكر».

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/٢٧١ بلفظ: «وفي قراءتنا ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٦٣]، وفي حرف عبدالله (وتذكروا ما فيه)»، وذهب إلى أنها بمعنى واحد ابن جرير ١٩/٣٢، لم أجده عند ابن خالويه، ولا ابن جني.

اعتباراً واستدلال على قدرته ، ومتسع لذكره ، وطاعته أيضاً^(١) ، وهذا قول المفسرين كما حكينا عنهم في القول الأول في الخلفة . وعلى قول مجاهد الظاهر أنه أراد بالتذكير الاعتبار ، والاستدلال على قدرته ، لا الذكر الذي هو التسييح والتنزيه^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ : الشُّكُور مصدر شَكَرَ يَشْكُر ، شُكْرًا وشُكُورًا ، كما يقال : كَفَرَ يَكْفُر ، كُفْرًا وكُفُورًا ، قال الله تعالى : ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان : ٩] . قال ابن عباس في هذه الآية : «يريد لمن أراد أن يتعظ ، ويطيعني»^(٣) ، وقال مجاهد : «يشكر نعمة ربه عليه فيها»^(٤) .

٦٣ . قوله : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ . قال الليث^(٥) : «الهون : مصدر الهين في معنى^(٦) السكينة والوقار . تقول : هو يمشي هَوْنًا ، وجاء عن علي رضي الله عنه : (أحب حبيبك هوناً ما)^(٧)» .

-
- (١) ذكره في الوسيط ٣/ ٣٤٥ بنصه ، ولم ينسبه .
 (٢) أخرج بسنده ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧١٩ عن مجاهد : ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ﴾ : «يتعظ» .
 (٣) تنوير المقباس ٣٠٥ .
 (٤) تفسير مجاهد ٢/ ٤٥٥ ، وأخرجه عنه ابن جرير ١٩/ ٣٢ ، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٧١٩ .
 (٥) (الليث) في (ج) .
 (٦) (معنى) ساقطة من النسخ الثلاث ، وهي في تهذيب اللغة (هون) ٩٢/ ٤ .
 (٧) كتاب العين (هون) ٩٢/ ٤ بنصه ، وتهذيب اللغة (هان) ٦/ ٤٤٠ ، وفيها : «مصدر الهين ، في معنى السكينة والوقار» . والأثر ذكره الثعلبي ٨/ ١٠١ ب مرفوعاً للنبي ﷺ من دون إسناد ، ولفظه : «أحب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغضك يوماً ما ، وأبغض بغضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما» ، وأخرجه الترمذي ٤/ ٣١٦ ، مرفوعاً في كتاب : البر والصلة ، رقم ١٩٩٧ ، وقال : حديث غريب ، وصححه الألباني مرفوعاً في غاية المرام ٢٧٣ ، وذكر له طرقاتاً . وأما الموقوف فقد قال الترمذي : والصحيح عن علي موقوف . والموقوف أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن علي رضي الله عنه . صحيح الأدب المفرد ٥٠١ ، وقد جمع طرقه الزيلعي في تحريجه أحاديث الكشاف ٢/ ٤٦٤ .

قال شَمِرٌ في تفسيره : «الهُونُ : الرِّفق ، والدَّعة ، والهيئة ، يقول : لا تُفرط في حُبّه ولا بغضه»^(١) ، وأنشد :

تَهَادَى فِي رِداءِ المِرْطِ هَوْنًا^(٢)

قال ابن عباس : «يريد بالسكينة والوقار»^(٣) ، وهو لفظ مجاهد^(٤) .

(١) تهذيب اللغة (هان) ٤٤١ / ٦ ، وفيه : (قاله في تفسير حديث علي) . قال ابن القيم : «الهُون ، بالفتح في اللغة : الرفق واللين . والهُون ، بالضم : الهوان . فالفتوح منه : صفة أهل الإيثار . والمضموم : صفة أهل الكفران ، وجزاؤهم من الله النيران» . مدارج السالكين ٣٢٧ / ٢ ، قال ابن كثير ١٢٢ / ٦ : «وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعاً ورياءً ، فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشى كأنها ينحط من صيب ، وكأنها الأرض تطوى له ، وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع وإنما المراد بالهُون هنا السكينة والوقار» .

(٢) تهذيب اللغة (هان) ٤٤١ / ٦ ، ولم ينسبه ، وصدده :

مررتُ على الوَرِيقَةِ ذاتِ يومٍ

ولم يسم الأزهري من أنشد هذا البيت ، وأورده في لسان العرب ٤٣٩ / ١٣ ، وصدده :

مررتُ على الودِيعَةِ ذاتِ يومٍ

فلعل (الوريقة) تصحيف (الوديعه) ، والله أعلم . تهادى مأخوذ من التهويد ، وهو المشي الرّويد ، مثل الديب ونحوه . تهذيب اللغة (هاد) ٣٨٨ / ٦ ، المرط : جمعه : مروط ، وهي أكسية من صوف أو خز ، كان يؤتزرها . تهذيب اللغة (مرط) ٣٤٥ / ١٣ .

(٣) أخرج بسنده ابن جرير ٣٣ / ١٩ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من طريق علي بن أبي طلحة : بالطاعة والعفاف والتواضع ، وكذا ابن أبي حاتم ٢٧١٩ / ٨ ، واختاره الزَّجَّاج ٧٤ / ٤ ، واقتصر عليه ، ولم ينسبه ، واقتصر عليه في الوجيز ٧٨٣ / ٢ .

(٤) تفسير مجاهد ٤٥٥ / ٢ ، وبسنده ذكره الفراء ٢٧٢ / ٢ ، ونسبه إلى عكرمة أيضاً ، وأخرجه بسنده عبد الرزاق في تفسيره ٧١ / ٢ ، وكذا ابن جرير ٣٢ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٧١٩ / ٨ ، وأخرجه عن الحسن أيضاً ، وذكره الهواري ٢١٦ / ٣ .

وقال الحسن ، وعطاء ، والضحاك ، ومقاتل : «حلماء متواضعين ، يمشون في اقتصاد»^(١) .

وقال قتادة : ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ تواضعاً لله لعظمته^(٢) .

وروى أسامة بن زيد عن أبيه ، قال : لا يشتدون^(٣) .

وقال ابن وهب : «لا يتكبرون على الناس ، ولا يتجبرون»^(٤) .

وانتصب ﴿هَوْنًا﴾ ؛ لأنه صفة مصدر محذوف ؛ أي يمشون مشياً هوناً^(٥) . قال المفسرون : «هذا من صفة خواص عباد الله ، أضافهم إليه لاصطفائه إياهم ، كما يقال : بيت الله ، وناقة الله»^(٦) .

(١) تفسير مقاتل ٤٧أ ، وأخرجه بسنده عن الحسن عبدالرزاق في تفسيره ٧١ / ٢ ، وعنه ابن جرير ٣٤ / ١٩ ، ولفظه عندهما : «حلماء علماء لا يجهلون» ، وأخرجه أيضاً الثعلبي ١٠١ / ٨ ب . وأخرج ابن أبي حاتم ٢٧١٩ / ٨ ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : «علماء حلماء» .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٢١ / ٨ .

(٣) أخرجه ابن جرير ٣٤ / ١٩ .

أسامة بن زيد بن أسلم العمري المدني ، ضعيف ، ليس له في الكتب الستة سوى حديث واحد عند ابن ماجه . انظر : سير أعلام النبلاء ٦ / ٣٤٣ ، وتقريب التهذيب ١٢٣ ، وأما أبوه زيد بن أسلم فهو مولى عمر رضي الله عنه ، ثقة عالم ، وكان يرسل ، توفي سنة ١٣٦ هـ . انظر أيضاً : سير أعلام النبلاء ٥ / ٣١٦ ، وتقريب التهذيب ٣٥٠ .

(٤) أخرجه ابن جرير ٣٤ / ١٩ فقال : «حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ ، قال : لا يتكبرون على الناس ، ولا يتجبرون ، ولا يفسدون . وقرأ : ﴿تِلْكَ الْأَمْثَلُ الْأَخْرَجُ نَجَعَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص : ٨٣] ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٢١ / ٨ من دون ذكر الآية . قال الزمخشري ٣ / ٢٨٣ : «ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الأسواق ، ولقوله : ﴿وَيَتَشَى فِي الْأَسْوَاقِ﴾» .

(٥) قال ابن قتيبة : «أي مشياً رويداً» . غريب القرآن ٣١٥ .

(٦) غريب القرآن إلى ابن قتيبة ٣١٥ ، من قوله : «أضافهم إليه . . .» . قال البغوي ٩٣ / ٦ : الإضافة هنا للتخصيص ، والتفضيل ، وإلا فالخلق كلهم عباد الله .

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ . قال مقاتل : يعني السفهاء^(١) .
﴿قَالُوا سَلَمًا﴾ . يقول : إذا سمعوا الأذى من كفار مكة ردُّوا معروفًا^(٢) . قال
الكلبي : «نسختها آية القتال»^(٣) .

وقال ابن عباس : «ردُّوا سداداً من القول»^(٤) ، لا يجهلون مع من يجهل ،
وهذا قول مجاهد ، قال : «قالوا سداداً»^(٥) .

وقال الحسن : «إن جهل عليهم جاهل حلموا ولم يجهلوا»^(٦) .

(١) تفسير مقاتل ٤٧ أ . وأخرج ابن أبي حاتم ٢٧٢٢ / ٨ عن سعيد بن جبير : يعني : السفهاء من الكبار .

(٢) تفسير مقاتل ٤٧ أ . وتنوير المقياس ٣٠٥ .

(٣) ذكره الثعلبي ٨ / ١٠٢ أ عن أبي العالية ، والكلبي ، ولفظه : «هذا قبل أن يؤمروا بالقتال ثم نسختها
آية القتال» . ولفظ الفراء يشعر بميله إلى هذا القول ؛ قال ٢ / ٢٧٢ : «كان أهل مكة إذا سبوا المسلمين
ردوا عليهم رداً جميلاً قبل أن يؤمروا بقتالهم» ، ونسبه إلى الكلبي السمرقندي ٢ / ٤٦٥ ، وذكره عنها
البغوي ٩٣ / ٦ .

(٤) تنوير المقياس ٣٠٥ .

(٥) أخرجه عبدالرزاق ٢ / ٧١ ، وعنه ابن جرير ٣٥ / ١٩ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٢٢ ، وذكره عنه
الثعلبي ٨ / ١٠٢ أ .

(٦) أخرجه ابن جرير ٣٥ / ١٩ ، وذكر الثعلبي عن الحسن ٨ / ١٠٢ أقولاً آخر ؛ ولفظه : «سلموا عليهم» ،
دليله قوله تعالى : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ﴾
[القصص : ٥٥] ، وأخرجه عنه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٢٢ من دون ذكر الآية . وذكر الماوردي ٤ / ١٥٥
عن الضحاك ، قالوا : وعليك السلام . ولم يعترض عليه ، وكذلك العز في تفسيره ٢ / ٤٣١ ، وذكر
البغوي ٩٣ / ٦ قول الحسن بعد أن قال : «وليس المراد منه السلام المعروف ! . والذي يظهر أنه لا
يمنع من إرادة السلام المعروف مانع ، كما في الآية التي استدلت بها الحسن ، ويكون التسليم قطعاً
للكلام وفراقاً بينهم . والله أعلم» . وعلى هذا يفرق بين المشركين ، وغيرهم من الجاهلين ، وذلك
للهي عن ابتداء المشركين بالسلام ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : «لَا
تَبْدُؤُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ» ، وفي إحدى
روايات مسلم : «إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ» وَلَمْ يَسَمَّ أَحَدًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . أخرجهما مسلم ٤ / ١٧٠٧ ، كتاب :
السلام ، رقم ٢١٦٧ . والترمذي ٥ / ٥٧ ، كتاب : الاستئذان ، رقم ٢٧٠٠ . قال ابن العربي
٣ / ٤٥٢ : «وقد اتفق الناس على أن السفية من المؤمنين إذا جفاك يجوز أن تقول له : سلام عليك . =

وقال قتادة : « كانوا لا يجاهلون أهل الجاهلية ^(١) والجهل ^(٢) » .

وقال مقاتل بن حيان : « **﴿قَالُوا سَلَامًا﴾** ؛ أي قولاً يسلمون فيه من الإثم ^(٣) » .

قال أبو إسحاق وأبو علي : « نتسلم منكم سلاماً لا نجاهلكم ، كأنهم قالوا : تسلماً منكم لا نتلبس بشيء من أمركم ^(٤) » .

وقال أبو الهيثم : « معناه : سداداً من القول ، وقصداً لا لغو فيه ^(٥) » ، وهو معنى قول ابن حيان ، وذكرنا معنى السلام في ما تقدّم ^(٦) . والأولى أن لا تكون

وحمل الأصم السلام في الآية على أن المراد به سلام توديع لا تحية ، كقول إبراهيم عليه السلام لأبيه : **﴿سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾** [مریم : ٤٧] . تفسير الرازي ١٠٨ / ٢٤ ، وأما ابن القيم فإنه لم يرض تفسير الآية بـ : (سلام عليكم) ، فقال : « ووصف نطقهم بأنه سلام فهو نطق حلم وسكينة ووقار لا نطق جهل ، وفحش وخناء وغلظة ، فلهذا جمع بين المشي والنطق في الآية ، فلا يليق بهذا المعنى الشريف العظيم الخطير أن يكون المراد منه : سلام عليكم ، فتأمل » . بدائع الفوائد ١٥٨ / ٢ ، والتسليم لا ينافي ما ذكر ابن القيم ؛ لأن التسليم فيه حلم وسكينة ووقار ، ويشهد له حديث النعمان بن مقرن - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ ، وَسَبَّ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَهُ ، قَالَ : فَجَعَلَ الرَّجُلُ الْمُسَبُّوبُ يَقُولُ : عَلَيْكَ السَّلَامُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَمَّا إِنْ مَلَكَ يَتِيكُمَا يَدْبُ عَنْكَ كُلَّمَا يَشْتُمُكَ هَذَا ، قَالَ لَهُ : بَلْ أَنْتَ وَأَنْتَ أَحَقُّ بِهِ ، وَإِذَا قَالَ لَهُ : عَلَيْكَ السَّلَامُ قَالَ : لَا بَلْ لَكَ أَنْتَ أَحَقُّ بِهِ» . أخرجه الإمام أحمد ١٩١ / ٩ ، رقم ٢٣٨٠٦ ، قال ابن كثير ١٢٢ / ٦ : إسناده حسن ولم يخرجوه ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، غير أبي خالد الوالبي ، وهو ثقة ، وجمع بين القولين ابن عاشور ٦٩ / ١٩ .

(١) (الجاهلية) في (ج) .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٧٢ / ٦ ، ونسبه إلى ابن أبي حاتم ، ولكنني لم أجده عنده .

(٣) ذكره عنه الثعلبي ١٠٢ / ٨ ، وابن الجوزي ١٠١ / ٦ ، وجمع في الوجيز بين قولي مجاهد ، وابن حيان ، فقال : « سداداً من القول يسلمون فيه من الإثم » . قال الثعالبي : « إذا نازعك إنسان فلا تجبه ؛ فإن الكلمة الأولى أنى وإجابتها فحلها ، فإن أمسكت عنها بترتها ، وقطعت نسلها ، وإن أجبتها ألحقها فكم من نسل مذموم يتولد بينها في ساعة واحدة » . الجواهر الحسان ٤٧٢ / ٢ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٧٤ / ٤ ، وذهب إلى هذا المبرد ؛ فقال : « تأويله المتاركة ، أي لا خير بيننا وبينكم ولا شر » . المقتضب ٢١٩ / ٣ ، وسبقه إلى هذا سيبويه في الكتاب ٣٢٤ / ١ .

(٥) تهذيب اللغة (سلم) ٤٤٨ / ١٢ .

(٦) قال الواحدي : « قوله تعالى : **﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ﴾** [النساء ٩٤] وقُرئ : =

هذه الآية منسوخة ؛ لأنها صفة لخواص من عباد الله ، لا يجهلون ، ولا يرفثون ، بل يحلمون^(١) .

قال أبو إسحاق : ﴿وَعِبَادُ﴾ مرفوع بالابتداء ، والأحسن أن يكون الخبر : ما جاء في آخر السورة من قوله : ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ ، ويجوز أن يكون خبره : ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾^(٢) ، ويكون قوله : ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ﴾ صفة للذين يمشون^(٣) .

﴿السَّلَامُ﴾ فمن قرأ بالألف واللام فله معنيان ؛ أحدهما : أن يكون السلام الذي هو تحية المسلمين ؛ أي لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية : إنما قالها متعوذاً ، فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ماله ، ولكن كفوا عنه ، واقبلوا منه ما أظهره . والثاني : أن يكون المعنى : لا تقولوا لمن اعتزلكم ، وكف يده عنكم فلم يقاتلكم : لست مؤمناً . . . وأصل هذا من السلامة ؛ لأن المعتزل طالب للسلامة .

(١) قال السمرقندي ٢/ ٤٦٥ ، بعد أن ذكر قول الكلبي ، في أن الآية منسوخة : «وقال بعضهم : هذا خطأ ؛ لأن هذا ليس بأمر ، ولكنه خبر من حالهم ، والنسخ يجري في الأمر والنهي» . ورد مكي بن أبي طالب القول بأن هذه الآية خبر لا يجوز نسخه ؛ فقال : «هذا ليس من الخبر الذي لا يجوز نسخه ؛ لأنه ليس فيه خبر من الله لنا عن شيء يكون أو شيء كان فنسخ بأنه لا يكون ، أو بأنه لم يكن هذا الذي لا يجوز فيه النسخ وإنما هذا خبر من الله لنا أن هذا الأمر كان من فعل هؤلاء الذين هم عباد الرحمن قبل أن يؤمروا بالقتال» . الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ٣٧١ ، وهذا كلام جيد ، لكن القول بأن الآية منسوخة ليس بصواب ، فلا تعارض بين هذه الآية ، والأمر بالقتال ، فلكل واحد منهما ما يناسبه من الزمان والمكان . قال الطوسي ٧/ ٥٠٥ : «الأمر بالقتال لا ينافي حسن المحاوراة في الخطاب ، وحسن العشرة» . ونقض القول بالنسخ أيضاً الزمخشري ٣/ ٢٨٤ ، قال ابن عطية ١١/ ٦٧ : «وهذه الآية كانت قبل آية السيف ، فنسخ منها ما يخص الكفرة ، وبقي أدها في المسلمين إلى يوم القيامة» ، وذكر نحوه ابن جزي ٤٨٧ ، وأحسن الحديث عن النسخ في هذه الآية النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ ٢/ ٥٦٨ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٧٤ .

(٣) ذكر هذا الزمخشري ٣/ ٢٨٤ .

قال الحسن : «هذا صفة نهارهم إذا انتشروا في الناس ، وليلهم^(١) خير ليل إذا خلوا في ما بينهم وبين ربهم يراو حون بين أطرافهم»^(٢) ؛ وهو :

٦٤ . قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ . قال الليث : «البَيُتُوتَةُ : دخولك في الليل ، تقول : بَتُّ أَصْنَعُ كَذَا . ومن قال : بات فلان إذا نام فقد أخطأ»^(٣) .

وقال الزَّجَّاج : «كل من أدركه الليل فقد بات يَبِيت ، نام أو لم ينم . يقال : بات فلان قلقاً»^(٤) . قال الكلبي ومقاتل : «يبيتون لربهم بالليل في الصلاة سجداً وقياماً»^(٥) . وذكر الكلبي ، عن ابن عباس ، قال : «من صَلَّى ركعتين أو أكثر بعد العشاء ، فقد بات لله ساجداً وقائماً»^(٦) .

(١) في (أ) و(ب) : (وأجلهم) .

(٢) أخرجه بنحوه ابن جرير ٣٥ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٧٢٣ / ٨ .

(٣) العين (بيت) ١٣٨ / ٨ ، ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة (بات) ٣٣٣ / ١٤ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٧٥ / ٤ ، وما يشهد على أن المراد بالبيات الليل قوله تعالى : ﴿فَجَاءَهَا بِأُسْنَابِتًا أَوْ هُمْ قَالُوا لَوْ ك﴾ [الأعراف : ٤] .

(٥) تفسير مقاتل ٤٧ أ ، وتنوير المقباس ٣٠٥ .

(٦) الوسيط ٣ / ٣٤٥ ، وذكر نحوه الفراء ٢ / ٢٧٢ ، ولم ينسبه ، وكذا الهواري ٣ / ٢١٧ ، وذكر الثعلبي ٨ / ١٠٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما : من صلى بالليل ركعتين أو أكثر من ذلك فقد بات لله ساجداً وقائماً . ثم قال : قال الكلبي : ويقال الركعتان بعد المغرب ، وأربع بعد العشاء الآخرة . وذكر ذلك السمرقندي ٢ / ٤٦٥ ، وصدره بقوله : روي . وأخرج ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٢٣ عن قتادة ، قال : «ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول : أصيبوا من هذا الليل ولو ركعتين ، أو أربعاً» . وقد ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ٢ / ٢٣٠ أثر ابن عباس مرفوعاً ، ونحوه عن ابن عمر مرفوعاً ، وضعفها . لكن ثبت في الصحيح أن عبد الرحمن بن أبي عمرة قال : دَخَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الْمَسْجِدَ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرَبِ فَقَعَدَ وَحْدَهُ فَقَعَدْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ» . أخرجه مسلم ١ / ٤٥٤ ، كتاب : المساجد ، رقم ٦٥٦ . والترمذي ١ / ٤٣٣ في أبواب الصلاة ، رقم ٢٢١ .

٦٥. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾. قال ابن عباس: «إنهم يقولون ذلك في سجودهم وقيامهم»^(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾. قال الليث: «الغرام: العذاب اللازم، أو الشر اللازم، والغرم: أداء شيء يلزم»^(٢).

وقال الفرّاء: «العرب تقول: إن فلاناً لمُغرمٌ بالنساء، إذا كان مَوْلَعاً بهن. وإني بك لمُغرم إذا لم يصبر عنه. ونرى أن الغريم إنما سُمي غريباً؛ لأنه يطلب حقه، ويُلح حتى يقبضه، فمعنى ﴿غَرَامًا﴾ مُلِحاً دائماً»^(٣).

قال مقاتل: «﴿إِنَّكَ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ يعني: لازماً له لا يفارقه»^(٤) كلزوم الغريم للغريم، وقال الحسن: «الغرام: اللازم الذي لا يفارق صاحبه أبداً، وكل عذاب يفارق صاحبه فليس بغرام، وكل غريم مفارق غريمه إلا غريم جهنم»^(٥). وقال سليمان التيمي: «كل أسير لا بد أن يفك أساره يوماً، أو يموت، إلا أسير جهنم، فهو الغرام لا يُفك أبداً»^(٦)، وقال الكلبي: «﴿كَانَ غَرَامًا﴾ مَوْلَعاً، ويقال مُلِحاً»^(٧).

(١) ذكره عنه القرطبي ٧٢/١٣، قال الزخشي ٢٨٤/٣: «وصفهم بإحياء الليل ساجدين وقائمين، ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه إيداناً بأنهم، مع اجتهدهم، خائفون مبتهلون إلى الله في صرف العذاب عنهم، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]».

(٢) كتاب العين (غرم): ٤/١٨، ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة ٨/١٣١، واقتصر عليه في الوجيز ٧٨٢/٢.

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/٢٧٢، وذكره في تهذيب اللغة (غرم) ٨/١٣١، وتفسير الثعلبي ٨/١٠٢.

(٤) تفسير مقاتل ٤٧ أ.

(٥) أخرجه ابن جرير ٣٦/١٩، وابن أبي حاتم ٨/٢٧٢٣، وذكره بنحوه الهواري ٣/٢١٧، والثعلبي ٨/١٠٢ ب.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٨/٢٧٢٤، سليمان بن طرخان التيمي، أبو المعتمر البصري، نزل في التيم فنسب إليهم، ثقة عابد، توفي سنة ١٤٣ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٦/١٩٥، وتقريب التهذيب ٤٠٩.

(٧) تنوير المقياس ٣٠٥.

وقال القرظي : «إن الله - عز وجل - سأل الكفار ثمن نعمه فلم يؤدوها إليه ، فأغرمهم ، فأدخلهم النار»^(١) . هذا الذي ذكرنا في تفسير الغرام هو الموافق لما قيل في أصل اللغة ، وقريب من هذا ذكره الزَّجَّاج في تفسير الغرام ، فقال : «هو أشد العذاب» ، وأنشد قول بشر بن أبي خازم :

وَيَوْمُ النَّسَارِ وَيَوْمُ الْجَفَا
رِ كَانَا عَذَابًا وَكَانَا غَرَامًا^(٢)

وقد ذكر في تفسير الغرام أقوال ، هي من معنى الغرام ، وليس بتفسير له . قال ابن عباس في رواية عطاء : «إن عذابها كان قطعياً» ، وسأله نافع بن الأزرق عن معنى الغرام ، فقال : هو الموضع ، وأنشد إلى عبدالله بن عجلان^(٣) :

مَا أَكَلَتْهُ إِنْ نَلَتْهَا بِغَنِيمَةٍ
وَلَا جَوْعَةً إِنْ جُعَتْهَا بِغَرَامٍ^(٤)

(١) أخرجه ابن جرير ٣٦ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٢٤ ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٠٢ ب ، والسمرقندي ٤٦٥ / ٢ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ٧٥ ، ولم ينسب البيت . وأنشده أبو عبيدة في المجاز ٢ / ٨٠ ، ونسبه إلى بشر ، وكذا ابن الأنباري في الزاهر ١ / ٢٣٩ ، وابن جرير ٣٦ / ١٩ ، وأورده السيوطي في الإتيقان ١ / ١٧١ في سؤالات نافع بن الأزرق إلى ابن عباس ، وغريب القرآن في شعر العرب ١٩٦ ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٠٢ ب منسوباً إلى بشر . النسار : بكسر النون ، موضع ، قيل : هو ماء لبني عامر ، ومنه يوم النسار . لسان العرب (نسر) ٥ / ٢٠٥ ، والجفار : موضع ، قيل : هو ماء لبني تميم ، ومنه يوم الجفار . لسان العرب (جفر) ٤ / ١٤٤ .

(٣) عبدالله بن عجلان بن عامر النهدي ، من قضاة ، شاعر جاهلي ، من عشاق العرب المشهورين . انظر : الشعر والشعراء ٤٨٢ ، والأعلام ٤ / ١٠٣ .

(٤) لم أجد في الإتيقان ، ولا في غريب القرآن في شعر العرب ، الذي جمع سؤالات نافع بن الأزرق ، من الإتيقان وغيره ، وإنما وجدت البيت الذي قبله . وذكر السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٢٧٤ روايتين ؛ الأولى : أخرج الطستى عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله عن الآية ، فقال : ملازماً شديداً ، كلزوم الغريم الغريم ، وأنشد قول بشر بن أبي خازم . والرواية الثانية ، قال : أخرج ابن الأنباري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن نافع بن الأزرق ، قال له : أخبرني عن قوله : ﴿إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾ ما الغرام ؟ قال : المولع ، وأنشد بيت ابن عجلان . وأنشد ابن الأنباري البيت ، ونسبه إلى حاتم بن عبدالله الطائي ، وليس فيه ذكر السؤال ، أو أنه من إنشاد ابن عباس . كتابه الزاهر في معاني كلمات الناس ١ / ٢٤٠ ، والبيت في ديوان حاتم الطائي ١٢٧ بيتاً مفرداً .

وقال أبو عبيدة : ﴿كَانَ غَرَامًا﴾ أي هلاكاً ، وهو اختيار المبرّد وابن قتيبة^(١) .

٦٧ . قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ فيه ثلاثة أوجه من القراءة ؛ ضم الياء من ﴿يَقْتُرُوا﴾ ، وضم التاء ، وكسر التاء مع فتح الياء^(٢) ، يقال : قَتَرَ الرجل على عياله ، يَقْتَرُ وَيَقْتَرُ قَتْرًا ، مثل : يَعْكُفُ ويعكف ، ويفسُق ويفسُق ، ويحشُر ويحشُر ، إذا ضَيَّقَ ولم يُنْفِقْ إلا قدر ما يُمَسِّك الرَّمَقُ^(٣) ، ومثله : أَقْتَر .

(١) مجاز القرآن ٢/ ٨٠ ، وغريب القرآن ٣١٥ ، وذكره البخاري ، ولم ينسبه . الفتح ٨/ ٤٩٠ ، واقتصر عليه الغزنوي في وضع البرهان ٢/ ١٢٦ ، واستدل ببيت بشر عليه . ومن الأقوال الواردة في الغرام ما ذكره الهواري ٣/ ٢١٧ ﴿غَرَامًا﴾ أي انتقاماً ، وما ذكره الماوردي ٤/ ١٥٥ عن قطرب : ثقيلاً ، ومنه قوله : ﴿فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ [القلم : ٤٦] .

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وكسر التاء ، وقرأ عاصم وحزمة والكسائي : ﴿يَقْتُرُوا﴾ بفتح الياء وضم التاء ، وقرأ نافع وابن عامر : ﴿يَقْتُرُوا﴾ بضم الياء وكسر التاء . انظر : كتاب السبعة في القراءات ٤٦٦ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٢٤ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٤٨ ، والنشر ٢/ ٣٣٤ .

قال النحاس معلقاً على قراءة ضم الياء : «وتعجب أبو حاتم من قراءة أهل المدينة هذه ؛ لأن أهل المدينة عنده لا يقع في قراءتهم الشاذ ، فإنما يقال : أقْتَرُ يَقْتَرُ ، إذا افتقر ، كما قال جل وعز : ﴿وَعَلَى الْفُقَرَاءِ قَدْرُهُ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، وتأول أبو حاتم لهم أن المسرف يفتقر سريعاً ، وهذا تأويل بعيد ، ولكن التأويل أن أبا عمرو الجرمي ، حكى عن الأصمعي ، أنه يقال للإنسان إذا ضَيَّقَ : قَتَرَ يَقْتَرُ وَيَقْتَرُ ، وَقْتَرُ يَقْتَرُ ، وأقْتَرُ يَقْتَرُ ، فعلى هذا تصح القراءات ، وإن كان فتح الياء أصح ، وأقرب متناولاً ، وأشهر وأعرف . إعراب القرآن ٣/ ١٦٧ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٤٩ ، والرَّمَقُ : بقية الحياة . تهذيب اللغة ٩/ ١٤٥ .

قال أبو عبيد : «وهي ثلاث لغات ، معناها : لم يضيّقوا في الإنفاق»^(١) ، وقال غيره : قَتَر إذا ضَيّق ، وأَقْتَر إذا أَقَلَّ وافتقر ، والمقتر ضدُّ الموسر ، قال الله تعالى : ﴿ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ ﴾ [البقرة: ٢٣٦] ، وقال الشاعر :

لَكُمْ مَسْجِدُ اللَّهِ الْمَزُورَانِ وَالْحَصَا
لَكُمْ قَبْضُهُ مِنْ بَيْنِ أَثَرِي وَأَقْتَرَا^(٢)

تقديره من بين رجل أثرى ، ورجل أقتر ، فأقام الصفة مقام الموصوف ، وعلى هذا معنى : ﴿وَلَمْ يَقْتَرُوا﴾ لم يفتقروا في إنفاقهم ؛ لأن المسرف مُشرف على الافتقار لسرفه في إنفاقه^(٣) .

واختلفوا في معنى هذا الإسراف والإقتار ؛ فقال الكلبي والنخعي : «هذا في الإنفاق على العيال ، إذا أنفقوا على أهلهم وعيالهم وعلى أنفسهم لم يسرفوا في النفقة»^(٤) .

(١) قال ابن جرير ٤٠ / ١٩ : «كل هذه القراءات . . . بمعنى واحد ، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب» ، وكذا الأزهري في معاني القراءات ٢ / ٢١٨ .

(٢) البيت للكميت بن زيد يمدح بني أمية . المسجدان : مسجد مكة والمدينة ؛ أي لكم العدد الكثير من جميع الناس ، المثري منهم والمقتر . لسان العرب (سجد) ٣ / ٢٠٥ ، وأنشده الأزهري في تهذيب اللغة (قبص) ٨ / ٣٨٥ ، ولم ينسبه ، ثم قال : «أي من بين مُثَر ومُثَل» ، واستشهد به على أن القبص : العدد الكثير ، وذكره أبو علي في الحجة للقراء السبعة ٥ / ٣٤٨ ، ولم ينسبه ، وكذا الأنباري في الإنصاف ٧ / ٢٧٧ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٣٤٨ من قوله : (قتر إذا ضيق) .

(٤) اختار هذا القول الهواري ٣ / ٢١٧ ، ولم ينسبه .

وقال إبراهيم : « لا يجيعهم ولا يعريهم ، ولا ينفق نفقة يقول الناس : إنك قد أسرفت فيها »^(١) .

وقال أبو علي الفارسي : « معنى ﴿لَمْ يُسْرِفُوا﴾ لم يخرجوا في إنفاقهم من السَّطَةِ^(٢) والاقتصاد ، ﴿وَلَمْ يَقْتَرُوا﴾ لم يمسكوا ولم ينقصوا عن الاقتصاد فيقصرُوا عن التوسط ، فمن كان في هذا الطرف فهو مذموم ، كما أن من جاوز الاقتصاد كان كذلك ، كما قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ الآية [الإسراء : ٢٩] ، ويبين هذا قوله : ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ ؛ أي كان إنفاقهم بين ذلك لا إسرافاً ، يدخل به في حد التبذير ، ولا تضيقاً يصير به في حد المنع^(٣) لما يجب^(٤) . وهذا هو المحمود من النفقة : أن تكون في غير إسراف ولا تقتير^(٥) .

(١) إبراهيم هو النخعي ، أخرج قوله ابن جرير ٣٨ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٧٢٥ / ٨ ، ٢٧٢٦ ، وهذا القول يدل على أن الإسراف تجاوز الحد في الإنفاق ، والإقتار التقصير عما لا بد منه . تفسير البغوي ٩٤ / ٦ .

(٢) هكذا في النسخ الثلاث ، وأيضاً عند أبي علي في الحجة ٣٤٩ / ٥ ، ومعناه : التوسط . يقال : وسطت القوم أسطهم وسطاً وسطةً ؛ أي توسطتهم . كتاب العين (وسط) ٢٧٩ / ٧ ، وتهذيب اللغة ٢٨ / ١٣ ، واللسان ٤٢٩ / ٧ ، ومن ذلك حديث جابر بن عبد الله قال : شهدت مع رسول الله ﷺ الصلاة يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ثم قام متوكئاً على بلال فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال : «تصدقن فإن أكثرن حطب جهنم» فقامت امرأة من سطة النساء سفعاء الخدين فقالت : لم يا رسول الله ؟ قال : «لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير» . قال : فجعلن يتصدقن من حليهن يلقين في ثوب بلال من أقرظتهن وخواتمهن . أخرجه مسلم ٦٠٣ / ٢ ، كتاب : صلاة العيدين ، رقم ٨٨٥ ، وابن خزيمة ٣٥٧ / ٢ ، رقم ١٤٦٠ .

(٣) في (ج) : (المانع) .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٣٤٩ / ٥ ، وظاهر هذا أن الإنفاق أريد به الإنفاق الواجب ، ولم يرتض ابن عاشور ٧١ / ١٩ هذا فقال : «أريد بالإنفاق هنا الإنفاق غير الواجب ، وذلك إنفاق المرء على أهله ، وأصحابه ؛ لأن الإنفاق الواجب لا يذم الإسراف فيه ، والإنفاق الحرام لا يُحمد مطلقاً بله أن يذم الإقتار فيه ، على أن في قوله : ﴿إِذَا أَنْفَقُوا﴾ إشعاراً بأنهم اختاروا أن ينفقوا ولم يكن واجباً عليهم» .

(٥) قال الهواري ٢ / ١٨ : «ذكروا أن هذه أنزلت في أصحاب النبي ﷺ ، وصفهم الله بهذه الصفة ، =

وذكر أن عبد الملك بن مروان دخل على عمر بن عبدالعزيز ، بعد ما زوجه ابنته ، فقال له : كيف نفقتك على عيالك ؟ قال : الحسنة بين السيئتين ، قال : كيف ذاك ؟ قال : كما قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾^(١) . وعد عمر - رضي الله عنه - من السرف أن لا يشتهي الرجل

كانوا لا يأكلون طعاماً يريدون به نعيماً ، ولا يلبسون ثوباً يريدون به جلالاً ، وكانت قلوبهم على قلب واحد . وأخرج نحوه ابن جرير ٣٨ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٧٢٥ / ٨ عن يزيد بن أبي حبيب . وليس معنى هذا أنه لا يجوز التوسع في الملبس ، والمأكل ، والمسكن ، بل الضابط في ذلك التوسط ، فاتخاذ الرجل الثوب للجمال ، يلبسه عند اجتماعه مع الناس ، وحضوره المحافل والجمع والأعياد ، من دون ثوب مهتته ، أو أكله من الطعام ما قواه على عبادة ربه ، مما ارتفع عما قد يسد الجوع فذلك خارج عن معنى الإسراف ، بل ذلك من القوام ؛ لأن النبي ﷺ قد أمر ببعض ذلك ، وحض على بعضه ، كقوله ﷺ : « مَا عَلَى أَحَدِكُمْ أَنْ يَجِدَ ، أَوْ مَا عَلَى أَحَدِكُمْ أَنْ يَجِدْتُمْ أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ سِوَى ثَوْبِيْ مَهْتَةٍ » أخرجه أبو داود ١ / ٦٥٠ ، كتاب : الصلاة ، رقم ١٠٧٨ . وابن ماجه ١ / ٣٤٩ ، كتاب : الصلاة ، رقم ١٠٩٦ . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١ / ٢٠١ ، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ » . قال الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ . سنن الترمذي ٥ / ١١٤ ، في كتاب : الأدب ، رقم ٢٨١٩ ، وقد بين ذلك ابن جرير ٣٩ / ١٩ .

(١) ذكر هذه القصة الزخشي ٣ / ٢٨٥ ، وابن عطية ١١ / ٧١ ، والقرطبي ١٣ / ٧٣ ، وأخرج نحوه قول عمر بن عبدالعزيز ابن جرير ٣٨ / ١٩ عن قتادة ، ويزيد بن مرة الجعفي . وأخرج ابن أبي حاتم ٢٧٢٧ / ٨ عن مطرف بن عبدالله بن الشخير : « العلم خير من العمل ، وخير الأمور أوسطها ، والحسنة بين السيئتين ، ذلك بأن الله - عز وجل - يقول : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ﴾ يقول : سيئة ﴿ وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ يقول : سيئة ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ يقول : حسنة » .

شيئاً إلا أكله ، وقال : «كفى بالمرء سرفاً أن يأكل كل ما يشتهي»^(١) ، وهذا القول هو الاختيار في تفسير هذه الآية^(٢) .

وروى الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : «من أنفق مائة ألف في حق فليس بسرف ، ومن أنفق درهماً في غير حق فهو سرف ، ومن منع من حق فقد قتر»^(٣) .

(١) أخرجه ابن ماجه ١١١٢/٢ ، كتاب : الأطعمة ، رقم ٣٣٥٢ ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ٢٢٩/٢ ، والسيوطي في اللآلئ ٢٤٦/٢ ، والألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢٧٢/١ ، وقد ذكره جميعاً من طريق الحسن عن أنس مرفوعاً ، وليس بموقوف . وأخرجه عبد الرزاق في التفسير ٧١/٢ عن عمر ، وفي إسناده رجل لم يسم ، ومن طريقه أخرجه الثعلبي ١٠٣/٨ . وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٢٦/٨ من طريق آخر من كلام الحسن ، وليس بموقوف على عمر ، وفي إسناده رجل لم يسم . وذكره الزنجشيري ٢٨٥/٣ عن عمر . وحكم عليه بالانقطاع ابن حجر في الكاف الشاف ، بحاشية الكشف ٢٨٥/٣ ، فتبين بهذا أنه لم يثبت هذا القول ؛ وعليه فلا يدخل في السرف أكل الإنسان من الشيء يشتهي إذا لم يترتب على ذلك ارتكاب مخالفة شرعية ، أو التقصير في واجب ، والله أعلم .

(٢) يعني الواحد بالقول الذي اختاره : النفقة المتوسط فيها بين الإسراف والتقتير . واختار هذا القول قبله الثعلبي ١٠٢/٨ ب ، فقال : «وقال قوم : السرف مجاوزة الحد في النفقة ، والإقتار : التقصير عما ينبغي مما لا بد منه . وهذا الاختيار» . وقال ابن عطية ٧١/١١ : «وإنما التأديب في هذه الآية هو في نفقة الطاعات في المباحات ، فأدب الشارع فيها ألا يفرط الإنسان حتى يضيع حقاً آخر أو عيلاً ونحو هذا ، وألاً يضيق أيضاً ويقتصر حتى يجيع العيال ويفرط في الشح ولهذا ترك رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - يتصدق بجميع ماله ؛ لأن ذلك وسط بنسبة جلده وصبره ، في الدين ، ومنع غيره من ذلك» . ونقله القرطبي ٧٣/١٣ ، ولم يعترض عليه ، واستظهر هذا القول الشنيطي ٣٥١/٦ .

(٣) قال مجاهد : «لو أنفقت مثل أبي قبيس ذهباً في طاعة الله ما كان سرفاً ، ولو أنفقت في معصية الله كان سرفاً» . تفسير ابن جرير ٣٧/١٩ ، وأخرج ابن جرير ٣٧/١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٧٢٥/٨ ، ٢٧٢٦ عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة : «هم المؤمنون لا يسرفون فينفقون في معصية الله ، ولا يفترون فيمعنون حقوق الله تعالى» . وأخرج نحوه ابن جرير ٣٧/١٩ عن ابن جرير ، وابن زيد . وعلى هذا الإسراف : النفقة في معصية الله ؛ ولكن يشكل على هذا تجاوز الحد في المباح ، أو الطاعة ، كإكرام الضيف ، ونحوه ، فهل يسمى هذا سرفاً أم لا ؟ ولعل الصواب في ذلك أن يقال : =

وقال سفيان في هذه الآية : «لم يضعوا في غير حقه ، ولم يقصروا عن حقه» .
وقال الحسن : «لم ينفقوا في معاصي الله ، ولم يمسكوا عن فرائض الله»^(١) ، وهذا
أيضاً قول جيد . وما سوى هذين القولين مما ذكر في تفسير هذه الآية لا وجه له .

قوله : ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ ؛ أي بين الإسراف والإقتار^(٢)
﴿قَوَامًا﴾ القوام من العيش : ما أقامك وأغناك . وقوام الجسم : تمامه ، وقوام
كل شيء ما استقام به^(٣) . قال سفيان : «عدلاً»^(٤) ، وقال مقاتل : «مقتصدًا»^(٥) ،
وقال الفرء : «القوام قوام الشيء بين الشئين . قال : وفي نصب : القوام وجهان ؛
أحدهما : أن يضم الاسم ، من الإنفاق ، على تقدير : وكان إنفاقهم قواماً بين

التبذير : الإنفاق في معصية الله ، قليلاً كان أو كثيراً ، والإسراف : تجاوز الحد في المباح ، والتقتير : المنع
من الواجب . ويدل لهذا التفصيل قوله تعالى : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف : ٣١] ، وقول
النبي ﷺ : «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَابْسُؤُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَحِيلَةٍ» . وقال ابن عباس : «كُلْ مَا
شِئْتَ وَابْسُ مَا شِئْتَ مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ سَرْفٌ أَوْ مَحِيلَةٌ» . أخرج البخاري الحديث المرفوع والموقوف
معلقاً بصيغة الجزم في كتاب اللباس ، فتح الباري ٢٥٢/١٠ ، وأخرج المرفوع ابن ماجه ١١٩٢/٢ ،
كتاب : اللباس ، رقم ٣٦٠٥ ، والنسائي في السنن الكبرى ٤١/٢ ، كتاب : الزكاة ، رقم ٢٣٤٠ ،
وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢٨٤/٢ ، رقم ١٩٠٤ . وبهذا تجتمع أقوال السلف ،
وعباراتهم في التفريق بين ذلك ، والله أعلم . وذكر أقوالهم ابن جرير ٧٢/١٥ ، وذكرها الواحدي في
الوسيط ٣٨/١٩ ، وابن كثير ١٢٤/٦ ، وهو اختيار ابن جرير ٣٨/١٩ .

(١) تفسير مقاتل ٤٧ نحوه . وفي تنوير المقياس ٣٠٥ : «لم ينفقوا في المعصية ، ولم يمنعوا من الحق» ، وذكر
نحوه الهواري ٢١٧/٣ ، ولم ينسبه ، وأخرج نحوه ابن جرير ٣٩/١٩ عن ابن زيد .

(٢) تنوير المقياس ٣٠٥ .

(٣) تهذيب اللغة (قام) ٣٦٠/٩ ، قال ابن جرير ٣٩/١٩ : «القوام في كلام العرب ، بفتح القاف ، هو :
الشيء بين الشئين فأما إذا كسرت القاف ، فقلت : إنه قوام أهله ، فإنه يعني به : أنه به يقوم
أمرهم وشأنهم» ، وقال ابن جنس : «القوام ، بفتح القاف : الاعتدال في الأمر وأما القوام ،
بكسر القاف ، فإنه ملاك الأمر ، وعصامه» . المحتسب ١٢٥/٢ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٢٧/٨ عن سفيان ، عن الأعمش ، ونسبه الماوردي ١٥٦/٤ إلى الأعمش .
قال ابن العربي في تفسير العدل : «وهو أن ينفق الواجب ، ويتسع في الحلال في غير دوام على استيفاء
اللذات في كل وقت من كل طريق» . أحكام القرآن ٤٥٣/٣ .

(٥) تفسير مقاتل ٤٧ .

ذلك ، وإن شئت جعلت ﴿يَبِّتُ﴾ في معنى رفع كما تقول : كان دون هذا كافياً .
 تريد : أقل من هذا فيكون معنى قوله : ﴿وَكَانَ بَيْتٌ ذَلِكَ﴾ وكان الوسط
 قواماً^(١) .

٦٨ . وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾^(٢) ؛ روى
 سعيد بن جبیر عن ابن عباس : «أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثرُوا ،
 وزنوا فأكثرُوا ، ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا : إن الذي تدعو إليه لحسن ،
 لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ؟ فنزلت هذه الآيات»^(٣) .

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٧٣ ، وذكره بنصه ابن جرير ١٩/ ٤٠ ، ولم ينسبه . واعترض على هذا
 النحاس ، فقال : «ما أدري ما وجه هذا ؛ لأن بين إذا كانت في موضع رفع رفعت ، كما يقال : بين
 عينيه أحمر ، فترفع بين» . إعراب القرآن ٣/ ١٦٨ ، وقال الرازي ٢٤/ ١١٠ : «وهذا التأويل ضعيف ؛
 لأن القوام هو الوسط ، فيصير التأويل : وكان الوسط وسطاً ، وهذا لغو» . وذكر نحوه البيضاوي
 ٢/ ١٤٧ ، وفي المحتسب ٢/ ١٢٥ : «فقوام إذا : تأكيد وجار مجرى الصفة» .

(٢) أخرج البخاري ، كتاب : التفسير ، رقم ٤٧٦١ ، عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : سألت
 رسول الله ﷺ ؛ أي الذنب عند الله أكبر ؟ قال : «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» . قلت : ثم أي ؟ قال :
 «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» . قلت : ثم أي ؟ قال : «أن تزاني بحليلة جارك» . قال : ونزلت
 هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ
 اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ فتح الباري ٨/ ٤٩٢ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، في كتاب التفسير ، رقم : ٤٨١٠ ، فتح الباري ٨/ ٥٤٩ ، ومسلم
 ١/ ١١٣ ، كتاب : الإيمان ، رقم ١٢٢ . وابن جرير ١٩/ ٤١ ، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٢٨ ، وأخرجه
 الثعلبي ٨/ ١٠٣ ، وأخرجه الواحدي بسنده في أسباب النزول ٣٣٥ ، وذكر تخريج مسلم له فقط .
 وأخرج البخاري ، كتاب : التفسير ، رقم ٤٧٦٤ عن سعيد بن جبیر ، قال : قال ابن أبيزى : سُئِلَ
 ابن عباس عن قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ ، وقوله : ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ
 النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ، فسأله فقال : لما نزلت قال أهل مكة : فقد عدلنا بالله ، وقتلنا
 النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأتينا الفواحش . فأنزل الله : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا
 صَالِحًا﴾ إلى قوله : ﴿عَفْوًا رَحِيمًا﴾ . فتح الباري ٨/ ٤٩٤ ، قال ابن حجر : «ابن أبيزى : بموحدة
 وزاي مقصورة ، واسمه : عبدالرحمن ، وهو صحابي صغير» . وذكر هذا الخبر الواحدي في الوسيط
 ٣/ ٣٤٦ ، ذكر الواحدي في أسباب النزول ٣٣٤ ثلاثة أسباب لنزول هذه الآية ؛ منها هذا ، والثاني :
 حديث ابن مسعود ؛ أي الذنب أعظم . . . الخ ، والثالث : إنها نزلت في وحشي ، قاتل حمزة رضي

الله عنهما ، وذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن الجوزي ١٠٣ / ٦ ، ثم قال : « وهذا وحشي قاتل حزة ، وفي هذا الحديث المذكور عنه نظر ، وهو بعيد الصحة ، والمحفوظ في إسلامه غير هذا ، وأنه قدم مع رسل الطائفت فأسلم من غير اشتراط » .

فائدة في بيان ما ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - حول توبة القاتل المتعمد . قال ابن حجر : « وحاصل ما في هذه الروايات ، أن ابن عباس - رضي الله عنهما - كان تارة يجعل الآيتين في محل واحد ، فلذلك يجزم بنسخ إحداهما ، وتارة يجعل محلها مختلفاً ، ويمكن الجمع بين كلاميه بأن عموم التي في الفرقان خص منها مباشرة المؤمن القتل متعمداً ، وكثير من السلف يطلقون النسخ على التخصيص ، وهذا أولى من حمل كلامه على التناقض ، وأولى من القول : إنه قال بالنسخ ثم رجع عنه ، وقول ابن عباس - رضي الله عنهما - بأن المؤمن إذا قتل مؤمناً متعمداً لا توبة له مشهور عنه » . ومثل هذا أخرج ابن أبي حاتم ٢٧٣١ / ٨ عن عمر بن عبد العزيز : « كل شيء في القرآن خلود ، فإنه لا توبة له » . ثم ذكر ابن حجر قول جمهور السلف وأهل السنة في تصحيح توبة القاتل كغيره ، وقالوا : معنى قوله تعالى : ﴿ فَجَزَّأُوهُم جَهَنَّمَ ﴾ ؛ أي إن شاء الله أن يجازيه ، تمسكاً بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء ٤٨ ، ١١٦] . ومن أدلتهم حديث الإسرائيلي الذي قتل مائة نفس ، فقال له العالم : ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ وإذا ثبت ذلك لمن قبل من غير هذه الأمة فمثله لهم أولى ؛ لما خفف الله عنهم من الأثقال التي كانت على من قبلهم . فتح الباري ٤٩٦ / ٨ ، وجعل ابن كثير ١٢٧ / ٦ آية النساء مطلقة محمولة على من لم يتب ، وآية الفرقان مقيدة بالتوبة .

والذي يظهر - والله تعالى أعلم - أن تمسك ابن عباس - رضي الله عنهما - بظاهر الآية لما اشتهر في زمنه من الفتن ، وما يحدث فيها من سفك الدماء ، ويشهد لهذا قول سعيد بن جبير : « اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن ، فدخلت فيه على ابن عباس - رضي الله عنهما - فقال : نزلت في آخر ما نزل ولم ينسخها شيء » . أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، رقم ٤٧٦٣ ، الفتح ٤٩٣ / ٨ .

قال ابن جرير ٦٩ / ٩ ، (تحقيق : محمود شاكر) : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : معناه : ومن يقتل مؤمناً متعمداً ، فجزأوه ، إن جازاه ، جهنم خالداً فيها ، ولكنَّه يعفو ويتفضل على أهل الإيثار به ويرسله ، فلا يجازيهم بالخلود فيها ، ولكنَّه - عز ذكره - إما أن يعفو بفضله فلا يدخله النار ، وإما أن يدخله إياها ثم يخرجها منها بفضل رحمته ، لما سلف من وعده عباده المؤمنين ، بقوله : ﴿ قُلْ يَتَّبِعَادِ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْظُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ﴾ [الزمر : ٥٣] » .

قال النووي في شرح صحيح مسلم ٨٢ / ١٧ : « هذا مذهب أهل العلم ، وإجماعهم على صحة توبة القاتل عمداً ، ولم يخالف أحد منهم إلا ابن عباس - رضي الله عنهما - وأما ما نقل عن بعض السلف من خلاف هذا فمراد قائله الزجر عن سبب التوبة ، لا أنه يعتقد بطلان توبته » . قال ابن عطية ٧٣ / ١١ : « وبالقتل والزنى يدخل في هذه الآية العصاة من المؤمنين ، ولهم من الوعيد بقدر ذلك » .

وقوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ . قال مقاتل: «هذه الخصال جميعاً»^(١) .

﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ . قال يونس وأبو عبيدة: «يلق عقوبة»^(٢) . وأنشد أبو عبيدة ،

فقال :

جَزَى اللَّهُ ابْنَ عُرْوَةَ حَيْثُ أَمْسَى عَقُوقًا وَالْعُقُوقُ لَهُ أَثَامٌ^(٣)

(١) تفسير مقاتل ٤٧، وبه قال ابن جزي ٤٨٨، وأبو حيان ٦/٤٧٢، ثم قال: «فيكون التضعيف مرتباً على مجموع هذه المعاصي، ولا يلزم ذلك التضعيف على كل واحد منها، ولا شك أن عذاب الكفار يتفاوت بحسب جرائمهم». وجعل ابن عاشور ١٩/٧٤ ذلك هو المتبادر من الآية، واستدل على صحته بتضعيف العذاب الذي لا يكون إلا على مجموع هذه الأفعال. وفي تنوير المقباس ٣٠٥: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ استحالاً. وأخرج ابن أبي حاتم ٨/٢٧٣٠ عن سعيد بن جبیر، في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ من هذه الآيات الثلاث. فظاهر من كلام سعيد بن جبیر تعليق الأثام على من فعل هذه المنكرات، أو بعضها، خلافاً لما ذكره الواحدي عن مقاتل، وذهب إلى قول ابن جبیر الماوردي ٤/١٥٧، والبغوي ٦/٩٦، ولم ينسبها، ويدل عليه ما ورد من الوعيد على من فعل بعض هذه المعاصي استقلالاً، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا﴾ [النساء: ٩٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]. فالجمع بين هذه المعاصي الثلاث في الآية، وفي حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- المتقدم يدل على عظم هذه المعاصي الثلاث وشناعتها، فتحريم القتل فيه حفظ للنفس، وتحريم الزنا فيه حفظ للأعراض والأنساب، وينشأ عن تساهل الناس في القتل والزنا فساد كبير ظاهر، والله أعلم. وقد جعل الطوسي ٧/٥٠٨ عود الضمير إلى كل واحد من المعاصي المذكورة قول أهل الوعيد، وأما أهل الإرجاء فيجعلونه راجعاً إلى الجميع، ويجوز أن يكون راجعاً إلى الكفر وحده. اهـ، ولا ينافي رجوع الضمير لكل واحدة من هذه المعاصي قبول التوبة، والله أعلم.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٨١، وذكر قول يونس الأزهري في تهذيب اللغة ١٥/١٦٠، وقال به ابن قتيبة في غريب القرآن ٣١٥، والغزنوي في وضوح البرهان ٢/١٢٦.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٨١، ونسب البيت إلى بلعاء بن قيس الكناني، وأنشده ابن قتيبة في الغريب ٣١٥، ولم ينسبه، وذكره ابن جرير ١٩/٤٠ منسوباً إلى بلعاء، وذكره الأزهري في تهذيب اللغة (إثم) ١٥/١٦٠ غير منسوب، ولم يذكر أبا عبيدة، ولا إنشاده البيت، وذكره أبو علي في الحجة ٥/٣٥١ من إنشاد أبي عبيدة، لكنه نسب إلى مسافع العبسي، وفي نسخة أخرى: مسافع الليثي، وهي موافقة لما عند الثعلبي ٨/١٠٣ ب. قال أبو علي: «وابن عروة رجل من بني ليث كان دل عليهم ملكاً من غسان فأغار عليهم».

أي عقوبة مجازاة العقوق^(١) .

وقال أبو عمرو الشيباني : «يقال : لقي فلان آثام ذلك ؛ أي جزاء ذلك»^(٢) .
ونحو هذا قال الفرّاء : «أَثَمَهُ اللهُ يَأْثِمُهُ إِثْمًا وَأَثَامًا ؛ أي جازاه جزاء الإثم ، والعبد مأثوم ؛ أي مجزي جزاء إثمه» ، وأنشد :

وَهَلْ يَأْثِمُنِي اللهُ فِي أَنْ ذَكَرْتُهَا وَعَلَّلْتُ أَصْحَابِي بِهَا لَيْلَةَ النَّفْرِ^(٣)

معناه : هل يجزييني الله جزاء إثمي بأن ذكرت هذه المرأة في غنائي^(٤) .

وقال أبو إسحاق : «تأويل الأثام : المجازاة ، قال : وسيبويه والخليل يذهبان إلى أن معناه : يلحق جزاء الأثام»^(٥) . واختار أبو علي هذا القول ، وجعله من باب حذف المضاف ، قال : «ومثله من حذف الجزاء الذي هو مضاف ، قوله تعالى : ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا﴾ [الشورى : ٢٢] ؛ أي من جزاء ما كسبوا»^(٦) لنقوله : ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ ، هذا قول أهل اللغة في معنى الأثام ؛ وهو قول

(١) تهذيب اللغة (أثم) ١٦١ / ١٥ بنصّه .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٧٦ / ٤ ، وفيه : إثم ، بكسر الهمزة ، وذكره الأزهرى في تهذيب اللغة (أثم) ١٦٠ / ١٥ ، وأبو علي في الحجة ٣٥٢ / ٥ منسوباً عندهم إلى أبي عمرو الشيباني .

(٣) لم أجده في معاني القرآن للفرّاء عند هذه الآية ، وإنما ذكره الأزهرى في تهذيب اللغة (أثم) ١٦١ / ١٥ من إنشاد الفرّاء ، ولم ينسبه . وقال المحقق : «في نسبة البيت خلاف ، والمرجح أنه لنصيب بن رباح الأسود الحكمي» . يقال : يوم النفر وليلة النفر لليوم الذي ينفر الناس فيه من منى ، وأنشد البيت للدلالة على ذلك ابن منظور في لسان العرب (نفر) ٢٢٥ / ٥ ، ونسبه إلى نصيب بن الأسود .

(٤) لم أجده في معاني القرآن عند كلامه عن هذه الآية . وقد ذكره بنصّه الأزهرى في تهذيب اللغة ١٦٠ / ١٥ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٧٦ / ٤ ، وذكره في تهذيب اللغة (أثم) ١٦٠ / ١٥ ، قال سيبويه في الكتاب ٨٧ / ٣ : «وسألته [يعني الخليل] عن قوله عز وجل : ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ ٨٨ يَضَعَفْ لَهُ أَلْعَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿ فقال : هذا كالأول ؛ لأن مضاعفة العذاب هو لقي الأثام» .

(٦) الحجة للفرّاء السبعة ٣٥١ / ٥ بمعناه .

ابن عباس لما سأله نافع بن الأزرق عن الأثام ، قال : الجزاء ، وأنشد لعامر بن الطفيل :

وَرَوَيْنَا الْأَسِنَّةَ مِنْ ضُدَاءٍ وَلَا قَتْ حَمِيرٍ مِنَّا أَثَامًا^(١)
وقال السدي : «يلق أثاماً : جزاء»^(٢) .

وأما المفسرون فإنهم يقولون : أثام : واد في جهنم من دم وقيح ، وهو قول مجاهد ومقاتل^(٣) .

وقال شفي بن ماتع^(٤) في هذه الآية : «إن في جهنم وادياً يُدعى أثاماً ، فيه حيات وعقارب ، في فقار^(٥) أحدهن سبعون قلة سم ، والعقرب فيها^(٦) مثل البغلة الموكفة»^(٧) .

(١) لم أجده في غريب القرآن في شعر العرب الذي جمع سؤالات نافع بن الأزرق ، وقد أنشده ابن الأنباري في الدر المنثور ٢٧٨ / ٦ ، الأسنة : جمع سنان ، وهو الرمح . تهذيب اللغة (سنن) ٣٠٢ / ١٢ ، وصداء : حي من اليمن . تهذيب اللغة (صدي) ٢١٩ / ١٢ ، وحير : اسم ، وقيل هو أبو ملوك اليمن ، وإليه تنتهي القبيلة ، ومدينة ظفار كانت لحمير . تهذيب اللغة (جر) ٦٠ / ١٢ .
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٣٠ / ٨ ، وذكر ابن كثير ١٢٦ / ٦ عنه من دون إسناد ، ثم قال ابن كثير : «وهذا أشبه بظاهر الآية» ، وهذا فسره بما بعده مبدلاً منه ، وهو قوله : ﴿يُضْعَفُ لَهُ الْكَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ .

(٣) تفسير مجاهد ٤٥٦ / ٢ ، وأخرجه عنه ابن جرير ٤٤ / ١٩ ، وتفسير مقاتل ٤٧ أ . وأخرجه ابن جرير ٤٤ / ١٩ عن عبد الله بن عمرو ، وعكرمة ، وقتادة . وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٣٠ / ٨ عن عبد الله بن عمرو عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، فبي إحدى الروايات ، وعكرمة مثل ذلك ، ثم أخرجه بسنده عن قتادة . وأما الهواري ٢١٨ / ٣ فقال : «كنّا نحدث أنه واد في جهنم» ، وذكر فيه قولاً آخر ، هو : نكالا .
(٤) شفي بالتصغير ، ابن ماتع الأصبحي ، من التابعين ، ثقة ، أرسل حديثاً كثيراً ، مات في خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ . انظر : جامع التحصيل في أحكام المراسيل ٢٣٨ ، وتقريب التهذيب ٤٣٩ .

(٥) الفقار : خرز الظهر . تهذيب اللغة (فقر) ١١٤ / ٩ .

(٦) في (ج) : (منه) ، وفي الدر المنثور ٢٧٦ / ٦ : (منهن) .

(٧) أخرجه ابن المبارك في الزهد ، كما في الدر المنثور ٢٧٦ / ٦ ، وقد بحث عنه في كتاب الزهد إلى =

وهذا قول عبدالله بن عمرو بن العاص^(١) ، وروي أبو أمامة الباهلي حديثاً طويلاً فيه أن الغي والأثم بئران يسيل فيهما صديد أهل النار^(٢) .

٦٩ . وقوله : ﴿يُضَعَفُ لَهُ الْكَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ : أكثر القراء الجزم في ﴿يُضَعَفُ﴾ و﴿وَيُخْلَدُ﴾^(٣) على البدل ، من الفعل الذي هو جزاء الشرط ، وهو قوله : ﴿يَلْقَى أَثَامًا﴾ ؛ وذلك أن تضعيف العذاب لِقِيَّ جزاء الأثم في المعنى^(٤) ، فلما كان إِيَّاهُ أبْدل منه ، كما قال :

إِنْ يَجْبُؤُوا أَوْ يَغْدِرُوا أَوْ يَنْخَلُوا لَا يَحْفَلُوا
يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرَجَّلِي نَ كَانَهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا^(٥)

ابن المبارك ، فلم أجده . وقوله : الموكفة الوكف : الثقل والشدة . يقال : شاه وكوف ؛ أي غزيرة اللبن ، وكذلك : منحة وكوف وناقة وكوف ؛ أي غزيرة . تهذيب اللغة ١ / ٣٩٣ ، واللسان (وكف) ٣٦٣ / ٩ .

(١) أخرجه ابن جرير ١٩ / ٤٤ بلفظ : «الأثم : واد في جهنم» .

(٢) أخرجه ابن جرير ١٩ / ٤٤ مرفوعاً للنبي ﷺ ، وأخرجه ١٩ / ٤٥ موقوفاً على أبي أمامة بنحو سياقه ، وأخرجه مرفوعاً الطبراني في المعجم الكبير ٨ / ١٧٥ ، رقم ٧٧٣١ ، وكذا الثعلبي ٨ / ١٠٣ ب ، كلهم من طريق محمد بن زياد الكلبي ، عن شرقي بن القطامي ، عن لقمان بن عامر . قال الهيثمي : «رواه الطبراني وفيه ضعف ، قد وثقهم ابن حبان ، وقال : يخطئون» . مجمع الزوائد ١٠ / ٣٨٩ .

(٣) قرأ ابن كثير : ﴿يُضَعَفُ﴾ بتشديد العين بغير ألف مع الجزم في الكلمتين . والجزم مع الألف قراءة حفص عن عاصم ، ونافع وأبي عمرو وحزرة والكسائي ، وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر بالرفع في الموضعين . كتاب السبعة في القراءات ٤٦٧ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ٣٥٠ ، والنشر ٣٣٤ / ٢ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٣٥٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤ / ٧٦ بمعناه ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ١٢٦ ، ونسبه النحاس في إعراب القرآن ٣ / ١٦٨ ، والأزهري في معاني القراءات ٢ / ٢١٩ إلى سيبويه ، وهو بنصه في الكتاب ٣ / ٨٧ .

(٥) أنشدتهما سيبويه في الكتاب ٣ / ٨٧ ، ونسبها إلى بعض بني أسد ، ولم يسمه . وذكر البيهقي أبو علي في الحجة ٥ / ٣٥١ ، ولم ينسبها ، وذكرها ابن جني في المحتسب ٢ / ٧٥ ، وعزاها إلى شاعر جاهلي قديم ، وابن الأنباري في البيان في إعراب القرآن ٢ / ٢٠٨ ، والإنصاف ٢ / ٥٨٤ ، ولم ينسبها . وفي =

فغدوهم مُرَجَّلِينَ في المعنى تركُّ للاحتفال ، وهذا مثل إبدال ﴿يُضَعَّفُ﴾^(١)
وقد أبدل من الشرط كما أبدل من جزائه ، وذلك في قوله :

مَتَى تَأْتِنَا تُلْمَمُ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدُ حَطَبًا جَزْلاً وَنَاراً تَأْجَجَا^(٢)
فأبدل تُلْمَم من تأتينا ؛ لأن الإلمام إتيان في المعنى^(٣) .

وأما من رفع فإنه لم يُبدل ، ولكنه قطع مما قبله واستأنف^(٤) .

٧٠ . وقوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ . قال
ابن عباس : «نزلت هذه الآية بمكة ؛ وكان المشركون قالوا : [ما يغني
عنا اتباعك ، وقد عدلنا بالله ، وقتلنا النفس التي حرم الله إلا بالحق ،
وأتيننا الفواحش ، فنزلت : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ الآية»^(٥) .

وقال السدِّي : «قال المشركون»^(٦) : كيف نتبعك يا محمد وأنت تقول : من
أشرك أو زنا أو قتل فهو في النار ؟ فأنزل الله : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ . وذكر ابن عباس :
أن هذه الآية منسوخة بقوله : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ [النساء : ٩٣] ، وقال :

حاشية الإنصاف : «الشاهد قوله : لا يحفلوا يغدوا عليك ، فإن الفعل الثاني : يغدوا مجزوم ؛ لأنه بدل
من الفعل الأول ، وهو : لا يحفلوا ، وتفسير له . ويحفلوا مأخوذ من قول العرب : ما أحفل بفلان ، أي
ما أبالي به» . تهذيب اللغة (حفل) ٧٦ / ٥ ، والمرجل : الشعر المسرَّح . تهذيب اللغة (رجل) ٣٤ / ١١ .
(١) أنشده سيبويه في الكتاب ٨٦ / ٣ ، ولم ينسبه ، وكذا الزَّجَّاج ٧٦ / ٤ ، وفيه : (ونارا توقدا) . وفي
الحاشية : «لم أقف على قائل البيت» ، وقال : «الشاهد فيه : وقوع تلمم بدلاً من تأتينا» . وأنشده كذلك
أبو علي في الحجة ٣٥١ / ٥ ، وابن الأنباري في الإنصاف ٥٨٣ / ٢ ، والبغداد في الخزنة ٦٦٠ / ٣ ،
وعزاه إلى عبدالله بن الحر .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٣٥٠ / ٥ ، وهو في معاني القرآن للزَّجَّاج ٧٦ / ٤ ، بمعناه .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٣٥٢ / ٥ ، ومعاني القراءات للأزهري ٢١٩ / ٢ ، قرأ بالرفع في الموضعين عاصم
في رواية أبي بكر ، وابن عامر . كتاب السبعة في القراءات ٤٦٧ ، والحجة للقراء السبعة ٣٥٠ / ٥ .

(٤) أخرجه ابن جرير ٤٢ / ١٩ .

(٥) ما بين المعقوفين في (ج) .

«التي في هذه السورة لمن كان مشركاً ثم تاب وآمن ، فأماً من دخل في الإسلام ، وعقل ثم قتل فلا توبة له»^(١) . وقال : هذه مكية ، نسختها آية ، مدنية وهي التي في سورة النساء^(٢) ، ونحو هذا قال زيد بن ثابت : «نزلت الغليظة بعد اللينة ب ستة أشهر ، فنسخت الغليظة اللينة»^(٣) .

وقوله : ﴿فَأُولَٰئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ ؛ يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام ؛ بالشرك إيماناً ، وبقتل المؤمنين قتل المشركين ، وبالزنا عفة وإحصاناً ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي ، والضحاك ، وابن زيد ، وسعيد بن جبير^(٤) .

وذهب قوم إلى أن الله تعالى يمحو السيئة عن العبد ، ويثبت له بدلها الحسنة بحكم هذه الآية . ويحتجون بما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال : «ليتمنين أقوام أنهم أكثروا من السيئات ! قيل : من هم ؟ قال : الذين بدل الله سيئاتهم

(١) أخرجه ابن جرير ٦٥ / ٩ ، (تحقيق : محمود شاكر) ، وأخرجه أيضاً في ١٩ / ٤٢ ، وفيه : «قال سعيد بن جبير : فذكرته لمجاهد ، فقال : إلا من ندم» .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، رقم ٤٧٦٢ ، الفتح ٨ / ٤٩٢ ، ومسلم ٤ / ٢٣١٨ في كتاب التفسير ، رقم ٣٠٢٣ . وابن جرير ١٩ / ٤٤ .

(٣) أخرجه ابن جرير ٦٨ / ٩ ، (تحقيق : محمود شاكر) ، قال ابن عطية ١١ / ٧٥ : «ولا خلاف بين العلماء أن الاستثناء عامل في الكافر والزاني ، واختلفوا في القاتل من المسلمين» .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٩ / ٤٦ عن ابن عباس من ثلاثة طرق ، وأخرجه كذلك عن الضحاك ، وسعيد بن جبير ، وابن زيد ، ومجاهد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٣٣ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من طريقين ، وعن سعيد بن طريقين ، والحسن ، وعطاء ، وقتادة ، وذكره الثعلبي عن جميع من ذكر الواحدي . قال مقاتل ٤٧ أ : «والتبديل من العمل السيئ إلى العمل الصالح» . واختار هذا القول ابن جرير ١٩ / ٤٦ ورجحه ، قال الزجاج ٤ / ٧٦ : «ليس أن السيئة بعينها تصير حسنة ، ولكن التأويل أن السيئة تمحى بالتوبة ، وتكتب الحسنة مع التوبة . فيكون التبديل على هذا القول في الدنيا» . تفسير البغوي ٩٧ / ٦ .

حسنات»^(١). وهذا مذهب سعيد بن المسيب، ومكحول، وعمرو بن ميمون. قال سعيد: «صير سيئاتهم حسنات لهم يوم القيامة»^(٢).

وقال مكحول: «يغفرها الله لهم فيجعلها حسنات»^(٣). وقال عمرو بن ميمون: «يتمنى العبد أن سيئاته أكثر مما هي»^(٤).

(١) أخرجه الحاكم ٢٨١/٤، كتاب: التوبة والإنابة، رقم ٧٦٤٣. وقال: إسناده صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه الثعلبي ٨/١٠٤ أ مرفوعاً للنبي ﷺ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/٢٧٣٣ موقوفاً على أبي هريرة، كلهم من طريق أبي العنيس عن أبيه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - لكن متن ابن أبي حاتم مختلف، ولفظه: «ليأتين الله بأناس يوم القيامة رأوا أنهم قد استكثروا من السيئات، قيل: من هم يا أبا هريرة؟ قال: الذين يبذل الله بسيئاتهم حسنات». وأبو العنيس هو سعيد بن كثير. الحاكم ٢٨١/٤، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة ٥/٢٠٩، رقم ٢١٧٧.

(٢) أخرجه ابن جرير ١٩/٤٧، وابن أبي حاتم ٨/٢٧٣٣ بنحوه. وساقا بإسنادهما حديثاً مرفوعاً، من رواية أبي ذر - رضي الله عنه - وفيه «فيقول: يا رب لقد عملت أشياء ما أراها هاهنا، قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، قال: فيقال له: لك مكان كل سيئة حسنة»، وأخرجه مسلم ١/١٧٧ في كتاب: الإيمان، رقم ١٩٠ من الطريق نفسه، وأخرجه الثعلبي ٨/١٠٤، والواحد في الوسيط ٣/٣٤٧، وصححه، وذكر خبراً ثالثاً يدل على ذلك.

ولم يرجع الواحدي - رحمه الله - أحد هذين القولين، وكذا السمرقندي في تفسيره ٢/٤٦٧، مع ذكرهم لهذا الحديث، وهو ظاهر مع الذي قبله في أن التبديل حقيقي، ولا عبرة بقول من أنكره، وأما القول بأن المراد تغير أفعالهم في الدنيا من الفساد إلى الصلاح فلا ينافي هذا القول، فإن هذا في الدنيا، والتبديل في الآخرة، كما هو ظاهر من سياق الحديث، والله أعلم. والعجب من الواحدي الذي أورد هذا الحديث، هنا، وفي الوسيط مع غيره مما يؤيد معناه، ومع ذلك فقد اقتصر في الوجيز ٧٨٤ على القول الأول، ولم يذكر القول الثاني، ومثله أبو السعود ٦/٢٣٠، وذكر القولين العز في تفسيره ٢/٤٣٢، ومال القرطبي ١٣/٧٨ إلى القول بأن التبديل حقيقي، واقتصر عليه البرسوي ٦/٢٤٧، واختاره ابن عاشور ١٩/٧٦، وقد تكلم ابن القيم على هذه المسألة بتوسع، وذكر حجج الفريقين، ثم خلاص إلى الجمع بينهما؛ فقال: «وعلى هذا فقد زال - بحمد الله - الإشكال، واتضح الصواب، وظهر أن كل واحدة من الطائفتين ما خرجت عن موجب العلم والحجة». طريق المهجرتين ٤٥٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٨/٢٧٣٥.

(٤) والقول بأن التبديل حقيقي ذكره ابن أبي حاتم عن سلمان - رضي الله عنه - وعلي بن الحسين. وأما ما أخرجه ابن أبي حاتم ٨/٢٧٣٣ عن أبي العالية، أنه قيل له: إن ناساً يقولون: ودوا أنهم استكثروا من الذنوب؟ فقال أبو العالية: ولم يقولون ذلك؟ قيل: يتأولون هذه الآية: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَبِذُلُ اللَّهُ﴾

وقوله : ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «﴿غَفُورًا﴾ لما صنعوا في الشرك ﴿رَحِيمًا﴾ بهم في الإسلام»^(١) .

٧١ . [قوله تعالى : ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «ومن آمن : يريد رجلاً قبل هؤلاء ممن كان آمن من أهل مكة ، وهاجر ولم يكن قتل ، ولا زنا ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يريد الفرائض»^(٢) ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ يريد : أي فضلتهم وقدمتهم على من قاتل نبيي عليه السلام ، واستحل محارمي»^(٣) .

وعلى هذا معنى الآية : من آمن وأدّى ما افترض عليه ، ولم يكن ممن قتل وزنا ، فإنه يصير إلى ما آتاه الله من التفضيل والتقديم على من قتل وزنا ثم تاب . وقال الكلبي : «ومن تاب من الشرك وعمل صالحاً بعد التوحيد فإنه يتوب إلى الله متاباً ، يقول : يجدد عند الله متاباً»^(٤) .

سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴿فَاسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ، ثم تلا هذه الآية : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ [آل عمران : ٣٠] . فهذا القول منه استنكار لقولهم هذا في الدنيا ، فإنه لا يجوز للمسلم أن يتمنى أن يكون قد أكثر من المعصية بهذه الحجة ، بل الواجب أن يكون حاله الشفقة ، والخوف ، فأنكر عليهم أبو العالية ذلك ، والآية التي ذكرها في من مات ولم يتب من سيئاته ، والله أعلم . وذكر النحاس قولاً آخر في التبديل ، وحسنه ، فقال : «ومن حسن ما قيل فيه : أنه يكتب موضع كافر : مؤمن ، وموضع عاصٍ : مطيع» . إعراب القرآن ٣ / ١٦٩ ، وهو مخالف لظاهر الآية ، والله أعلم .

(١) تفسير مقاتل ٤٧ أ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ج) .

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٣ / ٣٤٧ بسياق قريب من هذا .

(٤) تنوير المقياس ٣٠٥ بلفظ : «يجدد ثوابها عند الله» .

وقال مقاتل : ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ يعني : مناصحاً^(١) لا يعود في شركه ، ولا إلى ذلك الذنب^(٢) .

هذا ما ذكره أهل التفسير في هذه الآية ، وهو غير مقنع ، ولا شافٍ . وكشف أرباب المعاني عن معنى الآية . قال صاحب النظم : «ليس في نظم العرب أن يقولوا : من قام وصلى فإنه يصلي صلاة ؛ لأنه ليس في ظاهره فائدة إلا بأن يكونا مختلفين في المعنى ، فالتأويل إن شاء الله : ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ فإنه يرجع يوم القيامة إلى الله - عز وجل - فيكافئه ويثيبه بعمله ، وعلى هذا التوبة الأولى : رجوع عن الشرك والمعصية ، والثانية : رجوع إلى الله للجزاء والمكافأة ، كقوله : ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾ [الرعد : ٣٠] ؛ أي مرجعي في المعاد»^(٣) .

وقال ابن الأنباري : «يُسأل عن هذه الآية فيقال : ما الفائدة في قوله : ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ﴾ بعد قوله : ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ ؟ وهل يجوز لقائل أن يقول : من قام فإنه يقوم ، ومن ركب فإنه يركب ؟ والجواب : أن التكرير وجب لزيادة في المعنى ؛ ومعنى الآية : من أراد التوبة وقصد حقيقتها ينبغي أن يريد الله بها ، ولا يخلط بها أمراً من أمور الدنيا . كما يقول الرجل : من تجر فإنه يتجر في البر^(٤) ، ومن ناظر فإنه يناظر في النحو ؛ أي من أراد التجارة فينبغي له أن يتجر في البر^(٥) ، ومن أراد حسن المناظرة ودقة الاستخراج فينبغي له أن يناظر في النحو»^(٥) .

(١) الناصح : الخالص . تهذيب اللغة (نصح) ٤ / ٢٥٠ ، ولسان العرب ٢ / ٦١٥ .

(٢) تفسير مقاتل ٤٧ ب . وعلى هذا فالتوبة في الآية عن جميع السيئات . ومعناه : ومن أراد التوبة ، وعزم عليها فليتب لوجه الله . تفسير البغوي ٦ / ٩٨ .

(٣) ذكر هذا القول البغوي ٦ / ٩٧ ، ولم ينسبه .

(٤) البر : ضرب من الثياب . تهذيب اللغة (بز) ١٣ / ١٧٣ .

(٥) ذكره ابن الجوزي ٦ / ١٠٨ عن ابن الأنباري .

وقال أبو علي الفارسي : «وجه دخول الفاء في قوله : ﴿فَإِنَّهُ يَنْبُؤُ﴾ كما ذكرنا في قوله : ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٥٨] ومعنى قوله : ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْبُؤُ﴾ فالقول في هذا أن اللفظ على شيء ، والمعنى على غيره ، وذلك غير ضيق في كلامهم ، ألا ترى أنهم قد قالوا : ما أنت وزيد ، والمعنى لم تؤذيه ، واللفظ إنما هو على المسألة من المخاطب ، وزيد معطوف عليه ، وكذلك قولهم : أمكنك الصيد ، والمعنى : ارمه ، وكذلك : هذا الهلال ؛ أي انظر إليه ، فكذلك قوله : ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ كأنه : ومن عزم على التوبة فينبغي أن يبادر إليها ويتوجه بها إلى الله سبحانه ، وهذا كما قال : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ﴾ [النحل: ٩٨] ؛ أي إذا عزمت على ذلك ، وعلى هذا المعنى قوله : ﴿فَإِنَّهُ يَنْبُؤُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ ؛ أي ينبغي أن يتوب ، كقوله : ﴿وَالْمُطَلَقَاتُ يَرْبِضْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ؛ أي ينبغي أن يتربصن . هذا كلامه ^(١) .

وأمثل هذه الأقوال ما ذكره صاحب النظم .

٧٢ . قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ ^(٢) ؛ معنى ﴿الزُّورَ﴾ هاهنا : الشرك بالله في قول أكثر المفسرين ، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء ، ومقاتل ، والضحاك ^(٣) ، ونحو هذا قول من فسر : ﴿الزُّورَ﴾ بأعياد المشركين ^(٤) ، وهو قول الضحاك في ما روى عنه

(١) لم أجده .

(٢) عقب الله تعالى تركهم الزنا بالإعراض أصلاً عن اللغو الذي هو أعظم مقدمات الزنا . تفسير ابن عاشور ١٣ / ٤٣٢ .

(٣) تفسير مقاتل ٤٧ ب ، وأخرجه ابن جرير ٤٨ / ١٩ عن الضحاك وابن زيد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٣٧ / ٨ عن الضحاك من طريقين . قال الرَّجَّاج ٧٧ / ٤ : «والذي جاء في الزور أنه الشرك بالله» .

(٤) ذكره السيوطي عن ابن عباس ، ونسبه إلى الخطيب . الدر المنثور ٦ / ٢٨٢ ، قال الفراء : «لأنها زور وكذب ؛ إذ كانت لغير الله» . معاني القرآن للفراء ٢ / ٧٤ ، ومعاني القرآن للرجَّاج ٤ / ٧٧ ، ولم ينسباه .

حسين بن عقيل^(١)، وقول مجاهد في ما روى عنه يحيى بن اليان^(٢)، ونحو هذا قال ابن سيرين؛ هو الشعانين^(٣).

قال أبو إسحاق: «الذي جاء في الزور أنه الشرك جامع لأعياد النصارى، وغيرها»^(٤).

و﴿الزُّور﴾ في اللغة: الكذب^(٥). ولا كذب فوق الشرك بالله عز وجل.

وقال ابن الحنفية: «معنى الزور هاهنا: الغناء»^(٦).

وهو رواية ليث عن مجاهد^(٧).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٣٧/٨ من طريق الحسين بن عقيل، ثم قال ابن أبي حاتم: «وروي عن أبي العالية، وطاوس، والربيع بن أنس، والمثنى بن الصباح نحو ذلك».

الحسين بن عقيل، لم أجد ترجمته إلا عند ابن أبي حاتم الرازي في الجرح والتعديل ٦١/٣، حيث قال: «الحسين بن عقيل العقيلي، روى عن الضحاك، وعائشة بنت جردان، روى عنه ابن عيينة، وأبو نعيم، قال يحيى بن معين: ثقة».

(٢) ذكره عنه الثعلبي ١٠٤/٨ ب، والبخاري ٩٨/٦.

يحيى بن اليان، العجلي الكوفي، صدوق عابد يخطئ كثيراً، وقد تغير، من أتباع التابعين، توفي سنة ١٨٩ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٥٦/٨، وتقريب التهذيب ١٠٧٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٣٧/٨، وهو عيد من أعياد المشركين. وفي حاشية الطبرسي ٢٨٣/٧: «عيد معروف للنصارى قبل عيدهم الكبير بأسبوع، كما قاله ابن الأثير»، ولم أجد في كتابه النهاية؛ حرف الشين مع العين. قال الطوسي ٥١١/٧: «قال ابن سيرين: هو أعياد أهل الذمة كالشعانين وغيرها».

(٤) هذا كلام جيد، لكن لم أجد في كتاب المعاني المطبوع، وإنما فيه ٧٧/٤ بلفظ: «والذي جاء في الزور أنه الشرك بالله، فأما النهي عن شهادة الزور...».

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤٢٥/٣.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٣٧/٨، وذكره السيوطي ٢٨٣/٦، واقتصر على تخريج عبد بن حميد والفريابي له، ولم يذكر ابن أبي حاتم.

(٧) أخرجه عن مجاهد ابن جرير ٤٨/١٩ من طريق الليث، وذكره الثعلبي ١٠٤/٨ ب. وليث هو ابن أبي سليم، قال فيه ابن حجر: «صدوق اختلط جداً، ولم يتميز حديثه فترك». تقريب التهذيب ٨١٧.

وقال الكلبي : «لا يحضرون مجالس الباطل والكذب»^(١) ، وهو قول قتادة^(٢) .
وقال عمرو بن قيس : «مجالس الخنا»^(٣) .

وقال علي بن أبي طلحة : «يعني شهادة الزور»^(٤) .

وهو قول وائل بن ربيعة^(٥) .

(١) تنوير المقباس ٣٠٥ ، وذكر نحوه الفراء ٢/٢٧٣ ، ولم ينسبه ، وأخرجه ابن جرير ٤٨/١٩ عن ابن جريج .

(٢) ذكره عنه الثعلبي ٨/١١٥ أ ، والسيوطي في الدر ٦/٢٨٣ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٨/٢٧٣٧ ، والثعلبي ٨/١٠٤ ب .
عمرو بن قيس المُلَائي ، أبو عبد الله الكوفي ، ثقة عابد متقن ، حَدَّثَ عن عكرمة ، وعطاء ، ومصعب بن سعد ، وغيرهم ، وحَدَّثَ عنه سفيان الثوري ، وصحبه زماناً ، توفي سنة بضع وأربعين ومائة . انظر : سير أعلام النبلاء ٦/٢٥٠ ، وتقريب التهذيب ٧٤٣ .

(٤) ذكره عنه الثعلبي ٨/١٠٤ ب . وعلى هذا فهو من الشهادة لا من المشاهدة . تفسير ابن عطية ١١/٧٨ .

(٥) وائل بن ربيعة ، لم أقف على نسبه ، لكن ذكر ابن سعد في الطبقات ٦/٢٠٤ أن وائل بن ربيعة روى عن عبد الله بن مسعود ، وروى عن وائل المسيب بن رافع ، وعدّه البخاري في الكوفيين . انظر : التاريخ الكبير ٨/١٧٦ .

لم يرجح الواحدي رحمه الله شيئاً من هذه الأقوال ، وقد أوصلها ابن أبي حاتم في تفسيره ٨/٢٧٣٦ إلى تسعة أوجه ، والذي يظهر أنها كلها مرادة ؛ إذ لا تعارض بينها ، فتأويل الآية كما قال ابن جرير ١٩/٤٩ : «والذين لا يشهدون شيئاً من الباطل» . قال الرازي ٢٤/١١٣ : «واعلم أن كل هذه الوجوه محتملة ، ولكن استعماله في الكذب أكثر» . قال ابن القيم : «وتأمل كيف قال سبحانه : ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ ولم يقل : بالزور ؛ لأن يشهدون ، بمعنى يحضرون ، فمدحهم على ترك حضور مجالس الزور ، فكيف بالتكلم به ، وفعله» . إغاثة اللهفان ١/٢٦٠ .

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ ؛ معنى اللغو في اللغة : كل ما يُلغى ويُطرح^(١) . والمعنى : إذا مروا بجميع ما ينبغي أن يُلغى ؛ وهو المعاصي كلها ، قاله الحسن والكلبي^(٢) .

وقال ابن زيد : «يعني ما يشتغل به المشركون من الباطل»^(٣) .

وروى جوير عن الضحاك : «مروا بالشرك»^(٤) .

﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ . قال الكلبي : «يعني حلما لا يشهدونه ، ولا يحضرونه»^(٥) .

وقال أبو إسحاق : «لا يجالسون أهل المعاصي ، ولا يماثلونهم عليها»^(٦) . والمعنى : مروا مر الكرماء ، الذين لا يرضون باللغو ؛ لأنهم يجلون عن الدخول فيه ، والاختلاط بأهله . وقيل : أصل هذا من قولهم : ناقة كريمة ، وبقرة كريمة ، إذا كانت تعرض عند الحلب تكرماً ، كأنها لا تبالي بما يحلب منها^(٧) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٧٧ / ٤ ، وقال أبو عبيدة : «اللغو كل كلام ليس بحسن ، وهو في اليمين : لا والله ، وبلى والله» . مجاز القرآن ٨٢ / ٢ .

(٢) أخرج قول الحسن عبدالرزاق ٧٢ / ٢ ، وعنه ابن جرير ٥٠ / ١٩ ، وذكره الثعلبي ١٠٥ / ٨ عنها ، ونسبه في الوسيط ٣٤٨ / ٣ إلى الحسن والكلبي . وفي تنوير المقباس ٣٠٥ : «بمجالس الباطل» .

(٣) في نسخة (أ) ، كتب قول ابن زيد هكذا : (ما يشتغل به الإنسان المشركون من الباطل) . فكلمة الإنسان زائدة . أخرج ابن جرير ٥٠ / ١٩ عن ابن زيد : «اللغو : ما كانوا فيه من الباطل ، يعني المشركين ، وقرأ : ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج : ٣٠]» .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٣٩ / ٨ من طريق جوير . قال الرازي ١١٣ / ٢٤ : «ومنهم من فسّر اللغو بكل ما ليس بطاعة ، وهو ضعيف ؛ لأن المباحات لا تعد لغواً» .

(٥) تنوير المقباس ٣٠٥ بلفظ : (أعرضوا حلما) .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٧٧ / ٤ .

(٧) تفسير الثعلبي ١٠٥ / ٨ .

وقال الليث : «يقال : تكرم فلان عما يَشِيئُهُ ، إذا تنزه وأكرم نفسه عنها»^(١) .
ومعنى الآية : مروا منزهين أنفسهم ، معرضين عنه^(٢) . يدل على صحة هذا المعنى ما روى ابن ميسرة^(٣) أن ابن مسعود مر بلهو معرضاً ، فقال رسول الله ﷺ : «إن أصبح ابن مسعود لكريباً»^(٤) .

وقال مقاتل في هذه الآية : «إذا سمعوا من كفار مكة الشتم والأذى مروا معرضين ، كقوله : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص : ٥٥]»^(٥) .

-
- (١) كتاب العين (كرم) ٣٦٨/٥ ، وتهذيب اللغة ٢٣٦/١٠ .
- (٢) وهذا اختيار ابن جرير ٥٠/١٩ ، حيث جعل الآية عامة في كل باطل ، وأنه لا وجه لتخصيص بعض دون بعض من دون دلالة من خبر أو عقل ، وجعل من خبر ابن ميسرة ، الذي ساقه الواحدي ، دليلاً على ذلك .
- (٣) ابن ميسرة ، إبراهيم بن ميسرة الطائفي ، نزيل مكة ، ثبت حافظ ، من صغار التابعين ، حدث عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، وطاوس ، وعمر بن الشريد ، وغيرهم ، وحدث عنه شعبة ، وابن جريج ، وسفيان الثوري ، وسفيان ابن عيينة ، توفي سنة ٢٢٠ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ١٢٣/٦ ، وتقريب التهذيب ١١٧ .
- (٤) أخرجه ابن جرير ٥٠/١٩ بلفظ : «مر بلهو مسرعاً» ، وابن أبي حاتم ٢٧٣٨/٨ ، كلهم من طريق محمد بن مسلم عن إبراهيم بن ميسرة ، وذكره الثعلبي ١١٠٥ ، وابن عطية ٧٩/١١ ، وضعفه الألباني ؛ لأن إبراهيم بن ميسرة تابعي ثقة ، إلا أنه أرسل الحديث ، ومحمد بن مسلم ، وهو الطائفي ، صدوق يخطئ . سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣/٣١٠ ، رقم ١١٦٧ .
- (٥) تفسير مقاتل ٤٧ ب .

وهذا رواية ابن أبي نجیح عن مجاهد ، قال : « إذا أودوا صَفَحُوا »^(١) . ولهذا قال السدِّي : « هي منسوخة بآية القتال »^(٢) ، وقال في قوله : ﴿ كَرَامًا ﴾ : « لا يكلمونهم ويعرضون عنهم ، واللغو : الوقعة من المشركين في المسلمين »^(٣) .

وروى العوّام بن حوشب عن مجاهد ، قال : « كانوا إذا أتوا على ذكر النكاح كَنُوا عنه »^(٤) ، وهو اختيار الفراء ، قال : « ذُكر أنهم كانوا إذا أجزوا ذكر النساء كَنُوا عن قبيح الكلام فيهن وذلك مروّهم به »^(٥) .

وقال أبو علي الفارسي في هذه الآية : « يجوز أن يكون المعنى : إذا مروا بأهل اللغو ، [وذوي اللغو]^(٦) مروا كراماً فلم يجاروهم فيه ولم يخوضوا معهم فيه »^(٧) ،

(١) تفسير مجاهد ٢/ ٤٥٦ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ٤٩ ، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٣٩ .

(٢) لعل هذا مأخوذ من قوله عن هذه الآية : هي مكية . تفسير ابن جرير ١٩/ ٥٠ ، وقد ذكره عنه صريحاً الثعلبي ٨/ ١٠٥ . قال ابن جرير : « وإنما عنى السدِّي بقوله هذا - إن شاء الله - أن الله نسخ ذلك بأمره المؤمنين بقتال المشركين بقوله : ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ، وأمرهم إذا مروا باللغو الذي هو شرك أن يقاتلوا أمراءه ، وإذا مروا باللغو الذي هو معصية الله أن يغيروه ، ولم يكونوا أمروا بذلك في مكة » . والصحيح أن الآية لا نسخ فيها ، بل هي من الآيات التي يعمل بها في مواضعها المناسبة كما سبق ذكر ذلك عند قوله تعالى : ﴿ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٣] .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٤٠ .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٩/ ٤٩ ، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٣٩ من طريق العوام بن حوشب ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٠٥ . كنى فلان عن الكلمة المستفحشة يَكْنِي : إذا تكلم بغيرها . تهذيب اللغة (كنى) ١٠/ ٣٧٣ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٧٤ ، وذكره الزجاج ٤/ ٧٧ .

(٦) ما بين المعوفين في (ج) .

(٧) قال ابن قتيبة : « لم يخوضوا فيه ، وأكرموا أنفسهم عنه » . غريب القرآن ٣١٥ ، وليس معنى ذلك أنهم يتركون الإنكار . قال ابن عطية ١١/ ٧٩ : « وأما إذا مر المسلم بمنكر فكرمه أن يغيره ، إمّا باليد أو باللسان أو ينكره بالقلب كما دل على ذلك حديث أبي سعيد الخدري ، قال : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيذان » . أخرجه مسلم ١/ ٦٩ ، كتاب : الإيذان ، حديث رقم ٤٩ ، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٩٠ .

قال : «ويجوز أن يكون مثل : فمرت بي آية كذا ، ومرت بي سورة كذا ؛ أي تلوتها ، وقرأتها ، إذا أتوا على ذكر ما يُستفحش ذكره كنوا عنه ولم يصرحوا» .

وليس هذا في كل حال ، ولكن في بعض دون بعض ؛ فإذا كانت الحال تقتضي التبيين فالصریح أولى ، كما روي في الحديث : «فأعضوه بهن أبيه ، ولا تكنوا»^(١) ، وكما روي عن بعض الصحابة أنه قال لبعض المشركين : اعضض^(٢) بظر اللات^(٣) .

(١) هذا جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد ٤٨ / ٨ ، رقم ٢١٢٩٢ . عَنْ عُتَيْي عَنْ أَبِي بَن كَعْب قَالَ : رَأَيْتُ رَجُلًا تَعَزَّى عِنْدَ أَبِي بَعْرَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ افْتَخَرَ بِأَبِيهِ فَأَعْضَهُ بِأَبِيهِ وَلَمْ يَكُنْهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَمَّا إِنِّي قَدْ أَرَى الَّذِي فِي أَنْفُسِكُمْ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ إِلَّا ذَلِكَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «مَنْ تَعَزَّى بِعَرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعْضُوهُ وَلَا تَكْنُوا» . وفي رواية : «قَالَ أَبِي كُنَّا نُوْمِرُ إِذَا الرَّجُلُ تَعَزَّى بِعَرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعْضُوهُ بِهِنِ أَبِيهِ وَلَا تَكْنُوا» . وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ١٩٣ ، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٧٧ / ١ ، رقم ٢٦٩ . قال ابن الأثير : «أي قولوا له : عُضَّ أَيْرَ أَبِيكَ» . النهاية في غريب الحديث ٢٧٨ / ٥ .

(٢) (اعضض) في (ج) .

(٣) هذا جزء من حديث طويل في قصة الحديبية ، وقد وجه هذا الكلام أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - إلى عروة بن مسعود ، عندما قال : أَيُّ مُحَمَّدٌ ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَنَحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ وَإِنْ تَكُنْ الْآخَرَى فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وَجُوهًا ، وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَمُرُّوا وَيَدْعُوكَ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ : امْضُصْ بِيْظَرَ اللَّاتِ أَنْحَنُ نَفْرُ عَنْهُ وَنَدْعُهُ ؟ فَقَالَ : مَنْ ذَا ؟ قَالُوا أَبُو بَكْرٍ . قَالَ : أَمَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأَجْبَتِكَ . أخرجه البخاري في كتاب : الشروط ، رقم ٢٧٣٤ ، الفتح ٣٢٩ / ٥ ، والأشواب : الأخلاط من أنواع شتى ، والأوباش : الأخلاط من السفلة ، والبطر : قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة . قال ابن المنير : «في قول أبي بكر تحسيس للعدو وتكذيبهم ، وتعريض بالزمامهم من قولهم : إن اللات بنت الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، بأنها لو كانت بنتاً لكان لها ما يكون للإنان» . فتح الباري ٣٤٠ / ٥ .

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ . قال مقاتل : «إذا وعظوا بالقرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ . يقول : لم يقعوا عليها ، و﴿صُمًّا﴾ لم يسمعه و﴿عُمْيَانًا﴾ لم يبصروه ، ولكنهم سمعوا وأبصروا وانتفعوا به»^(١) ، ونحو هذا قال المفسرون كلهم^(٢) . قال ابن عباس : «لم يكونوا عنها صمًّا ولا عمياً بل كانوا خائفين ، خاشعين» .

وقال الكلبي : «يخرون عليها سمعاء ، وبصراء»^(٣) .

قال الفرّاء : «يقول : إذا تلى عليهم القرآن لم يقعدوا على حالهم الأولى كأنهم لم يسمعه فذلك الخرور ، وسمعت العرب تقول : قعد يشتمني ، كقولك : قام يشتمني وأقبل يشتمني»^(٤) .

ومعنى ﴿لَمْ يَخِرُّوا﴾ على ما ذكر : لم يقعدوا ، ولم يصيروا عندها صمًّا وعمياً .

(١) تفسير مقاتل ٤٧ ب . ولفظ الآيات هنا عام فيدخل تحته الآيات الشرعية ، والآيات الكونية ، من الشمس والقمر ، ونحوها . وقد اقتصر على الآيات الكونية الطوسي ٧ / ٥١١ ، والآية كما سبق أعم ، وإن كانت الآيات الشرعية أقرب ، والله أعلم . وجمع بين القولين الطبرسي ٧ / ٢٨٤ ، وابن عاشور ٤٣٣ / ١٣ .

(٢) أخرجه ابن جرير ١٩ / ٥١ عن مجاهد ، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٤٠ عن قتادة ، ومجاهد ، وأساط ، والحسن ، وابن زيد ، وأخرج ابن جرير ١٩ / ٥١ ، وابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٤٠ عن ابن عون ، قال : قلت للشعبي : رأيت قوماً قد سجدوا ، ولم أعلم ما سجدوا منه ، أسجد ؟ قال : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ قال ابن كثير ٦ / ١٣٢ : «يعني أنه لا يسجد معهم ؛ لأنه لم يتدبر آية السجدة ، ولا ينبغي للمؤمن أن يكون إمعة ، بل يكون على بصيرة في أمره ويقين واضح بين» .

(٣) تنوير المقياس ٣٠٦ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٧٤ ، ونحوه عند ابن جرير ١٩ / ٥١ ، ولم ينسبه .

وقال الزَّجَّاج : «تأويله : إذا تليت عليهم خروا سجداً [وبكياً ، سامعين مبصرين لما أمروا به ونهوا عنه ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿إِذَا نُنِىٰ عَلَيْهِمُ الْرَمَحَنَ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًا﴾ [مريم : ٥٨]»^(١) ، قال : ومثل هذا من الشعر قول الشاعر :

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَشِيْمُوا سِيَوْفَهُمْ وَلَمْ تَكْثُرِ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سُلِّتِ^(٢)

تأويله : بأيدي رجال شاموا سيوفهم ؛ أي أغمدوها وقد كثرت القتلى ، فتأويل الآية : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ خروا ساجدين سامعين مبصرين^(٣) . وقال ابن قتيبة : «أي لم يتغافلوا عنها كأنهم صم لم يسمعوها ، وعمي لم يروها»^(٤) .

٧٤ . قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾^(٥) :
وتُقْرَأُ ﴿وَذُرِّيَّاتِنَا﴾^(٦) والذرية تكون واحداً وجمعاً . فكونها للواحد

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ب) .

(٢) أنشده المبرد ، ونسبه إلى الفرزدق ، وقال عنه المبرد : «هذا البيت طريف عند أصحاب المعاني ، وتأويله : لم يشيموا : أي لم يغمدوا ، ولم تكثر القتلى ، أي لم يغمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلى حين سلّت . الكامل ١ / ٤٠١ ، وقال المحقق : «لم أجده في ديوان الفرزدق ، (ط : دار صادر) ، وبحث عنه في (ط : دار بيروت) فلم أجده أيضاً ، وأنشده الزَّجَّاج في معاني القرآن ٤ / ٧٧ ، ولم ينسبه ، وفيه : (ولم يكثر) ، وأنشده ابن الأنباري في الإنصاف ٢ / ٦٦٧ ، ولم ينسبه ، وفي الحاشية : «وقد وجدته في ديوان الفرزدق بيتاً مفرداً» .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ٧٨ ، قال الزمخشري ٣ / ٢٨٧ : ﴿لَمْ يَحْجُرُوا﴾ ليس بنفي للخروج ، وإنما هو إثبات له ، ونفي للصمم والعمى ، كما تقول : لا يلقياني زيد مسلماً ، هو نفي للسلام لا للقاء .

(٤) غريب القرآن ٣١٥ ، وتأويل مشكل القرآن ٢٢ ، وفي (ج) : (لم يسمعوها) .

(٥) (من) في قوله تعالى : ﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾ ابتداءً على معنى : هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا . تفسير الرازي ٢٤ / ١١٥ .

(٦) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وعاصم في رواية حفص : ﴿وَذُرِّيَّتِنَا﴾ بالجمع ، وقرأ أبو عمرو ، وعاصم في رواية أبي بكر ، وحمة ، والكسائي : (وَذُرِّيَّتِنَا) واحدة . انظر : كتاب السبعة في القراءات ٤٦٧ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ٣٥٢ ، والنشر في القراءات العشر ٢ / ٣٣٥ . قال الأزهرى : «المعنى واحد في القراءتين ؛ لأن الذرية تنوب عن الذريات ، فقرأ كيف شئت» .

قوله : ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران : ٣٨] ، فهذا كقوله : ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم : ٥ ، ٦] ، وكونها للجمع قوله : ﴿ذُرِّيَّةً ضِعْفًا﴾ [النساء : ٩] ، فمن أفرد في هذه الآية ، فإنه أراد به الجمع ، فاستغنى عن جمعه لما كان جمعاً ، ومن جمع ^(١) فكما تجمع هذه الأسماء التي تدل على الجمع ، نحو : قوم وأقوام ، ورهط وأرهاط . وقد جمعوا بالألف والتاء ، والواو والنون الجموع المكسرة ، كقولهم : الجُزرات ^(٢) ، والطُرقات .

وجاء في الحديث : «صواحبات يوسف» ^(٣) . وقال العجاج :

جَذَبُ الصَّرَارِيِّينَ بِالْكُرُورِ ^(٤)

- (١) (ومن جمع) في (أ) و(ج) .
- (٢) جَزَرَ الناقةَ يَجْزُرُهَا جَزْراً : نحرها وقطعها ، والجزور : الناقة المجزورة ، والجمع : جزائر وجُزُر وجُزَرَات جمع الجمع ، كطرق وطرقات . لسان العرب (جزر) ٤ / ١٣٤ ، والقاموس المحيط ٤٦٥ .
- (٣) جزء من حديث طويل في أمر النبي ﷺ أبا بكر - رضي الله عنه - أن يصلي بالناس ، ومراجعة عائشة وحفصة - رضي الله عنهما - رسول الله ﷺ في ذلك ، فقال لهن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّكُمْ لَأَتْنَّ صَوَاحِبَاتُ يُوسُفَ ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» . أخرجه الترمذي ٥ / ٥٧٣ ، كتاب : المناقب ، رقم ٣٦٧٢ . والنسائي ٢ / ٤٣٤ ، كتاب : الإمامة ، رقم ٨٣٣ ، وأخرجه البخاري في مواضع من صحيحه بلفظ : (صواحب يوسف) . الفتح ٢ / ١٦٤ ، ٢٠٦ ، و ٦ / ٤١٧ ، و ١٣ / ٢٧٦ ، وقد وهم محقق كتاب الحجة للقاء السبعة ٥ / ٣٥٣ بعزو لفظ (صواحبات) إلى البخاري .
- (٤) ديوان العجاج ١٩١ ، وأنشده الأزهري ٩ / ٤٤٢ ، وقال : «جعل العجاج الكرَّ حبلاً تقاد به السفن على الماء ، والصراري : الملاح» . وأنشده أبو علي في الحجة : ٣٥٣ ، ونسبه إلى العجاج ، وكذا في لسان العرب (صرر) ٤ / ٤٥٤ ، وفيه : «وصواب إنشاد بيت العجاج : جذبُ برفع الباء ؛ لأنه فاعل لفعل في بيت قبله» .

وإنما الصراري جمع صُرَاءٍ ، وهو مفردٌ نحو : حُسَّانٍ^(١) ، فَكَسَّرَهُ كَكَلَابٍ ، وكَلَالِبٍ ؛ لأن الصفة تُشَبَّه في التكسير بالأسماء . ويدل على أن الصُرَاءَ واحدٌ قول الفرزدق :

أَشَارِبُ قَهْوَةٍ وَخَدَيْنُ زِيرٍ وَصُرَاءٍ لِفَسْوَتِهِ بُخَارُ^(٢)

قوله : ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾^(٣) . قال الفرءاء : «ولو قرئت : قُرَاتٍ أَعْيُنٍ ؛ لأنهم كثير ، كان صواباً» . والوجه التقليل : ﴿قُرَّةَ﴾ ؛ لأنه فعل ، والفعل لا يكادون يجمعونه ، ألا ترى أنه قال : ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان : ١٤] فلم يجمعه ، وهو كثير . والقُرَّة : مصدر ، تقول : قَرَّتْ عَيْنُكَ قُرَّةً^(٤) .

قال ابن عباس ، في هذه الآية : «يريد أبراراً أتقياء»^(٥) .

(١) في لسان العرب (صرر) ٤ / ٤٥٤ : «وكان أبو علي يقول : صرءٌ واحد ، مثل : حُسَّانٍ لِلْحَسَنِ» .
(٢) الحجة للقراء السبعة ٣٥٣ / ٥ بنصه ، ونسب البيت إلى الفرزدق ، وعزاه المحقق إلى ديوانه ٣٨٨ / ١ ، وأنشده في لسان العرب (صرر) ٤ / ٤٥٤ منسوباً إلى الفرزدق ، وفيه : (أشاربُ خمرة) ، وفيه : «ولا حجة لأبي علي في هذا البيت ؛ لأن الصراري الذي هو عنده جمع ، بدليل قول المسيب بن علس ، يصف غائصاً أصاب درة :

وترى الصراري يسجدون لها ويضئُّها بيديه للنحرِ

(٣) ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ كل ما تقر به عين الإنسان ، ومعنى ذلك : أن الرجل إذا فرح بالشيء خرج من عينه ماء بارد ، وهو القُرُّ ، وإذا اغتم وبكى خرج من عينه ماء ساخن ، فيقال : سخن الله عينه ، إذا دعوا عليه ، وإذا دعوا له : أقر الله عينه ، ويقال : معنى أقر الله عينه ؛ أي غنم ، وقيل : أقر الله عينه ؛ أي بلغه الله مراده حتى تقر عينه فلا تطمح إلى شيء وتستقر . إعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ١٢٨ .
(٤) معاني القرآن للقراء ٢ / ٢٧٤ بنصه . قال الألوسي ١٩ / ٥٢ : «اختير الأعين جمعاً للعين الباصرة ، والعيون جمعاً للعين الجارية ، في جميع القرآن الكريم» .

(٥) أخرج ابن جرير ١٩ / ٥٢ ، وابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٤٢ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من طريق علي ابن أبي طلحة : من يعمل لك بالطاعة فتقر بهم أعيننا في الدنيا والآخرة . وذكر الهواري ٣ / ٢١٩ عن ابن عباس رضي الله عنهما : «أعواناً على طاعة الله» .

- وقال مقاتل : «يقولون : اجعلهم صالحين ، فتقر أعيننا بذلك»^(١) .
- وقال الكلبي : «﴿فَرَّهَ أَغْرِبَ﴾ في الدنيا ، صالحين مطيعين لك»^(٢) .
- وقال الضحاك : «اجعلهم أبراراً صالحين» .
- وقال القرظي : «ليس شيء أقرّ لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله»^(٣) .
- قوله عز وجل : «﴿وَجَعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾» . قال ابن عباس ومقاتل : «يُتَّقِدِي بنا في الخير»^(٤) .
- وقال أبو صالح : «يُتَّقِدِي بهدانا»^(٥) . وقال عكرمة : «إماماً مثلاً»^(٦) .
- وقال مكحول : «أئمة في التقوى ، يُتَّقِدِي بنا المتقون»^(٧) .

- (١) تفسير مقاتل ٤٧ ب ، ونحوه في تنوير المقباس ٣٠٥ .
- (٢) نحوه في تفسير الماوردي ٤ / ١٦٠ منسوباً إلى الكلبي .
- (٣) ذكره البخاري تعليقاً عن الحسن ، ولفظه : «وما شيء أقرّ لعين المؤمن من أن يرى حبيبه في طاعة الله» . الفتح ٨ / ٤٩٠ ، وكذا ابن جرير ١٩ / ٥٢ ، وذكره البغوي ٦ / ٩٩ عن القرظي والحسن . وأخرج نحوه هذه الأقوال ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٤٢ عن عكرمة والحسن : «قال المقداد بن الأسود رضي الله عنه : حتى إن الرجل ليرى والده أو ولده أو أخاه كافراً وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان ، فيعلم أنه إن هلك دخل النار فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار ، وإنما للتي قال الله : ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْزُقِنَا وَذَرِّكُنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾» .
- (٤) أخرجه ابن جرير ١٩ / ٥٣ ، وابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٤٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما . وتفسير مقاتل ٤٧ ب ، وفيه : «قال أبو محمد : سألت أبا صالح عنها ، فقال : قال مقاتل : اجعلنا نقتدي بصالح أسلافنا ، حتى يُتَّقِدِي بنا بعدنا» . وهذا القول اختيار الفراء في المعاني ٢ / ٢٧٤ ، والحواري ٣ / ٢١٩ .
- (٥) قال ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٤٢ بعد ذكر قول ابن عباس - رضي الله عنهما - السابق : «وروي عن أبي صالح ، وعبد الله بن شاذب نحو ذلك» .
- (٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٤٣ .
- (٧) أخرجه الثعلبي ٨ / ١٠٥ ب ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٤٣ بسياق أطول من هذا ، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٤٣ عن سعيد بن جبيرة والسدي .

قال الفرّاء : «إنما قال : ﴿إِمَامًا﴾ ولم يقل : أئمة ، كما قال : ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء : ١٦] للثنتين ، وعلى هذا هو من الواحد الذي أريد به الجمع^(١) ،
كقول الشاعر :

يا عاذلاتي لا تُردن ملامتي إِنَّ الْعَوَازِلَ لَسَنَ لي بِأَمِيرٍ^(٢)
وحكى أبو علي الفارسي عن الأخفش قال : «الإمام هاهنا جمع : أمّ ، فاعل
من : أمّ ، يُجمع على : فعّال ، نحو : صَاحِب ، وَصَحَاب»^(٣) .
ونحوه قول الخطيئة :

... الْأَطِبَّةُ وَالْإِسَاءُ^(٤)

جمع آسٍ .

-
- (١) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٧٤ ، بمعناه .
- (٢) أنشد البيت الأخفش ٢/ ٦٤٣ ولم ينسبه ، وأنشد عجزه أبو عبيدة ٢/ ٤٥ ولم ينسبه ، وقال : «أراد :
أمراء» ، وذكره ابن جرير ١٩/ ٥٤ من إنشاد بعض نحوي البصرة ، وأنشده ولم ينسبه الثعلبي
٨/ ١٠٥ ب ، وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢٨٥ ، وابن جنبي في الخصائص ٣/ ١٧٤ ،
وابن هشام في مغني اللبيب ١/ ٢١١ .
- (٣) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٤٣ ، ولفظه : «فالإمام هاهنا جماعة ، كما قال : ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾
[الشعراء : ٧٧] ، ويكون على الحكاية كما يقول الرجل إذا قيل له : من أميركم ؟ قال : هؤلاء أميرنا» .
وذكره أبو علي في كتابه : التكملة ٤٦٤ ولم ينسبه . قال ابن جزي ٤٨٨ : «هو جمع أمّ ، أي متبع» ، وكذا
الأنباري في البيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٢١٠ .
- (٤) أنشده كاملاً ، المبرّد الكامل ٢/ ٧٢٢ منسوباً إلى الخطيئة ، وأنشده مع أبيات آخر ٧٢٤ ، وأنشده
كذلك الأزهري في تهذيب اللغة (أسى) ١٣/ ١٤٠ ، والبيت بتمامه :
هُمُ الْأَسُونُ أُمُّ الرُّؤُسِ لَمَّا تَوَاكَلَهَا الْأَطِبَّةُ وَالْإِسَاءُ
والبيت من قصيدة طويلة يمدح فيها الخطيئة بني أنف الناقة ، وهم من بني عوف بن كعب .
ديوان الخطيئة ٨٢ ، الأسى : الطبيب . الكامل ٢/ ٧٢٢ ، والإساء : الدواء . تهذيب اللغة (أسى)
١٣/ ١٤٠ ، وأم الرأس : الجلدة الرقيقة التي ألبست الدماغ ، والمعنى أنهم يصلحون الفاسد . ديوان
الخطيئة بشرح ابن السكيت ٨٢ .

وقال غيره : «الإمام ، هاهنا : مصدر سُمي به ؛ يقال : أمّ فلان فلاناً إماماً ، كقولك : قام قياماً ، وصام صياماً»^(١) .

وروي عن مجاهد في هذه الآية روايتان ؛ إحداهما : ﴿وَجَعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ ، قال : «مؤتمن بهم مقتدين بهم»^(٢) ، وعلى هذا يجب أن تكون الآية من باب القلب ، على تقدير : واجعل المتقين لنا إماماً^(٣) .

والثانية : قال : «اجعلنا نقتدي بمن قبلنا حتى يقتدي بنا مَنْ بعدنا»^(٤) ، وعلى هذا في الكلام محذوف يدل عليه الباقي ، حُذف سؤلهم الاقتداء بمن قبلهم من المتقين ، وذكّر سؤلهم أن يقتدي بهم المتقون ؛ لأنهم لا يصيرون قادة متبعين حتى يقتدوا أولاً ويتبعوا .

(١) تفسير ابن جرير ٥٤ / ١٩ بنصّه ، والثعلبي ٨ / ١٠٥ ب ، ولم ينسبه .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٧٢ / ٢ ، وعنه ابن جرير ١٩ / ٥٣ .

(٣) تفسير الثعلبي ٨ / ١٠٥ ب ، وذكره ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢٠٠ ورّدّه ، فقال : «وهذا ما لا يجوز لأحد أن يحكم به على كتاب الله عز وجل ، لو لم يجد له مذهباً ؛ لأن الشعراء تقلب اللفظ ، وتزيل الكلام على الغلط ، أو على طريق الضرورة للقافية ، أو لاستقامة وزن البيت» . ثم ذكر شواهد كثيرة لفعل الشعراء ، ثم قال : «والله تعالى لا يغلط ، ولا يضطر» ، وهذا قول حسن . وحمل ابن قتيبة الآية على ظاهرها ، فقال ٢٠٥ : «يريد : اجعلنا أئمة في الخير يقتدي بنا المؤمنون» ، وقال في موضع آخر : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة : ٢٤] أي قادة ، كذلك قال المفسرون . وروي عن بعض خيار السلف أنه كان يدعو الله أن يحمل عنه الحديث ، فحُمل عنه . وقال بعض المفسرين في قوله : ﴿وَجَعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ «أي اجعلنا نقتدي بمن قبلنا ، حتى يقتدي بنا مَنْ بعدنا . فهم على هذا التأويل متبعون ، ومتبعون» . وجعل الماوردي ٤ / ١٦١ هذه الآية دليلاً على أن طلب الرياسة في الدين ندب ، وذكر نحوه ابن عطية ١١ / ٨١ عن إبراهيم النخعي ، واستدل عليه الرازي ٢٤ / ١١٥ بقوله تعالى عن الخليل عليه السلام : ﴿وَجَعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء : ٨٤] . وذكر الطوسي ٧ / ٥١٢ أن قراءة أهل البيت : (واجعل لنا من المتقين إماماً) ، وتبعه الطبرسي ٧ / ٢٨٢ ، ولم أجد من ذكر هذه القراءة غيرهما ، فلا يبعد أن تكون من تأويلات الشيعة لإثبات عقيدة الإمامة ، والله أعلم .

(٤) أخرجه عنه ابن جرير ١٩ / ٥٣ ، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٤٢ ، ثم قال : «وروي عن الحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، والسدي نحو ذلك» .

وحكى الفراء والزجاج هذا القول الأخير^(١). قال مقاتل : «أخبر الله تعالى عن أعمالهم ثم أخبر عن ثوابهم»^(٢).

٧٥. فقال : ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾^(٣) : الغُرْفَةُ معناها في اللغة : العلِّيَّة ، وكلُّ بناء عالٍ مرتفع فهو غُرْفَةٌ . ويقال للسماء السابعة غُرْفَةٌ ، وهو في شعر لبيد^(٤) . ويحتمل أن يكون أصلها من الغَرْف بمعنى : القطع والفصل ، يقال : غَرَفْتُ ناصيته ؛ أي قطعته .

قال الأصمعي : ومنه قول قيس بن الخطيم :

... تَكَادُ تَنْغَرُفُ^(٥)

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٧٤ ، وذكر قبل قول مجاهد أن المراد : اجعلنا أئمة يقتدى بنا . وأما الزجاج ٤/ ٧٨ ، فذكر قولاً واحداً واقتصر عليه ، ولم ينسبه ، هو : «اجعلنا ممن يهتدي بنا المتقون ، ونهتدي بالمتقين» . ولم يرجح الواحدي رحمه الله - أحد القولين ، مع أنه اقتصر في الوسيط ٣/ ٣٤٩ على القول الأول ، ومال في الوجيز إلى الجمع بينهما فقال : «اجعلنا ممن يهتدي به المتقون ، ويهتدي بالمتقين» . الوجيز ٢/ ٧٨٤ ، وأما ابن جرير فقد رجح القول الأول (اجعلنا للمتقين إماماً يأتمن بنا في الخيرات) لموافقته ظاهر الآية . وقال ابن عاشور ١٣/ ٤٣٥ : «ولمَّا كان المطلوب من المسلمين الاجتماع في الطاعة حتى تكون الكلمة في المتابعة واحدة ، أشاروا إلى ذلك بتوحيد الإمام وإن كان المراد الجنس فقالوا : ﴿إِمَامًا﴾» . تفسير مقاتل ٤٧ ب بمعناه .

(٢) ذكر أبو حيان ٦/ ٤٧٤ أن هذه الآية نزلت في العشرة المبشرين بالجنة ، ولم يذكر دليلاً عليه .

(٤) يعني به قول لبيد :

سَوَّى فَأَغْلَقَ دُونَ غُرْفَةِ عَرْشِهِ سَبْعًا شِدَادًا فَوْقَ فَرْعِ الْمَنْقَلِ
وهو في ديوانه ١٢٦ بلفظ : (دون غرة عرشه) ، وفي الحاشية : «ويروى : دون غرفة عرشه . والمنقل : ظهر الجبل» . وأنشده الأزهري في تهذيب اللغة (غرف) ٨/ ١٠٤ بلفظ : «دون غرفة عرشه» .

(٥) ديوان قيس بن الخطيم ١٠٦ ، والبيت بتمامه :

تَنَامُ عَنْ كِبَرِ شَأْنِهَا فَإِذَا قَامَتْ رَوَيْدًا تَكَادُ تَنْغَرُفُ
يصف امرأة نشأت في رفاهية ونعمة ، فهي تنام عن أكثر شأنها لكونها مخدومة ، فإذا قامت من نومها قامت في سكون وضعف تكاد تنقص أو تسقط . حاشية الديوان ١٠٧ ، وأنشد الأزهري (غرف) البيت عن الأصمعي ٨/ ١٠٤ ، وأنشده قبل ذلك ٨/ ١٠٣ كاملاً عن ابن الأعرابي .

أي تنقطع^(١). فسُمِّي البيت العالي غُرْفَةً ، بمعنى المغروف ؛ أي المقطوع من غيره بعلوه وارتفاعه . قال مقاتل : «يعني : غرف الجنة ، نظيرها في : الزمر»^(٢) . وقال ابن عباس : «يريد غرف الزبرجد ، والدر ، والياقوت»^(٣) . وقال السدي والضحاك : «(الغرفة) الجنة»^(٤) .

قوله : ﴿يَمَّا صَبْرًا﴾ . قال ابن عباس : «على دينهم ، وعلى أذى المشركين»^(٥) . وقال مقاتل : «على أمر الله»^(٦) .

-
- (١) تهذيب اللغة (غرف) ١٠٤ / ٨ .
- (٢) يعني قوله تعالى : ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقَهَا غُرْفٌ مَّيْنَةً﴾ [الزمر : ٢٠] . تفسير مقاتل ٤٧ ب ، وكذا قوله تعالى : ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ : ٣٧] . تفسير الهواري ٢١٩ / ٣ ، وحكي الماوردي ١٦١ / ٤ عن ابن شجرة أن الغرفة أعلى منازل الجنة وأفضلها ، والله أعلم . وقد اقتصر على هذا القول الطوسي ٥١٢ / ٧ ، ولم ينسبه .
- (٣) ذكره البغوي ١٠٠ / ٦ عن عطاء .
- (٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٤٣ / ٨ عن الضحاك ، وسعيد بن جبير ، وأبي جعفر محمد بن علي ، والسدي ، وذكره ابن الجوزي ١١٢ / ٦ عن ابن عباس .
- (٥) الوسيط ٣٤٩ / ٣ غير منسوب .
- (٦) تفسير مقاتل ٤٧ ب . وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٤٤ / ٨ عن سعيد بن جبير ، وأخرج عن أبي جعفر : ﴿يَمَّا صَبْرًا﴾ على الفقر في الدنيا . قال الهواري ٢٢٠ / ٣ : «على طاعة الله ، وعن معصية الله» . والآية ظاهرة في إرادة العموم فيدخل فيها ما ذكر ، وغيره أيضاً ، والله أعلم . وقد نص على هذا الزخشري ٢٨٨ / ٣ ، والرازي ١١٦ / ٢٤ .

وقوله : ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ : قرئ بالتشديد ، والتخفيف^(١) . فمن شدد فحجته قوله : ﴿وَلَقَّهْم نَصْرَهُ وَسُرُورًا﴾ [الإنسان : ١١] ، ومن خفف فحجته قوله : ﴿فَسَوْفَ يَلَقُّوْنَ غَيًّا﴾^(٢) [مريم : ٥٩] .

وقال الفرّاء : «التخفيف أعجب إليّ ؛ لأن القراءة لو كانت على التشديد لكانت بالباء ؛ لأنك تقول : فلان يُتَلَقَّى بالسلام والخير»^(٣) . وهذا الذي قاله ينتقض بقوله : ﴿وَلَقَّهْم نَصْرَهُ وَسُرُورًا﴾ [الإنسان : ١١] ؛ لأنه بغير الباء على أنه قال : «وكل صواب : يُلَقُّونه ، ويُلقون به»^(٤) .

وقوله : ﴿فِيهَا تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ﴾ . قال ابن عباس : «التحية والسلام من عند الرحمن»^(٥) . وقال الكلبي : «يحيي بعضهم بعضاً بالسلام ، ويرسل إليهم الرب بالسلام»^(٦) .

(١) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وعاصم في رواية حفص بالتشديد ، وقرأ ابن عامر ، وحمة ، والكسائي ، وعاصم في رواية أبي بكر بالتخفيف ، السبعة في القراءات ٤٦٨ ، والحجة للقراء السبعة ٣٥٤ / ٥ ، والنشر في القراءات العشر ٣٣٥ / ٢ ، قال الأزهرى : «المعنى في ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ أن الله يلقي أهل الجنة إذا دخلوها ملائكته بالتحية والسلام ، ومن قرأ : (يُلَقُّون) فالفعل لأهل الجنة ، إنهم يلقون فيها التحية والسلام من الله عز وجل» . معاني القراءات ٢ / ٢٢١ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٣٥٤ / ٥ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٧٥ ، وهو اختيار ابن جرير ١٩ / ٥٤ ، وأورد كلام الفرّاء ، ولم ينسبه . قال أبو علي : «(لقي) فعل متعدّد إلى مفعول واحد ، فإذا نقل بتضعيف العين تعدى إلى مفعولين ، فقوله : ﴿تَحِيَّةٌ﴾ المفعول الثاني ، من قولك : لقيت زيدا تحية ، فلما بنيت الفعل للمفعول قام أحد المفعولين مقام الفاعل ، فبقي الفعل متعدّياً إلى مفعول واحد» . الحجة للقراء السبعة ٣٥٤ / ٥ ، واختار ابن خالويه قراءة التشديد ؛ لما فيها من التكثر . إعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ١٢٨ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٧٥ ، وقد ذكر رأيه وردّ عليه بأوسع مما ذكر الواحدي . النحاس في إعراب القرآن ٣ / ١٦٩ .

(٥) أخرج ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٤٤ عن سعيد بن جبير : «تلقاهم الملائكة بالتحية ، والسلام» ، وقال به أيضاً مجاهد ، أخرجه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٤٤ .

(٦) تنوير المقياس ٣٠٦ بمعناه ، وهو في الوسيط ٣ / ٣٤٩ غير منسوب .

وقال مقاتل : ﴿نَحِيَّةٌ﴾ يعني : السلام ، ﴿وَسَلَامًا﴾ يقول : سَلَّمَ اللهُ لهم أمرهم وتجاوز عنهم^(١) .

٧٦ . وقوله : ﴿حَلِيلِينَ﴾ حال من قوله : ﴿يُلْقُونَ﴾ . قال ابن عباس : «لا يموتون ، ولا يهرمون ، ولا يسقمون» ، ﴿فِيهَا﴾ في الغرفة ، ﴿حَسَنَتْ﴾ ؛ أي الغرفة ﴿مُسْتَقَرًّا﴾ موضع قرارٍ ﴿وَمَقَامًا﴾ موضع إقامة . قال ابن عباس : «طاب لهم المستقر والمقام مع الحور العين ، والولدان المخلدين»^(٢) .

٧٧ . قوله تعالى : ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ . قال الليث : «تقول : ما أعبأ بهذا الأمر ؛ أي ما أصنع به ، كأنك تستقله وتستحقره . تقول : عَبَأَ يَعْبَأُ عَبَاءً وَعِبَاءً ممدود»^(٣) . وقال الكسائي : «عبى مقصور» .

وقال أبو عبيدة : «يقال ما عَبَأْتُ به شيئاً ؛ أي لم أعده شيئاً»^(٤) .

[وقال شمر : «قال أبو عبد الرحمن : ما عَبَأْتُ به شيئاً ؛ أي لم أعده شيئاً»^(٥) .

وقال أبو عدنان عن بعض أهله : «يقال : ما يعبأ الله بفلان ، إذا كان فاجراً ، أو مائتاً»^(٦) وإذا قيل : قد عبأ الله به فهو رجل صدق ، قال : «وأقول : ما عبأت بفلان ؛ أي لم أقبل منه شيئاً ، ولا من حديثه»^(٧) . وقال أبو إسحاق : «تأويله :

-
- (١) تفسير مقاتل ٤٧ ب . وحكى الماوردي ٤ / ١٦٢ عن الكلبي : «يجي بعضهم بعضاً بالسلام» .
 - (٢) أخرج نحو ما سبق ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٤٤ عن سعيد بن جبير . وهذه الآية في مقابل قوله تعالى قبل ذلك عن النار : ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ . تفسير الرازي ٢٤ / ١١٦ .
 - (٣) كتاب العين (عبء) ٢ / ٢٦٣ ، وذكره ابن جرير ١٩ / ٥٥ ، ولم ينسبه .
 - (٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٨٢ ، وذكره البخاري ، ولم ينسبه . الفتح ٨ / ٤٩٠ .
 - (٥) ما بين المعقوفين في (ج) ، وهو في تهذيب اللغة (عبا) ٣ / ٢٣٥ .
 - (٦) المائق : الهالك حقاً وغباوة . تهذيب اللغة (موق) ٩ / ٣٦٣ ، ولسان العرب ١٠ / ٣٥٠ .
 - (٧) تهذيب اللغة (عبا) ٣ / ٢٣٤ ، وفيه : «قال أبو عدنان عن رجل من باهلة» .

﴿ قُلْ مَا يَعْبُذُ بِكُمْ ﴾ أَيُّ وزنٍ يكون لكم عنده ، كما يقول : ما عبأت بفلان ؛ أي ما كان له عندي وزن ، ولا قدر . وأصل العِبء في اللغة : الثقل ، ومن ذلك : عبأت المتاع ، جعلت بعضه على بعض^(١) .

وقال بعض أهل اللغة : «أصل هذا الحرف من تهية الشيء ، يقال : عبأت الطيب ، أعبؤه عبأً إذا هيأته ، قال :

كَأَنَّ بِنَحْرِهِ وَبِمَنْكِيهِ عَيْرَابَاتٍ يَعْبُوهُ عَرُوسُ^(٢)

قال أبو زيد : «يقال : عبأت الأمر والطيب عبأً إذا ما صنعتته وخلطته ، وعبأت المتاع عبأً إذا هيأته . ويقال : عبأته تعبئة ، وكل من كلام العرب ، وعبأت الخيل تعبئة وتعبيناً» . انتهى كلامه^(٣) . والعِبء : الثقل ؛ لأنه يُحمّل له ما يُحمل به ، وما أعبأ به ؛ أي لا أهبأ به أمراً^(٤) ، هذا كلام أهل اللغة في هذا الحرف .

قال مجاهد ومقاتل : «يقول : ما يفعل بكم ربي»^(٥) ، وهو اختيار الزجاج^(٦) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٧٨/٤ ، ونقله عنه الأزهري (عبا) ٢٣٤/٣ ، وفي (ج) (النقل) بدل (الثقل) .

(٢) بنصه في إصلاح المنطق ١٤٩ من دون إنشاد البيت ، وذكره الثعلبي ١٠٥/٨ ب ، ولم ينسب القول ولا البيت ، وأنشد البيت الطبرسي ٢٨٣/٧ ولم ينسبه ، وإنما قال : «قال الشاعر يصف أسداً» ، وأنشده القرطبي ١٣/٨٤ بلفظ : (كأن يصدره وبجانيه) ، وأنشده في لسان العرب (عبا) ١١٨/١ ، ونسبه إلى أبي زيد . قال الشنقيطي ٦/٣٥٩ : «قوله : يعبؤه ، أي يجعل بعضه فوق بعض لمبالاته به ، واكترائه به» .

(٣) تهذيب اللغة (عبا) ٢٣٥/٣ .

(٤) تهذيب اللغة (عبا) ٢٣٥/٣ بلفظ : «ما عبأت به شيئاً : لم أباله» .

(٥) تفسير مجاهد ٢/٤٥٧ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/٥٥ ، وابن أبي حاتم ٨/٢٧٤٥ ، وتفسير مقاتل ٤٧ ب ، واقتصر عليه الهواري ٣/٢٢٠ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٧٨/٤ .

وقال ابن عباس ، والكلبي ، وابن زيد : «ما يصنع بكم ربّي»^(١) ، وهذا اللفظ اختيار الفراء^(٢) .

وقوله : ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ . قال مجاهد والكلبي : «لولا دعاؤه إياكم لتعبدوه وتطيعوه»^(٣) ، واختاره الفراء فقال : «لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام»^(٤) . ومعنى الآية على هذا : أي مقدار ووزن لكم عند الله لولا أنه خلقكم لتعبدوه ، وتطيعوه . وهذا معنى قول ابن عباس : «أي إنما أريد منكم أن توحّدوني» . والدعاء على هذا مصدر مضاف إلى المفعول . قال : لولا عبادتكم^(٥) ، وهو قول الكلبي^(٦) .

وقال أبو إسحاق : «أي لولا توحيدكم إياه»^(٧) ، وعلى هذا المصدر مضاف إلى الفاعل ، وفيه تنبيه على أن من لا يعبد الله ولا يوحّده ولا يطيعه لا وزن له عند

(١) أخرجه ابن جرير ٥٥ / ١٩ عن ابن زيد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٤٥ / ٨ عن عمرو بن شعيب ، وذكره الأزهري ٢٣٤ / ٣ عن الكلبي .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٧٥ .

(٣) أخرجه عن مجاهد ابن جرير ٥٥ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٧٤٥ / ٨ ، وتفسير مجاهد ٢ / ٤٥٧ ، وفي تنوير المقياس ٣٠٦ : «﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ أن الله أمركم بالتوحيد» .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٧٥ ، قال الهوّاري ٣ / ٢٢٠ : «لولا عبادتكم وتوحيدكم وإخلاصكم ، كقوله : ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر : ١٤]» .

(٥) تفسير مقاتل ٤٧ ب .

(٦) تنوير المقياس ٣٠٦ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٧٨ ، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم عن ابن عباس : «لولا إيمانكم» ، ولعل المراد بهذا الإيمان والتوحيد ، ما ذكره الماوردي ٤ / ١٦٢ ، ولم ينسبه : «لولا دعاؤكم له إذا مسكم الضر وأصابكم السوء ، رغبة إليه ، وخضوعاً إليه» .

الله^(١) . وهذه الآية عند ابن عباس خطاب لجميع الخلق ؛ لأنه قال : «ثم رجع إلى جميع الخلق»^(٢) ، وعند الكلبي : «أنه من خطاب أهل مكة»^(٣) .

وقال ابن قتبية في هذه الآية : «أي ما يعبأ بعذابكم ربي ، لولا ما تدعونه من دونه من الشريك والولد»^(٤) .

(١) رجع ابن القيم هذا القول ، فقال : «والصحيح من القولين : لولا أنكم تدعونه وتعبدونه ؛ أي : أي شيء يعبأ بكم لولا عبادتكم إياه فيكون المصدر مضافاً إلى الفاعل» . جلاء الأفهام ٢٥٤ ، وذكر هذا ابن العربي المالكي في أحكام القرآن ٣ / ٤٣٠ عن بعض الأدباء ، ولم يسمه ، ثم قال : «وليس هو كما زعم ، وإنما هو مصدر أضيف إلى المفعول ، والمعنى : قل يا محمد للكفار : ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم ببعثة الرسل إليكم ، وتبيين الأدلة لكم ، فقد كذبتهم فسوف يكون عذابكم لازماً» . قال الثعالبي : «والحق أن الآية محتملة لجميع ما تقدم ، ومن ادعى التخصيص فعليه بالدليل ، والله أعلم» . الجواهر الحسان ٢ / ٤٧٦ .

قال ابن عاشور ١٣ / ٤٣٨ : «والحاصل أنه ليس فيكم الآن ما يصلح أن يعتد بكم لأجله إلا الدعاء ؛ لأنكم مكذبون ، وإنما قلت : الآن ؛ لأن (ما) لا تدخل إلا على مضارع بمعنى الحال ، عكس : (لا)» . أخرج ابن جرير ١٩ / ٥٥ ، وابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٤٥ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من طريق علي بن أبي طلحة : «وأخبر الله تعالى الكفار أنه لا حاجة له بهم» .

(٢) تنوير المباس ٦ / ٣٠ ، وعند مقاتل خلاف ذلك ، قال في قوله تعالى : ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ النبي ﷺ بعد كفار مكة .

(٤) تأويل مشكل القرآن ٣٨ / ٤ ، والسبب في كون هذه الآية مشكلة ؛ لأن فيها مضمراً ، فاختلف في تعيينه . أفاده ابن قتبية ، ولذا ذهب إلى ما ذهب إليه أخذاً بظاهر الآية ، ثم قال : «ويوضح ذلك قوله : ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِرَإْمًا﴾ أي يكون العذاب لمن كذب ودعا من دونه لها لازماً» . وذكر الطوسي ٧ / ٥١٣ هذا القول عن البلخي : «قال : معناه : لولا كفركم وشرككم ما يعبأ بعذابكم ، وحذف العذاب وأقام المضاف إليه مقامه» . وذكر ابن جرير الطبري ١٩ / ٥٧ قول ابن قتبية ، ورد عليه فقال : «وقد كان بعض من لا علم له بأقوال أهل العلم ، يقول في تأويل ذلك : قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد . وهذا قول لا معنى للتشاغل به لخروجه عن أقوال أهل العلم من أهل التأويل» . وقد ذكر الشنقيطي ٦ / ٣٥٩ هذه المسألة بالتفصيل ، واستدل على صحة الأقوال الواردة في الآية ، واستبعد القول الذي ذكره ابن قتبية ؛ لأن فيه تقدير ما لا دليل عليه ، ولا حاجة إليه .

قال ابن الأنباري : « وهذا لم يقل به أحد من السلف ، وهو عندي غير صحيح ؛ لأن الدعاء يجوز أن يقع على شيئين متضادين ، فيقال : لولا دعاؤكم الأصنام ، ولولا دعاؤكم الله ، وإذا احتمل الحرف الوقوع على معنيين متضادين لم يجز حذف المنوي ؛ لأنه يلتبس ، ألا ترى أن من قال : أنا أكره كلامك ، لم يحسن له أن يقول : أنا أكره ، ويسكت ؛ لأن المخاطب لا يدري أكرهته تقع على الكلام ، أم على السكوت ، فإضمار ابن قتيبة الشركاء والآلهة في الآية غير صحيح ^(١) . وأيضاً فإنه لا خلاف بين النحويين أنهم إذا قالوا : ما عبأت بفلان ، معناه : ما عددته شيئاً ، ولم يقل منهم أحد : إن معناه : ما عبأت بكلامه ، أو بغضه ، أو رضاه ؛ لأن المضمّر مجهول المعنى ، وما جهل معناه لم يحذف ، ثم قال : « وتأويل الآية : ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤه إياكم لتعبدوه وتطيعوه ؛ أي لولا هذا ما وعدكم الله شيئاً ، ولا كانت له فيكم حاجة » .

قوله : ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ ﴾ : الخطاب لأهل مكة ؛ أي كذبتُم محمداً ﷺ ^(٢) . واتصال هذا الكلام بما قبله على معنى أنه دعاكم إلى توحيدهِ وعبادته فقد كذبتُم الرسول ولم تجيبوا دعوته ^(٣) .

(١) سبق ذكر ردّ ابن جرير عليه .

(٢) أخرج ذلك ابن أبي حاتم ٢٧٤٥ / ٨ عن السدي .

(٣) أخرج ابن أبي حاتم ٢٧٤٥ / ٨ عن الوليد بن أبي الوليد ، قال : « بلغني أن تفسير هذه الآية : ما خلقتكم لي بكم حاجة ، إلا أن تسألوني فأغفر ، وتسألوني فأعطيكم » .

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ . قال الليث : «اللزام الذي يلزمك ولا يفارقك»^(١) . وأنشد أبو عبيدة لصخر الغي^(٢) :

فإِذَا يَنْجُوا مِنْ حَتْفِ أَرْضٍ فَقَدْ لَقِيَا حُتُوفَهُمَا لِزَامًا^(٣)

أي إنه واقع لا محالة . قال الزَّجَّاج : «وتأويل هذا أن الحتف إذا كان مقدراً فهو لازم ، إن نجا من حتف مكان لقيه الحتف في مكان آخر لازماً له لزاماً»^(٤) . والمفسرون ذكروا في تفسير اللزام أنه يوم بدر ، وهو قول ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومجاهد ، ومقاتل ، والسدي ، ورواية عطاء عن ابن عباس ، قال : «يريد القتل يوم بدر ، وعذاب الدنيا متصل بعذاب الآخرة»^(٥) .

(١) العين (لزم) : ٣٧٢ / ٧ : بمعناه ، وكذا في تهذيب اللغة ٢٢٠ / ١٣ .

(٢) صخر الغي ، صخر بن عبدالله الخثمي ، من بني هذيل ، شاعر جاهلي ، لقب بصخر الغي ، لخلاعه ، وشدة بأسه ، وكثرة شره . انظر : الشعر والشعراء ٤٤٨ ، والأعلام ٢٠١ / ٣ .

(٣) ذكره أبو عبيدة في المجاز ٨٢ / ٢ ، ونسبه إلى الهذلي ، ولفظه :

فإِذَا يَنْجُوا مِنْ حَتْفِ يَوْمٍ فَقَدْ لَقِيَا حُتُوفَهُمَا لِزَامًا
وأنشده أبو عبيدة استدلالاً على أن المراد باللزام : الفيل ، وذكره الزَّجَّاج ٧٨ / ٤ عن أبي عبيدة استدلالاً على ما ذكره ، وكذا الأزهر (لزم) ٣١ / ٣ ، ورواية البيت موافقة لما في المعاني والتهذيب ، مما يدل على نقل الواحدي عنها ، والله أعلم ، وذكره ابن عطية ٨٤ / ١١ من إنشاد أبي عبيدة ، وذكره القرطبي ٨٦ / ١٣ بلفظ :

فإِذَا يَنْجُوا مِنْ خَسْفِ أَرْضٍ

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٧٩ / ٤ ، واختار هذا الماوردي ١٦٢ / ٤ ، فقال : «وأظهر الأوجه أن يكون اللزام الجزاء للزومه» ، وتبعه العز في تفسيره ٤٣٥ / ٢ .

(٥) تفسير مجاهد ٤٥٧ / ٢ ، وتفسير مقاتل ٤٧ ب . وأخرج عبدالرزاق ٧٢ / ٢ عن قتادة ، قال : «قال أبي : هو القتل يوم بدر» ، وأخرجه ابن جرير ٥٦ / ١٩ عن ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وإبراهيم ، ومجاهد ، والضحاك ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٤٦ / ٨ عن أبي مالك ، وأبي بن كعب ، وابن مسعود ، والقرطبي ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وبه قال الهواري ٢٢٠ / ٣ ، وأخرج ابن جرير ٥٧ / ١٩ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من طريق علي بن أبي طلحة : «اللزام : الموت» ، وأخرج عن ابن زيد : «اللزام : القتال» . قال في الوسيط ٣٤٩ / ٣ : «والمعنى أنهم قتلوا يوم بدر ، واتصل به عذاب =

قال أبو إسحاق : «وتأويله : فسوف تلزمكم العقوبة بتكذيبكم ، [فيدخل في هذا يوم بدر ، وغيره مما يلزمهم من العذاب] ، وذكر وجهاً آخر ، فقال : «تأويله والله أعلم : فسوف يكون تكذيبكم»^(١) لزماً يلزمكم ، فلا تعطون التوبة»^(٢) .

وقال الكلبي : «﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أخذاً باليد ، والقتل يوم بدر ؛ وهو من عذاب الدنيا فأسروا يوم بدر وقتلوا»^(٣) .

وقال الفراء : «فسوف يكون تكذيبكم يوم بدر لزماً ، عذاباً لازماً لكم»^(٤) . وحكى أبو إسحاق عن أبي عبيدة : «﴿لِزَامًا﴾ فيصلاً»^(٥) ، ونحو هذا روى ثعلب عن ابن الأعرابي ، وقال : «اللَّزْمُ : فَضْلُ الشَّيْءِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿يَكُونُ لِزَامًا﴾ ؛ أي فيصلاً»^(٦) . والمعنى على هذا : فسوف يكون القتل والهلاك ، أو العذاب أو تكذيبكم على معنى : جزاء تكذيبكم فيصلاً بينكم وبين المؤمنين ، ثم كان ذلك يوم بدر ، والقول الأول من اللزّام ، وهذا من اللزّام ، وهما ضدان^(٧) .
والله تعالى أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

الآخرة ، لازماً لهم فلحقهم الوعيد الذي ذكر الله ببدر» . وأمّا في الوجيز ٧٨٥ فلم يحدد ، بل جعل الآية مطلقة ، فقال : «﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذاب لازماً لكم» .

- (١) ما بين المعقوفين ساقط من (ج) .
- (٢) معاني القرآن للزجاج ٧٨ / ٤ .
- (٣) تنوير المقياس ٣٠٦ بمعناه .
- (٤) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٧٥ بمعناه .
- (٥) معاني القرآن للزجاج ٧٨ / ٤ ، ثم قال : «وهو قريب مما قلنا ، ألا أن القول أشرح» ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٢ / ٢ .
- (٦) تهذيب اللغة (لزم) ١٣ / ٢٢١ .
- (٧) قال الزجاج ٧٩ / ٤ : «ومن قرأ : (لِزَامًا) بفتح اللام ، فهو على مصدر لزم لزماً» ، ونحوه في إعراب القرآن للنحاس ٣ / ١٧٠ ، قال القرطبي ١٣ / ٨٦ : «اللزّام ، بالكسر : مصدر لازم ، لزماً مثل : خاصم خصاماً ، واللزّام ، بالفتح ، مصدر : لزم ، مثل : سلّم سلاماً ، أي سلامة ، فاللزّام بالفتح : اللزوم ، واللزّام : الملازمة» . وفي لسان العرب (لزم) ١٢ / ٥٤٢ : «وهو في اللغة الملازمة للشيء والدوام عليه ، وهو أيضاً الفصل في القضية ، فكأنه من الأضداد» .